ديوان

صفي الدين الحلي



دار صادر
بيروت

تنسيق وفهرسة : د. الشويحي

ديوانُ
صَفي الدّين الحِلّي



دار صادر
بيروت

ديوان صفي الدين الحلي

صفيّ الدين الحلّي

٦٧٧ – ٧٥٢ ؟ هـ ١٢٧٧ – ١٣٣٩ م

هو أبو المحاسن عبد العزيز بن سرايا بن نصر الطائي السِّنبِسي ، نسبة إلى سِنبِس ، بطن من طيّ . ولد في الحِلّة من العراق ، وإليها نُسب ومات في بغداد .

أولع بنظم الشعر منذ شبّ عن طوقه ، وأخذ على نفسه ألاّ يمدح كريماً ، وألاّ يهجو لئيماً ، فكأنّه على حدّ قوله : لم ينظم شعراً إلاّ فيما أوجب له ذكراً .

كان صفي الدين شيعيّاً قحّاً ، وشيعيّته شديدة البروز في شعره ؛ وكان فارساً شجاعاً ، ولمّا فقد الأمر في الحلّة ، ووقعت فيها حروب بين أهل هولاكو لأجل العرش ، خاض صفي الدين غمارها فأظهر بطولة وشجاعة ، ينم عليهما شعره . وكان عربيّاً صافي العروبة ، وتظهر في شعره نعرته العربيّة القويّة ، وتحمّسه لقومه ، وبثّه فيهم روح الأنفة والطموح ، وهذه مزية لم تكن لشاعر سواه في ذلك العهد ، لفقدان الأمن ، وتستّر الشعراء في تلك الفتن والحروب .

على أن تلك الفتن ما لبثت أن حملته على الرحيل إلى آل أرتُق ملوك ديار بكر بن وائل ، فمدح الملك المنصور نجم الدين أبا الفتح غازي بتسع وعشرين قصيدة ، كلّ منها تسعة وعشرون بيتاً على حرف من حروف المعجم بدأ كلّ بيت منها به ، وبه ختمه ، وسمّاها : « دُرر النحور في مدائح الملك المنصور » ،

وسمّيت أيضاً بالروضة ، وهي المعروفة بالأُرتُقيات . وهذه القصائد وإن تكن تدلّ على مقدرته اللغويّة وخصب شاعريته يشوبها كثير من التكلّف والمغالاة بله تكرار القوافي وتقلقل بعضها في أماكنها .

ثمّ اتصل بالسلطان المؤيّد عماد الدين إسماعيل ابن الملك الأفضل أيوب ، فمدحه ، ثمّ بابنه شمس الدين أبي المكارم .

ولمّا اشتدّت الفتن ورثّ حبل الأمن رحل إلى مصر ، فقرّبه سلطانها الملك الناصر فمدحه بعدّة قصائد دعاها بالمنصوريّات . وجمع ديوانه في مصر بإشارة من ناصر الدين محمّد بن قلاوون رئيس وزراء السلطان الناصر .

كان في شعره كثير التصنّع والتكلّف لأنواع البديع ، والألغاز ، ولا بدع فتلك ميزة عصره ؛ وقد نظم قصيدة في بحر البسيط عدد أبياتها مئة وخمسة وأربعون بيتاً ، سمّاها : « الكافيّة البديعيّة في المدائح النبويّة » جمع فيها أنواع المُحسّنات اللفظيّة والمعنويّة ، وفتح بها طريق نظم البديعيات لمن جاء بعده ، هذا عدا ما تكلّفه من نظم قصائد حروفها مهملة أو معجمة ، أو خليط ما بين معجم ومهمل .

ولعلّه أوّل شاعر من شعراء عصره تفنّن في أوزان الشعر فنظم موشحات منها ما اتبع فيه ، ومنها ما ابتدعه ، فجاء بشيء جديد في تلك الأيّام التي سادها التقليد ، وله قصيدة ظريفة تدلّ على نفوره من الألفاظ الغريبة التي يمجها الذوق . وكان مولعاً بتسميط قصائد الأقدمين ، فعله بقصيدة السموأل بن عادياء اليهودي المشهورة ، التي مطلعها : إذا المرء لم يدنس من اللّؤم عرضه .

وقد اشتهر بوصفه لمجالس اللهو والأُنس ، وبوصف مظاهر الطبيعة ؛ وله زهريّة جميلة مشهورة مطلعها :

وَرَدَ الربيعُ ، فمَرحَباً بوُرُودِهِ ، وبنُورِ بَهجَتِهِ ، ونَوْرِ ورودِهِ

ويستدلّ من الأبواب التي وضعها في ديوانه على أنّه لم يترك فنّاً من فنون الشعر إلاّ نظم فيه حتّى الاحماض وهو ما أزلناه من الديوان ضنّاً بالأخلاق .

ومهما يكن الأمر فصفي الدين أشعر شعراء عصر الانحطاط ، وقبسٌ متّقد فيهم ، وشعره قويّ السبك ، رائق الديباجة لم ينحطّ فيه إلى العامّي والمبتذل شأن متشاعري ذلك العهد .

كرم البستاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علّم الإنسان البيان ومَنّ عليه . والصلاة على نبيّه محمّد الذي مدح الشعر ودعا لناظمه وإليه . وعلى آله أهل البيت خزنة علمه والأمناء على ما لديه . وعلى خيرة صحبه القافية أثره والمجاهدين بين يديه .

وبعد ، فإنّي كنت قبل أن أشِبّ عن الطّوق . وأعلَمَ ما دواعي الشوق . بَهِجاً بالشعر نظماً وحِفظاً ، مُتقناً علومه معنى ولفظاً . وامقاً بسبك القريض . كارهاً للكَسب بالتّقريض[1] . إذ كان ديدَني[2]، ألاّ أمسَحَ يدَ دَنِيّ. وأن أفِرّ مِنَ العادة الحَشناء. ولو من الغادة الحَسناء. وأعُدّ الشعر من أدب الفضائل . وأحقرِ الوسائل. فكنتُ أستُرُه سترَ المَحارم. وأعدّ البخل به من المكارم. وعزمتُ ألاّ أجمعَ لي منه كتاباً . ولا أدوّن منه باباً . عِلماً بأنّي لا أخلو فيه من إنصاف لَوذَعِيّ. أو عِناد من يلوذُ به لَوْذَعَيّ[3]. فأهملته حتّى تشعّب وتفرّق،ومزّق شملَه المُدّعون كلّ مُمزّق . وكنتُ عاهدتُ نفسي ألاّ أمدحَ كريماً وإن جلّ . ولا أهجو لئيماً وإن ذلّ . وذلك للتنزّه عن التشبّه بذوي السؤال . والترفّع

---

١ التقريض : صناعة القريض .
٢ ديدني : دأبي ، عادتي .
٣ اللوذعي : الذكي الذهن الحديد الفؤاد ، الفصيح اللسان . اللوذ ، من لاذ به : التجأ إليه . العي : الكال ، العاجز .

عن التّتبّع لمَثالب[1] الرجال . فكنتُ لا أنظم شِعراً إلاّ فيما يوجب لي ذِكراً . أو يَجلُب لي شُكراً

كوَصفِ حرَبٍ ورصفِ شَرْبٍ، ولُطفِ عتَبٍ لقَلبِ قلبِ[2]
وذكرِ إلفٍ وشُكرِ عرْفٍ ، وبكرِ وصفٍ ونَدبِ نَدبِ[3]

ولا أتصدّى من المدائح إلاّ لِما أعدّه زاداً للمال . في مديح النبيّ والآل . ثمّ إذا عَنّ لي معنًى لا يَليقُ إلاّ بالثّناء والمدح نظمتُه في كُبَراء أنسابي . وما لا يَسوغ إلاّ في الهجاء والقَدح عزوتُه إلى اقتراح خُلعاء أصحابي . لئلاّ يظنّ قومٌ أن فراري منهما ، لعَجزي عنهما . وها أنا نُصب المسألة في ذلك طولَ حَياتي . ومُطلِق عِرضي لمن تحقّقه منّي بعد وفاتي

وأعرَضتُ عن مدحِ الأنامِ ترَفّعاً سِوى مَعشري إذ كان مجديَ منهمُ
وقلتُ لقولِ ابنِ الحُسينِ مُوَرّياً : إذا كان مَدحٌ ، فالنّسيبُ المُقَدّمُ

ثمّ جرَت بالعراقِ حروبٌ ومِحَن . وطالَت خطوبٌ وإحَن[4] . أوجبَت بُعدي عن عَريني ، وهَجرَ أهلي وقَريني . بعد أن تكمّل لي من الأشعار ، ما سبَقني إلى الأمصار ، وحدّث به الركبان في الأسفار فلمّا أحسنَت إليّ مَساآت الزّمان . وأرضاني سُخطُ الحِدْثان بحَطّ رِحالي بفِناء الملوك لبني الملوك ، كهفِ الغنيّ والصعلوك . فخرِ الملوكِ الأواخر والأوائل . ملوكِ ديار بكر بن وائل . الأُرتُق راتِقي فتْق الدين . جابري كسر الإسلام والمسلمين .

---

١ مثالب : عيوب .
٢ رصف شرب : هكذا في الأصل ، الشرب جمع شارب . قلب القلب : تغييره عما هو عليه .
٣ العرف : المعروف . ندبه إلى الأمر : دعاه إليه . الندب : السريع إلى الفضائل .
٤ الإحن ، الواحدة إحنة : الحقد ، إضمار العداوة .

لا زالت أيّامُهم باسمةَ الثغور . ما سرَت الرّيح الجارية . وجرَت الرّوح السارية . وتطايرَ ورَقُ الأشجار . وتَشاجرَ وُرْقُ[1] الأطيار

فقيّدَتْني عندَهمْ أنعُمٌ هنّ قيودُ الآملِ السّانِحِ
ووكّلتْ فِكري بمَدحي لَهُم مكارِمُ المَنصورِ والصّالِحِ

فمذ ثبّتوا بالإحسان قدَمي . وصانوا عن بني الزّمان وجهي ودَمي . حمِدتُ لقَصدهم مَطايا الآمال . وقلتُ لقلبي لا خَيلَ عندك تُهديها ولا مال . ونظمتُ في مَدح السلطان الأعظم . مستخدِمِ السّيفِ والقلَم . ربِّ المناقِبِ والمَغازي . الملِكِ المنصور نجمِ الدين أبي الفتح غازي. أطابَ اللهُ مَثواه، وقدّس ثَراه ، قصائدَ مُوَصَّلَةً . مُجمَلَةً ومُفصَّلةً . فالمُجمَلةُ ما جعلته كتاباً مفرداً كالديوان . إذ لا يحتمل الزيادة والنّقصان . لكونه تِسعاً وعشرين قصيدةً ، كلّ منها تسعةٌ وعشرون بيتاً على حرَف من حروف المعجم . يبدأ في كلّ بيتٍ منها به وبه يُختَم . ووسمتُه بدُرَرِ النّحور . في مدائح الملك المنصور . والمفصّلةُ ما انتخبتُ أحسنَها حسَبَ الإمكان . وأودعته أثناء هذا الديوان . ثمّ تكمّل لي في دولة وليّ نعمتي السلطانِ الملكِ الصالح، شمس الدين أبي المكارم صالح . خلّد الله دولته . وأيّد كلمته . ما سَيرد بعدُ في المَدائح وآليتُ ألاّ أعزّز مَدحَها بثالث ، ورَجَوتُ ألاّ أُدعَى ، إلاّ في تلك الأليّة ، بحانث . ولولا وُجُودُهما وجُودُهما لعِشتُ من هذا النّتاج عَقيماً، ودُمتُ على رَفض المدائح مُقيماً . فلمّا مَنّ الله عليّ بقَضاء حجّة الإسلام . وزيارة قبر النبيّ ، عليه السلام . قذَفَ بي خوف بلادي إلى الدّيار المصريّة . وأهِلتُ بالمثول في الحضرة الشريفة الملكيّة الناصريّة. وشمَلني من الإنعام ما فاجأني ابتداءً ولم أملِك

---

[1] الورق ، الواحدة ورقاء : الحمامة الضارب لونها إلى الخضرة .

له خبراً ألزمني المروءة بمكافأة تلك الحقوق . ورأيت كُفرانها كالعُقوق . وإن تكفير تلك اليَمين . أولى من كُفران أنعُم المُنعمين . فنظمت في مَعاليه ما طابَ لفظُه ومعانيه . وظهرَتْ آياتُ القويّ فيه . من تمكّن سبكه وقوافيه . فلمّا صادفَت وسائلي فيه قَبولاً . وهبّت ريحُ سعدِها قَبولاً[1] . أشار رئيس وزرائه . وزعيم كتّاب إنشائه . عن إشارته العالية أن أجمعَ له جُزءاً من جِدّ شعري وهَزله . ورقيق لَفظي وجَزْله[2] . وأن أبوّبه أبينَ تَبويب . وأرتّبه أحسن ترتيب . ليكون ديواناً للمحاضرة . ومجموعاً للمُذاكرة . فأجبتُ بالسّمع والطاعة. واستَحضرتُ ما حضَرَني حسبَ الاستطاعة . فاختَرت منه ما يُحبّ ويَبتغي . ورتّبته على ما يجب ويَنبغي . واقتضى الأدبُ أن أسِمَ الكتاب برَسمه . وأشرّف بابَ المَديح بتَقديم لقَبه الشريف واسمه . فصيّرت وَليّ المديح كوسميّه[3] . وختمتُ به أبناء المَدح كخَتم الأنبياء بسَميّه . وجعلت الكتاب اثني عشر باباً ، واللهُ الموفّق للصّواب .

---

١ القبول الأولى من قبله : أخذه ، صدقه . الثانية : ريح الصبا .
٢ الجزل : ضد الركيك من الألفاظ .
٣ الولي : المطر يسقط بعد المطر . الوسمي : أول مطر الربيع .

الباب الاول

في الفخر والحماسة والتحريض على الرياسة

نفس أبية

قال في صباه لطف به مولاه

لَئن ثلَمَتْ حدّي صُروفُ النّوائبِ، … فقَد أخلَصتْ سَبكي بنارِ التّجارِبِ[1]
وفي الأدبِ الباقي، الذي قد وَهَبْنَني، … عَزاءٌ مِنَ الأموالِ عن كلّ ذاهبِ
فكَم غايَةٍ أدركتها غير جاهدٍ، … وكَم رتبَةٍ قد نلتها غير طالبِ
وما كلّ وانٍ في الطّلابِ بمُخطىءٍ، … ولا كلّ ماضٍ في الأمورِ بصائبِ[2]
سمَتْ بي إلى العَلياءِ نَفسٌ أبيّةٌ … ترَى أقبَحَ الأشياءِ أخذَ المَواهبِ
بعَزْمٍ يُريني ما أمامَ مَطالبي، … وحَزمٍ يُريني ما وراءَ العَواقبِ
وما عابَني جاري سوى أنّ حاجَتي … أُكَلّفُها مِنْ دونِهِ للأجانِبِ
وإنّ نَوالي في المُلِمّاتِ واصِلٌ … أباعِدَ أهلِ الحَيّ قبلَ الأقارِبِ
ولَيسَ حَسودٌ يَنشُرُ الفَضلَ عائباً، … ولكنّهُ مُغرًى بِعَدّ المَناقبِ

....

١ ثلمت : كسرت .
٢ وان : ضعيف .

وما الجُودُ إلاّ حِلْيَةٌ مُستَجادَةٌ ، إذا ظهَرَتْ أخفَتْ وُجوهَ المَعائبِ
لقد هَذّبَتني يَقظَةُ الرّأيِ والنُّهَى إذا هَذّبتْ غَيري ضروبُ التّجارِبِ
وأكسَبَني قَومي وأعيانُ مَعشَري حِفاظَ المَعالي وابتذالَ الرّغائبِ
سَراةٌ يُقِرُّ الحاسدونَ بفَضلِهِم ، كِرامُ السّجايا والعُلى والمَناصِبِ
إذا جَلَسوا كانوا صُدورَ مَجالسٍ ؛ وإنْ رَكِبوا كانوا صُدورَ مَواكِبِ
أُسُودٌ تَغانَتْ بالقَنا عن عَرينِها ، وبالبِيضِ عن أنيابِها والمَخالِبِ[1]
يَجُودونَ للرّاجي بكلّ نَفيسَةٍ لدَيهِمْ سِوى أعراضِهِم والمَناقِبِ
إذا نَزَلوا بطنَ الوِهادِ لغامِضٍ من القَصدِ ، أذكَوا نارَهم بالمَناكِبِ[2]
وإن ركزُوا غِبَّ الطّعانِ رِماحَهُمْ رأيتَ رؤوسَ الأُسدِ فوقَ الثّعالِبِ[3]
فأصبَحتُ أفني ما ملكتُ لأقتَني به الشّكرَ كَسباً وهوَ أسنى المكاسِبِ
وأرهُنُ قَولي عن فِعالي كأنّهُ عَصا الحارثِ الدُّعميّ أو قوسِ حاجبِ[4]
ومَن يكُ مثلي كاملَ النفسِ يَغتَدي قليلاً مُعاديهِ كثيرَ المُصاحِبِ
فَما للعِدى دَبّتْ أراقِمُ كَيدِهِمْ إليّ ، وما دَبّتْ إلَيهِمْ عَقارِبي
وما بالُهُمْ عَدّوا ذُنُوبي كَثيرَةً ، وما ليَ ذَنبٌ غَيرَ نَصرِ أقارِبي
وإنّي ليُدمي قائمُ السّيفِ راحَتي إذا دَمِيَتْ منهم خُدودُ الكَواعِبِ

---

١ تغانت : استغنت .
٢ أراد بالمناكب : مناكب الجبال ، أي نواحيها .
٣ الثعالب : أطراف الرماح .
٤ الحارث الدعمي وحاجب بن زرارة : من سادات العرب ، ولعصا الحارث وقوس حاجب حكاية مفصلة في الكتب القديمة .

وما كلُّ مَن هزَّ الحُسامَ بضاربٍ ، ولا كلُّ مَن أجرَى اليَراعَ بكاتبِ
وما زِلتُ فيهِم مثلَ قِدحِ ابن مُقبلٍ بتِسعينَ أمسَى فائزاً غَيرَ خائبِ[1]
فإنْ كَلّموا مِنّا الجُسومَ ، فإنّها فُلُولُ سيوفٍ ما نبَتْ في المَضارِبِ[2]
وما عابَني أنْ كلّمتني سيوفُهم إذا ما نَبَتْ عنّي سيوفُ المَثالبِ
ولمّا أبَتْ إلاّ نِزالاً كُماتُهُمْ درأتُ بمُهري في صُدورِ المَقانِبِ[3]
فعلّمتُ شَمَّ الأرضِ شُمَّ أنوفِهِمْ ، وعوّدتُ ثغرَ التُّربِ لثمَ التّرائبِ
بطِرْفٍ، علا في قَبضهِ الرّيحُ،سابحٍ ، لهُ أربَعٌ تَحكي أناملَ حاسِبِ[4]
تَلاعَبَ أثناءَ الحُسامِ مُزاحُهُ ، وفي الكَرِّ يُبدي كَرّةً غيرَ لاعِبِ
ومَسرودَةٍ من نَسجِ داودَ نَثْرَةٍ كلَمعِ غَديرٍ ، ماؤهُ غَيرُ ذائبِ[5]
وأسمَرَ مَهزوزِ المَعاطفِ ذابِلٍ ، وأبيَضَ مَسنونِ الغِرارينِ قاضِبِ[6]
إذا صَدَفَتهُ العَينُ أبدَى تَوَقّداً ، كأنَّ علىٰ مَتنَيهِ نارَ الحُباحِبِ[7]
ثنى حَدَّهُ فَرطُ الضِّرابِ ، فلم يزَل حديدَ فِرِندِ المَتنِ رَثَّ المَضارِبِ[8]
صدَعتُ بهِ هامَ الخُطوبِ فرُعتَها بأفضَلِ مَضرُوبٍ وأفضَلِ ضارِبِ

---

١ القدح : سهم الميسر .
٢ كلموا : جرحوا .
٣ المقانب ، الواحد مقنب : جماعة الخيل .
٤ الطرف : المهر . القبض : السوق السريع .
٥ المسرودة النثرة : الدرع السلسة الملبس .
٦ الغراران : الحدان . القاضب : القاطع .
٧ الحباحب : ذباب ذو ألوان يطير في الليل في ذنبه شعاع كالسراج .
٨ الفرند : جوهر السيف .

وصفراءَ من رَوْقِ الأراوي نحيفَةٍ ، إذا جُذِبَتْ صَرّتْ صريرَ الجَنادِبِ[1]
لها وَلَدٌ بَعدَ الفِطامِ رَضاعُهُ يُسِر عُقوقاً رفضُهُ غَيرُ واجِبِ[2]
إذا قَرّبَ الرّامي إلى فيهِ نَحرَهُ سعَى نَحوَهُ بالقَسرِ سعيَ مُجانِبِ
فيُقبِلُ في بُطْءٍ كخُطوَةِ سارقٍ ، ويُدبِرُ في جَريٍ كركضَةِ هارِبِ
هناكَ فجأتُ الكَبشَ منهمْ بضَرْبَةٍ مَرَقْتُ بها بَينَ الحَشَى والتّرائبِ[3]
لدَى وقعَةٍ لا يُقرَعُ السمعُ بينَها بغيرِ انتدابِ الشُّوسِ أو ندبِ نادِبِ
فقُلْ للذي ظَنّ الكِتابةَ غايَتي ، ولا فَضلَ لي بينَ القَنا والقَواضِبِ
بجَدّ يَراعي أمْ حُسامي علَوتُهُ ، وبالكُتبِ أردَيناهُ أمْ بالكَتائِبِ
وكم لَيلَةٍ خُضتُ الدُّجى ، وسماؤهُ مُعَطَّلَةٌ من حَلْيِ دُرّ الكَواكِبِ
سرَيتُ بها ، والجَوُّ بالسُّحبِ مُقتِمٌ ، فلمّا تبَدّى النّجمُ قلتُ لصاحبي :
أصاحِ ترَى برقاً أريكَ وميضَهُ يُضيءُ سَناهُ أم مَصابيحَ راهِبِ[4]
بحَرْفٍ حكَى الحَرفَ المُفخَّمَ صوتُها سليلَةِ نُجبٍ أُلحِقَتْ بنَجائبِ[5]
تَعافُ ورودَ الماءِ إن سَبَقَ القَطا إلَيهِ ، وما أمّتْ بهِ في المَشارِبِ
قَطَعتُ بها خوفَ الهوانِ سَباسباً ، إذا قلتُ تمّتْ أردَفَتْ بسَباسبِ[6]
يُسامرُني في الفِكرِ كلُّ بَديعَةٍ مُنَزَّهَةِ الألفاظِ عن قَدحِ عائبِ

---

١ الصفراء : أراد بها القوس . الروق : القرن . الاراوي ، الواحدة أروية : ضأن الجبل .
٢ أراد بالولد : السهم .
٣ كبش القوم : سيدهم . الترائب : عظام أعلى الصدر .
٤ هذا البيت مستعار من بيتين لامرىء القيس ، كل شطر منه من بيت .
٥ الحرف : الناقة .
٦ السباسب : القفار ، الواحد سبسب . أردفت : اتبعت .

يُنَزِّلُها الشّادونَ في نَغَماتِهِمْ ، وتَحدو بها طَوراً حُداةُ الرّكائِبِ
فأدركتُ ما أمّلْتُ من طلَبِ العُلا ، ونَزّهتُ نَفسي عن طِلابِ المَواهبِ
ونِلتُ بها سُؤلي منَ العِزّ لا الغِنَى ، وما عُدّ مَن عافَ الهِباتِ بخائِبِ

ملاذي جلال الدين

وقال في صباه في إحدى الوقائع وتحريض أكبر أخواله الصدر جلال الدين بن محاسن على أخذ ثأره من أعدائه :

ألَستَ ترَى ما في العُيونِ من السُّقْمِ ، لقد نَحَلَ المَعنى المدقَّقُ من جسمي
وأضعَفُ ما بي بالخُصورِ من الضّنَا ، على أنّها من ظُلمِها غَصبتْ قِسمي
وما ذاكَ إلاّ أنَّ يومَ وَداعِنا لقَد غَفَلَتْ عينُ الرّقيبِ على رُغمِ
ضَممتُ ضَنا جسمي إلى ضُعفِ خصرِها لجِنسيّةٍ كانَتْ لهُ عِلّةَ الضّمّ
رَبيبَةُ خِدْرٍ يجرَحُ اللّحظُ خدَّها ، فوَجنَتُها تَدمَى وألحاظُها تُدمي
يُكَلّمُ لَفظي خدّها إن ذَكَرْتُهُ ، ويُؤلمُهُ إنْ مَرّ مَرآهُ في وَهمي
إذا ابتَسَمتْ، والفاحمُ الجَعدُ مُسبَلٌ ، تَضِلُّ وتَهدي من ظَلامٍ ومن ظَلْمِ[1]

---

[1] الظلم : بريق الأسنان .

تغزّلتُ فيها بالغزالِ ، فأعرَضَتْ ، وقالتْ: لَعَمري هذهِ غايةُ الذّمّ
وصَدّتْ، وقد شبّهتُ بالبَدرِ وجهها نِفاراً ، وقالتْ صِرتَ تَطمعُ في شتمي
وكم قد بذلتُ النفسَ أخطُبُ وَصلَها ، وخاطَرتُ فيها بالنّفيسِ على عِلمِ
فلَمْ تَلِدِ الدّنيا لَنا غيرَ لَيلَةٍ نَعِمتُ بها ثمّ استمَرّتْ على العُقْمِ
فَيا مَن أقامَتْني خَطيباً لوَصفِها ، أُرَصّعُ فيها اللّفظَ في النّثرِ والنّظمِ
خُذي الدُّرّ من لَفظي فإن شئتِ نظمَه وأعوزَ سِلكٌ للنّظامِ فها جِسمي
فَفيكِ هجَرْتُ الأهلَ والمالَ والغِنى ورتبَةَ دَسْتِ المُلكِ والجاهِ والحُكمِ[1]
وقُلتِ لقد أصبَحتَ في الحيّ مُفرَداً ، صَدقتِ، فهلاّ جازَ عَفوُك في ظُلمي
ألَمْ تَشهَدي أنّي أُمثّلُ للعِدَى فتَسهرَ خَوفاً أن تَرانيَ في الحُلْمِ
فكَمْ طَمِعوا في وَحدَتي فرَميتُهمْ بأضيَقَ من سُمٍّ وأقتَلَ من سُمّ[2]
وكم أجّجُوا نارَ الحروبِ وأقبَلوا بجَيشٍ يصُدُّ السّيلَ عن مَربضِ العُصْمِ[3]
فلَم يَسمَعوا إلاّ صَليلَ مُهنّدي ، وصوتَ زَئيري بينَ قعقَعةِ اللُّجمِ
جعَلتُهُمُ نَهباً لسَيفي ومِقوَلي ، فهُمْ في وبالٍ من كَلامي ومن كَلمي
تَوَدُّ العِدى لو يُحدِقُ اسمُ أبي بِها ، وألاّ تُفاجا في مَجالِ الوَغى باسمي
تُعَدّدُ أفعالي ، وتلكَ مَناقبٌ ، فتَذكُرُني بالمَدحِ في مَعرِضِ الذّمّ
ولو جَحَدوا فِعلي مَخافَةَ شامِتٍ لَنَمّ عليهم في جِباهِهِمُ وَسمي
فكَيفَ ولم يُنسَبْ زَعيمٌ لسِنبِسٍ إلى المَجدِ إلاّ كانَ خاليَ أو عَمّي

---

١ دست الملك : مجلسه .
٢ السم الأولى : ثقب الإبرة ؛ الثانية : السم المعروف القاتل .
٣ العصم ، الواحد أعصم : الظبي في ذراعيه ، أو في إحداهما بياض وسائره أسود أو أحمر .

وإن أشبهتهم في الفخار خلائقي وفعلي فهذا الرّاح من ذلك الكرم
فقل للأعادي ما انثنيت لسبّكم، ولا طاش في ظنّي لغدركم سهمي
نظرنا خطاياكم، فأغريتم بنا، كذا من أعان الظّالمين على الظّلم
أسأتم، فإن أسخط عليكم فبالرّضى، وإن أرض عنكم من حيائي فبالرّغم
لجأت إلى ركن شديد لحربكم، أشدّ به أزري وأعلي به نجمي[1]
وظلت كأنّي أملك الدّهر عزّة، فلا تنزل الأيّام إلاّ على حكمي
بأروع مبنيٍّ على الفتح كفّه، إذا بنيت كفّ اللّئيم على الضّمّ
ملاذي جلال الدّين نجل محاسن، حليف العفاف الطّلق والنّائل الجمّ
فتى خلقت كفّاه للجود والسّطا، كما العين للإبصار والأنف للشّمّ[2]
له قلم فيه المنيّة والمنى، فديمته تهمي وسطوته تصمي[3]
يراع يروع الخطب في حالة الرّضى، ويضرم نار الحرب في حالة السّلم
وعضب كأنّ الموت عاهد حدّه، وصال، فأفنى جرمه كلّ ذي جرم
فيا من رعانا طرفه، وهو راقد، وقد قلّت النّصّار بالعزم والحزم
يد الدّهر ألقتنا إليك، فإن نطق لها ملمساً أدمى براجمها لثمي[4]
أطعتك جهدي، فاحتفظ بي فإنّني لنصرك لا ينفلّ جدّي ولا عزمي
فإن غبت، فاجعل لي وليّاً من الأذى، وهيهات لا يغني الوليّ عن الوسمي

---

١ شد أزره : أعانه ، قواه .
٢ السطا : السطوة ، القهر .
٣ الديمة : السحابة التي يدوم مطرها . تصمي ، من أصماه : رماه فقتله .
٤ البراجم ، الواحدة برجمة : مفاصل الأصابع أو العظام الصغار في اليد والرجل .

سلي الرماح

وقال في صباه يفتخر بقومه وأخذهم
بثأر خاله صفي الدين بن محاسن من آل
أبي الفضل حين قتلوه بمسجده غدراً ،
فأخذوا الثأر قسراً سنة إحدى وسبعمائة :

سَلي الرّماحَ العَوالي عن مَعالينا ، واستشهدي البِيضَ هل خابَ الرّجا فينا
وسائلي العُرْبَ والأتراكَ ما فعلَتْ في أرض قَبرِ عُبَيدِ اللهِ أيدينا
لَمّا سعَينا ، فَما رَقّتْ عَزائمُنا عَمّا نَرومُ ، ولا خابَتْ مَساعينا
يا يومَ وَقعَةِ زوراءِ العراق ، وقَد دِنّا الأعادي كما كانوا يَدينُونا
بِضُمّرٍ ما رَبَطناها مُسَوَّمَةً ، إلاّ لنَغزُو بها مَن باتَ يَغزُونا
وفتيَةٍ إنْ نَقُلْ أصغَوا مَسامعَهمْ لقَولِنا ، أو دَعَوناهمْ أجابُونا
قَومٌ إذا استُخصِموا كانوا فَراعنَةً ، يوماً ، وإن حُكّموا كانوا مَوازينا[1]
تَدَرّعوا العَقلَ جِلباباً ، فإنْ حميتْ نارُ الوَغَى خِلتَهُمْ فيها مَجانينا
إذا ادّعَوا جاءَتِ الدّنيا مُصَدِّقَةً ، وإن دَعَوا قالَتِ الأيّامُ : آمينا
إنّ الزّرازيرَ لَمّا قامَ قائِمُها ، تَوَهّمَتْ أنّها صارَتْ شَواهينا[2]
ظَنّتْ تأنّي البُزاةِ الشُّهبِ عن جزَعٍ ، وما دَرَتْ أنّهُ قد كانَ تَهوينا

---

١ استخصموا : طلب خصامهم . الفراعنة : العتاة المتمردون .
٢ الزرازير ، الواحد زرزور : طائر أكبر من العصفور منه نوع لونه أسود ، وآخر أسود منقط ببياض . الشواهين ، الواحد شاهين : طائر من جنس الصقر طويل الجناحين .

بيادِقٌ ظَفِرَتْ أيدي الرِّخاخِ بها ، ولو تَرَكناهُمُ صادوا فَرازينا[1]
ذَلّوا بأسيافِنا طولَ الزّمانِ ، فمُذْ تحَكّموا أظهَروا أحقادَهم فينا
لم يُغنِهِمْ مالُنا عن نَهبِ أنفُسِنا ، كأنّهمْ في أمانٍ من تَقاضينا
أخلوا المَساجدَ من أشياخنا وبَغوا ، حتى حَمَلنا ، فأخلَينا الدّواوينا
ثمّ انثَنَينا ، وقد ظَلّتْ صَوارِمُنا تَميسُ عُجباً ، ويَهتَزُّ القَنا لِينا
وللدّماءِ على أثوابِنا عَلَقٌ بنَشرِهِ عن عَبيرِ المِسكِ يُغنينا
فَيا لها دعوَةً في الأرضِ سائرَةً قد أصبَحتْ في فمِ الأيّامِ تَلقينا
إنّا لَقَوْمٌ أبَتْ أخلاقُنا شرَفاً أن نَبتَدي بالأذى مَن ليسَ يُؤذينا
بِيضٌ صَنائِعُنا ، سودٌ وقائِعُنا ، خُضرٌ مَرابعُنا ، حُمرٌ مَواضِينا
لا يَظهَرُ العَجزُ منّا دونَ نَيلِ مُنًى ، ولو رأينا المَنايا في أمانينا
ما أعوَزَتنا فَرامِينٌ نَصُولُ بها ، إلاّ جَعَلنا مَواضينا فَرامينا[2]
إذا جَرَينا إلى سَبقِ العُلى طَلَقاً ، إنْ لم نكُنْ سُبّقاً كُنّا مُصَلّينا[3]
تُدافِعُ القَدَرَ المَحتومَ هِمّتُنا ، عنّا ، ونَخصِمُ صَرْفَ الدّهرِ لو شينا
نَغشَى الخُطوبَ بأيدينا ، فنَدفَعُها ، وإنْ دَهَتنا دَفَعناها بأيدينا
مُلْكٌ ، إذا فُوّقت نَبلُ العَدوّ لَنا رَمَتْ عَزائِمَهُ مَن باتَ يَرمينا
عَزائِمٌ كالنّجومِ الشُّهبِ ثاقِبَةٌ ما زالَ يُحرِقُ منهنّ الشّياطينا

---

١ البيادق والرخاخ والفرازين : أسماء لقطع الشطرنج . والفرازين ، الواحد فرزان : الملكة في لعب الشطرنج .
٢ الفرامين ، الواحد فرمان : عهد السلطان للولاة .
٣ المصلي : الذي يتلو المجلي ، السابق .

أعطَى ، فلا جودُهُ قد كان عن غلَطٍ ... منهُ ، ولا أجرُهُ قد كان مَمنونا
كَم من عَدوٍّ لَنا أمسَى بسَطوتِهِ ، ... يُبدي الخُضوعَ لنا ختَلاً وتَسكينا
كالصِّلِّ يُظهِرُ ليناً عندَ مَلمَسهِ ، ... حتى يُصادِفَ في الأعضاءِ تَمكينا
يَطوي لَنا الغَدرَ في نُصحٍ يُشيرُ به ، ... ويَمزُجُ السّمّ في شَهدٍ ويَسقينا
وقد نَغُضُّ ونُغضي عن قَبائحِهِ ، ... ولم يكُنْ عَجزاً عَنه تَغاضينا
لكنْ ترَكناهُ ، إذْ بِتنا على ثقَةٍ ، ... إنّ الأميرَ يُكافيهِ فيَكفينا

لمّا دعتني للنزال

وقال في تلك الواقعة
ويصف خاله المذكور :

لِمَنِ الشّوازِبُ كالنَّعامِ الجُفَّلِ ، ... كُسيَتْ حِلالاً من غُبارِ القَسطَلِ [1]
يَبرُزنَ في حُلَلِ العَجاجِ عَوابِساً ، ... يَحمِلنَ كلّ مُدَرَّعٍ ومُسرْبَلِ [2]
شِبهَ العَرائِسِ تُجتَلَى ، فكأنّها ... في الخِدْرِ من ذَيلِ العَجاجِ المُسبَلِ
فعلَتْ قوائمُهنّ عنـدَ طِرادِها ... فِعلَ الصّوالجِ في كُراتِ الجَندَلِ [3]
فتَظَلُّ تَرْقُمُ في الصّخورِ أهِلّةً ... بشَبا حَوافِرِها ، وإنْ لمْ تُنعَلِ [4]

١ الشوازب : الخيول المضمرة . الحلال ، الواحدة حلة : الثوب . القسطل : غبار الحرب .
٢ الحلل : الثياب . العجاج : الغبار . المسربل : اللابس السربال ، أي كل ما يلبس .
٣ الصوالج ، الواحد صولجان : عصا معقوفة الرأس . الجندل : الحجارة .
٤ الشبا ، الواحدة شباة : حد كل شيء .

يَحمِلنَ من آلِ العَريضِ فَوارِساً كالأُسدِ في أجَمِ الرّماحِ الذُّبَّلِ
تَنشالُ حَولَ مُدرَّعٍ بجَنانِـهِ ، فكأنّهُ من بأسِهِ في مَعقِلِ
ما زالَ صَدرَ الدَّستِ، صدرَ الرّتبةِ الـ عَلياءِ ، صدرَ الجيشِ ، صدرَ المَحفِلِ
لو أنصَفَتهُ بَنو محاسنَ ، إذْ مشَوا ، كانتْ رؤوسُهُمُ مكانَ الأرجُلِ
بَينا تَراهُ خَطيبَهمْ في مَحفِلٍ رَحبٍ ، تراهُ زَعيمَهمْ في جَحفَلِ
شاطَرتُهُ حَربَ العُداةِ لعِلمِهِ أنّي كِنانتُهُ التي لم تُنثَلِ[1]
لمّا دَعَتني للنّزالِ أقاربي ، لَبّاهُمُ عَني لِسانُ المُنصُلِ
وأبَيتُ مِن أنّي أعيشُ بعزّهمْ وأكونُ عَنهم في الحروبِ بمَعزِلِ
وافَيتُ في يَومٍ أغَرَّ مُحجَّلٍ ، أغشَى الهِياجَ على أغَرّ مُحَجّلِ[2]
ثارَ العَجاجُ فكنتُ أوّلَ صائلٍ ، وعَلا الصّرامُ فكنتُ أوّلَ مُصطَلِ
فغَدا يقولُ كَبيرُهمْ وصَغيرُهم : لا خَيرَ فيمنْ قالَ إنْ لم يَفعَلِ
سَل ساكني الزّوراءِ والأمَمَ التي حضَرَتْ ، وظَلّلَها رِواقُ القَسطَلِ
مَن كانَ تَمّمَ نَقصَها بحُسامِهِ ، إذْ كلُّ شاكٍ في السّلاحِ كأعزَلِ
أو مَن تَدَرّعَ بالعَجاجةِ عندَما نادى مُنادي القومِ : يا خيلُ احملِي
تُخبِرْكَ فُرسانُ العَريكَةِ أنّني كنتُ المُصَلّي بَعدَ سبَقِ الأوّلِ
ما كان يَنفَعُ مَن تَقدّمَ سَبقُهُ ، لو لم تُتَمّمْها مَضارِبُ مُنصُلي
لكن تَقاسَمْنا عَواملَ نَحوِها ، فالاسمُ كان لهُ ، وكانَ الفعلُ لي

[1] نثل الكنانة : استخرج نبالها فنثرها .
[2] الأغر المحجل الأولى : اليوم الأبيض المشرق بالسرور . والثانية : الفرس ذو الغرة والتحجيل ، أي ما في قوائمه بياض .

وبَديعةٍ نظرَتْ إليّ بها العِدى   نَظَرَ الفَقيرِ إلى الغنيّ المُقبِلِ[1]
واستَثقَلَتْ نُطقي بها ، فكأنّما   لَقيتْ بثالثِ سُورةِ المُزّمِّلِ[2]
حتّى انثنَتْ لم تَدرِ ماذا تتّقي ،   عندَ الوَقائعِ ، صارمي أمْ مِقوَلي
حَمَلُوا عليّ الحِقدَ حتى أصبحتْ   تَغلي صُدورُهُم كغَلْيِ المِرجَلِ
إن يَطلُبوا قَتلي ، فلَستُ ألومُهم ،   دَمُ شَيخِهِمْ في صارمي لم يَنصُلِ
ما لي أُستّرُها ، وتلكَ فضيلَةٌ ؟   الفَخرُ في قَصدِ العدوّ بمِنجَلِ
قد شاهَدوا من قبلِ ذاكَ ترَفّعي   عن حَربِهِمْ ، وتَماسُكي وتَجَمُّلي
لمّا أثاروا الحَربَ قالتْ هِمّتي :   جَهِلَ الزّمانُ عليكَ إنْ لم تَجهَلِ
فالآنَ حينَ فلَيتُ ناصيَةَ الفَلا ،   حتّى تَعَلّمتِ النّجومُ تَنَقّلي
أضحَى يُحاوِلُني العدوّ ، وهِمّتي   تَعلُو على هامِ السِّماكِ الأعزَلِ
ويَرومُ إدراكي ، وتلكَ عجيبَةٌ ،   هل يُمكِنُ الزّرزورَ صيدُ الأجدلِ
قُلْ للّيالي : وَيكِ ما شئتِ اصنَعي   بَعدي ، وللأيّامِ ما شئتِ افعَلي
حسبُ العدوّ بأنّني أدركتُهُ ،   لمّا وَليتُ ، وفُتُّهُ لمّا وَلي
سأظَلّ كلّ صَبيحَةٍ في مَهمَهٍ ،   وأبيتُ كلّ عَشيّةٍ في مَنزِلِ[3]
وأسيرُ فَرداً في البلادِ ، وإنّني   من حَشدِ جَيشِ عزائمي في جَحفَلِ
أجفو الدّيارَ ، فإنْ ركبتُ وضَمّني   سَرجُ المُطَهّمِ قلتُ : هذا مَنزِلي[4]

---

١ أراد قصيدة بديعة .
٢ سورة المزمل هي إحدى السور المكية ، ومعنى الشطر غامض .
٣ المهمه : القفر .
٤ المطهم : التام الحسن .

لا تَسمَعَنَّ بأنْ أُسِرْتُ مُسَلِّماً ، وإذا سمِعتَ بأنْ قُتِلتُ فعَوِّل
ما الاعتذارُ ، وصارمي في عاتقي ، إن لم يكُنْ من دونِ أسري مَقتَلي
ما كانَ عُذري إن صَبرتُ على الأذى ، ورَضيتُ بَعد تَذَلّلي بتَذَلّلي
فإذا رُميتَ بحادِثٍ في بلدَةٍ جرِّدْ حُسامَكَ صائلاً ، أو فارحَل
فلِذاكَ لا أخشَى وُرودَ مَنيّتي ، وأرى وُرودَ الحَتفِ عَذْبَ المَنهَل
فإذا علا جَدّي فقَلبي جُنّتي ، وإذا دَنا أجَلي فَدِرعي مَقتَلي[1]
ما تِهتُ بالدّنيا ، إذا هيَ أقبلَتْ نحوي ، ولا آسَى ، إذا لم تُقبِل
وكذاكَ ما وَصَلتْ فقُلتُ لها اقطَعي يوماً ، ولا قطعتْ فقلتُ لها صِلي
صَبراً على كَيدِ العُداةِ لعَلّنا نَسقي أخيرَهمُ بكأسِ الأوّل
يا عُصبةً فَرِحوا بمصرَعِ لَيثِنا ، ماذا أمِنتُمْ من وُثوبِ الأشبُل
قومٌ يُعِزّونَ النّزيلَ ، وطالَما بَخِلَ الحَيا ، وأكُفُّهمْ لم تَبخَل
يَفنَى الزّمانُ ، وفيه رونَقُ ذِكرِهم ؛ يبلى القَميصُ ، وفيهِ عَرفُ المَندَل[2]

---

١ جنّتي : ترسي ، ستري .
٢ العرف : الرائحة الطيبة . المندل : العود الطيب الرائحة .

ويحك لا تراعي

وقال أيضاً يفتخر بإقدامه في تلك
الواقعة مسمطاً[1] لأبيات الحماسة المنسوبة
إلى قطري بن الفجاءة المازني :

ولمّا مَدّتِ الأعـداءُ باعا ، وراعَ النّفسَ كرُّهُمُ سِراعا
برَزتُ ، وقد حسَرْتُ لها القِناعا ، أقولُ لها ، وقد طارَتْ شَعاعا[2]
مِنَ الأبطالِ وَيحَكِ لا تُراعي

كما ابتَعتُ العَلاءَ بغَيرِ سَومِ ، وأحلَلتُ النّكالَ بكلّ قَومِ
رِدي كأسَ الفَناءِ بغَيرِ لَومِ ، فإنّكِ لو سألتِ بَقاءَ يَومِ
على الأجلِ الذي لكِ لم تُطاعي

فكَم أرغَمتُ أنفَ الضّدّ قَسرا ، وأفنَيتُ العِدَى قَتلاً وأسرَا
وأنتِ مُحيطَةٌ بالدّهرِ خُبرا ، فصَبراً في مَجالِ المَوتِ صَبرا
فَما نَيلُ الخلودِ بمُستَطاعِ

إذا ما عِشتِ في ذُلٍّ وعَجزِ ، فهَلْ للنّفسِ غَيري من مُعِزِّ
وليسَ الخوفُ من أجلٍ بحِرزِ ، ولا ثَوبُ البَقاءِ بثَوبِ عِـزِّ
فيُطوَى عن أخي الخَنَعِ اليراعِ[3]

---

١ قوله مسمطاً : هكذا في الأصل ، والصواب أن يقال : مخمساً ، والتخميس : إضافة ثلاثة أشطر إلى شطري البيت . أما التسميط فهو أن يضم الشاعر إلى شطر من قصيدة شطراً من عنده صدراً لعجز وعجزاً لصدر ، ويقال له أيضاً التشطير .

٢ طارت شعاعاً : تبددت من الخوف .

٣ الخنع : الذل . اليراع : الجبان .

ولا أعتاضُ عَن رُشدٍ بغَيٍّ ، وثوْبُ العزّ في نَشرٍ وطَيٍّ
لقَد حُتِمَ الثّناءُ لكلّ شيٍّ ، سَبيلُ المَوتِ غايَةُ كلّ حيٍّ
وداعيهِ لأهلِ الأرضِ داعي

فجاهِدْ في العُلى يا قلبِ تُكرَمْ ، ولا تَطلُبْ صَفاءَ العَيشِ تُحرَمْ
فمَنْ يَظفَرْ بطيبِ الذّكرِ يَغنَمْ ، ومَن لا يَغتَبِطْ يَبرَمْ ويَسأمْ[1]
وتُسلِمْهُ المَنُونُ إلى انقِطاعِ

أأرْغَبُ بَعدَ قَوْمي في نَجاةِ ، وأجزَعُ في الوَقائعِ مِن مَماتِ
وأرضَى بالحَياةِ بلا حُماةِ ، وما للعُمرِ خَيرٌ في حَياةِ
إذا ما كانَ مِن سَقَطِ المَتاعِ

أنيسي صارمي

وقال أيضاً في إحدى الوقائع
وذكر فيها خاله فأرسلها من السفر :

سلُوا ، بعدَ تسآلِ الوَرى عنكمُ ، عنّي ، فقد شاهدوا ما لم يرَوا منكمُ منّي
رأوْني أُراعي منكُمُ العَهدَ لي بكُم ، وأحسنَ ظَنّاً منكمُ بي بكُمْ ظَنّي
وقد كنتُ جمّ الخوفِ من جَورِ بُعدكم فقد نِلتُ لمّا نالَني جَورُكم أمني

---

١ يبرم : يضجر ، يمل .

خطَبتُ بغالي النّفسِ والمالِ وُدّكم، فقد عزّ حتى باتَ في القلبِ والذّهنِ
ولمّا رأيتُ العزّ قد عزّ عندَكم ، ولا صبرَ لي بينَ المَنيّةِ والمَنّ
ثنيتُ عِناني مَع ثَنائي علَيكُمُ ، فأصبَحتُ والثّاني العنانِ هوَ المُثني
وليسَ أنيسي في الدُّجَى غيرُ صارِمٍ رَقيقِ شِفارِ الحَدّ مُعتَدِلِ المَتْنِ
كأنّ دَبيبَ النّملِ في جونِ مَتنِهِ ، ولم يرَ قومٌ نَجلَ مازنَ في المُزْنِ[1]
وطِرْفٍ كأنّ المَوجَ لاعَبَ صَدرَهُ فيُسرعُ طَوراً في المِراحِ ويَستأني
أميلُ بِهِ بالسّهلِ مُرتفِقاً بهِ ، فيُحزِنُهُ إلاّ التّوَقّلَ في الحَزْنِ[2]
وما زالَ عِلمي يَقتفيني إلى العُلَى ، فيَسبُقُ حتى جاهَدَ الأكلَ بالأُذْنِ
وزُرتُ ملوكاً كنتُ أسمَعُ وصفَهم، فيُنهِضُني شَوقي ويُقعِدُني أمني
فلَمّا تَلاقَينا ، وقد بَرِحَ الخَفا ، رأتْ مُقلَتي أضعافَ ما سمعتْ أُذني
خطبتُ بوُدّي عندَهمْ لاهِباتِهِمْ ، فأصبَحتُ بالعزّ المُمَنَّعِ في حِصنِ
إذا ما رأوني هكَذا قيل : هاك ذا ! ولو شاهَدوني راغباً رَغبوا عَنّي
إذا ما أقمتُ الوَزْنَ في نَظمِ وَصفهم، تَجودُ يَداهمْ بالنُّضارِ بِلا وَزنِ
تُعَيّرُني الأعداءُ بالبَينِ عَنهُمُ ، وما كان حكمُ الدّهرِ بالبينِ عن إذني
وتَزعُمُ أنّ الشّعرَ أحنى فَضائلي ، وتُنكِرُ أفعالي ، وقد علِمَتْ أنّي[3]
وقد شاهدتْ نثري ونَظمِيَ في الوَغى ، لهامِ العِدى والنّحرِ بالضّرْبِ والطّعن

---

١ الجون هنا : الأبيض . متن السيف : صفحته . المازن : بيض النمل . المزن ، الواحدة مزنة : السحابة .
٢ التوقل : الصعود . الحزن : ما غلظ من الأرض ، وقلما يكون إلا مرتفعاً .
٣ قوله : أحنى فضائلي ، هكذا في الأصل .

وإن كان لَفظي يَخرُقُ الحُجبَ وَقعهُ ويَدخُلُ أُذنَ السّامعينَ بلا إذْن
ورُبّ جَسيمٍ منهُمُ ، فإذا أتَى بنُطقٍ حمدتُ الصّمتَ من منطقِ اللُّكن[1]
ومُستَقبَحٍ حتى خَبَرْتُ خِلالَهُ ، فأيقَنَ قَلبي أنّهُ يوسُفُ الحُسن
فإن حَسدوا فَضلي وعابوا مَحاسِني ، وذلكَ للتّقصيرِ عَنها وللضِّغْن
وتلكَ لعَمري كالنّجومِ زَواهرٌ ، تُقِرُّ بها الحُسّادُ رَغماً على غَبن
مَحاسِنُ لي من إرثِ آلِ مَحاسنٍ ، وهَلْ تَمَرٌ إلاّ على قَدَرِ الغُصن
أظَلُّ وأُمسي راقدَ الجارِ ساهراً ، سَواميَ في خَوفٍ وجاريَ في أمْن[2]
كأنّ كرَى عَينَيّ سيفُ ابنِ حَمزَةٍ ، إذا استُلّ يَوماً لا يَعُودُ إلى الجَفن[3]
فتًى لم تَزَلْ أقلامُه وبَنَـانُهُ ، إذا نابَ جَدبٌ ، نائباتٍ عن المُزن
ولوْ خَطّ صَرْفُ الدّهرِ طِرْساً لقصدِه لَخَطّ على العُنوانِ من عَبدِهِ القِنّ
فتًى جَلّ يَوماً أن يُعَدّ بظالِمٍ لغَيرِ العِدى والمالِ والخَيلِ والبُدن
ولا عُدّ يَوماً في الأنامِ بغاصِبٍ سوى بأسِ عمرٍو والسّماحة من مَعن
ولا قيلَ يَوماً إنّهُ غَيرُ عالِمٍ بغَيرِ عيوبِ الجارِ واللّومِ والجُبن
أعادَ الأعادي في الحُروبِ تَجارِباً ، جبالاً غدتْ من عاصِفِ الموتِ كالعِهن[4]
فإنْ فَلّتِ الأيّامُ في الحَربِ حَدّهُ ، فَما زالَتِ الأيّامُ في أهلِها تَجني
وإنْ أكسَبَتني بالخُطوبِ تَجارِباً ، فقد وهبتْ أضعافَ ما أخذتْ منّي

---

١ اللكن ، الواحد ألكن : العيي ، الثقيل اللسان .
٢ السوامي : الماشية والإبل الراعية. وقوله في خوف: أي أنها تخاف من أن تذبح لقرى الضيفان.
٣ ابن حمزة : خال الشاعر .
٤ أعاده : عوده . العهن : الصوف .

تقول ولا تفعل

وقال وقد كتب إلى صديق له وعده
في تلك الواقعة وأخلف :

وَعَدتَ جَميلاً ، وأخلَفتَهُ ، وذلكَ بالحُرّ لا يَجمُلُ
وقُلتَ بأنّكَ لي ناصِرٌ ، إذا قابلَ الجَحفَلَ الجَحفَلَ
وكم قد نَصرْتُكَ في مَعرَكٍ ، تحَطَّمُ فيهِ القَنا الذُّبَّل
ولستُ أمُنُّ بفِعلي عليكَ ، فأعجِبُ بالقَولِ أو أعجِلِ
بِذا يتَفاوَتُ قَدرُ الرّجا لِ ، فتَعاَمُ أيُّهُمُ الأكمَلَ
كَما قالَهُ الصّقرُ في عِـزّةٍ بهِ حِينَ فاخرَهُ البُلبُلُ
وقال : أراكَ جَليسَ المُلوكِ ، ومنْ فَوقِ أيديهِم تُحمَلُ
وأنتَ كَما عَلِموا أخرَسٌ ، وعن بَعضِ ما قلتَهُ تَنكُلُ[1]
وأُحبَسُ مَعَ أنّني ناطِقٌ ، وقَدري عندَهمْ مُهمَلُ
فقالَ : صَدَقتَ ، ولكنّهم بذاكَ دَرَوْا أنّني الأفضَلُ
لأنّي فَعَلتُ وما قُلتُ قَطُّ ، وأنتَ تَقولُ ، ولا تَفعَلُ

---

١ تنكل : تنكص ، تجبن .

إن أمنوا كفي فما أمنوا فمي

وقال أيضاً وكتب إلى أقاربه من ماردين وعرض يمدح سلطانها الملك المنصور طاب ثراه :

قليلٌ إلى غيرِ اكتِسابِ العُلى نَهضي ، ومُستَبعَدٌ في غيرِ ذَيل التّقى رَكضِي
فكيفَ ، ولي عزمٌ ، إذا ما امتَطيتُه تَيقّنتُ أنّ الأرضَ أجمعَ في قَبضي
و ما ليَ لا أغشَى الجبالَ بمِثلِها من العزمِ ، والأنضاءَ في وَعرِها أُنضي[1]
على أنّ لي عَزماً ، إذا رُمتُ مَطلَباً رأيتُ السّما أدنَى إليّ مِنَ الأرض
أبَتْ هِمّتي لي أنْ أذُلّ لناكِثٍ عرى العهد أو أرضَى من الوِرد بالبَرض[2]
وأصبحُ في قَيدِ الهَوانِ مُكَبَّلاً ، لدَى عُصبَةٍ تُدمي الأناملَ بالعَضّ
ولكنّني أرضى المَنونَ ، ولم أكُنْ أغُضُّ على وَقعِ المَذَلّةِ أو أُغضي
أقِي النّفسَ بالأموالِ حيثُ إذا وَقَتْ كنوزُ اللُّهَى نَفسي وقَيتُ بها عِرضي[3]
ولا أختَشي إن مَسّني وقعُ حادِثٍ ، فتلكَ يَدٌ جَسّ الزّمانُ بها نَبضي
فَواعَجبا يَسعَى إلى مِنَنِ العِدى ليُدرِكَ كُلّي من يُقصّرُ عن بعضي
ويَقصِدُني مَن لو تَمَثّلَ شخصُهُ بعينِ قذًى ما عاقَ جَفني عن الغُمض
نصَبتُ لهمْ صدرَ الجَوادِ مُحارِباً ، لأرفَعَ ذِكري عندَما طلبوا خفضي

---

١ الأنضاء ، الواحد نضو : المهزول من الحيوان . أنضى البعير : هزله .
٢ البرض : الماء القليل .
٣ اللهى : العطايا .

إذا ما تقلّدتُ الحُسامَ لغارَةٍ ، ولم تُرضِهِ يومَ الوَغى فلِمَن تُرضي
سألبَسُ جِلبابَ الظّلامِ مُنَسكّباً مَرابضَ أرضٍ طالَ في غابِها رَبضي
فإنْ أحيَ أدرَكتُ المُرامَ ، وإنْ أمُتْ فلِلّهِ ميراثُ السّمواتِ والأرض
صَبرنا علَيهم واقتَضَبنا بثارِنا ، ونَصبرُ أيضاً للجَميعِ ونَستَقضي
غَزاهم لساني بعدَ غَزوِ يدي لهُمْ ، فلا عَجَبٌ أن يَستَمرّوا على بُغضي
فإنْ أمنوا كَفّي فَما أمِنوا فَمي ، وإنْ ثلموا حدي فما ثلموا عِرضي
وإنْ قصّروا عن طولِ طَولهمُ يدي ، فَما أمنوا في عَرض عِرضِهمِ رَكضي
تَقولُ رِجالي حينَ أصبَحتُ ناجياً سَليماً وصَحبي في إسارٍ وفي قَبض
حمِدتُ إلهي بعدَ عُروَةَ إذْ نَجا خَراشٌ ، وبعضُ الشرّ أهوَنُ من بَعض
وأصبَحتُ في مُلكٍ مُفاضٍ ونِعمةٍ مَنيعاً وطَرْفُ الدّهرِ عنّيَ في غَضّ
لدى مِلكٍ فاقَ المُلوكَ بفَضلِهِ ، وطالَهمُ طَولَ السّماءِ على الأرض
هوَ الملكُ المَنصورُ غازي بنُ أُرتُقٍ أخو النّائلِ الفَيّاضِ والكرَمِ المحض
مليكٌ يرَى كَسبَ النُّضارِ نَوافِلاً بعَينٍ ترَى بَذْلَ الهِباتِ من الفَرض
حَباني بما لم يُوفِ جُهدي بشُكرِهِ ، وأنجَدَني والدّهرُ يجهَدُ في رَفضي
فبُعداً لأمنٍ صَدّني عن جَنابِهِ ، ويا حبّذا خوفٌ إلى قصده يُفضي

صبراً على وعد الزمان

وقال أيضاً وقد كتب بها إلى أحد
بني عمه من ماردين في السنة المذكورة :

صَبراً على وَعدِ الزّمانِ وإنْ لَوَى، فعَساهُ يُصبحُ تائباً ممّا جَنَى[1]
لا يُجزِعَنّكَ أنّهُ رَفَعَ العِدَى، فلَسَوفَ يهدِمهُ قليلٌ ما بَنَى
حكَموا، فجاروا في القَضاء وما دروا أنّ المَراتبَ تَستَحيلُ إلى فَنا
ظَنّوا الوِلايةَ أنْ تَدومَ عليهِمُ ؛ هَيهاتَ لو دامَتْ لَهُمْ دامتْ لنا
قتَلوا رِجالي بعدَ أن فتكوا بهِمْ في وَقعَةِ الزّوراءِ فتكاً بيّنا
كلُّ الذينَ غَشُوا الوَقيعَةَ قُتّلوا ما فازَ منهُمْ سالماً إلاّ أنا
لَيسَ الفِرارُ عليّ عاراً بعدَما شَهِدوا ببأسي يومَ مُشتَبَكِ القَنا
إن كنتُ أوّلَ من نأى عن أرضِهمْ قد كنتُ يومَ الحربِ أوّلَ مَن دَنَا
أبعَدْتُ عن أرضِ العراقِ رَكائبي عِلماً بأنّ الحَزمَ نِعمَ المُقتَنَى
لا أختَشي من ذِلّةٍ أو قِلّةٍ، عِزّي لِساني والقَناعةُ لي غِنَى
جُبتُ البِلادَ ولستُ مُتّخِذاً بها سَكَناً، ولم أرضَ الثّريّا مَسكِنا
حتى أنَخْتُ بماردِينَ مطيّتي، فهُناكَ قالَ ليَ الزّمانُ : لكَ الهَنا
في ظِلّ مَلْكٍ مُذْ حَلَلْتُ برَبْعِهِ أمسَى لِسانُ الدّهرِ عَنّي ألكَنا
نظرَ الخطوبَ، وقد قَسَون، فلانَ لي، ورأى الزّمانَ، وقد أساءَ، فأحسَنا

---

١ لوى بوعده : مطل به .

البلاد بلادي

وقال أيضاً حين توجه إلى الشام
عفا الله عنه :

شَفَّها السَّيرُ واقتحامُ البَوادي ، ونُزولي في كلّ يومٍ بوادِ[1]
ومَقيلي ظِلُّ المَطيّةِ ، والتُّرْ بُ فِراشي ، وساعداها وِسادي
وضَجيعي ماضي المَضاربِ عَضْبٌ أصلحتَهُ القُيُونُ من عَهدِ عاد[2]
أبيَضٌ أخضَرُ الحَديدةِ ممّا شَقّ قِدْماً مَرائرَ الآساد
وقَميصي دِرْعٌ كأنّ عُراها حُبُكُ النّملِ أو عيونُ الجَراد[3]
ونَديمي لَفظي ، وفكري أنيسي ، وسُروري مائي ، وصَبْرِيَ زادي
ودَليلي من التّوَسّمِ في البيـ ـدِ لِبادي الأعلامِ والأطواد[4]
وإذا ما هدَى الظّلامُ ، فكَمْ لي من نُجومِ السّماءِ في السُّبل هادي
ذاكَ أنّي لا تَقبَلُ الضّيمَ نَفسي ، ولوَ انّي افترَشتُ شَوكَ القَتاد
هذه عادَتي ، وقد كُنتُ طِفلاً ، وشَديدٌ عليّ غَيرُ اعتِيادي
فإذا سرتُ أحسبُ الأرضَ ملكي ، وجَميعَ الأقطارِ طوعَ قِيادي
وإذا ما أقَمتُ ، فالنّاسُ أهلي ، أينَما كنتُ ، والبِلادُ بلادي

---

١ شفها : أهزلها .
٢ القيون : الحدادون ، الواحد قين . عاد : من قبائل العرب البائدة .
٣ حبك النمل : طرائقه .
٤ التوسم ، من توسم الشيء : تفرسه ، تعرفه . الاعلام والأطواد : الجبال ، الواحد علم ، وطود .

لا يَفوتُ القَبولُ مَن رُزِقَ العَقْـ ـلَ وحُسنَ الإصدارِ والإيراد
وإذا صَيّرَ القَناعةَ دِرْعاً كانَ أدعَى إلى بُلوغِ المُراد
لَستُ ممّنْ يَدِلُّ مَع عَدَمِ الجَـ ـدّ بفِعْلِ الآباءِ والأجداد
ما بنَيتُ العَلياءَ إلاّ بجَدّي ، وركوبي أخطارَها واجتهادي
وبلَفظي ، إذا نَطَقتُ ، وفَضلي ، وجِدالي عَن مَنصِبي وجِلادي
غَيرَ أنّي ، وإنْ أتَيتُ منَ النّظْـ ـمِ بلَفْظٍ يُذيبُ قَلبَ الجَماد
لَستُ كالبحتريّ أفخَرُ بالشّعْـ ـرِ وأثني عِطفَيَّ في الأبراد[1]
وإذا ما بَنَيتُ بَيتاً تبَختَرْ تُ كأنّي بَنَيتُ ذاتَ العِماد[2]
إنّما مَفخَري بنفسي ، وقَومي ، وقَناتي ، وصارمي ، وجَوادي
مَعشَرٌ أصبحتْ فضائلُهم في الأرْ ضِ تُتلَى بألسُنِ الحُسّاد
ألبَسوا الآملينَ أثوابَ عِزٍّ ، وأذَلّوا أعناقَ أهلِ العِناد
كم عَنيدٍ أبدى لنا زُخرُفَ القَوْ لِ وأخفَى في القَلبِ قَدحَ الزّناد[3]
ورَمانا من غَدرِه بِسِهامٍ ، نَشِبَتْ في القُلوبِ والأكباد
فسرَينا إليهِ في أجَمِ السُّمْـ ـرِ بغابٍ يَسيرُ بالآسادِ
وأتَينا مِنَ الخُيولِ بسَيْلٍ سالَ فوقَ الهِضابِ قبلَ الوِهاد
وبَرَزْنا منَ الكُماةِ بأطْوا دِ حُلومٍ تَسري على أطواد

١ يشير في هذا البيت إلى ما كان يأتيه البحتري من الاهتزاز حينما كان يلقي شعره . الأبراد : الأثواب اليمانية ، الواحد برد .
٢ إرم ذات العماد : مدينة أسطورية .
٣ قدح الزناد : كناية عن نار الحقد ، والبغض .

كُلّما حاوَلوا الهَوادَةَ منّا شاهدوا الخَيلَ مُشرفاتِ الهَوادي[1]
وأخَذْنا حقُوقَنا بسُيوفٍ غَنِيَتْ بالدّما عنِ الأغماد
فكأنّ السّيوفَ عاصِفُ رِيحٍ وهُمُ في هُبُوبِها قومُ عاد[2]
حاوَلَتْ رؤوسُهمْ صُعوداً فَنالَتْهُ ولكنْ من رُؤوسِ الصِّعاد[3]
فلَئِنْ فَلّتِ الحَوادِثُ حَدّي بعدَما أخلَصَ الزّمانُ انتِقادي
فلقَد نِلتُ من مُنى النّفسِ ما رُمْتُ وأدرَكتُ منهُ فوقَ مُرادي
وتحَقّقْتُ انّما العَيشُ أطوارٌ وكلٌّ مَصيرُهُ لِنَفادِ

إذا المرء

وقال عفا الله عنه عند نزوله
بدمشق مخمساً لقصيدة السموأل بالحماسة :

قَبيحٌ بمنْ ضاقتْ عنِ الأرضِ أرضُهُ وطولُ الفَلا رَحبٌ لدَيهِ وعَرْضُهُ
ولم يُبلِ سربالَ الدُّجَى فيه رَكضُهُ ، إذا المَرءُ لم يَدنَسْ من اللّؤمِ عِرْضُهُ
فكُلُّ رِداءٍ يَرتَديهِ جَميلُ

---

١ الهوادة : الرفق . الهوادي : الأعناق .
٢ يشير إلى الريح العقيم التي أهلكت قوم عاد .
٣ الصعاد ، الواحدة صعدة : القناة المستوية .

إذا المَرءُ لم يَحجُبْ عن العينِ نَومَها ويُغلي مِنَ النّفسِ النّفيسَةِ سَومَها
أُضيعَ ، ولم تأمَنْ مَعاليهِ لَومَها ، وإن هوَ لم يَحمِلْ على النّفسِ ضَيمَها
فليسَ إلى حُسنِ الثّناءِ سَبيلُ

وعُصبَةِ غَدرٍ أرغَمَتها جدودُنا ، فَباتَتْ ، ومنها ضِدُّنا وحَسُودُنا
إذا عَجِزَتْ عن فِعلِ كَيدٍ يكيدُنا تُعَيّرُنا أنّا قَليلٌ عَديدُنا
فقلتُ لها : إنّ الكِرامَ قَليلُ

رَفَعنا على هامِ السِّماكِ مَحلَّنا ، فَلا مَلِكٌ إلاّ تَفَيّأ ظِلّنا
فقَد خافَ جيشُ الأكثَرينَ أقَلَّنا ، وما قَلّ مَن كانتْ بَقاياهُ مِثلَنا
شَبابٌ تَسامَى للعُلى وكُهُولُ

يُوازي الجبالَ الرّاسياتِ وقارُنا ، وتُبنَى على هامِ المَجَرّةِ دارُنا
ويأمَنُ مِنْ صَرْفِ الزّمانِ جِوارُنا ، وما ضَرّنا أنّا قَليلٌ وَجارُنا
عزيزٌ ، وَجارُ الأكثَرين ذَليلُ

ولمّا حَلَلْنا الشّامَ تَمّتْ أُمورُهُ لَنا ، وحَبانا مَلْكُهُ وأميرُهُ[1]
وبالنَّيرَبِ الأعلى الذي عَزّ طُورُهُ ، لَنا جَبلٌ يَحتَلُّهُ مَن نُجيرُهُ[2]
مَنيعٌ يَرُدُّ الطّرْفَ ، وهوَ كليلُ

يُريكَ الثّرَيّا من خِلالِ شِعابِهِ ، وتُحدِقُ شُهبُ الأُفقِ حولَ هِضابِهِ[3]

---

١ حبانا : أعطانا بلا جزاء .
٢ النيرب : موضع في الشام . الطور : الجبل .
٣ الشعاب : الطرق في الجبال .

ويَعثُرُ خَطوُ السُّحبِ دونَ ارتكابهِ ، رَسَا أصلُهُ تحتَ الثّرَى وسَما بهِ
إلى النّجمِ فَرعٌ ، لا يُنالُ ، طويلُ

وقَصرٍ على الشّقراءِ قد فاضَ نَهرُهُ ، وفاقَ على فَخرِ الكَواكِبِ فَخرُهُ
وقد شاعَ ما بينَ البريّةِ شُكرُهُ ، هوَ الأبلَقُ الفَردُ الذي شاعَ ذِكرُهُ[1]
يَعِزُّ على مَنْ رامَـهُ ويَطولُ

إذا ما غضِبنا في رِضَى المَجدِ غضبَةً لنُدرِكَ ثأراً أو لنَبلُغَ رُتبَـةً
نَزيدُ، غَداةَ الكرّ في المَوتِ،رَغبةً ، وإنّا لَقَوْمٌ لا نرَى القتلَ سُبّةً
إذا ما رأتهُ عـامرٌ وسَلولُ

أبادَتْ مُلاقاةُ الحُرُوبِ رِجالَنا ، وعاشَ الأعادي حينَ ملّوا قِتالَنا
لأنّا ، إذا رامَ العُداةُ نِزالَنـا يُقَرّبُ حُبُّ الموتِ آجالَنا لَنَا
وتَـكرَهُهُ آجالُهُمْ ، فتَطولُ

فمنّا مُعيدُ اللّيثِ في قَبضِ كَفّهِ ، ومُورِدُهُ في أسرِهِ كأسَ حَتفِهِ
ومنّا مُبيدُ الألفِ في يَومِ زَحفِهِ ، وما ماتَ منّا سيّدٌ حَتفَ أنفِهِ[2]
ولا ضَلّ يَوماً حيثُ كانَ قَتيلُ

إذا خافَ ضَيماً جارُنا وجَليسُنا ، فمِنْ دونِهِ أموالُنا ورؤوسُنا
وإنْ أجّجَتْ نارَ الوَقائعِ شُوسُنا ، تَسيلُ على حَدّ الظُّبَاتِ نُفوسُنا
ولَيسَتْ على غَيرِ الظُّباتِ تَسيلُ

١ الأبلق الفرد : حصن السموأل .
٢ مات حتف أنفه : أي مات في فراشه ، لا في ساحة القتال . والحتف : الموت .

جَنَى نَفعَنا الأعداءُ طوراً وضَرَّنا ، فَما كانَ أحلانا لهمْ وأمَرَّنا
ومُذْ خَطَبُوا قِدماً صَفانا وبِرَّنا ، صَفَوْنا ، ولم نَكدُر ، وأخلصَ سرَّنا[1]
أُناسٌ أطابَتْ حملَنا وفحولُ

لقد وَفتِ العَلياءُ في المجدِ قِسطَنا ، وما خالفَتْ في مَنشإ الأصلِ شَرطَنا
فمُذْ حاوَلَتْ في ساحةِ العزّ هَبطَنا ، علَوْنا إلى خَيرِ الظّهورِ وحَطّنا
لوَقتٍ إلى خَيرِ البُطونِ نُزُولُ

تُقِرُّ لَنا الأعداءُ عندَ انتِسابِنا ، وتخشَى خطوبُ الدّهرِ فصلَ خطابِنا
لقد بالَغَتْ أيدي العُلى في انتِخابِنا ، فنَحنُ كمَاءِ المُزْنِ ما في نِصابِنا
كَهامٌ ، ولا فينا يُعَدُّ بخيلُ[2]

نُغيثُ بني الدّنيا ونَحمِلُ هَولَهمْ ، كما يَومُنا في العزّ يَعدِلُ حَولَهم[3]
نَطولُ أُناساً تَحسُدُ السُّحبُ طَولَهمْ ونُنكِرُ إن شِئنا على النّاسِ قولَهم
ولا يُنكِرونَ القولَ حينَ نَقولُ

لأشياخِنا سعيٌ بهِ المُلكَ أيّدوا ، ومِنْ سَعيِنا بَيتُ العَلاءِ مُشَيَّدُ
فَلا زالَ منّا في الدّستِ مُؤيَّدُ ، إذا سَيّدٌ منّا خَلا قامَ سَيّدُ
قَؤولٌ لِما قالَ الكِرامُ فَعولُ

---

١ السر : الأصل ، وخالص كل شيء .
٢ نصابنا : أصلنا . الكهام : الكليل ، البطيء .
٣ يعدل : يوازن . حولهم : سنتهم .

سَبَقنا إلى شَأوِ العُلى كُلَّ سابِقٍ ، وعَمَّ عَطانا كلَّ راجٍ ووامِقِ[1]
فكَمْ قد خبَتْ في المَحلِ نارُ مُنافِقٍ وما أُخمِدَتْ نارٌ لَنا دونَ طارِقِ[2]
ولا ذَمَّنا في النّازِلينَ نَزيلُ

عَلَوْنا مكانَ النّجمِ دونَ عُلُوّنا ، وسامَ العُداةَ الخَسفَ فَرطُ سُمُوّنا[3]
فَماذا يَسُرُّ الضّدَّ في يومِ سَوّنا ، وأيّامُنا مَشهورَةٌ في عَدُوّنا[4]
لها غُرَرٌ مَعلومَةٌ وحُجولُ[5]

لَنا يومَ حَربِ الخارِجيّ وتَغلِبِ وَقائعُ فَلّتْ للظُّبَى كلَّ مَضرِبِ
فأحسابُنا من بَعدِ فِهرٍ ويَعرُبِ ، وأسيافُنا في كلّ شَرْقٍ ومَغرِبِ
بها من قِراعِ الدّارِعينَ فُلُولُ

أبَدْنا الأعادي حينَ ساءَ فعالُها ، فَعادَ عَلَيها كيدُها ونَكالُها
وبِيضٌ جَلا ليلَ العَجاجِ صِقالُها مُعَوَّدَةٌ ألاّ تُسَلَّ نِصالُها
فتُغمَدَ حتى يُستَباحَ قَبيلُ

هم هَوّنوا في قَدرِ مَن لم يُهِنْهُمُ ، وخانوا ، غَداةَ السِّلم ، من لم يخُنهُمُ
فإنْ شِئتِ خُبرَ الحالِ منّا ومنهُمُ سَلي إن جَهِلتِ النّاسَ عنّا وعنهُمُ
فلَيسَ سَواءً عالِمٌ وجَهولُ

---

١ الوامق : المحب .
٢ خبت : انطفأت .
٣ سامه الخسف : حط من شأنه ، أذله .
٤ سونا : مسهل سوئنا .
٥ الغرر ، الواحدة غرة : البياض في جبين الفرس . الحجول ، الواحد حجل : البياض في رسغ الفرس . والمراد أنها أيام مشهورة بالفتك فيها بالأعداء .

لئِنْ ثَلَمَ الأعداءُ عِرضي بسَومِهم فكم حَلَموا بي في الكَرَى عند نومهم
وإن أصبَحوا قُطباً لأبناءِ قَومِهم ، فإنّ بني الرّيّانِ قُطبٌ لقومهم
تَدورُ رَحاهمْ حَولَهم وتَجولُ

تلاحظني الملوك بعين عز

قال عند عوده من مصر مشمولا بالأنعام وكتب بها إلى أخيه جواباً عن نهيه إياه في التغرب :

تَوَسّدَ في الفَلا أيدي المَطايا ، وَقَدّ من الصّعيدِ لَهُ حَشايَا[1]
وعانَقَ في الدُّجى أعطافَ عَضبٍ يَدِبُّ بِحَدّهِ ماءُ المَنايا
وصَيّرَ جأشَهُ في البيدِ جَيشاً ، ومِنْ حَزْمِ الأمورِ له رَبَايا[2]
فمُذْ بسَمَتْ ثَنايا الأمنِ نادَى : أنا ابنُ جَلا وطَلاّعُ الثّنايا[3]
أبيٌّ لا يُقيمُ بأرْضِ ذُلٍّ ، ولا يَدنو إلى طُرُقِ الدّنايا
إذا ضاقَتْ بهِ أرضٌ جَفاها ، ولو مَلأ النُّضارُ بها الرّكايا[4]

١ الصعيد : الطريق ، التراب ، ما ارتفع من الأرض .
٢ الربايا : طلائع الجيش ، الواحدة ربيئة .
٣ ابن جلا : ابن النهار كناية عن الشهرة . الثنايا ، الواحدة ثنية : طريق العقبة .
٤ الركايا : الآبار ، الواحدة ركية .

غَدا لأوامرِ السّلطانِ طَوعاً ، ولكنْ لا يُعَدُّ مِنَ الرّعايا
تركتُ الحُكمَ يُسعِفُ طالبيهِ ، ويُورِدُ أهلَهُ خُطَطَ الخَطايا
وعِفتُ حِسابَهم والأصلُ عندي وفي كَفّيّ دُستورُ البَقايا
وسِرْتُ مُرَفَّهاً في حُكمِ نَفسٍ تَعُدُّ خمولَها إحدى البَلايا
ولَيسَ بمُعجِزٍ خَوضُ الفَيافي ، إذا اعتادَ الفتى خوضَ المَنايا
فلي مِن سَرجِ مُهري تَختُ مُلكٍ مَنيعٍ لم تَنَلْهُ يَدُ الرّزايا
وإيوانٌ حكَى إيوانَ كِسرَى ، تُدارُ عليهِ مِنْ نَبعٍ حَنايا[1]
يُقيمُ معَ الرّجالِ ، إذا أقَمنا ، وإنْ سِرْنا تَسيرُ بهِ المَطايا
يَسيرُ بيَ البِساطُ بهِ كأنّي وَرِثتُ مِن ابنِ داودٍ مَزايا[2]
يُخالُ لسَيرِهِ في البِيدِ خِلواً ، وكَمْ فيهِ خَبايا في الزّوايا
تُباريهِ معَ الوِلدانِ قُـودٌ مُضَمَّرَةُ الأياطِلِ والحَوايا[3]
وتَخفقُ دونَ مَحمِلِهِ بُنُودٌ كَأنّي بَعضُ أملاكِ البَرايا
فأيُّ نَعيمِ مُلْكٍ زالَ عَنّي ، وأبكارُ المَماليكِ لي حَظايا
إذا وافَيتُ يَوماً رَبعَ مُلكٍ ليَ المِرباعُ فيهِ والصّفايا[4]
تُلاحِظُني المُلوكُ بعَينِ عِزٍّ ، وتُكرِمُني وتُحسِنُ بي الوَصايا

---

١ النبع : شجر ، الحنايا ، الواحدة حنية : القوس ، ومن البناء ما كان منحنياً كالقوس .
٢ البساط : أراد به بساط الريح . ابن داود : سليمان الحكيم . المزايا : الصفات .
٣ القود ، الواحد أقود : الذليل المنقاد من الخيل . الأياطل : الخواصر . الحوايا ، الواحدة حوية : ما تقبض واستدار من الأمعاء .
٤ المرباع : ربع الغنيمة الذي كان يأخذه الزعيم في الجاهلية . الصفايا ، الواحدة صفية : ما اختاره الرئيس لنفسه .

أجاوِرُهمْ كأنّي بيْنَ أهلي ، وكلٌّ مِنْ سَراتِهِمُ سَرايا
وما لي ما أمُتُّ بهِ إليهِمْ ، سوى الآدابِ مع صِدقِ الطّوايا
وَوُدٍّ شَبّهته لهم بنُصحٍ ، إذا شُوركتُ في فَصلِ القَضايا
وإنّي لَستُ أبدأهم بمَدْحٍ ، أرومُ بهِ المَواهبَ والعَطايا
ولكنّي أُصيّرُهُ جَزاءً لما أولوهُ من كَرَمِ السّجايا
فكَمْ أهدَيتُ مِن مَعنًى دَقيقٍ بهِ وَصَلَ الدّقيقُ إلى الهَدايا
فقُلْ لمُسَفِّهٍ في البُعدِ رأيي ، وكنتُ بهِ أصَحّ النّاسِ رايا
عَذَرْتُكَ لم تَذُقْ للعزّ طَعماً ، ولا أبدَى الزّمانُ لكَ الخَفايا
ولا أولاكَ ضوءُ الحُسنِ نُوراً ، كما عَكَسَتْ أشعّتَها المَرايا
فَما حُرٌّ يَسيغُ الضّيمَ حُرّاً ، ولو أصمَتْ عَزائمَهُ الرّمايا
لذلكَ مُذْ عَلا في النّاسِ ذِكري رَمَيْتُ بِلادَ قَومي بالنّسايا
ولَستُ مُسَفِّهاً قَومي بقَولي ، ولكنّ الرّجالَ لهَا مَزايا

لا يظنن معشري

لا يَظُنّنّ مَعشَري أنّ بُعدي عنهُمُ اليَومَ مُوجِبٌ للتّراخي
بل أبَيتُ المُقامَ بَعدَ شُيوخي ، ما مُقامُ الفِرزانِ بعدَ الرِّخاخِ
أينَما سِرْتُ كانَ لي فيهِ رَبْعٌ ، وأخٌ مِن بَني الزّمانِ أُؤاخي

وإذا أجّجُوا الكِفاحَ رَأوني تابِعاً في مَجالِها أشياخي
رُبّ فِعلٍ يَسمُو على شامخِ الشّمّ ، وقَوْلٍ يَسمُو على الشّمّاخ[1]
حاوَلَتني مِنَ العُداةِ ليوثٌ لا أراها بَعوضَةً في صِماخي[2]
قد رأوا كيفَ كان للحَبّ لَقطي ، وفراري من قبل فقس الفِخاخ
إنْ أبادوا بالغَدرِ منّا بُزاةً وَيلَهم من كَمالِ ريشِ الفِراخ
سوفَ تَذكو عَداوَةٌ زَرَعُوها ، إنّها ألقِيَتْ بغَيرِ السِّباخ[3]

ملك طويل الدوام

وقال يفتخر مسمطاً الأبيات الثلاثة المنسوبة إلى الأمير وجيه الدين منقذ، وقيل إنها للأمير أبي الفضل الميكالي ، ذكره الثعالبي :

مُذْ تَسامتْ بنا النّفوسُ السّوامي ، أصغَرَتْ قَدرَ مالِنا والسّوامِ
فلَنا الأصلُ والفروعُ النّوامي ، إنّ أسيافَنا القِصارَ الدّوامي
صَيّرَتْ مُلكَنا طَويلَ الدّوام

---

١ الشماخ : شاعر مشهور .
٢ الصماخ : خرق الأذن .
٣ السباخ : أرض ذات نز وملح .

كَمْ فِنـاءٍ بعَدْلِنا مَعمورِ ، ومَليكٍ بجُودِنا مَغمُورِ
وأميرٍ بأمرِنا مأمُـورِ ، نَحنُ قَومٌ لَنا سَدادُ أُمُورِ
واصطِدامُ الأعداءِ مِن وَسْطِ لامِ[1]

كَمْ فَلَلنا شَبا خُطوبٍ جِسامِ بيَراعٍ ، أو ذابِلٍ ، أو حُسامِ
فلَنا المَجدُ لَيسَ فيهِ مُسامِ ، واقتسامُ الأموالِ من وقتِ سامِ
واقتحامُ الأهوالِ مِن وقتِ حامِ

سوابقنا

وقال وفيه من البديع تشبيه ثمانية
بثمانية وأجاد بذلك :

سَوابقُنا ، والنَّقعُ ، والسُّمرُ والظُّبى ، وأحسابُنا ، والحِلمُ ، والبأسُ ، والبِرُّ[2]
هبوبُ الصَّبا واللّيلُ والبرقُ والقَضا ، وشمسُ الضّحى والطّودُ والنارُ والبحرُ

---

١ اللام ، الواحدة لأمة : الدرع .
٢ النقع : الغبار . الحلم : الأناة والصبر . البر : العطية .

برقع الحيا

وقال وفيه من البديع استخدامات
وهو أشرف صنائعه :

لَئِنْ لم أُبَرْقِعْ بالحَيا وجهَ عِفّتي ، فلا أشبَهَتهُ راحَتي في التَّكَرّمِ [1]
ولا كنتُ ممّن يكسرُ الجَفنَ في الوَغى إذا أنا لم أُغضُضْهُ عن رأي مَحرَمِ [2]

لا يسمع العود

وقال وفيهما من الصناعة
مثل الأولين :

لا يَسمَعُ العُودَ منّا غيرُ خاضِبِهِ من لَبّةِ الشُّوسِ يومَ الرَّوعِ بالعَلَقِ [3]
ولا يَزُفُّ كُمَيتاً غيرُ مُصدرِهِ يومَ الطّرادِ بلَيلِ الطَّفِّ بالعَرَقِ [4]

---

١ أراد بالحيا الحشمة ، وبالضمير العائد إليه في أشبهته المطر .
٢ أراد بالجفن : غمد السيف ، وبالضمير العائد إليه في أغضضه جفن العين .
٣ اللبة : موضع القلادة من الصدر . الشوس ، الواحد أشوس : الشديد الجريء في القتال . الروع : الخوف . العلق : الدم ، والضمير في خاضبه يعود إلى عود الرمح .
٤ يزف : يهدي. الكميت : الخمرة. والضمير في مصدره يعود إلى الكميت بمعنى الفرس الذي في لونه سواد وحمرة .

ما عابني نظم القريض

لَقَدْ نَزّهتُ قَدري عن الشّعرِ أمّةً، ولامَ عليه مَعشري وبَنو أبي
وما عَلِموا أنّي حَمَيتُ ذِمارَهُ عن العارِ لم أذهَبْ به كلّ مَذهَبِ[1]
وما عابَني نَظمُ القَريضِ، ومَذهبي رفيعٌ، وقَلبي في الوَغى غيرُ قُلَّبِ
أقولُ، وفي كَفّي يَراعٌ، وتارَةً أقولُ، وسَيفي في مَفارِقِ أغلَبِ

وما كنت أرضى

وما كنتُ أرضى بالقَريضِ فضيلَةً، وإنْ كانَ ممّا تَرتَضيه الأفاضِلُ
ولَستُ أذيعُ الشّعرَ فَخراً، وإنّما مُحاذَرَةً أنْ تَدّعيهِ الأراذِلُ

قد أسير على الضلال

ولقد أسيرُ على الضّلالِ، ولم أقُلْ: أينَ الطّريقُ، وإن كَرِهتُ ضَلالي
وأعافُ تَسآلَ الدّليلِ تَرَفّعاً عَن أنْ يَفوهَ فَمي بلَفظِ سُؤالِ

---

١ الذمار: كل ما يلزمك حمايته.

أنفت من السؤال

وقال أيضاً وقد كلفه إنسان
أن يسترفد أحد الأعيان :

قَطَعتُ مِنَ الهِباتِ رَجاءَ نَفسي ، وقَلّ إلى العَنا دَلَجي وسَيري[1]
فَقُلْ لمُكَلّفي تَسآلَ قَومٍ ليُدرِكَ منهُمُ نَفعاً بضَيرِي
أتَبذُلُ دونَ وَجهِكَ ماءَ وَجهي ، وتَمحو باسمِ شَرّكَ ذكرَ خَيرِي
أنِفتُ مِنَ السّؤالِ لنَفعِ نَفسي ، فكَيفَ أُطيقُ أفعَلُهُ لغَيري

العذر الواضح

لا غَرْوَ إن قَصّ جَناحي الرّدى ، فعُذْرُهُ في فِعلِهِ واضِحُ
يَضرِبُ عن ذي النّقصِ صَفحاً ولا يُقَصّ إلاّ الدّرهَمُ الرّاجِحُ

---

١ الدلج : سير الليل كله .

بلغي الأحباب

وقال وكتب بها إلى عشيرته بالحلة :

بَلّغي الأحبابَ يا ريحَ الصَّبَا عنّي السّلامَا
وإذا خاطبَكِ الـ جاهِلُ بي قُولي : سَلاما
أنا مَنْ لَمْ يَذْمُمِ الـ نّاسُ لَهُ يوماً ذِماما
يَحفَظُ العَهْدَ ولا يَسْـ مَعُ في الخِلّ المَلاما
مِنْ أناسٍ صَيّروا العِرْ ضَ على الذّمّ حَراما
أيتَموا الأطفالَ في الحرْ بِ ، وهُم كَهفُ اليَتاما
وإذا مَرّوا بلَغْوٍ في الوَرَى مَرّوا كِراما
فلَكَمْ ذُقتُ عَذاباً للهَوَى كانَ غَراما
إنّ نارَ الشّوقِ ساءَتْ مُستَقَرّاً ومَقاما

يلذ لنفسي

يَلَذُّ لنَفسي بَذلُ ما قد مَلَكتُهُ ، وبَسطُ يَدي فيما تَجَمّعَ في قَبضي
ولم أبْقِ بَعضَ المالِ إلاّ لأنّني أُسَرُّ بما فيهِ الوَقائذُ عن عِرضي[1]

[1] الوقائذ ، الواحدة وقيذة : المحزون القلب . والوقائذ أيضاً الحجارة المفروشة ، ولا نعلم ماذا أراد الشاعر بهذه اللفظة .

لا أبتذل المديح

قال وقد سمع قائلا يقول لا رأي لحاقن :

ولا رأيَ لي إلاّ إذا كنتُ حاقِناً لماءِ المُحَيّا عن سُؤال بني الدّهرِ
ولم تَثْنِ أبكارُ المَدائحِ عِطفَها لتُجلَى عليهم في غَلائلَ في شِعري
ولم أبتَذِلْ عِرسَ المَديحِ لخاطِبٍ ، ولو أرغَبوني بالجَزيلِ من المَهرِ

للبدور سرار

أصغرَتْ مالَنا النّفوسُ الكِبارُ ، فاقتضَتْ طولَنا السّيوفُ القِصارُ[1]
وبَنَتْ مجدَنا رِماحٌ طِوالٌ ، قَصُرَتْ عندَ هَزّها الأعمارُ
كم جلَونا بمَعرَكٍ كَربَ حَربٍ، وكؤوسُ المُدامِ فيها تُدارُ
أعرَبتْ عن صِفاتِنا عُجْمُ أقلا مٍ فِصاحٍ جِراحُهُنّ جُبارُ[2]
فلَئِنْ كانَ غابَ عن أُفُقِ المَجدِ سِناناً ، فللبُدورِ سِرارُ[3]

---

١ اقتضت : استوجبت .
٢ جبار : أي ذاهبة هدراً .
٣ السرار : آخر ليلة من الشهر ، وأراد هنا الخفاء .

اطاعن فرسان الكلام

ليَهنِكَ أنّي في القِراعِ وفي القِرى، وفي البحثِ حظّي الصّدرُ والصّدرُ والصّدرُ
ويومَ النّدى والرَّوعِ إنْ أبحِ اللّقا تَعجّبَ منّي البحرُ والبحرُ والبحرُ
إذا عَنَّ بحثٌ أو تَطاوَلَ حادِثٌ يُقَصّرُ عَنهُ الحَبرُ والبَطَلُ الذِّمرُ[1]
أطاعِنُ فُرسانَ الكَلامِ ، وتارَةً أطاعنُ خَيلاً من فَوارِسِها الدّهرُ[2]

أيا رب

أيا رَبِّ قَد عوّدتني منكَ نِعمَةً ، أجودُ بها للوافدينَ بلا مَنِّ
فأُقسِمُ ما دامَتْ عَطاياكَ جَمّةً ونُعماك،لا خيّبتُ ذا الظّنِّ بالمَنِّ
إذا بَخِلَتْ كَفّي بنِعمةِ مُنعِمٍ، فقد ساءَ في تكرارِ أنعُمِهِ ظَنّي

---

١ الحبر : الرجل العالم . الذمر : الشجاع .
٢ عجز البيت للمتنبي ، ضمنه الشاعر أبياته .

ندّي وضدّي

حسَدَ الفاضِلُ المُماذِقُ فَضلي ، فهوَ للحالَتَينِ يُخفي ويُبدي
ورَمَى بَينَنا العَداوَةَ ، إنّي نِلتُ ما نالَ فهو نِدّي وضِدّي

لسيري في الفلا

وقال في سفره وقد سئم الإقامة والراحة واللهو واشتاق أقاربه والحركة للقائهم، ولزم في كل بيت منها التجنيس في شطريه وهو من أصعب اللزوم :

لَسَيري في الفَلا واللّيلُ داجٍ ، وكَرّي في الوغى والنّقعُ داجِنْ[1]
وحَملي مُرْهَفَ الحَدّينِ ضامٍ لحامِلِهِ وجودَ النّصرِ ضامِنْ[2]
وهَزّي ذابِلاً للخَيلِ مارٍ ، يُلينُ ببَزّهِ صَدراً ومارِنْ[3]
وخَطوي تحتَ رايةِ لَيثِ غابٍ ، بسَطوَتِهِ لصَرْفِ الدّهرِ غابِنْ[4]

---

١ الداجي : المظلم . الداجن : المسود .
٢ قوله : ضام ، لعله من الضيم .
٣ مار ، من مرى الفرس : استخرج ما عنده من الجري بسوط أو غيره .
بزه : بغلبته . المارن : الأنف .
٤ غابن : غالب .

ورَكضي أدهَمَ الجِلباب ِ صاف ٍ ، خَفيفَ الجري ِ يومَ السِّلم ِ صافن[1]
شديدُ البأس ِ ذُو أمر ٍ مُطاع ٍ ، مُضارِبُ كلّ قَرم ٍ ، أو مُطاعِن
أحَبُّ إليّ من تَغريد ِ شاد ٍ ، وكأس ِ مُدامة ٍ من كَفّ شادِن[2]
وحَثّي بالكُؤوس ِ إلى بَواط ٍ ، ظَواهرُهُنّ غابٌ والبَواطِن[3]
ولَثم ِ مُضَعَّف ِ الأجفان ِ ساج ٍ ، بمُطلَق ِ حُسنه ِ للقَلب ِ ساجِن
وفِكري في حَياة ٍ ، أو وَفاة ٍ ، لأُرْضي كلّ فاتِنَة ٍ وفاتِن
فأمسي ، والشّوامتُ بي هَواز ٍ ، كما شَمِتَتْ ببَكر ٍ في هَوازِن[4]
ولَيسَ المَجدُ إلاّ في مَواط ٍ ، على هام ِ السّماك ِ لَها مَواطِن[5]
بعَزم ٍ في الشّدائد ِ غَير ِ واه ٍ ، وبأس ٍ في الوقائع ِ غَير ِ واهِن
وصُحبَة ِ ماجِد ٍ كالنّجم ِ هاد ٍ ، يُسِرُّ البَطشَ حِلماً ، وهوَ هادِن
وكلُّ غَضَنفَر ٍ للبأس ِ كام ٍ ، شَبيه ِ السّيف ِ فيه ِ الموتُ كامِن[6]
كَريم ٍ لا يُطيعُ مَقالَ لاح ٍ ، غَدا في فِعلِه ِ والقول ِ لاحِن[7]
تَقيّ ٍ من ثياب ِ العـار ِ عار ٍ بهمّتِه ِ لأنف ِ الدّهر ِ عارِن
وعشرَة ِ كاتِب ٍ للعِلم ِ قار ٍ ، لحُسن ِ الخُلق ِ بالآداب ِ قارِن

---

١ صافن ، من صفن الفرس : قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة .
٢ الشادن : ولد الغزال .
٣ البواطي ، الواحدة باطية : إناء من الزجاج يملأ من الشراب .
٤ هواز ، مسهل هوازىء : سواخر . بكر وهوازن : قبيلتان .
٥ مواط ، مسهل مواطىء : مكان الوطء .
٦ الكامي ، الكمي : المتستر بالدرع .
٧ اللاحن : المخطىء .

أخي كَرَمٍ لداءِ الخِلِّ آسٍ ، وماءُ الوُدِّ منهُ غَيرُ آسِنِ[1]
وإنْ أنقَذتَ نَفسَكَ في مَعادٍ ، وصَيَّرْتَ العَفافَ بها مَعادِن
فَما لكَ في السَّعادَةِ مِن مُوازٍ ؛ ولا لكَ في السِّيادة من مُوازِن

اعلل النفس بالآمال

وقال وكتب بها إلى صديق تأخرعن إنجاده في واقعة له وقد كان أنجده في عدة وقائع وتأخر عنه عند سفره لمجرد أن أضداده خدعوه ووعدوه بولاية ، وهي من أحسن أنواع التضمين التي اخترعها وأصعبها وذلك أنه عمد إلى عشرين بيتاً من قصيدة الطغرائي على الترتيب فخرج صدورها باعجاز عشرين من قصيدة المتنبي التي عاتب بها سيف الدولة وناسب بينهما مناسبة عجيبة توافق غرضه ولم يغترم فيها من نظمه سوى صدري المطلع والختام :

قلْ للمَليِّ الذي قد نامَ عن سهري ومَن بجسمي وحالي عندهُ سَقَمُ[2]
تَنامُ عنّي ، وعينُ النّجمِ ساهرَةٌ ، واحرَّ قَلباهُ مِمّنْ قَلبُهُ شَبِمُ
فالحبُّ حيثُ العِدى والأُسدُ رابضَةٌ ، فليتَ أنّا بقَدرِ الحُبِّ نَقتَسِمُ
فهَلْ تُعينُ على غَيٍّ هَمَمتُ به في طَيّهِ أسَفٌ في طَيّه نِعَم

---

١ آسن : متغير .
٢ الملي ، مسهل مليء : الغني المقتدر ، ولعلها تحريف للمليح .

حبُّ السّلامةِ يَثني عَزمَ صاحبِه
إذا استوَتْ عندَهُ الأنوارُ والظُّلَم

فإن جنَحتَ إليهِ ، فاتّخِذْ نَفَقاً،
لَيَحدُثَنَّ لمَنْ وَدّعتُهُمْ نَدَم

رِضَى الذّليلِ بخَفضِ العيشِ يخفضُه
وقد نظرْتُ إليهِ ، والسّيوفُ دَم[1]

إنّ العُلى حدّثتني ، وهيَ صادقةٌ :
إنّ المَعارِفَ في أهلِ النُّهَى ذِمَم

أهَبْتُ بالحَظّ لو نادَيتُ مُستَمِعاً،
وأسمعَتْ كَلماتي مَن به صَمَم

لعَلّهُ إنْ بَدا فَضلي ونَقصُهُمُ
أدركْتُها بجَوادٍ ظَهرُهُ حَرَم

أُعَلّلُ النّفسَ بالآمالِ أطلُبُها،
لو أنّ أمرَكُمُ من أمرِنا أَمَم[2]

غالَى بنَفسيَ عِرفاني بقيمتِها ،
حتى ضرَبتُ، وموجُ الموتِ يَلتَطِم

ماكنتُ أُوثرُ أن يَمتَدّ بي زَمَنٌ
شُهبُ البُزاةِ سَواءٌ فيهِ والرَّخَم

أعدَى عدوّكَ أدْنَى من وَثِقتَ به،
فَلا تَظُنَّنّ أنّ اللّيثَ يَبتَسِم

وحُسنُ ظَنّكَ بالأيّامِ مُعجِزَةٌ،
أن تَحسبَ الشّحمَ فيمن شحمهورَم

إن كانَ يَنجَعُ شيءٌ في ثَباتِهِمُ،
فَما لجُرحٍ ، إذا أرضاكمُ ، ألم

يا وارِداً سُؤرَعَيشٍ صَفوُهُ كدَرٌ،
وشرُّ ما يَكسبُ الإنسانُ ما يَصِم[3]

فيما اعترَاضُكَ لُجّ البَحرِ ترَكَبُه
واللهُ يكرَهُ ما تأتونَ والكرَم

ويا خبيراً على الأسرارِ مُطّلِعاً ،
فيك الخِصامُ وأنتَ الخَصمُ والحكم

قد رَشّحوكَ لأمرٍ لو فَطِنتَ لهُ ،
تصافحتْ فيه بيضُ الهِندِ واللِّمَم

فافطَنْ لتَضمينِ لَفظٍ فيك أحسبُه،
قد ضُمّنَ الدُّرَّ إلاّ أنّه كَلِم

---

[1] خفض العيش : سعته .
[2] أمم : قريب .
[3] السؤر : البقية .

لا تترك الثأر

قال في صباه يحرض خاله الصدر جلال الدين على أخذ ثأر خاله صفي الدين المقدم ذكرهما ويهنيه بالولاية :

ما دامَ وَعدُ الأماني غيرَ مُنتَجزِ فطُولُ مَكثِكَ مَنسُوبٌ إلى العَجَزِ
هذي المَغانِمُ فامدُدْ كفَّ مُنتهِبٍ ، وفُرصةُ الدّهرِ ،فاسبُقْ سَبَقَ مُنتهِز
واغزُ العِدى قبلَ تَغزونا جيوشُهُمُ ؛ إنّ الشّجاعَ ،إذا مَلَّ الغُزاةَ ، غُزي
والقَ العَدوّ بجأشٍ غَيرِ مُحترِسٍ مِنَ المَنايا ، وجيشٍ غيرِ مُحترِز
لا تَترُكِ الثّأرَ مِنْ قَومٍ مُرادُهُمُ إخفاءُ ذِكرٍ لَنا في النّاسِ مُنتَبِز[1]
ما عُذرُنا وبَنو الأعمامِ لَيسَ بها نَقصٌ، ولا في صِفاحِ الهند من عوَز
بَل كُلُّ مُنصَلِتٍ منّا ومُنصَلِحٍ في كَفّ مُرتَجِلٍ منّا ومُرْتَجِزِ[2]
وكلُّ ذي صَمَمٍ في كَفّ ذي هِمَمٍ ، وكلُّ ذي مَيَسٍ في كَفّ ذي مَيَزِ[3]
فاقمَعْ بنا الضّدّ ما دامَتْ أوامِرُنا مُطاعَةً ، ومَعالينا على نَشَزِ
إنّ الوِلايَةَ ثَوبٌ قد خُصِصتَ به ، جاءَتْ كَفافاً ، فلَم تَفضَلْ ولم تَعزِ
وافتَكَ إذْ رأتِ العَلياءَ قد نُسِبَتْ إلَيكَ والشّرَفَ الأعلى إليكَ عُزِي

---

١ أراد بالمنتبز : المعروف ، المشهور .
٢ منصلت : أي سيف مجرد . وقوله : منصلح ، هكذا في الأصل ، ولعله أراد به الصالح للقتال . المرتجل ، من ارتجل الشعر : قاله دون أن يهيئه . المرتجز : الذي ينظم الرجز .
٣ أراد بذي الصمم وذي الميس : الرمح . الميز ، الواحدة ميزة : أي المتميز ، المفضل على سواه .

لُذْنا بظِلّكَ عِلماً أنّ فيكَ لَنا نَيلَ الأماني ، ومَن يَلقَ المُنى يَفُزِ
ما ركّبَ اللهُ في أحداقِنا بَصَراً ، إلاّ لنَفرُقَ بَينَ الدُرِّ والخَرَزِ

يا من له راية العلياء

وقال أيضاً يحرضه على ذلك :

يا مَنْ لهُ رايةُ العَلياءِ قد رُفعَتْ! إنّ العُداةَ بنا لمّا نأيتَ سَعَتْ
وقد أداروا لَنا بالسّوءِ دائرَةً من النّكالِ ،وإن لم تَرْفُها اتّسعتْ[1]
أراقِمٌ لِينُها عَن غَيرِ مَقدِرَةٍ ، لذاكَ إن أمكَنتها فُرصةٌ لسَعتْ
إنّ الصّدورَ التي بالغِلّ مُشحَنَةٌ لو قُطّعتْ بلهيبِ النّارِ ما رَجعتْ[2]
وكيفَ تَهواكَ أطفالٌ على ظَمإٍ رُمتَ الفِطامَ لها من بعد ما رَضَعتْ
تَبَسّمتْ لكَ ، والأخلاقُ عابسةٌ ، إنّ القلوبَ على البَغضاءِ قد طُبعتْ
تَفرّقتْ فِرَقاً من خَوفِ بأسِكُمُ ، حتى إذا أمنَتْ من كَيدكَ اجتمعتْ
وحاذَرَتْ سَطَواتٍ منك عاجلَةً عندَ القُدومِ ، فمذ أمهلتَها طمعَتْ
وطالَعتْ بأُمورٍ ليسَ تَعرِفُها ولا أحاطَتْ بها خُبراً ولا اطّلَعتْ
فكَيفَ لو عاينَتْ أمراً تُحاذِرُهُ ، إن كان فعلٌ لها عن بعض ما سمعتْ

---

١ ترفها : تصلحها .
٢ الغل : الحقد .

الاصول لا تخطيء

وقال يحرضه ويذكر تقاعد
بعض أنسابه عنه :

قَلّوا لَدَيكَ ، فأخطأوا، لمَّا دَعَوْتَ فأبطأوا
وتَبرّعوا حتى تَصُولَ ، فحينَ صُلتَ تَبرّأوا
خافوا النّكالَ ،فوطّدوا ، وللفِرارِ تَهَيّأوا
دَعْهمْ ، فما كلُّ الأشدّةِ للشّدائدِ تُخبَأُ
فلَسوفَ تَسمَعُ ما يحلُّ بمَنْ لمَجدِكَ يَشْنَأُ
فالقَ العُداةَ بطَلعَةٍ عَنها النّواظرُ تَخسَأُ
فلَدَيكَ منّا فِتيَةٌ ، عن ثارِها لا تَفتَأُ
لجَأوا إلَيكَ بجَمعِهِمْ ، ولمِثلِ ظِلّكَ يُلْجَأُ
وتَوقّعوا مِنكَ الرّضَى ولِمَا سِواهُ توَقّأوا
وتَنَبّهوا ، فكأنّهُمْ بالزّجرِ فيكَ تَنَبّأوا
يا دوحَةَ ! كلُّ الوَرى بظِلالِها يَتَفَيّأُ
ما أنتَ إلاّ جُملَةٌ منها الكِرامُ تَجزّأوا
إن صُلتَ غادَرْنا العُداةَ بكُلِّ فَجٍّ تُفجَأُ
وتَجرّعوا غُصَصَ المَنون بما عليهِ تَجرّأوا
فادرأ بنا نَحرَ العدوّ ، فبِالأقارِبِ يُدرأُ

إنّ الأُصولَ ، وإنْ تَبا عَدَ عَهدُها لا تَخطَأُ
واغنَمْ جَميلَ الذّكرِ فهوَ مِنَ الغَنائِمِ أهنَأُ
فالمَرءُ يُرزَقُ ما يَشاءُ مِنَ الزّمانِ ، ويُرزَأُ

في كل شعرة رجل

وقال يحرض حاكماً وعده المساعدة
في واقعته :

مَولايَ ! إنّي علَيكَ مُتّكِلُ ، وأنتَ عَمّا أرُومُ مُشتَغِلُ
وكَيفَ يُخطىءُ رأيي ولي مَلِكٌ يُضرَبُ في حُسنِ رأيِهِ المَثَلُ
فقُمْ بنَصري ، فقَد تَقاعدَ بي دَهري ، وضاقتْ بعدَكَ الحيَلُ
ولا تكِلْ حاجَتي إلى رَجُلٍ ، ومنكَ في كلّ شعرَةٍ رَجُلُ

أبد سنا وجهك

وقال يحرض السلطان الملك المنصور نجم الدين غازي بن ارتق صاحب ماردين على حضوره حصار قلعة اربل حين أرسل الجيوش ولم يحضرها سنة اثنتين وسبعمائة :

أَبدِ سَنا وَجهِكَ مِن حِجابِه ، فالسّيفُ لا يَقطَعُ في قِرابِه
واللّيثُ لا يُرْهَبُ مِنْ زَئيرِه ، إذا اغتَدَى مُحتَجِباً بغابِه
والنّجمُ لا يَهدي السّبيلَ سارِياً ، إلاّ إذا أسفَرَ من حِجابِه
والشّهدُ لولا أنْ يُذاقَ طَعمُه ، لَمَا غَدا مُمَيَّزاً عن صابِه[1]
إذا بَدا نُورُكَ لا يَصُدُّه تَزاحُمُ المَوكبِ في ارتِكابِه
ولا يَضُرُّ البَدرَ ، وهوَ مُشرِقٌ ، أنّ رَقيقَ الغَيمِ من نِقابِه
قُمْ غَيرَ مأمورٍ ، ولكِنْ مثلَما هُزّ الحُسامُ ساعَةَ اجتِذابِه
فالعُميُ لا تَعلَمُ إرزامَ الحَيا ، حَتى يكونَ الرّعدُ في سَحابِه[2]
كم مُدرِكٍ في يَومِه بعَزمِه ، ما لم يكُنْ بالأمسِ في حِسابِه
مَن كانتِ السُّمرُ اللّدانُ رُسلَهُ كانَ بُلوغُ النّصرِ من جَوابِه[3]
لا تُبقِ أحزابَ العُداةِ ، واعتَمِدْ ما اعتَمَدَ النبيُّ في أحزابِه

---

١ الصاب : المر .
٢ الارزام : اشتداد صوت الرعد .
٣ السمر : الرماح . اللدان : اللينة .

ولا تقُلْ إنّ الصّغيرَ عاجزٌ ، هلْ يَجرحُ اللّيثَ سِوى ذُبابِه ؟
فارمِ ذُرى قَلعتهمْ بقَلعةٍ تَقلَعُ أُسّ الطّودِ من تُرابِه
فإنّها إذا رأتكَ مُقبِلاً ، مادَتْ وخرّ السّورُ لاضطرابِه
إنْ لمْ تُحاكِ الدّهرَ في دَوامِه ، فإنّها تَحكيهِ في انقلابِه
واجلُ لهمْ عَزماً ، إذا جلَوتَه في اللّيلِ ، أغنى اللّيلَ عن شِهابِه
عَزمُ مَليكٍ يَخضَعُ الدّهرُ لهُ ، وتَسجُدُ المُلوكُ في أعتابِه
تُحاذِرُ الأحداثُ من حَديثِهِ ، وتَجزَعُ الخُطوبُ مِن خِطابِه
قد صرَفَ الحِجابَ عن حَضرَتِه ، وصَيّرَ الهَيبَةَ من حِجابِه
إذا رأى الأمرَ بعَينِ فكرِه رأى خَطاءَ الرّأيِ من صَوابِه
وإنْ أجالَ رأيَهُ في مُشكِلٍ ، أعانَهُ الحَقُّ على طِلابِه
تَنقادُ مَع آرائِهِ أيّامُهُ ، مثلَ انقيادِ اللّفظِ مَع إعرابِه
لا يَزجُرُ البارحَ في اعتراضِه ، ولا غُرابَ البَينِ في تَنعابِه
ولا يَرى حُكمَ النّجومِ مانِعاً يُرَدّدُ الحَزمَ على أعقابِه
يُقرأُ مِن عُنوانِ سِرّ رأيِه ، ما سَطّرَ القَضاءُ في كتابِه
قد أشرَقَتْ بنُورِهِ أيّامُه ، كأنّما تَبسِمُ عن أحسابِه
يكادُ أن تُلهيهِ عن طالبِه مطالبُ الحَمدِ ، وعن شَرابِه
ما سارَ للنّاسِ ثَناءٌ سائرٌ إلاّ وحَطّ رَحلَهُ ببابِه
إذا استَجارَ مالُهُ بكَفّه أدانَهُ الجُودَ على ذَهابِه
وإنْ كَسا الدّهرُ الأنامَ مَفخَراً ظَنَنتَهُ يَخلَعُ من ثِيابِه

يا مَلِكاً يرَى العَدوُّ قُربَه كالأجَلِ المَحتومِ في اقترابِه
لا تَبذُلِ الحِلمَ لغَيرِ شاكِرٍ ، فإنّـهُ يُفضي إلى إعجابِه
فالغَيثُ يُستَسقى معَ اعتِبابِه ، وإنّما يُسأمُ في انسِكابِه[1]
فاغزُ العِدى بعزمَةٍ من شأنِها إتيانُ حَزمِ الرّأيِ من أبوابِه
تُسلِمُ أرواحَ العِدى إلى الرّدَى ، وتُرجِعُ الأمرَ إلى أربابِه
حتى يَقولَ كلُّ رَبّ رُتبَةٍ : قد رجَعَ الحَقُّ إلى نِصابِه
قد رَفَعَ اللهُ العَذابَ عَنهُمُ ، فشَمّروا السّاعدَ في طِلابِه
رَنَوا إلى المُلْكِ بعَينِ غادرٍ أطمعَهُ حِلمُكَ في اقتِضابِه
إن لم تُقَطّعْ بالظُّبَى أوصالَهمْ لم تَقطَعِ الآمالَ من أسبابِه
لا تَقبَلِ العُذْرَ ، فإنّ رَبّهُ قد أضمرَ التّصحيفَ في كتابِه
فتَوبَةُ المُقلِعِ إثرَ ذَنبِه ، وتَوبَةُ الغادرِ مَعَ عِقابِه
لو أنّهمْ خافُوا كِفاءَ ذَنبِهمْ ، لم يُقدِموا يوماً على ارتِكابِه
فاصرِمْ حِبالَ عَزمِهِمْ بصارِمٍ قد بالَغَ القُيُونُ في انتِخابِه[2]
كأنّما النّملُ على صَفحَتِه ، وأكرُعُ الذّبابِ في ذُبابِه[3]
يَعتَذِرُ الموتُ إلى شَفرتِه ، وتَقصُرُ الآجالُ عن عِتابِه
شيخٌ إذا اقتضّ النّفوسَ قُوّضَتْ، ولا تَزالُ الصِّيدُ مِن خُطّابِه[4]

---

١ الاعتباب ، من عب البحر : كثر موجه وارتفع .
٢ القيون ، الواحد قين : الحداد .
٣ ذباب السيف : حده الذي يقطع به ، يصف في هذا البيت جوهر السيف ووشيه .
٤ قوله : اقتض النفوس ، هكذا في الأصل ، ولعلها اقتفى النفوس ، أي طلبها . الصيد ، الواحد أصيد : الرجل الذي يرفع رأسه كبراً . وقوله من خطابه : أي من طلباته .

يُذيقُهم في شَيبِهِ أضعافَ ما أذاقَهُ القُيونُ في شَبابِه
يا مَلِكاً يَعتَذِرُ الدّهرُ لَهُ ، وتَخدُمُ الأيّامُ في رِكابِه
لم يَكُ تَحريضي لكُمْ إساءَةً ، ولم أحُلْ في القولِ عن آدابِه
ولا يَعيبُ السّيفَ، وهوَ صارِمٌ، هذٌّ يَدِ الجاذِبِ في انتِدابِه[1]
ذِكرُكَ مَشهورٌ ، ونَظمي سائرٌ ، كِلاهُما أمعَنَ في اغترابِه
ذِكرٌ جَميلٌ غَيرَ أنّ نَظمَهُ يَزيدُهُ حُسناً معَ اصطِحابِه
كالدُّرّ لا يُظهِرُ حُسنَ عِقدِهِ إلاّ جَوازُ السِّلكِ في أثقابِه

لله قومي

وقال يحرض قوماً وعدوه المساعدة في إحدى الوقائع فلما نزل بهم نكروا واعتذروا بالزهد والورع فأخذ حقه مسمطاً لفاتحة الحماسة[2] :

يا لَلحماسةِ ضاقَتْ بينَكم حِيَلي ، وضاعَ حَقّيَ بينَ العُذرِ والعَذَلِ
فقلتُ مع قِلّةِ الأنصارِ والحَوَلِ : لو كنتُ مِن مازنٍ لم تَستَبِحْ إبِلي
بَنو اللّقيطَةِ من ذُهلِ بنِ شَيبانا

---

١ الهذ : القطع بسرعة ، ولعلها محرفة عن الهز بالزاي . انتدابه ، من انتدبه إلى أمر : دعاه إليه ، ولعله محرف عن : يد الجاذب في اجتذابه .
٢ القصيدة المخمسة هي لقريط بن أنيف أحد بني العنبر ، قالها عندما اعتدى بنو شيبان على ماله ولم ينجده قومه .

لو أنّني برُعاةِ العُربِ مُقترِنُ ، لهمْ نَزيلٌ ، ولي في حيّهِمْ سَكَنُ
ومَسّني في حِمَى أبنائِهِمْ حزَنُ ، إذنْ لَقامَ بنَصري مَعشَرٌ خُشُنُ
عندَ الحَفيظَةِ إنْ ذو لَوثَةٍ لانا[1]

للهِ قَومي الأُولى صانوا مَنازِلَهمْ عن الخُطوبِ ، كما أفنَوا مُنازِلَهم
لا تَجسُرُ الأُسدُ أن تَغشَى مَناهلَهم ، قومٌ ، إذا الشرّ أبدى ناجذَيهِ لَهُم
طاروا إلَيهِ زَرافاتٍ ووُحدانا[2]

قَومٌ ، نَجيعُ دَمِ الأبطالِ مَشربُهم ، ورَنّةُ البِيضِ في الهاماتِ تُطرِبُهُم
إذا دَعاهم لحربٍ مَن يُجَرّبُهُمْ ، لا يَسألونَ أخاهُمْ حينَ يَندُبُهم
في النّائباتِ على ما قالَ بُرهانا

فاليومَ قَومي الذي أرجو بهِمْ مدَدي لأستَطيلَ إلى ما لمْ تنَلهُ يَدي
تَخونُني مع وُفورِ الحَيلِ والعُدَدِ ، لكنّ قَومي ، وإن كانوا ذوي عَدَدِ
لَيسوا منَ الشّرّ في شيءٍ ، وإنْ هانا[3]

يُولُونَ جاني الأسَى عَفواً ومَعذِرَةً كَعاجزٍ لم يُطِقْ في الحُكمِ مَقدَرَةً
فإنْ رَأوا حالَةً في النّاسِ مُنكَرَةً ، يَجزُونَ من ظُلمِ أهلِ الظّلم مغفرَةً
ومِن إساءَةِ أهلِ السّوءِ إحسانا

كُلٌّ يَدِلّ على الباري بعِفّتِهِ ، ويَستَكِفُّ أذَى الجاني برأفَتِهِ

---

١ خشن : صعاب لا يلينون . اللوثة : الحماقة والضعف .
٢ أبدى ناجذيه : أي اشتد . زرافات : جماعات .
٣ يصف قومه بأنهم وإن كانوا ذوي عدد يهابون الحرب لعدم حماستهم .

ويحسبُ الأرضَ تَشكو ثِقلَ مَشيتِه، كأنّ ربّكَ لم يَخلُقْ لخَشيتِهِ
سِواهُمُ من جَميعِ الخَلقِ إنسانا

لو قابَلوا كلَّ أقوامٍ بما كَسَبوا ، ما راعَ سِربَهُمُ عُجمٌ ولا عَرَبُ
بل ارتَضَوا بصَفاءِ العَيشِ واحتَجبوا، فلَيتَ لي بهِمُ قَوماً ، إذا رَكِبُوا
شَنّوا الإغارَةَ فُرساناً ورُكبانا

أقم حدود الله

وقال أيضاً يحرض السلطان الملك الصالح شمس الدين أبا المكارم ابن السلطان الملك المنصور خلد الله ملكه على خلاص ماله من لصوص نقبوا داره وأخذوا ما بها واحتموا بنائب له فحماهم واستخدمهم لديه :

خَطْبٌ لِسانُ الحالِ فيهِ أبكَمُ ، وهوًى طَريقُ الحَقّ فيهِ مُظلِمُ
وقَضيّةٌ صَمَتَ القُضاةُ تَرَفّعاً عن فَصلِها ، والخَصمُ فيها يَحكُمُ
أمسَى الخَبيرُ بها يُسائِلُ : مَن لها ، فأجَبتُهُ ، وحُشاشَتي تَتَضرّمُ :
إن كنتَ ما تَدري ، فتلكَ مُصيبَةٌ ، أو كنتَ تَدري ، فالمُصيبَةُ أعظَمُ
أشكو فيَعرِضُ عن مَقالي ضاحِكاً ، والحُرُّ يُوجِعُهُ الكَلامُ ويُؤلِمُ

ما ذاكَ مِن فَرطِ العَياءِ ، وإنّما ‏ ‏ لِهَوَى القلوبِ سَريرَةٌ لا تُعلَمُ
فلئِنْ عَلا رأسي المَشيبُ ، فلم يكُنْ ‏ ‏ كِبَراً ، ولكِنّ الحَوادِثَ تُهرِمُ
فاللهُ يَحرُسُ ماردينَ ، فإنّها ‏ ‏ بلَدٌ يَلَذُّ بها الغَريبُ ويَنعَمُ
أرضٌ بها يَسطو على اللّيثِ الطّلا ، ‏ ‏ ويَعوثُ في غابِ الهِزَبرِ الأرقَمُ[1]
حالَتْ بها الأشياءُ عن عاداتِها ، ‏ ‏ فالخَيلُ تَنهَقُ ، والحَميرُ تُحَمحِمُ
يجني بها الجاني ، فإنْ ظَفِروا بهِ ‏ ‏ يوماً ، يُحلَّفُ بالطّلاقِ ويُرحَمُ
شَرْطُ الوُلاةِ بها بأنْ يَمْضي الّذي ‏ ‏ يَمْضي ،ويَسْلَمُ عِنْدَهُمْ مايَسْلَمُ
لا كالشآمِ ، فإنّ شَرطَ وُلاتِها : ‏ ‏ اللّصُّ يَجني ، والمُقَدَّمُ يَغرَمُ
ومُعَنِّفٍ في الظّنّ قلتُ له : اتّئِدْ ، ‏ ‏ فأقصِرْ ، فبَعضُ الغَيبِ غَيبٌ يُعلَمُ
من أينَ يَدري اللّصُّ أنّ دراهمي ‏ ‏ لم يَبقَ منها في الخزانَةِ دِرهَمُ ؟
صَبَروا ، ومالي في البيوتِ مُقَسَّمٌ ، ‏ ‏ حتى إذا اكتَمَلَ الجَميعُ تَسلّموا
يا أيّها المَلِكُ الذي في عَصرِهِ ‏ ‏ كُلُّ المُلوكِ لعَدلِهِ تَتَعَلّمُ
لا تُطمِعَنّ ذَوي الفَسادِ بتَركِهِم، ‏ ‏ فالنّذْلُ تَطغَى نَفسُهُ إذْ تُكرَمُ
إن كانَ مَن يجني مِراراً لم يخَفْ ‏ ‏ قَطعاً ، فلا أدري على ما يَندَمُ
أيَجوزُ أنْ تَخفَى علَيكَ قَضيّتي ، ‏ ‏ والنّاسُ في مُضَرٍ بها تَتَكَلّمُ
فإذا شكَوتُ ، يقالُ لم يَذهَبْ لهُ ‏ ‏ مالٌ ، ولكنْ ظالِمٌ يتَظَلّمُ
أيَجوزُ أنْ يُمسي السّقيمُ مُبَرّأً ‏ ‏ منها ، وصِبيانُ المَكاتِبِ تُتْهَمُ
وأُجيلُ عَيني في الحبوسِ فلا أرى ‏ ‏ إلاّ ابنَ جاري ، أو غُلاماً يَخدُمُ

---

[1] الطلا : ولد الغزال . يعوث : يفسد . الهزبر : الأسد . الأرقم : أخبث الحيات .

أيزارُ في بابِ البُويرةِ راهبٌ لَيلاً ، فيَدري في الصّباحِ ويَعلَمُ
وتَزُفُّ داري بالشّموعِ جَماعَةٌ غُلْبٌ ، فيُستَرُ عن عُلاكَ ويُكتَمُ
قَومٌ لهمْ ظَهرٌ شَديدٌ مانِعٌ ، كُلٌّ بهِ يَدري على ما يُقدِمُ
لا يَحفِلونَ ، وقد أحاطَ عديدُهم بالدّارِ ، أيقاظٌ بها أو نُوّمُ
إن يَظفَروا فتَكوا ، وإنْ يُظفَرْ بهِم ، كلٌّ علَيهِ يُنابُ أو يُستَخدَمُ
فأقِمْ حدودَ اللهِ فيهِم ، إنّهمْ وَثِقُوا بأنّكَ راحِمٌ لا تَنقِمُ
إن كنتَ تَخشَى أن تُعَدَّ بظالِمٍ لهمُ ، فإنّكَ للرّعيّةِ أظلَمُ
فالحِلمُ في بَعضِ المَواطِنِ ذِلّةٌ ، والبَغْيُ جُرْحٌ ، والسّياسةُ مَرهَمُ
بالبَطشِ تَمّ المُلكُ لابنِ مَراجِلٍ ، وتأخّرَ ابنُ زُبَيدَةَ المُتَقَدّمُ[1]
وعَنَتْ لمُعتصِمِ الرّقابُ ببأسِهِ ، ودَهى العِبادَ بلينِهِ المُستَعصِمُ[2]
ما رَتّبَ اللهُ الحدودَ ، وقَصدُهُ ، في النّاسِ، أن يَرعى المُسيءَ ويَرحَمُ
لو شاءَ قال: دَعوا القِصاصَ، ولم يقلْ بل في القِصاصِ لكم حَياةٌ تَنعَمُ
إن كانَ تَعطيلُ الحُدودِ لرَحمَةٍ ، فاللهُ أرأفُ بالعِبادِ وأرحَمُ
فاجزِ المُسيءَ ، كما جَزاهُ بفِعلِهِ ، واحكُمْ بما قد كانَ ربُّكَ يَحكُمُ
عَقَرَتْ ثَمُودُ لهُ قديماً ناقَةً ، وهوَ الغنيّ ، عنِ الوَرى ، والمُنعِمُ
فأذاقَهمْ سَوطَ العَذابِ ، وإنّهمْ بالرّجزِ يَخسِفُ أرضَهمْ ويُدَمدِمُ[3]

١ ابن مراجل : المأمون ، ومراجل أمه وهي أمة . ابن زبيدة: الأمين وزبيدة ابنة خليفة، وزوجة خليفة ، وأم خليفة .
٢ المعتصم : الخليفة السابع العباسي ، واشتهر بقوته . المستعصم : آخر الخلفاء العباسيين قتله هولاكو التتري .
٣ الرجز : الرعد المتتابع الصوت .

وكَذاكَ خَيرُ المُرسَلينَ مُحَمَّدٌ ،   وهوَ الذي في حُكمِهِ لا يَظلِمُ
لمَّا أتَوهُ بعُصبَةٍ سرَقوا لهُ   إبِلاً منَ الصَّدَقاتِ ، وهوَ مُصَمِّمُ
لم يَعفُ بل قطَعَ الأكُفَّ وأرجُلاً   من بَعدِ ما سَمَلَ النَّواظِرَ منهُمُ[1]
ورَماهُمُ مِن بَعدِ ذاكَ بحَرَّةٍ ،   نارُ الهَواجرِ فوقَها تتَضرَّمُ
ورجا أُناسٌ أن يَرِقَّ عليهِمُ ،   فأبَى ، وقال : كذا يُجازَى المُجرِمُ
وكذا فتى الخطّابِ قادَ بلَطمَةٍ   مَلِكاً لغَسّانٍ ، أبوهُ الأيهَمُ[2]
فشَكا ، وقالَ له : أتَلطِمُ سُوقَةٌ   مَلِكاً ؟ فقال : أجَل وأنفُكَ مُرغَمُ
هَذي حُدودُ اللهِ مَن يَتخلَّلْ بها ،   فَجزاؤهُ ، يومَ المَعادِ ، جهنَّمُ
وانظُرْ لقَولِ ابنِ الحُسينِ وقد رأى   حالاً يَشُقُّ على الأبيِّ ويَعظُمُ
لا يَسلَمُ الشرَفُ الرَّفيعُ من الأذى ،   حتى يُراقَ على جَوانبِهِ الدَّمُ[3]
هذا فَعالُ اللهِ ، ثمَّ نَبيِّهِ ،   والصَّحبُ والشّعَراءُ ، فيما نظَّموا
فافتُكْ بهِمْ فَتكَ المُلوكِ ، ولا تَلِنْ   فيَصِحَّ ما قالَ السَّوادُ الأعظَمُ
واعذِرْ مُحِبّاً لم يُسِىءْ بقَريضِهِ ،   أدَباً ، ولكنَّ الضَّرورَةَ تَحكُمُ
واللهِ ما أسَفي على مالٍ مضَى ،   إلاّ على استِلزامِ بُعدي عنكُمُ
فالمالُ مُكتَسَبٌ على طولِ المَدى ،   والذِّكرُ يُنجِدُ في البِلادِ ويُتهِمُ
هَذي العِبارَةُ للمُحَقِّقِ عِبرَةٌ ،   واللهُ أعلَمُ بالصَّوابِ وأحكَمُ

---

١ سمل النواظر : فقأها .
٢ أراد جبلة بن الأيهم .
٣ هذا البيت للمتنبي .

المجد لمن يخاطر

وقال يحرضه أعز الله أنصاره على التحرز من المغول ومنافستهم عند اختلافهم واضطراب أحوالهم ويهنيه بعيد النحر :

لا يَمتَطي المَجدَ من لم يَركبِ الخَطرَا ، ولا يَنالُ العُلى من قَدّمَ الحَذَرَا
ومَن أرادَ العُلى عَفواً بلا تَعَبٍ ، قضَى ، ولم يَقضِ من إدراكِها وَطَرَا
لا بُدّ للشّهدِ من نَحلٍ يُمَنّعُهُ ، لا يَجتني النّفعَ مَن لم يَحملِ الضّرَرَا
لا يُبلَغُ السّؤلُ إلاّ بعدَ مُؤلمةٍ ، ولا تَتِمُّ المُنى إلاّ لِمَنْ صَبَرَا
وأحزَمُ النّاسِ مَن لو ماتَ مِنْ ظَمإٍ ، لا يَقرَبُ الوِردَ حتى يَعرِفَ الصَّدَرَا
وأغزَرُ النّاسِ عَقلاً مَن إذا نظَرَتْ عَيناهُ أمراً غَدا بالغَيرِ مُعتَبِرَا
فقَد يُقالُ عِثارُ الرِّجلِ إن عثَرَتْ ، ولا يُقالُ عِثارُ الرّأيِ إنْ عَثَرَا
مَنْ دَبّرَ العيشَ بالآراءِ دامَ لَهُ صَفواً ، وجاءَ إليهِ الخَطبُ مُعتَذِرَا
يَهونُ بالرّأيِ ما يَجري القَضاءُ بهِ ، من أخطأَ الرّأيَ لا يَستَذنبُ القَدَرَا
مَن فاتَهُ العِزُّ بالأقلامِ أدركَهُ بالبِيضِ يَقدَحُ من أعطافِها الشّرَرَا
بكلّ أبيَضَ قد أجرى الفِرِندُ بهِ ماءَ الرّدى ، فلو استَقطرتَه قَطَرَا
خاضَ العَجاجةَ عُرياناً فَما انقَشَعتْ حتى أتَى بدَمِ الأبطالِ مُؤتَزِرَا
لا يَحسُنُ الحِلمُ إلاّ في مَواطِنِهِ ، ولا يَليقُ الوَفا إلاّ لِمَنْ شَكَرَا
ولا يَنالُ العُلى إلاّ فتًى شَرُفَتْ خِلالُهُ ، فأطاعَ الدّهرَ ما أمَرَا

كالصّالحِ المَلِكِ المَرهوبِ سَطوَتُه ، فلو تَوَعّدَ قلبَ الدّهرِ لانفطَرَا
لمّا رأى الشّرَّ قد أبدَى نَواجِذَهُ ، والغَدرَ عن نابِهِ للحَربِ قد كَشَرَا
رأى القِسيَّ إناثاً في حَقيقَتِها ، فعافَها ، واستَشارَ الصّارِمَ الذّكَرَا
فجَرّدَ العَزمَ من قَتلِ الصِّفاحِ لها مَلْكٌ عن البيضِ يَستَغني بما شَهرَا
يكادُ يُقرأُ منْ عُنوانِ هِمّتِهِ ما في صَحائفِ ظَهرِ الغَيبِ قد سُطِرَا
كالبحرِ والدّهرِ في يومَيْ ندًى وردًى ، واللّيثِ والغيثِ في يومَيْ وغًى وقِرَى
ما جادَ للنّاسِ إلاّ قبلَ ما سألوا ، ولا عَفا قَطّ إلاّ بعدَما قَدَرَا
لاموهُ في بَذلِهِ الأموالَ ، قلتُ لهم : هل تَقدُرُ السُّحبُ ألاّ تُرسلَ المَطرَا
إذا غَدا الغصنُ غَضّاً في مَنابتِه ، مَن شاءَ فليَجنِ من أفنانِهِ الثّمَرَا
مِن آلِ ارتقٍ المَشهورِ ذِكرُهُمُ ، إذ كانَ كالمِسكِ إن أخفَيتَهُ ظَهَرَا
الحامِلينَ مِنَ الخَطّيّ أطوَلَهُ ، والنّاقلينَ مِنَ الأسيافِ ما قَصُرَا
لم يَرحَلوا عن حِمَى أرضٍ إذا نزَلوا إلاّ وأبقَوْا بِها مِن جودِهم أثَرَا
تَبقَى صَنائعُهم في الأرضِ بعدَهمُ ، والغَيثُ إن سارَ أبقَى بعدَهُ الزَّهَرَا
للهِ درٌّ سَما الشّهباءِ من فَلَكٍ ، فكلّما غابَ نَجمٌ أطلَعتْ قَمَرَا
يا أيّها المَلكُ الباني لدَولتِه ذِكراً طوَى ذِكرَ أهلِ الأرضِ وانتَشَرَا
كانتْ عِداكَ لها دَستٌ ، فقد صَدعتْ حَصاةُ جَدّك ذاك الدّستَ فانكَسَرَا
فاوقِعْ إذا غدَروا سَوطَ العَذابِ بِهمْ يظَلّ يَخشاكَ صرفُ الدّهرِ إن غَدرَا
وارعَبْ قلوبَ العِدى تُنصَرْ بخَذْلهِمُ ، إنّ النبيّ بفَضلِ الرّعبِ قد نُصِرَا
ولا تُكَدّرْ بهمْ نَفساً مُطَهَّرَةً ، فالبَحرُ من يَومِه لا يَعرِفُ الكَدَرَا

ظَنّوا تأنّيكَ عن عَجزٍ ، وما عَلِموا   أنّ التّأنّيَ فيهِمْ يَعقُبُ الظَّفَرَا
أحسَنتُمُ ، فبَغَوا جَهلاً وما اعترَفوا   لكم ، ومن كَفَرَ النُّعمى فقد كفَرَا
واسعَدْ بعيدك ذا الأضحى وضَحِّ بهِ   وصِلْ وصَلّ لرَبّ العَرشِ مُؤتَمِرَا
وانحَرْ عِداكَ فبالإنعامِ ما انصَلَحوا ،   إنْ كانَ غَيرُكَ للأنعامِ قد نَحَرَا[1]

أحجر فؤادك أم حديد

قال يحرض الأمير نور الدين بن ركن الدين إسحق على ملتقى المغول وحربهم عند غارتهم على ماردين وخروجه إليهم :

أمِنْ حَجَرٍ فؤادُكَ أمْ حديدُ ،   ففيهِ على الوَغَى بأسٌ شَديدُ
وأطوادٌ حُلومُكَ أمْ جِبالٌ ،   تَميدُ الرّاسياتُ ولا تَميدُ
لأنّكَ كُلّما حاوَلتَ أمراً ،   يُصَوِّبُ فعلَكَ الرّأيُ السّديدُ
طلَعتَ على العُداة وأنتَ شمسٌ ،   فذابَ بحَرّ مَوقِعِها الجَليدُ
أغَرتَ على حِماهم غيرَ عادٍ ،   ولاقَوا منكَ ما لاقَتْ ثَمُودُ
بجَيشٍ تَرجُفُ الرّاياتُ فيهِ ،   وتَخفِقُ دونَ مَقدَمِهِ البُنودُ

١ الإنعام بكسر الهمزة : مصدر أنعم عليه ، صنع إليه نعمة ، صنيعة . الأنعام الثانية بفتح الهمزة : الإبل والغنم والبقر .

وتَهتَزُّ الذّوابِلُ فيــهِ عُجباً، كما اهتَزّتْ من المَرَحِ القُدودُ
عَجِلتَ إلى قِراعِهِمُ بعَزْمٍ به يَدنُو لكَ الأمَلُ البَعيدُ
وكم وانٍ يَعُدُّ العَجزَ حِلماً ، فيَندَمُ ، والنّدامَةُ لا تُفيدُ
ومَنْ يَرَ ما يُريدُ وكَفَّ جُبناً ، رأى من بَعدِهِ ما لا يُريدُ

الباب الثاني

في المدح والثناء والشكر والهناء

أيا صادق الوعد

قال يمدح النبي صلى الله عليه وسلم
وهو بالمدينة المنورة :

كَفَى البَدرَ حُسناً أن يُقالَ نَظيرُها ، فيُزهَى ، ولكنّا بذاكَ نَضيرُها[1]
وحَسْبُ غُصونِ البانِ أنّ قَوامَها يُقاسُ بهِ مَيّادُها ونَضيرُها
أسيرَةُ حِجلٍ مُطلَقاتٌ لِحاظُها ، قضَى حُسنُها أن لا يُفَكّ أسيرُها[2]
تَهيمُ بها العُشّاقُ خَلفَ حِجابِها ، فكَيفَ إذا ما آنَ منها سُفُورُها
وليسَ عَجيباً أنْ غُرِرتَ بنَظرَةٍ إليها ، فمِن شأنِ البُدورِ غُرورُها
وكم نَظرَةٍ قادتْ إلى القلبِ حَسرَةً ، يُقَطِّعُ أنفاسَ الحَياةِ زَفيرُها
فواعجَبا كم تَسلُبُ الأُسدَ في الوَغى ، وتَسلُبُنا من أعيُنِ الحُورِ حُورُها

---

١ يزهى : يتيه ، يتكبر .
٢ الحجل : الخلخال .

فُتورُ الظُّبَى عندَ القِراعِ يُشيبُنا ، وما يُرهِفُ الأجفانَ إلاّ فُتُورُها[1]
وجُذوَةُ حُسنٍ ، في الخُدودِ لهيبُها يَشُبُّ ، ولكنْ في القُلوبِ سَعيرُها
إذا آنَستَها مُقلَتي خرّ صاعِقاً جَناني ، وقال القلبُ : لا دُكَّ طُورُها[2]
وسربِ ظِباءٍ مُشرِقاتٍ شُموسُهُ على جَنّةٍ عَدُّ النّجومِ بُدُورُها
تُمانِعُ عَمّا في الكِناسِ أُسودُها ، وتحرُسُ ما تحوي القصورُ صُقُورُها
تَغارُ مِن الطّيفِ المُلِمّ حُماتُها ، ويَغضَبُ من مَرّ النّسيمِ غَيورُها
إذا ما رأى في النّومِ طَيفاً يَزورُها ، تَوَهّمَهُ في اليَومِ ضَيفاً يَزورُها
نظَرْنا ، فأعدَتنا السّقامَ عُيونُها ، ولُذنا ، فأولَتنا النّحولَ خُصُورُها
وزُرْنا فأُسدُ الحيّ تُذكي لِحاظَها ، ويُسمَعُ في غابِ الرّماحِ زَئيرُها
فَيا ساعدَ اللهُ المحبَّ لأنّهُ يَرَى غَمَراتِ المَوتِ ثُمّ يَزورُها
ولمّا ألَمّتْ للزّيارَةِ خِلسَةً ، وسَجفُ الدّياجي مُسبَلاتٌ سُتورُها[3]
سعَتْ بنا الواشونَ حتى حُجولُها ، ونَمّتْ بنا الأعداءُ حتى عَبيرُها[4]
وهَمّتْ بنا لولا غَدائرُ شعرِها ، خُطَى الصّبحِ لكِنْ قيّدَته ظُفورُها[5]
ليالِيَ يُعديني زَماني على العِدى ، وإنْ مُلِئَتْ حِقداً عليّ صُدورُها[6]

---

١ الظبى ، الواحدة ظبة : حد السيف . القراع : الحرب . أرهفه : رقق حده . الحور ، الواحدة حوراء : التي اشتد بياض بياض عينيها وسواد سوادهما .
٢ آنستها : أحست بها . جناني : قلبي . دك : هدم من أساسه . طورها : جبلها .
٣ السجف : الستر . الدياجي : الظلمات .
٤ هذا البيت غامض المعنى ، وصدره مختل الوزن .
٥ قوله : ظفورها ، هكذا في الأصل ، ولعله من الظفر ، الغلبة .
٦ يعديني : ينصرني .

ويُسعِدُني شَرخُ الشّبيبَةِ والغِنى ، إذا شانَها إقتارُها وقَتيرُها[1]
ومُذْ قلّبَ الدّهرُ المِجَنَّ أصابَني صَبوراً على حالٍ قليلٍ صَبورُها[2]
فلَو تَحمِلُ الأيّامُ ما أنا حامِلٌ ، لمَا كادَ يَمحُو صِبغَةَ اللّيلِ نُورُها
سأصبِرُ إمّا أنْ تَدورَ صُرُوفُها عليّ ، وإمّا تَستَقيمُ أُمُورُها
فإنْ تَكُنِ الخَنساءُ ، إنّي صَخرُها ؛ وإنْ تَكُنِ الزّبّاءُ ، إنّي قَصيرُها[3]
وقد أرتَدي ثَوبَ الظّلامِ بجَسرَةٍ ، عليها من الشُّوسِ الحُماةِ جَسورُها[4]
كأنّي بأحشاءِ السّباسِبِ خاطِرٌ ، فَما وُجِدَتْ إلاّ وشَخصي ضَميرُها
وصاديَةِ الأحشاءِ غضي بآلِها يَعُزُّ على الشّعرى العَبورِ عُبورُها[5]
يَنوحُ بها الخِرّيتُ نَدباً لنَفسِهِ ، إذا اختَلَفَتْ حَصباؤها وصُخورُها[6]
إذا وَطِئَتْها الشّمسُ سالَ لُعابُها ، وإن سلَكَتها الرّيحُ طالَ هَديرُها
وإنْ قامتِ الحربا تُوَسِّدُ شَعرَها أصيلاً ، أذابَ الطَّرفَ منها هَجيرُها[7]
تَجَنَّبُ عَنها للحِذارِ جَنوبُها ، وتُدبِرُ عَنها في الهُبوبِ دَبُورُها[8]

---

١ شرخ الشباب : أوله وريعانه . شانه : عابه . الاقتار : قلة المال ، ضيق الرزق ، التضييق على العيال . القتير : الشيب أو أول ما يظهر منه .
٢ قلب له ظهر المجن : تحول من صداقته إلى عداوته .
٣ يشير إلى الخنساء الشاعرة التي كانت تفتخر بأخيها صخر ، وإلى الزباء ملكة تدمر ، وقصير الذي خدعها ، والقصة مشهورة .
٤ الجسرة : الناقة الشديدة . الشوس : الأبطال .
٥ الصادية : العطشى . غضي : لا ندري ماذا أراد بها ولعلها محرفة . الآل : السراب . الشعرى العبور : نجمة .
٦ الخريت : الدليل الحاذق .
٧ الهجير : شدة الحر .
٨ الدبور : الريح الغربية .

خبَرْتُ مَرامي أرضِها فقتلتُها ، وما يقتُلُ الأرضينَ إلاّ خبيرُها
بخُطوةِ مرقالٍ أمُونٍ عِثارُها ، كثيرٍ على وَفقِ الصّوابِ عُثُورُها[1]
ألذُّ مِنَ الأنغامِ رَجعُ بُغامِها ، وأطيبُ من سجعِ الهديلِ هديرُها
نُساهِمُ شطرَ العيشِ عِيساً سَواهماً لفَرْطِ السُّرَى لم يَبقَ إلاّ شُطورُها[2]
حروفاً كنوناتِ الصّحائفِ أصبحتْ تُخَطُّ على طِرسِ الفيافي سُطورُها[3]
إذا نُظِمتْ نَظمَ القلائدِ في البُرَى تقلّدُها خُضرُ الرُّبَى ونحورُها[4]
طَواها طَواها ، فاغتدتْ وبطونُها تَجولُ عليها كالوِشاحِ ظُفُورُها[5]
يُعَبّرُ عن فَرطِ الحَنينِ أنينُها ، ويُعرِبُ عمّا في الضّميرِ ضُمورُها
تَسيرُ بها نَحوَ الحِجازِ وقَصدُها ملاعِبُ شِعبَيْ بابلٍ وقصورُها
فلمّا تَرامَتْ عن زَرودَ ورَمْلِها ، ولاحتْ لها أعلامُ نَجدٍ وقُورُها[6]
وصَدّتْ يَميناً عن شُمَيطٍ وجاوَزتْ رُبَى قَطَنٍ والشُّهبُ قد شفّ نُورُها[7]
وعاجَ بها عن رَملِ عاجٍ دَليلُها ، فقامَتْ لعِرفانِ المُرادِ صُدورُها
غَدَتْ تَتَقاضانا المَسيرَ لأنّها إلى نَحوِ خَيرِ المُرسَلينَ مَسيرُها
تَرُضُّ الحصَى شوقاً لمن سبّحَ الحصَى لدَيهِ ، وحيّا بالسّلامِ بَعيرُها

---

١ المرقال : الناقة السريعة .
٢ العيس : النياق . السواهم : الضوامر . السرى : السير في الليل .
٣ الحروف : النياق الضامرة .
٤ البرى ، الواحدة برة : الحلقة توضع في أنف الناقة .
٥ طواها : أهزلها . طواها الثانية : جوعها . وقوله : ظفورها ، لعله مأخوذ من أظفار الثوب ، وهو ما تكسر منه فصارت فيه غضون ، فيكون المعنى غضون جلدها لهزالها .
٦ القور : الجبال الصغيرة ، الواحدة قارة .
٧ شميط : موضع . قطن : جبل .

إلى خَيرِ مَبعوثٍ إلى خَيرِ أُمّـةٍ ، إلى خَيرِ مَعبُودٍ دَعاها بَشيرُها
ومَن أُخمِدَتْ مع وَضعِهِ نارُ فارسٍ ، وزُلزِلَ منها عَرشُها وسَريرُها
ومَن نَطقتْ تَوراةُ موسَى بفَضلِهِ ، وجاءَ بـهِ إنجيلُها وزَبُورُها
ومَنْ بَشّرَ اللهُ الأنامَ بأنّـهُ مُبَشَّرُها عن إذنِهِ ، ونَذيرُها
مُحَمّدُ خَيرُ المُرسَلينَ بأسرِها ، وأوّلُها في الفَضلِ ، وهوَ أخيرُها
أيا آيَةَ اللهِ التي مُذْ تَبَلّجتْ على خَلقِهِ أخفَى الضّلالَ ظُهورُها
علَيكَ سلامُ اللهِ يا خَيرَ مُرسَلٍ إلى أمّةٍ لولاهُ دامَ غُرورُها
علَيكَ سَلامُ اللهِ يا خَيرَ شافِـعٍ ، إذا النّارُ ضَمّ الكافرينَ حَصيرُها
علَيكَ سَلامُ اللهِ يا مَنْ تَشرّفَتْ بهِ الإنسُ طُرّاً واستَتَمّ سُرورُها
علَيكَ سَلامُ اللهِ يا مَن تَعَبّدتْ لهُ الجِنُّ ، وانقادَتْ إليهِ أُمُورُها
تَشرّفَتِ الأقدامُ لمّا تَتابَعتْ إلَيكَ خُطاها ، واستَمرّ مَريرُها
وفاخَرَتِ الأفواهُ نورَ عُيونِنا بتُربِكَ ، لمّا قَبّلَتهُ ثُغُورُها
فَضائلُ رامَتها الرّؤوسُ ، فقَصّرَتْ ، ألَمْ تَرَ للتّقصيرِ جُزّتْ شُعورُها
ولو وَفّتِ الوُفّادُ قَدرَكَ حَقّهُ لَكانَ على الأحداقِ منها مَسيرُها
لأنّكَ سِرُّ اللهِ الأيّـدِ التي تجَلّتْ ، فجلّى ظُلمةَ الشّكّ نورُها[1]
مدينَةُ عِلمٍ وابنُ عَمّكَ بابُها ، فمِنْ غيرِ ذاكَ البابِ لم يُؤتَ سُورُها
شُموسٌ لكم في الغربِ رُدّتْ شموسها ؛ بدورٌ لكم في الشّرقِ شُقّتْ بدورُها
جبالٌ ، إذاما الهَضبُ دُكّتْ جبالُها ؛ بحارٌ ، إذا ما الأرضُ غارَتْ بحُورُها

---

[1] قوله : الايد ، هكذا في الأصل ، والشطر مختل الوزن . ولعله أراد بها النعم .

فآلُكَ خيرُ الآلِ والعِترَةُ التي مَحبّتُها نُعمَى قليلٌ شَكورُها
إذا جُولِسَتْ للبَذلِ ذُلّ نِظارُها ؛ وإنْ سُوجِلَتْ في الفَضلِ عزّ نظيرُها
وصَحبُكَ خيرُ الصّحبِ والغُرَرُ التي بها أمِنَتْ من كلّ أرضٍ ثُغورُها
كُماةٌ ،حُماةٌ في القِراعِ وفي القِرَى، إذا شَطّ قاريها وطاشَ وَقورُها
أيا صادِقَ الوَعدِ الأمين وَعَدتَني ببُشرَى ، فلا أخشَى ، وأنتَ بشيرُها
بعثتُ الأماني عاطِلاتٍ لتبتَغي نَداكَ ، فَجاءتْ حالياتٍ نُحورُها
وأرسلتُ آمالاً خِماصاً بُطونُها إليكَ ، فَعادَتْ مُثقَلاتٍ ظُهورُها
إليكَ ، رَسولَ اللهِ ، أشكو جَرائماً يُوازي الجِبالَ الرّاسياتِ صغيرُها
كَبائرُ لو تُبلى الجِبالُ بحَملِها ، لدُكّتْ ، ونادى بالثُّبورِ ثَبيرُها[1]
وغالِبُ ظَنّي بل يَقينيَ أنّها ستُمحى ، وإن جلّتْ، وأنتَ سفيرُها
لأنّي رأيتُ العُربَ تَخفُرُ بالعَصَا ، وتَحمي ، إذا ما أمّها مُستَجيرُها
فكَيفَ بمَنْ في كَفّهِ أورَقَ العَصا تُضامُ بِيَ الآمالُ ، وهوَ خَفيرُها
وبَينَ يَدي نَجوايَ قَدّمتُ مَدحةً ، قضَى خاطري ألاّ نُجيبَ خَطيرَها[2]
يُرَوّي غَليلَ السّامعِينَ قُطارُها ، ويَجلُو عُيُونَ النّاظرِينَ قَطورُها
هيَ الرّاحُ لكنْ بالمَسامعِ رَشفُها ، على أنّهُ تَفنى ويَبقى سُرُورُها
وأحسنُ شيءٍ أنّني قد جلَوتُها عليكَ ، وأملاكُ السّماءِ حُضورُها
تَرومُ بها نَفسي الجزاءَ ، فكُنْ لها مُجيزاً بأنْ تُمسي وأنتَ مُجيرُها

---

١ ثبير : اسم جبل .
٢ قوله : ألا نجيب خطيرها ، هكذا في الأصل ، وفي البيت إقواء وغموض .

فلابنِ زُهَيرٍ قد أجَزْتَ ببُردَةٍ　　علَيكَ ، فأثرَى من ذويهِ فَقيرُها[1]
أجِرْني ، أجِزْني ، واجزِني أجرَ مَدحتي ،　　ببَردٍ ، إذا ما النّارُ شَبّ سَعيرُها
فَقابِلْ ثَناها بالقَبولِ ، فإنّها　　عَرائسُ فِكرٍ ، والقَبولُ مُهورُها
وإنْ زانَها تَطويلُها واطّرادُها ،　　فقد شانَها تَقصيرُها وقُصورُها
إذا ما القَوافي لم تُحِطْ بصِفاتِكمْ ،　　فسِيّانِ منها جَمُّها ويَسيرُها
بمدحِكَ تَمّتْ حِجّتي ، وهيَ حُجّتي　　على عُصبَةٍ يَطغَى عليّ فُجورُها
أقُصُّ بشِعري إثرَ فَضلِكَ واصِفاً　　عُلاكَ إذا ما النّاسُ قُصّتْ شعُورُها
وأسهَرُ في نَظمِ القَوافي ، ولم أقُلْ :　　خليليّ هَل من رَقدَةٍ أستَعيرُها

اخذ الاله لك العهود

قال يمدحه صلى الله عليه وسلم في ليلة مولده الشريف ويذكر بعض مناقبه :

خَمِدَتْ لِفَضْلِ وِلادِكَ النّيرانُ ،　　وانشَقّ من فَرَحٍ بكَ (الإيوانُ)
وتزلزَلَ النّادي ، وأوجسَ خيفةً　　مِن هَولِ رؤياهُ (أنوشِروانُ)
فتأوّلَ الرّؤيا (سَطيحُ) وبَشّرَتْ　　بظُهورِكَ الرّهبانُ والكُهّانُ

[1] ابن زهير : هو كعب بن زهير ، خلع عليه النبي بردته حينما مدحه بقصيدة مشهورة .

وعليكَ (إرميّا) و(شَعيا) أثنَيا ، وهُما و(حزقيلُ) لفَضلِكَ دانُوا
بفَضائلٍ شَهِدتْ بهِنّ السُّحبُ والـ تّوراةُ والإنجيـلُ والفُرقانُ
فوُضِعتَ للهِ المُهَيمِنِ ساجِداً ، واستَبشرَتْ بظُهورِكَ الأكوانُ
متَكَمّلاً لم تَنقَطِـعْ لكَ سُرّةٌ شرَفاً ، ولم يُطلَقْ علَيكَ خِتانُ
فرأتْ قصورُ الشّامِ (آمنَةٌ) ، وقد وَضَعتَكَ لا تَخفى لها أركانُ
وأتَتْ (حليمَةُ) وهيَ تَنظرُ في ابنِها سِرّاً تَحارُ لوَصفِهِ الأذهانُ
وغَدا ابنُ ذي يزَنٍ ببَعثِكَ مُؤمِناً سِرّاً ليَشهَدَ جَدّكَ الدّيّانُ
شرحَ الإلهُ الصّدرَ منكَ لأربَعٍ ، فرأى المَلائكَ حَولَكَ الإخوانُ
وحُبيتَ في خَمسٍ بظِلّ غَمامَةٍ لكَ في الهَواجرِ جِرمُها صِيوانُ
ومَرَرتَ في سَبعٍ بدَيرٍ فانحَنَى منهُ الجِدارُ ، وأسلَمَ المِطرانُ
وكَذاكَ في خَمسٍ وعشرينَ انثنى نَسطورُ منكَ ، وقَلبُهُ مَلآنُ
حتى كَمَلتَ الأربَعينَ ، وأشرَقتْ شَمسُ النّبُوّةِ ، وانجَلى التّبيانُ
فرَمَتْ رُجومُ النّيّراتِ رَجيمَها ، وتَساقطتْ من خَوفِكَ الأوثانُ[1]
والأرضُ فاحتْ بالسّلامِ عليكَ ، والـ أشجارُ ، والأحجارُ ، والكُثبانُ
وأتَتْ مَفاتيحُ الكُنوزِ بأسرِها ، فنَهاكَ عَنها الزّهدُ والعِرفانُ
ونَظرتَ خلفَكَ كالإمامِ بخاتَمٍ أضحَى لدَيهِ الشكُّ ، وهوَ عِيانُ
وغدَتْ لكَ الأرضُ البسيطةُ مَسجداً ، فالكلُّ منها للصّلاةِ مَكانُ
ونُصِرْتَ بالرُّعبِ الشّديدِ علىالعِدى ، ولكَ المَلائكُ في الوَغَى أعوانُ

---

١ الرجيم : أي الشيطان الرجيم .

وسَعَى إليكَ فتى سَلامَ مُسَلِّماً ... طَوعاً ، وجاءَ مُسَلِّماً سَلمانُ
وغَدَتْ تكَلِّمُكَ الأباعرُ والظِّبَا ، ... والضَّبُّ والثّعبانُ والسِّرحانُ
والجِزعُ حَنَّ إلى عُلاكَ مُسَلِّماً ، ... وببَطنِ كَفِّكَ سَبّحَ الصَّوّانُ
وهَوَى إلَيكَ العِذقُ ثمّ رَدَدتَهُ ... في نَخلَةٍ تُزهَى بهِ وتُزانُ
والدّوحتانِ ، وقد دَعوتَ ، فأقبَلا ... حتى تَلاقَتْ منهما الأغصانُ
وشَكا إليكَ الجَيشُ من ظَمإٍ بهِ ، ... فتَفَجّرَتْ بالماءِ منكَ بَنانُ
ورَدَدتَ عَينَ قَتادَةٍ من بَعدِ ما ... ذهبَتْ ، فلَم يَنظُرْ بها إنسانُ
وحكَى ذِراعُ الشّاةِ مُودَعَ سُمّه ، ... حتى كأنّ العُضوَ منهُ لِسانُ
وعرَجتَ في ظَهرِ البُراقِ مُجاوزَ الـ ... سّبعِ الطِّباقِ كمَا يَشا الرّحمانُ
والبَدرُ شُقّ وأشرَقتْ شمسُ الضّحى ... بعدَ الغروبِ ، وما بها نُقصانُ
وفَضيلَةٌ شَهِدَ الأنامُ بحَقّها ، ... لا يَستَطيعُ جُحودَها إنسانُ
في الأرضِ ظِلّ اللهِ كنتَ ، ولم يلُحْ ... في الشّمسِ ظِلُّكَ إنْ حَواكَ مكانُ
نُسخَتْ بمَظهَرِكَ المَظاهرُ ، بعدَما ... نُسِختْ بملّةِ دينِكَ الأديانُ
وعلى نُبُوّتِكَ المُعَظّمِ قَدرُها ، ... قامَ الدّليلُ ، وأوضِحَ البُرهانُ
وبكَ استَغاثَ الأنبياءُ جَميعُهُمْ ، ... عندَ الشّدائدِ ، رَبَّهُمْ ليُعانُوا
أخذَ الإلهُ لكَ العهودَ عليهِمُ ، ... من قَبلِ ما سمَحتْ بكَ الأزمانُ
وبكَ استَغاثَ اللهَ آدمٌ عندَما ... نُسِبَ الخِلافُ إليهِ والعِصيانُ
وبكَ التَجا نُوحٌ وقد ماجَتْ بهِ ... دُسْرُ السّفينَةِ ، إذْ طغَى الطّوفانُ[1]

---

١ دسر السفينة : ألواحها .

وبكَ اغتدى أيّوبُ يسألُ ربّهُ كشفَ البلاءِ فزالتِ الأحزانُ
وبكَ الخليلُ دعا الإلهَ ، فلم يخفْ (نمرودَ) إذْ شُبّتْ له النّيرانُ
وبكَ اغتدى في السّجن يوسفُ سائلاً ربَّ العبادِ ، وقلبُهُ حيرانُ
وبكَ الكليمُ غداةَ خاطبَ ربّهُ سألَ القبولَ ، فعمّهُ الإحسانُ
وبكَ المسيحُ دعا ، فأحيا ربّهُ ميتاً ، وقد بليتْ به الأكفانُ
وبكَ استبانَ الحقُّ بعدَ خفائهِ ، حتى أطاعكَ إنسُها والجانُ
ولوَ انّني وفّيتُ وصفكَ حقّهُ ، فَنِيَ الكلامُ وضاقتِ الأوزانُ
فعليكَ من ربِّ السّلامِ سلامُهُ ، والفضلُ والبركاتُ والرّضوانُ
وعلى صراطِ الحقِّ آلُكَ كلّما هبَّ النّسيمُ ، ومالتِ الأغصانُ
وعلى ابنِ عمّكَ وارثِ العلمِ الذي ذلّتْ لسطوةِ بأسهِ الشّجعانُ
وأخيكَ في يومِ الغديرِ ، وقد بدا نورُ الهدى وتآختِ الأقرانُ
وعلى صحابتِكَ الذينَ تتبّعوا طرُقَ الهدى ، فهداهمُ الرّحمانُ
وشروا بسعيهمُ الجنانَ ، وقد دروا أنّ النّفوسَ لبيعِها أثمانُ
يا خاتمَ الرّسلِ الكرامِ وفاتحَ الـ ـنّعمِ الجسامِ ، ومَن لهُ الإحسانُ
أشكُو إليكَ ذنوبَ نفسٍ هفوُها طبعٌ عليهِ رُكّبَ الإنسانُ
فاشفعْ لعبدٍ شانَهُ عصيانُهُ ؛ إنّ العبيدَ يشينُها العصيانُ
فلكَ الشّفاعةُ في محبّيكمْ ، إذا نُصبَ الصّراطُ ، وعلّقَ الميزانُ
فلقد تعرّضَ للإجازةِ طامعاً في أن يكونَ جزاءَهُ الغفرانُ

فضل به زينة الدنيا

وقال فيه أيضاً صلى الله عليه وسلم :

فَيْرُوزَجُ الصّبحِ أمْ ياقوتةُ الشّفَقِ ، بدَتْ فهَيّجتِ الوَرقاءَ في الوَرَقِ[1]
أمْ صارِمُ الشّرقِ لمّا لاحَ مُختَضِباً ، كما بَدا السّيفُ مُحمَرّاً من العلَقِ
ومالَتِ القُضبُ،إذْ مرّ النّسيمُ بها ، سَكرَى كما نُبّهَ الوَسنانُ من أرَقِ
والغَيمُ قد نُشرَتْ في الجَوّ بُردَتُه سِتراً تُمَدّ حَواشيهِ على الأُفُقِ
والسحْبُ تَبكي، وثَغرُ البرّ مُبتَسِمٌ، والطّيرُ تَسجَعُ من تيهٍ ومن شَبَقِ[2]
فالطّيرُ في طرَبٍ،والسُّحبُ في حرَبٍ، والماءُ في هرَبٍ، والغُصنُ في قَلَقِ[3]
وعارِضُ الأرضِ بالأنوارِ مُكتَمِلٌ، قد ظَلّ يشكرُ صوبَ العارِضِ الغدِقِ[4]
وكلّلَ الطّلُّ أوراقَ الغصونِ ضُحًى كما تَكَلّلَ خَدُّ الخَودِ بالعَرَقِ
وأطلَقَ الطّيرُ فيها سَجْعَ مَنطِقِه، ما بَينَ مُختَلِفٍ منهُ ومُتّفِقِ
والظّلُّ يسرقُ بينَ الدّوحِ خُطوَته ، وللمِياهِ دَبيبٌ غَيرُ مُستَرَقِ[5]
وقد بَدا الوَرْدُ مُفتَرّاً مَباسِمُهُ ، والنرجِسُ الغضُّ فيها شاخصُ الحدقِ
من أحمَرٍ ساطعٍ ، أو أخضَرٍ نَضِرٍ، أو أصفَرٍ فاقعٍ ، أو أبيَضٍ يَقَقِ

---

١ الفيروزج : حجر كريم .
٢ الشبق : اشتداد الشهوة الفاسدة .
٣ الحرب : الدعاء بالويل ، وشدة الغيظ .
٤ عارض الأرض : صفحة خدها . الأنوار : الأزهار . الصوب : المطر . العارض : السحاب . الغدق : الممطر .
٥ الدوح : الشجر الكبير .

وفاحَ مِن أرَجِ الأزهارِ مُنتَشِراً ... نَشرٌ تَعَطَّرَ منهُ كلُّ مُنتَشِقِ
كأنَّ ذِكرَ رسولِ اللهِ مرَّ بها ، ... فأكسبَتْ أرَجاً من نَشرِهِ العَبِقِ
محمّدُ المُصطفى الهادي الذي اعتصَمَتْ ... بهِ الوَرَى ، فهَداهم أوضَحَ الطّرُقِ
ومَن لهُ أخَذَ اللهُ العهودَ على ... كلِّ النّبيّينَ من بادٍ ومُلتَحِقِ
ومَن رَقي في الطِّباقِ السّبعِ مَنزِلَةً ، ... ما كانَ قَطّ إليها قبلَ ذاكَ رَقي
ومَن دَنا فتَدَلّى نَحوَ خالِقِهِ ، ... كقابِ قَوسَينِ أو أدنَى إلى العُنُقِ
ومَن يُقَصِّرُ مَدحُ المادِحينَ لـهُ ... عَجزاً ويَخرَسُ رَبُّ المَنطِقِ الذّلِقِ
ويُعوِزُ الفِكرُ فيهِ إنْ أُريدَ لَهُ ... وَصفٌ ، ويَفضُلُ مَرآهُ عن الحَدَقِ
عُلاً مَدحَ اللهُ العَلِيُّ بِها ... فقالَ إنّكَ في كلٍّ على خُلُقِ[1]
يا خاتَمَ الرُّسْلِ بَعثاً ، وهيَ أوّلُها ... فَضلاً ، وفائزُها بالسّبقِ والسّبَقِ
جمَعَتَ كلَّ نَفيسٍ من فَضائلِهمْ ، ... مِن كلِّ مُجتَمِعٍ منها ومُفترِقِ
وجاءَ في مُحكَمِ التّوراةِ ذكرُكَ والـ ... إنجيلِ والصّحُفِ الأولى على نَسَقِ
وخصّكَ اللهُ بالفَضلِ الذي شَهِدتْ ... به ، لعَمرُكَ ، في الفُرقانِ من طُرُقِ
فالخَلقُ تُقسِمُ باسمِ اللهِ مُخلِصَةً ، ... وباسمِكَ أقسَمَ رَبُّ العرشِ للصّدَقِ[2]
عَمّتْ أياديكَ كلَّ الكائناتِ ، وقد ... خُصّ الأنامُ بجُودٍ منكَ مُندَفِقِ
جُودٌ تكَفّلتَ أرزاقَ العِبادِ بهِ ، ... فنابَ فيهمْ مَنابَ العارِضِ الغَدِقِ
لو أنّ جودَكَ للطّوفانِ حينَ طمَتْ ... أمواجُهُ ما نجا (نوحٌ) من الغَرَقِ

---

١ هذا البيت مختل الوزن غامض المعنى .
٢ عجز هذا البيت مختل الوزن .

لو أنّ آدمَ في خِدرٍ خُصِصتَ بهِ ، لكانَ من شرِّ إبليسَ اللّعينِ وُقي
لو أنّ عزمكَ في نارِ الخليلِ ، وقد مسّتهُ ، لم يَنجُ منها غيرَ مُحترِقِ
لو أنّ بأسكَ في موسَى الكليمِ ، وقد نُوجي ، لمَا خرّ يومَ الطُّورِ مُنصَعِقِ
لوْ أنّ تَبّعَ في مَحلِ البلادِ دَعا للهِ باسمِكَ ، واستَسقى الحَيا لسُقي
لو آمنَتْ بكَ كلُّ النّاسِ مُخلِصةً ، لم يُخشَ في البعثِ من بخسٍ ولا رَهَقِ
لو أنّ عَبداً أطاعَ اللهَ ثمّ أتَى ببُغضِكُمْ ، كانَ عندَ اللهِ غَيرِ تَقي
لو خالَفَتكَ كُماةُ الجِنّ عاصِيةً أركَبتَهم طَبَقاً في الأرض عن طَبَقِ
لو تُودَعُ البيضُ عَزماً تَستَضيءُ به لم يُغنِ منها صِلابُ البيضِ والدَّرَقِ
لو تَجعَلُ النّقعَ يومَ الحربِ متّصِلاً باللّيلِ ، ما كَشَفَتهُ غُرّةُ الفَلَقِ
مَهّدتَ أقطارَ أرضِ اللهِ ، مُنفَتِحاً بالبِيضِ والسُّمرِ منها ، كلُّ مُنغلِقِ
فالحَربُ في لُذَذٍ ، والشّركُ في عَوَذٍ ، والدِّينُ في نَشَزٍ ، والكُفرُ في نَفَقِ[1]
فَضلٌ بهِ زينَةُ الدّنيا ، فكانَ لها كالتّاجِ للرّأسِ ، أو كالطّوقِ للعُنقِ
صَلّى عليكَ إلَهُ العَرشِ ما طلَعَتْ شمسُ النّهارِ ولاحتْ أنجمُ الغَسَقِ
وآلِكَ الغُرَرِ اللاتي بها عُرِفَتْ سُبلُ الرّشادِ فكانتْ مُهتَدى الغَرِقِ
وصحبِكَ النُّجبِ الصِّيد الذينَ جرَوا إلى المَناقِبِ من تالٍ ومُستَبِقِ
قومٌ متى أضمرَتْ نفسُ امرىءٍ طرَفاً من بُغضِهم كانَ من بعد النّعيمِ شَقي
ماذا تقولُ ، إذا رُمنا المَديحَ ، وقد شَرّفْتَنا بمَديحٍ منكَ مُتّفِقِ

---

[1] اللذذ : لعله جمع لذة . العوذ : الملجأ . النشز : المكان المرتفع . النفق : سرب في الأرض له مخرج إلى مكان معهود .

إن قلتَ في الشّعرِ حكمٌ، والبيانُ به   سِحرٌ ، فرَغبتَ فيه كلّ ذي فرَقِ
فكنتَ بالمَدحِ والإنعامِ مُبتَدِئاً ،   فلو أرَدنا جزاءَ البَعضِ لم نُطِقِ
فَلا أخُلُّ بعُذْرٍ عن مَديحِكُمُ ،   ما دامَ فِكرِيَ لم يُرتَج ولم يُعَقِ
فسوفَ أُصفيكَ مَحضَ المدحِ مجتهداً،   فالخَلقُ تَفنى ، وهذا إن فَنيتُ بقي

بكم يهتدي

وقال فيه صلى الله عليه وسلم وهو
بالمدينة الشريفة وهي لزوم ما لا يلزم :

بكُم يَهتَدي ، يا نبيّ الهُدى ،   وَليٌّ إلى حُبّكُمْ يَنتَسِبْ
به يَكسِبُ الأجرَ في بَعثِهِ ،   ويَخلُصُ من هولِ ما يكتَسبْ
وقد أمّ نَحوَكَ مُستَشفِعاً   إلى اللهِ ، ممّا إليهِ نُسِبْ
سَلِ اللهَ يَجعَلْ له مخرجاً،   ويَرزُقُه من حيثُ لا يَحتَسِبْ

عترة المختار

وقال في آله عليهم السلام :

يا عِتْرَةَ المُختارِ يا مَن بِهِم يَفوزُ عَبدٌ يَتَوَلّاهُمُ
أُعرَفُ في الحَشرِ بِحُبّي لَكُم، إذْ يُعرَفُ النّاسُ بِسيماهُمُ

أتى الله بقلب سليم

وقال فيهم عليهم السلام :

يا عِترةَ المُختارِ يا مَن بِهِمْ أرجُو نَجاتي مِن عَذابٍ أليمْ
حَديثُ حُبّي لَكُمُ سائرٌ، وسرُّ وُدّي في هَواكمْ مقيمْ
قد فُزْتُ كلَّ الفَوزِ إذْ لم يزَلْ صِراطُ دِيني بكُمُ مُستَقيمْ
فمَن أتَى اللهَ بعِرفانِكُمْ (فقَد أتَى اللهَ بقَلبٍ سَليمْ)

سر النبي

وقال يمدح أخاه وابن عمه علياً عليه السلام وقد سمع قول ابن عباس : جمعت في علي أضداد لم تجمع في بشر قط ، ثم ذكر تفصيلها :

جُمِعَتْ في صِفاتِكَ الأضدادُ ، فلهَذا عَزّتْ لكَ الأنـدادُ
زاهدٌ، حاكمٌ،حليمٌ، شُجاعٌ، ناسكٌ، فاتكٌ ، فقيرٌ ، جَوادُ
شِيَمٌ ما جُمعنَ في بَشرٍ قَطّ ، ولا حازَ مثلَهنّ العِبادُ
خُلُقٌ يُخجِلُ النّسيمَ من العَطفِ ، وبأسٌ يَذوبُ منهُ الجَمادُ
فلهَـذا تَعَمّقَتْ فيكَ أقوامٌ بأقوالهمْ ، فزانُوا وزادُوا
وغلَتْ في صِفاتِ فضلِكَ(ياسينُ) و (صادٌ) وآلُ سينٍ وصادُ
ظهرَتْ منكَ للوَرى مُعجزاتٌ ، فأقَرّتْ بفَضلِكَ الحُسّادُ
إن يكذّب بها عِداكَ فقد كَذّ بَ مِن قَبلُ قومُ لُوطٍ وعادُ
أنتَ سرُّ النبيّ ، والصّنوُ ، وابنُ الـ عَمّ ، والصّهرُ، والأخُ المُستَجادُ
لو رأى غيرَكَ النّبيُّ لآخاهُ ، وإلاّ فأخطَـأ الانتِقـادُ
بكُمْ باهَلَ النّبيُّ ولم يُلْـ فِ لَـكُمْ خامِساً سِواهُ يُزادُ[1]
كنتَ نَفساً له ، وعرسُكَ وابناك لَدَيهِ النّساءُ والأولادُ
جَلّ مَعناكَ أن يُحيطَ به الشّعرُ، وتُحصي صِفاتِهِ النُّقّادُ

---

١ باهل : لاعن ، ولعله أراد أنه لاعن أعداءه .

إنّما اللهُ عنكُمُ أذهبَ الرِّجسَ،   فرُدّتْ بغيظِها الاحتِدادُ[1]
ذاكَ مدحُ الإلهِ فيكم، فإن فُهتُ   بمَدحٍ، فذاكَ قولٌ مُعادُ

امير المؤمنين

وقال فيه عليه السلام :

أميرَ المُؤمنينَ أراكَ إمّا   ذكَرْتُكَ عند ذي حسبٍ صَغا لي
وإن كرّرتُ ذكركَ عند نَغلٍ   تكدّرَ سِرُّهُ، وبغَى قِتالي
فصِرْتُ إذا شككتُ بأصلِ مَرءٍ   ذكَرتُكَ بالجَميلِ منَ المَقالِ
فلَيسَ يُطيقُ سَمعَ ثَناكَ إلاّ   كَريمُ الأصلِ مَحمودُ الخِلالِ
فَها أنا قد خبَرتُ بكَ البَرايا،   فأنتَ مَحَكُّ أولادِ الحَلالِ

---

١ قوله: الاحتداد، هكذا في الأصل، ولعلها محرفة عن الأحقاد، والحقد الغيظ الثابت في القلب، أو عن الأحداد، الواحد حد، وهو من الإنسان بأسه وما يعتريه من الغضب .

شاهد عقل المرء

وقال فيه عليه السلام :

فوالله ِ ما اختارَ الإلـهُ مُحَـمَّـداً حَبيباً ، وبينَ العالمينَ لهُ مِثْلُ
كذلكَ ما اختارَ النّبيُّ لنَفسِهِ عَليّـاً وصيـّاً ، وهوَ لابنتَه ِ بَعلُ
وصَيّرَهُ دونَ الأنام ِ أخاً لَهُ ، وصِنواً،وفيهم مَن له دونه الفَضْلُ
وشاهِدُ عقل ِالمرء ِحُسنُ اختيارِه ، فما حالُ من يَختارُهُ اللهُ والرُّسلُ

توال علياً

وقال فيه عليه السلام :

تَوالَ عليـّاً وأبناءَهُ ، تَفُزْ في المَعادِ وأهوالِه
إمامٌ لهُ عِقدُ يوم ِ الغَديرِ ، بنَصِّ النّبيِّ وأقوالِه
لهُ في التشهّدِ بعدَ الصّلاة ِ مَقامٌ يُخَبِّرُ عَن حالِه
فهل بعدَ ذِكرِ إلهِ السّماءِ ، وذكرِ النّبيِّ سِوى آلِه

ولائي لآل المصطفى

وقال يبرىء نفسه من الغرض
المستلزم لبغض غيرهم :

وَلائي لآلِ المُصطَفى عِقدُ مَذهَبي ، وقَلبيَ مِنْ حبّ الصّحابةِ مُفعَمُ
وما أنا مِمّنْ يَستَجيزُ بحُبّهِمْ مَسَبّةَ أقوامٍ علَيهِمْ تقَدّمُوا
ولكِنّني أُعطي الفَريقَينِ حقّهم، وربّي بحالِ الأفضليّةِ أعلَمُ
فمَنْ شاءَ تَعويجي ، فإنّي مُعَوَّجٌ، ومَن شاءَ تَقويمي ، فإنّي مُقَوَّمُ

الى الفاروق

وقال يمدح صحابته رضي الله عنهم :

قيلَ لي تَعشَقُ الصّحابةَ طُرّاً ، أمْ تَفَرّدْتَ منهُمُ بفَريقِ
فوَصفتُ الجَميعَ وَصفاً إذا ضُـوّ عَ أزرى بكُلّ مِسكٍ سَحيقِ[1]
قيلَ هذي الصّفاتُ ، والكُلُّ كالدّرْ ياقِ يَشفي من كلّ داءٍ وَثيقِ[2]
فإلى مَن تَميلُ؟ قلتُ إلى الأرْ بَعِ لا سيّما إلى (الفاروقِ)

١ ضوع : نشر .
٢ الدرياق : ضرب من الأدوية .

شر عبيد الاله

وقال أيضاً وقد سأله النقيب تاج الدين الآوي نقيب نقباء الأشراف بالعراق إجابة عبد الله بن المعتز عن قصيدته البائية التي يتناقص فيها بأهل البيت عليهم السلام ويهزأ بهم بقول غير موجه وأولها :

ألا من لعين وتسكابها ، تشكى القذى وبكاها بها

ومنهـــا :

نحن ورثنا ثياب النبي فكم تجذبون بأهدابها
لكم رحم يا بني بنته ، ولكن بنو العم أولى بها

ومنهـــا :

قتلنا أمية في دارها ، ونحن أحق بأسلابهـــا
إذا ما دنوتم تلقيتم زبوناً أقرت بجلبابها[1]

فنظم ارتجالا يجيبه بيتاً فبيتاً :

ألا قُلْ لشَرّ عَبيـدِ الإلـهِ وطاغي قُرَيشٍ وكَذّابِها
وباغي العِبادِ وباغي العِنادِ ، وهاجي الكِرامِ ومُغتابِها
أأنتَ تُفاخِرُ آلَ النّبيّ وتَجحَدُها فَضلَ أحسابِها
بِكُمْ باهلَ المُصطفَى أمْ بهمْ فرَدَّ العُـداةَ بأوصابِها
أعَنكُمْ نَفَى الرِّجسَ أم عَنهمُ لطُهرِ النّفوسِ وألبابِها

[1] الحرب الزبون : الحرب الشديدة

أما الرِّجسُ والخَمرُ من دابِكم، وفرطُ العِبادَةِ مِن دابِها
وقلتَ ورِثنا ثيابَ النّبيّ ، فكَمْ تَجذِبونَ بأهدابِها
وعندَكَ لا يُورِثُ الأنبياءُ ، فكَيفَ حَظيتُمْ بأثوابِها
فكَذّبتَ نَفسَكَ في الحالتَينِ ، ولم تَعلَمِ الشّهدَ مِن صابِها
أجَــدُّكَ يَرضَى بما قُلتَهُ ، وما كانَ يَوماً بمرتابِها
وكانَ بصِفّينَ من حِزبِهِمْ ، لحَربِ الطّغاةِ وأحزابِها
وقد شَمّرَ الموتُ عن ساقِهِ ، وكَشّرَتِ الحَربُ عن نابِها
فأقبَلَ يَدعو إلى حَيــدَرٍ ، بإرغابِهــا وبإرهــابِها[1]
وآثَرَ أن تَرتَضيهِ الأنــامُ مِنَ الحكمينِ لأسبابِها
ليُعطي الخِلافَــةَ أهلاً لها ، فلَمْ يَرتَضوهُ لإيجابِها
وصلّى معَ النّاسِ طولَ الحَياةِ ، وحيدَرُ في صَدرِ مِحرابِها
فهَلاّ تَقَمّصَها جَدُّكم ، إذا كان ، إذْ ذاكَ ، أحرَى بِها
لِذا جُعِلَ الأمرُ شُورَى لهم ، فهل كانَ من بَعضِ أربابِها
أخامِسَهُمْ كانَ أمْ سادِساً ، وقد جُلِيَتْ بينَ خُطّابِها
وقولُكَ أنتُمْ بَنو بِنتِــهِ (ولكن بَنو العَمّ أولى بِها)
بَنو البنتِ أيضاً بَنو عَمّهِ ، وذلِــكَ أدنَى لأنسابِها
فدَعْ في الخلافةِ فَصلَ الخِلافِ ، فلَيستْ ذَلُــولاً لرُكّابِها
وما أنتَ والفَحصَ عن شانِها ، ومــا قَمّصوكَ بأثوابِها

---

١ حيدر : اسم الإمام علي .

وما ساوَرَتكَ سوى ساعَةٍ ، فَما كنتَ أهلاً لأسبابِها
وكيفَ يخصّوكَ يوماً بِها ولَمْ تتأدّبْ بآدابِها[1]
وقلتَ بأنّكُمُ القاتِلونَ أُسودَ أُميّةَ في غابِها
كذَبتَ وأسرَفتَ فيما ادّعَيتَ ، ولم تَنهَ نَفسَكَ عن عابِها
فكَم حاوَلَتها سَراةٌ لَكُمْ ، فرُدّتْ على نَكصِ أعتابِها
ولولا سيوفُ (أبي مُسلمٍ) لعَزّتْ على جُهدِ طُلاّبِها
وذلكَ عَبدٌ لهمْ لا لَكُمْ ، رَعَى فيكُمُ قُربَ أنسابِها
وكنتُم أسارى ببَطنِ الحُبوسِ ، وقد شَفّكُم لَثمُ أعقابِها
فأخرَجَكُمْ وحَباكُمْ بِها وقَمّصَكُم فَضلَ جِلبابِها
فجازَيتُموهُ بِشَرِّ الجزاءِ ، لطَغوى النّفوسِ وإعجابِها
فدَعْ ذكرَ قومٍ رَضوا بالكَفافِ ، وجاؤوا الخِلافَةَ مِن بابِها
همُ الزّاهدونَ ، همُ العابدونَ ، هُمُ السّاجدونَ بمِحرابِها
هُمُ الصّائمون ، هُمُ القائمون ، هُمُ العالمون بآدابِها
همُ قُطبُ مِلّة دِينِ الإلَهِ ، ودَورُ الرّحَى حولَ أقطابِها
عليكَ بلَهْوِكَ بالغانياتِ ، وخَلِّ المَعالي لأصحابِها
ووَصْفِ العِذارِ وذاتِ الخِمارِ ، ونَعتِ العُقارِ بألقابِها
وشِعرُكَ في مَدحِ تَركِ الصّلاةِ ، وسَعيِ السُّقاةِ بأكوابِها
فذلكَ شأنُكَ لا شأنُهُمْ ، وجَرْيُ الجِيادِ بأحسابِها

1 قوله : يخصوك ، هكذا في الأصل ، والوجه : يخصونك .

تعب المكارم راحة

يمدح السلطان الملك الناصر ناصر الدين محمد بن قلاون بمصر عند قدومه إليها من الحجاز وقد اقترح عليه أرباب الدولة معارضة قصيدة المتنبي :

أسبَلْنَ من فَوقِ النّهودِ ذَوائبا ، فجَعَلْنَ حبّاتِ القُلوبِ ذَوائبَا
وجَلَوْنَ من صُبحِ الوُجوهِ أشِعّةً ، غادَرْنَ فَوْدَ اللّيلِ منها شائبَا
بيضٌ دَعاهنّ الغبيُّ كَواعِبا ، ولوِ استَبانَ الرّشدَ قالَ كواكبَا
ورَبائبٌ ، فإذا رأيتَ نِفارَها مِن بَسطِ أُنسك خِلتهنّ رَبارِبَا[1]
سَفَهاً رأينَ المانَويّةَ عِنْـدَما أسبَلْنَ من ظُلَمِ الشّعورِ غَياهِبَا[2]
وسَفَرْنَ لي فرَأينَ شَخصاً حاضراً ، شُدِهتْ بَصيرَتُه ، وقَلباً غائبَا[3]
أشرَقنَ في حُلَلٍ كأنّ وميضَها شَفَقٌ تَدَرّعُهُ الشّموسُ جَلابِبَا
وغَرَبْنَ في كِلَلٍ ، فقُلتُ لصاحبي : بأبي الشّموسَ الجانحاتِ غَوارِبَا
ومُعَربِدِ اللّحَظاتِ يَثني عِطفَهُ ، فيُخالُ مِن مَرَحِ الشّبيبَةِ شارِبَا
حُلوِ التّعَتّبِ والدّلالِ يَروعُهُ عَتبي ، ولَستُ أراهُ إلاّ عاتِبَا

---

١ الربائب ، الواحدة ربيبة : بنت الزوجة، امرأة الرجل إذا كان له ولد من غيرها . الربارب ، الواحد ربرب : القطيع من بقر الوحش .
٢ السفه : الجهل . المانوية : دين فارسي قديم ، يعتقد بإلهين إله الظلمة وإله النور . الغياهب : الظلمات ، الواحد غيهب .
٣ شدهت : دهشت .

عاتَبْتُهُ ، فتَضرّجَتْ وجَناتُهُ ، وازورّ ألحاظاً وقَطّبَ حاجِبَا
فأذابَني الخَدُّ الكَليمُ وطَرفُه ذو النّون، إذْ ذهبَ الغَداةَ مُغاضِبَا
ذو مَنظَرٍ تَغدو القلوبُ لحُسنِهِ نَهباً ، وإنْ منَحَ العُيونَ مَواهِبَا
لا بِدعَ إن وَهبَ النّواظرَ حُظوَةً مِن نُورِهِ ، ودَعاهُ قلبي ناهِبَا
فمَواهبُ السّلطانِ قد كَست الوَرَى نِعَماً ، وتَدعوهُ القَساوِرُ سالِبَا[1]
النّاصرُ المَلِكُ الذي خضَعتْ لهُ صِيدُ المُلوكِ مَشارِقاً ومَغارِبَا
ملكٌ يرَى تعَبَ المَكارِمِ راحَةً ، ويَعُدُّ راحاتِ الفَراغِ مَتاعِبَا
بمَكارِمٍ تَذَرُ السّباسبَ أبحُراً ؛ وعَزائِمٍ تَذَرُ البحارَ سَباسِبَا
لم تَخلُ أرضٌ من ثَناهُ ، وإن خلَتْ من ذِكرِهِ مُلِئَتْ قَناً وقَواضِبَا
تُرجَى مَواهِبُهُ ويُرهَبُ بَطشُهُ ، مثلَ الزّمانِ مُسالماً ومُحارِبَا
فإذا سَطا ملأَ القُلوبَ مَهابَةً ، وإذا سَخا ملأَ العُيونَ مَواهِبَا
كالغَيثِ يَبعَثُ مِن عَطاهُ وابِلاً سَبْطاً ، ويُرسلُ من سَطاه حاصِبَا[2]
كاللّيثِ يَحمي غابَهُ بزَئيرِهِ ، طَوراً ، ويُنشِبُ في القَنيصِ مَخالبَا
كالسّيفِ يُبدي للنّواظرِ مَنظَراً طَلْقاً ، ويُمضي في الهِياجِ مَضارِبَا
كالسّيلِ يُحمَدُ منهُ عَذباً واصلاً ، ويَعُدُّهُ قومٌ عَذاباً واصِبَا[3]
كالبَحرِ يُهدي للنّفوسِ نَفائِساً منهُ ، ويُبدي للعيونِ عَجائِبَا

---

١ القساور : الأبطال .
٢ السبط : السهل ، المسترسل . سطاه : سطوته . الحاصب : الريح تحمل الحصى .
٣ الواصب : الممرض .

فإذا نَظَرتَ نَدى يَدَيهِ ورأيَهُ لمْ تُلفِ إلاّ صائِباً أو صائِبَا[1]
أبقَى قَلاوونُ الفَخارَ لوُلدِهِ إرثاً ، وفازوا بالثّناءِ مَكاسِبَا
قومٌ ، إذا سئِموا الصَّوافنَ صيّروا للمَجدِ أخطارَ الأمورِ مَراكِبَا
عَشِقوا الحُروبَ تيَمّناً بلِقَى العِدى ، فكأنّهُمْ حَسِبُوا العُداةَ حَبائِبَا
وكأنّما ظَنّوا السّيوفَ سَوالِفاً ، واللُّدنَ قَدّاً ، وللقِسيِّ حَواجِبَا
يا أيّها المَلكُ العَزيزُ ، ومَن لَهُ شرَفٌ يَجُرُّ على النّجومِ ذَوائِبَا
أصلَحتَ بَينَ المُسلمينَ بهمّةٍ تَذَرُ الأجانبَ بالوِدادِ أقارِبَا
ووهَبتَهم زَمَنَ الأمانِ ، فمَن رأى مَلِكاً يكونُ لهُ الزّمانُ مَواهِبَا
فرأوا خِطاباً كانَ خَطباً فادِحاً لهمُ ، وكُتْباً كُنّ قبلُ كَتائِبَا
وحرَستَ مُلكَكَ من رَجيمٍ ماردٍ بعَزائمٍ إنْ صُلتَ كنّ قَواضِبَا
حتّى إذا خَطِفَ المكافحُ خَطفَةً ، أتبَعتَهُ منها شِهاباً ثاقِبَا
لا يَنفَعُ التّجريبُ خَصمَكَ بعدَما أفنَيتَ مَن أفنى الزّمانَ تَجارِبَا
صرّمتَ شَملَ المارقين بصارِمٍ ، تُبديهِ مَسلوباً فيَرجِعُ سالِبَا
صافي الفِرِنْدِ حكَى صَباحاً جامِداً ، أبدَى النّجيعَ بهِ شُعاعاً ذائِبَا
وكتيبَةٍ تَذَرُ الصّهيلَ رَواعِداً ، والبِيضَ بَرقاً ، والعَجاجَ سَحائِبَا
حتّى إذا ريحُ الجِلادِ حَدَتْ لها مَطَرَتْ فكانَ الوَبلُ نَبلاً صائِبَا
بذَوائِبٍ مُلدٍ يُخَلنَ أراقِماً ، وشَوائِلٍ جُردٍ يُخَلنَ عَقارِبَا[2]

---

١ الصائب الأولى : الممطر . الثانية : السديد ، المصيب .
٢ الشوائل : الخيول التي ترفع أذنابها .

تطأ الصّدورَ منَ الصّدورِ كأنّما ... تعتاضُ من وَطْءِ التّرابِ ترائبا
فأقمتَ تقسِمُ للوُحوشِ وظائفاً ... فيها ، وتَصنعُ للنّسورِ مآدبا
وجعلتَ هاماتِ الكُماةِ منابراً ، ... وأقمتَ حدّ السّيفِ فيها خاطبا
يا راكبَ الخطَرِ الجليلِ وقولُهُ ... فخراً بمجدِكَ ، لا عدمتَ الرّاكبا
صيّرتَ أسحارَ السّماحِ بواكراً ، ... وجعلتَ أيّامَ الكِفاحِ غياهبا
وبذلتَ للمُدّاحِ صفوَ خلائقٍ ، ... لو أنّها للبحرِ طابَ مشاربا
فرأوْكَ في جنبِ النُّضارِ مُفرِّطاً . ... وعلى صلاتِكَ والصّلاةِ مُواظبا
إنْ يحرُسِ النّاسُ النُّضارَ بحاجبٍ ... كانَ السّماحُ لعينِ مالِكَ حاجبا
لم يملأوا فيكَ البُيوتَ غرائباً ، ... إلاّ وقد ملأوا البيوتَ رغائبا
أوليتَني ، قبلَ المديحِ ، عِنايةً ، ... وملأتَ عيني هَيبَــةً ومواهبا
ورفعتَ قدري في الأنامِ ، وقد رأوا ... مِثلي لمثلِكَ خاطباً ومُخاطبا
في مجلسٍ ساوى الخلائقَ في النّدى . ... وترتّبتْ فيــهِ المُلوكُ مراتبا
وافيتُهُ في الفُلكِ أسعى جالساً ، ... فخراً على مَن جاءَ يمشي راكبا
فأقمتُ أُنفِذُ في الزّمانِ أوامراً ... منّي ، وأنشبُ في الخطوبِ مخالبا
وسقَتني الدّنيا غداةَ أتيتُهُ ... ريّاً ، وما مطرَتْ عليّ مصائبا
فطفِقتُ أملأُ من ثناكَ ونشرِهِ ... حِقَباً ، وأملأُ من نداكَ حقائبا
أُثني فتَثنيني صِفاتُكَ مُظهِراً ... عِيّاً ، وكم أعيَتْ صِفاتُك خاطبا
لو أنّ أغصاناً جميعاً ألسُنٌ ... تُثني عليكَ لمَا قضَينَ الواجبا

ملك تعبدت الملوك لأمره

وقال يمدحه خلد الله ملكه
عندما كسر الخليج :

خَلَعَ الرّبيعُ على غُصونِ البَـانِ حُلَلاً ، فواضِلُها على الكُثبانِ
ونَمَتْ فروعُ الدَّوحِ حتى صافحَتْ كفَلَ الكثيبِ ذوائبُ الأغصانِ
وتتَوّجتْ هامُ الغُصونِ وضَرّجتْ خدَّ الرّياضِ شقائقُ النُّعمانِ
وتنوّعتْ بُسطُ الرّياضِ ، فزَهرُها متَباينُ الأشكالِ والألوانِ
مِن أبيَضٍ يقَقٍ وأصفرَ فاقِـعٍ ، أو أزرَقٍ صافٍ ، وأحمرَ قاني
والظّلُّ يَسرِقُ في الخَمائلِ خَطوَهُ ، والغُصنُ يَخطِرُ خِطرَةَ النَّشوانِ
وكأنّما الأغصانُ سُوقُ رَواقِصٍ قَد قُيِّدَتْ بسَلاسِلِ الرَّيحانِ
والشّمسُ تَنظرُ من خِلالِ فُروعِها، نحوَ الحَدائقِ نِظرَةَ الغَيرانِ
والطّلعُ في خَلَلِ الكِمامِ كأنّهُ حُلَلٌ تَفَتّقُ عن نُحورِ غَوانِ
والأرضُ تَعجبُ كيفَ تضحكُ والحيا يَبكي بدَمعٍ دائمِ الهَمَـلانِ
حتى إذا افترّتْ مَباسِمُ زَهرِها ، وبَكى السّحابُ بمَدمَعٍ هتّانِ
ظَلّتْ حَدائِقُهُ تُعاتِبُ جَونَهُ ، فأجابَ مُعتَذِراً بغَيرِ لِسانِ
طفَحَ السّرورُ عليّ حتى إنّـهُ مِن عِظمِ ما قَد سَرّني أبكاني
فاصرِفْ همومَكَ بالرّبيعِ وفَصلِهِ ، إنّ الرّبيعَ هوَ الشّبابُ الثّاني
إنّي ، وقد صفَتِ المِياهُ وزُخرِفَتْ جنّاتُ مِصرَ وأشرَقَ الهَرَمانِ

واخضَرّ واديها وحَدّقَ زَهرُهُ ، والنِّيلُ فيهِ كَكَوثَرٍ بجِنانِ
وبهِ الجَواري المُنشآتُ كأنّها أعلامُ بِيدٍ ، أو فُروعُ قِنانِ[1]
نَهَضتْ بأجنحةِ القلوعِ كأنّها عندَ المَسيرِ تَهُمُّ بالطّيَرانِ
والماءُ يُسرِعُ في التّدَفّقِ كلّما عَجِلَتْ علَيهِ يدُ النّسيمِ الواني
طَوراً كأسنِمَةِ القِلاصِ، وتارَةً مُتَفَتِّلٌ كأكارِعِ الغِزلانِ[2]
حتى إذا كُسِرَ الخَليجُ ، وقُسّمَتْ أمواهُ لُجّتِهِ على الخُلجانِ
ساوَى البلادَ كما تُساوي في النّدى بينَ الأنامِ مَواهبُ السّلطانِ
النّاصرُ المَلِكُ الذي في عَصرِهِ شكرَ الظِّباءُ صنيعَةَ السِّرحانِ
ملكٌ ، إذا اكتحَلَ الملوكُ بنُورِهِ خَرّوا لهيبَتِهِ إلى الأذقانِ
وإذا جرَى بينَ الوَرَى ذكرُ اسمِهِ ، تُغنيهِ شُهرَتُهُ عن ابنِ فُلانِ
من مَعشَرٍ خزَنوا الثّناءَ وقطّعوا بغِنا النُّضارِ جَوائزَ الخُزّانِ
قومٌ يَرونَ المَنّ عندَ عَطائِهِمْ شِرْكاً بوَصفِ الواحِدِ المَنّانِ
المُوقدُو تحتَ المَراجلِ للقِرى فضَلاتِ ما حَطَمُوا مِنَ المُرّانِ
إنْ أخرَسَتْ فِلَذُ العَقيرِ كلابَهمْ دَعَوُا الضّيوفَ بألسُنِ النّيرانِ
أُسْدٌ رَوَتْ يومَ الهِياجِ أكفُّهُمْ بدَمِ الأُسودِ ثَعالِبَ الخِرصانِ[3]
قَصَفوا القَنا في صَدرِ كُلّ مُدرَّعٍ ، والبِيضَ في الأبدانِ والأبدانِ[4]

---

١ الجواري : السفن . القنان : أعالي الجبال .
٢ الأسنمة ، الواحد سنام : الحدبة في ظهر البعير . القلاص : النياق .
٣ الخرصان ، الواحد خرص : الرماح القصيرة .
٤ الأبدان : الدروع . والأبدان : الجسوم .

قـد عزَّ دِينُ مُحمّدٍ بسميّهِ ،   وسَما بنُصرَتِهِ على الأديانِ
مَلِكٌ تَعبّدَتِ المُلوكُ لأمرِه ،   وكذاكَ دولَةُ كلِّ رَبِّ قِرانِ
وافَى ، وقد عادَ السّماحُ وأهلُهُ   رِمَماً ، فكانَ لَهُ المَسيحَ الثّاني
فالطّيرُ تَلجَأُ بالحُصونِ لأنّها   بِنداهُ لم تأمَنْ مِنَ الطّوفانِ
لا عَيبَ في نُعماهُ إلاّ أنّها   يَسلُو الغَريبُ بها عنِ الأوطانِ
شاهَدتُهُ ، فشَهِدتُ لُقمانَ الحِجى ،   ونظرتُ كِسرى العَدلِ في الإيوانِ
ورأيتُ منهُ سَماحَةً وفَصاحةً   أعدَى بفَيضِهِما يَدي ولِساني
يا ذا الذي شغَلَ الزّمانَ بنَفسِهِ ،   فأصَمَّ سَمعَ طَوارِقِ الحِدثانِ
لو يُكتَبُ اسمُكَ بالصّوارِمِ والقَنا   أغنَى عنِ التّضرابِ والتّطعانِ
وكتيبَةٍ ضرَبَ العَجاجُ رِواقَها   من فَوقِ أعمِدَةِ القَنا المُرّانِ
نَسَجَ الغُبارُ على الجِيادِ مَدارِعاً   مَوصولَةً بمَدارِعِ الفُرسانِ
ودَمٍ بأذيالِ الدروعِ كأنّهُ ،   حَولَ الغَديرِ ، شَقائِقُ النّعمانِ
حتّى إذا استَعَرَ الوَغَى وتتَبّعَتْ   بِيضُ الصِّفاحِ مَكامِنَ الأضغانِ[1]
فعَلَتْ دروعُكَ عندَها بسيوفِهِمْ ،   فِعلَ السّرابِ بمُهجَةِ الظّمآنِ
وبرَزْتَ تَلفِظُكَ الصّفوفُ إلَيهِمُ   لَفظَ الزّنادِ سَواطِعَ النّيرانِ
بأقَبَّ يَعصي الكَفَّ ثمّ يُطيعُهُ ،   فتَراهُ بَينَ تَسرّعٍ وتَوانِ[2]
قد أكسَبَتْهُ رِياضَةً سُوّاسُهُ ،   فتكادُ تَركُضُهُ بغَيرِ عِنانِ

١ مكامن الأضغان : القلوب حيث تكمن الأحقاد .
٢ الاقب : الفرس الضامر البطن .

كالصّقرِ في الطّيَرانِ ، والطّاووسِ في الـ ... خَطَرانِ ، والخطّافِ في الرَّوَغانِ
يَرنو إلى حُبُكِ السّماءِ توَهّماً ... أنّ المَجرّةَ حَلبَةُ الميدانِ
لو قيلَ عُجْ نحوَ السّماءِ مُبادِراً ... وَطِئَتْ يَداهُ دوابِرَ الدّبَرانِ[1]
أو قيلَ جُزْ فوقَ الصّراطِ مُسارِعاً ... لمَشَى عليهِ مِشيَةَ السّرَطانِ
وفَلَلْتَ حَدَّ جُموعِهِمْ بصَوارِمٍ ، ... ككَراكَ ، نافرَةٍ عن الأجفانِ
ضلّتْ فظَنّتْ في مُقارعَةِ العِدى ... أنّ الغُمودَ مَعاقِدُ التّيجانِ
صَيّرْتَ هاماتِ الكُماةِ صَوامِعاً ، ... وكواسرَ العِقبانِ كالرّهبانِ
يا ذا الذي خَطَبَ المَديحَ سَماحُهُ ، ... فنَداهُ قَبلَ نِدايَ قَد لبّاني
أقصَيتَني بالجُودِ ثمّ دَعَوتَني ، ... فنَداكَ أبعَدَني ، وإنْ أدناني
ضاعَفتَ بِرّكَ لي ، ولو لم تُولِني ... إلاّ القَبولَ عَطيّةً لكَفاني
فنأيتُ عَنكَ ، ولَستُ أوّلَ حازِمٍ ... خافَ النّزولَ بمَهبِطِ الطّوفانِ
عِلمي بصَرْفِ الدّهرِ أخلَى مَعهَدي ... منّي ، وصَرّفَ في البلادِ عِناني
ولربّما طَلَبَ الحَريصُ زيادَةً ، ... فغَدَتْ مُؤدّيَةً إلى النّقصانِ
فلَئِنْ رَحَلتُ ، فقد تَرَكتُ بَدائِعاً ... غَصَبَتْ فُصولَ الحُكمِ من لُقمانِ
وخَريدَةً هيَ في الجَمالِ فريدَةٌ ، ... فهيَ الغَريبَةُ وهيَ في الأوطانِ
مُعتادَةً تَهَبُ الجَليلَ صَداقَها ، ... فَخراً على الأكفاءِ والأقرانِ
لا عَيبَ فيها ، وهوَ شاهدُ حُسنِها ، ... إلاّ تَبَرّجَها بكلّ مَكانِ

---

١ الدبران : منزل للقمر وهو مشتمل على خمسة كواكب في برج الثور .

قلّتْ ، وإنْ حلّتْ صَنائِعَ لَفظِها لكُم ، وإنْ نَطَقتْ بسِحرِ بَيانِ
فجَميلُ صُنعِكُمُ أجَلُّ صَنائِعاً ، وبَديعُ فَضلِكُمُ أدَقُّ مَعانِ

يزحزح شهاباً

وقال بديهاً وقد لعب بالكرة في
ميدان مصر وضمنها تشبيه خمسة بخمسة
طياً ونشراً كما ترى :

مَلِكٌ يُرَوِّضُ فوقَ طِرْفٍ قارعٍ كُرَةً بجَوكانٍ حكاهُ ضَبابَا[1]
فكأنّ بَدراً ، في سَماهُ ، راكِباً بَرقاً ، يُزَحزِحُ بالهِلالِ شِهابَا

عبد العزيز

وقال بديهاً فيه :

أيّهذا العَزيزُ قد صَحّ رِقّي لكَ من مَوقعِ اسميَ المَرموزِ
أنا من يومِ مولدي لكَ عَبدٌ ، ولهذا دُعيتُ عَبدَ العَزيزِ

١ جوكان : لعله ضرب من الصوالجة تقرع به الكرات .

احسن كل الناس

وقال فيه وقد أسمعه كاتب سره القاضي علاء الدين بن الأثير بيتين في صناعة التجنيس اللفظي انهما لا يكاد يتهيأ مثلهما وهما :

أحسن كل الناس وجهاً وفماً ، إن لم يكن أحق بالحسن فمن
حكى الغزال مقلة ولفتة ، من ذا رآه مقبلا ولا افتتن

ملك فاق الملوك

فنظم في ذلك قصيدة ومدح بها السلطان وهي :

كَم قد أفَضنا من دموعٍ ودَماً على رُسومٍ للدّيارِ ودِمَنْ
وكَم قضَينا للبُكاءِ مَنسِكاً ، لمّا تَذَكّرْنا بهِنّ مَن سكَنْ
مَعاهِداً تُحدِثُ للصّبرِ فَناً ، إنْ ناحتِ الوُرقُ بها على فَنَنْ
تَذكارُها أحدَثَ في الحَلقِ شَجاً، وفي الحَشا قَرحاً وفي القلبِ شَجَنْ
للهِ أيّامٌ لَنا على مِنًى ، فكَمْ لها عندي أيادٍ ومِنَنْ
كمَ كانَ فيها مِن فَتاةٍ وفتًى ، كلٌ لقَلبِ المُستَهامِ قَد فتَنْ

شَرِبتُ فيها لَذّةَ العَيشِ حَساً ، وما رأيتُ بعدَها مرأى حَسَن[1]

فَما ارتكَبنا بالوِصالِ مأثَماً ، بَل بِعتُهمْ رُوحي بغيرِ ما ثَمَنْ

وعاذِلٍ أضمرَ مَكراً ودَهاً ، فنَمّقَ الغِشَّ بنُصحٍ ودَهَنْ

لاحٍ غَدا يَعرِفُ للقَلبِ لَحاً ، إن أعرَبَ القَولَ بعذلي أو لَحَن[2]

يَزيدُني بالزّجرِ وَجداً وأسًى ، إن كانَ ماءُ الودّ منهُ قد أسَنْ

سَئمتُ منهُ اللّومَ ، إذ طالَ مدًى ، فلَم أُجِبهُ بَل بَدَوتُ إذْ مَدَن[3]

بجَسرَةٍ تَشتَدُّ في السّرّ قِرًى ، إذْ لم تُذَلَّلْ بزِمامٍ وقَرَن[4]

لا تَتَشَكّى نَصَباً ولا وَجًى ، إذا دَجا الليلُ على الرّكبِ وجَنّ

كم سبَقَتْ إلى المِياهِ مِن قَطاً ، فأورَدَتْ باللّيلِ ، وهوَ في قَطَن[5]

حثّتْ فأعطتْ في السُّرى خيرَ عطاً إنْ حَنّ يوماً غَيرُها إلى عَطَنْ

وأصبَحتْ من بَعدِ أينٍ وعَياً ، للمَلِكِ النّاصِرِ ضَيفاً وعَيَن[6]

مَلْكٌ غَدا لسائِرِ النّاسِ أباً ، إن سارَ في كَسبِ الثّناءِ ، أو أبَن[7]

النّاصِرُ المَلْكُ الذي فاضَ جَداً ، فخِلتُهُ ذا يَزَنٍ أو ذا جَدَن[8]

مَلْكٌ عَلا جَدّاً وقَدراً وسَناً ، فَجاءَ في طُرقِ العُلى على سَنَنْ

---

١ الحسا : طعام من الدقيق والماء ، وما نحسوه ، نشربه .

٢ لحا ، مسهل لحاء مصدر لاحاه : نازعه .

٣ أراد بمدن : سكن المدن .

٤ القرن : الحبل .

٥ قوله قطن : لعله اسم مكان .

٦ العين : الجماعة .

٧ الابن : ضد الثناء .

٨ ذو يزن وذو جدن : من التبابعة ملوك اليمن .

لا جَورَ في بِلادِهِ ، ولا عِداً ، إن عُدّ في العَدلِ زبيدٌ وعَدَنْ

كم بِدَرٍ أعطَى الوُفودَ وَلُهًى ، وكانَ يُرضيهِم كَفافاً ولُهَنْ[1]

جَنَيتُ من إنعامِهِ خيرَ جَنًى ، وكنتُ من قبلُ كَمَيتٍ في جَنَنْ

فَما شَكَيتُ في حِماهُ لَغَباً ، ولو أطاقَ الدّهرُ غَبْني لَغَبَنْ

دعَوتُه بالمَدحِ عن صِدقٍ ولاً ، فلَم يُجبْ يوماً بلَم ، ولا ، ولَنْ

أنظِمُ في كلّ صَباحٍ ومَساً ، كأنّهُ لصارِمِ الدّهرِ مِسَنّ

يا مَلِكاً فاقَ المُلوكَ وَرَعاً ، إن شانَ أهلَ المُلكِ طيشٌ ورَعَنْ

أكسبتَني بالقُربِ مَجداً وعُلاً ، فصُغتُ فيكَ المَدحَ سرّاً وعلَنْ

إنْ أولِكَ المَدحَ الجَميلَ فَحَراً ، وإن كَبَا فكرُ سِوايَ أو حَرَنْ

لا زِلتَ في مُلكِكَ خِلواً من عَناً ، وليسَ للهَمّ لدَيكَ مِن عَنَنْ

ونِلْتَ فيهِ ما تَرومُ من مِنًى ، وعِشتَ في عِزٍّ وبأسٍ ومِنَنْ

---

١ اللهى : أفضل العطايا ، الواحدة لهية . اللهن ، الواحدة لهنة : ما يهديه المسافر عند قدومه من سفره .

يا أيها الملك المنصور

قال يمدح السلطان الملك المنصور نجم الدين أبا الفتح غازي بن ارتق طاب مثواه سنة إحدى وسبعمائة ويصف فيها ديواناً نظمه فيه على حروف المعجم وهو تسع وعشرون قصيدة تسمى المحبوكات :

إنْ لم أزُرْ رَبعَكم سَعياً على الحَدَقِ ، فإنّ وُدّيَ مَنسوبٌ إلى المَلَقِ
تَبّتْ يَدي إنْ ثَنَتني عن زِيارَتِكمْ بيضُ الصِّفاحِ ،ولو سُدّتْ بها طُرُقي
يا جيرَةَ الحَيّ هَلاّ عادَ وصلُكُمُ لمُدنَفٍ من خُمارِ الوَجدِ لم يُفِقِ
لا تُنكِرُوا فرَقي من بَعدِ بُعدِكُمُ ، إنّ الفِراقَ لمُشتَقٌّ منَ الفَرَقِ
للهِ لَيلَتُنا بالقَصرِ كمْ قَصُرَتْ ، فظَلْتُ مُصطبحاً في زِيّ مُغتَبِقِ
وباتَ بَدرُ الدُّجَى فيها يُسامرُني ، مُنادِماً فيَزينُ الخَلقَ بالخُلُقِ
فكَمْ خرَقنا حِجاباً للعِتابِ بها ، وللعَفافِ حِجابٌ غيرُ مُنخَرِقِ
والصّبحُ قد أخلقَتْ ثوبَ الدّجى يدُه ، ولَيتَهُ جادَ للعُشّاقِ بالخَلَقِ
أبلى الظّلامَ وماذا لو يَجودُ بهِ على جُفونٍ لطيبِ الغُمضِ لم تَذُقِ
ما أحسنَ الصّبحَ لولا قُبحُ سرعَتِهِ ، وأعذَبَ اللّيلَ لولا كَثرَةُ الأرَقِ
هَبّ النّسيمُ عِراقِيّاً ، فشَوّقَني ، وطالمَا هَبّ نَجدِيّاً فلَم يَشُقِ
فَما تَنَفّستُ ، والأرواحُ سارِيَةٌ ، إلاّ اشتكَتْ نَسَماتُ الرّيحِ منحُرَقي
ذَرْ أيّها الصّبُّ تَذكارَ الدّيارِ ، إذا مُتّعتَ فيها بعَيشٍ غيرِ مُتّسِقِ

فكَم ضَممتَ وِشاحاً في الظّلام ِ بها ... ما زادَ قلبَكَ إلاّ كثرَةَ القَلَقِ
فَخَلّ تَذكارَ زَوراءِ العِراقِ ، إذا ... جاءَتْ نَسيمُ الصَّبَا بالمَندَلِ العَبِقِ
فهذِهِ شُهُبُ الشّهباءِ ساطِعَةٌ ، ... وهذِهِ نَسمَةُ الفِردَوسِ ، فانتشِقِ
فتلكَ أفلاكُ سَعدٍ لا يَلوذُ بها ... مِن مارِدٍ لخَفيِّ السّمعِ مُستَرِقِ
سَماءُ مَجدٍ بَدا فيها ، فزَيّنَها ... نَجمٌ تَخرُّ لدَيهِ أنجُمُ الأُفُقِ
مَلْكٌ غَدا الجودُ جُزءاً من أنامِلِه ، ... فلو تكَلّفَ تَركَ الجودِ لم يُطِقِ
أعادَ ليلَ الوَرى صُبحاً ،وكم رَكضَتْ ... جِيادُه ، فأرَتنا الصّبحَ كالغَسَقِ
مُشتَّتُ العَزمِ والأموالِ ما تركَتْ ... يَداهُ للمالِ شَملاً غيرَ مُفترِقِ
إذا رأى مالَهُ قالَتْ خزائِنُهُ : ... أفديكَ من وَلَدٍ بالثُّكلِ مُلتَحِقِ
لولا أبو الفَتحِ نجمُ الدّينِ ما فُتحتْ ... أبوابُ رِزقٍ علَيها اللّومُ كالغَلَقِ
مَلْكٌ بهِ اكتَسَتِ الأيّامُ ثَوبَ بَهاً ... مثلَ اكتساءِ غُصونِ البانِ بالوَرَقِ
تَهوَي الحروبُ مَواضيهِ ،فإن ذُكرتْ ... حنّتْ ، فلَم تَرَ منها غَيرَ مَندَلِقِ
حتى إذا جُرّدَتْ في الرَّوعِ أغمَدَها ... في كلّ سابغَةٍ مَسرودَةِ الحَلَقِ[1]
يا أيّها المَلكُ المَنصورُ طائِرُهُ ، ... ومَنْ أياديهِ كالأطواقِ في عُنُقي[2]
أحيَيتَ بالجُودِ آثارَ الكِرامِ ، وقد ... كانَ النّدَى بعدَهم في آخرِ الرّمَقِ
لو أشبَهَتكَ بحارُ الأرضِ في كَرَمٍ ، ... لأصبحَ الدُّرُّ مَطروحاً على الطّرُقِ
لو أشبَهَ الغَيثُ جُوداً منكَ مُنهَمِراً ... لم يَنجُ في الأرضِ مَخلوقٌ من الغرَقِ

١ السابغة : الدرع . المسرودة : المنظومة .
٢ أياديه : نعمة ، الواحدة يد .

كم قد أبَدتَ من الأعداءِ مِن فِئَةٍ   تحتَ العَجاجِ ،وكم فرّقتَ من فِرَقِ
رَوَيتَ يومَ لِقاهم كلَّ ذي ظَمَإٍ   في الحربِ حتى حِلالَ الخيلِ بالعرَقِ
ويومَ وقعَةِ عُبّادِ الصّليبِ ، وقد   أركَبتَهم طَبَقاً في البيدِ عَن طَبَقِ
مزّقتَ بالمَوصِلِ الحَدباءِ شَملَهمُ   في مأزِقٍ بوَميضِ البِيضِ مُمتزِقِ
بكلّ أبيَضَ دامي الحَدّ تَحسبُهُ   صُبحاً ، عليهِ دَمُ الأبطالِ كالشّفَقِ
آلَى على غِمدِهِ ألاّ يُراجِعَهُ   إلاّ إذا عادَ مُحمَرّاً مِنَ العَلَقِ
فاستَبشرَتْ فِئَةُ الإسلامِ ، إذْ لَمَعتْ   لهم بَوارِقُ ذاكَ العارِضِ الغَدِقِ
وأصبحَ العدلُ مَرفوعاً على نَشَزٍ ،   لمّا وَليتَ ، وباتَ الجَورُ في نَفَقِ
كم قد قطَعتُ إلَيكَ البيدَ مُمتَطِياً   عَزماً إذا ضاقَ رَحبُ الأرضِ لم يَضِقِ
يَدُلّني في الدّجى مُهري ويُؤنسُني   حَدُّ الحُسامِ ، إذا ما باتَ مُعتَنِقي
واللّيلُ أطوَلُ من عَذلِ العَذولِ على   سَمعي ، وأظلَمُ مِن مَرآهُ في حَدَقي
أهدي قَلائِدَ أشعارٍ فرائِدُها   دُرٌّ نَهَضتُ بهِ مِن أبحُرٍ عُمُقِ
يَضُمُّها وَرَقٌ لولا مَحاسِنُهُ   ما لَقّبُوا الفِضّةَ البَيضاءَ بالوَرَقِ
نظَمتُها فيكَ ديواناً أزُفُّ بهِ   مَدائِحاً في سِوى عَلياكَ لم تَرُقِ
ولو قَصَدتُ بهِ تَجديدَ وصفِكُمُ   لكانَ ذلكَ مَنسوباً إلى الحُمُقِ
تِسعٌ وعشرونَ إن عُدّتْ قَصائدُها،   ومِثلُها عَدَدُ الأبياتِ في النَّسَقِ
لم أقتَنِعْ بالقَوافي في أواخرِها ،   حتى لَزِمتُ أواليها ، فلَمْ تَعُقِ
ما أدرَكَتْ فُصَحاءُ العُربِ غايَتَها   قَبلي ، ولا أخذُوا في مِثلِها سبَقي
جرَتْ لتَركُضَ في مَيدانِ حَومَتِها   قومٌ ، فأوقَفتهم في أوّلِ الطّلَقِ

فَلْيَحسُنِ العُذْرُ في إيرادِهِنّ ، إذا رأيتَ جَرْيَ لِساني غَيرَ مُنطَلِقِ
فلَوْ رأتْ بأسَكَ الآسادُ لاضطَرَبَتْ بهِ فَرائِصُها من شِدّةِ الفَرَقِ
يا آلَ أُرتُقَ ! لولا فَيضُ جُودِكُمُ لَدامَ خَرقُ المَعالي غَيرَ مُرتَتِقِ
لقَد رَفَعتُمْ بإسداءِ الجَميلِ لكُم ذِكراً ، إذا قَبَضَ اللهُ الأنامَ بَقي
لا زالَ يَهمي على الوُفّادِ نائِلُكُم ، بوابلٍ مِن سَحابِ الجَودِ مُندَفِقِ

نجم تستدل به الأنام

وقال يمدحه ويصف رماية البندق
وعدد أطياره حسب مرسومه الشريف
سنة إحدى وسبعمائة :

دارَتْ على الدَّوحِ سُلافُ القَطرِ فرَنّحَتْ أعطافَهُ بالسُّكرِ
ونَبّهَ الوُرْقَ نَسيمُ الفَجرِ ، فغَرّدتْ فوقَ الغُصونِ الخُضرِ
تُغني عن العُودِ وصوتِ الزَّمرِ

تَبَسّمتْ مَباسِمُ الأزهارِ ، وأشرَقَ النّوّارُ بالأنوارِ[1]
وظَلّ عِقدُ الطّلّ في نِثارِ ، وباكَرَتها دِيَمُ الأمطارِ
فكَلّلَتْ تيجانَها بالدُّرِّ

---

[1] الأنوار : الأزهار ، الواحد نور .

قد أقبلَتْ طَلائعُ الغُيومِ إذْ أذِنَ الشّتاءُ بالقُدومِ
فمُذْ حَداها سائِقُ النّسيمِ ، عفَتْ رُبَى العَقيقِ والغَميمِ
وباكَرَتْ أرضَ دِيارِ بَكرِ

أما ترى الغَيمَ الجديدَ قَد أتَى مُبَشِّراً بالقُربِ من فَصلِ الشّتَا
فاعقُرْ هُمومي بالعُقارِ ، يا فتى ، فترَكُ أيّامِ الهَنا إلى متَى ؟
فإنّها مَحسوبَةٌ مِن عُمري

فانهَضْ لنَهبِ فُرصةِ الزّمانِ ، فلَستَ من فَجواهُ في أمانِ
واشرَبْ على النّاياتِ والمَثاني ، إنّ الخَريفَ لرَبيعٌ ثانِ
فاتمِمْ حُلاهُ بكُؤوسِ الخَمرِ[1]

فَصلٌ لَنا في طَيّهِ سُعودُ ، بعَودِهِ أفراحُنا تَعودُ
يقدمُ فيهِ الطّائرُ البَعيدُ ، في كلّ يومٍ للرّماةِ عيدُ
كأنّهُ بالصّرعِ عيدُ النّحرِ

هَذي الكَراكي نحوَنا قد قَدِمتْ فاقِدَةً لإلفِها قَد عَدِمَتْ
لو عَلِمَتْ بما تُلاقي نَدِمَتْ ، فانظُرْ إلى أخياطِها قد نُظِمَتْ
شبهَ حُروفٍ نُظِمتْ في سَطرِ[2]

تَذكّرَتْ مَرتَعها ، فَشاقَها ، فأقبلَتْ حامِلَةً أشواقَها

١ قوله : فجواه ، هكذا في الأصل .
٢ الكراكي : نوع من الطيور . أخياطها : جماعاتها .

تُجيلُ في مَطارِها أحداقَها ، تَمُدُّ مِن حَنينِها أعناقَها
لم تَدرِ أنَّ مَدَّها للجَزْرِ

يا سَعدُ كُن لي في حُبّها مُساعدي ، فإنّهُ مُذْ عِشتُ مِن عَوائدي
ولا تَلُمْ مَن باتَ فيها حاسِدي ، فلَوْ تَرَى طَيرَ عِذارِ خالِدِ
أقمتَ في حُبّ العِذارِ عُذري

طَيرٌ بقَدرِ أنْجُمِ السّماءِ ، مُختَلِفُ الأشكالِ والأسماءِ
إذا جَلا الصّبحُ دُجى الظّلماءِ ، يَلوحُ مِنْ فَوقِ طَفيحِ الماءِ
شبهَ نُقوشٍ خُيّلَتْ في سِترِ

في لُجّةِ الأطيارِ كالعَساكِرِ ، فهنّ بَينَ واردٍ وصادِرِ
جَليلُها ناءٍ عن الأصاغرِ ، مَحدودَةٌ منذُ عُهودِ النّاصِرِ
مَعدودَةٌ في أربَعٍ وعَشْرِ

شُبَيطَرٌ ومِرزمٌ وكُركي ، وصِنفُ تَمٍّ مع إوَزٍّ تُركي
ولَغلَغٌ يُشبِهُ لونَ المِسكِ ، والكيُّ والعَنّازُ ، يا ذا الشّكّ
ثمّ العُقابُ مُلحَقٌ بالنّسرِ[1]

ويَتبَعُ الأرنوقَ صِنفٌ مُبدعُ ، أنيسَةٌ إنسيّةٌ إذْ تُصرَعُ
والضّوُّ والحبرجُ فهيَ أجمَعُ ، خَمسٌ وخمسٌ كملَتْ وأربَعُ
كأنّها أيّامُ عُمرِ البَدرِ

---

[1] كل ما ذكره أنواع من الطيور .

فابكُرْ إلى دِجلَةَ ، والأقطاعِ ، فإنّها مِن أحمَدِ المَساعي
واعجَبْ لِما فيها من الأنواعِ من سائرِ الحَليلِ والمَراعي
وضَجّةِ الشّيقِ وصوتِ الحُضُرِ

ما بينَ تَمٍّ ناهضٍ وواضِعِ وبَينَ نَسرٍ طائرٍ وواقِعِ
وبينَ كَيٍّ خارِجٍ وراجِعِ ، ونَهضَةِ الطّيرِ مِن المَراتِعِ
كأنّها أقطاعُ غيمٍ تَسرِي

أما تَرى الرّماةَ قد تَرَسّمُوا ، ولارتقابِ الطّيرِ قد تقَسّمُوا
بالخِفتِ قد تَدَرّعوا وعُمّمُوا لمّا على سَفْكِ دِماها صَمّمُوا
جاؤوا إليها في ثِيابٍ حُمرِ

قد فزِعوا عن كلّ عُرْبٍ وعَجَمْ وأصبَحوا بينَ الطّرافِ والأجَمْ
من كلّ نَجمٍ بالسّعودِ قد نجَمْ وكلّ بَدرٍ بالشّهابِ قد رَجَمْ
عن كلّ مَحْنيٍّ شَديدِ الظّهرِ[1]

مَحنيّةٌ في رَفعِها قد أدمِجَتْ ، أدرَكَها التّثقيفُ لمّا عُوّجَتْ
قد كُبِسَتْ بيوتُها وسُرّجَتْ كأنّها أهِلّةٌ قد أخرِجَتْ
بَنادِقاً مثلَ النّجومِ الزُّهرِ[2]

قَد جَوّدَتْ أربابُها مَتاعَها ، وأتعبَتْ في حَزمِها صُنّاعَها

---

١ فزع عنه : أراد ابتعد عنه . الطراف : البيت من أدم . نجم : طلع .
٢ كبست : هجم عليها . سرجت : أضيئت بالسرج .

وهَذّبَتْ رُماتُها طِباعَها ، إذا لمَستَ خابراً أقطاعَها
حَسبِتَها مَطبوعةً من صَخرِ

إذا سَمِعتُ صَرخَةَ الجَوارِحِ تَصبو إلى أصواتِها جَوارِحي
وإنْ رأيتُ أجَمَ البَطائِحِ ، ولم أكنْ ما بَينَها بِطائِحِ
يضيقُ عن حملِ الهمومِ صَدري

مَن لي بأنّي لا أزالُ سائِحَا ، بينَ المَرامي غادِياً ورائِحَا
لو كانَ لي دَهري بذاكَ سامِحَا ، فالقُربُ عندي أن أبيتَ نازِحَا
أقطَعُ في البَيداءِ كلَّ قَفرِ

نَذَرْتُ للنّفسِ ، إذا تمّ الهَنا ، وزُمّتِ العيسُ لإدراكِ المُنَى
أنْ أقرِنَ العِزّ لَدَيها بالغِنَى حتى رأتْ أنّ الرّحيلَ قد دَنَا
فَطالَبَتْني بوَفــاءِ نَذري

تَقولُ لي لمّا جَفاني غُمضِي ، وأنكَرَتْ طولَ مَقامي أرضِي
وعاقَني صرفُ الرّدى عن نَهضِي : ما للّيالي أولِعَتْ بخَفضِي
كأنّها بَعضُ حُرُوفِ الجَرّ

فانهِضْ رِكابَ العَزمِ في البَيداءِ ، وازوَرّ بالعيسِ عن الزّوراءِ
ولا تُقِمْ بالمَوصِلِ الحَدباءِ ، إنّ شِهابَ القَلعَةِ الشّهباء
يحرُقُ شيطانَ صُروفِ الدّهرِ

نَجمٌ بهِ الأنامُ تَستَدِلُّ ، مَن عَزّ في حِماهُ لا يَذِلُّ

في القَرّ شَمسٌ والمَصيفِ ظِلُّ ، وَبِلٌ على العُفاةِ مُستَهِلُّ
أغنى الأنامَ عن هُتونِ القَطرِ

لو قابَلَ الأعمَى غَدَا بَصيرَا ، ولو رأى مَيتاً غَدَا مَنشُورَا
ولو يَشا الظّلامَ كانَ نُورَا ، ولو أتاهُ اللّيلُ مُستَجيرَا
أمّنَـهُ مِن سَطَواتِ الفَجرِ

لُذْ برُبوعِ المَلِكِ المَنصورِ ، مُحيي الأنامِ قَبلَ نَفخِ الصّورِ
باني العُلا ، قبلَ بِنا القُصورِ ، قاتلَ كلَّ أسَدٍ هَصُورِ
مَلّكَهُ اللهُ زِمامَ النّصرِ

مَلْكٌ كأنَّ المالَ من عُداتِهِ ، يرَى حَياةَ الذّكرِ في مَماتِهِ
قد ظَهَرَ العِزُّ على أوقاتِهِ ، وأشرَقَ النّورُ على لَيلاتِهِ
كأنّها بَعضُ لَيالي القَدرِ

أصبَحَ في الأرضِ لَنا خَليفَه ، نَعزُّ في أربُعِـهِ المألُوفَه
قد سَمَحَتْ أكفُّهُ الشّريفَه ، وأُلهِمَتْ عَزمَتُهُ المُنيفَه
بكَسرِ جَبّارٍ وجَبرِ كَسرِ

يَخضَعُ هامُ الدّهرِ فوقَ بابِه ، وتَسجُدُ المُلوكُ في أعتابِه
وتَخدُمُ الأقدارُ في رِكابِه ، تَرومُ فَضلَ العِزّ مِن جَنابِه
وتستَمِدُّ اليُسرَ بَعدَ العُسرِ

مُحَكَّمٌ ناءٍ عنِ الأغراضِ ، وجَوهَرٌ خالٍ من الأعراضِ

يُهابُ كالسّاخطِ وهوَ راضٍ ، قد مَهّدَتْ آراؤهُ الأراضي

وأهلَكَتْ كَفّاهُ جيشَ الفقرِ

لمّا رأى أيّامَهُ جُنودًا ، والنّاسَ في أعتابِهِ سُجودًا

أرادَ في دَولتِهِ مَزيدًا ، فأعتقَتْ أكفُّهُ العَبيدًا

واستَعبدَتْ بالجُودِ كلَّ حُرّ

يا مَلِكاً تحسُدُهُ الأملاكُ ، وتَقتَدي بعَزمِهِ الأفلاكُ

يَهابُهُ الأعرابُ والأتراكُ ، لهُ بما تُضمِرُهُ إدراكُ

كأنّهُ مُوكَّلٌ بالسِّرّ

قُربي إليكُمْ لا العَطاءُ سُولي ، ووُدُّكُم لا غَيرَهُ مأمولي

إذا جلَيتُ كاعبَ الفُصولِ لا أبتَغي مَهراً سِوى القَبولِ

إنّ القَبولَ لا لأجلِ مَهرِ

لابَرِحَتْ أفراحُكُمْ مُجَدَّدَه ، وأنفُسُ الضّدّ بكم مُهَدَّدَه

وأربُعُ المَجدِ بكُمْ مُشَيَّدَه ، والأرضُ من آرائِكُمْ مُمَهَّدَه

والدّهرُ بالأمنِ ضَحوكُ الثّغرِ

ملك ملك الورى

وقال يمدحه ويذكر حصاره لقلعة ربل وتسليم أهلها إليه في سنة اثنتين وسبعمائة :

لا تَخشَ يا رَبعَ الحَبيبِ هُمودَا ، فلَقَد أخذتَ على العِهادِ عُهُودَا[1]
وليُفنِيَنَّ ثَراكَ عن صَوبِ الحَيا صوبُ المَدامعِ إن طلَبتَ مَزيدا
كم غادَرَتْ بفِناكَ ، يومَ وَداعِنا ، سُحبُ المَدامعِ مَنهَلاً مَورُودا
ولَكِنّم سكَبَتُ علَيكَ وافرَ أدمُعي ، في ذلكَ اليَومِ الطّويلِ مُريدا
ولقد عَهِدتُ بكَ الظّباءَ سَوانِحاً ، بظِلالِ شِعبِكَ ، والحِسانَ الغِيدا
حُوراً ، إذا غُوزِلنَ كنّ جآذِراً ؛ وإذا أرَدنَ الفَتكَ كُنّ أُسُودا
أخجَلنَ زَهرَ الأُقحوانِ مَباسِماً زَهراً وضاهَينَ الشّقيقَ خُدودا
وحَسَدنَ كُثبانَ النّقا وغُصونَهُ ، فثَقُلنَ أردافاً ومِسنَ قُدودا
من كلّ واضِحَةٍ ، إذا هيَ أقبلَتْ عايَنتَ دُرّاً في الثّغورِ نَضيدا
حَذِرتْ عُيونَ العاشِقينَ فصَيّرَتْ بُرجَ الهِلالِ تَمائِماً وعُقودا
كم قد سَهِرتُ اللّيلَ أرقُبُ زَورَةً منها ، فلَمْ أرَ للصّباحِ عَمُودا
ورَعَيتُ أنجُمَهُ فأكسَبَتُ السُّها سقَمي ، وأكسبَ جَفنيَ التّسهيدا[2]
وحمَلتُ أعباءَ الغَرامِ وثِقلَهُ ، فَرداً ، وحارَبتُ الزّمانَ وحيدا

---

١ . العهاد : المطر .
٢ السها : نجم . التسهيد : السهر .

فجَعَلتُ نَجمَ الدّينِ سَهمي عندَما عايَنتُ شَيطانَ الخُطوبِ مَريدا[1]
نَجمٌ تَدينُ لهُ النّجومُ خَواضِعاً ؛ مَلِكٌ تَخِرُّ لهُ المُلوكُ سُجودا
غَيثٌ يُريكَ من السّيوفِ بَوارِقاً ، ومِنَ الجِيادِ زَلازِلاً ورُعُودا
يَقظانُ ألقَى في حَبائلِ عَزمِهِ شُرُكاً يَصيدُ بها الكُماةَ الصِّيدا
رأيٌ يرَى ما تحتَ أطباقِ الثّرَى، وعُلاً تُريدُ إلى السّماءِ صُعودا
وعَدَ الصّوارِمَ أن يَقُدّ بها الطّلا ، وَعداً أراهُ للعُـداةِ وَعيـدا
ما شَدّدَ النّونَ الثّقيلَ لأنّهُ إن قالَ يَسبُقُ فِعلُهُ التّأييدا[2]
يا أيّها المَلِكُ الذي مَلَكَ الوَرى ، فغَدَتْ لدَولتِهِ العِبـادُ عَبيدا
وافَيتَ ، إذ ماتَ السّماحُ وأهلُهُ ، فأعَدتَهُ خَلقاً لدَيكَ جَديدا
وقَدِمتَ نَحوَ دِيارِ بَكرٍ مُظهِراً عَدلاً يُمَهِّدُ أرضَها تَمهيدا
عَطِلَتْ ، فلَولا أنّ ذلكَ جَوهَرٌ للهِ ، ما حَلّى لها بكَ جِيدا
كَم غارَةٍ شَعواءَ حينَ شَهِدتَها ، أُعطيتَ فيها النّصرَ والتّأكيدا
في نارِها كنتَ الخليلَ ، وإنّما عنـدَ التِماسِ حَديدِها داوُدا[3]
أخفَيتَ وجهَ الأرضِ من جُثثِ العدى حتّى جَعَلتَ لكَ الوُحوشَ وُفُودا
زوّجتَ أبكارَ العِدى بنُفوسِهِمْ ، وجعَلتَ أطرافَ الرّماحِ شُهودا
كَفَروا ، فأمّنتَ الرّؤوسَ لأنّها خَرّتْ لسَيفِكَ رُكّعاً وسُجودا
وبَغَوا ، فوكّلتَ الحِمامَ بحَربِهِمْ ، ثم ارتضَيتَ لهُ السّيوفَ جُنودا

١ المريد : الخبيث ، الشرير .
٢ النون الثقيل : أراد نون التوكيد التي يؤكد بها المتكلم ما يريده .
٣ أراد بخليلها : إبراهيم الخليل ، وبداودها : النبي داود .

ضاقتْ على القَتلى الفلاةُ بأسرِها ، فجَعلتَ أكبادَ النّسورِ لحُودا
وجرَتْ على الخَيلِ الدّماءُ مُذالَةً ، فكأنّما كُسيَتْ بهنّ جُلودا[1]
يا وَيحَ قومٍ أغضبوكَ بجَهلِهِمْ ، ورأوا قَريبَ الفتحِ منكَ بَعيدا
وتحَصّنوا في قَلعَةٍ لم يَعلَموا أنْ سوفَ تَشهَدُ يَومَها المَوعودا
حتى رَمَيتَ حُصونَها بكَتائبٍ شُهبٍ ، وقُدتَ لها الجِيادَ القُودا[2]
بقَساوِرٍ قَلّتْ عديداً في اللّقا ، ومنَ الشّجاعةِ أن تَقِلّ عَديدا
من فِتيَةٍ كسَروا غُمودَ سُيوفِهِمْ ، واستَبدَلوا قُلَلَ الرّؤوسِ غُمودا
رَفَضُوا الدّروعَ عن الجُسوم ،وأسبَغوا فوقَ الجسومِ من القلوبِ حَديدا
مَرّوا بها خُزْرَ العُيونِ ، فأوجَسَتْ جزَعاً ، وكادَتْ بالكُماةِ تَميدا[3]
لو لم يُوَرِّدْ خَدَّها مِنهمْ حَيا ، جعَلُوا الدّماءَ لخَدّها تَوريدا
قذَفَتْ بمن فيها إلَيكَ ، كأنّما علّمتَها مِن راحتَيكَ الجُودا
قالوا ، وقد وَجَدوا لِبأسِكَ رَهبَةً ومَخافَةً تَذَرُ الفَصيحَ بَليدا
سألوا البَقاءَ ، فكانَ مانعُكَ الحَيا مِن أن يُرى لكَ سائلٌ مَردودا
لو شئتَ ما أبقَتْ صِفاحُكَ يافِعاً منهمْ ، ولا تَركَتْ قَناكَ وَليدا
نَبذوا السّلاحَ مَخافَةً لمّا رأوا راياتِ جَيشِكَ قد ملأنَ البِيدا
ظَنّوا السّحابَ،إذا نشأنَ،عَجاجةً، والبرقَ بِيضاً ، والرّعودَ بُنودا
سَكِروا وما سكِروا بكأسِ مُدامةٍ ، لكنْ عَذابُ اللهِ كانَ شَديدا

[1] المذالة : الدرع الطويلة .
[2] الكتيبة الشهباء : العظيمة الكثيرة السلاح . القود ، الواحد أقود : وهو من الخيل الذليل المنقاد .
[3] قوله تميدا : أراد أن تميدا .

ورأوكَ مُعتَصِمَ العَزائِمِ فاختَشوا بكَ يومَ عَمّوريّةَ المَشهودا
أوليتَهمْ لمّا أطاعوا أنعُماً لا تَستَطيعُ لبَعضِها تَحديدا
فانظُرْ تَجِدْ مَعْ كلّ نَفسٍ منهمُ من فَيضِ بِرّكَ سائِقاً وشَهيدا
أكسَبتَ أُفقَ المُلكِ ،يا نجمَ الهُدى، نُوراً جَلا ظُلَمَ الخُطوبِ السّودا
وطَرّدتَ جَورَ الحادثاتِ عن الوَرى، ولَكَمْ أجَرتَ من الزّمانِ طَريدا
ما دامَ جُودُكَ يا ابنَ أُرتُقَ واصِلي، مَن شاءَ يَمنحُني جَفاً وصُدودا
ما فكّ مَدحي فيكَ قَيدَ تَعبّدي ، إلاّ وَضَعتَ مِنَ النّوالِ قُيودا
لا زِلتَ مَحسوداً على نَيلِ العُلَى ، فدَوامُ عِزّكَ أن تُرى مَحسودا

ترجي فوائده ويخشى بأسه

وقال يمدحه ببغداد عند قدومه إليها :

كيفَ الضّلالُ وصُبحُ وجهِكَ مُشرِقُ، وشَذاكَ في الأكوانِ مِسكٌ يَعبَقُ
يا مَن إذا سفَرَتْ مَحاسنُ وجهِهِ ، ظَلّتْ بهِ حَدَقُ الخلائقِ تُحدِقُ
أوضَحتَ عُذري في هَواكَ بواضحٍ مـاءُ الحَيا بأديمِهِ يتَرَقرَقُ
فإذا العَذولُ رأى جَمالَكَ قال لي : عَجَباً لقَلبِكَ كيفَ لا يتَمزّقُ
أغنَيتَني بالفِكرِ فيكَ عنِ الكَرَى ، يا آسِري ، فأنا الغَنيُّ المُملِقُ[1]

---

١ المملق : الفقير .

يا آسراً قلبَ المُحبّ ، فدَمعُهُ والنّومُ منهُ مُطلَقٌ ومُطلَّقُ
لولاكَ ما نافَقتُ أهلَ مَودّتي ، وظَلَلتُ فيكَ نَفيسَ عُمري أنفِقُ
وصَحِبتُ قَوماً لَستُ من نظرائِهِم ، فكأنّني في الطّرسِ سَطرٌ مُلحَقُ
قُولا لِمَن حمَلَ السّلاحَ، وخَصرُه مِن قَدّ ذابِلِهِ أدَقُّ وأرشَقُ
لا تُوهِ جِسمَكَ بالسّلاحِ وثِقلِهِ ، إنّي عليكَ مِنَ الغِلالَةِ أشفَقُ
ظَبيٌ من الأتراكِ فوقَ خُدودِهِ نارٌ يَخِرُّ لها الكَليمُ ويُصعَقُ[1]
تَلقاهُ ، وهوَ مُزَرَّدٌ ومُدَرَّعٌ ، وتَراهُ ، وهوَ مُقَرَّطٌ ومُقَرْطَقُ[2]
لم تَترُكِ الأتراكُ بَعدَ جَمالِها حُسناً لمَخلوقٍ سِواها يُخلَقُ
إنْ نُوزِلوا كانوا أسودَ عَريكَةٍ ، أو غُوزِلوا كانوا بُدوراً تُشرِقُ
قومٌ ، إذا ركِبوا الجيادَ ظَنَنتَهمْ أسداً بألحاظِ الجآذِرِ تَرْمُقُ
قد خُلِّقَتْ بدَمِ القُلوبِ خُدودُهم ، ودروعُهمْ بدَمِ الكُماةِ تُخَلَّقُ[3]
جذَبوا القِسيّ إلى قِسِيٍّ حَواجبٍ ، مِن تَحتِها نَبلُ اللّواحِظِ تَرشُقُ
نَشَروا الشّعورَ ، فكُلُّ قَدٍّ منهُمُ لَدْنٌ ، عليهِ من الذّوائبِ سَنجَقُ[4]
لي منهُمُ رَشَأٌ ، إذا غازَلتُهُ كادَتْ لَواحظُهُ بسِحرٍ تَنطِقُ
إنْ شاءَ يَلقاني بخُلقٍ واسِعٍ ، عندَ السّلامِ ، نَهاهُ طَرْفٌ ضَيّقُ
لم أنسَ لَيلَةَ زارَني ورَقيبُهُ يُبدي الرّضا ، وهوَ المَغيظُ المُحنَقُ

---

١ الكليم : موسى .
٢ مقرطق : لابس القرطق ، نوع من الثياب .
٣ خلقت : طيبت بالخلوق ، ضرب من الطيب أعظم أجزائه الزعفران .
٤ السنجق : الراية .

وافَى ، وقد أبدى الحَياءُ بوَجهِهِ ماءً ، لهُ في القَلبِ نارٌ تُحرِقُ
أمسَى يُعاطيني المُدامَ ، وبَينَنا عَتبٌ ألَذُّ مِنَ المُدامِ وأروَقُ
حتى إذا عَبَثَ الكَرى بجُفونِه كانَ الوِسادَةَ ساعِدي والمِرفَقُ
عانَقتُهُ ، وضَمَمتُهُ ، فكأنّهُ مِنْ ساعِدَيّ مُطَوَّقٌ ومُمَنطَقُ
حتى بَدا فَلَقُ الصّباحِ ، فَراعَهُ ؛ إنّ الصّباحَ هوَ العَدوُّ الأزرَقُ
فهُناكَ أومَا للوَداعِ مُقَبِّلاً كفّيّ ، وهيَ بذَيلِهِ تَتَعَلّقُ
يا مَنْ يُقَبّلُ للوَداعِ أنامِلي ! إنّي إلى تَقبيلِ ثَغرِكَ أشوَقُ
ولقد رضيتُ عن الصّباحِ ، وإنْ غَدا للعاشِقينَ غُرابَ بَينٍ يَنعَقُ
وغَفَرْتُ ذَنبَ الدّهرِ حينَ بدَتْ به مِن طَلعَةِ السّلطانِ شَمسٌ تُشرِقُ
المالِكُ المَنصورُ ، والمَلِكُ الذي مِن خَوفِهِ طَرْفُ النّوائبِ مُطرِقُ
نَجمٌ لهُ فَلَكُ السّعادَةِ مَطلَعٌ ؛ بَدرٌ لهُ أُفقُ المَعالي مَشرِقُ
مِن مَعشَرٍ حازوا الفَخارَ بسَعيِهمْ ، وبَنَى لهُمْ فَلَكَ المَعالي أرتُقُ
قومٌ همُ الدّهرُ العَبوسُ ،إذا سطَوا ، وإذا سخَوا ، فهُمُ السّحابُ المُغدِقُ
وإذا استَغاثَ المُستَغيثُ تَسَرّعوا ؛ وإذا استَجارَ المُستَجيرُ تَرَفّقوا
مَلِكٌ تَحُفُّ بهِ المُلوكُ ، كأنّهُ بَدرٌ بهِ زُهْرُ الكَواكِبِ تُحدِقُ
ونَبيُّ عَصرٍ بالسّماحةِ مُرسَلٌ ، كلُّ الأنامِ بما أتاهُ تُصَدّقُ
قَد ظَلّلَتهُ سَحابَةٌ من خَيرِهِ ، تَسري ، وآيتُهُ السّماحُ المُطلَقُ
والقُبّةُ العَلياءُ ، والطّيرُ الذي مِنْ حَولِهِ راياتُ نَصرٍ تَخفُقُ

والجَيشُ مُمتَدٌّ الجَوانبِ حَولَهُ ، يُفلَى بهِ فَودُ الفَلا والمَفرِقُ[1]
فلوَحشِها أجنادُهُ وجيادُهُ ، ولطَيرِها بازيهِ والزُّرَّقُ[2]
مَلِكٌ يَجِلُّ عن العِيانِ ، فنَغتَدي بقُلوبِنا ، لا بالنَّواظِرِ ، نَرمُقُ
فإذا تَطَلَّعَ قلتَ لَيثٌ ناظِرٌ ؛ وإذا تَفكّرَ قُلتُ صِلٌّ مُطرِقُ
كالشَّمسِ ، إلاّ أنّه لا يَختَفي ، والبَدرِ ، إلاّ أنّهُ لا يُمحَقُ
والغَيثِ ، إلاّ أنّهُ لا يَنتَهي ، واللّيثِ ، إلاّ أنّهُ لا يَفرَقُ[3]
والسّيفِ ، إلاّ أنّهُ لا يَنثَني ، والسّيلِ ، إلاّ أنّهُ لا يُغرِقُ
والدّهرِ ، إلاّ أنّهُ لا يَعتَدي ، والبَحرِ ، إلاّ أنّهُ لا يَزهَقُ[4]
تُرجَى فَوائدُهُ ، ويُخشَى بأسُهُ ، كالنّارِ تَمنَحُكَ الضّياءَ وتُحرِقُ
لَبِقُ الأناملِ باليَراعِ ، وإنّها بالبِيضِ في يومِ الكَريهَةِ ألبَقُ
كَفٌّ لما حَفِظَ اليَراعُ مُضيعَةٌ ، ولِما تُجَمّعُهُ الصِّفاحُ تُفَرِّقُ
لا يَحتَوي الأموالَ ، إلاّ مثلَما يَحوي بأطرافِ البَنانِ الزّيبَقُ
جرَتِ المُلوكُ لسَبقِ غاياتِ العُلى ، فمُشَمِّرٌ في جَريِهِ ومُحَلِّقُ
حتى إذا نَكَصَ المُكافحُ جاءَها مُتَهادِياً في خَطوِهِ يَتَرَفّقُ
يا مَنْ بهِ شرُفَتْ مَعاقِدُ تاجِهِ ، وبها يُشَرَّفُ مِن سِواهُ المَفرِقُ
أنِسَتْ بمَقدَمكَ العِراقُ وأهلُها ، واستَوحشَتْ لك حَرزَمٌ والجَوسَقُ[5]

١ الفود : جانب الرأس مما يلي الأذنين إلى الأمام .
٢ الزرق : طائر صياد بين الباز والباشق .
٣ يفرق : يخاف .
٤ يزهق : يضمحل .
٥ حرزم والجوسق : لعلهما مكانان .

وغدَتْ عيونُ الصُّورِ صُوراً، والحِمى أمسَى إلى إقبالِكُم يتَشَوّقُ[1]
أرضٌ تَحِلُ برَبعِها فلِباسُنا من سُنْدُسٍ وفِراشُنا الإستَبرَقُ[2]
فالنّاسُ تَستَسقي الغَمامَ ومَن بها يَدعو الإلهَ بأنّهُ لا يَغرَقُ
يا مَن يُقايسُ ماردينَ بجِلّقٍ بَعدَ القِياسِ وأينَ منهُ جِلّقُ
لم تُذكَرِ الشّهباءُ في سَبْقِ العُلى ، إلاّ كبَتْ شَقراؤها والأبلَقُ
كم ماردِينَ لماردينَ تَواثَبُوا ، ومن المحالِ طِلابُ ما لا يُلحَقُ[3]
لم يَعقِلوا ، إلاّ وآجامُ القَنا سُورٌ لها ، ودَمُ الفَوارِسِ خَندَقُ
وتَجمّعوا حتى مدَدْتَ لهم يَداً ، ذكروا بها أيدي سَبَا ، فتَفرّقُوا
ذَهَلَ الهِياجُ عقولَهمْ ، فتَوَهّموا في كلّ خافِقَةٍ لِواءٌ يَخفُقُ
ما أنتَ يومَ السّلمِ إلاّ واحِدٌ فَردٌ ، وفي يومِ الكَريهَةِ فَيلَقُ
أغلَقتَ بابَ العُذرِ مَع تَصحيفِهِ ، والجُودُ عندَكَ بابُهُ لا يُغلَقُ
مَولايَ سَمعاً مِن وَليّكَ مَدحةً عن صِدقِ وُدّي في عُلاكم تَنطِقُ
أنا عَبدُ أنعُمِكَ القديمُ وَدادُه ، وسوايَ في أقوالِهِ يتَملّقُ
عَبدٌ مُقيمٌ بالعِراقِ ومَدحُهُ فيكُمْ يُغَرِّبُ تارَةً ويُشَرِّقُ
فلقَد وقَفتُ على عُلاكَ بَدائِعاً يَعيا بأيسَرِها النّصيحُ المُفلِقُ
من كلّ هَيفاءِ الكَلامِ رَشيقَةٍ في طَيّها مَعنًى أدَقُّ وأرشَقُ
حسَدَتْ أهيلُ ديارِ بَكرٍ مَنطِقي فيها ، كما حَسَدَ الهَزارَ اللّقلَقُ[4]

---

١ الصور : لعله موضع . صوراً : مائلات .
٢ السندس : ضرب من نسيج الديباج والحرير . الاستبرق : الديباج الغليظ ، وثياب من حرير وذهب.
٣ كم ماردين : كم عاصين . ماردين الثانية : اسم مدينة .
٤ الهزار : طائر جميل الصوت . اللقلق : طائر طويل العنق والرجلين يأكل الحيات .

أعيَتْ أكابرَهم أصاغرُ لَفظِها ، ولربّما أعيا الرِّخاخَ البَيدَقُ
جاؤوكَ باللّفظِ المُعادِ لأنّني غرّبتُ في طَلَبِ الغَريبِ وشرّقُوا
لَهُمُ بذاكَ جِبِلّةٌ جَبَليّةٌ ، ولَنا عِراقٌ والفَصاحةُ مُعرِقُ
ما كنتُ أرضَى بالقَريضِ فضيلَةً ، لكنْ رأيتُ الفَضلَ عندَكَ يَنفُقُ
قالوا : خُلِقتَ مُوَفَّقاً لمَديحِه ، فأجَبتُهُمْ : إنّ السّعيدَ مُوَفَّقُ
إنّي ليُقنِعُني القَبولُ إجازَةً ، إنّ التّصَدّقَ بالوَدادِ تَصَدُّقُ
لا زالَ أمرُكَ بالسّعادَةِ نافِذاً في الأرضِ تَمنَعُ مَن تَشاءُ وتَرزُقُ

أعلام الهدى

وقال وقد اقترح عليه أن ينظم
موشحاً عروض موشح سمعه للمغاربة
على هذا الوزن :

شُقّ جَيبُ اللّيلِ عن نَحرِ الصّباحْ أيّها السّاقُونْ
وبَدا للطّلّ في جِيدِ الأقاحْ لُؤلؤٌ مَكنُونْ
ودَعانا للّذيذِ الإصطِباحْ طائِرٌ مَيمُونْ
فاخضِبِ المِبزَلَ مِن نَحرِ الدّنانْ بدَمِ الزَّرْجُونْ[1]

١ الزرجون : الخمر .

تتَلَقّى دَمَها حُورُ الجِنانْ　　في صِحافٍ جُونْ
فاسقِنيها قَهوةً تَكسو الكؤوسْ　　بسَنا الأنوارْ
وتُميتُ العقلَ، إذ تُحيي النّفوسْ　　راحةُ الأسرارْ
بنتُ كَرمٍ عُتّقتْ عندَ المَجوسْ　　في بيوتِ النّارْ
غرَسَتْ كَرمتَها بينَ القِيانْ　　يَدُ أفلاطُونْ
وبماءِ الصّرحِ قد كانَ يُطانْ　　دَنُّها المَخزُونْ
أخبرَتنا عن بَني العَصرِ القَديمْ　　خبَراً مَأثُورْ
وروَتْ يومَ مُناجاةِ الكَليمْ　　كيفَ دُكَّ الطُّورْ
ولماذا اتّخذتْ أهلُ الرّقيمْ　　كَهفَها المَذكورْ
وندا يونُسُ عند الإمتِحانْ　　بالتِقامِ النُّون[1]
وبَنى نوحُ غداةَ الطّوَفانْ　　فُلكَهُ المَشحُونْ
مُذ جَلا شمسَ الضّحى بدرُ التّمامْ　　في اللّيالي السّودْ
وغدا يَصبُغُ أذيالَ الظّلامْ　　بِدَمِ العُنقُودْ
قلتُ يا بُشراكُمُ هذا غُلامْ　　وفَتاةٌ رُود[2]
مزَجا الكأسَ وراحا يَسقِيانْ　　في حِمَى جيرون[3]
فبَذَلنا في القَناني والقِيانْ　　ما حوَى قارُونْ
نالَ فِعلُ الخَمرِ من ذاتِ الخِمارْ　　عندَ شُربِ الرّاحْ

---

١ ندا : اعتزل ، وتنحى . النون : الحوت .
٢ الرود : الشابة الحسناء .
٣ جيرون : محلة في دمشق .

فغَدَتْ تَستُرُ من فرطِ الخُمارْ   وجهَها الوَضّاحْ
خِلتُها ، إذْ لم تَدَعْ بالإختِمارْ   غيرَ صَلْتٍ لاحْ[1]
قَمَراً تَمّ لسَبعٍ وثَمانْ ،   في اللّيالي الجُونْ[2]
قدّرَتهُ الشّمسُ في حالِ القِرانْ   فهوَ كالعُرجُونْ[3]
أفعَمَ الزّامرُ بالنّفخِ المُدارْ   نايَهُ المَخصُورْ
فغدا ، وهوَ لأمواتِ الخُمارْ   مثلَ نَفخِ الصُّورْ
أو كما عاشَ الوَرى بعدَ البَوارْ   بنَدَى المَنصُورْ
مَلِكٌ هَذّبَ أخلاقَ الزّمانْ   عَدلُه المَسنُونْ[4]
وأعادَ النّاسَ في ظِلّ الأمانْ   عضبُهُ المَسنُونْ[5]
مَلِكٌ أنجَدَ طُلاّبَ النّدَى   غايَةَ الإنجادْ
مُتلِفٌ ، إن جالَ ، آجالَ العِدى   واللُّهَى إنْ جادْ
مِن بَني أرتُقَ أعلامِ الهُدى ،   سادَةٍ أنجادْ
مَهّدَ الأرضِينَ بالعَدلِ ، فكانْ   أمنُها مَضمُونْ
ذِيبُها والشّاةُ تَرعى في مَكانْ ،   غَدرُهُ مأمُونْ
باذِلُ الأموالِ من قَبلِ السّؤالْ   بأكُفّ الجُودْ

---

١ الاختمار : وضع الخمار ، البرقع . الصلت : الخد الأسيل .
٢ الجون : السود .
٣ العرجون : أصل العذق الذي يعوج ويبقى على النخل يابساً بعد أن تقطع عنه الشماريخ .
٤ المسنون : الحسن .
٥ عضبه : سيفه .

ما رَجاهُ آملٌ إلاّ ونــالْ غايةَ المَقصُودْ
فإذا ما أمَّهُ راجي النّوالْ جادَ بالمَوجُودْ
يَهَبُ الوِلدانَ والحُوزَ الحِسانْ بِكرَها والعُونْ
وسِواهُ إنْ دَعاهُ ذو لِسانْ يَمنَعُ المَاعُونْ[1]
يا مَليكاً لبَني الدّهرِ مَلَكْ ، فَبَشرى الأحرارْ
مَلِكٌ أنتَ عَظيمٌ أمْ مَلَكْ ساطِعُ الأنوارْ
بالذي تَختارُهُ دارَ الفَلَكْ ، وجرَى المِقدارْ
مُذْ رأى بأسَكَ سُلطانُ الأوانْ ، وَهوَ كالمَحزُونْ
حاوَلَ النّصرَ كمُوسى ، فاستَعانْ ، بكَ يا هارُونْ

اغرقت بالانعام عبدك

وقال يمدحه أيضاً عند قدومه إلى
الموصل في سنة اثنتين وسبعمائة :

حُوشيتَ من زَفَراتِ قَلبي الوالِهِ ، وكُفيتَ ما يَلقاهُ مِن بَلبالِهِ[2]
وأُعيذُ سِرَّكَ ان يكابِدَ بعضَ ما لاقَيتُ من قِيلِ العَذولِ وقالِهِ

---

١ الماعون : المعروف .
٢ البلبال : شدة الهم .

يا مَن يُعيرُ الغُصنَ لِينَ قَوامِهِ ، ويُعيرُ بَدرَ التّمّ عندَ كَمالِهِ
ما حلّتِ الواشونَ ما عقدَ الهوَى ، تَفنى اللّيالي والغَرامُ بحالِهِ
صِلْ عاشِقاً لولاكَ ما ذكرَ الحِمى ، ولمّا غدا متَغزّلاً بغزالِهِ
واجعَلْ كِناسَكَ في القلوبِ، فإنّها تُغنيكَ عن شيحِ العذيبِ وضالِهِ[1]
للهِ بالزّوراءِ لَيلَتُنا ، وقَدْ جرّدتُ غُصنَ البانِ من سِربالِهِ
ورَشَفتُ بَردَ الرّاحِ مِن مَعسولِهِ ، وضَمَمتُ قَدّ اللّدنِ مِن عَسّالِهِ[2]
رَشاً كبَدرِ التّمّ في إشراقِهِ ، وكَمالِ طَلعتِهِ وبُعدِ مَنالِهِ
ما اهتَزّ وافرُ رِدفِهِ في خَطوِهِ ، إلاّ تَشَكّى الخَصرُ من أثقالِهِ
ما بالُهُ أضحَى يَشينُ وعيدَهُ بنَجازِهِ ووُعودَهُ بمِطالِهِ
ويُذيقُني طَعمَ المَلالِ تَدَلّلاً ، فأذوبُ بَينَ دَلالِهِ ومَلالِهِ
ما ضرّ طَيفَ خيالِهِ لوْ أنّهُ يَسخُو عليّ ، ولو بطَيفِ خيالِهِ
ما كانَ من فِعلِ الجَميلِ يَضُرُّهُ ، لو كانَ يَجعَلُهُ زَكاةَ جَمالِهِ
قَسَماً بضادِ ضِياءِ صُبحِ جَبينِهِ ، وَوَحَقّ سِينِ سَوادِ عَنبرِ خالِهِ
لأُكابدَنّ لهيبَ نارِ صُدودِهِ ، ولأركَبَنّ عُبابَ بَحرِ مَلالِهِ
ولأُحمِلَنّ اليَمّ فَرطَ عَذابِهِ ، وأدومُ مُصطَبِراً على أهوالِهِ
حتّى تَقولَ جَميعُ أربابِ الهوَى : هذا الذي لا يَنتَهي عن حالِهِ
أفدي الغَزالَ المُستَبيحَ بلَحظِهِ قَتلَ الأُسودِ ، وما دنَتْ لقِتالِهِ

---

١ الشيح والضال : نوعان من الشجر .
٢ العسال : الرمح اللين .

رَشأٌ تَفَرّدَ في المَحاسنِ فاغتَدى تَفصيلُ رَسمِ الحُسنِ في إجمالِهِ
ما حرّكَتْ سَكَناتُ فاترِ طَرفِهِ ، إلاّ وأصمَى القَلبَ وقعُ نِبالِهِ
حكَمَتْ فجارَتْ في القُلوبِ لِحاظُهُ كأكُفّ نجمِ الدّينِ في أموالِهِ
المالِكُ المَنصورُ ، والمَلِكُ الذي تخشَى النّجومُ الشُّهبُ شُهبَ نِصالِهِ
مَلِكٌ يَسيرُ النّصرُ عن تِلقائِهِ ، ووَرائِهِ ، ويَمينِهِ ، وشِمالِهِ
مَلِكٌ تَقولُ الأرضُ إذْ يَمشي بها : حَسبي من التّشريفِ مسُّ نِعالِهِ
فإذا دَعا الدّهرَ العَبوسَ أجابَهُ مُتَعَثّراً بالرّعبِ في أذيالِهِ
سلطانُ عَصرٍ عَزمُه راضَ الوَرى ، فكَفاهُ ماضيهِ عنِ استِقبالِهِ
أضحَى حِمَى الحَدباءِ عندَ إيابِهِ ، يَستَنجِدُ الإقبالَ منْ إقبالِهِ[1]
ضَرَبَ الخِيامَ على الحِمى ، فأكفُّهُ كمِياهِهِ ، وحُلومُهُ كَجِبالِهِ
أعطَى وأجزَلَ في العَطاءِ تَبرّعاً ، حتى سَئِمتُ نِزالَهُ بنَوالِهِ
ذَلّتْ صرُوفُ الدّهرِ لمّا عايَنَتْ ، دونَ الأنامِ ، تَعَلُّقي بحِبالِهِ
وافَيتُهُ ، وكأنّني من رِقّهِ ، فأعَزّني ، فكأنّني مِن آلِهِ
يا لَيتَ قَومي يَعلَمونَ بأنّني أدرَكتُ طِيبَ العيشِ بَعدَ زَوالِهِ
في ظِلّ مَلْكٍ ، مُذ حَلَلتُ برَبعِه ، جاءَ الزّمانُ يَرُومُ حَلّ عِقالِهِ
ما ضَلّ فِكري في جَميلِ صِفاتِهِ ، إلاّ اهتَدى شِعري بحُسنِ خِلالِهِ
أو أصدأ الأيّامُ سَيفَ قَريحَتي ، إلاّ جَعَلتُ مَديحَهُ كصِقالِهِ
يا أيّها المَلِكُ الذي غدَتِ العُلى مَقرونَةً بجِلادِهِ وجِدالِهِ

[1] الحدباء : أراد بها الموصل .

أغرقتَ بالإنعامِ عبدَكَ ، فاغتدى ، مِن بَحرِكَ التيّارِ ، دُرُّ مَقالِه
طَوّقتَهُ بنَداكَ طوقَ كَرامةٍ ، وجعَلتَ فَيضَ الجُودِ من أغلالِه
أصفَى لِمَحضِ وَلاكَ عِقدَ ضميرِه ، فسِوى مَديحِكَ لا يَمُرُّ ببالِه

ملك اضحك السيوف

وقال فيه أيضاً وقد رسم طاب ثراه أن ينظم موشحاً على هذا النمط الحالي :

خُذْ من الدّهرِ لي نَصيبْ ، واغتَنِمْ غَفلَةَ القَدَرْ
ليسَ طولُ المَدَى نَصيبْ صَفوِ عَيشٍ بلا كَدَرْ
فاجلُ لي كاعِباً عَروسْ ، لم تَرُعْها يدُ المِزاجْ
نَشرُها عَطّرَ الكُؤوسْ ، وكَسا نُورُها الزّجاجْ
في الضّحى تُشبِهُ الشّموسْ وهيَ تحتَ الدّجى سِراجْ
فارشِفِ الرّاحَ ، يا حَبيبْ، إنّ في ذاكَ مُعتَبَرْ
لتَرَى الشّمسَ ، إذ يَغيبْ نُورُها في فَمِ القَمَرْ
في رِياضٍ بها الشّقيقْ ، قَد جَلا بَهجَةَ التّمامْ
وزَهَا زَهرُها الأنيقْ ، إذْ بَكَتْ أعيُنُ الغَمامْ

وانثَنى غُصنُها الوَريقْ ، فشَدَتْ فَوقَهُ الحَمامْ
قامَ شُحرُورُها خَطيبْ ، راقياً مِنبرَ الشَّجَرْ
كُلَّما ناحَ عَندَليبْ نَقَّطَ الدَّوحَ بالزَّهَرْ

قُمْ ، فإنّي أرى الزّمانْ مُحسِناً بَعدَما أسَا
قد أضَا لَيلُهُ ، وكانْ صبحُهُ يُشبِهُ المَسَا
تاهَ مِن عُجبِهِ ، فَلانْ صَعبُهُ بَعدَما قَسَا
قد بَدا عِزُّهُ المَهيبْ ، وبمَنصورِهِ انتَصَرْ
ورأى فتحَهُ القَريبْ مِن أبي الفَتحِ يُنتَظَرْ

مَلِكٌ أضحكَ السّيوفْ ، فبَكَتْ أعيُنُ العِدَى
جدَعَتْ بِيضُهُ الأُنوفْ ، ورَوَتْ كَفُّهُ الصّدَى[1]
صارِمٌ يُمطِرُ الحُتوفْ ، ويَدٌ تُمطِرُ النّدَى
لو دَعا عَزمُهُ النّجيبْ لِقَضا اللهِ والقَدَرْ
جاءَهُ طائِعاً مُجيبْ ، سامِعاً ما بهِ أمَرْ

قد حمَى رَبعُهُ الحُصونْ ، فَهوَ للنّاسِ مُلتَجَا
وإذا خابَتِ الظّنونْ ، عندَهُ يَصدُقُ الرَّجَا
المُنَى فيهِ والمَنونْ ، فهوَ يُخشَى ويُرتَجَى
حبّذا رَبعُهُ الخَصيبْ فيهِ يَستَبشِرُ البَشَرْ
فاقَ في جُودِهِ الخَصيبْ، وسَمَتْ أرضُهُ مُضَرْ

---

١ الصدى : العطش .

قد عَلا مَجدُه ، فكادْ هامَةَ المَجدِ يرتَقي
ولهُ أضحَتِ العِبادْ بينَ راجٍ ومُتّقي
باسطُ العَدلِ في البلادْ ، آلُ غازي بن أرتُقِ
ملكٌ صَدرُهُ رحيبْ ، منهُ يُستَمطَرُ المَطَرْ
قلبُهُ بالنُّهَى قَليبْ ، وهوَ يومَ الوغَى حَجَرْ[1]
لو رأينا يا ابنَ الكِرامْ مثلَ عَلياكَ في الدّوَلْ
لنَظَمنا مِنَ الكَلامْ ضِعفَ ما نَظَمَ الأُوَلْ
دُرُّ لَفظٍ منَ النّظامْ مُخجِلٌ سَبعُها الطُّوَلْ
فاعتَبِرْ ، أيّها اللّبيبْ ، هذهِ السّبعَةَ القِصَرْ
فيكُمُ لَفظُها يَطيبْ ، لا بمعنى بها ظَهَرْ

بحر منفرد بالدرّ

وقال يمدحه ويصف داراً عمرها
بالفردوس ويذكر جماعة جاروه
في الشعر فقصروا عنه سنة ٧٠١ :

في مثلِ حَضرَتِكم لا يَزأرُ الأسَدُ ، فكَيفَ يَسجَعُ فيها الطّائرُ الغَرِدُ
لذاكَ أُحجِمُ عن مَدحي ، فيَبعثُني صِدقُ الوَلاءِ ، وإنّي فيكَ مُعتَقِدُ

١ القليب : البئر .

وكيفَ أُفصِحُ أشعاري لدى مَلِكٍ ، يَغدُو لهُ التِّبرُ زَيفاً حينَ يَنتَقِدُ
يَقظانُ يَقرأُ من عُنوانِ فِكرَتِهِ ، في يَومِهِ ،ما طَواهُ في الضّميرِ غَدُ
بحرٌ ، ولكنّهُ بالدُّرِّ مُنفَرِدٌ ، والبَحرُ يُجمعُ فيهِ الدُّرُّ والزَّبَدُ
مِن مَعشَرٍ إن دُعوا جادوا لآمِلِهمْ قبل السّؤالِ ،وأعطَوا فوقَ ما وَجدُوا
تُضاعِفُ الرِّفدَ للوُفّادِ راحتُهُ ، فكلّما وَفَدوا من جُودِهِ رُفِدُوا
عادوا وفي كلِّ عُضوٍ بالثّناءِ فَمٌ ، وقد أتَوهُ ، وكلٌّ بالسّؤالِ يَدُ
ولو رأوا ما أرى من فَرطِ لَذّتِهِ بالجُودِ ما شكَروا يَوماً ولا حَمِدُوا
يا أيّها المَلِكُ المَنصورُ طائِرُهُ ، ومَنْ بآرائِهِ الأملاكُ تَعتَضِدُ
ومَن يُسابِقُ بالإنعامِ ، مُبتَدِئاً ، نُطقَ العُفاةِ ، ويُعطي قَبلَ ما يَعِدُ
أنتَ الفَريدُ الذي حازَتْ خَلائقُهُ ما لا يُحيطُ بهِ الإحصاءُ والعَدَدُ
وواحدُ العَصرِ، حتّى لو حلَفتُ به يوماً ، لما شَكّ خَلقٌ أنّهُ الأحَدُ
لكَ اليَراعُ الذي إنْ هُزّ عامِلُهُ ، لم تُغنِ عَنهُ صِلابُ البِيضِ والزَّرَدُ
المُستَطيلُ ، وفي حَدِّ الظُّبَى قِصَرٌ، والمُستَقيمُ ، وفي قَدِّ القَنا أوَدُ
إذا اغتَدَى نافثاً بالسّحرِ في عُقَدٍ ، حُلّتْ،بنَجواهُ، من آمالِنا العُقَدُ
يَقظانُ منهُ عيونُ النّاسِ راقدَةٌ ، ولو توَعّدَ أهلَ الكَهفِ ما رَقَدُوا
رَبيبُ سُمرِ المَعالي ، وهوَ يَحطِمُها، وربّما جَرّ حَتفَ الوالِدِ الوَلَدُ
بالأمسِ كانَ بوَطْءِ الأُسدِ مُرتَعِداً، واليَومَ منهُ فَريصُ الأُسدِ تَرتَعِدُ
ضَمّ الأُسودَ فَما زالَ الزّمانُ لهُ يَنوي المُكافاةَ حتّى ضَمّهُ الأسَدُ
إذا انثنى ساجِداً قامَ المُلوكُ لَهُ طَوعاً،وإنْ قامَ في أمرٍ لهم سجَدُوا

يا بانيَ المَجدِ مِن قبلِ الدّيارِ ، ومَن لهُ المَعالي الّتي لمْ يَرقَها أحَـدُ
بنَيتَ بَعدَ بِناءِ المَجدِ ، مُبتَدِئاً ، داراً لها العزُّ أُسٌّ ، والعُلى عَمَدُ
أسّستَ بالدّينِ والتّقوى قَواعدَها ، فكانَ عُقباكَ منها عِيشةٌ رَغَدُ
داراً توَهّمتُها الدّنيا لزينَتِها ، وما سَمِعتُ بدُنيا ضَمّها بَلَدُ
بها صَنائِعُ أبدَتها صَنائِعُكُمْ ، يَفنى المَدَى ، وبها آثارُكم جُدُدُ
تَدَفّقَ الماءُ في سَلسالِها ، فحكى سَماحَ كَفّكَ فينا حينَ يَطّرِدُ
تجَمّعَ الأُسدُ فيها والظّباءُ ، كَما من فَرطِ عدلكَ يرعى الذّئبُ والنَّقَدُ[1]
مولايَ ! دِعوَةَ عَبدٍ غَيرِ مُفتَتِنٍ بشِعرِهِ ولهُ الحُسّادُ قد شَهِدُوا
قد صُنتَ شِعري وجُلُّ النّاسِ تخطُبُه ، وذاكَ لَولاكَ لم يَعبأ بهِ أحَدُ
والشّعرُ كالتّبرِ يخفَى حينَ تَنظُرُهُ عَينُ الغَبيّ ، ويَغلو حينَ يُنتَقَدُ
فكَيفَ يذهَبُ ما نَفعُ الأنامِ بهِ ، منهُ جُفاء ، ويَرسو عندَك الزّبَدُ
إنْ شَبّهوني بمَنْ دوني ، فلا عجَبٌ ، فالدُّرُّ يُشبِهُهُ في المَنظَرِ البَرَدُ
بكَ انتصرْتُ على الأيّامِ مُنتصِفاً ، وصارَ لي فوقَ أيدي الحادثاتِ يَدُ
وكيفَ تَعجزُ كَفّي أن أنالَ بها هامَ السِّماكِ ، وأنتَ الباعُ والعَضُدُ

---

١ النقد : الغنم .

المكارم عوائد الكرام

وقال يمدحه وأرسلها لديه من بغداد :

ما بَينَ طَيفِكَ والجُفونِ مَواعِدُ ، فَيَفي ، إذا خُبِّرتَ أنّيَ راقِدُ
إنّي لأطمَعُ في الرُّقادِ لأنّهُ شَرَكٌ يُصادُ بهِ الغزالُ الشّارِدُ
فأظَلُّ أقنَعُ بالخَيالِ ، وإنّهُ طَمَعٌ يُوَلِّدُهُ الخَيالُ الفاسِدُ
هَيهاتَ لا يَشفي المُحبَّ من الأسَى قُربُ الخَيالِ ، ورَبُّهُ مُتَباعِدُ
ولقد تَعَرّضَ للمَحَبّةِ مَعشَرٌ عَدِموا من اللّذّاتِ ما أنا واجِدُ
عابُوا ابتِهاجي بالغَرامِ ، وإنّني ما عِشتُ من سُكرِ المَحبّةِ مائِدُ
قالوا : تَعَشّقَ كلَّ رَبِّ مَلاحةٍ ، فأجَبتُهُمْ : إنّ المُحَرِّكَ واحِدُ
فالحُسنُ حيثُ وَجَدتُهُ في حَيّزٍ ، هوَ لي بأرسانِ الصّبابَةِ قائِدُ
ما كنتُ أعلَمُ أنّ ألحاظَ الظِّبَا ، هيَ للأُسودِ حَبائلٌ ومَصايدُ
إنّ الذي خَلَقَ البَرِيّةَ ناطَها بوَسائِطٍ هيَ للكَمالِ شَواهِدُ
فتَدبّرَ الأفلاكَ سبعةُ أنجُمٍ ، ويُدَبّرُ الأرَضِينَ نَجمٌ واحِدُ
نجمٌ لهُ في المُلكِ أنجُمُ عَزمَةٍ هُنّ الرُّجومُ ، إذا تطَرّقَ مارِدُ
المالِكُ المَنصورُ مَلْكٌ جُودُهُ داني المَنالِ ، ومَجدُهُ مُتَباعِدُ
مَلِكٌ لدَيهِ مَواهِبٌ ومَكارِمٌ ، هيَ للعُداةِ مَواهِنٌ ومَكايِدُ[1]

---

[1] المواهن ، الواحد ماهن : الخادم ، وهي لا توافق معنى البيت ، ولعلها محرفة .

كالغَيثِ فيهِ للطُّغاةِ زَلازِلٌ ، ولمن يُؤمّلُه الزُّلالُ البارِدُ
يُخشَى وتُرجَى بَطشُهُ وهِباتُه ، كالبَحرِ فيهِ مَهالِكٌ وفَوائِدُ
آراؤهُ للكائِناتِ طَلائِعٌ ، وهُمومُهُ بالغانياتِ شَواهِدُ
لا يُؤيِسنّكَ بأسُهُ مِن جُودِهِ ، دونَ السّحابِ بَوارِقٌ ورَواعِدُ
يَهَبُ المَطيَّ،وركبُهنَّ وصائفٌ ، والصّافناتِ ، وحِملُهنّ وَلائِدُ
لكَ يا ابنَ أُرتُقَ بالمَكارِمِ نِسبةٌ ، فلِذاكَ جُودُك كاسمِ جَدّكَ زائِدُ
أُورِثتَ مجدَ سَراةِ أُرتُقَ إذ خلَتْ ، وبَنيتَه ، فَهوَ الطّريفُ التّالِدُ
قومٌ تَعوّدَتِ الهِباتِ أكفُّهمْ ؛ إنّ المَكارِمَ للكِرامِ عَوائِدُ
عاشوا ، وفضلُهُمُ ربيعٌ للوَرَى ، فلَهم ثَناً يَحيا وذِكرٌ خالِدُ
فأكفُّهم ،يومَ السّماحِ ،جَداوِلٌ ، وقلوبهُم ،يومَ الكِفاحِ ،جَلامِدُ[1]
وكفَلتَ مَن كَلِفَ الزّمانُ بحفظِه ، حتى كأنّكَ للبَريّةِ والدُ
فيَداكَ في عُنقِ الزّمانِ غَلائِلٌ ، ونَداكَ في جِيدِ الأنامِ قَلائِدُ
وعُنيتَ بي ورفعتَ قَدري في الوَرَى ، فعَواذِلي في القُربِ منك حَواسدُ
وعلمتَ أنّي في محبّتِكَ الذي ، فنَداكَ لي صِلَةٌ وبِرُّكَ عائِدُ
فاعذِرْ مُحبّاً إن تَباعدَ شخصُهُ ، جاءتكَ منهُ قَصائدٌ ومَقاصِدُ
فإذا ثَنائي عنكَ هَمٌّ سائِقٌ ، جَذَبَ العِنانَ إليكَ شوقٌ قائِدُ
ولقد وقَفتُ عليكَ لَفظي كلَّهُ ، ممّا أحِلُّ به ، وما أنا عاقِدُ
فإذا نظَمتُ ، فإنّني لكَ مادحٌ ؛ وإذا نَثَرتُ ، فإنّني لكَ حامِدُ

---

١ الجلامد ، الواحد جلمود : الصخور .

ملقى الكريم

وقال أيضاً وقد أولاه يوم
قدومه إليه إحساناً :

لاقَيتَنا مَلقَى الكَريم لضَيفِهِ ، وضَمَمتَنا ضَمَّ الكَميّ لسَيفِهِ
وجعلتَ رَبعَكَ للمُؤمِّلِ كَعبَةً ، هيَ رِحلَةٌ لشِتائِهِ ولصَيفِهِ
يا مَن إذا اشتَبَهَ الصّوابُ أعارَهُ رأياً يُخلّصُ نَقدَهُ مِن زَيفِهِ
وإذا غزَا أرضَ العَدوّ ، فوَحشُها من وَفدِهِ ، ونُسورُها من ضَيفِهِ
هطَلَتْ على العافينَ منكَ سَحائبٌ ، يُغني الوَليُّ وليُّها عَن صَيفِهِ
وسَماحُ غَيرِكَ خَطرَةٌ لوَساوِسٍ ، فكأنّها في النّوم زَورَةُ طَيفِهِ
كم مُجرِمٍ قضَتِ الذّنوبُ بحَتفِهِ ، فغَدا يَعَضُّ بَنانَه مِن حَيفِهِ
أمّنتَهُ مِن خَوفِهِ ، فكأنّهُ قد حلّ في الإحرامِ مَسجِدَ خَيفِهِ

نجمان

وقال فيه ارتجالاً وهو في السفينة
ببحيرة نصيبين ليلاً :

إنّ البُحيرَةَ زانَ بَهجتَها مَلِكٌ بها أفديهِ مِن مَلِكِ
رَكِبَ السّفينَ بها فلاحَ لَنا نَجمانِ في فُلُكٍ وفي فَلَكِ

ليس عجيباً

وقال فيه وقد نزل بالحمى :

وليسَ عجيباً إن طغَتْ أعينُ الحِمى ، وقد أكسبَتها الجُودَ أنمُلُكَ العَشر
إذا علّمتْ كفّاكَ جلمَدَهُ النّدى ، فلَيسَ لعَينٍ لم يَفِضْ ماؤها عُذْرُ

بحر في سفينة

وقال ارتجالا وهو بالسفينة بدجلة :

للهِ ملاّحُكَ اللّبيبُ ، وقد أبدى لَنا مِن فِعالِهِ حَسَنَا
قد حمَلَ البَحرَ في سَفينَته ، وعادةُ البحرِ يَحملُ السُّفُنَا

فتى

وقال في وصفه وقد سئل عنه :

فتًى لم تَجدْ فيه العِدى ما يَعيبُهُ ، ولكنّهمْ عابُوا الذي عنهُ قَصّرُوا
إذا ذَمّهُ الأعداءُ قالوا : مُفَرِّطٌ ؛ وإن بالَغوا بالذّمّ قالوا : مُبَذِّرُ
وإنْ شاءَ قَومٌ أن يَعيبُوا مَكانَهُ مِنَ المَجدِ قالوا : شامخٌ مُتَعَذِّرُ

حمى الاسود

وقال وهي أول أبيات كتبها إلى أهله من ماردين حال الوصول إليها في سنة إحدى وسبعمائة :

ألا بَلِّغْ هُديتَ سماةَ قَومي ، بحِلّةِ بابِلٍ ، عندَ الوُرُودِ[1]
ألا لا تَشغَلُوا قَلباً لبُعدي ، فإنّي كلَّ يَومٍ في مَزيدِ
لأنّي قد حَلَلتُ حِمى مُلوكٍ ، رُبُوعُ عَبيدِهم كَهفُ الطّريدِ
فمَنْ يَكُ نازِلاً بحِمَى كُلَيبٍ ، فإنّي قد نَزَلتُ حِمَى الأُسُودِ

ومخلّقٍ بدم الكماة

قال يمدح السلطان الملك المنصور الصالح شمس الدين أبا المكارم طاب ثراه وبلغ مناه وهو ابن المولى السلطان الملك المنصور المقدم ذكره خلد الله ذكره حين ولي الملك بعد وفاة أخيه الملك العادل ويذكر وفاءه له بعهده وذلك في سنة اثنتي عشرة وسبعمائة :

دَبّتْ عَقارِبُ صُدغِهِ في خَدّهِ ، وسعى على الأرداف أرقَمُ جَعدِهِ
وبَدا مُحَيّاهُ ، ففَوّقَ لَحظُهُ نَبلاً يَذودُ بشَوكِهِ عن وَردِهِ

---

[1] قوله : سماة قومي ، هكذا في الأصل ، ولعلها : سراة .

صَنَمٌ أضَلَّ العاشقينَ ، فلم يروا ، مُذْ لاحَ ،بُدّاً مِن عِبادةِ بُدِّهِ[1]
ما بينَ إقبالِ الحَياةِ ووصلِهِ فَرْقٌ ، ولا بينَ الحِمامِ وصَدِّهِ
ظبيٌ من الأتراكِ ليسَ بتاركٍ حُسناً لمَخلوقٍ أتى من بَعدِهِ
غَضٌّ الحَيا، قَحلُ الوَدادِ ،كأنّما نَهلَتْ بَشاشةُ وَجهِهِ من وُدِّهِ[2]
حمَلَ السّلاحَ على قَوامٍ مُترَفٍ ، كادَ الحَريرُ يؤدُّهُ مِن إدِّهِ[3]
فترى حَمائلَ سَيفِهِ في نَحرِهِ ، أبهَى وأزهَى من جَواهرِ عِقدِهِ
مِن آلِ خاقانَ الذينَ صَغيرُهُم في سَرجِهِ ، وكأنّهُ في مَهدِهِ
جعلوا رُكوبَ الخيلِ حَدَّ بُلوغهم ، هوَ للفَتى منهم بُلوغُ أشُدِّهِ
فإذا صَغيرُهمُ أتَى متَخَضِّباً بدَمِ الفوارِسِ قيلَ : بالِغُ رُشدِهِ
سِيّانِ منهم في الوَقائِعِ حاسِرٌ في سَرجِهِ ، أو دارِعٌ في سَردِهِ[4]
من كلِّ مَسنونِ الحُسامِ كلَحظه ، أو كلِّ مُعتَدِلِ القَناةِ كقَدِّهِ
ومُخَلَّقٍ بدَمِ الكُماةِ كأنّما صُبغَتْ فواضلُ دِرعِهِ من خَدِّهِ
ومُقابِلٍ لَيلَ العَجاجِ بوَجهِهِ ، فكأنّما غَشّى الظّلامَ بضِدِّهِ
ومُواجِهٍ صدرَ الحُسامِ ووَجهُهُ يُبدي صِقالاً مثلَ ماءِ فِرِندِهِ
يَلقَى الرِّماحَ بنَهدِهِ وبصَدرِهِ ، والمُرهَفاتِ بصَدرِهِ وبنَهدِهِ[5]
وإذا المَنيّةُ شَمّرَتْ عن ساقِها غَشِيَ الهِياجَ مُشَمِّراً عن زَندِهِ

---

١ لم يروا بداً : لم يروا مهرباً . عبادة بده : عبادة صنمه .
٢ القحل : اليابس .
٣ يؤده : يدهاه . الاد : الامر الفظيع .
٤ سرده : أي درعه المسرودة .
٥ النهد : الفرس الحسن الجميل الجسيم .

قِرنٌ يَخافُ قَرينُهُ من قُربِهِ ، أضعافَ خَوفِ مُحبّهِ من بُعدِهِ
يَبدو ، فيَزجرُهُ العَدوُّ بنَحسِهِ خَوفاً ، ويَزجرُه المحبُّ بسَعدِهِ
يُردي الكُماةَ بنَبلِهِ وحُسامِهِ : ذا في كِنانتِهِ ، وذا في غِمدِهِ
حتى إذا لَقيَ الكَميَّ مُبارِزاً شغَلَتهُ بَهجَةُ حُسنِهِ عن رَدِّهِ
ما زِلتُ أجهَدُ في رِياضَةِ خُلقِهِ ، وأحولُ في هذا العِتابِ وجِدِّهِ
حتى تَيَسّرَ بعدَ عُسرٍ صعبُهُ ، وافتَرّ مَبسِمُ لَفظِهِ عن وَعدِهِ
وأتى يُستّرُ سالِفَيهِ بفَرعِهِ ، حذَراً ، فيَحجُبُ سَبطَها في جَعدِهِ
وغَدا يَزُفُّ من المُدامَةِ مِثلَ ما في فيهِ من خَمرِ الرُّضابِ وشَهدِهِ
لاعَبتُهُ بالنّردِ ، ثمّ ، وبَينَنا رَهنٌ قد ارتَضَتِ النّفوسُ بعَقدِهِ
حتى رأيتُ نُقوشَ سَعدي قد بدَتْ ، ويَدَيَّ قد حانَتْ تَشَشْدُرَ بَندِهِ[1]
فأجَلُّ شِطرَنجي هُنالكَ بِعتُهُ بأقلّ ما أبدَتهُ كَعبَةُ نَردِهِ
ولقد أروحُ إلى السّرورِ وأغتَدي ، وأقيلُ في ظِلّ النّعيمِ وبَردِهِ
وأعاجِلُ العِزّ المُقيمَ ، ولم أبِعْ نَقدَ المَسَرّةِ والهَناءِ بفَقدِهِ
حتى إذا ما العِزُّ قَلّصَ ظِلَّهُ ، وخَلا عَرينُ مَعاشري من أُسدِهِ
أخمَدتُ بالإدلاجِ أنفاسَ الفَلا ؛ وكحَلتُ طَرفي في الظّلامِ بسُهدِهِ[2]
بأغَرّ أدهَمَ ذي حُجولٍ أربَعٍ ، مُبيَضُّها يَزهو على مُسوَدِّهِ
خلَعَ الصّباحُ عليهِ سائلَ غُرّةٍ منهُ ، وقمّصَهُ الظّلامُ بجِلدِهِ

---

١ قوله : تششدر ، هكذا في الأصل ، ولم نجدها . بنده : علمه .
٢ الادلاج : سير الليل كله أو في آخره .

فكأنّهُ لمّا تَسَرْبَلَ بالدّجَى ، وَطِىءَ الضّحى فابيضّ فاضِلُ بُرْدِهِ

قَلِقُ المِراحِ ، فإن تَلاطَمَ خَطوُه ظَنَّ المُطارِدُ أنّهُ في مَهدِهِ

أرمي الحصَى من حافِرَيهِ بمِثلِهِ ، وأروعُ ضَوءَ الصّبحِ منه بضدّهِ

وأظَلّ في جَوبِ البلادِ كأنّني سيفُ ابنِ أرتُقَ لا يَقَرّ بغِمدِهِ

الصّالحُ المَلِكُ الذي صَلُحتْ به رُتَبُ العَلاءِ ولاحَ طالعُ سَعدِهِ

مَلِكٌ حوَى رُتَبَ الفَخارِ بسَعيِه ، والمُلكَ إرثاً عن أبيهِ وجَدّهِ

مُتَسهّلٌ في دَستِ رُتبَةِ مُلكِهِ ، مُتَصَعّبٌ من فوقِ صَهوَةِ جُردِهِ

فإذا بَدا مَلأَ العُيونَ مَهابَةً ؛ وإذا سَخا مَلأَ الأكُفَّ برِفدِهِ

كالغَيثِ يُولي النّاسَ جَوداً بعدما بَهَرَ العُقولَ ببَرقِهِ وبرَعدِهِ[1]

فالدّهرُ يُقسِمُ أنّهُ مِنْ رِقّهِ ، والموتُ يَحلِفُ أنّهُ من جُندِهِ

والوَحشُ تُعلِنُ أنّها من رَهطِهِ ، والطّيرُ تَدعُو أنّها من وَفدِهِ

نَشوانُ من خَمرِ السّماحِ ، وسُكرُه ما إن يُغَيِّبُ رأيَهُ عن رُشدِهِ

يا ابنَ الذي كفَلَ الأنامَ كأنّما أوصاهُ آدَمُ في كِلايَةِ وُلدِهِ[2]

المالِكُ المَنصورُ ، والمَلِكُ الذي حازَ الفَخارَ بجَدّهِ وبجِدّهِ

أصلٌ بهِ طابتْ مآثِرُ مَجدِكُمْ ، والغُصنُ يَظهَرُ طيبُهُ من وَردِهِ

بذَلَ الجَزيلَ على القَليلِ من الثّنا ، وأتَيتَ تُنفِقُ في الوَرى من نَقدِهِ

وهوَ الذي شَغَلَ العَدوّ بنَفسِهِ عنّي ، كما شغَلَ الصّديقَ بحَمدِهِ

---

١ الجود بالفتح : المطر الغزير ، وبالضم : الكرم .
٢ كلاية ، مسهل كلاءة : حراسة .

وأجارَني إذ حاولَتْ دَميَ العِدى، ورأتْ شِفاءَ صُدورِها في وِردِهِ
مِن كلِّ مَذّاقٍ تَبَسّمَ ثغرُهُ، وتوقّدتْ في الصّدرِ جُذوةُ حِقدِهِ[1]
ولذاكَ لم يَرَني بمنظَرِ شاعرٍ تَبغي قَصائدُهُ جَوائزَ قَصدِهِ
بل بامرىءٍ أسدَى إليهِ سَماحةً نِعَماً، فكانَ المَدحُ غايةَ جُهدِهِ
ودَرى بأنّ نِظامَ شِعري جَوهرٌ، وسواهُ نَحْرٌ لا يَليقُ بعقدِهِ
ولقد عَهِدْتُ إلى عَرائسِ فكرَتي أنْ لا تُزَفَّ لمُنعِمٍ مِن بَعدِهِ
لكنّكَ الفَرعُ الذي هوَ أصلُهُ، شرَفاً، ومجدُكَ بضعةٌ من مَجدِهِ
ونَجيُّهُ في سرّهِ، ووَصيُّهُ في أمرِهِ، وصَفيُّهُ مِن بَعدِهِ
وإليكَ كانَ المُلكُ يَطمَحُ بعدَهُ، يَبغي جَواباً لو سمَحتَ بردّهِ
فتركتَهُ طَوعاً، وكنتَ ممكَّناً من فلَكَ مِعصَمٍ كَفَّهِ عن زَندِهِ
وشَددتَ أزرَ أخيكَ يا هارونَهُ، لمّا توقّعَ منكَ شَدّةَ عَضْدِهِ
حتى أحاطَ بَنو المَمالكِ كلّها، علماً بأنّكَ قد وَفيتَ بعَهدِهِ
سمَحتْ بكَ الأيّامُ، وهيَ بواخلٌ، ولربّما جادَ البَخيلُ بعَمدِهِ
وعدَ الزّمانُ بأن نرَى فيكَ المُنى، والآنَ قد أوفَى الزّمانُ بوَعدِهِ
للهِ كمْ قَلّدتَني مِن مِنّةٍ، والقَطرُ أعظمُ أن يُحاطَ بعدّهِ
وعلِمتَ ما في خاطري لك من وَلا، حتى كأنّكَ حاضِرٌ في وُدّهِ
إن كانَ بُعدي عن عُلاكَ خَطيّةً، قد يَغفِرُ المَولى خَطيّةَ عَبدِهِ
بُعدُ الوَفيّ كقُربِهِ، إذْ وُدُّهُ باقٍ كما قُربُ المَلولِ كبُعدِهِ

---

[1] المذاق: من كان وده غير خالص.

مَدحي لمجدِكَ عن وَدادٍ خالِصٍ، وسِواي يُضمِرُ صابَهُ في شَهدِهِ[1]
إذْ لا أرومُ بهِ الجزاءَ لأنّهُ بحرٌ أُنزِّهُ غُلّتي عن وِردِهِ
لا كالذي جعلَ القريضَ بِضاعةً، متوَقّعاً كَسبَ الغِنى من كَدِّهِ
فاستَجلِ دُرّاً أنتَ لُجّةُ بَحرِهِ، والبَسْ ثَناءً أنتَ ناسِجُ بُردِهِ
يَزدادُ حُسناً كُلّما كرّرتَهُ، كالتِّبرِ يَظهَرُ حُسنُهُ في نَقدِهِ

ملك يرجى ويحذر

وقال يمدحه عند نزوله بالصور ويصف مجلسه ويهنيه بعيد الفطر ويعتذر لديه عن الانقطاع وذلك في السنة المذكورة :

من نَفخةِ الصّورِ أم من نَفحةِ الصّورِ أحيَيتِ يا رِيحُ مَيتاً غَيرَ مَقبُورِ[2]
أم من شَذا نسمةِ الفردوسِ حينَ سرَتْ على بَليلٍ مِنَ الأزهارِ مَمطورِ
أمْ روضِ رَشملَ أعدى عطرُ نفحتِهِ طَيَّ النّسيمِ بنَشرٍ فيهِ مَنشُورِ[3]
والرّيحُ قد أطلَقَتْ فضلَ العِنانِ بهِ، والغصنُ ما بينَ تَقديمٍ وتأخيرِ

---

١ الصاب : شجر مر .
٢ الصور الأولى : بوق يوم الحشر . الثانية : موضع .
٣ رشمل : موضع .

كأنّها ، وهيَ في الأكوابِ ساكبةٌ ، طيرٌ تَزُقُّ فِراخاً بالمَناقيرِ
أمسَتْ تُحاولُ منّا ثأرَ والدِها ودوسَهُ تحتَ أقدامِ المَعاصيرِ
فحينَ لم يَبقَ عقلٌ غيرَ مُعتقَلٍ مِنَ العُقارِ ولبٌّ غيرَ مَعقورِ
أجلَتْ في الصّحبِ ألحاظي فكم نظرَتْ ليثاً تُعفّرُهُ ألحاظُ يَعفُورِ[1]
من كلّ عينٍ عليها مثلُ تالثِها مكسورةٍ ذاتِ فَتكٍ غيرِ مكسورِ[2]
أقولُ ، والرّاحُ قد أبدتْ فواقعَها والكأسُ يَنفُثُ فيها نَفثَ مَصدورِ
أسأتَ يا مازجَ الكاساتِ حِليتَها ، وهَلْ يُتَوَّجُ ياقوتٌ ببَلّورِ
وقائلٍ إذ رأى الجنّاتِ عاليةً ، والحُورَ مَقصورةً بينَ المَقاصيرِ
والجَوسَقَ الفَردَ في لُجّ البُحيرَة ، والـ صّرحَ المُمرَّدَ فيهِ من قَواريرِ
لمن تَرى المُلكَ بعدَ اللهِ ؟ قلتُ لهُ مَقالَ مُنبَسطِ الآمالِ مَسرورِ
لصاحبِ التّاجِ والقَصرِ المَشيدِ ومَن أتَى بعَدلٍ برَحبِ الأرضِ مَنشورِ
فقال : تَعني به كِسرى ؟ فقلتُ له : كسرى بنُ أُرتُقَ لا كسرى بنُ سابورِ
الصّالحُ الملكُ المَشكورُ نائلُهُ ، ورُبّ نائلِ مُلْكٍ غيرِ مَشكورِ
مَلْكٌ ، إذا وفّرَ النّاسُ الثّناءَ لهُ أمسَتْ يَداهُ بوَفرٍ غيرِ مَوفورِ
مَحبوبَةٌ عندَ كلّ النّاسِ طَلعتُهُ ، كأنّها لهَبٌ في عَينِ مَقرورِ
يُرجى ويُحذَرُ في يَومَي ندًى ورَدًى ، والبَحرُ ما بينَ مَرجُوٍّ ومَحذورِ
شمسٌ تُحيلُ ضياءَ الشّمسِ طلعتُه ، كأنّما عُوجِلَتْ منهُ بتَكويرِ

---

١ اليعفور : الغزال .
٢ قوله : تالثها ، هكذا في الأصل .

لا تَفخَرُ الشّمسُ إلاّ أنّها لَقَبٌ	لهُ ، وشِبهٌ لهُ في العِزّ والنّورِ
إنْ هَمّ بالجُودِ لم تَنظُرْ عزائمُهُ	في فِعلِهِ بينَ تَقديمٍ وتأخيرِ
يَلقاكَ قبلَ العَطا بالبِشرِ مُبتَدِئاً	بَسطاً ، وبعدَ العَطايا بالمَعاذِيرِ
رأتْ بنُو أرتُقٍ نَهجَ الرّشادِ بهِ ،	وليسَ كلُّ زِنادٍ في الدّجى يُورِي
برأيِهِ انصَلَحتْ آراءُ مُلكِهِمُ ،	كأنّهمْ ظَفِروا منهُ بإكسيرِ[1]
كم عُصبَةٍ مُذ بَدا سُوءُ الخِلافِ بها	بادَتْ بصارِمِ عَزمٍ منهُ مَشهورِ
سَعَوا إلى الحَربِ ، والهاماتُ ساجدةٌ ،	والبِيضُ ما بينَ تَهليلٍ وتَكبيرِ
مشَوا كمَشي القَطا ، حتى إذا حمَلوا	ثِقلَ القُيودِ مَشوا مشيَ العَصافيرِ
يا باذِلَ الخيلِ في يومِ الغُلُوّ بها ،	وما أتَينَ بسَعيٍ غَيرِ مَشكُورِ
إن كانَ زهوَةُ كسرى بالألوفِ فكمْ	وهَبتَ من عَدَدٍ بالألفِ مَجذورِ[2]
أو كانَ بالجَوسقِ النّعمانُ تاه ، فكم	من جَوسَقٍ لكَ بالشِّعبينِ مَعمورِ
في كلّ مُستَصعَبِ الأرجاءِ مُمتَنِعٍ	تُبنَى القَناطِرُ فيهِ بالقَناطيرِ
لو مَرّ (عادُ بنُ شَدّادٍ) بجَنّتِهِ	أقامَ يَقرَعُ فيها سِنّ مَغرُورِ
لا غروَ إن جُدتَ للوُفّادِ قاصدَةً	إليكَ تَطوي الفَلا طَيَّ الطّواميرِ[3]
إن تَسعَ نحوَكَ من أقصى الشّآمِ ، فقَد	سعَتْ إلى الملكِ المَنصورِ من صُورِ
فاسعَدْ بعيدٍ بهِ عادَ السّرورُ لَنا ،	وعادَ شانيكَ في غَمٍّ وتَكديرِ
صُمّتْ بصَومِكَ أسماعُ العُداةِ ، وكم	قلبٍ لهم منكَ بالإفطارِ مَفطورِ

---

١ الاكسير : الكيمياء .
٢ المجذور : العدد المضروب بنفسه .
٣ الطوامير : الصحف ، الواحد طامور .



ولو أنّها نادَتْ عظامي أجابَها فَمي لا صَدًى من جانبِ القبرِ صائحُ
لئِنْ بَخِلَتْ إنَّ الخَيالَ مسامحٌ ؛ وإن غضِبَتْ فالطّيفُ منها مُصالحُ
حبيبٌ لإهداءِ التّحيّةِ مانعٌ ، وطَيفٌ للَذّاتِ التّواصُلِ مانحُ
وبِكرِ فَلاةٍ لَمْ تَخفْ وَطْءَ طامثٍ ، ولا افتَضّها من قبلِ مُهريَ ناكحُ
كشَفتُ خِمارَ الصّونِ عن حُرّ وَجهها ضُحًى ، ولثامُ الصّبحِ في الشرقِ طائحُ
وأنكَحتُها يَقظانَ من نَسلِ لاحقٍ ، فأمسَتْ به، مع عُقمِها، وهيَ لاقحُ[1]
من الشُّهبِ في إدراكِهِ الشُّهبَ طامعٌ ، فناظِرُهُ نحوَ الكَواكبِ طامحُ
أخوضُ به بحرَ الدّجى وهوَ راكدٌ ، وأُورِدُهُ حَوضَ الضّحى وهوَ طافحُ
وقائلَةٍ ما لي أراهُ كَدَمعِهِ يظَلّ ويُمسي ، وهوَ في الأرضِ سائحُ
أطالبُ مغنًى؟قلتُ: كلاّ ،ولا غِنًى ، ولستُ على كَسبِ اللّذاذِ أُكافحُ[2]
ولكنّ لي في كلّ يومٍ إلى العُلَى حوائجَ ، لكنْ دونَهن جَوائحُ
فقالت : ألا إنّ المَعالي عزيزَةٌ ، فكَيفَ ، وقد قَلّتْ لديك المَنائحُ
فهل لكَ وَفْرٌ؟قلتُ: إي ،وهوناقصٌ ، فقالت : وقدرٌ؟ قلتُ: إي ،وهوَ راجحُ
فقالتْ : وجَدٌّ؟قلتُ : إي ،وهوَ أعزَلٌ ، فقالتْ : وضدٌّ؟ قلتُ: إي ،وهوَ رامحُ
فقالتْ : ومَجدٌ؟قلتُ : إي ،وهوَ مُتعِبٌ فقالتْ: وسعدٌ؟قلتُ: إي ،وهوَ ذابحُ
فقالتْ : ومُلكٌ؟قلتُ : إي ،وهوَفاسدٌ ، فقالتْ : ومَلْكٌ؟قلتُ: إي ،وهوَ صالحُ
مليكٌ شرَى كَنزَ الثّناءِ بمالِهِ ، على أنّهُ في صَفقةِ المَجدِ رابحُ

---

١ لاحق : فرس عتيق .
٢ اللذاذ : جمع لذيذ .

تَظُنُّ بأيديهِ الأنامُ أناملاً ، وهنّ لأرزاقِ العبادِ مَفاتحُ
جَوادٌ ، إذا ما الجُودُ غاضتْ بحارُه ، حَليمٌ ، إذا خفّ الحُلومُ الرّواجحُ
إذا خامَرَتهُ الرّاحُ أبقَتْ رَوِيّةً من الرّأي لا تَخفى عليها المَصالحُ
يَعُمُّ الأقاصي جُودُهُ ، وهوَ عابسٌ ، وتَخشَى الأداني بِشرَهُ ، وهوَ مازحُ
كما تَهَبُ الأنواءُ ، وهيَ عَوابسٌ ، وتَضحَكُ في وجهِ القَتيلِ الصّفائحُ
من القَومِ إن عُدّ الفَخارُ ، فإنّهم هم الرّوحُ فَخراً ، والأنامُ جَوارحُ
أكفُّهُمُ للمَكرُماتِ مَفاتِحٌ ، وذِكرُهمُ لاسمِ الكِرامِ فَواتحُ
إذا احتَجَبوا نَمّتْ عليهم خِلالهُم ، كذا المِسكُ يخفى جِرمُه ، وهوَ فائحُ
أيا مَلِكاً أرضَى المَعالي بسَعيِهِ ، وراضَ جِيادَ المُلكِ وهيَ جَوامحُ
نَهَضتَ بأمرٍ يُعجِزُ الشُّمَّ ثِقلُهُ ، فقُمتَ بهِ جَزِعاً ، ورأيُكَ قادحُ[1]
وألّفتَ شَملَ المُلكِ بعدَ شَتاتِهِ ، وقد صاحَ فيهِ بالتّفَرّقِ صائحُ
مَدَدتَ إلى العَلياءِ كَفّكَ ، والعُلى تَمُدُّ أكُفّاً ما لهنّ مُصافحُ
فجاءَتكَ طَوعاً في الزّمامِ ، ولم تكنْ بمُهجَتِها إلاّ علَيكَ تُكافحُ
وجَمرَةِ حَربٍ أجّجَ الشُّوسُ وَقدَها وبِيضُ الظُّبَى والعادِياتُ الضّوابحُ[2]
رِجالٌ جَحاجِحٌ ، وجُردٌ سَوابحٌ ، وسُمرٌ جَوارحٌ ، وبِيضَ صَفائحُ[3]
وقَفتَ لها والمُرهَفاتُ ضَواحِكٌ ، وُجوهُ الرّدى ما بَينَهنّ كَوالحُ

1 الجزع : القطع ، ولعلها محرفة .
2 العاديات الضوابح : الخيول التي تخرج في عدوها صوتاً ليس بصهيل ولا حمحمة .
3 هذا البيت مختل الوزن .

أعزُّ أظهر ، من راياتِ عَزمتِهِ ؛ آياتِ جودٍ لآياتِ الكِرامِ مَحَتْ
أخفَى المُلوكَ تَجلّيهِ لأنّهُمُ شُهبٌ إذا بزَغتْ شمسُ الضّحى نزَحتْ
تَلوي يَداهُ صِفاحَ الهِندِ عن غَضَبٍ، حتى إذا ظفِرَتْ عن قُدرَةٍ صَفحتْ
ما إن تزالُ مَقاليتاً خزائنُهُ ، لأنّها بوَليدِ المالِ ما فَرِحتْ[1]
لولا فَنا المالِ لم تُحمَدْ مَكارِمُه ، والرّاحُ لولا فَناءُ العقلِ ما مُدحتْ
أثنى عليهِ بنُو الآمالِ حينَ غَدا يُعطي القَرائحَ منهم فوقَ ما اقترَحتْ
قالوا : وردنا نَداه ؛ قلتُ : عادتُه ؛ قالوا: وجادتْ يداه؛ قلتُ: ما برِحتْ
لو انّ نَيلَ نجومِ الأفقِ حاجتُكُم، أو بَدرَها ، وافتَتحتم باسمهِ نجَحتْ
يا قائدَ الخَيلِ تَنزو في أعِنّتِها ، تَلوي الشّكائمَ غَيظاً كلّما مرَحتْ
حمر الأديمِ صَقيلاتٍ مَلابسُها ، كأنّها في دَمِ الأبطالِ قد سبَحتْ
تَغدو غَضابَى ،إذا اسوَدّ العَجاجُ لها، حتى إذا شاهدتْ ضحكَ الظُّبَى فرِحتْ
يَحمِلنَ أُسداً إلى الهَيجاءِ باسمَةً ثُغورُها ووُجوهُ الموتِ قد كَلَحتْ
لا يَستَشيرونَ في الهَيجا سوى قُضُبٍ إذا استُشيرَ بها في مَعرَكٍ نَصَحتْ
خفّوا إلى الحربِ أقداماً ولو وُزِنَتْ حُلومُهم برَواسي أرضِهِمْ رَجَحتْ
غَضّ الزّمانُ عيونَ السّوءِ عن ملِكٍ كلُّ العيونِ إلى مَعروفِهِ طمَحتْ
من فِتيَةٍ بحُمَيّا الشّكرِ قد سَكِرَتْ لفَرطِ ما اغتَبَقَتْ بالمدحِ واصطبحتْ
تَلقَى العُفاةَ من المَعروفِ دارِعَةً ، أعراضُها بنِصالِ الذّمّ ما جُرِحَتْ
يُملي علينا المَعاني حسنُ أنعُمِهِ ، كأنّما علّمتْنا ما بهِ مُدِحَتْ

---

[1] المقاليت ، الواحدة مقلات : التي لا يعيش لها ولد .

يا مَن به خُتِمتْ آيُ السّماحِ لَنا ، كما بآياتِهِ من قَبلِهِ فُتِحتْ
لولاكَ ما زالَ ليلُ الخَطبِ مُعتَكِراً على الورى وضُحى الإنصافِ ما وضَحتْ
تستَبشرُ الشّمسُ لمّا لقّبوكَ بها ، وما درَتْ أنّها في ذلكَ افتَضَحتْ
لو أنّها جَمَعتْ أوصافَكَ اتّفقَتْ على عِبادَتِها الأديانُ واصطلَحتْ
ولَيلِ نَقعٍ حكَتْ شُهبُ الرّماحِ بهِ نجومَ أُفقٍ إلى جنحِ الدّجى جنَحتْ
قدحتَ فيهِ من الآراءِ نارَ وَغًى ، فأحرَقتْ فئةً في المُلكِ قد قدَحتْ
تَدَرّعتْ للوَغى ، حتى حَسَرْتَ لها مُبارزاً ، فهقَرتْ من بعد ما جمحتْ
أرخَى الحِذارُ على الأرماحِ أيديَهم ، فكُلّما حاولوا طَعناً بها سبَحَتْ
يا باذِلَ الخَيلِ عَفواً بعدَ عِزّتِها ، وما جنتْ في الوغى ذنباً ولا اجترَحتْ
عندي أياديكَ لا تَخفَى صَنائعُها ، هل تَستُرُ الشمسَ كفٌّ بعدما وضَحتْ
ودّعتُكم ، وثَنائي لا يُودّعُكم ، وسِرتُ لا بعُدتْ داري ولا نزَحتْ
أشدو بمَدحِكُمُ حُبّاً ، وبي مِحَنٌ لو أنّ أيسَرَها بالوُرقِ ما صَدَحتْ
ما إن أفوهُ بشرحٍ في المَقالِ لها ، لكنّها بلِسانِ الحالِ قد شرَحتْ
لا أذمُّ الدّهرَ في أمرٍ رُميتُ بهِ ، ولا أقولُ: حَصاةُ الحظّ ما رَشَحتْ[1]
وكيفَ أنسُبُ فَرطَ البُخلِ في زمَنٍ أكُفُّهُ ببَقا أمثالِكم سمَحَتْ
لَئِنْ نأتْ عنكُمُ يوماً جَوانحُنا ، فإنّ أرواحَنا في رَبعِكُم جنَحَتْ
وكلَّ يومٍ مَقالي عندَ ذكرِكمُ : يا ساكني السّفحِ كم عينٍ بكم سفحتْ

---

١ قوله : حصاة الحظ ، لعله يشير إلى حصاة القسم التي كان العرب في الجاهلية يقسمون بها الماء بينهم حينما يقل وهم مسافرون .

يُخفي مَكارِمَهُ ، والجودُ يُظهِرُها ، وكيفَ يَخفَى أريجُ المِسكِ إذ نَفَحا
يكادُ يَعقُمُ فِكري ، إذ أُفارقُهُ ، عن المَديحِ ، وإن وافيتُه لَقِحا
فَما أرتنا اللّيالي دونَهُ مِحَناً ، إلاّ سَخا ، فأرَتنا كفُّهُ مِنَحا
ثَبتُ الجَنانِ ، مَريرُ الرّأي صائبُهُ ، إذا تَقاعسَ صرفُ الدّهرِ أو جمَحا
لا يَستَشيرُ سِوى نَفسٍ مُؤيَّدَةٍ ، من أخطأ الرّأيَ لا يَستَذنِبُ النُّصَحا
ولا يُقَلِّدُ إلاّ ما تَقَلَّدَهُ من حَدّ عَضبٍ إذا شاوَرتَه نَصَحا
ولا يُذيلُ عليهِ غَيرَ سابغَةٍ ، كأنّما البرقُ من ضَحضاحِها لُمِحا[1]
مسرودةٍ مثلِ جِلدِ الصِّلّ لو نُصِبتْ قامتْ ، ولو صُبّ فيها الماءُ ما نضَحا
غضّتْ عيونُ الرّدى والسّوء عن ملِكٍ طَرفُ الزّمانِ إلى عَليائِه طَمَحا
ما ضَرّ مَن ظلّ في أفناءِ مَنزِلِهِ ، إن أغلَقَ الدّهرُ بابَ الرّزقِ أو فتَحا
يَوَدُّ باغي النّدى لو نالَ بُلغَتَه ، حتى إذا حَلّ في أفنائِهِ اقترَحا
لمّا رأى المالَ لا تَلوي عليه يَدي ، أولانيَ الوُدّ ، إذْ أولَيتُهُ المِدَحا
يا أيّها المَلِكُ المَحسودُ آمِلُه ، والمُجتدى جُودُ عافيهِ لما مُنِحا
لو ادّعَتْ جُودَكَ الأفواهُ لاتُّهِمَتْ ، ولو تَعاطاهُ لُجُّ البَحرِ لافتَضَحا
حُزتَ العُلى ، فدعاكَ النّاسُ سيّدهم ، والكأسُ لولا الحُمَيّا سُمّيتْ قدَحا
في وَصفِنا لَكَ بالإنعامِ سوءُ ثَناً ، والغيثُ يُنقِصُهُ إن قيلَ قد سَمَحا
يا باذلاً من كنوزِ المالِ ما ذَخَروا ، وقابِضاً من صُيودِ الشّكرِ ما سنَحا
ومُلبِسي النّعَمَ اللاّتي يُباعِدُني عَنها الحَياءُ ، فلا أنفَكُّ مُنتَزِحا

---

[1] الضحضاح : الماء اليسير ، أو القريب القعر .

لئِن خصَصتُكَ في عيدٍ بتَهنئَةٍ ، فَما أجَدتُ ، ولا عُذري به وَضَحا
العيدُ نَذكُرُهُ في العامِ واحدَةً ، وجُودُ كَفّكَ عيدٌ قطّ ما بَرِحا
لكن أُهنّي بكَ الدّينَ الحَنيفَ ، فقد أتَيتَ للدّينِ مَخلوقاً كما اقترَحا
فاسلَمْ ، فما ضرّني ، ما دامَ جودُك لي ، سِواكَ إن منَعَ الإحسانَ أو منَحا

يرنحه سمع المديح

وقال يمدحه عند وروده من الشام
ويتغزل بغلام أخذه منه الأمراء بحلب
بالخديعة :

لَعَلّ ليَالي الرّبوَتَينِ تَعودُ ، فتُشرِقَ من بَعدِ الأُفولِ سُعُودُ
ويُخصِبَ رَبعُ الأنسِ من بعدِ مَحلِه ، ويُورِقَ من دَوحِ التّواصُلِ عُودُ
سقَى حلباً صوبُ العِهادِ ، وإن وهَتْ مَواثيقُ من سُكّانِها وعُهودُ
وحيّا على أعلى العقَيقةِ منزِلاً ، عُيونُ ظِباءٍ للأُسودِ تَصيدُ
إذا ما انتَضَتْ فيه اللّحاظُ سُيوفَها ، فإنّ قُلوبَ العاشقينَ غُمودُ
ردَدنا به بِيضَ الصِّفاحِ كليلَةً ، فصالَتْ علَينا أعيُنٌ وقُدودُ
فلِلّهِ عَيشٌ بالحَبيبِ قضَيتُهُ ، فُوَيقَ قُوَيقٍ ، والزّمانُ حَميدُ[1]

---

[1] قويق : نهر بحلب .

بظَبيٍ من الأتراكِ في رَوضِ خدّهِ غَديرُ مياهِ الحُسنِ فيهِ ركُودُ
تَملّكتُهُ رِقّاً ، فكانَ لحُسنِهِ ، هوَ المالكُ المَولى ، ونَحنُ عَبيدُ
فكنتُ ابنَ همّامٍ ، وقد ظفرَتْ يدي بهِ ، ودمشقٌ في القِياسِ زَبيدُ
إلى أن قضَى التّفريقُ فينا قَضاءَهُ ، وذلكَ ما قد كنتُ منهُ أحيدُ
فغيّبَ بدراً يَفضحُ البدرَ نُورُه ، وغُصناً يُميتُ الغصنَ حينَ يَميدُ
وقد كنتُ أخشَى فيه من كيدِ حاسِدٍ ، ولم أدرِ أنّ الدّهرَ فيهِ حَسودُ
فيا مَن يراهُ القلبُ ، وهوَ مُحَجَّبٌ ، وتُوجِدُهُ الأفكارُ ، وهوَ فَقيدُ
إذا كنتَ عن عَيني بَعيداً ، فكلٌّ ما أسَرُّ بهِ ، إلاّ الحِمامَ ، بَعيدُ
وما نابَ عنكَ الغَيرُ عندي ، وقلّما يَنوبُ عن الماءِ القَراحِ صَعيدُ
إذا كنتُ في أهلي ورَهطي ولم تكنْ لديّ ، فإنّي بَينَهمْ لوَحيدُ
وإن كنتَ في قَفرِ الفَلاةِ مقرَّباً إليّ ، فعَيشي في الفَلاةِ رَغيدُ
ولو كنتَ تُشرَى بالنّفيسِ بذَلتُهُ ، ولو أنّ حبّاتِ القلوبِ نُقودُ
ولكنّ مَن أودى هَواكَ بلُبّهِ مُريدٌ لما أصبَحتُ منكَ أُريدُ
جلوتَ له وجهاً وقَدّاً مُرَنّحاً ، وفَرعاً وفَرقاً وافرٌ ومَديدُ[1]
فشاهَدَ بَدراً فوقَ غصنٍ يُظلّهُ دُجًى ، لاحَ فيهِ للصّباحِ عَمُودُ
أقولُ ، وقد حَقّ الفِراقُ ، وأحدقتْ من التُّركِ حَولي عدّةٌ وعَديدُ
وقد حجَبَ الظَّبْيَ الرّقيبُ ، وأقبلَتْ تُمانعُني دونَ الكِناسِ أُسودُ
وتَنظُرُني شَزراً ، من السُّمرِ والظُّبَى ، نَواظرُ إلاّ أنّهنّ حَديدُ

---

[1] الوافر والمديد : من أوزان الشعر وورى بهما عن وفرة فرعه أي شعره وعن امتداد قده .

لكَ اللهُ مِن جانٍ عليّ برُغمِهِ ، ومُتّهَمٍ بالغَدرِ ، وهوَ وَدودُ
ومَن باتَ مَغصوباً على تَركِ صُحبتي بنَزعِ مُريدِ الإنسِ ، وهوَ مَريدُ
معطَّلَةٌ بينَ السّلُوّ لفَقدِهِ ، وقَصرُ غَرامي في هَواهُ مَشيدُ
ولم يَبقَ إلاّ حسرَةٌ وتذَكّرٌ ، وطيفٌ يُرى في مَضجَعي ، فيرودُ
جزَى اللهُ عنّي الطّيفَ خيراً ، فإنّهُ يُعيدُ ليَ اللّذّاتِ حينَ يَعودُ
سرَى من أعالي الشّامِ يَقصِدُ مِثلَهُ ، ونحنُ بأعلى ماردينَ هُجُودُ
فقَضّيتُ عَيشاً ، لو قَضيناهُ يَقظَةً ، لَقامَتْ علَينا للإلَهِ حُدودُ
وبَرقٍ حكَى ثَغرَ الحَبيبِ ابتسامُهُ ، تألّقَ وَهناً ، والرّفاقُ رُقُودُ
يُعلّمُ عَينَيّ البُكا ، وهوَ الفَهَا ، وإن كانَ دَمعي ما علَيهِ مَزيدُ
كما علّمتْ صوبَ الحَيا ، وهوَ عالمٌ ، يدُ الصّالحِ السّلطانِ ، كيفَ يَجودُ
مليكٌ ، إذا رامَ الفَخارَ سمَتْ بهِ إلى الفَخرِ آباءٌ لهُ وجُدودُ
إذا جادَ فالبِيدُ السّباسبُ أبحرٌ ؛ وإنْ صالَ ، فالشُّمُّ الشّواهقُ بِيدُ
سَماحٌ لهُ تحتَ الطِّباقِ تَحَدّرٌ ، وعَزْمٌ لهُ فوقَ الشِّدادِ صُعودُ[1]
لَياليهِ بِيضٌ عندَ بَذلِ هِباتِهِ ، وأيّامُهُ ، عندَ الوَقائعِ ، سُودُ
يُرنّحُهُ سَمعُ المَديحِ تكرّماً ، وإنّ لَبيداً عندَهُ لبَليدُ
وقَفتُ ، وأهلُ العَصرِ تَنشُرُ فضلَهُ ، ويَسألُني عن مَجدِهِ ، فأُعيدُ
فقالوا: له حُكمٌ ؛ فقلتُ: وحِكمةٌ ؛ فقالوا : له جَدٌّ ، فقلتُ : وجُودُ
فقالوا: له قَدْرٌ ؛ فقلتُ: وقُدرَةٌ ؛ فقالوا : له عَزمٌ ؛ فقلتُ : شَديدُ

---

١ الشداد ، أراد السبع الشداد : السموات .

فقالوا : له عَفوٌ ؛ فقلتُ : وعِفّةٌ ؛ فقالوا : له رأيٌ ؛ فقلتُ : سَديدُ
فقالوا : له أهلٌ ؛ فقلتُ : أهِلّةٌ ؛ فقالوا : له بَيتٌ ؛ فقلتُ : قَصيدُ
من القوم في مَتنِ الجِيادِ وِلادُهُمْ ، كأنّ مُتونَ الصّافِناتِ مُهودُ
غُيوثٌ لهم يومَ الجِيادِ من الظُّبَى بُرُوقٌ ، ومن وَطءِ الجِهادِ رُعودُ
أيا مَلِكاً لو يَستَطيعُ سميُّهُ تَحَمُّلَهُ ما خالَفتهُ ثَمُودُ
دُعيتَ لمُلكٍ لا يَؤودُكَ حِفظُهُ ، وإن كانَ ثِقلاً للجِبالِ يَؤودُ
فقَوّمتَ زَيغَ الحقّ ، وهوَ مُمَنَّعٌ ، وقُمتَ بعِبْءِ المُلكِ ، وهوَ شَديدُ
وسَهّدتَ في رَعيِ العِبادِ نَواظِراً ، بها النّاسُ في ظلّ الأمانِ رُقودُ
وأحيَيتَ آثارَ الشّهيدِ بنائِلٍ مَعَ النّاسِ منهُ سائقٌ وشَهيدُ
فَيا لكَ سَيفاً في يدَيْ آلِ أرتُقٍ ، يُدافعُ عن أحسابهمْ ويَذودُ
ويا حاملَ الأثقالِ ، وهيَ شَدائدٌ ، ويا مُتلِفَ الأموالِ ، وهيَ جُنودُ
لكَ اللهُ قد جُزتَ الكواكبَ صاعداً ، إلى الغايَةِ القُصوى ، فأينَ تُريدُ
يُهَنّيكَ بالعيدِ السّعيدِ مَعاشِرٌ ، ولي كلّ يومٍ من هَنائكَ عِيدُ
ولو أنّ عيدَ النّحرِ نَحرٌ مُجَسَّمٌ غَدا فيكَ مَدحي ، وهوَ فيهِ عُقودُ
ولولا هَواكم ما سرَتْ لي مَدحَةٌ ، ولا شاعَ لي بينَ الأنامِ قَصيدُ
ولمّا جلَوتُ المَدحَ ، وارتحتُ للنّدى ، ورُحنا ، وكلٌّ في الطّلابِ مُجيدُ
قصَدنا المَعاني ، والمَعالي ، فلَم أزَلْ أُجيدُ بأشعاري ، وأنتَ تَجودُ
يَقولونَ لي : قد قَلّ نَهضُكَ للسُّرَى ، وما عَلِموا أنّ النّوالَ قُيودُ
فقلتُ : ملَلتُ السّيرَ مذ ظفِرَتْ يدي بأضعافِ ما أختارُهُ وأُريدُ

لدَى مليكٍ كالرّمحِ أمّا سِنانُهُ فَماضٍ ، وأمّا ظِلُّهُ فمَديدُ
تنبّه لي ، والعِزُّ عنّيَ راقِدٌ ، وقامَ بنَصري ، والأنامُ قُعودُ
فيَا قِبلَةَ الجودِ التي لبَني الرّجَا رُكُوعٌ إلى أركانِها وسُجُودُ
ليَهنِكَ ملكٌ لا يزالُ مُخيِّماً لديْكَ ، وذِكرٌ في الأنامِ شَريدُ
لئِن بِتَّ مَحسودَ الخِصالِ ، فلا أذًى ، كذا مَن غَدا في النّاسِ ، وهوَ فَريد
إذا عَمَّ نورُ البَدرِ في أفقِ سَعدِهِ ، فَما ضَرَّهُ أن السّماكَ حَسودُ

حامل الاثقال

وقال يمدحه وأرسلها إليه من الشام
سنة عشرين وسبعمائة :

نَمَّ بسِرِّ الرّوضِ خَفقُ الرّياحْ ، واقتَدَحَ الشّرقُ زِنادَ الصّباحْ
وأخجَلَ الوَردُ شُعاعَ الضّحَى ، فابتَسَمتْ منهُ ثغورُ الأقاحْ
وقامَ في الدّوْحِ لنَعْيِ الدّجَى ، حَمائِمٌ تُطرِبُنا بالصّياحْ
مُذ وُلدَ الصّبحُ، وماتَ الدّجَى ، صاحتْ ، فلَم نَدرِ غِناً أم نُواحْ
ويوم دَجنٍ حُجِبَتْ شَمسُهُ ، وأشرَقتْ في لَيلِهِ شمسُ راحْ
فَما ظَنَنّا الصّبحَ إلاّ دُجًى ، ولا حَسِبنا اللّيلَ إلاّ صَباحْ
وقابلَتْ نورَ الضّحَى أوجُهٌ للغِيد تَبغي في الصّباحِ اصطِباحْ

فَظَلْتُ ذا النّورينِ في مَجلِسي   من وَجهِ صُبحٍ ووُجوهٍ صِباحْ
وشادنٍ إن جالَ ماءُ الحَيا   في مُقلتَيهِ زادَهنّ اتّقاحْ[1]
يُسكِرُنا من خَمرِ ألحاظِهِ ،   ويَمزُجُ الجِدّ لَنا بالمُزاحْ
من لحظِهِ يَسقي ، ومن لَفظِهِ   وريقِهِ خَمراً حَلالاً مُباحْ
نَواظرٌ تُعزى إليها الظُّبَى ،   وقامَةٌ تُعزى إليها الرّماحْ
يا عاذِلي في حُسنِ أوصافِهِ ،   ومُسمِعي وصفَ الفَتاةِ الرَّداحْ[2]
في حُبِّ ذي القُرطَينِ ، يا لائمي ،   لي شاغلٌ عن حبّ ذاتِ الوِشاحْ
دَعني أُقَضّي العيشَ في غِبطَةٍ   مُتّبِعاً مَغدَى الهَوى والمَراحْ
من قبلِ أن يَهتِفَ داعي النّوى ،   فلَم أجِدْ عن بَينِنا من بَراحْ
فكلّ يومٍ لي برُغمِ العُلَى   في كلّ أرضٍ غُربةٌ وانتِزاحْ
واضيعةَ العُمرِ وفَوتَ المُنى ،   بينَ رِضَى الكُومِ وسُخطِ المِلاحْ[3]
ورُبّ لَيلٍ خُضتُ تَيّارَهُ   بأدهَمٍ يَسبُقُ جَريَ الرّياحْ
مُحَجَّلِ الأربعِ ذي غُرّةٍ   مَيمونَةِ الطّلعَةِ ذاتِ اتّضاحْ
كأنّهُ قد شَقّ بحرَ الدّجَى ،   وبعدَهُ خاضَ غَديرَ الصّباحْ
لم تَعلَمِ الأبصارُ في جَريِهِ   قادِمَةٌ خَفّتْ بهِ أمْ جَناحْ
يَقرأُ من وحي ضَميري لهُ   تَقاعُساً رُمتُ بهِ أمْ جِماحْ
مُذْ فَسَدَ العيشُ رأى قَصدَهُ   للمَلِكِ الصّالحِ عينَ الصّلاحْ

[1] الشادن : ولد الغزال . الاتقاح : الوقاحة .
[2] الرداح : الثقيلة العجز .
[3] الكوم : النياق .

المَلكُ النَّدبُ الذي شُكرُهُ صارَ اعتِباراً للوَرى واصطِلاحْ
مُمَنَّعُ المَجدِ رَفيعُ العُلى ، لم يَكُ إلاّ مالُهُ مُستَباحْ
يكادُ من دِقّةِ أفكارِهِ يُزري بما يُجري القَضاءُ المُتاحْ
لهُ يَدٌ ، إن جادَ ، كانتْ حَياً ، وهِمّةٌ ، إن جالَ ، كانتْ سِلاحْ
ورحبُ صَدرٍ كُلّما هيمَنَتْ فيهِ نَسيمُ المَدحِ زادَ ارتِياحْ[1]
يا حامِلَ الأثقالِ مِن بَعدِ ما حَطّ مراراً غيرُهُ واستراحْ
لولاكَ ، يا وابلُ ، زَرعُ النّدى أضحَى هَشيماً ، وذَرَتهُ الرّياحْ
يا ابنَ الذي حَجّ إليهِ الوَرَى لكَونِهِ كعبَةَ دينِ السّماحْ
إن قَصُرَتْ منّي إليكَ الخُطى ، ما قَصُرَتْ منّي يدُ الامتِداحْ
فقد جعَلتُ الأرضَ من مَدحِكم خَضرا ، وشِعري جائلٌ كالوِشاحْ
خفَضتُ بالنّصبِ استِعاراتِهِ ، كما أُعيرَ الذُّلُّ خَفضَ الجَناحْ
إذا تَلاهُ الوفدُ قالَ الوَرى : هذا هوَ السّحرُ الحَلالُ المُباحْ
ذِكرُكَ كالمِسكِ ، ولكِنّهُ إن ضَوّعَتهُ نَسمةُ المَدحِ فاحْ

---

[1] هيمنت : رفرفت . وقد أعاد ضمير المؤنث إلى النسيم وهو مذكر على اعتبار معناه وهو الريح اللينة .

عذر المسيء وجود المحسن

وقال يمدحه عند وصوله من الحجاز الشريف وأرسلها إليه من مصر سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة :

إنّي لَيُطرِبُني العَذولُ، فأنثني ، فيُظَنُّ أنّي عَن هَواكم أنثَني[1]
ويَلَذُّ لي تَذكارُكم ، فأُعيدُه أُذناً لغيرِ حديثِكم لم تأذَنِ
وأقولُ للاّجي المُلحّ بذكرِكم : زِدني ، لعَمرُ أبيك ، قد أطرَبتَني
أسكَرتَني بسُلافِ ذكرِ أحبّتي ، يا مُترِعَ الكاساتِ، فاملأ واسقِني
يا ساكِني جَيرونَ جُرتُم في الهوى، والجَورُ شرُّ خلائقِ المتَمكّنِ[2]
وسمعتُمُ قولَ الوُشاةِ ، وإنّه ظنٌّ رُميتُ بهِ بغَيرِ تَيَقُّنِ
أيَسومُ إشراكي بدينِ هواكمُ مَن ليسَ في شرعِ الغَرامِ بمؤمنِ
يا عاذِلي إنْ كنتَ تَجهلُ ما الهوى، فانظُرْ ظِباءَ التُّركِ كيفَ ترَكنني
واعجَبْ لأعيُنهنَّ كيفَ أسرنَني من مَعشري وأخذنَني من مأمني
بِيضُ الطُّلى سمرُ القُدودِ نواصعُ الـ وَجَناتِ حمرُ الحَلي سودُ الأعينِ
من كلِّ فاضِحةِ الجَبينِ كأنّها شمسُ النّهارِ بدَتْ بلَيلٍ أدكَنِ
يَسمُو لها كُحلٌ بغَيرِ تكَحّلٍ ، ويَزينُها حُسنٌ بغَيرِ تَحَسّنِ
ومُضَعَّفُ الأجفانِ فوّقَ لحظَه نَبلاً على بُعدِ المَدى لم يُخطِني

---

[1] انثني : انعطف ، ارتد .

[2] جيرون : موضع بدمشق .

إن قلتُ: مِلتَ على المُتيَّمِ، قال لي: أرأيتَ غُصناً لا يَميلُ ويَنثَني
أو قلتُ: أتلفتَ الفؤادَ، أجابني: دَعني، فما أخربتُ إلاّ مَسكَني
أو قلتُ: يا دُنيايَ، قال: فإن أكن دنياكَ لِمْ أنكَرتَ فَرطَ تلَوُّني
لم أنسَ إذ نادَمتُهُ في لَيلَةٍ عدَلَ الزّمانُ بمِثلِها لم يَمنُنِ
والرّاحُ تُبذَلُ في الكؤوسِ كأنّها لَفظٌ تَلَجلَجَ من لسانِ ألكَنِ
حتى إذا ما السُّكرُ ثقّلَ عِطفَه كسلاً، وسكّنَ منهُ ما لم يَسكُنِ
عاجلتُه حَذَراً عليهِ من الرّدى، عَجَلَ الجُفونِ إلى حِفاظِ الأعينِ
وضَمَمتُه من غيرِ موضِعِ رِيبَةٍ، وأطَعتُ فيهِ تَعَفّفي وتَديّني
نحنُ الذينَ أتى الكِتابُ مُخَبِّراً بعَفافِ أنفُسِنا وفِسقِ الألسُنِ
وكَذاكَ لا أنفَكُّ ألقي مِقوَدي طوعَ الهوى، وأعفُّ عند تمكّني
فإذا أقَمتُ جعلتُ أبناءَ العُلى سكَني، وأبنيَةَ المَعالي مَسكَني
وإذا رَحَلتُ، فجِنّتي أجَمُ القَنا، وعلى مُتونِ الصّافِناتِ تحصُّني[1]
ولكَم ألِفتُ الإغترابَ، فلم يزَلْ جودُ ابنِ أُرتُقَ في التّغرّبِ مَوطِني
الصّالحُ المَلِكُ الذي إنعامُهُ كَنزُ الفَقيرِ، وطَوقُ جيدِ المُغتني
ملكٌ يُريكَ، إذا خطَبتَ سَماحَه، عُذرَ المُسيءِ وجودَ كفِّ المُحسنِ
مُتألّقٌ، مُتَدَفّقٌ، مُتَرَفّقٌ، للمجتَلي، والمُجتَدي، والمُجتني
بفَضائلٍ، وفَواضِلٍ، وشَمائلٍ قَيدُ الخَواطِرِ والثّنا والأعيُنِ
فإذا تبَدّى كانَ قيدَ عيونِنا؛ وإذا تلَفّظَ كانَ قيدَ الألسُنِ

---

١ جنّتي: ستري. أجم: غابات. الصافنات: الخيول.

يُرجى ويُخشَى جودُه ونَكالُه ، في يومِ مَكرُمةٍ وخطبٍ مُزمنِ
كالبَحرِ يُرغَبُ في جواهرِ لُجّةٍ عندَ الوُرودِ ، وهولُهُ لم يُؤمَنِ
يا طالباً منّا حدودَ صِفاتِه ، أتعبتَنا بطِلابِ ما لم يُمكِنِ
يا أيّها المَلكُ الذي في حَربِهِ بالعَزمِ عن حَدّ الصّوارِمِ يَغتَني
لو أنّ رأيَكَ للدُّجُنّةِ لم تَحُلْ صِبغاً ، وللحِرباءِ لم تَتَلوّنِ
فإذا هزَزتَ الرّمحَ نكّسَ رأسَهُ ، وأجابَ : ها إنّي كما عَوّدتَني
وإذا سألتَ السّيفَ قالَ فِرِندُه : لا عِلمَ لي إلاّ الذي عَلّمتَني
هذي يَمينُكَ والوغى ومَضاربي ودَمُ الفَوارسِ والظّما بي فاسقِني
يا مَن رَماني عن قِسيّ سَماحِهِ بسِهامِ أنعُمِهِ التي لم تُخطِني
أغرَقتَني بالجُودِ مع سَأمي لهُ رَدّاً عليّ ، فكيفَ لو قلتُ: اعطِني
يَعتادُني بالشّامِ بِرُّكَ واصِلاً ، طَوراً ، وطَوراً في بلادِ الأرمَنِ
ويَزورُني في غيبَتي ، ويَحوطُني في أوبَتي ، ويَعودُني في مَوطِني
أتعَبتَني بالشّكرِ أعجزَ طاقَتي ، وظَنَنتَ أنّكَ بالنّوالِ أرَحتَني
أخفَيتَ بِرّكَ لي ، فأعلنَ مَنطقي ، لا يَشكُرُ النّعماءَ مَن لم يُعلِنِ
شَهِدتْ علومُكَ أنّني لك وامِقٌ ، واللهُ يَعلَمُ والأنامُ بأنّني[1]
وعرَفتُ رأيَكَ بي ، فلو كُشفَ الغطا عن حالَةٍ ما ازدادَ فيكَ تيَقّني
عَوّدتَني صَفوَ الودادِ ، فعُدْ به ، واصبِرْ لعادَتكَ التي عَوّدتَني
واعذِرْ مُحبّاً حبُّه لعُلاكُمُ طَبعٌ ، وصفوُ ودادِه من مَعدِنِ
يَدعو لدولتكَ الشّريفَةِ مُخلِصاً ، والنّاسُ بينَ مُؤمِّلٍ ومُؤمِّنِ

---

١ قوله : بأنني ، أراد بأنني وامق ، وفي البيت اكتفاء .

رب العفاف المحض

وقال يمدحه ويهنيه بعيد الفطر
سنة ست وعشرين وسبعمائة :

خُذْ فُرصةَ اللّذّاتِ قبلَ فَواتِها، وإذا دَعَتكَ إلى المُدامِ، فَواتِها
وإذا ذكَرتَ التّائبينَ عَنِ الطِّلا لا تَنسَ حَسرَتَهم على أوقاتِها
يَرنُونَ بالألحاظِ شَزَراً كُلّما صَبَغَتْ أشعتُها أكُفَّ سُقاتِها
كأسٌ كَساها النّورُ لمّا أن بدا مِصباحُ جِرمِ الرّاحِ في مِشكاتِها
صِفْها إذا جُليتْ بأحسنِ وصفِها كيْ نُشرِكَ الأسماعَ في لَذّاتِها
لولا التِذاذُ السّامعينَ بذِكرِها لَغَنَيتَ عن أسمائِها بسِماتِها
وإذا سَمِعتَ بأنَّ، قِدماً، مُظهِراً عنها النِّفارَ، فتلكَ من آياتِها
ذَنبٌ، إذا عُدّ الذّنوبُ رأيتَهُ من حُسنِهِ كالخالِ في وَجَناتِها
راحٌ حكَتْ ثَغرَ الحَبيبِ وخَدَّهُ بحَبابِها، وصَفائِها، وصِفاتِها
فكأنّما في الكاسِ قابَلَ صفوُها ثَغرَ الحَبيبِ، ولاحَ في مِرآتِها
ولئن نهَى عَنها المَشيبُ، فطالَما نَشأتْ ليَ الأفراحُ من نَشَواتِها
والقُضبُ دانيَةٌ عليّ ظِلالُها، والزّهرُ تاجاتٌ على هاماتِها
والماءُ يُخفي في التّدَفّقِ صَوتَهُ، والوُرقُ تَسجَعُ باختلافِ لُغاتِها
ولقد تركتُ وِصالَها عن قُدرَةٍ، وزجرتُ داعيَ النّفسِ عن شُبُهاتِها
لم أشكُ جَورَ الحادِثاتِ، ولم أقلْ: حالَتْ بيَ الأيّامُ عن حالاتِها

ما لي أعُدُّ لها مَساوِىءَ جَمّةً ، والصّالحُ السّلطانُ من حَسَناتِها
رَبُّ العَفافِ المَحضِ والنّفسِ التي غَلبتْ مروءتُهَا على شَهَواتِها
مَلَكيّةٌ فلَكيّةٌ يَسمُو بهَا كَرَمٌ ترَنّحَ كُنهُهُ في ذاتِها
تختالُ في العُذرِ الجَميلِ لوَفدِها كرَماً ، ولكن بعدَ بَذلِ هِباتِها
سبَقَتْ مَواهبُهُ السّؤالَ ، فَما له عِدَةٌ مُؤجَّلَةٌ إلى ميقاتِها
مَلِكٌ تُقِرُّ لهُ المُلوكُ بأنّهُ إنسانُ أعيُنِها وعينُ حَياتِها
لو لم يَنُطْ بالبِشرِ هَيبَةَ وجهِهِ ذَهَلَتْ بَنو الآمالِ عن حاجاتِها
يُعطي الألوفَ لوافديهِ براحةٍ تَثني يَدَ الأيّامِ عن سطَواتِها
فكأنّما قتلَ الحَوادثَ دونَها وغَدا يُؤدّي للعُفاةِ دِياتِها
من فِتيَةٍ راضَ الوقارُ نفوسَها ، فبَدا سكونُ الحِلمِ في حرَكاتِها
لو أمَّها يومَ القيامةِ طالِبٌ نقَلَتْ إلى ميزانِهِ حَسَناتِها
في كفّهِ القلمُ الذي خضَعَتْ له بِيضُ الصِّفاحِ وفُلّ حَدُّ شَباتِها
وسَطا على الأرماحِ ، وهوَ ربيبُها وأليفُها في الغابِ عندَ نَباتِها
قلَمٌ فرَى كَبِدَ الأسودِ ، وما رَعى حقَّ الجِوارِ لهنّ في أجَماتِها
ما شاهَدَ الأملاكُ مَجّةَ ريقِهِ ، إلاّ وجَفّ الرّيقُ في لهَواتِها
يا أيّها الملكُ الذي سطَواتُهُ حلَمَتْ بها الأعداءُ في يَقَظاتِها
إن كنتَ من بَعضِ الأنامِ فإنّما غُرَرُ الجِيادِ تُعَدُّ بعضُ شِياتِها
شهِدَتْ لراحتِكَ السّحائبُ أنّها رَيُّ البَسيطةِ ، وهيَ من ضرّاتِها
فالنّاسُ تَدعوها مَفاتحَ رزقِها ، وتَعُدُّها الأموالُ من آفاتِها

شتّتَّ شملَ المالِ بَعدَ وُفورِهِ ، وجمعتَ شملَ النّاسِ بعدَ شَتاتِها
فظهرتَ بالعَدلِ الذي أمسَى بهِ في البيدِ يَخشَى ذيبُها من شاتِها
تُبدي ابتِساماً للعُداةِ ، ووراءَهُ رأيٌ يُنَكِّسُ في الوغى راياتِها
كالسُّمرِ تُبدي للنّواظرِ مَنظَراً مُتألّقاً ، والمَوتُ في شَفَراتِها
وكتيبَةٍ تَختالُ في أجَمِ القَنا كالأُسدِ تَسري ، وهيَ في غاباتِها
سِيّانِ ما تحوي السّروجُ وما حوَتْ أيدي الفَوارسِ من سَريحيّاتِها[1]
أرسلتَ فيها للرّماحِ أراقِماً لسَبَتْ قلوبَ حُماتِها بحُماتِها[2]
جَشّمتَها جُرداً ، إذا رُمتَ العُلى أرسلتَها ، فجرَتْ إلى غاياتِها
ما بينَ عَينَيها الأسِنّةُ طُلّعٌ ، فكأنّها غُرَرٌ على جَبَهاتِها
سَدّتْ حَوافرُها الفَضاءَ بعِثْيَرٍ ، غَنيَتْ بهِ العِقبانُ عن وُكُناتِها
صافَحتَ هاماتِ العِدى بصَفائحٍ دَبّتْ نِمالُ المَوتِ في صَفَحاتِها
حتى أعَدتَ بها الجيادَ وشُهبُها حمرٌ لوَخزِ السُّمرِ في لَبّاتِها
وجعلتَ أشلاءَ الكُماةِ كأنّما ذخرَتْ لقُوتِ الوحشِ في فلَواتِها
ضَمنتْ بها قوتَ الوحوشِ فأصبحتْ عند العريكةِ ، وهيَ من أقواتِها
يا حاملَ الأثقالِ ، وهيَ شَدائِدٌ ، والخائضَ الأهوالِ من غمَراتِها
ومفرّجَ الكُرَبِ التي لو صافحَتْ شُمّ الجبالِ لزَلزَلَتْ هَضباتِها
قد كادَ يُغرِقُ بحرُ نائلكَ الورَى ، فجعَلتَ سرّ الجُودِ سُفُنَ نَجاتِها

---

[1] قوله : سريحياتها ، لعله نسبة إلى السريح وهو العري من الخيل .
[2] الأراقم : الحيات . لسبت : لسعت . الحماة الأولى ، جمع حام : الذي يحمي . الثانية جمع حمة : الإبرة التي تضرب بها العقرب ونحوها .

فاسعَدْ بعيدٍ أنتُمُ عيدٌ لهُ ، ومَواسِمٍ بكُمُ هنا ميقاتِها
فِطرٌ فطرْتَ بيُمنِهِ كَبِدَ العِدى ، فشغَلتَ أنفُسَها بها عن ذاتِها
ووصلتَ فيه العاكفينَ على التّقَى ، فشَرِكتَها في صَومِها وصَلاتِها
فاستَجلِها من حُورِ حِلّةِ بابِلٍ ، فلذاكَ تُبدي السِّحرَ من نَفَثاتِها
ظَمآنةٌ للقاكَ ، وهيَ رويّةٌ ، ببَدائعٍ تَروي غليلَ رُواتِها
لا تَبتَغي مَهراً سوى إجرائِها من قُربِ حَضرَتكُم على عاداتِها
تَستَنجِزُ الوعدَ الشّريفَ لرَيّها لتَروعَ قلبَ عُداتِها بعِداتِها[1]
هذي كنوزُ الشّكرِ وافرَةٌ لَكُم ، فاجعَلْ نَجازَ الوَعدِ بعضَ زَكاتِها

ملك العصر

وقال يمدحه عقيب مال تلف له بماردين ويعرض بذلك سنة ثلاثين وسبعمائة :

أيا ملكَ العَصرِ الذي شاعَ فضلُهُ ، ويا ابنَ ملوكِ العُربِ والعُجم والترْكِ
ومَن علّمتني المَدحَ أوصافُ مَجدِه ، فما زِدتُها عندَ النّظامِ سوى السّلكِ
لقَد غمَرَتني مِن أياديكَ أنعُمٌ ، ملَكتَ بها رِقّي وإن أكثرتْ مُلكي

---

١ العدات بكسر العين ، الواحدة عدة : الوعد .

أُعَدُّ ، إذا فارَقتُ مَغناكَ ،تاجراً ، فإنْ أُبتُ ظَنّوني شريكَكَ في المُلكِ
لذلكَ لم تَثْنِ الخُطوبُ مَوَدّتي ، ولكنّني مثلُ النُّضارِ على السّبكِ
فإن يكُ صرفُ الدّهرِ قد حكّ جانبي ليَخبُرَني ، والتّبرُ يُخبَرُ بالحَكّ
فقد زِدتُ مع وَقع الحوادثِ رَغبَةً ، كما زادَ فَرطُ السّحقِ في أرَجِ المسكِ
فإن أخطأتني من نَداكَ سَحابَةٌ ، فما غَيّرتْ حُبّي ،ولاأوْجَبَتْ تَرْكي
لأنّيَ من أهلِ اليَقينِ على الوَفا ، وقد يَحدُثُ التّغييرُ عند ذوي الشكّ

يا مليكاً قد طاب أصلاً وفرعاً

وقال فيه وقد أخرج على المغول
مالا جزيلا وبراً غزيراً :

يا مَليكاً قد طابَ أصلاً وفَرعاً ، وزكتْ من أصولهِ الأعراقُ
والذي جَمّعَ الفَضائلَ والحَمـدَ والمالَ في يَديهِ افتراقُ
كم تَحَمّلتَ في طِلابكَ للعَلياءِ ثِقلاً يَسيرُهُ لا يُطاقُ
لا تَخَفْ إن أضاعتِ المالَ كَفّا كَ ، ففيهِنّ للعَلاءِ اتّفـاقُ
لا يَضرُّ القَضيبَ ، وهوَ نَضيرٌ ، أنْ تَزولَ الثّمارُ والأوراقُ

رعى الله ملكاً

وقال فيه وقد ثقل عليه بعدة حاجات فقضاها له :

رَعَى اللهُ مَلْكاً ما رَمَتْني بِرَبْعِهِ   مَرامي النَّوى ، إلاّ بلغتُ مَرامِيَا
فتًى رَبَّني بالمَكرُماتِ وبرّني ،   وأصلحَ ما بيني وبَيْنَ زَمانِيا[1]
وكم حاجةٍ حاولْتُها من جَنابِه ،   وألحقتُ في قَوْلي لهُ وخِطابِيا
فلَمْ يَلْقَ إلحاحي بِحُبٍّ ، وإنّما   أجادَ التّغاضِي ،إذ أساتُ التّقاضِيا

سيف المدح

وقال فيه وكتبها إليه من مصر :

أُجَرِّدُ كيْ أجرّدَ سيفَ مَدحي ،   فيَنبو عن سِواكَ بهِ لِساني
وأنظِمُ مَدحَ غَيرِكَ والقَوافي   تَعَضُّ عليَّ أطرافَ البَنانِ
فأُظهِرُ حيرَةً في بَسطِ عُذري ،   وأُخفي ما يُجِنُّ لكم جَناني
فإنْ أفعَلْ تألّمَتِ المَعالي ؛   وإنْ أنكُلْ تَظَلّمتِ المَعاني

---

١ ربني : رباني .

جامع الشمل

وقال فيه :

شَمَلْتَ جمعَ صِحابي ، بفَيْضِ جُودٍ وفَضْلِ
فأنتَ شاملُ جَمعي ؛ وأنتَ جـامعُ شَملي

سأثني على نعماك

وقال فيه أيضاً وقد أسدى إليه إنعاماً :

سأُثني عـلى نُعماكَ بالكَلِمِ التي بها تُضرَبُ الأمثالُ في اللّفظِ والفضلِ
بها تَطرُدُ السّارونَ عن جَفنِها الكرَى ، وتَجلُبُ طِيبَ النّومِ في المهد للطّفلِ

الذكر الخالد

وقال فيه :

سأُثني على نُعماكَ ما دُمتُ باقياً ، وإن متُّ يُثْني منطقُ الطِّرس من بعدي
فقد أُودعتْ صَدرَ الطّروسِ بدائعي ، لمَجدِكَ ما يَقضي لذِكرِك بالخلدِ

طليق مقيد

وقال فيه :

أطلقتَ نُطقي بالمَحامدِ عندَما قيّدتَني بسَوابِقِ الإنعامِ
فليَشكُرَنْكَ نِيابَةً عن مَنطِقي صَدرُ الطّروسِ وألسنُ الأقلامِ

السر النموم

وقال فيه :

سأشكُرُ نُعماكَ التي لو جَحَدتُها أقرّ بها حالي ، ونَمّ بها سِرّي
وفي حُسنِ حال الرّوضِ اعدلُ شاهدٍ يُقِرُّ بما أسدَتْ إليهِ يدُ القَطرِ

كلم لا تبلى

وقال فيه أيضاً :

سأُثني على نُعماك بالكَلِمِ التي مَحاسنُها تُبلي الزّمانَ ، ولا تَبلى
وأشكُرُ شكراً ليسَ لي فيه مِنّـةٌ ، ولا مِنّةٌ للرّوضِ إن شكرَ الوَبلا

شهب جلت الظلام

وقال بديهاً بمجلسه وقد أحضرت
الشموع عشاء وألزم نفسه في كل ليلة
تضيء الشموع مثل ذلك :

أهلاً بها كالقُضبِ في كُثبانِها ، جعلَتْ شُواظَ النّارِ من تيجانِها
شُهبٌ، إذا جلَتِ الظّلامَ جيوشُها جلبَتْ جيوشَ الصّبحِ قبلَ أوانِها
مأسورَةٌ تَحيا بقَطعِ رُؤوسِها ، وتَزيدُ نُطقاً عند قَطّ لِسانِها
باحَتْ أسِرّةُ وجهِها بسَرائرٍ ضاقتْ صُدورُ النّاسِ عن كِتمانِها
زُهرٌ حكَتْ خدَّ الحَبيبِ ، وإنّما تَحكي فؤادَ الصّبِّ في خَفَقانِها
لهِبتْ وقد رأتِ الظّلامَ ،ولم تكنْ، تاللهِ ، لاهيةً لضُعفِ جَنانِها
بل أُرعِدَتْ منها الفَرائصُ عندما نظرَتْ نَواظرُها إلى سُلطانِها
الصّالحِ الملكِ الذي نَعماؤهُ قد أغنَتِ الغُرباءَ عن أوطانِها
ذي طَلعَةٍ جلَتِ العيونَ بحُسنِها، وجلَتْ همومَ النّاسِ من إحسانِها

شهب في سماء المجلس

وقال بمجلسه في ليلة أخرى :

أهلاً بشُهبٍ في سَماءِ المَجلِسِ ، هتكَتْ أشعتُها حِجابَ الحِندسِ[1]
زُهرٌ إذا أرخى الظّلامُ سُتُورَه فعلَتْ بها كصَحيفَةِ المتلمِّسِ
هيفُ القُدودِ تُريكَ بَهجةَ منظرٍ أبهَى لديكَ من الجواري الكُنَّسِ[2]
كالقُضبِ إلاّ أنّها لا تَنثَني منها القُدودُ ، وزَهرُها لم يُلمَسِ
أذكَت لِحاظَ عيونِها ، فكأنّها زَهرٌ تَفتّحَ في حديقَةِ نَرجِسِ
نابتْ عن الشّمسِ المُنيرَةِ عندما حُبِستْ وساطعُ نورِها لم يُحبَسِ
وإذا تَحَدّرَتِ النّجومُ رأيتَها تَرعَى النّجومَ بمُقلَةٍ لم تَنعَسِ
وَضَحتْ أسرّتُها وقد عبسَ الدّجى ، وتنفّستْ والصّبحُ لم يتَنَفّسِ
إن خاطَبَتها الرّيحُ رَدّ لِسانُها هَمساً كلجلَجةِ اللّسانِ الأخرسِ
وإذا توَعّدَها النّسيمُ ترَى لها خَفَقاً كقَلبِ الخائفِ المُتوَسوسِ
في طَرفِها عُمقٌ ، إذا حقّقتَهُ ، لم يَبدُ منها الإسمُ إن لم يُعكَسِ
عَجَباً لها تُبدي لقَطّ لِسانِها بِشراً وتَحيا عند قطعِ الأرؤسِ
رَضيَتْ ببَذلِ النّفسِ حينَ تبوّأتْ من حضرة السّلطان أشرَفَ مجلسِ
الصّالحِ المَلكِ الذي إنعامُهُ قَيدُ الغنيّ ، وطوقُ جيد المُفلِسِ

---

١ الحندس : الليل الشديد الظلمة .
٢ الجواري الكنس : النجوم .

شمسٌ حكى الشّمسَ المنيرَةَ باسمه وضياءِ مجلِسِهِ وبُعدِ المَلمَسِ
هوَ صاحبُ البلدِ الذي لسَماحِهِ بالرِّفقِ يَبلُغُ لا بشَقّ الأنفُسِ
لا زالَ في أوجِ السّعادَةِ لابِساً من حُلّةِ النّعماءِ أشرَفَ مَلبَسِ

شمط الذوائب

قال وأنشدها في ليلة أخرى :

أهلاً بها شُمطَ الذّوائبِ والذُّرى، تَعشو إلى نيرانِها نارُ القِرَى[1]
شُهباً، إذا مَدّ الظّلامُ رِواقَهُ، جعلَتْ ظَلامَ اللّيلِ صُبحاً نيّرَا
تُذكَى لدى مِلكٍ يُرجّى جودُهُ، وتَخافُ من سَطَواتِهِ أُسدُ الشّرَى
الصّالحِ المَلِكِ الذي بسَماحِهِ أمسَى الثّرا وَطْناً لمن وطىءَ الثّرَى[2]
لا زالَ شملُ المُلكِ منتَظماً به، والعزُّ مُمتَدّ الرّواقِ كمَا تَرَى

---

١ الشمط ، الواحدة شمطاء : التي خالط البياض سواد شعرها . تعشو : تنظر .
٢ الثرا : الغنى . الثرى : التراب .

شهب تبشر بالسعود

وقال في ليلة أخرى :

نَـارُ الشّموعِ توَقّدَتْ ... في اللّيلِ أمْ نُورُ الشّموسِ
شُهبٌ تُبَشّرُ بالسّعُودِ ، ... ولَيسَ تَقضي بالنّحُوسِ
شِبهُ الذّوابِلِ قُوّمَتْ ... للطّعنِ في صَدرِ الخَميسِ[1]
شُوسُ النّواظِرِ ، وهيَ في ... غَيرِ الدُّجُنّةِ غَيرُ شُوسِ[2]
إنْ طالَ فَضلُ لسانِها ، ... فجزاؤها قَطعُ الرّؤوسِ
وإذا تَجَلّتْ للنّوا ... ظِرِ رَجّحَتْ رأيَ المَجوسِ
في حَضرَةِ المَلِكِ الذي ... جَعَلَ الصّنائعَ كالغُروسِ
الصّالحِ السّلطانِ وهّا ... بِ النّفائِسِ للنّفُوسِ
فَضَلَ الملوكَ بأصلِهِ ، ... فَضلَ الرّئيسِ على الرُّؤوسِ
وغَدا ثَنـاهُ غُرّةً ، ... في جَبهَةِ الدّهرِ العَبوسِ

---

١ الخميس : الجيش المؤلف من خمس فرق المقدمة والمؤخرة والجناح الأيمن والجناح الأيسر والقلب .
٢ الشوس ، الواحد أشوس : الناظر بمؤخر عينه تكبراً .

نور شمس الدين

وقال في ليلة أخرى وقد هب الهواء
فأطفأ جميع الشموع بمجلس السلطان
الملك الصالح :

ومُذ أطفأ الشّمعَ النّسيمُ بمجلِسٍ   به نورُ شمسِ الدّينِ كالشّمسِ ساطعُ
عَذَرْنا ، وقُلنا ما أتى ببَديعةٍ   لأنّ اشتعالَ الشّمعِ في الشمسِ ضائعُ

أهلاً بشهب

وقال في ليلة أخرى :

أهلاً بشُهبٍ عندَ إشراقِها   يُجلى الدُّجى من نورِها الواضحِ
تُنضِبُ بحرَ اللّيلِ ، إذْ تَغتَدي   ناهِلَةً من لُجّهِ الطّافحِ
كأنّما أيمانُها عَزمَةٌ   من عزَماتِ المَلِكِ الصّالحِ
مَلْكٌ يَظَلّ الدّهرُ في حُكمه   مُقتَبِساً من رأيِهِ القادحِ[1]
ومَن غَدا سائحُ إنعامِهِ   يَملأُ قلبَ الآملِ السّانحِ
لا بَرِحَتْ رُتبَةُ سُلطانِهِ   تَسمُو على الأعزَلِ والرّامِحِ

---

١ القادح ، من قدح الزند : أخرج منه النار ، استعاره للرأي .

نجوم روض ام نجوم سماء

وقال في ليلة أخرى :

أنجومُ رَوضٍ أم نجومُ سَماءِ ، كشَفَتْ أشعّتُها دُجى الظّلماءِ
أشرَقنَ في حُلَلِ الظّلامِ فحدّقتْ حَسداً لهنّ كواكبُ الجَوزاءِ
من كلّ هيفاءِ المَعاطِفِ قُوّمتْ قَدّاً كقدّ الصَّعدةِ السّمراءِ
جسمٌ كصَخرٍ في صَلابةِ جِرمِه ، وجفُونُها في الدّمعِ كالخَنساءِ
تجري مدامعُها ، ويضحكُ وجهُها ، فتَظَلُّ بَينَ تبَسّمٍ وبُكاءِ
تَبكي لغُربَتِها وتبسِمُ إذ غدَتْ في حَضرَةِ السّلطانِ كلَّ مَساءِ
الصّالحِ المَلكِ الذي أكنافُهُ كَهفُ الوُفودِ وكَعبَةُ الفُقراءِ
مَلِكٌ بسيرَةِ عَدلِهِ وسَماحِهِ خَفِيَتْ مآثرُ دولَةِ الخُلَفاءِ
لا زالَ في أُفقِ السّعادَةِ راقِياً فوقَ المَجرّةِ في سَناً وسَناءِ

ملك يستخدم الدهر

وقال يمدحه ويعتذر من الانقطاع عنه :

لَيالي الحِمَى ما كنتِ إلاّ لآليا ، وجيدُ سُروري بانتظامِكِ حاليَا
فرَنّقَ منكِ الدّهرُ ما كانَ ريّقاً ، وكدّرَ منكِ البُعدُ ما كانَ صافيا[1]
وقد كنتُ أخشَى من تَجافي أحبّتي ، فلَمّا فَقَدناهم ، وَدَدتُ التّجافيا
ومَن لي بصَدٍّ منهُمُ وتَجنّبٍ ، إذا كان منّا مَنزِلُ القومِ دانيا
لقد أرسلَتْ نحوي الغَوادي من الحمى روائحَ أرخَصنَ الكِبا والغَواليا[2]
وما أذكَرَتني سالفاتُ عُهُودِهم ، تُذَكّرُ بالأشياءِ مَن كانَ ناسيا
وأغيَدَ رَخصِ الجِسمِ كالماءِ رِقّةً ، أكابدُ قلباً منهُ كالصّخرِ قاسيا
كثيرِ التّجَنّي لَستُ ألقاهُ شاكِراً على مَضَضٍ ، إلاّ وألفيهِ شاكِيا
يقول ، إذا استَشفَيتُ منه بنَظرَةٍ : كَفَى بكَ داءً أن ترَى الموتَ شافيا
ويَعجَبُ منّي إن تَمَنّيتُ عَتبَهُ ، وحسبُ المَنايا أن يكنّ أمانيا
فَوا عَجبا يُدعى حَبيبي ، وإن غَدا يُجاوِرُ في سُوءِ الصّنيعِ الأعاديا
كما قيلَ للخَرْمِ المخوفِ مَفازَةٌ ، ولُقّبَ أصنافُ العَبيدِ مَواليا[3]
ولمّا اعتَنَقنا للوَداعِ ، وقد وَهَتْ عُقُودُ لآلي نَحرِهِ ومآقيا

---

١ رنق : كدر .
٢ الكبا : عود البخور .
٣ الخرم : أنف الجبل .

فحلَّتْ عقودُ الدَّمعِ ما كان عاطِلاً ، وعَطّلَ عقدُ الصَّمّ ما كانَ حالِيا
وكم سِرْتُ إثرَ الظّاعنِينَ مُصَيِّراً هَوايَ دَليلاً والتّذَكّرَ حادِيا
أسيرُ ومن فَوقي وتَحتي ووُجهَتي ، وخلفي ويُمنايَ الهَوى وشِماليا
فما لي إذا يَمّمتُ في الأرضِ وُجهةً وصرّفتُ في أهلِ الزّمانِ لِحاظِيا
تَضيقُ عليّ الأرضُ حتى كأنّني أُحاوِلُ فيها لابنِ أُرتُقَ ثانيا
مَليكٌ ، إذا شبّهتُ بالغيثِ جُودَه ، هجوتُ نَداهُ ، وامتَدَحتُ الغَواديا
يُعيدُ شَبابَ الشّيبِ مَرآهُ في النّدى ، وفي الحَربِ مَرآهُ يُشيبُ النّواصيا
يُرينا النّدى في البأسِ والبأسَ في الندى ، فيُنعِمُ غَضباناً ، ويَنقِمُ راضيا
كبِيضِ الظُّبَى تُردي القتيلَ ضَواحكاً ، وسُحبِ الحَيا تَروي الغليلَ بَواكيا
وما ليَ لا أسعَى بمالي ومُهجَتي ، إلى مَن بهِ استَدركتُ رُوحي وماليا
إلى مَلِكٍ يَستَخدِمُ الدّهرَ بأسُهُ ، ويُرجعُ طرفَ الخَطبِ بالعدلِ خاسِيا
إلى مَلِكٍ يُخفي الملوكَ إذا بَدا ، كما أخفَتِ الشّمسُ النّجومَ الدّراريا
إلى مَلِكٍ يُولي الإرادَةَ والرّدى ، وتَحوي المَنايا كَفُّهُ والأمانيا
بوَجهٍ غَدا للشّمسِ والبَدرِ ثالثاً ، وقلبٍ غَدا للجَوهَرِ الفَردِ ثانيا
وعَزمٍ يُزيلُ الخَطبَ عن مُستَقَرّهِ ، رأينا بهِ السّبعَ الطِّباقَ ثَمانيا
وشِدّةِ بأسٍ تَترُكُ الماءَ جامِداً ، ورِقّةِ خُلقٍ تَجعَلُ الصّخرَ جارِيا
وكَفٍّ تَشيمُ السّيفَ غضبانَ ضاحكاً ، وتَثنيهِ بعدَ الكَرّ جَذلانَ باكِيا
هوَ الصّالحُ السّلطانُ والمَلِكُ الذي يَعُمُّ الأقاصي جُودُهُ والأدانيا
جَوادٌ أبادَ المالَ إلاّ صِيانَةً ، مَخافَةَ أن يُمسي من البَذلِ خاليا

لهُ قلَمٌ ، إن خرَّ في الطِّرسِ ساجداً يَخُرُّ لهُ ذو التّاجِ في الأرض حاكيا
إذا ما مشَى يوماً على الرأسِ مُوحياً إلى مَلِكٍ وافَى على الرّأسِ ماشيا
إذا أعلَمَتْهُ كفُّهُ خِلتَ أنّهُ يَسُنُّ سِناناً أو يَسُلُّ مَواضِيا
لقد حسَدَ الأقوامُ لَفظي وفَضلَهُ ، وقد غَبَطوا إحسانَهُ ولِسانيا
غداةَ تَجارَينا إلى السّبقِ ، فاغتَدى يَشيدُ المَعالي ، أو أُجيدُ المَعانيا
وقالوا : أجَدتَ النّظمَ فيه ، أجبتُهم : يَرى الزّهرُ أنّي أصبحَ الغيثُ هامِيا
فَيا مُحسِناً إلاّ إلى المالِ وحدَهُ ، وفي ذاكَ إحسانٌ لمن كانَ راجِيا
فذلكَ قومٌ لو مَدَحتُ صَنيعَهُمْ ، لظَنّ الوَرى أنّي أعُدُّ المَساويا
رعيتُ أمورَ المُسلمينَ بِهِمّةٍ ، رأيتُ بها مُستَقبَلَ الأمرِ ماضِيا
لقد عَجِزوا عن أن يرَوا لكَ في الندى مدَى الدّهرِ أو عنهُ من النّاسِ ثانيا
ويومٍ أعَدْتَ الصّبحَ كاللّيلِ عندَما حجَبتَ ذُكا لمّا أجَلتَ المَذاكِيا[1]
وأجرَيتَها قُبَّ البُطونِ تَخالُها ، إذا ما سعَتْ تحتَ العَجاجِ ، سعاليا[2]
يُمزِّقُ تَكرارُ الصّدامِ جلودَها ، فتُكسَى دَماً ما أصبحَ السّيفُ عارِيا
سقَيتَ بها الأعداءَ كأساً من الرّدَى ، غداةَ غَدا كلٌّ من الكَرّ ظامِيا
جعلتَ الرّدى راحاً وخيلَكَ راحةً ، وبِيضَ الظُّبَى كأساً وعزمَكَ ساقِيا
وكم قد كَسَيتَ العِزَّ من جاءَ آمِلاً إذا ما مشَى في رَبعِ قُدسِكَ حافيا[3]
بسطتَ من المَعروفِ أرضاً مديدةً ، وأنبَتَّ فيها للحُلومِ رَواسِيا

١ ذكاء : الشمس . المذاكي : الخيول .
٢ السعالي ، الواحدة سعلاة : أنثى الغول .
٣ كسيت : هكذا في الأصل ، ولعلها لغة في كسوت .

وإنّي ، وإن فارَقتُ مَغناك مُخطِئاً ، لأعلَمُ أنّي كنتُ في ذاكَ خاطِيا
فكَيفَ بعادي عن مَغانٍ أَلِفتُها ، وأفنَيتُ عُمري بَينَها وشَبابِيا
وقَضّيتُ فيها الأربَعينَ مُجاوِراً ملوكَ البَرايا والبحورَ الطّواميا
أصيفُ وأشتو بَينَهم ، فكأنّني نزَلتُ على آلِ المُهَلَّبِ شاتِيا
بذَلتَ لنا ، يا ذا المكارِمِ ، أنعُماً ، تَسُرُّ المُوالي ، إذ تَسوءُ المُعادِيا
ولولاكَ لم تُعنَ الملوكُ بمَنطِقي ، ولا خَطَبوا مَدحي لهم وخِطابِيا
ولولاكَ لم يُعرَفْ مُسمّايَ بَينَهم ، ولا أصبَحَ اسمي في المَمالكِ سامِيا
ولا سيّما لمّا رأونيَ راغِباً عن الرِّفدِ لا أُبقي منَ المالِ باقِيا
أَحيدُ عن السُّحبِ التي تُرسِلُ الحَيا، وإن كنتُ حرّانَ الجوانحِ صادِيا
فسوفَ أُجيدُ النّظمَ فيكَ وأنثَني إلى النّثر ، إنْ أفنى النّظامُ القَوافِيا
وأشكُرُكم ما دمتُ حيّاً، وإن أمُتْ ولم أُوفِه ، أوصيتُ بالشّكرِ آلِيا

لا تكن خائفاً سوى الله

وقال يمدحه ويهنيه بعيد الفطر في سنة تسع وثلاثين وسبعمائة :

زَوّجَ الماءَ بابنَةِ العُنقودِ ، فانجَلَتْ في قَلائِدٍ وعُقودِ
قُتِلَتْ بالمِزاجِ ظُلماً ، فقالتْ : كم قَتيلٍ كما قُتِلتُ شَهيدِ

طافَ يَسعَى بها أغنُّ حكَى ما　　في يَدَيهِ بثغرِهِ والخُدودِ
قرّبَ الكأسَ نحوَ عارِضِهِ الغَضّ،　　فأبدَى العَتيقَ فضلُ الجديدِ
فغَدا التّائبونَ منّا نَدامَى،　　والنّدامى في ظلّ عَيشٍ رَغيدِ
فصَلَينا لَظًى، وأُزْلِفَتِ الجَنّةُ　　للمُتّقينَ غيرَ بَعيدِ[1]
أنا صَبٌّ قَضَتْ لهُ شِرعةُ العِشقِ　　بألاّ يَموتَ غيرَ شَهيدِ
فإذا ما نجوتُ من مَعرَكِ الألحاظِ　　لم أنجُ من كَمينِ القُدودِ
كلّما أخلَقَ التّجلّدُ وَجدي　　جادَ داعي الهوَى بوجدٍ جَديدِ
مثلَ أهلِ الجَحيمِ إن تُذهبِ النارُ　　جُلوداً تَبَدّلوا بجُلُودِ
قَسَماً بالمَطيّ مثلَ الهَوادي،　　نَظَمَتها الحُداةُ نَظمَ العُقودِ[2]
فهيَ طَوراً قلائدُ القُلَلِ الشُّمّ،　　وطَوراً وِشاحُ خَصرِ البِيدِ
نكبَتْ مَرتَعَ الشّآمِ وأمّتْ　　نحوَ مَرعًى أحوى وظلٍّ مَديدِ
فإذا ما تَجاوَزَتْ حَرّ حَرّانَ،　　أناخَتْ ببَردِ عينِ البَرودِ
وتَغانَتْ بنَهرِ حَرزَمَ والغَرْسَينِ عن نَهرِ ثَورَةٍ ويَزيدِ
لقد استَعصَمَتْ بِحِصنٍ حَصينٍ،　　حينَ لاذَتْ منها برُكنٍ شَديدِ
وأناختْ بظلّ أبلَجَ رَحبِ الصّدرِ،　　نَزرِ الأقرانِ، جَمٍّ الحَسودِ
ساهرِ النّارِ، راقدِ الجارِ، رَحبِ الدّارِ　　حَيِّ الأكنافِ، مَيّتِ الحُقودِ[3]

---

١ أزلفت : قربت .
٢ هوادي الخيل : متقدماتها .
٣ ساهر الناس : كناية عن الضيافة . راقد الجار : كناية عن اطمئنان الجار لأنه محمي بجواره . رحب الدار : كناية عن الكرم . الاكناف : النواحي، وحياتها بمن ينتابها من طالبي المعروف .

بطَويلِ النّجادِ ، ضَيّق باع العُـ ـذرِ ، سَمحٍ ، قصيرِ عُمرِ الوُعودِ
خَيرِ أبناءِ أُرتُقَ المَلكِ الصّالحِ شَمسِ الدّينِ الفَريدِ الوحيدِ
ملكٌ أنفَدَ الذّوابلَ بالنّقلِ ، وأفنى الصِّفاحَ بالتّقليدِ
حاملٌ من شَدائدِ المُلكِ ما حُمّلَ قِدماً سميُّهُ مِنْ ثَمودِ[1]
من أُناسٍ ، إذا تَمَنّعَتِ العَلياءُ كانوا منها كحَبلِ الوَريدِ
عرَفوا الزّحفَ قبل معرِفةِ القُمْطِ ، وحَلّوا السّروجَ قبلَ المُهودِ
أيّها الماجدُ الذي حمَلَ الأثقالَ في طاعَةِ الحَميدِ المَجيدِ
لا تكُنْ خائِفاً سِوى اللهِ شَيئاً ، إنّها من شَواهِدِ التّوحيدِ
فإذا زادَتِ الحَوادِثُ حَدّاً ، كانَ نَقصُ الكَمالِ في المَحدودِ
كم جُموعٍ فَلَلْتَها بحُسامٍ شَرِقِ الصّفحتَينِ ظامي الحُدودِ
فغَدَوا والرّؤوسُ فوقَ صِعادٍ ، وجِسامُ الجُسومِ تحتَ الصّعيدِ
يا إمامَ السّخا ، وصِنوَ المَعالي ، ونبيَّ النّدَى ، وربَّ الجُودِ
نقَدَتكَ العَلياءُ ، إذ أعوَزَ الكُفءُ لدَيها ، فكنتَ أغلى النّقودِ
فإذا آلُ أُرتُقَ حاولوا الفَخرَ بماضي الحُدودِ أو بالجُدودِ
كنتَ مَلقى العَصا وواسطةَ العِقدِ ، وقُطبَ الرّجا وبيتَ القَصيدِ
فلَو انّ الزّمانَ يَنطِقُ يَوماً ، قالَ : هذا إنسانُ عَينِ الوُجودِ
وإذا الدّهرُ خطّ حولَكَ طِرساً ، كانَ عنوانُهُ أقلّ العَبيدِ
يا مَليكاً ، إذا عُزيتَ افتَخرِ كانَ من بِرّهِ وُجودي وَجُودي

---

[1] يريد النبي صالحاً وما كان من شأنه مع قوم ثمود .

أنتَ علّمتَني التّجرّي على الدّهرِ وفتكي بكُلّ خَطبٍ شَديدِ
فإذا ما أمرْتُ دَهري بأمرٍ خِلتُ أنّ الأيّامَ بَعضُ جُنودي
وبكَ استَعذَبَ الملُوكُ كلامي ، ورعَوا حقّ حُرمتي وعُهودي
فمِنَ الجَهلِ أن أرومَ أُجازيكَ بمَعنى رِسالَةٍ ، أو قَصيدِ
أو أصوغَ الأشعارَ يَومَ هَناءٍ ، يَشمَلُ الملكَ ، أو أُهنّي بعيدِ
غيرَ أنّ الإلَهَ يَجزيكَ ، إذ لم يكُ غَيرَ الثّناءِ من مَجهودي
فاستمعها بِكراً حَماها ضياءُ الحِسّ منّي عن ظُلمَةِ التّعقيدِ
هجَنتْ شعرَ كلّ مَن عقَدَ القافَ جَميعاً ، لا جرولٍ ولَبيدِ[1]
وابقَ طولَ الزّمانِ تُفني وتُغني وتُهَنّى بكلّ عيدٍ جَديدِ

أعد على الضد كيده

وقال يمدحه ويحرضه على قوم عاثوا في أطراف بلاده ويهنيه بعيد النحر :

صِفاحُ عُيونٍ لحظُها ليسَ يَصفَحُ ، ونَبلُ جُفونٍ للجَوارِحِ تَجرَحُ
وماءُ حَياءٍ لَيسَ يَنقَعُ غُلّةً ، ونارُ خُدودٍ للجَوانحِ تَلفَحُ

---

١ جرول : الحطيئة . لبيد العامري من شعراء الجاهلية .

وَمَنظَرُ حُسْنٍ في سَنا البَدرِ رَسمُهُ ... إلى القلبِ أحلى وهوَ في العينِ أملَحُ
وجَوهرُ ثَغرٍ يُحزِنُ القَلبَ لمحُهُ ، ... وقد زَعَموا أنّ الجواهرَ تُفرِحُ
وصَلْتٍ وصَلتُ السّهدَ بالجَفنِ عندما ... غدا وهوَ من عُذري عن الصّبرِ أوضَحُ[1]
محاسنُ قادَتْ نَحوَها شارِدَ الهَوَى ، ... وظَلّ إليها ناظرُ القَلبِ يَطمَحُ
إذا ضَمّ أقسامَ الجَمالِ تَحَيّزٌ ، ... فإنّ جَميلَ الصّبرِ بالحُرّ يَقبُحُ
فلِلّهِ صَبٌّ لا يُبَلّ غَليلُهُ ، ... وإنسانُ عَينٍ بالمَدامعِ يَسبَحُ
ونَفسٌ أبَتْ إلاّ نِزاعاً إلى الصِّبا ، ... تَقاعَسَها وخطُ المَشيبِ ، فتَجمَحُ[2]
وأشمَطُ من وُرقِ الحَمامِ كأنّما ... سَنا الصّبحِ يُصبي قلبَهُ حينَ يُصبحُ
يُرَجِّعُ تَكرارَ الهَديلِ مُغَرِّداً ، ... فيَصدَعُ قَلبي نَوحُهُ حينَ يَصدَحُ
وما ذاكَ إلاّ أن شدَوتُ فقَد غَدا ... يُلَوِّحُ بالأحزانِ لي فأُصَرِّحُ
ويُذكِرُني الإلفَ الذي هوَ فاقِدٌ ، ... ويُعجِمُ شَكواهُ إليّ فأُفصِحُ
وما ضَرّني بُعدُ الدّيارِ ، وأهلُها ... بأرضي ، وفَقدُ الطّرْفِ ما كان يلمحُ[3]
ورِجلايَ في أفناءِ دِجلَةَ قد سعَتْ ، ... وطَرفيَ في أفناءِ حَرزَمَ يَسرَحُ
مَنازِلُ لم أذكُرْ بها السِّقطَ واللّوَى ، ... ولم يُصبِني عنها الدَّخولُ فتُوضِحُ
ولم أقرِ بالمِقراةِ طَرفي بمثلِها ، ... فتَسرَحُ فيها العَينُ ، والصّدرُ يُشرَحُ
فإنْ أكُ قد فارَقتُ إلفاً ومَعشَراً ... كِراماً ، إلى عَلياهُمُ العِزُّ يَجنَحُ
فصَبراً لما قد أفسَدَتهُ يَدُ النّوى ، ... عسَى أنّهُ بالصّالحِ المَلْكِ يَصلُحُ

---

١ الصلت : الجبين الواضح المستوي .
٢ تقاعسها : لم ينقد إليها .
٣ بارضي : أي من أرضي .

مَليكٌ ، إذا ما رُمتُ مَدحاً لمَجدِه ، ... تُعَلّمُني أوصافُهُ كيفَ أمدَحُ
له في الوَغى والجُودِ نَفسٌ زكيّةٌ ، ... من اللّيثِ أسطى ، أو من الغيثِ أسمحُ
وأضيَقُ من سُمّ الخِياطِ اعتِذارُهُ ، ... وصَدرٌ من الأرضِ البسيطةِ أفسَحُ
تَحُلُّ بكَفّيهِ اللُّهَى عُمرَ ساعةٍ ، ... لتَنزَحَها وُفّادُهُ ، ثمّ تَنزَحُ
لقد ظَلّ يُصميني الزّمانُ لبُعدِهِ ، ... ويُحزِنُ قلبي منهُ ما كان يُفرِحُ
فقلتُ لصَرفِ الدّهرِ ها أنا راحِلٌ ... إلى مَلِكٍ بيني وبَينكَ يُصلِحُ
إلى مَلِكٍ يُخفي الملوكَ ، فيَجتلي ، ... وتُغلَقُ أبوابُ السّماحِ ، فيَفتَحُ
إلى مَلِكٍ لا مَوردُ الجُودِ عندَهُ ... أجاجٌ ، ولا مَرعَى السّماحِ مُصَوَّحُ
إلى مَلِكٍ يَلقَى الثّناءَ بمثلِهِ ، ... ويُنعِمُ من بَعدِ الثّناءِ ويَسمَحُ
إلى مَلِكٍ لا زالَ للمَدحِ خاطِباً ، ... وزادَ إلى أن كادَ للمَدحِ يَمدَحُ
إلى مَلِكٍ أفنى القَريضَ مَديحُهُ ، ... فقد زَجّلَ المُدّاحُ فيه ووشّحُوا
تَقولُ ليَ العَلياءُ ، إذْ زُرتُ رَبعَهُ ، ... رُوَيدَكَ! كم في الأرضِ تسعى وتكدَحُ
إذا كنتَ تَرضَى أن تُعَدّ بتاجِرٍ ، ... هَلُمّ ، ففيهِ تاجِرُ المَدحِ يَربَحُ
فأنتَجتُ من فِكري له كلّ كاعِبٍ ... يُزَيّنُ عِطفَيْها البَديعُ المُنَقَّحُ
وخلّدتُ شعري في الطّروسِ لأنّني ... أرى الشعرَ يَعلو قَدرُه حينَ يقرَحُ
فَيا مَلِكاً قد أطمَعَ النّاسَ حِلمُهُ ، ... لكَثرَةِ ما تَهفُو ، فيَعفو ويَصفَحُ
أعِدْ ، غَيرَ مأمورٍ ، على الضّدّ كَيدَهُ ، ... وأذكِ لهُ النّارَ التي باتَ يَقدَحُ
فقَد أيقَنَ الأعداءُ أنّكَ راحِمٌ ، ... فَباهَوا بأفعالِ الخَناءِ ، وتُجحّحُوا
إذا ما فعَلتَ الخَيرَ ضُوعِفَ شَرُّهم ، ... وكلُّ إناءٍ بالذي فيهِ يَنضَحُ

ولو تابَعوا قَولَ الإلَهِ وأمرَهُ ، لَقالوا بأنّ الصّلحَ للخَلقِ أصلَحُ
تهَنّ بعيدِ النّحرِ ، وانحَرْ من العِدى ، فجُودُكَ عيدٌ للوَرى ليسَ يَبرَحُ
وضَحّ بهم ، لا زِلتَ تَنحَرُ مِثلَهم ، ومِن دونِ مَغناكَ العَقايرُ تُذبَحُ

ليلة العز

وقال يمدحه ويهنيه بعيد الفطر في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة موشحاً زهرياً بوزن الدوبيت :

لمّا شَدَتِ الوُرْقُ على الأغصانِ بَينَ الوَرَقِ
ماسَتْ طَرَباً بها غُصونُ البانِ كالمُغتَبِـقِ
الطّـيرُ شَـدَا ومَنظَرُ الزّهرِ بَدَا
والقَطْرُ غَـدا يوليهِ جَوداً ونَدَى[1]
والجَـونُ حَدَا ومَدّ في الجوّ رِدَا[2]

والنّرجِسُ جَفنُ طَرفِهِ الوَسنانِ لم يَنطَبِقِ
بَـلْ باتَ إلى شَقائقِ النّعمانِ ساهي الحَدَقِ
يا لَيلَةَ بِتنا ، وبِها العِـزُّ مُقيمْ

---

١ الجود : المطر الغزير .
٢ الجون : الأسود والأبيض ، ولعله أراد السحاب .

ما بَيْنَ حِياضٍ ورِياضٍ ونَسيمْ
ما أمهلَنا الصّبحُ لنَحظَى بنَعيمْ

لكِنْ تَجلّتْ على الظّلامِ الواني شَمسُ الأفقِ
حتى خَضَبَتْ مِنَ النّجيعِ القاني سَيفَ الشّفَقِ
لمّا شَهَرَ الرّبيعُ في الأرضِ نِصال
بالخِصبِ شَطَا في معرَكِ المحلِ وَصال
والزّهرُ ذَكا وأكسبَ الرّيحَ خصال

والغَيثُ هَمى بوَبلِهِ الهَتّانِ بَيْنَ الطّرُقِ
من مُحتَبِسٍ في سَرحةِ الغُدرانِ أو مُنطَلِقِ
أهدَتْ ليَ أنفـاسُ نَسيمِ السّحَرِ
ما أودَعَها طِيبُ أريجِ الزّهَـرِ
لم أدرِ، وقد جاءَتْ بنَشرٍ عَطِرِ

بالزّهرِ غدَتْ مسكيّةَ الأردانِ للمُنتَشِـقِ
أم أكسبَها نشرُ ثَنا السّلطانِ طِيبَ العَبَقِ
مَلِكٌ كَفَلَتْ أكنافُهُ كلّ غَريب
كَم أبعَدَ بالنّـوالِ مَنْ كانَ قَريب
يَنأى خَجَـلاً كَأنّهُ مِنـهُ مُريب

عن حضرَتهِ الحَياءُ قد أقصاني لا عَن مَلَقِ
بل أبعَدَ عن مَواقعِ الطّوفانِ خوفَ الغَرَقِ

لَولا عزَماتُ المَلِكِ الصّالِحِ ما
شاهَدتُ حِمَى الشّهباءِ قَد صارَ حِمَى
إن صالَحَ ما يَعصي ، وإن صالَ حمَى

إن شاهدَ بأسَهُ ذوو التّيجانِ تَحتَ الحَلَقِ
مِن هَيبتِهِ خرّوا إلى الأذقانِ مثلَ العُنُقِ
قَدْ أوجَدَني نَداهُ بَعدَ العَدَمِ
إذْ صانَ عَنِ الأنامِ وَجهي ودَمي
لم أصفُقْ كَفّي عندَهُ مِنْ نَدَمِ

لو شِئتُ لهامةِ السُّهَى أوطاني عندَ الغَرَقِ[1]
لولاهُ لمَا سلَوتُ عَن أوطاني بَعدَ القَلَقِ
يا ابنَ المَلِكِ المَنصورِ يا خَيرَ خَلَف
يا مَن هوَ أُنموذجُ مَن كانَ سَلَف
كم أتلَفَ كَنزَ المالِ مِن غَيرِ تَلَف

إذْ فرّقَ ما حوَى مدى الأزمانِ بَينَ الفرقِ
فالمالُ فَني ، وكلُّ شيءٍ فانِ والذّكْرُ بَقي
إسعَدْ بدَوامِ المُلكِ لا زِلتَ سَعيد
إذْ أنتَ أجَلُّ مِن أنْ أُهَنّيكَ بِعيد
هُنّيتَ ، ولا بَرِحتَ تُبدي وتُعيد

---

١ أوطاني : جعلني أطأ .

تُبدي لذَوي الرّجاءِ والإخوانِ حُسنَ الخُلُقِ
إذ فيكَ كمالُ الحُسنِ والإحسانِ لم يفتَرِقِ

العفو بعد المقدرة

وقال يمدحه وأرسلها إليه من بغداد :

ما هبّتِ الرّيحُ إلاّ هزّني الطّرَبُ ، إذ كانَ للقَلبِ في مَرّ الصَّبا أرَبُ
لذاكَ إن هَيمنَتْ في الدّوحِ أُنشِدُه : بَيني وبَينَكَ يا دَوحَ الحِمى نَسَبُ
يا جيرَةَ الشّعبِ،لولا فَرطُ بُعدِكُمُ لمَا غَدا القَلبُ بالأحزانِ يَنتَعِبُ
فهَلْ يَجودُ بكُمْ عَدلُ الزّمانِ لَنا يوماً ، وتُرفَعُ فيما بينَنا الحُجُبُ
يا سادَةً ما ألِفنا بَعدَهم سَكَناً ، ولا اتّخَذنا بَديلاً حينَ نَغتَرِبُ
بوُدّكم صارَ مَوصولاً بكم نسَبي ؛ إنّ المَوَدّةَ في أهلِ النُّهَى نَسَبُ
جميلُكُم كانَ في رِقّي لكُم سبَباً ، لا يوجَدُ الحكمُ حتى يوجَدَ السّببُ
فكَيفَ أنساكُمُ بَعدَ المَشيبِ ، وقَد صاحبتُكم ، وجَلابيبُ الصَّبا قُشُبُ
أم كَيفَ أصبِرُ مُغتَرّاً بأمنيَةٍ ، والدّارُ تَبعُدُ ، والآجالُ تَقترِبُ
قد زُرتُكم وعيونُ الخَطبِ تَلحَظُني شَزَراً ، وتَعثُرُ في آثاريَ النُّوَبُ
وكم قَصَدتُ بلاداً كيْ أمرّ بكُمْ ، وأنتمُ القَصدُ لا مِصرُ ولا حَلَبُ
وكم قَطَعتُ إليكُم ظَهرَ مُقفِرَةٍ ، لا تَسحَبُ الذّيلَ في أرجائها السُّحبُ

ومَهمَهٍ كسَماءِ الدَّجنِ مُعتَكِرٍ ، نَواظِرُ الأُسدِ في ظَلمائِهِ شُهبُ
حتى وَصَلتُ إلى نَفسٍ مُؤيَّدَةٍ ، منها النُّهَى واللُّهَى والمَجدُ يُكتسَبُ
بمجلِسٍ لو رآهُ اللّيثُ قالَ بهِ : يا نَفسِ في مثلِ هذا يَلزَمُ الأدَبُ
مَنازِلٌ لو قَصَدناها بأروُسِنا ، لكانَ ذاكَ علَينا بَعضَ ما يَجِبُ
أرضٌ نَدى الصّالحِ السّلطانِ وابلُها ، ورأيُهُ لرَجا أحوالها قُطُبُ
مَلكٌ بهِ افتَخَرَتْ أيّامُهُ شرَفاً ، واستَبشرَتْ بمَعالي مَجدِهِ الرُّتَبُ
وقالتِ الشّمسُ : حَسبي أنْ فخَرتُ به ، وجهي لهُ شَبَهٌ ، واسمي لهُ لَقَبُ
لا يَعرِفُ العَفوَ إلاّ بَعدَ مَقدَرَةٍ ، ولا يرَى العُذرَ إلاّ بَعدَما يَهَبُ
سَماحُهُ عُنوِنَتْ بالبِشرِ غايَتُها ، كما تُعنَوَنُ في غاياتِها الكُتُبُ
وهِمّةٌ حارَ فِكرُ الواصِفينَ لها ، حتى تَشابَهَ منها الصّدقُ والكَذِبُ
قالوا : هوَ البدرُ ؛ قلتُ : البدرُ مُمتَحِقٌ . قالوا : هو الشمس ؛ قلتُ : الشمس تحتجبُ
قالوا : هو الغيثُ ؛ قلتُ : الغيثُ مُنتظَرٌ . قالوا : هو اللّيثُ ؛ قلتُ : اللّيثُ يُغتصَبُ
قالوا : هو السّيلُ ؛ قلتُ : السّيلُ مُنقطعٌ . قالوا : هو البحرُ ؛ قلتُ : البحرُ مُضطرِبُ
قالوا : هو الظلّ ؛ قلتُ : الظلّ مُنتَقِلٌ . قالوا : هو الدّهرُ ؛ قلتُ : الدّهرُ مُنقَلِبُ
قالوا : هو الطّودُ ؛ قلتُ : الطود ذو خرَس . قالوا : هو الموتُ ؛ قلتُ : الموتُ يُجتَنَبُ
قالوا : هو السّيفُ ؛ قلتُ : السّيفُ نَندُبه ، وذاكَ من نَفسِهِ بالجُودِ يُنتَدَبُ
قالوا : فَما منهمُ يَحكيه ؛ قلتُ لهم : كلٌّ حَكاهُ ، ولكنْ فاتَهُ الشّنَبُ[1]
يا ابنَ الذينَ غَدَتْ أيّامُهم عِبَراً بَينَ الأنامِ ، بها الأمثالُ قد ضَرَبُوا

---

١ الشنب : بياض الأسنان وحسنها .

كالأُسدِ إن غضِبوا، والموتِ إن طلّبوا، والسّيفِ إن نُدبوا، والسّيلِ إن وهبُوا
إن حُكّموا عدَلوا، أو أمّلوا بَذَلوا، أو حُوربوا قتلوا، أو غولبوا غَلَبُوا
سرَيتَ مَسراهمُ في كلّ مَنقَبَةٍ، لم يَسرِها بَعدَهم عُجمٌ ولا عرَبُ
وفُقتَهُمْ بخِلالٍ قد خُصِصتَ بها، لولا الخصوصُ تَساوى العودُ والحطبُ
حمَلتَ أثقالَ مُلكٍ لا يُقامُ بها، لو حُمّلَتها الليالي مَسّها التّعَبُ
وحُطتَ بالعَدلِ أهلَ الأرضِ كلّهمُ، كأنّما النّاسُ أبناءٌ، وأنتَ أبُ
لكلّ شيءٍ، إذا علّلتَهُ، سبَبٌ، وأنتَ للرّزقِ في كلّ الورى سبَبُ
مولايَ! دِعوَةَ عَبدٍ دارُهُ نَزَحتْ، عليكُمُ قُربه بل قلبُهُ يَجِبُ
قد شابَ شِعري وشَعري في مَديحكمُ، ودُوّنَتْ بمَعاني نَظميَ الكُتُبُ
فالنّاسُ تَحسُدُكم فيهِ، وتحسُدُه فيكُم، وليسَ له في غيرِكم طلَبُ
فلا أرَتنا اللّيالي منكُمُ بدَلاً؛ ولا خلَتْ منكُمُ الأشعارُ والخُطَبُ

شكرتك

قال يشكر إنعام المولى السلطان
الملك المنصور طاب مثواه عن تحف
حملها إليه :

شكَرَتكَ عَنّي شارداتُ قَصائِدٍ بصَنائعٍ فاهَتْ بشُكرِ صنائِعِ
تَنفي الحُداةُ بها عن الجَفنِ الكَرَى، وتَخيطُ مِن طَرَبٍ جُفونَ السّامعِ

هنئت بالعيد

وقال يهنيه بعيد الفطر سنة إحدى وسبعمائة :

هُنِّئتَ بالعيدِ بل هُنِّي بكَ العيدُ ، فأنتَ للجُودِ ، بل إرثٌ لكَ الجُودُ
يا مَن على النّاسِ مَقصورٌ تَفَضُّلُه ، وظِلُّ رَحمَتِه في الأرضِ مَمدودُ
أضحَتْ بدَولتِكَ الأيّامُ مُشرِقَةً ، كأنّها لخُدودِ الدّهرِ تَوريدُ
أُعطيتَ في المُلكِ ما لانَ الحَديدُ لهُ ، حُكماً ، فأنتَ سُلَيمانٌ وداودُ
لكَ اليَدانِ اللّتانِ امتاحَ بِرَّهما بَنو الزّمانِ ، وريعتْ منهما الصِّيدُ
قضَى وُجودُهُما فينا وَجُودُهُما تكذيبَ مَن قالَ : إن الجودَ مَفقودُ
ماذا أقولُ ، ومَدحي فيكَ ذو قِصَرٍ ، وأنتَ بالفِعلِ مَمدوحٌ ومَحمودُ
إذا نَظَمتُ بَديعَ الشّعرِ قابلَني من السّماحِ بَديعٌ منكَ مَنقُودُ
فَلا مَعانيه في الحُسنَى مُغَلغَلَةٌ ، ولا بألفاظِهِ في البِرّ تَعقيدُ
فعِشتَ يُوليكَ طيبَ العَيشِ أربعةٌ : عِزٌّ ، ونَصرٌ ، وإقبالٌ ، وتأييدُ
ولا خلَتْ كلَّ عامٍ منكَ أربعَةٌ : نِسكٌ ، وصومٌ ، وإفطارٌ ، وتَعييدُ

برق المشيب

وقال يشكر إنعام ولديه الملك ناصر الدين محمد وعماد الدين علي بفرس جواد قدماها له وضمنها تضمين البحر لأبيات من مقصورة أبي بكر بن دريد بيتاً بيتاً وهو من مخترعاته وهي :

بَرقُ المَشيبِ قد أضا ، بعارِضٍ مثلِ الأضَا[1]
يُشَبِّهُ اشتِعالُهُ ، بالنّارِ في جَذلِ الغَضا[2]
وواصلَتْ قلبي الهمومُ ، فَجَفا جَفني الكَرى
واتّخَذَ التّسهيدُ عَيْني مَألَفاً لَمّا جَفَا
وكنتُ ذا بأسٍ ، فمُذْ عانَدَني صَرفُ القَضَا
رَضيتُ قَسراً ، وعلى الـ قَسرِ رِضَى مَن كان ذا ..[3]
لي أُسوَةٌ بابنِ الزُّبَيرِ ، إذْ أبَى حَملَ الأذَى
وابنِ الأشَجِّ القَيلِ سا قَ نَفسَهُ إلى الرّدَى
وهكذا جدّ أبو الـ خَيرِ لإدراكِ المُنَى
وقد سَما قَبلي يَزيدُ طالباً شأوَ العُلَى
وقد رَمَى عَمرٌو بسَهمِ كَيدهِ قلبَ العُلَى

---

١ الأضا : الغدران ، الواحدة أضاة .
٢ الجذل من الشجرة : أصلها الباقي بعد ذهاب فروعها . الغضا : شجر .
٣ من كان ذا : أي من كان ذا بأس ، وفي البيت اكتفاء .

وسَيفٌ استَعلَتْ بهِ هِمتُهُ حتى رَمَى
أقسَمتُ لا أنفكُّ أسمُو طالباً حُسنَ الثّنَا
أليّـةً باليَعمَـلاتِ ، تَرتَمي بها النَّجَا[1]
لأجعلَنّ مَعقلي ، مُطَهّماً صُلبَ المَطَا[2]
يرضَخُ في البيدِ الحَصَى ، وإنْ رَمَى إلى الرُّبَى[3]
يكابرُ السّمعُ اللّحا ظَ إثرَهُ ، إذا جرَى
إذا اجتَهَدتُ نَظَراً في إثرِهِ ، قلتُ : سَنَا
جادَ بهِ ابنُ المَلكِ الـ منصورِ مَنصورِ اللّوَا
هما اللّذانِ عَمّرا لي جانباً من الرَّجَا
فقلتُ ، لمّا أثقَـلا ظَهري بأعباءِ النّدَى :
نَفسي الفِداءُ لأميرَيَّ ومَنْ تَحتَ السّمَا
كأنّما جُودُهُما مُجَلجِلٌ مِنَ الحيَا
إذا وَنَتْ رُعُودُهُ عَنَتْ لهُ ريحُ الصَّبَا
فطَبّقَ الأرضِينَ حتى بلَغَ السّيلُ الزُّبَى
كأنّما البيداءُ ، غِبَّ صَوتِهِ ، بَحرٌ طَمَا
يَلومُني في البُعدِ عن حِماها خِلٌّ لحَى
واللّومُ للحُرّ مُقيمٌ رادعٌ ، والبُعدُ لا

---

١ الالية : اليمين . اليعملات : النياق . النجا : السرعة .
٢ المطا : الظهر .
٣ يرضخ : يكسر .

فسَوفَ يَعتادُهما منّي امرؤٌ مَحضُ الوَلا
يَجوبُ جَوزاءَ الفَلا مُحتَقِراً هولَ الدّجَى
قد نِلتُ في رَبعِهِما من النّعيمِ ما كَفَى
فإنْ أعِشْ صاحَبتُ دَهـ ـري عالماً بما انطَوَى
وإنْ أمُتْ ، فكُلُّ شيءٍ بلَغَ الحَدَّ انتَهَى

مالك الرق

وقال يشكر إنعام السلطان الملك
الصالح شمس الدين صالح وكتبها إليه
من الشام :

جزَى اللهُ عنّا مالكَ الرّقّ كاسمِهِ ، فلولا اسمُهُ ما كنتُ في الخلقِ أُعرَفُ
ولولا مَعاليهِ الشّريفَةُ لم تَكُنْ عليّ ملوكُ الأرضِ تَحنو وتَعطِفُ
أُحَدّثُهمْ عن برّهِ دونَ سِرّهِ ، وأُلحِفُ في تَعديدِ ما ليَ يُتحِفُ
وأُنشِدُ من مَدحي لهُ كلّ جَزلَةٍ تُحَلّى بها أسماعُهُمْ وتُشَنَّفُ
قَصائدُ في ألفاظِهِنّ مَقاصِدٌ من الصّخرِ أقوى بل من الماء ألطَفُ
إذا رامَ أهلُ العَصرِ نَظماً لمِثلِها ، وجاؤوا بلَفظٍ دونَها وتكَلّفُوا
ظنَنتُ حِبالَ السّحرِ ما قد أتَوا بهِ ، وتِلكَ عَصَا موسَى لها تتلَقّفُ

أصم يسمع

وقال يهنيه بشهر رجب الأصم :

غَدَا رَجَبٌ يؤمِّنُ حينَ أدعُو   لمَجدِكَ أن يَزِيدَ بهِ ارتِقاء
أصَمٌّ ظَلَّ مُستَمِعاً دُعائي ،   فَهَا أنا أُسمِعُ الصُّمَّ الدُّعاء

هنيئاً بشهر الصوم

وقال يهنيه بشهر رمضان :

هَنيئاً بشَهرِ الصَّومِ للمَلِكِ الذي   له نِعَمٌ مَعروفُها ليسَ يُنكَرُ
فَمٌ عن أحاديثِ المَحارِمِ صائمٌ ،   وكفٌّ بإسداءِ المكارِمِ مُفطِرُ
يسافرُ منهُ الذكرُ ، وهوَ مُتَمَّمٌ ،   وكلُّ مُقيمٍ في الثَّناءِ مُقَصِّرُ
وأعجَبُ من صَومِ الأنامِ برَبعِهِ ،   وقد غمَرَتهم من أياديهِ أبحُرُ

العيد الجديد

وقال يهنيه بعيد الفطر :

فِطرٌ بهِ كادَ قلبُ الدّهرِ ينفَطِرُ ، إذ بَشّرَتْ بمعالي مَجدِكَ الفِطَرُ[1]
يا مالِكاً أضحتِ الدّنيا تَتيهُ بهِ ، والصّومُ والفِطرُ والأعيادُ تَفتَخِرُ
أضحى وُجودُكَ في الدّنيا وَجُودُكَ لي عيداً جَديداً بهِ يَستَبشِرُ البَشَرُ
فالعيدُ مُنتَظَرٌ في العامِ واحدَةً ، وَجُودُ كَفّكَ عيدٌ ليسَ يُنتَظَرُ
لو يَنطِقُ العيدُ بالإنصافِ قال لنا : لِيَهنِكُم بالمَليكِ الصّالحِ الظّفَرُ
مَلْكٌ سَما ذِكرُهُ بينَ الملوكِ ، وما بنى لهُ الذكرَ إلاّ الصّارمُ الذّكَرُ
سَهلُ الخَلائقِ ما في خُلقِهِ شَرَسٌ للواردين ، ولا في خَدّهِ صَعَرُ[2]
لا يَعرِفُ العذرَ عن إسعافِ ذي أمَلٍ ، يوماً ، ولكنّهُ يُعطي ويَعتَذِرُ
من آلِ أُرتُقَ الصِّيدِ الأُلى رَتَقُوا فَتقَ العُلى ، بعدَما حالتْ بها الغِيَرُ
همُ الملوكُ الأُلى يُكسَى الزّمانُ بهم عِزّاً وتَخفى ملوكُ الأرضِ إن ظَهرُوا
المُنعِمونَ ، ولكن قَبلَما سُئِلوا ، والصّافحونَ ، ولكن بعدَما قَدَرُوا
يا ابنَ الملوكِ الأُلى دانَ الزّمانُ لهم ، لمّا استَقاموا معَ الباري كما أُمِرُوا
لا فَضلَ لي في نِظامي دُرَّ وصفِكمُ ، بقيمَةِ الدُّرّ لا بالسِّلكِ يُعتَبَرُ
لم تَزْهُ صَنعَتُهُ إلاّ بصُنعِكُمُ ، تَزهو الخَمائلُ أنّى يَهطِلُ المَطَرُ

---

١ الفطر ، الواحدة فطرة : الدين . السنة .
٢ الصعر في الخد : إمالته عن النظر إلى الناس تهاوناً وكبراً .

أعلى من أن يهنأ

وقال أيضاً يهنيه بعيد الفطر :

يا مليكاً بذكرِهِ يَفخَرُ المَدْ ... حُ ويَسمو الإيرادُ والوُرّادُ
أنتَ أعلى من أنْ تُهنّى بعيدٍ ... بل تُهَنّى بمَجدِكَ الأعيادُ
فابقَ في نِعمةٍ بها سُرَّ راجيكَ ، ... ورُدّتْ بغَيظِها الحُسّادُ
صُمْ في صَومِكَ العُداةُ ، وفي ... فِطرِكَ منهم تُفَطَّرُ الأكبادُ

غرة وجه الأنام

وقال أيضاً يهنيه بعيد النحر :

تَهَنَّ بعيدِكَ يا ابنَ الكِرامِ ، ... وعِشْ لتَهانيهِ في كلِّ عامِ
فإنْ يَكُ غُرّةَ وجهِ الزّمانِ ، ... فإنّكَ غُرّةُ وجهِ الأنـامِ

الهلال المبشر

وقال يهنيه بالقدوم من سفر في مستهل أحد الشهور :

قدمتَ ، وقد لاحَ الهلالُ مبَشّراً   بعَودِكَ ، إنّ السّعدَ فيه قرينُه
ويُخبِرُ أنّ النّصرَ فيه مُقَدَّرٌ ،   ألم تَرَهُ قد لاحَ في الغَربِ نُونُه[1]

بناء العلاء صعب

وقال يهنيه بدار عمرها في قلعة ماردين :

هكَذا إن بنَى المَنازِلَ بانِ ،   وثَناها مَشيدَةَ الأركانِ
يَبتَني المَجدَ أوّلاً ، فإذا ما   شادَهُ شَيّدَ المَنازِلَ ثانِ
وبِناءُ العَلاءِ صَعبٌ على مَن   لم يكنْ عزمُهُ شديدَ المَباني
فإذا حاوَلَ المُقَصِّرُ نيلَ العِزّ   نادَى : وعِزّتي لَن تَراني
كلٌّ من أسّسَ البناء على تَقوى   إلَهِ السّماءِ والرّضوانِ
فلْيَشِدْ قَبلَهُ البناءَ كما قد   شَيّدَتهُ مَناقِبُ السّلطانِ

---

١ شبه تقوس الهلال بتقوس النون . والنون : السيف .

زينُ أبناءِ ارتقَ الملكُ الصّا لحُ شمسُ الدّينِ الرّفيعِ الشّانِ
ملكٌ يملأُ النّواظرَ بالحُسنِ ، ويملا الأكفَّ بالإحسانِ
لو يشا أسّسَ المنازلَ من فَو قِ أعالي منازلِ الزّبرقانِ[1]
والسّواري فوق السّواري من الشّهـ بِ ، وأبوابُها على كيوانِ[2]
شادَ في ذُروةِ العلاءِ دياراً ، وجنَى الجنّتينِ منهنّ داني
فأراهُ الإلهُ في ظلّها العزَّ ، وطيبَ الهنا ، ونيلَ الأماني

فؤادي لديكم

قال وكتب بها إلى أخيه الملك ناصر الدين عمر ويهنيه بعيد الفطر :

إن ثنتْ عنكمُ الخطوبُ عِناني ، ففؤادي لديكمُ وجناني
واشتياقي لربعكم لا بوجدي بغوانٍ به ، ولا بأغاني
ما هوينا مغنى الدّيارِ ، ولكنْ بالمعاني نهيمُ لا بالمغاني
من معينُ الصبِّ الكئيبِ على الشّو قِ إذا باتَ للهمومِ يُعاني
ومن المبلغُ الأحبّةِ أنّي طيبُ عيشي من بعدِهم ما هنّاني

1 الزبرقان : القمر .
2 السواري الأولى ، الواحدة سارية : العمود . والسواري من الشهب : النجوم . كيوان : الكوكب زحل .

يا نَسيمَ الشَّمالِ إنْ جُزتَ بالشّهبا ءِ قبِّلْ عنّي ثرَى السّلطانِ
وابلغِ المَلكَ ناصرَ الدّينِ شَوقي ثمّ قبِّلْ ثراهُ بالأجفانِ
عُمرَ المالكُ الذي عمّرَ المَجدَ ، وقد كانَ داثرَ البُنيانِ
والمَليكُ الذي يَرى المَنّ إشرا كاً بوَصفِ المُهَيْمِنِ المَنّانِ
والجوادُ السّمحُ الذي مرَجَ الْ بحرينِ من راحتَيهِ يلتَقيانِ[1]
ملكٌ يَعتِقُ العبيدَ من الرّقّ ، ويَشري الأحرارَ بالإحسانِ
بسَجايا رَضِعنَ دَرّ المَعالي ، ومَزايا رَضِعنَ دَرّ المَعاني
فلِباغٍ عَصاهُ حُمرُ المَنايا ، ولباغي عَطاهُ بِيضُ الأماني
يا أخا الجُودِ ليسَ مثلُكَ موجو داً ، وإن كان بادِياً للعِيانِ
أنتَ بينَ الأنامِ لفظَةُ إجما عٍ ، عليها اتّفاقُ قاصٍ ودانِ
ذلكَ الرّتبَةُ التي قَصّرَتْ دو نَ عُلاها النّسرانِ والفَرقَدانِ[2]
والحسامُ الذي إذا صلّتِ البِيضُ وصلت في البيضِ والأبدانِ
قامَ في حَومَةِ الهياجِ خَطيباً ، قائلاً : كلُّ مَن علَيها فانِ
واليَراعُ الذي يَزيدُ بقطعِ الرّا سِ نُطقاً مِن بَعدِ شَقّ اللّسانِ
لم تَمَسّ التّرابَ نَعلاكَ ، إلاّ حسَدَتهُ مَعاقدُ التّيجانِ
شِيَمٌ لم تَكُنْ لغَيرِكَ إلاّ لمعالي شَقيقِكَ السّلطانِ
جمعَ اللهُ فيكما الحُسنَ والإحسا نَ ، إذْ كُنتُما رَضيعَي لِبانِ

---

١ مرج : خلط .
٢ قوله : ذلك الرتبة ، هكذا في الأصل . النسران والفرقدان : نجوم .

وتجارَيتُما إلى حَلبةِ المَجدِ ، فَوافَيتُما كمُهرَيْ رِهانِ
ثمّ عاضَدتَهُ ، فكنتَ لدَيهِ مثلَ هارونَ في فتَى عِمرانِ
فتَهَنّ العيدَ السّعيدَ ، وإن كا نَ لكُلّ الأعيادِ منكَ التّهاني
واقضِ عُمرَ الزّمانِ صَوماً وفِطراً ، خالداً في مَسرّةٍ وأمانِ
ليسَ لي في صِفاتِ مَجدِكَ فخرٌ ، هيَ أبدَتْ لَنا بديعَ المَعاني
كلّما أبدَعتْ سَجاياكَ مَعنًى نظَمَتْ فِكرَتي وخَطّ بَناني
لا تَسُمْني بالشّعرِ شكرَ أياديكَ ، فَما لي بشُكرِهنّ يَدانِ
لو نَظَمتُ النّجومَ شِعراً لمَا كا فيتُ عن بعضِ فَلكَ الإحسان

الملك الجامع الفضائل

وقال يشكر إنعام السلطان الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل ابن الملك الأفضل ابن أيوب صاحب حماة عند وروده إليها وقد كان اقترح عليه هذا البحر والقافية :

لا راجَعَ الطّرفُ باللّقا وسَنَهْ ، إن ذاقَ غُمضاً من بعدِكم وسِنَهْ[1]
طالَ على الصّبّ عُمرُ جَفوَتكُم ، فكلّ يومٍ مِنَ الفِراقِ سَنَهْ

---

١ وسنه : نعاسه الشديد . السنة : النوم .

صَبٌّ أجابَ الغَرامَ ، حينَ دَعَا ... طَوعاً ، وألقَى إلى الهَوى رَسَنَهْ

لم يَقضِ مِن وصلِكُم لُبانَتَهُ ، ... وإنْ قضَى في هواكُمُ زَمَنَهْ

ما عرَفَ الشِّركَ في هَواه ، ولا ... خالَفَ دينَ الهوَى ولا سُنَنَهْ

ولو غَدا ، وهو عابدٌ وثَناً ، ... لمَّا غَدا غَيرُ شخصِكُم وثَنَهْ

إن كَرَّرَ العاذِلونَ ذِكْرَكُمُ ، ... صغَا ، وأصغَى إليهِمْ أذُنَهْ

ما لامَهُ لائِمٌ ليُحزِنَه ، ... إلاّ وسَلّى بذكرِكم حزَنَهْ

لولاكُمُ لم تَبِتْ جَوانحُهُ ... حرَّى ، ولا أنحَلَ الضّنى بدَنَهْ

كم ضَمّنَ الدّمعَ رَيَّ غُلّتِهِ ، ... فَما وفَى بعدَكم بما ضَمِنَهْ

لا تُودِعوا سِرَّكم نَواظرَه ، ... فهيَ على السرِّ غَيرُ مُؤتَمَنَهْ

نَواظِرٌ بالدّموعِ وافيَةٌ ، ... وهيَ لإظهارِ سرِّكمْ خَوَنَهْ

ورُبَّ لَفظٍ فَصّلْتُ مُجمَلَهُ ، ... واللّيلُ قد فصّلَ الضّحى كفَنَهْ

ساءتْ ظنُونُ الحسّادِ فيَّ بهِ ، ... لمّا غَدا الجفنُ جافياً وسَنَهْ

لم يَبسُطُوا العُذرَ لي ، ولا علموا ... أنّ يَدي بالصّنيعِ مُرتَهَنَهْ

ولو بمَدحِ المُؤيَّدِ اعتبَروا ... لَبُدّلَتْ سيّئاتُهُمْ حَسَنَهْ

الملكُ الجامعُ الفَضائلِ والبا ... ذِلُ في الصّالحاتِ ما خزَنَهْ

يَمتَنُّ للقابلي عَطاهُ ، ولا ... يُقَلّدُ الوَفدَ في النّدَى مِنَنَهْ

ملكٌ لو أنّ البِحارَ تُشبِهُهُ ، ... لأصبَحَ البَحرُ باذِلاً سُفُنَهْ

ولو أتَى الأصمَعيُّ يُنشِدُهُ ... شِعراً لأصبَحَ من خوفٍ به لحَنَهْ[1]

---

١ عجز البيت مختل الوزن .

ولو رَعَى ألكَنٌ عِبارَتَهُ ، أزالَ من سِحرِ لَفظِهِ لَكَنَه
مُهذَّبُ اللّفظِ في الفَصاحةِ لا كَسائِلِ المازِنيِّ مَن ختَنَه
مِن آلِ أيّوبَ الذينَ لهمْ حَماسَةٌ بالسّماحِ مُقتَرِنَه
ذوي بيوتٍ في المَجدِ سالمةٍ ، كلُّ أفاعيلِهِنّ مُتّزِنَه
هم اشتَروا المُلكَ غالياً خَطَراً ، وصَيّروا أنفُسَ العِدَى ثَمَنَه
طَوراً سِلاحَ الملكِ العَقيمَ تَرَى تلكَ المَساعي ، وتارَةً جُنَنَه[1]
يا مالِكاً دانَتِ المُلوكُ لَهُ ، واتّبَعَتْ في اعتِمادِها سُنَنَه
ومَنْ سَنا بِشره ، ونائِلُهُ رَفَّهَ سَعي الحُجّابِ والخَزَنَه
والصّادِقَ الوَعدِ في الكِتابِ ومَن فَداهُ ذو العَرشِ بعدما امتحَنَه
أوسَعتَ للعَبدِ مِن هِباتِكَ ما أضاقَ عن حَملِ بَعضِهِ عَطَنَه
أتعَبتَ بالشّكرِ جُهدَ مُهجَتِهِ ، كأنّها بالنّعيمِ مُمتَحَنَه
آنَسَهُ فَضلُكُمْ ، فَما طَلَبَتْ مَسكَنَهُ نَفسُهُ ، ولا سكَنَه
أسلاهُ عن أهلِهِ صَنيعُكُمُ بهِ ، وأنساهُ ظِلُّكُم وطَنَه
يُعلِنُ بالمَدحِ والثّناءِ ، وقَد أشبَهَ في الوُدّ سِرُّهُ علَنَه
ما ساءَهُ غَيرُ فَوتِ مُدّتِهِ ، وما قضَى تحتَ ظِلّكُمْ زَمَنَه
فلا أرَتنا الأيّامُ فيكَ رَدًى ، ولا أماطَتْ عن حاسِدٍ حَزَنَه
وعَمّرَ اللهُ حاسديكَ لكَيْ تَعيشَ في الذّلّ عيشَةً خَشِنَه

[1] قوله : العقيم ، لعله من قولهم حرب عقيم ، أي شديدة .

إلى معاليه ينتهي الكرم

وقال فيه موشحاً مردفاً
وكان لهجاً بالموشحات :

زارَ ، وصبغُ الظّلامِ قد نَصَلا ، بَدرٌ جَلا الشّمسَ في الظّلام ألا

جاءَ ، وسجفُ الظّلامِ قد فُتِقا فاعجَب
والصّبحُ لم يُبقِ ، في الدّجَى رَمَقا
وقد جَلا نورُ وجهِهِ الغَسقا

وأدهمُ اللّيلِ منهُ قد جَفَلا ، وقد أتَى رائدُ الصّباحِ على

أفديهِ بَدراً في قالبِ البِشرِ أشهَب
قد جاءَ في حُسنِهِ على قَدَرِ
يَرتَعُ في روضِ خدّهِ نَظَري

خدٌّ بلُطفِ النّعيمِ قد صُقِلا ، كأنّهُ من دَمي إذا خَجِلا

يا مَن غَدا ظِلُّ حُسنِهِ حَرَماً يُخضَب
لمّا حوَى ما بهِ الجَمالُ حَمى
فرعاً وصُدغاً إن حكما ظُلما

فارقُمِ الجعدَ تَحرُسِ الكَفَلا ، وحارِسُ الخَدّ منهُ قد جُعِلا

هَلاّ تَعلّمتَ بَذلَ وُدّكَ لي عقرب
من المَليكِ المؤيّدِ ابنِ علي

سلطان عصر مسمّى على الأوّلِ
لولا أيادٍ بها الورى شمَلا لأصبحَ النّاسُ كالسّماءِ بلا
ملَكٌ ، مَعانيه للوَرى حرَم كوكب
إلى معاليه ينتَهي الكَرَمُ
قَد أغرَقَ النّاسَ سَيلُهُ العَرِمْ
سَحابُ جُودٍ على الوَرى هطَلا ، لا برقُهُ مُبطيءُ النّوالِ ولا
حُماةٌ أصبَحَتْ للأنامِ حِمىً خلّب
حويتَ ملكاً على المُلوكِ سمَا
بحراً غدَا بالعلومِ مُلتَطِما
ملَكٌ لرِزْقِ الأنامِ قد كفَلا ، فصارَ في النّاسِ جُودُه مثَلا
يا مَن عَطاهُ قبلَ السّؤالِ بدَا
ومَن حبَانا قبلَ النّدا بندَى
هَيهاتَ يُنسَى صَنيعُكُمْ أبدا
عبدٌ على فرطِ حبّكم جُبِلا ، عليكُمُ إن قامَ أوْ رحَلا

في حمى الملك

وقال موشحاً وكان قد اقترح عليه
هذا الوزن وتوشيحه لزوم ما لا يلزم :

بروحي جُوذَرٌ في القَلبِ كانِس، تَراهُ نافراً في زِيِّ آنِس

وأحوَى أحوَرِ الأحداقِ ألمَى
تَكادُ خُدودُهُ بالوَهمِ تَدمَى
كأنَّ الحُسنَ لمّا منهُ تَمّا
وآثَرَ أنَّ ذاكَ الرّوضَ يُحمَى

غَدا للوَردِ في خَدّيهِ غارِس ، وظَلَّ لهُ بسَيفِ اللّحظِ حارِس

جَلا في كَفّهِ كأسَ الحُمَيّا
فَقابَلَ نُورُها بَدرَ المُحَيّا
وطافَ بكأسِهِ فينا وحَيّا
فَغادَرَ مَيّتَ العُشّاقِ حَيّا

بوَجهٍ إنْ تَبَدّى في الحَنادِس ، غَدا للنَيّراتِ الخَمسِ سادِس

جَلا كأسي ، فقلتُ إليكَ عَنّي
فقَد ضَيّعتُ عُمري بالتّمَنّي
فقالَ معَ الخَلاعةِ : إي ، وإنّي
فقلتُ : فطُفْ إذاً وامزُجْ وغَنِّ

بشِعري فهو حَضْراتُ المَجالِس ،   وفاكِهَةُ المُفاكِهِ والمُجالِس[1]

أما قالَ الذي في الحُسنِ زَيّد
ومَن وَجَدَ النّدى قَيداً تقَيّد
فَها أنا في حِمَى المَلِكِ المُؤيَّد
مَنيعِ العِزّ ذي مَجدٍ مُشَيَّد

عمادِ الدّينِ مُغني كلِّ بائِس ،   ومَن تَغدُو الأسودُ لهُ فَرائِس

أيا مَلِكاً حَماني مِنْ زَماني
وأعطاني أماني والأماني
خَفَضْتَ برَفعِ شأني كلَّ شاني[2]
وشَيّدتَ المَعالي والمَعاني

ولولا أنتَ يا مُردي الفَوارِس ،   لأضحَى العِلمُ بَينَ النّاسِ دارِس

تَجَرّا مَن لجودِكَ رامَ حَدّا
ومَنْ بالغَيثِ قاسَكَ قَد تَعَدّى
وكيفَ تُقاسُ بالأنواءِ حَدّا
وكَفُّكَ للوَرى أدنَى وأندَى

لأنّ الغَيثَ يُسألُ ، وهوَ حابِس ،   وليسَ يَجودُ إلاّ وهوَ عابِس

جعَلتَ البِيضَ دامِيَةَ المَآقي
وسُمرَ الخطّ تَرقَى في التّراقي

---

١ حضرات ، الواحدة حضرة : مكان الحضور ، ولعلها محرفة .
٢ الشاني : المبغض .

مَساعٍ للعُلَى أضحَتْ مَراقي
وتلكَ الصّالحاتُ هي البَواقي
فتُرجِلُ فارسَ الحربِ الممارس ، وتجعلُ راجِلَ الإملاقِ فارس

حمدتُ إليك تَرحالي وحالي
وزادَ لدَيكَ إقبالي وبالي
وقد ضاعَفتَ آمالي ومالي
فلَستُ أُطيلُ عَن آلي سُؤالي
أفَضتَ عليَّ للنُّعمَى مَلابِس ، فصار لدَيَّ رَطباً كلُّ يابِس

أأزعُمُ أنّني بالمَدحِ جازي
وهل تُجزَى الحَقيقةُ بالمَجازِ
ولكِنْ في ارتجالي وارتجازي
إذا قَصّرتُ فاللهُ المُجازي
فلو نَظّمتُ من مَدحي نَفائِس ، فإنّي من قَضاءِ الحقّ آيِس

البر قيد العفاة

وقال وقد أسمعه وزناً طويلا على هذا الوزن والقافية وذكر أن جماعة من الشعراء نظموا فيه وأخطأوا فنظم بين يديه ارتجالا :

إن قصّرَ لَفظي فإنّ طَوْلك قد طالْ ، ما من فعلِ البَرّ والجَميلِ كَمن قالْ
أو خفّفَ نهضي جميل صُنيعك عندي ، قد حمّلَ ظَهري لفَرطِ منّك أثقالْ
يا مَن جَعلَ البِرّ للعفاةِ قيوداً ، قد زدتَ من المنّ عنقَ عبدك أغلالْ
أظهرتَ علينا من السّماحِ سماتٍ ، إنْ قَصّرَ نُطقي بوَصفِها نطقَ الحالْ
شيّدتَ بيوتَ العلى ، وكنّ طلولاً ، بالجُودِ فأمستْ بيوتُ مالكَ أطلالْ
ما أنصَفَ من قاسَ راحتَيك بسُحبٍ ، من أينَ لكَفّيك في السّحائبِ أشكالْ
السُّحبُ، إذا ما سخَتْ تجودُ وتَبكي بالماءِ ، وتسخو وأنتَ تَضحكُ بالمالْ
يا مَن جَعلَ العالِمَ الفَصيحَ بَليداً ، بالبَحثِ كما صيّرَ الفَلاسِفَ جُهّالْ
لا تَعجَبْ إن أخطأوا لدَيكَ بوَزنٍ في النّظمِ ، فللشّعرِ كالمَعاركِ أبطالْ
لو لم يكُنِ الشّعرُ للمُحاولِ صَعباً ، ما أصبَحَ من دونِهِ البيوتُ بأقفالْ

جزاك الله خيراً

وقال يشكر إنعامه وقد حمل إليه
تحفاً وكسوات البيت وآلاته ومهماته
جميعها :

جَزَاكَ اللهُ عن حُسناكَ خَيراً ، وكانَ لكَ المُهَيمِنُ خَيرَ راعِ
فقد قَصّرتَ بالإحسانِ لَفظي ، كما طَوّلتَ بالإنعــامِ باعي
فأخرَني الحَياءُ ، وليسَ يَدري ، جَميعُ النّاسِ ما سَبَبُ امتِناعي
فشُكري حُسنَ صُنعِكَ في اتّصالٍ ، وخَطوي نحوَ رَبعِكَ في انقِطاعِ
وقافِيَــةٍ شَبيهِ الشّمسِ حُسناً ، تَرَدّدُ بَينَ كَفّيَ واليَراعِ
لها فَضلٌ على غُرَرِ القَوافي ، كما فَضلُ البِقاعِ على البِقاعِ
غَدَتْ تُثني على عَلياكَ لَمّــا ضَمِنتَ لرَبّها نُجحَ المَساعي
فدُمتَ ، ولا بَرِحتَ مدى اللّيالي سَعيدَ الجَــدّ ذا أمرٍ مُطاعِ

طلائع الإقبال

وقال يهنىء ولده السلطان الملك الأفضل ناصر الدين محمد أعز الله نصره بوصول الملك إليه بعد وفاة أبيه قدس الله روحه ووفاء السلطان الأعظم الملك الناصر له بذلك ومخاطبته إياه بالولد في تقليده في سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة :

عانَدَهُ في الحُبّ أعوانُه ، وخانَهُ في الرّدّ إخوانُه
مُتَيَّمٌ ، ليسَ لهُ ناصِرٌ ، أوّلُ مَن عاداهُ سُلوانُه
يَكتِمُ ما كابَدَهُ قلبُـه ، ويُعجِزُ الأعيُنَ كِتمانُه
ما شانَهُ إلاّ مَقالُ العِدَى ، وقد همَتْ عَيناهُ ، ما شانُه
كُلّفَ إخفاءَ الهوَى قلبُه ، فعزّ مِن ذلك إمكانُه
أمانَةٌ يُشفِقُ مِن حَملِها لفَرطِ ذاكَ الثّقلِ إنسانُه
مَن لمُحِبٍّ قلبُهُ هائِمٌ يَحِنُّ ، والأحبابُ جيرانُه
ما شامَ بَرقَ الشّامِ إلاّ همَتْ بِوابِلِ الأدمُعِ أجفانُه
سقَى حِمَى وادي حماةَ الحَيا ، وصَيّبُ الوَدقِ وهتّانُه
وحبّذا العاصي ، ويا حبّذا دَهشَتُهُ الغَرّا ومَيدانُه
وادٍ إذا مرّ نَسيمٌ بِـهِ تَعَطّرَتْ بالمِسكِ أردانُه
تَستأسِرُ الأبطالَ آرامُه ، وتَقنِصُ الآسادَ غِزلانُه[1]

[1] الآرام : الظباء ، الواحد رئم .

كم فيهِ من ظَبيٍ هَضيمِ الحَشا، إذا انثنى يحسُدُهُ بانُه
تَشابَهَتْ عندَ مرورِ الصَّبا قُدودُ أهليهِ وأغصانُه
كَم لَيلَةٍ قَضَّيتُ في مَرجِهِ، وقد طَمَتْ بالماءِ غُدرانُه
والأفقُ حالٍ بنُجومِ الدّجَى، قد كُلّلَتْ بالدُّرّ تيجانُه
كأنّما الجوزاءُ فيهِ، وقد حَفَّ بها البَدرُ وكَيوانُه
بيتُ بني أيّوبَ، إذْ شُيّدتْ بالمَلكِ النّاصرِ أركانُه
بيتٌ أثيلٌ، بحرُهُ وافرٌ، قد سَلِمتْ في المَجدِ أوزانُه
لا غروَ إن أمسَى مَشيداً، وقد أُسّسَ بالمَعرُوفِ بُنيانُه
شَيّدَهُ النّاصرُ من بعدِ ما قد كادَ أن ينزَغَ شَيطانُه[1]
مَلْكٌ كأنّ الدّهرَ عَبدٌ له، وسائرُ الأيّامِ أعوانُه
وَفَى لهم في قولِهِ، والوَفا قد بَلِيَتْ في اللّحدِ أكفانُه
لا زالَ يُحيي بنداهُ الورى، ويُغرِقُ العالَمَ طوفانُه
يا أيّها المَلكُ الذي سرُّهُ طاعَةُ ذي الأمرِ وإعلانُه
تَهنَّ بالملكِ الذي لم تكنْ تُلقَى إلى غَيرِكَ أرسانُه
طَلائعُ الإقبالِ جاءَتْ، وذا مُقتَبَلُ العُمرِ وريَعانُه
هذا كِتابٌ ناطقٌ بالعلى، وهذه الرتبةُ عُنوانُه
فافخرْ، فما فخرُكَ بَدعاً، وقد قامَ لأهلِ العصرِ بُرهانُه
يَفخَرُ ذو الملكِ، إذا ما بَدا لهُ من السّلطانِ إحسانُه

---

١ نزغ الشيطان بين الناس: أغرى بعضهم ببعض.

فكَيفَ مَن والدُهُ قد قضَى ، فأصبَحَ الوالدَ سلطانُه
زَكّاكُمُ قُربانُ إيمانِكُم بهِ ، وزكّى الغَيرَ إيمانُه
مَن يَكُ إسماعيلُ أصلاً له لا بَدعَ أن يُقبَلَ قُربانُه
أبٌ بهِ تُرفَعُ عن مَجدِكم قَواعِدُ البَيتِ وأركانُه
أبلَجُ لا يَخسَرُ مَن أمّهُ يَوماً ، ولا يَخسَرُ ميزانُه
تكادُ أن تَعشُو إلى ضَيفِه لفَرطِ ما تَهواهُ نيرانُه
إنْ ذُكرَ العِلمُ ، فنُعمانُه ، أو ذُكرَ الحكمُ فلُقمانُه[1]
أحزَنَنا فقدانُهُ ، فانجَلَتْ بالمَلكِ الأفضلِ أحزانُه
سَلامُ ذي العَرشِ على نَفسه، ورحمةُ اللهِ ورضوانُه

سطوة تذيب الجلمد

وقال وقد أرسل إليه تحفاً على يد
مملوك له إلى بغداد :

أقطَراتِ أدمُعي لا تَجمَدي ، ويا شُواظَ أضلُعي لا تَخمُدي
ويا عيوني السّاهراتِ بعدَهم ، إن لم يَعُدْكِ طيفُهم لا ترقُدي
ويا سيوفَ لحظِ مَن أحبَبتُه جُهدَكِ عن سفكِ دمي لا تُغمدي

[1] النعمان : هو أبو حنيفة الفقيه المشهور . لقمانه : أراد لقمان الحكيم .

ويا غوادي عَبرَتي تَحَدّري ، ويا بَوادي زَفرَتي تصَعّدي
فقد أذلتُ أدمعي ، ولم أقُل إن يُحمَ عن عَيني البكا تجلّدي
أنا الذي ملّكتُ سلطانَ الهوَى رقّي ، وأعطيتُ الغرامَ مِقوَدي
ما إن أزالُ هائماً بغادَةٍ تَسبي العقولَ ، أو غزالٍ أغيدِ[1]
فهوَ الذي قد نامَ عنّي لاهياً ، لمّا رَماني بالمُقيمِ المُقعِدِ
مُوَلَّدُ التركِ ، وكم من كمدٍ مولّدٍ من ذلكَ المولّدِ
معتدلُ القدّ عليهِ كُمّةٌ ، فَهوَ بها كالألفِ المُشَدَّدِ[2]
قالَ المَجوسُ إنّ نورَ نارِهم لو لم تُشابِهْ خَدّهُ لم تُعبَدِ
يُريكَ من عارِضِهِ وفَرقِهِ ضِدّينِ قد زادا غَليلَ جَسَدي
فذاكَ خَطٌّ أسوَدٌ في أبيَضٍ ؛ وذاكَ خطٌّ أبيَضٌ في أسوَدِ
للهِ أيّاماً مضَتْ في قُربِهِ ، والدّهرُ منهُ بالوصالِ مُسعِدي
ونحنُ في رادي حَماةَ في حِمىً بهِ حَلَلنا فوقَ فرقِ الفَرقَدِ
فحبّذا العاصي وطيبُ شِعبِه ، ومائِهِ المُسلسلِ المُجَعّدِ
والفُلْكُ فوقَ لُجّهِ كأنّها عَقارِبٌ تدبُّ فوقَ مِبرَدِ
وناجمُ الأزهار من مُنظّمٍ على شَواطيهِ ، ومن منضّدِ
من زَهَرٍ مفتّحٍ ، أو غُصُنٍ مرَنّحٍ ، أو طائرٍ مغرّدِ
والوُرقُ من فوقِ الغصون قد حكتْ بشَدوِها المُطرِب صوتَ مَعبَدِ[3]

---

١ الأغيد : الطويل العنق .
٢ الكمة : القلنسوة المدورة .
٣ معبد : مغن مشهور .

كأنّما تَنشُرُ فضلَ الملكِ الـ أفضَلِ نَجلِ الملكِ المؤيَّدِ
أروعُ مَحسودُ العَلاءِ أمجَدٌ ، من نَسلِ مَحسودِ العلاءِ أمجَدِ
المؤمنُ الموَحّدُ ابنُ المؤمنِ الـ ـموَحّدِ ابنِ المؤمنِ الموحَّدِ
السيّدُ ابنُ السيّدِ ابنِ السيّدِ ابنِ السيّدِ ابنِ السيّدِ ابنِ السيّدِ
من آلِ أيّوبَ الذينَ أصبَحوا كَواكِباً بها الأنامُ تَهتَدي
من كلّ خَفّاقِ اللّواءِ لابسٍ ثوبَ الفَخارِ مُطرّزاً بالسّؤدَدِ
مُهَذّبٍ مُحبّبٍ مُجرّبٍ ، للمُجتني والمُجتَلي والمُجتَدي
فقَولُهُ وطَوْلُهُ وحَولُه للمُعتَني والمُعتَفي والمُعتَدي
ما إن يَشينُ مَنَّهُ بمنّةٍ ، ولا يَشوبُ برَّهُ بمَوعِدِ
سماحَةٌ تَخفِضُ قدرَ حاتمٍ في أدَبٍ يَهزَأُ بالمُبَرّدِ
نامَتْ عيونُ النّاس أمناً عندَما رَعاهم بطَرفِهِ المسهّدِ
صوتُ الصّهيلِ والصّليلِ عندَهُ أطيَبُ من شَدوِ الحِسانِ الخُرّدِ
يُلهيهِ صَدرُ النَّهدِ في يوم الوَغى بالكَرّ عن صَدرِ الحِسانِ النُّهّدِ[1]
ويَغتَني بالمُلدِ من سُمرِ القَنا عن كلّ مَجدولِ القَوام أملَدِ
خَلائِقٌ تُعدي النّسيمَ رِقّةً ، وسَطوَةٌ تُذيبُ قَلبَ الجَلمَدِ
وبأسُ ملكٍ مجدُهُ من عامرٍ ، وفيضُ جودِ كفّهِ من أجوَدِ
وربَّ يومٍ أصبَحَ الجوُّ به مُحتَجِباً من العَجاجِ الأركَدِ
كأنّ عَينَ الشّمسِ في قَتامِهِ قد كُحِلَتْ من نَقعِهِ بإثمِدِ

١ النهد : الفرس الحسن الجميل الجسم .

شَكا بهِ الرّمحُ إليهِ وحشَةً، فأسكَنَ الثّعلَبَ قَلبَ الأسَدِ[1]
حتى إذا ما كَبُرَتْ كُماتُه، والهامُ بَينَ رُكّعٍ وسُجّدِ
أفردتِ الرّماحُ كلَّ توْأم، وثَنّتِ الصّفاحُ كلَّ مُفرَدِ
يا ابنَ الذي سَنّ السّماحَ للوَرى فأصبَحتْ بهِ الكِرامُ تَقتَدي
الصّادقُ الوَعدِ كما جاءَ بهِ نَصُّ الكِتابِ والصّحيحِ المُسنَدِ
مَن أصبَحتْ أوصافُهُ من بَعدهِ في الأرضِ تُتلى بلِسانِ الحُسّدِ
ما ماتَ من وارى التّرابُ شخصَه وذِكرُهُ يَبقَى بَقاءَ الأبَدِ
حتى إذا خافَ الأنامُ بعدَهُ تعلُّقَ الملك بغير مُرشدِ
فوّضَ أمرَ الملك من محمّدٍ النّاصر الملك إلى محمّدِ
الأفضَلِ الملكِ الذي أحيا الوَرى فأشبَهَ الوالدَ فضلُ الوَلَدِ
العادِلِ الحكمِ الذي أكفُّهُ لَيستْ على غَيرِ النُّضارِ تَعتَدي
لو زِينَ عصرُ آلِ عبّادٍ بهِ، لم يَصِلِ الملكُ إلى المُعتَضِدِ
يا مَن حَباني من جَميلِ رأيِهِ ببِشرِهِ والبِرِّ والتّوَدّدِ
طَوّقتَني بالجودِ، إذ رأيتَني بالمَدحِ مثلَ الطّائرِ المُغَرِّدِ
أبعَدتُموني بالنّوالِ، فاغتَدى شوقي مقيمي، والحَياءُ مُقعِدي
لولا حَيائي من نَوالي برّكم، ما قَلّ نَحوَ رَبعِكم تَرَدّدي
فاعذِرْ مُحِبّاً طالَ عنكُم بعدُه، وودُّهُ ومَدحُهُ لم يَبعُدِ
فكمْ حقوقٍ لكُمُ سَوابِقٍ، ومنّةٍ سالفَةٍ لم تُجحَدِ
تُنشِطُ رَبَّ العَجزِ، إلاّ أنّها تُعجِزُ بالشّكرِ لِساني ويَدي

[1] الثعلب : أراد به سنان الرمح .

إلى آل أيوب يعزى الفخار

وقال فيه يشكر إنعامه لتحف حملها
إليه وأرسل القصيدة وقدم معها مملوكاً
تركياً وقماشاً من ماردين :

سوى حسنِ وجهِكَ لم يحلُ لي ، وغيرُكَ في القلبِ لم يَحلُلِ
فكيفَ سلوّي ولي طينـةٌ على غيرِ حبّكَ لم تُجبَلِ
أتزعُمُ أنّي أُطيعُ الوُشاةَ ، وأصغي إلى عَذَلِ العُذّلِ
لقد نصَلَ الدّهرُ صبغَ الشّبابِ ، وصبغُ المَحبّةِ لم يَنصُلِ
عجبتُ لقدّكَ مع لينـهِ يُرينا اعتدالاً ، ولم يَعدِلِ
يَلينُ ، وفي فتكهِ قَسوَةٌ ، وذلكَ شأنُ القَنا الذُّبَّلِ
وعيناكَ قد فوّقتْ أسهماً ، فمَنْ دَلّهنّ على مَقتَلي
وخدُّكَ مُوقَدَةٌ نارُهُ ، وقلبي بجُذوَتِها يَصطَلي
أيا ماطِلاً لوُعودِ الوصالِ ، ووَعـدُ تَجافيهِ لم يَمطُلِ
بَخِلْتَ ، وقد حُزتَ مُلكَ الجمال ، ومَن مَلَكَ المُلكَ لم يَبخَلِ
فهلّا تعلّمتَ فضلَ السّماحِ من راحةِ الملكِ الأفضلِ
مَليكٌ ، إذا هطَلَتْ كفُّهُ ، تَصاغرَ قدرُ الحَيا المُسبِلِ
يشيدُ العلى باليراعِ القَصيرِ ، ويَفخَرُ بالطّرَفِ الأطولِ
تلاقيهِ في الحربِ صعبَ المِراسِ وفي السّلمِ ذا الخُلُقِ الأسهَلِ

أخفُّ إلى الحرْبِ من ذابِلٍ ، وأثقلُ في الحِلمِ من يَذبُلِ[1]
يُضيءُ لنا في ظلامِ الخطوب ويُشرقُ في حِندِسِ القَسطَلِ
فسَيلُ عَطاياهُ للمُجتَدي ، ونورُ مُحيّاهُ للمُجتَلي
يُرَمّلُ بالدّمِ شِلوَ الكَميّ ، ويَحنو على البائسِ المُرمِلِ
مَناقبُ مَعروفُها تالِدٌ ، مُحَمّدُ أورثَها من علي
إلى آلِ أيّوبَ يُعزَى الفَخارُ، في كلّ ماضٍ ومُستَقبَلِ
ملوكٌ لهمْ شرَفٌ آخرٌ ، يُخَبّرُ عن شرَفٍ أوّلِ
يَنُمُّ بهمْ جُودُهمْ مثلَما تنمُّ الرّياحُ على المَندلِ
أيا ناصرَ الدّينِ ، يا ابنَ الذي بهِ أصبحَ المُلكُ في مَعقِلِ
حَباكَ المُؤيَّدُ تأييدَهُ ، كذا هِمّةُ اللّيثِ في الأشبُلِ
ولولا وجودُكَ كانَ السّماحُ تحتَ الصّفائحِ والجَندَلِ
فعلتَ منَ الجودِ ما لم تَقُلْ ، وغيرُكَ قالَ ولم يَفعَلِ
فقَلبي بإحسانِكمْ فارغٌ ، وكَفّي بإنعامِكُمْ مُمتَلي
سمَحتَ ابتداءً ، ولم أمتَدحْ، وأنعَمتَ عَفواً ، ولم أسألِ
ووالَيتَ بِرّكَ حتى رَحلتُ حَياءً ، ولولاهُ لم أرحَلِ
ولو شِئتُ نَهضي إلى قَصدِكم، لخَفّفتُ عن ظَهريَ المُثقَلِ
فأهملتُ واجبَ سَعيي إليك، وما كنتُ عندكَ بالمُهمَلِ
وكَفّرتُ عن زَلّةِ الانقِطاعِ بأحسَنِ من كانَ في مَنزِلي

[1] الذابل : الرمح . يذبل : جبل .

فأرسَلتُهُ راجياً أنّــهُ يُمَحّصُ عن زلّةِ المرسِلِ[1]
فإنْ لاحَظتَهُ عيونُ الرّضَى لكَ الفَضلُ في ذاكَ والفَخرُ لي
وإن لم يكنْ غايةً في الجَمال ، وبَدرُ مَعانيهِ لم يكمَلِ
فإنّ لهُ غايَةً في الذّكاء ولُطفَ البَديهَةِ والمِقوَلِ
وبِكرٍ خدَمتُ بها عاجِلاً ، وسيَفُ القَريحَةِ لم يُصقَلِ
أرومُ إقامَةَ عذري بها ، وأُثني على فَضلِكَ الأكمَلِ
ومثلُكَ مَن قَبِلَ الاعتذارَ ، وصدّقَ قول المحبّ الوَلي
فَوا ضُعفَ حَظّي وفوتَ المُنى ، إذا كانَ عذريَ لم يُقبَلِ

حامل الأثقال والأهوال

وقال يشكر إنعامه ويذكر رماية البندق في مروج فامية من نواحي حماة ويهنيه بعيد الفطر في سنة أربعين وسبعمائة :

قم بي فقد ساعدَنا صرفُ القَدَرْ ، وجاءَ طيبُ عَيشِنا على قَدَرْ
فكَم علا قدرُ امرىءٍ ، وما قدَرْ، فارضَع بنا دَرَّ الهَنا إن تَلقَ دَرّ
فالشّهمُ مَن حازَ السّرورَ إن قَدرْ

---

[1] محص عن زلته : أنقصها .

وقد صَفا الزّمانُ والأمـانُ ، وأسعَدَ المَكانُ والإمكانُ
وأنجَدَ الإخوانُ والأعوانُ ، وقد وفَتْ بعَهدِها الأزمانُ
والدّهرُ تابَ من خَطاهُ واعتَذَرْ

يا سَعدُ ، فاترُكْ ذكرَ بانِ لَعلَعِ وعيشَةً ولّتْ بوادي الأجرَعِ
وإن تكنْ تَسمعُ قَولي وتَعي ، فاجلُ صَدا قَلبي ، وأطرِبْ مسمعي
برَشقَةِ الأوتارِ لا جسَّ الوَتَرْ

ودَعْ طوالاً عُرفتْ بوَسمِها ، وأربُعاً لم يَبقَ غيرُ رَسمِها
واجعَلْ سرورَ النّفسِ أسنى قسمها ، وادخلْ بنا في بحثِ إنّ واسمِها
وخلّني من ذكرِ كانَ والخبَرْ

أما ترَى الأطيارَ في تِشرينِ ، مُقبِلَـةً بادِيَةَ الحَنينِ
فريقُها نابَ عنِ الأنينِ ، إذا رنَتْ نحوَ المِياهِ الجُونِ[1]
يأمرُها الشّوقُ ويَنهاها الحَذَرْ

هذي الكَراكي حائماتٌ في الضُّحى مَنظومَةً أو دائراتٌ كالرّحَى
إذا رأتْ في القَيضِ ماءً طَفَحا تَفرّقُ في حالِ الوُرودِ مَرَحا
وما دَرَتْ أنّ المَنايا في الصّدَرْ

يا حُسنَها قادمَةً في وقتِها ، تُغري الرّماةَ بجَميلِ نَعتِها
إذا استَوتْ طائرَةً في سَمتِها ، تَرشُقُها ببُندُقٍ من تَحتِها
لو أنّهُ من فوقِها قيلَ مطَرْ

---

[1] لعله أراد بريقها : قوتها .

فلَو تَرانا بينَ إخوانِ الصَّفا ، حولَ قديمٍ من قَذاهُ قد صَفَا
مُشتَهرٍ بالصّدقِ مَخبورِ الوَفَا ، لم يُغضِ في الحَقِّ لخِلٍّ إن هَفَا
ولم يَقُلْ يوماً هَبُوا لي ما شَجَرْ

من كلِّ رامٍ شَبِقِ اليَدَيْنِ ، بمُدمَجٍ مثلِ الهِلالِ زَيْنِ
جعدِ البَلاغِ نافرِ الكَعبَيْنِ ، لو كفَّ حتى مُلتَقَى القُرصَيْنِ
ما انتقضَ الشّاخُ ،ولا العودُ انكسر[1]

فابرُزْ بنا نحوَ مَرامي فاميَه ، بَينَ مُروجٍ ومياهٍ طاميَه
تلكَ المَرامي لم تزَلْ مَراميَه ، فاسمُ بنا نحوَ رُباها السّاميَه
وخلّني من بَلدَةٍ فيها زَوَرْ

وانظُرْ إلى الأطيارِ في مَطارِها ، واعتَبِرِ الجَفّةَ كاعتبارِها[2]
إذ لا تَطيرُ مع سوى أنظارِها ، فلا تضَعْ نَفسَكَ عن مِقدارِها
مع غيرِ ذي الجِنسِ وكن على حذَرْ

أو مِلْ إلى العُمقِ بعزمٍ ثاقبِ ، فإنّها من أحسَنِ المَناقبِ
فاعجَبْ لما فيه من الغَرائبِ ، من المَراعي وجَليلٍ واجبِ
أصنافُهُ مَعدودَةٌ لا تُحتَضَرْ

وقائلٍ صِفها برَمزٍ واضِحِ ، فإنّها من أكبَرِ المَصالِحِ

....

١ الشبق : المشتدة شهوته . السثم . قوله البلاغ والقرصين والشاخ : هكذا في الأصل ولم ندرك ما أراد بها .
٢ الجفة : العدد الكثير .

والباقياتِ بَعدَكَ الصّوالِحِ ، قلتُ: تمنّعْ، واعصِ كلّ كاشحِ
فهَذهِ عِدّتُها إذْ تُعتَبَرْ

وإن تُرِد إيضاحَها للسّائِلِ ، بغَيرِ رمزٍ للضّميرِ شاغِلِ
وحصرَ أسماها بعَدٍّ كاملِ ، فهيَ كشَطرِ عُدّةِ المَنازِلِ
أو ما عدا المحذورَ من عدّ السُّوَرْ

كَرْكي وعَنّازٌ وأرنوقٌ وتَمّ ، والوَزُّ واللّغلَغُ والكَيُّ الهَرم
ومَرزَمٌ وشَبطَرٌ ، إذا سَلِمْ ، وحَبرَجٌ ، وبالأنيسَةِ انتَظَم
صوغٌ ، ونَسرٌ، وعُقابٌ قد كَسر[1]

فستّةٌ مَحمَلُهنّ الأرجُلُ ، ثمّ ثَمانٍ بالجَناحِ تُحمَلُ
ولا اعتدادٌ بسِوى ما يَحصَلُ ، وصحّةُ الأعضاءِ شَرْطٌ يَشمُلُ
كيلا يُرى في الطّيرانِ ذو قَصَر[2]

شرعٌ صَحيحٌ للإمامِ النّاصرِ ، قيسَ على الشّرعِ الشريفِ الطّاهرِ
حرّرَهُ كلُّ فَقيهٍ ماهرِ ، فجاءَ كالبَيتِ الشّريفِ العامرِ
أساسُهُ الصّدقُ ، وركناهُ النّظرْ

يَحرِمُ فيهِ الرّمْيَ بالسّهامِ ، والشّربَ في البَرزَةِ للمُدامِ
وبيعَ شيءٍ من صُروعِ الرّامي، والسّبقَ للصّحبِ إلى المَقامِ
والشّرْطَ والترخيصَ، فهوَ والهَدَر[3]

---

١ كل ما مر في هذا البيت أسماء أنواع من الطير .
٢ القصر : الكسل .
٣ الصروع ، الواحد صرع : قوة الطاق من الحبل . الهدر : الساقط الباطل .

وقائلٍ فيــهِ لعَلّ تَسلَمُ ، ومثلُها في غَيرِ شيءٍ يلزَمُ
أو ذا على الوَجهِ الصّحيحِ يُفهَمُ ، ثَلاثةٌ من الهِتــارِ تَعصِمُ[1]
سفنُ النّجاةِ لامرىءٍ خافَ الضّرَرْ

فانظرْ إلى زَهرِ الرّياضِ المُقبِلِ ، إذ جادَهُ دَمعُ السّحابِ المُسبلِ
يَضوعُ من شَذاهُ عَرفُ المَندَلِ ، كأنّهُ ذكرُ المَليكِ الأفضَلِ
إذا طَواهُ الوَفدُ في الأرض انتَشَرْ

وارثُ علمِ المليكِ المُؤيَّــدِ ، إرثاً صَحيحاً سيّداً عن سيّدِ
أطلَقَ جَريَ نُطقيَ المُقيَّدِ ، فإنْ أفُهْ فيهِ بنَظمٍ جيّدِ
كنتُ كمُهدٍ تَمرَهُ إلى هَجَرْ

نجلُ بني أيّوبَ أعلام الهُدى ، والأنجمِ الزُّهرِ ، إذا اللّيلُ هَدا
والسّابقينَ بالنَّدى قَبلَ النِّدا ، كلُّ فتًى ساسَ البلادَ ، فاغتدى
في الحكمِ (لُقمانَ) وفي العدل (عمرْ)

المغمدو بيضِ الظُّبَى في الهامِ ، والمُشبِعو وحشِ الفَلا والهام[2]
ومرسلو غيثِ السّماحِ الهامي ، ففَضلُهمْ بالإرثِ والإلهامِ
لا كامرىءٍ ضَنّ وبالأصلِ افتَخرْ

يا ابنَ الّذي قد كانَ في العِلمِ علَمْ ، واستَخدمَ السّيفَ، جديراً، والقلَمْ

---

١ الهتار : المسابة بالقبيح من القول والباطل .
٢ الهام : نوع من البوم ، الواحدة هامة .

لغيرِ بيتِ المالِ يوماً ما ظَلَمْ ، مَناقباً مثلَ النّجوم في الظُّلَم
أضحتْ حُجولاً للزّمانِ ، وغُرَرْ

أكرَمَ مثوايَ ، وأعلى ذِكْري ، حتى نَسيتُ عَطَني ووَكري
وإن أجلَتُ في عُلاهُ فِكري ، ما لي جَزاءٌ غَيرَ طيبِ الشّكرِ
وقد جُزي خَيرَ الجزاءِ من شَكَرْ

يا حاملَ الأثقالِ والأهوالِ ، ومُتلفَ الأعداءِ والأموالِ
وصادِقَ الوعودِ والأقوالِ ، أبدَيتَ في شَدائدِ الأحوالِ
صَبراً فكانَ الصّبرُ عُقباهُ الظّفَرْ

أنلتَ باغي الجودِ فوقَ ما بغَى ، وعجّلتْ كفّاك حَتفَ مَن بغَى
فقد سمَوتَ في النّدى وفي الوَغى ، حتى إذا ماردُ مُلكٍ نزَغا
أخَذتَهُ أخذَ عَزيزٍ مُقتَدِرْ

إنّي وإن شِدتُ لكُم بينَ المَلا طيبَ ثَناءٍ للفَضاءِ قد مَلا
لم أبغِ بالمَدحِ سوى الودّ ولا إن مِتُّ يوماً بسِوى صدقِ الوَلا
وحسنِ نَظمٍ فيكَ إن غبتَ حضَرْ

فاسعَدْ بعيدِ فطرِكَ السّعيدِ ، مُمتّعاً بعَيشِكَ الرّغيدِ
في الصّومِ والإفطارِ والتّعييدِ ، للنّاسِ في العامِ انتظارُ عيدِ
وأنتَ عيدٌ دائمٌ لا يُنتَظَرْ

سليل الملوك الكماة

وقال يهنيه بعيد النحر من سنة
أربعين وسبعمائة موشحاً :

زَمــانُ الرّبيــعِ شَبابُ الزّمــانِ
وحُسنُ الوُجودِ وجُودُ الحِسانِ
وأمنُ البَليــغِ بلوغُ الأمــاني
فَبادِرْ لفَضِّ خِتــامِ الدّنانِ
وزَوّجْ بماءِ الحَيا السّلسلِ عَروساً مِنَ الخَمرِ

أدِرْهــا مُعتَّقَةً خَنْدَرِيساً[1]
تُميتُ العُقــولَ وتُحيي النّفُوسَا
إذا ما سَبَتْ بسَنــاها الكُؤوسَا
تُشاهدُ كُلاًّ مِنَ الصّحبِ مُوسَى
يُشيرُ إلى طُورِها المُعتَلي، ويُصعَقُ بالسُّكرِ

وأغيَــدُ طافَ بكأسٍ وحَيّا
فأطلَعَ في اللّيلِ شَمسَ الضُّحَيّا
فَعادَ لَنــا مَيّتُ اللّهوِ حيّا
بشَمسِ الحُمَيّا ، وبَــدرِ المُحيّا
لِمَا نَجتَني ، وما نَجتلي مِنَ الشّمسِ والبَدرِ

١ الخندريس : الخمر القديمة .

فباكِرْ صَبُوحَكَ قَبلَ الفِطامِ
وحيِّ النَّدامَى بكأسِ المُدامِ
فقد أقبَلَ الصُّبحُ مُرخي اللِّثامِ
وفَلَّ الصَّباحُ جُيُوشَ الظَّلامِ
وألقَى الشُّعاعُ على الجَدوَلِ مِلاءً مِنَ التِّبرِ

وقد أضحَكَ الرَّوْضَ دَمعُ السَّحابِ
غَداةَ غَدا جَونُهُ في انتحابِ
فضَرَّجَ بالزَّهرِ خَدَّ الرَّوابي
ولو لم يَبِتْ قَطْرُه في انسِكابِ
لكانَتْ يدا المَلِكِ الأفضلِ تَنوبُ عن القَطْرِ

مليكٌ هوَ اللَّيثُ يَحمي حِماهْ
إذا ما أتاه نَزيلٌ حَماهْ
سَليلُ المُلوكِ الكُماةِ الحُماهْ
ملوكٌ بهم ظلَّ وادي حَماهْ
يَطولُ فَخاراً على الأعزَلِ، ويَسمُو على النَّسرِ

أيا مَلِكاً جُودُ كَفَّيهِ كَوْثَرْ
لرَبِّكَ صَلِّ بذا العيدِ وانحَرْ
وكُنْ مُوقِناً أنَّ شانيكَ أبتَرْ
قُلِ: الحَمدُ للهِ، واللهُ أكبَرْ
فشانيك في الدَّرْكِ الأسفَلِ، وضِدُّكَ للنَّحرِ

سعد دائم

وقال أيضاً وكتبها إليه من ماردين :

لا زالَ سعدُكَ دائِماً ونُحورُ ضدّكَ داميَه
وعدوُّ مُلكِكَ هائِماً ، وسَحابُ جودِكَ هاميَه
وحسودُ فضلِكَ سائماً ، وسعودُ جَدّكَ ساميَه
والنّصرُ حَولَكَ حائِماً ، وصدورُ ضدّكَ حاميَه
مولاي ! إن أكُ واهياً ، ونجومُ سَعدي هاويَه
ما زِلتُ بَعدَكَ شائِماً تلكَ البروقُ السّاميَه
أغدو لمَجدِكَ رائِماً ، ويَدُ النّدى لي راميَه

باني العلى

وقال يهنىء ابن عمه علاء الدين بن
تقي الدين بدار عمرها وكتب عليها :

بنَيتَ العلُى قبلَ هذا البناءِ ، لذلكَ أضحَى محَلَّ الهَناءِ
رَحيبَ الفِناءِ ، رفيعَ البناءِ ، مَشيدَ الثّناءِ ، عزيزَ السّناءِ
فأصبَحَ ، وهوَ مَقيلُ الضّيوفِ ، عَرينَ الأسودِ ، كِناسَ الظّباءِ
فلا زِلتَ تلبَسُ فيهِ الغِنى ، وتَسمَعُ فيهِ لَذيذَ الغِناءِ

يا صاحب الجد السعيد

وقال مما كان هنأ به الملك السعيد
محمد بن السلطان الملك المنصور في
بغداد وقد كان سمع بسفره إلى الصعيد
وصده عن ذلك :

مثـلُ التيَـمّمِ للصّعيـدِ   مثلُ التيَـمّمِ للصّعيدِ[1]
يُختارُ مع عَدَمِ المياهِ ،   وباطِلٌ عندَ الوُجودِ
ما لي وقصدي للصّعيدِ ،   وسعدُ جَدّي في صُعودِ
والعيشُ طَلقٌ بالعراقِ ،   وماؤهُ عَذبُ الوُرودِ
والسّفنُ في تيّارِ دِجلَة   نُظّمتْ نَظمَ العُقودِ
فإذا رأيتَ بهِ شُعـا   عَ البدرِ يضربُ كالعمودِ
فاعجَبْ من الصّرْحِ البسيـ   ـطِ يشقُّ بالنّورِ المَديدِ
وإذا رأيتَ نُجومَهـا   كقَلائدِ الدُّرّ النّضيدِ
خِلتَ السّماءَ تمَنطَقَتْ   بمَناقِبِ المَلِكِ السّعيدِ
أسمَى المُلوكِ مُحمّدُ الـ   ـمَجبولُ من كرَمٍ وجودِ
ملكٌ طويلُ يدِ السّماحِ   قَصيرُ أعمارِ الوُعودِ
يا صاحبَ الجَدّ السّعيدِ ،   وصاحبَ السّعدِ الجَديدِ

---

1 تيمم الأمر : توخاه وتعمده . وتيمم للصلاة : مسح يديه ووجهه بالتراب . الصعيد : موضع .
والصعيد : التراب .

أسعِدْ بنَيلِكَ للعُلى ، وتَهنَّ بالعيدِ السّعيدِ
وانحَرْ عِداكَ به وصَلْ ، وصِلْ برِفدكَ للوُفودِ
واسلَم على كَيدِ العِدى ، جَذلانَ في عَيشٍ رَغيدِ

هنيت بالولد

وقال يهني أحد الأعيان بمولود :

هُنّيتَ بالوَلدِ السّعيدِ ، فقد أتَى وَفقَ المُرادِ وأنتَ وَفقُ مُرادِه
فاللهُ يُبقيهِ ويُبقيكُمْ لَهُ ، حتى ترَى الأولادَ من أولادِه

بشارة

وقال يهني أحد الأعيان بولاية :

يُبَشّرُني قومٌ برُتبَتِكَ التي تمَنّيتُ فيها السُّؤلَ حتى لقيتَهُ
فبَشّرتُ نَفسي بالسّرورِ ولم أزَلْ أهَنّي بك القلبَ الذي أنتَ قوتُه
وقلتُ لهم أعلى الإلهُ محَلَّهُ ، وهذا دُعاءٌ لو سكَتُّ كُفيتُه

لا عذر للسحب

وقال يشكر إحسان الصاحب المعظم
شمس الدين بن عبشون المتوفى بسنجار
وقد تلقاه بإقامة وهدايا أخجلته فرحل
عنه عجلا وكتب إليه :

ما عِشتُ لا زاركم إلاّ ثَناي ، وإن ... أمسَى يُفاخرُ سَمعي فيكمُ بَصري
فألزِمُ النَّفسَ نَشريِ نشرَ ذكرِكُمُ ، ... إنّي حضَرتُ ، وأطوي عنكمُ خبري
لأنّ إفراطَ هذا البرّ يُبعِدُني ... عَنكم، وقد كنتُ منهُ دائمَ الحَذرِ
مع أنّ عُذرَكمُ في ذاكَ مُتَّضِحٌ ، ... لا عُذرَ للسُّحبِ إن لم تَهمِ بالمَطَرِ
فإن عَتَبتم على بُعدِ المَزارِ أقُلْ ، ... نظامَ مَن قالَ قَبلي قولَ مُعتذِرِ :
لو اختَصرتم من الإحسانِ زُرتُكُمُ ، ... والعَذْبُ يُهجَرُ للإفراطِ في الخصَرِ

سباق إلى المكرمات

وقال يشكر أحد الأعيان على مثل ذلك :

لا زِلتَ سبّاقاً إلى المَكرُمات ، ... عاشَ بكَ المعروفُ والمكرُمات
أنتَ امرؤٌ مَعروفُهُ ثابتٌ ، ... وليسَ للأموالِ منهُ ثَبات
ما جمَعَتْ شملَ العُلى كفُّه ، ... إلاّ تَداعى مالُه بالشَّتات

الندى الشامل

وقال في مثله :

ما زالَ ظِلُ نَداكَ شامِلْ ، يا مَن يُموّلُ كلَّ آمِلْ
يا مَن غَدا كَهفَ الأيا مَى واليَتامَى والأرامِلْ
حُزتَ العُلى والجودَ يا رَبَّ الفَضائلِ والفَواضِلْ
وكَمَلتَ كلَّ فضيلَةٍ ، يا مالِكاً في الفَضلِ كامِلْ

شكر الرياض

وقال في مثله :

أولَيتَني نِعَماً تَتابَعَ مَنُّها ، هيَ فيكَ أصفادي وقيدُ ثَنائي
فلأشكُرَنّكَ ما استَطَعتُ تَلَفُّظاً، شُكرَ الرّياضِ لصَيّبِ الأنواءِ

كثّر الله مثلك

وقال يشكر إنعام الصاحب المعظم فخر الدين إبراهيم بن عبد الله المصري صاحب الديوان بحلب عن إقامات حملها إليه :

كَثّرَ اللهُ مثلَ مَجدِكَ في الأر   ضِ ، لتَفشو صَنائعُ الإحسانِ
وتَعُمّ الأنامَ منكَ هِباتٌ ،   تُوجبُ الصّفحَ عن ذنوبِ الزّمانِ
فلقَدَ عَمَّنا نَداكَ بنُعمَى ،   قَصُرَتْ دونَها يَدي ولِساني
وأيادٍ لو ادّعَتها الغَوادي ،   كَذّبتها شَواهدُ الامتحانِ
شاهدَ النّاسُ من سَماحك معنًى ،   غيرَ أنّي شاهدتُ منكَ مَعاني
يا جَواداً يَلقَى وفودَ نَداه   بجَدَى مُنعِمٍ ، وأعذارِ جاني
جُمعتْ في بَديعِ أوصافِكَ الأضـ   ـدادُ ، يا جامعَ الصّفاتِ الحِسانِ
تبذُلُ المالَ ثمّ تبخَلُ بالعِرْ   ضِ ، وتَسطو إلاّ على ذي لِسانِ
فلكَ اللهُ من كَريمٍ ، بَخيلٍ ،   مانحٍ ، مانعٍ ، شُجاعٍ ، جَبانِ

شرّف الله

وقال يشكر أحد الأعيان
عن زيارته إياه :

شَرّفَ اللهُ قَدرَ مَن شرّفَ اليومَ حَضرَتي
ورعَى اللهُ مَن رعَى حقّ عَهدي وصُحبتي
زارَ من غَيرِ مَوعِدٍ حينَ أخّرْتُ زَوْرَتي
فتَمَنّيتُ لو أقا مَ ، وقامتْ قيامتي

مولي الجميل

أنتَ أولَيتني الجَميلَ ، ولولا ضُعفُ حظّي لكنتُ بالسعي أولى
لم تَـزَلْ تَسبِقُ الأنـامَ بحُسنا كَ ، وتُولي العِبادَ لُطفاً وطَوْلا
قد تصَدّقتَ بالزّيارَةِ للعَبـ دِ ، فصَدّقتَ فيكَ ظَنّـاً وقَولا
فإذا زُرتَ زرتَ عبداً ورِقّـاً ، وإذا ذُدتَ ذُدتَ ذُخراً ومَولى

أعدت لي الروح

وقال يشكر رئيساً عاده في مرضه

أيا مَن حكى فضلَ عيسَى المسيحِ ، غداةَ حكَتْ عازراً مُهجَتي
أعدتَ لي الرّوحَ ، إذ زُرتَني ، وقَد يئِسَ النّاسُ من رَجعَتي

الصاحب المصافي

وقال يشكر صاحباً دعاه إلى داره :

وصاحبٍ لي مُصافي ، من غَيرِ أبناءِ جِنسي
غرَستُ في الصّدرِ منهُ وُدّاً ، فأثمرَ غَرسي
وبحثُ يوماً فِنـاهُ ، لكَيْ أُجدّدَ أنسي
فلَم ألِـجْ غيرَ داري ، ولم أزُرْ غيرَ نَفسي

الصديق الوفي

وقال يشكر صاحباً له :

لي صاحبٌ إن خانَني دَهري وَفى ، وإذا تكَدّرَتِ المَناهلُ لي صَفَا
تَبدو محبّتُه ويظهرُ وُدُّه نحوي إذا ما الودُّ بالملقِ اختَفَى
أجفو ، فيَمنحُني المودّةَ طالباً قُربي ، وأمنَحُه الودادَ إذا جَفَا
كلٌّ يقولُ : لصاحبي عندي يدٌ ، إذ كانَ لي دونَ الأنامِ قد اصطَفَى

فلك الحيا

وقال يشكر ويشتاق :

وُقيتَ حادِثةَ اللّيالي ، وحُرِستَ من عينِ الكَمالِ
يا مالِكاً بِصَنيعِهِ حازَ المَعاني والمَعالي
قَسَماً بأنعُمِكَ الجِسا مِ على المُؤمِّلِ والمُوالي
إنّي لَمُشتاقٌ إلى تلكَ الشّمائلِ والجَمالِ
ولقد ذكرتُ القربَ منكَ وطيبَ أيّامي الخَوالي
فطفِقتُ أصفُقُ راحيَّ ، وعندَ صَفقتِها مَقالي :
كيفَ السّبيلُ إلى سُعا دَ، ودونَها فَلَكُ الحَيا لي

الباب الثالث

في الطرديات وأنواع الصفات

أما ترى

قال يصف رماية البندق وأحوالها
ويذكر طير قدمته الذي صرعه أولا :

أمَا تَرى الأنواءَ والسّحائبا ، قد أصبحَتْ دموعُها سَواكِبا
فاكتَسَتِ الأرضُ بها جَلابِبا ، فأظهرَتْ أزهارَها عَجائبا
غَرائباً أضحَتْ لنا رَغائبَا

هذي الرّوابي بالكلا قد تُوّجَتْ ، ونَسمَةُ الخَريفِ قد تأرّجَتْ
وقد صفَتْ مياهُهُ ورَجّجَتْ ، والأرضُ بالأزهارِ قد تدبّجَتْ
وأصبَحَ الطّلُّ عليها ساكِبَا

فقُم ، فقد تَمّ لنا طيبُ الهَنا ، والدّهرُ قد مَنّ علينا بالمُنى
والعَيشُ قد رَقّتْ حَواشيهِ لَنا ، ومُسعدي شَرخُ الشّبابِ والغِنى[1]
هما اللّذانِ غَمرا لي جانِبَا

---

[1] الشرخ : أول الشباب وريعانه .

يا سَعدُ باكر، فاللّبيبُ مَنْ بَكَرْ، وابرزْ بنا ليسَ العِيانُ كالخبَرْ
فاغتَنِمِ الصّفوَ بنا قبلَ الكَدَرْ، فالدّهرُ من زلاّتِهِ قد اعتَذَرْ
وجاءَنا مِنَ الذّنوبِ تائِبَا

لا تَسكُبِ الدّمعَ على عيشٍ مضَى، ولا تَقُلْ كانَ زمانٌ وانقَضَى
واغتَنِمِ الغَفلَةَ من صَرفِ القَضا، فالمَوتُ كالسّيفِ متى ما يُنتضَى
تُضحي لهُ أعمارُنا ضَرائِبَا

فدَعْ حديثَ الزّمَنِ القَديمِ، والذّكرَ للأطلالِ والرّسومِ
فإنْ تكنْ عَوني على الهُمومِ حَدّثْ عن القَديمِ والنّديمِ
واذكرْ لدَيّ رامياً أو سارِيَا

ما دامَتِ الأيّامُ في نَصاحتي، والعِزُّ مُلقٍ رَحلَهُ بساحتي
لأبْذُلَنّ ما حَوتهُ راحَتي، أُتلفَ ما في راحتي في راحتي
وأقصِدُ اللّذّاتِ والمَلاعِبَا

فقُم بنا مبتَكِراً، يا صاحبي، نقضي بأيّامِ الصّبَى مآرِبي
ولا تكُنْ تَفكُرُ في العَواقِبِ، وخَلّ خلاّني، ودَعْ أقارِبي
واقصِدْ بنا الأحلافَ والقَرائِبَا

واعتَبِرِ الجنّةَ في الطّريقِ، وانتَخِبِ الرّفيقَ للمَضيقِ
ولا تصاحبْ غيرَ ذي التّحقيقِ، فالتّمُّ لا يَطيرُ بَينَ الشّيقِ
والكَيُّ لا يرضَى الوريدَ صاحبَا[1]

---

[1] التم ، والشيق ، والكي ، والوريد : من أنواع الطيور .

أما ترَى الطيّرَ الحَليلَ قد أتى مُستَبشراً يَمرحُ في فَصلِ الشّتا
فقُمْ بِنا إنّ الصّبَى عَونُ الفَتى ، ولا تَقُلْ كيفَ ، وأنّى ، ومتى
إنّ الأماني لم تزَلْ كَواذِبَا

بمُدمَجاتٍ زانَها إدْماجُها ، مُعَوَّجاتٍ ، حُسنُها اعوجاجُها
أهِلّةٍ أكفُّهـا أبراجُهـا ، حَوامِلٍ ، إذا دَنَا نِتاجُها
تَقذِفُ من أكبادِها كَواكِبَا

ما خيّبَتْ يوماً لَنا مَساعيا ، لكادَ حُسناً أن تُجيبَ الدّاعيَا
تُغني بها الحَليلَ والمَراعيَا ، إنْ كَمدنَتْ ظَنَنتَها أفاعيَا[1]
أو أوترَتْ حَسبتَها عَقارِبَا

ومُدمَجٍ كالنّونِ في تَعريقِه ، أشهَى إلى العاشِقِ من مَعشوقِه
كالصّارِمِ المَصقولِ في بَريقِه ، لو أنّهُ يُسكِنُ من خُفوقِه
أضحَى على عَينِ الزّمانِ حاجِبَا

مستأنفٍ قد تَمّ في أقسامِه ، لكنّ نَقصَ الطّيرِ في تَمامِه
قد نَبَتَ العودُ على لِحامِه ، مَن خَطِفَ الخَطَفةَ في مَقامِه
أتبَعَـهُ منهُ شِهـاباً ثاقِبَا

مُرَدَّدٍ يُرضيكَ في تَرديدِهِ ، شُهرَتُهُ تُغنيكَ عن تَحديدِهِ

---

١ قوله : كمدنت ، هكذا في الأصل ولم نجدها .

لا فرقَ بينَ شاخِه وعُودِه ، يُحَقِّقُ البُندُقَ في صُعودِه
ويَضمَنُ المَصروعَ والصَّوائبَا[1]

أصلَحَهُ صالحٌ عندَ جَسِّهِ ، وزانَهُ واختارَهُ لنَفسِه
مَنظَرُه يُغني الفتى عن لمسِه ، فهوَ لهُ بعدَ حلولِ رمسِه
يُهدي الثَّنا ويُظهِرُ المَناقبَا

وبندُقٍ معتَدِلِ المِقدارِ ، كأنَّما قُسِّمَ بالعِيارِ
قد حَملَ الحِقدَ على الأطيارِ ، فهوَ إذا انقَضَّ من الأوتارِ
يرَى فَنَاءَ الطَّيرِ فَرضاً واجبَا

يريكَ في وقتِ الصَّباحِ لَهبَا ، كأنَّهُ بَرقٌ أضاءَ وخَبَا
يَقطَعُ مَتنَ الرِّيحِ من غيرِ شَبَا ، يَقظانَ لا يَصبو إلى خَفقِ الصَّبَا[2]
ولا يَلينُ للجَنوبِ جانبَا

وخَيشَةٍ لطَفتُ في مِقدارِها تَغنى بها الأطيارُ عن أوكارِها
لا يَبرَحُ الرِّيشُ على نُوَّارِها ، والدَّمُ مَسفُوكاً على أقطارِها
إذْ كانَ في اللَّونِ لها مُناسِبَا

كأنَّها من كثْرَةِ الصُّرُوعِ ، قد خُضِبَتْ بخالصِ النَّجيعِ

---

١ الشاخ : لعله من آلات الطرب .
٢ الشبا ، الواحدة شباة : من السيف قدر ما يقطع به .

لم تَخلُ في البروزِ والرّجوعِ   من صارعٍ يُحمَلُ ، أو مَصرُوعِ

تَحمِلُ آتٍ أو تُقِلُّ ذاهِبَا[1]

وحُلّةٍ جِفتيّةٍ كالعَنـدَمِ ،   لطيفَةِ التّجليسِ والتّهَندُمِ

مُؤخرُها في الحُسنِ مثلُ المُقدَمِ ،   يظنُّها الطّيرُ لهُ نَطعَ الدّمِ

ولم يكنْ فيما يَظنُّ كاذِبَا[2]

فلَو شهِدتَ طَيرَنا فيمَن رَمَى ،   وجَيشَهُ من جَمعِنا قد هُزِمَا

وبندقَ الصّحبِ إليهِ قد سَمَا ،   عجبتَ من راقٍ إلى جَوّ السّمَا

أرسلَتِ الأرضُ علَيهِ حاصِبَا

من كلّ شَهمٍ كالهِزَبْرِ الباسِلِ ،   وكلّ قَيلٍ قائلٍ وفاعِلِ

ذخرِ الزّميلِ عِدّةِ المُقاوِلِ ،   وبَينَهم حِملٌ بلا تَحامُلِ

من بَعدِ ما اصطَفَوا له مَراتِبَا[3]

حولَ قديمٍ كالحُسامِ الماضِي   خالٍ من الأغراضِ والأعراضِ

يَطُبُّ داءَ الكَلِمِ المِراضِ ،   يرضَى بأنّ الجَمعَ عَنها راضِ

لا يَرقُبُ الأسباقَ والمَواهِبَا[4]

---

١ قوله : آت ، هكذا في الأصل والصواب : آتياً .

٢ الجفتية : ضرب من الحلل الحمر .

٣ القيل : الرئيس . الزميل : الرديف . المقاول ، الواحد مقول : الظريف اللسان .

٤ الاسباق ، الواحد سبق : ما يتراهن عليه المتسابقون .

في مَوقِفٍ بهِ الصُّروعُ تُنشَلُ ، تُلقَى المَراعي ، والحَليل تَحمِلُ
مَعدودَةٌ أصنافُهُ لا تُجهَلُ ، إذْ هيَ في سَبعٍ وسَبعٍ تَكمُلُ
يَعرِفُها من كانَ فيها راغِبًا[1]

وصاحبٍ أعُدُّهُ لي مالِكا ، كَلّفَني في النّظمِ عَدَّ ذلِكا
وقال: لَخّصْ ذاكَ في نِظامِكا، قلتُ : علُوُّ صُنعِكَ احتِشامُكَا
إنْ كنتَ لي حَلَّ الرّموزِ دائِبًا

لم أنسَ في ثوبٍ شليلٍ بَرزَتي، بينَ ثِقافٍ مِن رُماةِ الحِلّةِ
وقد أتاني مُحرِقاً عن جَفّتي ، مزدَوِجٌ من العَنانينِ التي
بينَ الرّماةِ أصبَحتْ غَرائِبًا[2]

ثَبّتُّ للزّوجِ ، وقد أتاني مُصَعصَعاً يَمرَحُ في أمانِ
عاجَلتُهُ من قَبلِ أن يَراني صرَعتُ حدّاهُ ، وصِبتُ الثّاني
دَلّى البَراثيمَ ووَلّى هارِبًا[3]

فخَرَّ كالنّجمِ ، إذا النّجمُ هوى ، ما ضلَّ عن صاحبِه وما غوَى
وافاهُ ، وهوَ ناطقٌ عن الهَوى ، قد هُدَّ منهُ الحَيلُ من بعدِ القُوَى
وأصبَحَ الثّاني علَيهِ نادِبًا

١ قوله : تلقى المراعي والجليل تحمل ، هكذا في الأصل .
٢ الشليل : الدرع الصغيرة تحت الكبيرة ، أو الغلالة تلبس تحت الدرع . الجفة : كل خاو على شكل أنبوب القصب . وقوله : عنانين ، هكذا في الأصل .
٣ المصعصع : المتفرق . قوله : البراثيم ، هكذا في الأصل ، ولعلها فارسية .

فَيا لها من فُرصَةٍ لو تَمَّتِ ، كنتُ وهَبتُ للقَديمِ مُهجَتي
ولم يكن ذو قَدمَةٍ كقَدمَتي ، بل فاتَني الثّاني ، وكانتْ هِمّتي
تَرَى خلاءَ الجَوِّ منهُ واجِبا

قم نلتقط اللذة

وقال أيضاً ووصف صنعة القسي :

انهضْ فهذا النّجمُ في الغربِ سقَطْ ، والشّيبُ في فَودِ الظّلام قد وخطْ
والصّبحُ قد مَدّ إلى نحرِ الدّجَى يداً بها دُرُّ النّجوم تَلتَقِطْ
وألهَبَ الإصباحُ أذيالَ الدّجَى ، بشَمعَةٍ من الشّعاعِ لم تُقَطّ[1]
وضَجّتِ الأوراقُ في أوراقِها ، لمّا رأتْ سَيفَ الصّباحِ مُخترَطْ
وقامَ من فوقِ الجِدارِ هاتِفٌ مُتَوّجُ الهامَةِ ذو فَرعٍ قطَطْ[2]
يُخَبّر الرّاقدَ أنّ نَومَهُ عندَ انتباهِ جَدّهِ من الغَلَطْ
والبَدرُ قد صارَ هلالاً ناحِلاً ، في آخرِ الشّهرِ ، وبالصّبحِ اختلَطْ
كأنّهُ قَوسُ لُجَينٍ مُوتَر ، واللّيلُ زِنجيٌّ عليهِ قد ضَبَطْ
وفي يدَيهِ للثّريّا نَدَبٌ يَزيدُ فَرداً واحداً عن النّمَطْ[3]

---

١ لم تقط : لم يقطع رأسها .
٢ قطط : قصير .
٣ الندب : القوس السريعة السهم . النمط : الطريقة والمذهب والنوع .

فأيُّ عُذرٍ للرُّماةِ ، والدُّجَى قد عُدَّ في سِلكِ الرُّماةِ وانخرَطْ
أما تَرَى الغَيمَ الحَديدَ مُقبِلاً ، قد مَدَّ في الأُفقِ رِداهُ ، فانبَسَطْ
كأنَّ أيدي الزّنجِ في تَلفيقِهِ قد لبَّدَتْ قُطناً على ثوبٍ شَمَطْ[1]
يلمَعُ ضوءُ البرقِ في حافاتِهِ ، كأنَّ في الجَوِّ صِفاحاً تُختَرَطْ
وأظهرَ الخَريفُ من أزهارِهِ أضعافَ ما أخفَى الرَّبيعُ إذ شحَطْ[2]
ولانَ عِطفُ الرّيحِ في هُبوبِها ، والطَّلُّ من بعدِ الهَجيرِ قد سَقَطْ
والشَّمسُ في الميزانِ مَوزونٌ بها قِسطُ النَّهارِ بعدَما كانَ قَسَطْ[3]
وأرسلَتْ جِبالُ (دَرْبندَ) لنا رُسلاً صَبَا القَلبُ إليها وانبَسَطْ
من الكَراكي الخُزَرِيّاتِ التي تَقدَمُ ، والبعضُ ببعضٍ مُرتَبِطْ[4]
كأنّها ، إذ تابَعَتْ صفوفَها ، ركائِبٌ عَنها الرِّحالُ لم تُحَطّ
إذا قَفَاها سَمعُ ذي صَبابَةٍ ، مثلي ، تَقاضاهُ الغَرامُ ونَشَطْ[5]
فقُم بنا نَرفُلُ في ثوبِ الصِّبَى ، إنَّ الرِّضَى بتَركِهِ عينُ السَّخَطْ
والتَقِطِ اللّذّةَ حيثُ أمكَنَتْ، فإنّما اللّذّاتُ في الدّهرِ لُقَطْ
إنَّ الشّبابَ زائرٌ مُوَدِّعٌ ، لا يُستَطاعُ ردُّهُ ، إذا فرَطْ
أما ترَى الكَركِيَّ في الجوِّ ، وقد نَغَّمَ في أُفقِ السَّماءِ ولَغَطْ

---

١ شمط : خالط سواد شعره بياض .
٢ شحط : بعد .
٣ القسط : الميزان ، المقدار . قسط : مال عن الحق وجار ، وقسط أيضاً : كان عادلا .
٤ الخزريات : منسوبة إلى بلاد الخزر .
٥ قفاها : تبعها . تقاضاه الدين وغيره : طلبه منه ، وقبضه منه .

أنساهُ حبُّ دِجلَةٍ وطيبُهـا مَواطِناً ، قد زُقَّ فيها ولَقَطْ
فجاءَ يُهدي نَفسَه ، وما درَى أنَّ الرَّدى قَرينُهُ حيثُ سقَطْ
فابرِزْ قِسيِّاً من كمندِ أثاثِها ، إنَّ الجِيادَ للحروبِ تُرتَبَطْ[1]
من كلِّ سَبطٍ من هَدايا واسطٍ جَعدِ البَلاغِ منه في الكعبِ نُقَطْ
أصلَحَـهُ صالِـحٌ باجتِهادِه ، فكلُّ ذي لبٍّ لهُ فيه غبَطْ
وما أضاعَ الحَزمَ عندَ عَزمِها، بل جاوزَ القَيظَ وللفَصلِ ضَبَطْ
حتّى إذا حَرُّ حَزيرانَ خَبَا ، وتَمَّ تَمّوزٌ وآبٌ وشحَطْ
وجاءَ أيلُولٌ بحَرٍّ فـاتِرٍ ، في نُضجِ تَعديلِ الثّمارِ ما فَرَطْ
أبرَزَ ما أحرَزَ من آلاتِـهِ ، وحَلَّ من ذاكَ المَتاعِ ما رَبَطْ
ومَدَّ للصَّنعَةِ كَفّاً أوحَداً ، مُنَزَّهاً عنِ الفَسادِ والغَلَطْ
وظَلَّ يَستَقري بَلاغَ عُودِها ، فنَبَّرَ الأطرافَ واختارَ الوَسَطْ[2]
وجَوَّدَ التَّدقيقَ في لحامِها ، فأسقَطَ الكِرشاتِ منها والسَّقَطْ[3]
ولم يَزَلْ يُبلِغُها مَراتِباً ، تَلزَمُ في صَنعَتِهِ وتُشترَطْ
فعندَما أفضَتْ إلى تَطهيرِها صحّحَ داراتِ البُيوتِ والنّقَطْ
حتّى إذا قَمّصَها بدُهنِها ، جاءَتْ من الصّحّةِ في أحلى نَمَطْ
كأنّها النّوناتُ في تَعريقِها ، يعرُجُ منها بُندُقٌ مثلُ النّقَطْ[4]

---

١ كمند أثاثها : هكذا في الأصل ، ولم نجدها ولعلها فارسية .
٢ نبر المغني : رفع صوته في الغناء ، ولعله أخذها بمعنى الرفع على الإطلاق .
٣ لحامها : لحمها .
٤ تعريقها : امتداد عروقها .

مثلَ السّيورِ في يَدِ الرّامي ، فلو شاءَ طَواها وحَواها في سَفَطْ
لو يَقذِفُ اليَمُّ بها مالكُها ما انتقضَ العودُ ، ولا الزّورُ انكشطْ
كأنّما بندُقُها تَنازَلا ، أو من يدِ الرّامي إلى الطّيرِ خيطْ
من كلِّ مَحنيِّ البيُوتِ مُدمَجٍ ، ما أخطأ الباري بهِ ولا فرَطْ
كأنّهُ لامٌ عليهِ ألِفٌ ، وقالَ قومٌ : إنّها اللامُ فقطْ
فاجلِ قَذَى عيُونِنا ببَرزَةٍ تَنفي عن القلبِ الهمومَ والقنَطْ[1]
فما رأتْ من بعدِ هُورِ بابلٍ وماثِهِ التّيّارِ عيشاً مُغتَبِطْ
ونحنُ في مُروجِهِ في نَشوَةٍ عند التّحرّي في الوُقوفِ للخِطَطْ
من كلِّ مَقبولِ المَقالِ صادقٍ ، قد قبَضَ القَوسَ وللنّفسِ بسَطْ
يقدُمنا فيها قديمٌ حاذِقٌ ، لا كَسَلٌ يَشينُهُ ولا قَنَطْ
يحكُمُ فينا حُكمَ داودَ ، فلا يَنظُرُ منّا خارجاً عمّا شرَطْ
لا يَشتكي الأسباقَ من جفنَتِهِ ، ولم يكُن مثل القرِلّى في النّمَطْ[2]
إذا رأى الشرَّ تعلّى ، وإذا لاحَ لهُ الخيرُ تَدلّى وانخبَطْ
ما نَغَمَ المِزهَرُ والدُّفُّ ، إذا فصّلَ أدوارَ الضُّروبِ وضَبَطْ
أطيَبُ من تَدَفُّفِ التّمِّ ، إذا دقَّ على القَبضِ الجَناحَ وخبَطْ[3]
والطّيرُ شتّى في نَواحيهِ ، فذا قد اكتسَى الرّيشَ وهذا قد شَمَطْ

---

١ البرزة : المتفوقة على صاحباتها ، الجميلة .
٢ القرلى : طائر مائي شديد الحذر .
٣ التم : طائر مائي شبيه بالإوز .

وذاكَ يَرعَى في شَواطيهِ ، وذا على الرّوابي قد تحَصّى ولَقَطْ[1]
فمن جَليلٍ واجبٍ تَعدادُهُ ، ومن مَراعٍ عَدُّها لا يُشتَرَطْ
يعرُجُ منّا نحوَها بَنادِقٌ ، لم يَنجُ منها مَن تَعَلّى واختَبَطْ
فمن كَسيرٍ في العُبابِ عائِمٍ ، ومن ذَبيحٍ بالدّماءِ يَغتَبِطْ

أهلاً بها قوادماً

وقال يصف الكراكي عند قدومها
من البطايح ورحيلها إلى الجبال مع
خروج فصل الشتاء :

أهلاً بها قَوادِماً رَواحِلا ، تطوي الفَلا وتَقطَعُ المَراحِلا
تَذكّرَتْ آكامَ دَربَنداتِها ، وعافَتِ الآجامَ والمَراحِلا
أذكرَها عَرفُ الرّبيعِ إلفَها ، فأقبَلَتْ لشَوقِها حَوامِلا[2]
نفرَقُ في الجَوّ بصَوتٍ مُطرِبٍ ، يَشوقُ من كانَ إليها مائِلا
هديّةُ الصّنفِ ودَربَنديّةٌ ، أو خُزَرِيّاتٌ بَدَتْ أصائِلا
لمّا رأتْ حَرّ المَصيفِ مُقبِلا ، وطيبَ بَردِ القَرّ ظِلاً زائِلا
أهمَلَتِ التّخبيطَ في مَطارِها ، وعَسكَرَتْ لسَيرِها قَوافِلا

---

١ تحصى : توقى .
٢ عرف الربيع : رائحة زهره .

من بَعدِ ما مَرّتْ بها أخياطُها، كما نَظَمتَ في البُرى البَوازِلا[1]
تَنهَضُ من صَرحِ الجليلِ تحتَها، بأرجُلٍ لبَردِه قَوابِلا
قد أنِفَتْ أيّامُ كانونٍ لها من أن تُرَى من الحِلى عَواطِلا
فصاغَتِ الطّلُّ لها قَلائِداً ، والثّلجَ في أرجُلِها خَلاخِلا
لمّا دَعاني صاحبي لبرزةٍ ونَبّهَ الزّميلَ والمقاوِلا
أجَبتُهُ مُستَبشِراً بقَصدِها : نَبّهتُمُ لَيثَ عرينٍ باسِلا
ثمّ بَرَزنا نَقتَفي آثارَهُ ، ونَقصِدُ الأملاقَ والمَناهِلا[2]
بَينَ قَديمٍ وزَميلٍ صادِقٍ ، لا زالَ شكري لهما مواصلا
والصّبحُ قد أعمّنا بنورِهِ ، لمّا انثَنى جنحُ الظّلامِ راحِلا
تَخالُ ضوءَ الصّبحِ فَوداً شائباً ، وتحسبُ اللّيلَ خِضاباً ناصِلا
وقد أقَمنا في المَقاماتِ لها مَعالِماً تَحسبُها مَجاهِلا
وأعينُ الأُسدِ ، إذا جنّ الدّجى أذكَتْ لَنا أحداقُها مَشاعِلا
نَرشُقُها من تَحتِها ببُندقٍ ، يَعرُجُ كالشُّهبِ إليها واصِلا
فَما رَقي تحتَ الطّيورِ صاعِدٌ ، إلاّ اغتَدى بها البَلاءُ نازِلا
للهِ أيّامٌ بِهُورِ بابِلٍ أضحَى بها الدّهرُ علينا باخِلا
فكَم قضَينا فيه شَملاً جامِعاً ، وكَم صَحِبنا فيهِ جَمعاً شاملا
فهَل تُرى تَرجِعُ أيّامٌ به ، في جَذَلٍ قد كانَ فيهِ حاصِلا
هَيهاتَ مَهما يَستَعرْ مسترجِعٌ، أراجعٌ لي الدّهرُ حَولاً كامِلا

---

١ أخياطها : جماعاتها ، الواحد خيط . البرى ، الواحدة برة : حلقة توضع في أنف الناقة . البوازل : النياق .

٢ قوله : الاملاق ، لعلها جمع ملق : الود ، واللطف الشديد .

يجدّل الأبعد قبل الاقرب

وقال يصف البازي والصيد به :

قد ارتدى ذَيلَ الظّلامِ الأشيَبِ ، والصّبحُ مثلُ الماءِ تحتَ الطُّحلُبِ[1]
بأجرَدٍ ملءِ الحزامِ سَلهَبِ ، مختَبَرٍ ، كالبَطَلِ المُجرَّبِ[2]
مثقَّلِ الكَفِّ ببازٍ أشهَبِ ، مُنتَصِبِ القامةِ سامي المِكنَبِ[3]
غليظِ خَطِّ الجؤجؤِ المنكَّبِ ، ذي عُنُقٍ خَصبٍ ورأسٍ أجذبِ[4]
قصيرِ عظمِ السّاقِ ، ثبتِ الرُّكَبِ ، قليلِ ريشِ الصّفحتَينِ ، أرعَبِ[5]
تامِ الجَناحَينِ ، قَصيرِ الذّنَبِ ، عيونُهُ مثلُ الجُمانِ المُذهَبِ
قد بُدّلَتْ من سَبَجٍ بكَهرَبِ ، محدَّدِ المِنسَرِ شينِ المِخلَبِ[6]
يَنهَشُ في السّبقِ ، وإن لم يَشغَبِ ، حَتفِ الحُبارى وعِقالِ الأرنَبِ[7]
لا يَرقبُ النّجدَةَ من مُدرَّبِ ، إذا الصّقورُ أُنجِدَتْ بالأكلُبِ
مُهَذَّبِ الخُلقِ ، قليلِ الغَضَبِ ، يرتاحُ للعَودِ ، وإن لم يُطلَبِ

---

١ الطحلب : خضرة تعلو الماء المزمن .
٢ السلهب : الطويل .
٣ المكنب : الحافر الذي غلظت يده من العمل ، ولا ندري ماذا أراد بها هنا .
٤ الجؤجؤ : الصدر . المنكب : المتنحي .
٥ قوله : الأرعب ، هكذا في الأصل ، ولعلها الأزعب أي الغليظ .
٦ السبج : الخرز الأسود . الكهرب : صمغ شجرة إذا حك صار يجذب التبن . المنسر للطير الجارح كالمنقار لغير الجارح . وقوله : شين المخلب ، لعله أراد أن مخلبه أي ظفره مقوس كالشين .
٧ الحبارى : طائر .

كفاضلٍ حاوَلَ حِفظَ المَنصبِ ، زرّتْ به الطّيرُ بمَوجٍ مُعشِبِ
فَحالَ بَينَ رَعيِها والمَشرَبِ ، وظَلّ كالسّاعي الجَريءِ المُذنِبِ
يُجَدّلُ الأبعَدَ قَبلَ الأقرَبِ، لو أنّه مرّ بعنقا مُغرِبِ
لم تُحمَ من مَشرِقِها بالمَغرِبِ ، مُكَذِّباً فيها مَقالَ العَرَبِ

نأكل ونقري

وقال يصف الصقر والصيد به :

يا طِيبَ يومٍ بالمُروجِ الخُضرِ ، سرَقتُهُ مُختَلِساً من عُمري
والطّلّ قد كلّلَ هامَ الزّهرِ ، فعَطّرَ الأرجاءَ طِيبُ النّشرِ
باكَرتُها بَعدَ انبِلاجِ الفَجرِ عندَ انبِساط الشّفَقِ المُحمَرّ
والطّيرُ في لُجّ المياهِ تَسري ، كأنّها سَفائِنٌ في بَحرِ
حتى إذا لاذَتْ بشاطي النّهرِ ، دعوتُ عَبدي ، فأتَى بصَقرِي
من الغَطاريفِ الثّقالِ الحُمرِ ، مُستَبعِدُ الوَحشَةِ جَمُّ الصّبرِ
معتَدلُ الشّلوِ شديدُ الأزرِ ، مُنفَسِحُ الزَّورِ رَحيبُ الصّدرِ
مُتّسعُ العينِ عريضُ الظّهرِ ، بأعينٍ مُسوَدّةٍ كالحِبرِ
وهامَةٍ عَظيمَةٍ كالفِهرِ ، كأنّ فَوقَ صَدرِهِ والنّحرِ[1]

---

١ الهامة : الرأس . الفهر : الحجر .

هامَةِ هَيقٍ في صِماخيّ نَسرِ ،   طويلِ أرياشِ الجَناحِ العَشرِ
قَصيرِ ريشِ الذَّنَبِ المُحمرّ ،   قصيرِ عَظمِ السّاقِ تامِ الظّفرِ
فظَلّ يَتلوها ، عظيمَ المكرِ ،   يُغري بها هِمّتَهُ ونَصري
كأنّهُ يَطلُبُها بِوِترِ ،   فجاءَنا منها بكلّ عَفرِ
فبِتُّ والصّحبَ بها في بِشرِ   كأنّنا في يومِ عيدِ النّحرِ
نأكُلُ من لحومِها ونَقري

عدتان للصيد

وقال يصف الفهد والصيد به :

ويومِ دَجنٍ مُعلَمِ البُردَينِ ،   سَماؤهُ بالغَيمِ في لَونَينِ
كأنّها ، وقد بَدَتْ للعَينِ ،   فيرُوزجٌ يَلمَعُ في لَونَينِ[٢]
قضَيتُ فيهِ بالسّرورِ دَيني ،   وسِرْتُ أفلي مَفرِقَ الشّعبَينِ
بأدهَمٍ مُحَجَّلِ الرّجلَينِ ،   سَبطِ الأديمِ مُفلَقِ اليَدَينِ
خصبِ العَطاةِ ماحِلِ الرُّسغَينِ ؛   وسربِ وحشٍ مُذْ بَدا لعَيني[٣]

---

١ الهيق : الظليم . الصماخ : خرق الأذن الباطن الماضي إلى الرأس .
٢ الفيروزج : حجر كريم .
٣ العطاة ، مسهل العطاءة : العطاء . الرسغ : الموضع المستدق بين الحافر وموصل الوظيف من اليد والرجل .

عارضتُهُ في مُنتَهى السّفحَينِ بأرقَطٍ مُخَطَّطِ الأُذْنَينِ

ناقي الجَبينِ أهرَتِ الشّدقَينِ ، أفطسَ سَبطِ الشّعرِ صافي العَينِ[1]

يَنظُرُ في اللّيلِ بجَمرتَينِ ، ذي كَحَلٍ سالَ من العَينَينِ

فخَطّ لامَينِ على الخَدّينِ ، مُحَدَّدِ النّابَينِ والظّفرَينِ

كأنّما يكشِرُ عن نَصلَينِ ، ليسَ لها عَهدٌ بضَربِ قَينِ[2]

رَقيقِ لحمِ الزّندِ والسّاقَينِ ، ذي ذنَبٍ أملَسَ غيرِ شَينِ

فخاتَلَ السِّربَ بخُطوَتَينِ ، وأردَفَ الخَطوَ بوَثبتَينِ

فكانَ فيها كغُرابِ البَينِ ، فرّقَها قَبلَ بلوغِ الحَينِ

ونالَ منها عفرَ المَتنَينِ ، أجيَدَ مَصقولِ الإهابِ زَينِ

جَدّلهُ في مُلتَقَى الصّفّينِ ، ولم يَحُل ما بَينَهُ وبَيني

نِلتُ بمُهري وبه كفلَينِ ، إنّهما للصّيدِ عُدّتَينِ[3]

لا يَحسُنُ اللّهوُ بغَيرِ ذَينِ

---

١ أهرت : واسع .

٢ القين : الحداد .

٣ الكفل : الحظ والنصيب ، والمثل .

ليلة طويلة

وقال أيضاً :

وَلَيلَةٍ في طُولِ يومِ العَرَضِ ، سَماؤها من دُكنِهِ كالأرضِ[1]
مخضتُ فيها العيشَ أيَّ مخضِ ، وفُزتُ فيها بالنّعيمِ المَحْضِ
وغضّ جفنُ الدّهرِ أيَّ غَضّ ، فبِتُّ من صروفِهِ أستَقضِي
أرفَعُ قَدرَ عيشَتي بالخَفضِ ، لا أكحُلُ الجَفنَ بها بغَمضِ
مع كلّ ساقٍ كالقَضيبِ الغَضّ ، يديرُ راحاً بالسّرورِ تَقضِي
ساطعَةً كالبرقِ عندَ الوَمضِ ، حتى إذا آنَ أداءُ الفَرضِ
وشُقّ جَيبُ الفلَقِ المبيَضّ ، عرضتُ خَيلي ، فأجدتُ عَرضِي
واخترتُ منها سابقاً لي يُرضِي ، يَفوتُ لمحَ الطّرفِ حينَ يَمضِي
كأنّما الأرضُ به في قَبضِي ، لا فَرقَ بينَ طُولِهِ والعَرضِ
جعلتُهُ وقايَةً لعِرضِي ، ثمّ غَدوتُ لمَرامي أقضِي
من كلّ سِرْبٍ شاردٍ منغَضّ ، بأرقَطِ الظّهرِ صَقيلٍ بَضّ[2]
كسَبَجٍ في ذَهبٍ مُرفَضّ ، أهرتَ رحبِ الصّدرِ نائي الغَمضِ
مستَثقَلَ الشّلوِ خفيفَ النّهضِ ، عريضَ بَسطِ الكَفّ عندَ القَبضِ
محدَّدَ النّابِ لغَيرِ عَضّ ، منتَصِبَ الأُذنَينِ عندَ الرّكضِ

---

١ يوم العرض : يوم القيامة . الدكن : ميلان اللون إلى السواد .

٢ منغض ، من انغض الطرف : انغمض ، والمعنى غامض . البض : الطري .

مخاتِلَ السِّربِ بغيرِ وَفضِ ، مُنخَفِضاً للختلِ أيَّ خَفضِ
مصافحاً بالبَطنِ ظَهرَ الأرضِ ، يَجُسُّها بالكَفِّ جَسَّ النَّبضِ
حتى إذا أمكَنَ قربُ البَعضِ ، عاجَلَها كالكوكبِ المُنقَضِّ
فعانَقَ الأكبرَ عندَ النَّهضِ ، عِناقَ ذي حبٍّ لِرَبِّ بُغضِ
فهاضَ منهُ العَظمَ عندَ الهَضِّ ، ورضَّ منهُ الصَّدرَ أيَّ رَضِّ[1]
فقمتُ أسعَى خيفَةً أن يَقضِي ، أغُضُّ عن زَلاّتِهِ وأُغضِي

أهرت أفطس

وقال أيضاً :

وأهرتَ الشِّدقَينِ محبوكِ المَطا ، محدَّدِ الأنيابِ مرهوبِ السَّطا[2]
أفطَسَ تِبرِيَّ الإهابِ أرقَطا ، كلَوْنِ تِبرٍ بمِدادٍ نُقِّطا
ألبَسَهُ الخالقُ حُسناً مُفرِطا ، وخَطَّ في الخَدَّينِ منهُ خُطَطا
مُستَثقَلِ الجِسمِ خَفيفٍ إن خطا ، مجرَّبِ الإقدامِ مأمونِ الخُطى
يَسبِقُ في إرسالِهِ كُدرَ القَطا ، أضحَى على قَنيصِهِ مُسَلَّطا
حتّى إذا من العِقالِ نشَطا ، وَفَى لنا فِعلاً بما قد شرَطا

١ الهض : الكسر .
٢ المطا : الظهر .

قلتُ ، وقد بتُّ به مُغتَبِطا ، والشِّلْوُ من قَنيصِهِ مُعتَبَطا[1]
بذاكَ أم بالحَيلِ تَعدو المَرَطى[2]

يفوت لمح الطرف

وقال يصف الكلب والصيد به :

وأهرتٍ، من الكِلابِ، أخطلِ ، أصفَرَ مَصقولِ الإهابِ أشعَلِ[3]
أعصَمَ مثلِ الفَرَسِ المُحَجَّلِ ، يُخالُ مَرحوضاً وإن لم يُغسَلِ[4]
مختَصَرِ الشِّلْوِ ، ثَقيلِ المَحملِ ، منفَسحِ الهامةِ ، ناتي المُقَلِ
إذ أنّه كالسَّوسَنِ المُهَدَّلِ ، كأنَّ فوقَ عُنقِهِ المعتَدلِ
هامةَ فهدٍ في صِماخَيْ فُرعُلِ ، منسرحِ الزَّورِ فَسيحِ الكَلكَلِ[5]
منهَضِمِ الحصرِ، عريضِ الكفلِ ، ذي أيطَلٍ خالٍ ، ومَتنٍ مُمتَلي[6]
خصيبِ أعلى العَضبِ محلِ الأسفلِ ، قَصيرِ عَظمِ السّاعدِ المُفتَّلِ

١ المعتبط : المذبوح لغير علة .
٢ المرطى ، بسكون الراء : السريعة ، وفتحها مراعاة للقافية .
٣ الأخطل : طويل الأذنين مسترخيهما . الأشعل: من كان في ذنبه أو ناصيته بياض، أو كانت عينه إلى الحمرة خلقة .
٤ الأعصم : ما كان في ذراعيه أو في إحداهما بياض وسائره أسود أو أحمر . المرحوض : المغسول .
٥ الفرعل : ولد الضبع .
٦ الأيطل : الخاصرة .

مقتصَرِ الأيدي طويلِ الأرجلِ ، مُزدَحمِ الأظفارِ ثبْتِ العَضَلِ
ذي ذَنَبٍ سَبطٍ ، قَصيرٍ أفتَلِ ، أسلَسَ من دَفّتِهِ كالمِغزَلِ
كثيرِ تَكرارِ نزاعِ الأحبُلِ ، يَبيتُ غضبانَ ، إذا لم يُرسَلِ
قَيدِ الأوادي ، وعِقالِ الإبِلِ ، رُعْتُ به سِربَ الظِّباءِ الجُفَّلِ[1]
فاعتَصَمتْ منهُ بأعلى الجَبَلِ ، فظَلّ يَنحو قصدَها ويَعتَلي
وخَرّ يَنصَبُّ عليها من عَلِ ، شَبيهَ سَهمٍ مرَقتْ من عَيطَلِ[2]
يَفوتُ لمحَ الطّرفِ في التّأمّلِ ، حتّى إذا انقضّ انقضاضَ الأجدلِ
فما ارتَضَى منها بدونِ الأوّلِ ، غادَرَهُ مُجَدَّلاً في الجَندَلِ
ذا جثّةٍ وافرَةٍ كالمِسحَلِ ، وظَلّ صَحبي في نَعيمٍ مُقبِلِ[3]
لهم غريضُ لحمِهِ ، والشّكرُ لي

لا شلت يمين الرامي

وقال يصف يوماً مضى له في صيد النعام :

ورُبّ يومٍ أدكنِ القتامِ ، مُمتَزِجِ الضّياءِ بالظّلامِ
سِرنا به لقَنَصِ الآرامِ ، والصّبحُ قد طَوّحَ باللّثامِ

١ الأوادي : هكذا في الأصل ، ولعله أراد الأوابد : الوحوش .
٢ العيطل : كل ما طال عنقه ، والشمراخ من طلع فحال النخل .
٣ المسحل : الشجاع ، الشيطان .

كراقِدٍ هَبّ من المَنامِ ، بضُمّرٍ طاميَةِ الحَوامي[1]
معتادَةٍ بالكَرّ والإقدامِ ، تُحجِمُ في الحربِ عن الإحجامِ
حتى إذا آنَ ظهورُ الجامِ ، والبرُّ بالآلِ كبَحرٍ طامِ[2]
عَنّ لنا سِربٌ من النّعامِ ، مشرِقَةَ الأعناقِ كالأعلامِ
فاغرَةَ الأفواهِ للهُيامِ ، كأينُقٍ فَرّتْ من الزّمامِ[3]
وحشٌ على مثنًى من الأقدامِ ، بالطّيرِ تُدعَى وهيَ كالأنعامِ
تَطيرُ بالأرجُلِ في المَوامي ، كأنّما أعناقُها السّوامي
أراقمٌ قد قُمنَ للخصامِ ، فحينَ هَمّ السّربُ بانهزامِ
ألجمتِ القِسيُّ بالسّهامِ ، فأُرسِلَ النَّبلُ كوَبلٍ هامِ
فعنّ رألٌ عارضٌ أمامي ، كأنّما دُرّعَ بالظّلامِ[4]
نِيطتْ جَناحاهُ بعنقٍ سامِ ، كأنّها من حُسنِ الالتِئامِ
هاءُ شَقيقٍ وُصِلَتْ بلامِ ؛ عارضتُهُ تحتَ العَجاجِ السّامي
بسابِقٍ يَنقَضُّ كالقَطامي ، خِلوِ العِنانِ مفعَمِ الحِزامِ[5]
يكادُ يلوي حلَقَ اللّجامِ ، ذي كَفَلٍ رابٍ وشدقٍ دامِ
وصفحَةٍ ريّا ، ورسغٍ ظامِ ، فحينَ وافَى عارِضاً قُدامي
أثبَتُّ في كَلكَلِهِ سِهامي ، فمزّقتْ في اللّحمِ والعِظامِ

---

١ قوله : طامية الحوامي ، هكذا في الأصل .
٢ الجام : الكأس ، هكذا في الأصل .
٣ الهيام : أشد العطش .
٤ الرأل : ولد النعام .
٥ القطامي : الصقر الحديد البصر .

فخرّ مَصروعاً على الرُّغامِ ،   قد ساقَهُ الحَوفُ إلى الحِمامِ
فأعجَبَ الصّحبَ بهِ اهتمامي ،   حتى اغتَدى كلٌّ من الأقوامِ
يقولُ : لا شلّتْ يمينُ الرّامي

إذا رميت سهامي

وقال يصف فرساً أدهم محجلا :

وأدهَمٍ يقَقِ التّحجيلِ ذي مرَحٍ ،   يَميسُ من عُجبه كالشّاربِ الثّملِ
مُطَهَّمٍ مُشرِفِ الأُذْنَينِ تَحسَبُهُ   موكَّلاً باستراقِ السّمعِ عن زُحَلِ
ركبتُ منهُ مَطا ليلٍ تَسيرُ بهِ   كواكبٌ تُلحقُ المحمولَ بالحَمَلِ[1]
إذا رَمَيتُ سِهامي فوقَ صَهوتِهِ ،   مرّتْ بهاديهِ وانحطّتْ على الكَفَلِ

أدهم كالظلام

وقال في فرس له أدهم محجل :

ولقد أرُوحُ إلى القَنيصِ وأغتَدي   في مَتنِ أدهمَ كالظّلامِ مُحَجَّلِ
رامَ الصّباحُ من الدّجى استنقاذَهُ ،   حسَداً ، فلم يَظفَرْ بغيرِ الأرجُلِ
فكأنّهُ صِبغُ الشبيبةِ هابَهُ   وَخطُ المَشيبِ ، فجاءَهُ من أسفلِ

---

١ الحمل : برج في السماء .

اغر تبريّ

وقال في فرس له أشقر محجل :

وأغَرَّ تِبرِيٍّ الإهابِ مُرَدَّدٍ ، سَبطِ الأديم مُحَجَّلٍ ببَياضِ
أخشَى عليهِ بأن يُصابَ بأسهُمي ، ممّا يُسابقُني إلى الأغراضِ

الطرف المتخير

وقال في فرس له سابق :

وطِرفٍ تَخَيّرتُهُ طُرفَةً ، وأحببتُهُ من جَميعِ التُّراثِ
حَوى ببَدائعِ أوصافِهِ مَضاءَ الذّكورِ وصَبرَ الإناثِ
إذا انقَضّ كالصّقرِ في مَعرَكٍ ، ترَى الخَيلَ في إثرِهِ كالبُغاثِ
طويلِ الثّلاثِ ، قصيرِ الثّلاثِ ، عَريضِ الثّلاثِ ، فسيحِ الثّلاثِ[1]

---

١ الثلاث الاولى : العنق والاذن والذيل . والثانية : الظهر والرسغ والعسيب . والثالثة : الصدر والجبهة والكفل . والرابعة : المنخر والعين والسروال .

وعادية إلى الغارات

وقال في حجرة دهماء محجلة :

وعاديَةٍ إلى الغاراتِ ضَبحاً ، تُريكَ لقَدحِ حافرِها التِهابَا[1]
كأنّ الصّبحَ ألبَسَها حُجولاً ، وجِنحَ اللّيلِ قمّصَها إهابا
جَوادٌ في الجِبالِ تُخالُ وعلاً ، وفي الفَلَواتِ تحسبُها عُقابا
إذا ما سابقَتها الرّيحُ فرّتْ ، وأبقَتْ في يدِ الرّيحِ التّرابا

مروج للقلوب

قال في واد خصيب واقترح عليه
هذا الوزن عروض أبيات للقاضي
المآدي :

ووادٍ تَسكَرُ الأرواحُ فيه ، وتَخفِقُ فيهِ أرواحُ النّسيمِ
به الأطيارُ قد قالتْ ، وقالتْ كلاماً شافياً داءَ الكَليمِ
تَسلسَلُ في خَمائِلِهِ مياهٌ ، يُقَدُّ أديمُها قدّ الأديمِ
مروجٌ للقُلوبِ بها امتزاجٌ ، كأنّ عيونَها أيدي الكَريمِ

١ الضبح : من ضبحت الخيل في عدوها إذا أسمعت صوتاً ليس بصهيل ولا حمحمة .

لها أَرَجُ اللّطيمةِ حينَ يَنشا ، ورقّةُ مَنظَرِ الخَدّ اللّطيمِ
بنُوّارٍ عن الأنوارِ يُغني ، وزَهرِ النّجمِ عن زُهرِ النّجومِ[1]
نزَلنا فيه ، والأكبادُ حرّى ، فنَجّانا من الكَرْبِ العَظيمِ
فروّحَ ظلُّهُ رُوحَ الأماني ، وأخمدَ بَردُه نفسَ السَّمومِ
ونَفّسَ إذ تنفّسَ من كروبي ، وفرّجَ ، حينَ أرّجَ ، من همومي
وأفرَشَنا من الأزهارِ بُسطاً مُسَردَقَةً ، بأستارِ الغُيومِ[2]
جمَعنا للمَسامعِ في ذَراهُ ، هَديلَ حَمائمٍ وهديرَ كُومِ[3]
وقَضّينا بـهِ باللّهوِ يَوماً ، به سمَحَتْ حَشا الدّهرِ العَقيمِ

عود به عاد السرور

وقال في وصف عود الطرب :

وعُودٍ به عادَ السّرورُ ، لأنّهُ حوَى اللّهوَ قِدماً وهوَ ريّانُ ناعمُ
يُغَرِّبُ في تَغريدِهِ ، فكأنّهُ يُعيدُ لَنا ما لَقّنَتهُ الحَمائمُ

---

١ النجم : ما نجم أي طلع من النبات .
٢ مسردقة ، من سردق البيت : نصب عليه السرادق ، الخيمة .
٣ الكوم : النياق .

شدو ورقة ولطف

عُودٌ حوَتْ في الأرضِ أعوادُهُ ، كلَّ المَعاني ، وهوَ رَطْبٌ قَويم
فَحازَ شَدوَ الوُرقِ في سَجعه ، ورقّةَ الماءِ ولُطفَ النّسيم

قلوب المعاني

وقال في صفة رسالة
وصلته من أحد الفضلاء :

مَعانٍ حكَتْ في قلوبِ الأنامِ ، مَنالَ الأماني ونَيلَ الأمانِ
بنَثْرٍ ينَظِّمُ شَملَ العُلومِ ، ونَظمٍ يقَلِّدُ جِيدَ الزّمانِ
وتَنميقِ خَطٍّ كما نَمّقَتْ خطوطُ الغَوالي خدودَ الغَواني
وأبياتِ شعرٍ ، إذا أُورِدَتْ حكَتْ في الجَمال عقودَ الجُمانِ
فكَم بِكرِ معنًى حوَى طِرسُها ، وإن كان في جِسمِ لَفظٍ عَوانِ[1]
إذا ما شَقَقَتَ صدورَ البيوتِ ، وجَدتَ بهِنّ قلوبَ المَعاني

---

١ العوان : ما كان في منتصف السن من كل شيء .

حسد وغيرة

وقال في وصف مغنية بالعود :

أشجَتكَ بالتّغريبِ في تَغريدِها ، فظَننتَ معبدَ كان بعضَ عبيدِها
وشدَتْ فأيقَظَتِ الرّقودَ بشَدوِها ، وأعارَتِ الأيقاظَ طيبَ رُقودِها
خَودٌ شَدَتْ بلسانِها وبَنانِها ، حتى تَشابَهَ ضربُها ونَشيدُها
فكأنّ نغمةَ عُودِها في صَوتِها ، وكأنّ رقّةَ صوتِها في عُودِها
فطَنَتْ لأبعادِ الشّدودِ ، فناسبتْ بالعَدلِ بَينَ قريبِها وبَعيدِها[1]
كَمُلَتْ صنائعُ وضعِها فكأنّما وَرِثتْ أصولَ العِلمِ عن داودِها
تَسبي العُقولَ فَصاحةً وصَباحَةً ، فتَحارُ بينَ طَريفِها وتَليدِها
من لهجةٍ مكسوبَةٍ ، أو بهجَةٍ مَنسوبَةٍ ، تَحلو لعَينِ حَسودِها
إنّي لأحسدُ عُودَها إن عانَقَتْ عِطفَيهِ ، أو ضَمّتهُ بينَ نُهودِها
وأغارُ من لَثمِ الكؤوسِ لثَغرِها ، وأذوبُ من لمسِ الحُليّ لجيدِها

---

١ قوله : الشدود ، لعله يريد مفاتيح الأوتار .

وإني لألهو

وقال في صفة النايات والشيزات
والشموع والفانوس بمجلس الملك
المنصور وقد اقترح عليه أن يجيز ببيتي
محيي الدين بن زبلاق الملغز فيهما بالشبابة
بتضمين نصف بيت من الحماسة وهما :

وناطقة عجماء باد شحوبها ، يكنفها عشر وعنهن تخبر
يلذ إلى الأسماع رجع حديثها، إذا سد منها منخر جاش منخر

وقال رحمه الله أن يكون الإجازة
بتضمين مناسب لذلك فنظم وجمع
الاعجاز مضمنة من الحماسة :

وإنّي لألهـو بالمُـدامِ ، وإنّـها لَموردُ حَزمٍ إن فعلْتُ ومَصدَرُ
ويُطرِبُني في مجلسِ الأنسِ بَينَنا أنابيبُ في أجوافِها الرّيحُ تَصفِرُ
ودُهمٍ بأيدي الغانياتِ تَقَعقَعَتْ مفاصلُها من هَولِ ما تَتَنظّرُ
وصفرِ جفونٍ ما بكَتْ بمدامعٍ ، ولكنّها رُوحٌ تَذوبُ وتَقطُرُ
وأشمَطَ مَحنيِّ الضّلوعِ على لظًى بهِ الضّرُّ إلاّ أنّهُ يتَستّرُ
إذا انجابَ جِنحُ اللّيلِ ظلّتْ ضُلوعهُ مجرَّدَةً تَضحَى لديكَ وتُعصرُ

دجى كالصبح

وقال في صفة مجلس أنس حضره :

وَمَجلِسِ لذّةٍ أمسَى دُجاهُ، يُضيءُ كأنّهُ صُبحٌ مُنيرُ
تجَمّعَ فيه مَشمومٌ وراحٌ ، وأوتارٌ وولدانٌ وحُورُ
تلَذّذتِ الحواسُ اللّمسُ فيه بخَمسٍ يَستَتِمّ بها السّرورُ
فكانَ الضمّ قسمَ اللّمسِ فيهِ ، وقسمُ الذّوقِ كاساتٍ تَدورُ
وللسّمعِ الأغاني ، والغَواني لأعيُننا ، وللشّمّ البَخُورُ

اوصاف كوصفي

وقال في صفة الشمع :

في الشّمعِ أوصافٌ كوَصفي أوجبتْ حبّي لهُ والبعدَ عن أضدادِهِ
جرَيانُ أدمُعهِ وصُفرَةُ لونِهِ ، وسُهادُ مُقلَتِهِ وذَوبُ فؤادِهِ

خرّد شائبة

وقال أيضاً وفيه خمسة عشر تشبيهاً :

جلتِ الظّلماءُ باللّهبِ ، إذ بدتْ في اللّيلِ كالشّهُبِ
فانجلتْ في تاجِها ، فجلتْ ظُلَمَ الأحزانِ والكُرَبِ
خُرّدٌ شابتْ ذوائبُها ، وفروعُ اللّيلِ لم تَشِبِ
سفرَتْ كالشّمسِ ضاحكةً من تواري الشّمسِ في الحُجُبِ
ما رأينا قبلَ منظرِها ضاحكاً في زيّ مُنتحِبِ
كيفَ لا تحلو ضرائبُها ، وبها ضَربٌ من الضّرَبِ[1]
خِلتُها ، واللّيلُ معتكِرٌ، ونجومُ الأفقِ لم تغِبِ
قُضُباً من فِضّةٍ غُرِسَتْ فوقَ كُثبانٍ من الذّهَبِ
أو يَواقيتاً مُنَضّدَةً ، بينَ أيدينا على قُضُبِ
أو أساريعاً على عَمَدٍ ، أشرقتْ في زيّ مُرتقِبِ[2]
أو رِماحاً في العِدى طُعِنَتْ ، فغدَتْ مُحمرّةَ العَذَبِ
أو سِهاماً نَصلُها ذهَبٌ ، لسوى الظّلماءِ لم تُصِبِ
أو أعالي حُمرِ ألويةٍ نُشرَتْ في جَحفَلٍ لجِبِ
أو شِعافَ الرّومِ قد رُفِعتْ فوقَ أطرافِ القَنا الأشِبِ[3]

---

١ الضرب : العسل .
٢ الأساريع : دود أبيض الأبدان أحمر الرؤوس .
٣ الشعاف : أراد القلوب . الأشب : الملتف .

أو قيــاناً من ذَوائِبِها شَفَقٌ للشّمسِ لم يَغِبِ
أو شواظاً للقِرى رُفعتْ تَتَراءى في ذُرى كُثُبِ
أو لظَى نارِ الحُباحبِ قد لمَعَتْ للعَينِ عن لَبَبِ[1]
أو عيونَ الأُسدِ مُوصَدَةٌ في ذُرى غابٍ من القَصَبِ
أو خدودَ الغِيدِ ساطعَةٌ أشرَقتْ في فاقعِ النُّقُبِ[2]
أو شَقيقَ الرّوضِ منتَظِماً فوقَ مَجدولٍ من القَصَبِ
أو ذُرى نَيلوفرٍ رُفعَتْ فوقَ قُضبانٍ من الغَرَبِ[3]

مرحباً مرحباً

وقال يصف شموعاً أحضرها الغلمان
بمجلس أنس وطرحوا تحتها المداوير :

مَرحباً مَرحَباً بأبطالِ لَهوٍ ، شُهبُهم سُمرُهم إذا اللّيلُ جَنّا
مزّقوا جحفَلَ الظّلامِ وخاضوا نقعَهُ بالضّياءِ فانجابَ عَنّا
برِمــاحٍ لها أسنّــةُ نــارٍ ، قد أبادَتْ عَساكرَ اللّيلِ طَعنا

١ اللبب : ما استرق من الرمل .
٢ الفاقع : الخالص الصافي من الألوان .
٣ الغرب : نوع من الشجر .

تتثنّى ، سِنانُها غيرُ وانٍ ، وقنّاها بالعزّ لا تتثنّى
إن أرادوا لها على الوَشيِ ركزاً وضَعوا تحتَ كلّ لَدنٍ مِجنّا

عذر الصبح

وقال في شفق الصبح وهي
لزوم ما لا يلزم :

أنكَرَ الصّبحُ دَمَ اللّيـ ـلِ ، وفي العُذرِ توصّل
وترَدّى من شُعاعِ الـ ـشّمسِ ثوباً لم يُفَصّل
فبَكَى الطّيرُ بنوحٍ أجمَلَ القولَ وفَصّل
قال : عُذرُ الصّبحِ في إنـ ـكارِهِ لا يتَحَصّل
دَمُهُ في بُردَتَيهِ ، وهوَ منــهُ يتَنَصّل

الابريق الفأفاء

وقال في صفة إبريق المدام :

وإبريقٍ لهُ نُطقٌ عَجيبٌ ، إذا ما أُرسلَتْ منهُ السّلافُ
كفأفاءٍ تلَجلَجَ في حَديثٍ يرَدّدُ لَفظَهُ والفاءُ قافُ[1]

---

١ الفأفاء : الذي يكثر الفاء ويتردد فيها في كلامه .

بحر من الحسن

وقال في صفة رواقص بمجلس :

بحرٌ من الحُسنِ لا ينجو الغريقُ به إذا تَلاطَمَ أعطافٌ بأعطافِ
ما حرّكتهُ نسيمُ الرّقصِ من مرَحٍ إلاّ وماجتْ به أمواجُ أردافِ[1]

الطباع الأربع

وقال في صفة حمام دخله مع أحد الملوك :

لم أنسَ ،ما عِشتُ، حمّاماً دخلتُ به ما بينَ كلّ رَخيمِ الدّلّ فتّانِ
في جَنّةٍ من طِباعٍ أربعٍ جُمِعَتْ : أرضٍ وماءٍ وأهواءٍ ونيرانِ
فنِلتُ من حرّها بَرداً على كَبِدي ، وفُزتُ من مالكٍ منها برُضوانِ
فاعجَبْ لها جنّةٌ فيها جَحيمُ لظًى تُذكى ولم تخلُ عن حُورٍ وولدانِ

---

١ قوله : حركته النسيم ، أنث النسيم وهو يريد به الريح .

أخو الحروب

وقال في صفة ترس وكتبها عليه :

لئِنْ لم يَمضِ لي حدٌّ فكم قد ... فلَلْتُ الحدَّ في الحَربِ العَوانِ
وإنّي لا أزالُ أخا حرُوبٍ ، ... إذا لم أجنِ كنتُ مِجَنّ جانِ

دأبه الفتح

وقال في صفة باب وكتبت عليه :

وبابٍ ، إذا أمَّهُ قاصِدٌ ، ... رآهُ من الغَيثِ أدنَى وأندَى
لهُ الفَتحُ دأبٌ ، ومن شأنه ... يُرَدّ وقاصِدُهُ لن يُرَدّا

جنة وكوثرها

وقال في صفة مدينة بغداد :

ما بَعدَ بغدادَ للنّفوسِ هوًى ، ... رَقّ هَواها وراقَ مَنظرُها
كأنّهـا جَنّـةٌ مزَخرَفَةٌ ... ونَهرُ عيسَى النّميرُ كَوثَرُها

نهر من الذهب

وقال أيضاً في صفة ما بين جسريها
وقد رمى البدر شعاعاً ممتداً به :

انظرْ إلى بركةِ الجِسرَينِ حينَ بَدا ... للبَدرِ فيها عَمودٌ ساطعُ اللّهَبِ
كالصّرحِ حفّ به سِكرانِ من سَبَجٍ ... وسالَ في وَسطِهِ نهرٌ من الذّهب

كأن دجلة

وقال في صفة جسر وقد قطعته الريح :

وكأنّ دِجلَةَ ، والرّيا ... حُ تُغيرُ كالخَيلِ النّوازِي
والجِسرُ واهي السّلك من ... فَرطِ اضطرابٍ واهتزازِ
ثَوبٌ تُجَندِرُهُ الرّيا ... حُ ،وقد أضرّتْ بالطّرازِ[1]

---

[1] تجندره : أراد تجدد نقشه .

جنة فيها شياطين

وقال يصف مدينة حلة بابل :

من لم تَرَ الحلّةَ الفَيحاءَ مُقلَتُهُ   فإنّه في انقضاءِ العُمرِ مَغبونُ
أرضٌ بها سائرُ الأهوالِ قد جُمعتْ   كما تجَمّعَ فيها الضّبّ والنّونُ
فالغُدرُ طافحَةٌ ، والرّيحُ نافحةٌ ،   والوُرقُ صادحَةٌ ،والطلّ موضونُ[1]
ما شانَها غيرُ بَغي الجاهلينَ بها   كأنّها جَنّةٌ فيها شَياطِينُ

حبذا ماردين

وقال يصف ماردين :

حبّذا أرضُ ماردينَ وبرّ الـ   ـظلّ فيها وماؤها وهواها
بلدَةٌ تُنبِتُ الكِرامَ فلا ذُقْـ   ـتُ فَناهم ولا عدِمتُ فِناها
فهيَ أرضٌ إن لم تكن هيَ ذاتَ الـ   ـنّفسِ منّي ، فإنّها مُشتَهاها
جمعَتْ سائرَ المُنى ، فلِهذا   ما أتاها ذو الحِلمِ إلاّ وتاها
كم رأينا لها وفيهـا ومنها   صُوَراً تَسفِكُ الدّماءَ دُماها
لو تمكّنتُ أن أقضّي بها العُمْـ   ـرَ جَميعاً لمَا سكَنتُ سِواها

---

[1] الموضون : المنضد .

وادي الغرس

وقال يصف وادياً يعرف بالغرس :

لله ِ وادي الغرس ِ حينَ حلَلَتُهُ ، زَمَناً كأنّ العيشَ فيه مَنامُ
وادٍ حريريُّ الرّياض ِ فكَم به من حارث ٍ يَغدو به ِ وهُمامُ
ممتَـدُّ أوديةِ الظّلال ِ فقعرُه باكي العيون ِ وثَغرُهُ بَسّامُ
فالشّمس ُفيه مدى النّهارِ فطيمةٌ ، والظّلّ كَهلٌ ، والنّسيمُ غُلامُ

قاهرة المعز

وقال يصف القاهرة :

لله ِ قاهرةُ المعزّ ، فإنّهـا بلَدٌ تَخَصّصَ بالمَسرّة ِ والهَنا
أوَما ترَى في كلّ قُطرٍ مُنيَةً من جانبَيها ، وهيَ مجتمعُ المُنى

النيل الوافي

وقال يصف نيل مصر حين
وفى ماؤه :

وفي النّيل، إذ وَفّى البسيطةَ حقّها، وزادَ على ما جاءَهُ من صَنائعِ
فما إن توفّى النّاسُ من شكرِ مُنعم يُشارُ إلى إنعامِهِ بالأصابعِ

إظهار معروف وإضمار دين

وقال يصف ماردين :

لئِن وهَى عِقدُ السّحابِ الثّمين فلا عَدا ربعَكَ يا ماردين
مدينَــةٌ لم ترَ في جوّها جَوراً ، ولا في أهلِها ماردين
كم شاهدَتْ عَينايَ من أهلِها إظهارَ مَعروفٍ وإضمارَ دِين
أفاضِلٌ في غَيّهم ما رَدُوا ، ونسوَةٌ في مثلِه ما ردين

قرة للعيون

وقال يصف الحلة أيضاً :

ما حِلّةُ ابنِ دَبيسٍ ، إلاّ كحِصنٍ حَصينِ
للقَلبِ فيها قَرارٌ ، وقُرّةٌ للعيُونِ
إن أصبحَ الماءُ غَوراً جاءَتْ بماءٍ مَعينِ
وحَولَها سُورُ طِينٍ ، كأنّهُ طُورُ سينِ

داء الوجد

ظَنّ قومي أنّ الأُساةَ ستَبري داءَ وجدي ، وذاكَ شيءٌ بَعيدُ
فأتَوا بالطّبيبِ ، وهوَ لعَمري في ذَوي فَنّهِ مُجيدٌ مَجيدُ
مذ رأى عِلّتي ، وقد لاحَ للمَو تِ عليها أدِلّةٌ وشُهودُ
جسّ نَبْضِي وقال: ما أنتَ شاكٍ ؟ قلتُ : ناراً لم يُطفِها التّبريدُ
فغَدا يُخلِصُ الدّواءَ ، فألفَى نارَ وجدي معَ الدّواءِ تَزيدُ[1]
قال : ما كان أصلُ دائكَ هذا ؟ قلتُ : طَرفي، وذاكَ حالٌ شديدُ

---

١ يخلص : يختار .

قال : إنّ الهَواءَ أحدثَ بَلوا ك، فقلتُ: المَقصورُ لا المَمدودُ
فانثني حائراً ، وقال لقَومي : ما دواءُ العُشّاقِ إلاّ بَعيدُ

لله خط كتاب

وقال في صفة كتاب مجلد أهدي إليه وكتبها عليه :

للهِ خطّ كتابٍ خلتُهُ دُرَراً ، أو رَوضَةً رَصّعتها السُّحبُ بالبرَدِ
أبدَتْ بظاهرِهِ أيدي مُجلّدِه نَقشاً على جِلدةٍ أوهتْ به جلَدي

فخر الشعر

وقال يصف الشعر وفضله :

كَفَى الشّعرَ فخراً أنّه كلّ مُشكِلٍ من الذّكرِ في تَفسيرِهِ جيءَ بالشّعرِ
وإن أشكَلَتْ في الشرعِ غامضُ نكتةٍ إلى النّظمِ يُلجا حينَ يُعوزُ بالنّثرِ

الباب الرابع

في الإخوانيات وصدور المراسلات

اخلاي بالفيحاء

قال وكتب بها إلى الشيخ العالم مهذب الدين محمود بن يحيى النحوي الحلي من ماردين يصف فيها حال مقامه بها وإقبال سلطانها عليه من بحر الطويل :

أخلاَّيَ بالفَيحاءِ إنْ طالَ بُعدُكم ، فأنتم إلى قلبي كسَحريَ من نَحرِيَ[1]
وإن يخلُ من تكرارِ ذكري حديثُكم ، فلم يخلُ يوماً من مديحكُمُ شِعرِي
فوالله لا يَشفي نزيفَ هَواكُمُ سوى خمرِ أنسٍ كان منكم بها سكرِي
أرى كلَّ ذي داءٍ يُداوَى بضدّه ، وليسَ يُداوَى ذو الخُمارِ بلا خَمرِ
أطالبُ نَفسي بالتّصَبّرِ عنكُمُ ، وأوّلُ ما أفقِدتُ، بعدكمُ ، صَبرِي
فإن كان عصرُ الأنسِ منكم قد انقضَى ، فوالعصرِ إنّي بعد ذلكَ في خُسرِ
بكَيتُ لفقدِ الأربعِ الخُضرِ منكمُ ، على الرّملَةِ الفَيحاءِ بالأربعِ الحُمرِ
فكَيفَ بَقي إنسانُ عَيني ، وقد مضَى على ذلكَ الإنسانِ حينٌ من الدّهرِ

---

١ السحر : الرئة .

سقَى روضةَ السّعديّ من أرض بابلٍ سَحابٌ ضَحوكُ البرقِ مُنتحبُ القطرِ
وحيّا الحَيا مَغنًى قضَيتُ بربعِهِ فُروضَ الصِّبا ما بَينَ رَملةَ والجسرِ
ورُبّ نَسيمٍ مرّ لي من دِيارِكم ، فَفاحَ لَنا من طَيّهِ طيّبُ النّشرِ
وأذكرَني عَهداً ، وما كنتُ ناسِياً ، ولكنّهُ تجديدُ ذِكْرٍ على ذِكْرِ
فَيا أيّها الشّيخُ الذي عَقدُ حُبّهِ تنزّلَ منّي منزِلَ الرّوحِ من صَدرِي
تُجاذِبُني الأشواقُ نحوَ دِيارِكُم ، وأحذَرُ من كيدِ العدوّ الذي يَدرِي
مَخافةَ مذّاقِ اللّسانِ يُسرّ لي ضُروبَ الرّدى بينَ البَشاشةِ والبِشرِ
ويَنشُرُ لي حَبَّ الوَفاءِ تَملّقاً ويَنصُبُ لي من تَحتِه شرَكَ الغَدرِ
وما أنا مَن يُلقي إلى الحَتفِ نَفسَهُ ، ويَجهَدُ في استِخلاصِها منه بالقسرِ
إذا كان ذكرُ المرءِ شَيخَ حَياتِه ، فإنّ طَريفَ المالِ كالواوِ في عمرِو
ولكنّ لي في ماردينَ معاشراً ، شَددتُ بهم ، لمّا حللتُ بها ، أزرِي
ملوكٌ ، إذا ألقَى الزّمانُ حِبالَهُ ، جعلتُهُمُ في كلّ نائبَةٍ ذُخرِي
وما أحدثَتْ أيدي الزّمانِ إساءَةً ، ووافَيتُهُم إلاّ انتَقَمتُ من الدّهرِ
إذا جئتُهم مستَصرِخاً حَقَنُوا دَمي ، وإن جئتُهم مُستَجدِياً وفَرُوا وَفرِي
عزائمُ مَن لم يخشَ بالبَطشِ من ردًى ، وإنعامُ مَن لم يخشَ بالجُودِ من فَقرِ
ورَوّوا بماءِ الجُودِ غَرسَ أبيهِمُ ، فأينَعَ في أغصانِهِ ثمرُ الشّكرِ
وقَلّدَني السّلطانُ منهُ بأنعُمٍ ، أخفّ بها نَهضي وإن أثقلتْ ظَهرِي
هوَ الصّالحُ المَلكُ الذي صَلُحتْ به أمورُ الوَرى واستُبدِلَ العُسرُ باليُسرِ
يَبيتُ بها كَفّي على الفَتحِ بعدَما بنَتْ نُوَبُ الأيّامِ قلبي على الكَسرِ

وبُدّلتُ من دُهمِ اللّيالي وغيرِها ، لَدَيهِ ، بأيّامٍ مُحَجَّلَةٍ غُرّ

حَطَطتُ رِحالي في ربيعِ رُبوعِهِ ، ولولاهُ لم أثنِ الأعِنّةَ عن مِصري

مَنازِلُ ما لاقيتُ فيها نَدامةً ، سوى أنّني قضّيتُ في غيرِها عُمري

فلم يَكُ كالفِردوسِ غيرُ سميّهِ ، من الخُلدِ لا خُلدُ الخَليفةِ والقَصرِ

ووادٍ حكَى الخَنساءَ لا في شجونِها ، ولكن له عَينانِ تَجري على صَخرِ

كأنّ به الجودانَ بالسُّحبِ شامتٌ ، فما انتحبَتْ إلاّ انثنى باسمَ الثّغرِ[1]

تَعانَقَتِ الأغصانُ فيه فأسبَلَتْ على الرّوضِ أستاراً من الوَرَقِ الخُضرِ

إذا ما حِبالُ الشّمسِ منها تخلّصَتْ إلى روضِهِ ألقَتْ شِراكاً من التِّبرِ

تُدارُ به ، من ديرِ شَهلانَ ؛ قَهوَةٌ جلَتها لنا أيدي القُسوسِ من الخِدرِ

إذا ما حَسَوناها ، وسارَ سرورُها إلى مُنتهَى الأفكارِ من موضعِ السّرّ

نُعيدُ لها نَقلَ الفكاهةِ والحِجَى ، ونَجلو عليها بهجَةَ النّظمِ والنّثرِ

ونحنُ نوفّي العيشَ باللّهوِ حقّهُ ، ونسرِقُ ساعاتِ السّرورِ من العمرِ

وقد عمّنا فصلُ الرّبيعِ بفَضلِهِ ، فبادرَنا بالوَردِ في أوّلِ القَطرِ

فيا أيّها المولى الذي وَصْفُ فَضلِهِ يَجِلُّ عن التّعدادِ والحَدّ والحَصرِ

أبُثّكَ بالأشعارِ فرطَ تَشَوّقي ، ولا أتعاطَى حَصرَ وصفِكَ بالشّعرِ

وأعجَبُ شيءٍ أنّني مع تيقّظي ، إلى مُخلَصِ الألفاظِ من شَرَكِ الهُجرِ

أسوقُ إلى البَحرِ الخضمّ جَواهري ، وأُهدي إلى أبناءِ بابلَ من سِحري

فمُنّ ، فدتك النّفسُ ، بالعُذرِ مُنعِماً عليّ ، وشاوِر حسنَ رأيك في الأمرِ

---

١ الجودان : لعله من النبات .

المزار عزيز

وقال وقد راسله الشيخ المذكور
بقصيدة أولها :

عبد العزيز عليّ أنت عزيز
ولمجدك التعظيم والتعزيز

مَن لي بقربكَ ، والمَزارُ عزيزُ ، طُوبَى لمن يَحظَى به ويَفوزُ
فلَو استَطَعتُ رفَعتُ حالي نحوَكم، لكنّ رفعَ الحالِ ليسَ يَجوزُ
يا أيّها الشّيخُ الذي آراؤهُ حِرزٌ لَنا ، في النّائباتِ ، حريزُ
عُرِضَ العَروضُ فلم ترُعكَ دوائرٌ منهُ ولم تُشكِلْ عليكَ رُموزُ
وكذا اقتَفَيتَ من القَوافي إثرَها ، فأطاعَكَ المَقصورُ والمَهموزُ
وضرَبتَ نحوَ النّحوِ همّةَ أوحَدٍ ، أضحَى له في حالِهِ تَمييزُ
لو كنتَ جئتَ به قديماً لم يكُنْ فيهِ لتَبريزٍ لهــا تَبريزُ[1]
ولقد هزَزتُ إليكَ دَوحَ قَريحَتي ، مَدحاً ، فأينَعَ دوحُها المَهزوزُ
وسبكتُ مدحَكَ في بَواطقِ فكرَتي ، إذْ في البَواطقِ يُسبَكُ الإبريزُ[2]
صُغتُ القريضَ ، ولم أقُلهُ تكلّفاً ، لكنّهُ طَبعٌ لدَيّ عَزيزُ
أجلو علَيكَ من القَريضِ عَرائِساً ، من خِدرِ أبكاري لهنّ بُروزُ
أبكارُ أفكارٍ تُزَفّ كَواعباً ، لا كالعُقـارِ تُزَفّ وهيَ عَجوزُ

---

١ تبريز الأولى : مدينة في إيران . تبريز الثانية من برز على أقرانه : تفوق . يشير هنا إلى أبي زكريا التبريزي أحد العلماء المشهورين في فقه اللغة .

٢ البواطق، البواتق، الواحدة بوتقة : الوعاء الذي يذيب الصائغ فيه المعدن. الابريز : الذهب الخالص .

يا ديار الأحباب

وقال وكتب بها إلى ابن عم
له بالحلة من حماة :

أتُرى البارقَ ، الذي لاحَ ليلا ، مَرّ بالحيِّ من مَرابعِ لَيلَى
وتُرى السُّحبَ مُذ نشأنَ ثِقالاً ، سحَبَتْ في رُبوعِ بابلَ ذَيلا
ما أضا البارِقُ العِراقيّ ، إلاّ أرسلَتْ مُقلَتي من الدّمعِ سَيلا
وتَذكّرْتُ جيرَةً بمَغانيـ ـهِ ونَدباً من آلِ سنبسَ قَيلا
عمَّنا بالوَدادِ في حالَةِ القُرْ بِ ، وأهدى لنا على البُعدِ نَيلا
وحَمّلنا بضاعةَ الشّكرِ مُزجا ةً ، فأوفَى لَنا من الوُدّ كَيلا[1]
كيفَ أنسَى تلكَ الدّيارَ ومغنًى عامراً قد رَبيتُ فيه طُفَيلا
أتَمَنّى العراقَ في أرضِ حرّا نَ ، وهل تُدرِكُ الثّريّا سُهَيلا
يا دِيارَ الأحبابِ ما كانَ أهنى ، بمغانيك ، عيشنا ، وأحيَلى
كم جلَونا بأفقِكِ البدرَ صُبحاً ، واجتَلَينا بجَوّكِ الشّمسَ لَيلا[2]
وأمنّا الأعداءَ لمّا جعَلنـا سُورَ تلكَ الدّيارِ رَجْلاً وخيَلا
أنتدي في حِماكِ كَعباً،ومغنًى، وإذا شئتُ سنبساً وعُقَيلا[3]
أورِدُ العِيسَ نهرَ عيسى وطوراً أورِدُ الخَيلَ دِجلَةً ودُجَيلا

1 المزجاة : الشيء القليل أو الرديء .
2 جلونا : كشفنا . اجتلينا الشيء : نظرنا إليه .
3 كعب وسنبس وعقيل : قبائل . المغنى : المنزل .

إن وردتَ الهيجاءَ يا سائقَ العيـ ـسِ ، وشارفتَ دوحَها والنّخيلا
ورأيتَ البدورَ في مَشهَدِ الشّمـ ـسِ بفتيانِ بانَةٍ والأثيلا
مِلْ إليها واحبِسْ قليلاً عليها ، إنّ لي نحوَ ذلكَ الحيِّ ميلا
وأبلغِ الرّملَةَ الأنيقَةَ وابلغْ مَعشَراً لي بربعِها وأهيلا :
كنتُ جَلْداً ، فلم يدَعْ بينُكم للـ ـجسمِ حَوْلاً ولا لقلبيَ حَيلا
قد ذَمَمنا بُعَيْدَ بُعدِكمُ العيـ ـشَ ، فليتَ الحِمامَ كانَ قُبَيلا

الحافظ الود

وقال وكتب بها إلى أحد
إخوانه بالحلة من حماة :

أطعتُ داعي الهَوى رَغماً على العاصِي ، لمّا نزَلنا على ناعورةِ العاصِي
وباتَ لي بمغاني أهلِها ، وبها شُغلانِ عن أهلِ شَعْلانٍ وبَغْراصِ
والرّيحُ تَجري رُخاءً فوقَ جَدولِها ، والطّيرُ ما بَينَ بَنّاءٍ وغَوّاصِ
وقد تَلاقتْ فرُوعُ الدّوحِ ،واشتبكتْ كأنّما الطّيرُ منها فوقَ أقفاصِ
تُدارُ ما بَينَنا حَمراءُ صافيَةٌ ، كانتْ هَدايا يَزيدٍ من بَني العاصِ
مع شادِنٍ ربّ أقراطٍ ومِنطَقَةٍ ؛ وقَينَةٍ ذاتِ أحجالٍ وأخراصِ[1]
تُدنيهِ كَفّي ، فيثني جيدَهُ مَرَحاً ، كأنّهُ جُؤذَرٌ في كفّ قَنّاصِ[2]

---

١ الاحجال ، الواحد حجل : الخلخال . الأخراص، الواحد خرص: حلقة الذهب أو الفضة وغيرها.
٢ الجؤذر : ولد البقرة الوحشية .

وكم لدَينا بها شادٍ وشاديةٍ ، تُشجي ، وراقصةٍ تَعصو ورقّاصِ[1]
إذا ثَناها نَسيمُ الرّقصِ من مرَحٍ ، عجبتَ من هزّ أغصانٍ وأدعاصِ[2]
يا قاطِعَ البيدِ يَطويها على نُجُبٍ ، لم تُبقِ منها الفَيافي غيرَ أشخاصِ
إذا وَرَدتَ بها شاطي الفُراتِ ، وقد نكّبتَ عن ماءِ حَورانٍ وقيّاصِ
وجُزتَ بالحِلّةِ الفَيحاءِ مُلتَمِحاً آرامَ سِربٍ حَمَتها أسدُ عيّاصِ[3]
فقِفْ بسَعدِيّها المَشكورِ مَنشأُهُ ، سعدِ بنِ مزيَدَ لا سَعدِ بنِ وَقّاصِ
واقرَ السّلامَ على مَن حلّ ساحتَهُ ، وصِفْ ثَنائي وأشواقي وإخلاصِي
واخبرْ بأنّي ، وإن أصبَحتُ مُبتَنياً مَجداً وأُغليَ قَدري بعدَ إرخاصِي
صابٍ إلى نحوِكم صَبٌّ بحبّكمُ ، مُحافظُ الودّ للدّاني وللقاصِي

الفتى السباك

وقال وهو بمصر وكتب بها إلى الشيخ الإمام العالم العامل أقضى القضاة مفتي الفرق تاج الدين بن السباك الحنفي ببغداد يشتاقه ويشكره :

تَرَكتْنا لواحِظُ الأتراكِ ، بينَ مُلقىً شاكي السّلاحِ وشاكِ
حرَكاتٌ بها سكونُ فُتورٍ تترُكُ الأُسدَ ما بها من حَراكِ

---

١ تعصو : تضرب بالعصا ، لعلها حركة تعملها في أثناء رقصها .
٢ الإدعاص ، الواحد دعص : الكثيب من الرمل ، شبه بها أردافها .
٣ عياص : اسم موضع .

مَلَكَتني خُزرُ العُيونِ . وإن خِلـ   تُ بأنّي لها من المُلاّكِ
كلّ ظبي في أسرِ رِقّي . ولكنْ   ما لأسري في حبّهِ مِن فكاكِ
أينَ حسنُ الأعرابِ من حسنِ أسدَ   أفرغَتْ في قوالبِ الأملاكِ
فإذا غُوزِلوا ، فآرامُ سِربٍ ،   وإذا نُوزِلوا ، فأسدُ عِراكِ
وإذا نُورُهم ثنى اللّيلَ صُبحاً .   أخذوا ثارَ مَن ذُكي بالمَذاكي[1]
كلّ طفلٍ يَخجلُ أن يَحكيَ البَد   رَ ، ولكن له البُدورُ تُحاكي
بثُغورٍ لم يعلُها قَشَفُ النّحـ   لِ ، ولم تَجلُها يَدٌ بسواكِ[2]
وعيونٍ كأنّما الغُنجُ فيها   رائدُ الحَتفِ ، أو نَذيرُ الهَلاكِ
وقدودٍ كأنّما شُدّ عَقدُ الـ   بند منها على قَضيبِ أراكِ
كِدتُ أنجُو من القُدودِ ولكن   أدركتني فيها بطَعنٍ دِراكِ
قُل لساجي العيونِ قد سلبَتْ عيـ   ناك قلبي ، وأفرَطتْ في انتهاكي
فابقِ لي خاطراً به أسبُكُ النّظـ   مَ وأثني على فتى السُّبّاكِ[3]
حاكمٌ مَهّـدَ القَضاءَ بقلبٍ   ثاقبِ الفَهمِ نافِذِ الإدراكِ
فكرَةٌ تحتَ مُنتَهَى دركِ الأر   ضِ وعزْمٌ في ذُروَةِ الأفلاكِ
مُذْ دَعَتهُ الأيّامُ للدّينِ تاجاً .   حسَدَ الدّينَ فيهِ هامُ السِّماكِ
رتبَةٌ جاوَزَتْ مَقامَ ذوي العلـ   مِ . وفاقتْ مَراتبَ النُّسّاكِ

---

١ قوله : من ذكي بالمذاكي ، هكذا في الأصل ، والمذاكي : الخيول التي تم سنها وكملت قوتها ، ولعله أراد هنا الجمار المشتعلة من ذكت النار : اشتد لهيبها .

٢ القشف : سوء الحالة وضيق العيش . النحل : الهزال .

٣ فتى السباك : أراد أنه الفتى الذي ينظم في مدحه سباك الشعر .

ذو يَراعٍ راعَ الحَوادثَ لمّا ... أضحكَ الطِّرسَ سعيُه وهوَ باكِ
بمعانٍ لو كنَّ في سالفِ العَصْـ ... ـرِ لسكّتْ مَسامعَ السّكّاكِ[1]
زادَ قَدري بحبّه ، إذ رأى النّا ... سُ التزامي بحبّهِ وامتساكي
مذهبٌ ما ذهبتُ عَنه ودِينٌ ... ما تَعرّضْتُ فيهِ للإشراكِ
أيّها الأروَعُ الذي لَفظُهُ والـ ... ـفضلُ بينَ الأنامِ زاهٍ وزاكِ
إن تَغِبْ عن لِحاظِ عَيْني ، فللقلـ ... ـبِ لِحاظٌ سريعةُ الإدراكِ
لم تَغِبْ عن سوى عيوني ، فقلبي ... شاكرٌ عن عُلاك ، والطَّرفُ شاكِ

حاكم رأيه سراج

وقال وكتب إلى قاضي القضاة بماردين شمس الدين عبد الله بن المهذب قدس الله روحه عند قدومه من مكة شرفها الله سنة خمس وعشرين وسبعمائة :

سلَبَتنا فَواتكُ اللّفتَاتِ ، ... إذ سَبَقنا بالحَيفِ كلَّ فَتاةِ
فجَهِلنا الهَوى ، ولم نَدرِ أنَّ الأُ ... سد تَغدو فرائسَ الغاداتِ
بجفونٍ ، لها فُتورُ ذوي السّكـ ... ـرِ على ضُعفِها وفتكُ الصُّحاةِ
وعيونٍ في لحظهنَّ سُكونٌ ، ... هوَ في الفَتكِ أسرَعُ الحَرَكاتِ

---

1 سكت : سدت . السكاك : كان من علماء البيان .

قلْ لذاتِ الجَمالِ إذ رُمتُ إنجا ... زَ عِداتي ، فأصبَحتْ من عِداتي
يا شَبيهَ القَناةِ قَدّاً وليناً ، ... إنّ لَيلي في طُولِ ظلّ القَناةِ
بعدَما كانَ من وِصالك في الغُمـ ... ـضِ قصيراً ، شبيهَ ظِفرِ القَطاةِ
وديارِي ما بَينَ دِجلَةَ والصّيـ ... ـرَةِ ، لا بَينَ دِجلةَ والصَّراةِ
وورودي من عَينِ دجلَةَ والفِر ... دَوسِ ، لا نهرِ بنّةٍ والفُراةِ[1]
بَينَ قومٍ لستُ المَلومَ ، إذا أذ ... هبتُ نَفسي علَيهِمُ حَسَراتِ
وارتشافي من خَمرِ فيكِ وقَلبي ... آمِنٌ من طوارقِ الحادِثاتِ
لستُ أخشَى مع رشفِ فيكِ منالحتـ ... ـفِ لأنّي ورَدتُ عَينَ الحَياةِ
من فَمٍ ما رشَفتُ ، قبلَ ثَنايا ... هُ ، جُماناً مُنَضَّداً في لِثـاتِ
لا أرى غيرَ فيكِ أجدَرَ بالتّقـ ... ـبيلِ ، إلاّ أكفَّ قاضي القُضاةِ
ذي المعالي فتى المهذَّب شمس الدّ ... ينِ ربّ المَناقبِ الباهراتِ
حاكِمٍ رأيُهُ ، إذا أُشكِلَ الأمـ ... ـرُ ، سِراجٌ في ظُلمةِ المُشكِلاتِ
ذو علومٍ ، إذا تَلاطمَ موجُ الشـ ... ـكّ كانتْ للخَصمِ سُفنَ النّجاةِ
لو أعـارَ الظّلامَ أخلاقَـه الغُـ ... ـرّ لأغنَتْ به عن النّيّراتِ
قَرَنَتْ كفُّهُ الإجادَةَ بالجُو ... دِ ، وحُسنَ الخِلالِ بالحَسَناتِ
كلّما جَمّعتْ شَمائلُهُ الفَضـ ... ـلَ تَداعَتْ أموالُهُ بالشّتاتِ
ذو يَراعٍ يُبدي إذا أمطرَ الطّر ... سُ رِياضاً أنيقَةَ الزّهَراتِ
بمَعانٍ تُضيءُ في ظُلمةِ الحِبـ ... ـرِ شبيهَ الكَواكِبِ الزّاهراتِ

---

[1] قوله : الفراة بالتاء المربوطة ، هكذا في الأصل ، ولعله نهر غير الفرات .

أخبرَتنا عُذوبَةُ اللّفظِ منها أنّ عَينَ الحَياةِ في الظّلماتِ
أيّها المُرسَلُ الذي آمَنَ النّا سُ بآياتِ فَضلِهِ البيّناتِ
كم صِيامٍ قرَنتَهُ بقيامٍ ، وصَلاةٍ وصَلتَها بصِلاتِ
ومَساعٍ قد أشرِكَ الملكُ الصّا لحُ في باقياتِها الصّالحاتِ
فقصَدتَ البَيتَ الحَرامَ ، فأقصَد تَ بسَهمِ الرّدى قُلوبَ العُداةِ
ولكَمْ قد حرَمتَ في يَومِ أحرَم تَ لذيذَ الكَرى عيونَ البُغاةِ
ثمّ لبّيتَ مُنعِماً ، حينَ لَبّي تَ ، نِدا مَن دَعاكَ للمَكرُماتِ
وتَقَدّمتَ للطّوافِ فأطفَأ تَ لهيبَ الهمومِ بالخُطواتِ
واستَلَمتَ الرّكنَ العَتيقَ فأسلم تَ قلوبَ العُداةِ للحَسَراتِ
وسَعَيتَ السّعيَ الحَنيفَ وكم قد جُزتَ في المَكرُماتِ سَعيَ السّعاةِ
ولكَم قد قصَرتَ ساعةَ قصّرْ تَ على الخَوفِ أنفُساً قاصراتِ[1]
ومُنى النّفسِ في نزولِ مِنًى نلْ تَ برُغمِ الأعداءِ والشُّمّاتِ
ورَمَيتَ الجِمارَ في كَبِدِ الأع داءِ ، لمّا رَميتَ بالجَمَراتِ
ولكَم قد أفضتَ من فيضِ إنعا مكَ ، لمّا أفضتَ من عرَفاتِ
ورأيتَ الثّناءَ أبقَى من الما لِ ، فغادَرتَهُ هَباً بالهِباتِ
إنّما الطّيّباتُ للطّيّبينَ الا أصلِ ، والطّيّبونَ للطّيّباتِ[2]

---

١ قصرت : حبست . قصرت : أمسكت عن الأمر مع القدرة عليه . القاصرات ، الواحدة قاصرة الطرف : لا تمد عينيها إلى غير بعلها . ولعله أراد قاصرة : أي غير رشيدة .
٢ قوله : الطيبين الأصل ، هكذا في الأصل ، والوجه طيبي الأصل ، ولعله أراد أن يذكر الآية كما وردت .

لا تَسُمنا قَضاءَ حقّك بالأشـ ـعارِ ، يا كاملَ الصِّفا والصِّفاتِ
لو نَظَمنا النّجومَ فيكَ عُقوداً ، ما قَضينا حقوقَكَ الواجباتِ

كرر اللوم عليه

وقال وقد أنشده القاضي علاء الدين بن الأثير كاتب السر بمصر المحروسة أبياتاً لأحد المغاربة من أهل عصره :

كاتم الدمع هواه فوشى ، وسقاه الحب كأساً فانتشى

وكان معجباً بهذه الأبيات وسأله أن ينظم على نمطها فاستمهله يومين ونظم فيها فقال :

كَرّرِ اللّومَ عليهِ إنْ تَشا ، فهوَ صَبٌّ بحُمَيّاهُ انتَشَى
هزّهُ بل أزّهُ ذكرُ الحِمَى ، فتَثَنّى طَرَباً ، بل رَعَشَا[1]
كادَ أن يَقضي فجَدّدتُ لهُ ذِكرَ سكّانِ الحِمى ، فانتَعَشَا
لستَ عندي عاذِلاً بل عاذِلٌ ، سُرّ بالذّكرى فوَشّى ، إذ وَشَى
مُغْرَمٌ حاولَ كِتمانَ الهوى ، وشهودُ الدّمعِ لا ترضى الرُّشَى
شامَ برقَ الشّامِ صُبحاً ، فصَبا وتَراءاهُ عِشاءً ، فعَشَا
لاحَ ، واللّيلُ بهِ مكتَهِلٌ ، وجَنينُ الصّبحِ حملٌ في الحَشَا
وهلالُ الأفقِ يحكي قوسُهُ جانبَ المِرآةِ يَبدو من غِشَا

1 أزه : أغراه .

وحكَى كَيوانُ صَقراً لائذاً　بجَناحِ النّسرِ لمّا فرَشَا
وكأنّ المُشتري ذو أمَلٍ　نالَ حَظّاً، ومن البدرِ ارتَشَى
وحكَى المِرّيخُ في صَنعَتِهِ　خَدّ مَحبوبٍ بلَحظٍ خُدِشَا
وسهَيلٌ مثلُ قلبٍ خافِقٍ　مُسكَنَ الرّعبُ به ، فارتَعَشَا
وبناتُ النّعشِ سِربٌ نافِرٌ　هامَ ذُعراً ومن النّسرِ اختَشَى
والثّرَيّا سَبعَةٌ قد أشبَهتْ　شكلَ لَحيانٍ بتَختٍ نُقِشَا
ووميضٌ غادَرَتْ غُرّتُه　أدهَمَ اللّيلِ صَباحاً أبرَشَا
طَرّزَ الأُفقَ بنورٍ ساطِعٍ ،　أدهَشَ الطّرفَ بَلا بل أجهَشَا
فتَلاهُ من دُموعي وابِلٌ　لا يَزيدُ القَلبَ إلاّ عَطَشَا
طَبّقَ الآفاقَ حتى خِلتُهُ　من نَدى أيدي عَليٍّ قد نَشَا
كاتبُ السرّ الذي في عصرِهِ ،　سرُّ دَستِ المُلكِ يوماً ما فَشَا
يَقِظُ الآراءِ ،مَسلوبُ الكَرى ،　مُستجيشُ العزمِ ، متعوبُ الوَشَا[1]
فالأماني من عَطاهُ تُرتجَى ،　والمَنايا من سَطاهُ تُختَشَى
خُلُقٌ لو يَقتَدي الدّهرُ بهِ　كحاَتْ أصباحُهُ كلّ عِشَا
ذو يَراعٍ راعَ آسادَ الشّرى ،　وحَشا الأعداءَ رُعباً قد حَشَا
لا يُراعي ذِمّةَ الأُسدِ التي　بَينَها في الغابِ قِدماً قد نَشَا
ظَلّ للأُسدِ بهِ مُفترِساً ،　ولأطوادِ العُلى مُفترِشَا
أصبَحَ العَضبُ بهِ مُرتَعِداً ،　وانثنى اللّدنُ بهِ مُرتَعِشَا[2]

---

١ الوشا : كثرة الابل ، والمعنى غامض .
٢ العضب : السيف . اللدن : الرمح .

فإذا أوحَى إلَيــهِ أمرَهُ جاءَ طوعاً وعلى الرّأسِ مشَى
كلّما تاهَ جِماحاً صَدرُهُ ، صرّفتهُ كفُّهُ حيثُ يشا
كفَلَ الأيّامَ إلاّ أنّــهُ أيتمَ الأطفالَ لمّا بطشا
عربيٌّ واطىءٌ رُوميّــةً يُنسِلُ الزّنجَ لها والحبَشا
يُصبحُ الرّوضُ هَشيماً كلّما رقمَ الطّرسَ به ، أو رقَشا
ما رأينا قبلَه ليثَ شرًى حملَتْ يُمناهُ صِلاً أرقَشا
أيّها القاضي الذي كادَ القضا ، ويدُ الأقدارِ تقضي ما يشا
جُدتَ لي بالودّ من قبلِ النّدى مُنعِماً بالقُربِ لي بل مُنعِشا
وبسطتَ الأنسَ لي في زمَنٍ كنتُ من ظلّي به مُستوحِشا
فسأجلو ذكرَكم في موطِنٍ يحمدُ السّامعُ فيهِ الطّرَشا
إنّما الذّكرُ ، طَليقاً ، مُقعَدٌ ، فإذا قُيّدَ بالشّعرِ مشَى
فاستمعْ لابنةِ يومَيْها التي جُمّلَ الفكرُ لها بل جُمّشا
وابقَ في عزٍّ مُقيمٍ ظِلُّهُ ، بسَطَ الأمنُ لهُ ، فافترَشا
مستظِلاً دوحةَ المجدِ التي ثبتتْ أصلاً ، وطابتْ عُرُشا[1]

[1] العرش ، الواحد عريش : البيت يستظل به مثل الخيمة .

ربما كبت الجياد

وقال وكتب بها إلى الصاحب المعظم شمس الدين بن عبسون مستوفي سنجار قبل الاجتماع به وقد بلغه شكره وإنعامه ويتشوقه ويعتذر إليه من جوازه بظاهر سنجار ولم يدخلها ليراه :

ما كنتُ أعلَمُ ، والضّمائرُ تَنطِقُ ، أنّ المَسامعَ كالنّواظرِ تَعشَقُ
حتى سمعتُ بذكركم ، فهويتكم ، وكذاكَ أسبابُ المَحبّةِ تَعلَقُ
ما ذرّ من أرضِ الغَنيّةِ شارِقٌ ، إلاّ وكدتُ بدمعِ عيني أشرَقُ
شوقاً إلى أكنافِ رَبعكُمُ الذي كلّي إليهِ تَشَوّفٌ ، وتَشَوّقُ
أسري وأسري مُوثَقٌ بيدِ الهوَى ، فمتى أسيرُ أنا الأسيرُ المُطلَقُ[1]
فلئن عثرتُ بأن عَبَرْتُ ، ولم أبِتْ ، بغِناكَ ، ذا حَدقٍ بمجدِكَ تحدِقُ
فاعذِرْ جَواداً قد كَبا في جَريه ، فلربّما كَبَتِ الجيادُ السُّبّقُ

---

١ اسري الاولى : اسير في الليل . الثانية : من اسره قبض عليه .

جن الظلام

وقال وكتب بها إليه بعد الاجتماع
به وكان لهجاً بأبيات ابن الحريري
ذات الوزنين :

جَنَّ الظَّلامُ ، فمذ بدا   متبَسِّماً   لاحَ الهُدى   وتجلَّتِ الظَّلماءُ
وهدَتْ محبّاً ظَلَّ في   ليلِ الجفا   لمّا هَدا   وامتَدَّتِ الآناءُ[1]
رَشأٌ غدا من سُكرِ خَمـ   رَةِ ريقِهِ   متـأوِّدا   فكأنّها صَهباءُ
وسرَتْ بخدَّيهِ المُدا   مُ بلُطفِها   فتَـورَّدا   وكَساهما اللألاءُ
وافى يُعيدُ من التواصل   ضِعفَ ما   منهُ بَدا   إذ صَحَّ منهُ وَفاءُ
فألَمَّ بي طَوعاً وبا   تَ لساعدي   متوسِّـدا   وفراشُه الأعضاءُ
عانَقتُـهُ متَرَفِّقاً   وضَمَمتُـه   متـأيِّـدا   إذ نامَتِ الرُّقَباءُ
حتّى اغتدى من ساعديَّ   موشَّحـاً   ومُقلَّـدا   وقد اعتراه حَياءُ
وسطا الضِّياءُ على الظَّلا   مِ وحبَّذا   لو يُفتَدى   وله النُّفوسُ فداءُ
لم أدرِ ، ضوءُ الصُّبحِ أقْـ   بَلَ جَيشُهُ   متَبَدِّدا ،   ولهُ الشُّعاعُ لواءُ
أو نورُ شمسِ الدِّين قد   جلّى الدجى   لمّا بَدا   وله القلوبُ سماءُ
شمسٌ إذا ما راحَ تر   قُبُهُ العُلى   وإذا غَدا   فكأنّها الحرباءُ
وإذا تَدَرَّعَ فالسَّما   حةُ دِرعُه ،   وإذا ارتدى   فله الجَمالُ رِداءُ

---

[1] الآناء ، الواحد أنى : كل الليل أو جزء منه .

من آلِ عَبسونَ الذيـ ن إذا انتَمَوا عبَسَ الرّدى وتولّتِ اللأواءُ[1]
وإذا سطَوا بكتِ السيو فُ وإنسخَوا ضَحِكَ الندى وتجلّتِ الغمّاءُ[2]
قومٌ بهم تُجلى الكُرو بُ ومنهمُ يُرجَى الجدا إن ضَنّتِ الأنواءُ
فنَداهمُ قبلَ السؤا لِ وجَودُهم قبلَ النّدى وكذلكَ الكُرَماءُ
وهم مُنًى لمن اعتفى ومَنيّـةٌ لمن اعتَدَى فسَعادَةٌ وشَقاءُ
مولايَ شمسَ الدّينِ يا مَن كفُّهُ يَروي الصّدى وبها العُداةُ ظِماءُ
أشكو إليكَ غريمَ شَو قٍ قد غَدا متَمَـرّدا ما عندَهُ إغضاءُ
شَوقي إلى علياكَ أعـ ظَمُ أن يُرى متَعَـدّدا ويعمّهُ الإحصاءُ
فاسلَمْ ، فإنّكَ خيرُ مو لًى يُرتجَى أو يُجتَدى ولكَ اليدُ البيضاءُ
لا زالَ غَيثُ نَداكَ يَمـ طِرُ فِضّةً ، أو عَسجَدا تَغنى بهِ الفقراءُ[3]

---

١ اللأواء : الشدة ، الضيق .
٢ الغماء : الحزن .
٣ العسجد : الذهب .

شر عين الكمال

وقال وكتب بها جواب أبيات
وصلته من الشيخ مجيد الدين الخياط
الدمشقي من بحر المديد وكان لهجاً به
متحدثاً بنظمه :

أَلآلٍ أشرَقتْ في نحُورٍ أم نجومٌ أشرَقتْ في لَيالي
أم فصولٌ من خَواطرِ مولًى ذي مَقامٍ في العُلى ومَقالِ
كم بنَتْ بالفِكرِ بَيتَ مَعانٍ ، وانثنَتْ بالذّكرِ بيتَ مَعالي
نفثُ أقلام خِفافٍ نحافٍ ، كم أبادَت من خطوبٍ ثِقالِ
وقِصارٌ في الأكفّ ولكنْ قصّرَتْ فعلَ الرّماحِ الطّوالِ
تَجعَلُ الغُمضَ علَينا حَراماً ، كلّما جاءَتْ بسِحرٍ حَلالِ
قيّدَتني بالجَميلِ ، ولكنْ أطلَقَتْ بالشّكرِ فيهِ مَقالي
أمتَنَتني غيرَ أنّي عليهِ خائِفٌ من شرّ عَينِ الكَمالِ
فاعفُ مولايَ مُحبّاً ثَناهُ عن ثَناهُ فيكُمُ شُغلُ بالِ
ذا هموم ، قلبُهُ في اشتغالٍ ، ولظَى أحزانِهِ في اشتِعالِ

قوت القلوب

وقال وكتب بها إلى الشيخ الأديب
العالم الكامل جمال الدين بن نباتة
المصري بدمشق :

مَن لصَبٍّ أدنَى البعادُ وفاتَه ، إذ عَداهُ وصلُ الحَبيب وفاتَه[1]
فاتَهُ من لِقا الأحبّـةِ عَيشٌ ، كان يخشَى قَبلَ الوَفاةِ فَواتَه
كان ثَبتاً قبلَ التّفرّقِ لكِنْ زَعزَعَتْ روعةُ الفراقِ ثَباتَه
سرَّهُ جَمعُ شملِهِ بلِقاهم ، فقضَى حادثُ الزّمانِ شَتاتَه
ما عصَى الحبَّ ، حينَ أطنَبتِ الوا شونَ فيهم ، ولا أطاعَ وُشاتَه
سرَّهُ ذكرُهم ، وقد ساءَه اللّو مُ ، فأحياهُ عَذلهُمْ وأماتَه
أظهَروا لي تَملّقاً واكتِئاباً هوَ عندي تَهَكّمٌ ، وشَماتَه
فصَمتْ شدّةُ الهمومِ عُرى القلـ بِ وأصدى مرأى العِدى مِرآتَه
كيفَ تَفري الهمومُ حدَّ اصطباري بعدَما فَلّتِ الخطوبَ شَباتَه
كنتُ مُستَنصِراً بأسيافِ صَبري ، فنبَتْ بعدَ فُرقَةِ ابنِ نُباتَه
فاضلٌ ألّفَ الفَصاحةَ والعِلـ مَ وضَمّتْ آراؤهُ أشتاتَه
وهَبَتهُ العَلياءُ همّةَ قَلبٍ طهّرتْ من شَوائبِ العَيبِ ذاتَه
ربّ شعرٍ لم يتّبعْ ما روى الغـا وونَ لكن بالفضلِ يَهدي غُواتَه
ومَعانٍ تُضيءُ في قالبِ اللّفـ ظِ ، فيَجلو مِصباحُها مِشكاتَه

---

[1] الوفاة الأولى : الموت . الثانية من فاته الأمر : أعوزه وذهب عنه .

وإذا هـَذ َّبَ الرّواةُ قَريضاً فيه ِ قد هـَذ َّبَ القـَريضُ رُواتـَه

صارِمٌ في مَعارِكِ اللّفظِ والفـَضْلِ حَـمِدنا انغمادَه وانصِلاتـَه

قد سبَرْنا حدّيه في النّظمِ والنّثْرِ ، فكانتْ بتّاكةً بتّاتـَه[1]

يا جَمالَ الدّينِ الذي أحرَزَ السّبْقَ ، ولا يُعثِرُ الجيادُ أناتـَه[2]

أنتَ قوتُ القلوبِ لو كنتَ أعطَيْتَ لحبٍّ من أُنسِكم ما فاتـَه

ورسولٌ منكم تعَجبتُ منهُ حينَ حانَتْ منّي إليه ِ التفاتـَه

جاءَ يُهدي إلى الصّحابِ طُروساً ليسَ للعَبدِ بَينَهنّ حُتاتـَه[3]

فتأمّلتُ في يَديه ِ خُطوطاً أذكَرَتني من رَبّها أوقاتـَه

لو بعثتم للعَبدِ فيهـا سحاةً لأعادَتْ ، بعدَ المَماتِ ، حَياتـَه[4]

فتَفَضّلْ بالأُنسِ واهدِ إلى عَبْدِكَ من مِسكِكَ الزّكيّ فُتاتـَه

لكَ من وافرِ العلومِ نِصابٌ ، فاجعَلِ الرّدّ للجَوابِ زَكاتـَه

---

١ البتاكة والبتاتة : القاطعة .

٢ الأناة : الوقار والحلم .

٣ الحتات : ما تناثر من الشيء .

٤ السحاة : نبت شائك ، ولعلها مسهل سحاءة من سحاه : قشره .

لك القلم

وقال وكتب بها جواباً للصدر الكبير
العالم شمس الدين بن تتر كاتب السر
بالرحبة المحروسة عن أبيات أرسلها
إليه في هذا البحر :

كتبتَ فما علمتُ أنُورُ نَجمٍ بدا لعيونِنا أم نَورُ نَجمِ[1]
فأسرَحَ ناظري في وشيِ روضٍ وألقَحَ خاطري من بعدِ عُقمِ
وقَسَّمتُ التّفَكّرَ فيهِ لمّا أخَذتُ بهِ من اللّذّاتِ قِسمي
فلَم أعجَبْ لذلك ، وهوَ دُرٌّ ، إذا ما جاءَ من بَحرٍ خِضَمّ
أشمسَ الدّينِ كم من شمسِ فضلٍ بها جلّتْ يَداكَ ظَلامَ ظُلمِ
نظَمتَ من المَعالي والمَعاني بَدائعَ حُزنَ عن نَثرٍ ونَظمِ
لكَ القَلَمُ الذي قصُرَتْ لدَيهِ طِوالُ السُّمرِ في حَربٍ وسِلمِ
يراعٌ راعَ بالخُطَبِ الزّواهي جسيمَ الخَطبِ ، وهوَ نحيفُ جسمِ
ففي يَومِ النّدى يجري ، فيُجدي ؛ وفي يومِ الرّدى يَرمي ، فيُصمي
ويُرسلُ في الورى وَسميَّ جودٍ ، ويَنفُثُ في العُداةِ زُعافَ سُمّ
ويُطلعُ في سَماءِ الطّرسِ شُهباً ثَواقبُها لأُفقِ المُلكِ تَحمي
إذا رامَ استراقَ السّمعِ يوماً رجيمُ الكَيدِ عاجلَهُ برَجمِ
فَيا مَن سادَ في فَضلٍ ولَفظٍ ، كما قد زادَ في عمَلٍ وعِلمِ

---

[1] النور : الزهر . النجم الثانية : النبات .

لقــد بسَمَتْ لنا الأيّامُ لمّا بَذَلتَ لَنا مُحيّاً غيرَ جَهمِ[1]
وشاهدَ ناظري أضعافَ ما قــد تفرّسَ قبلَ ذلك فيكَ فَهمي
فكيفَ أرومُ أن أجزيكَ صُنعاً ، وأيسرُ صُنعكَ التّنويهُ باسمي
فعلّكَ أن تُمَهّدَ بَسطَ عُذري، لمَعرفَتي بتَقصيري وجُرمي
فمثلُكَ مَن تَرفّقَ بالمَوالي ، وغضّ عن المُقصّرِ جَفنَ حِلمِ
ودُم في سَبقِ غاياتِ المَعـالي ، تُصَوِّبُ للفَخارِ جَوادَ عَزمِ

يا خليلي

وقال وكتب بها إلى صاحبه الحاج مجد الدين بن شيخ التل ببغداد وكان واعده الاجتماع بمدينة أياس وتأخر عن السفر إليها يشتاقه ويعرض بعزمه على العود إلى ماردين ويذكره أوطاره بها ويداعبه :

طَمَعي في لِقاكَ ،بَعدَ إياسِ ، هو أغرى قلبي بقصدِ أياس
ولو انّي علمتُ أنّكَ بالزّو راءِ وافَيتُها بعَيني وراسي
وكذا في دِمَشقَ لولاكَ ما أو ردتُ خَيلي بها على بانياسِ
بل توَهّمتُ أن تَعودَ إلى الشّا م ، فوافَيتُها على سِيواسِ

---

[1] الجهم : العابس .

يا خليلي من دونِ كلِّ خليلٍ ، وأنيسي من دونِ أهلي وناسي
لا تكن ناسياً لعهدي ، فإنّي لستُ ما عشتُ للعهودِ بناسي
قس ضميري على ضميرك في الوُدّ ، فإنّ الوِداد علمُ قياسِ
واعتمِد موقِناً على صِدقِ وُدّي ، لا على ما يضمّه قرطاسي
لو تراني كما عهِدتَ من اللّذّةِ بينَ القِسّيس والشمّاسِ
أشتري التّبرَ باللُّجيْنِ ، ولا أفرقُ ما بينَ عسجدٍ ونحاسِ
فتراني يوماً بخمّارةِ النّهرِ ، وطوراً بحانةِ الدّرباسِ
فأناسٌ تلومُ في نقصِ كيسي ، وأناسٌ تلومُ في ملءِ كاسي
ذاكَ خيرٌ من خِدمتي لأناسٍ هم إذا ما اختبرتُ غيرُ أناسِ
يستقلّونَ ما بذلتُ من النّصحِ ويستكثرونَ فضلَ لِباسي
ولو انّي أفوهُ فيهِم بلفظٍ ، كادَ أن ينسفَ الجبالَ الرّواسي
فسأفني ما قد حويتُ ولا أذخرُ فلساً لساعةِ الإفلاسِ
وإذا ما غرِقتُ في لُججِ الهمّ ، ففي ماردينَ ملقى المراسي
بلدةٌ ما أتيتُها قطّ إلاّ خِلتُها بلدتي ومسقطَ راسي
بذلوا لي معَ السّماحةِ وداً ، هوَ منهم يزيدُ في إيناسي
فنهاري جليسُ ليثِ عرينٍ ، ومسائي ضجيعُ ظبيٍ كِناسِ
فأناسٌ تقولُ يا أبا فراسٍ ، وأناسٌ تقولُ يا أبا نُواسِ[1]
لستُ أشكو بها من العيشِ إلاّ أنني لا أراكَ في الجُلاّسِ

---

١ قوله : يا أبا ، هكذا في الأصل .

سيّدي صاحبي أنيسي جليسي ، طوقُ جيدي مُعاشري تاجَ راسي
لا يُغيّرْكَ ما تقولُ الأعادي ، فبناءُ الوَدادِ فوقَ أساسِ
أو نفاري عليكَ من نصَبِ الدّر بِ ، بحَسبِ الإدلالِ والإيناسِ
أو خصامُ الشّهباءِ في يومِ إخرا جِ غُلامي بها إلى النخّاسِ
ذاكَ هَفْوُ اللّسانِ من حدّة الغي ظِ لأنّ الفضولَ مثلُ العُطاسِ[1]
يا نسيمَ الشّمالِ إن جُزتَ بالزّو راءِ يوماً معطّرَ الأنفاسِ
زُرْ حَبيباً لنا بدَربِ حَبيبٍ ، واتلُ شَوقي ، وما أبيتُ أُقاسي
صاحباً لم يزَلْ ، إذا دهمَ الهَمُّ ، يُساوي بنفسهِ ويُواسي
وإذا ما قضيتَ تقبيلَ كفّيهِ ، فسلّمْ على فتى الدّرّباسِ
ثمّ صِفْ للجلالِ نجلِ الحَريريّ اشتياقي ، والفخرُ نجلُ الياسِ

فلتة عن غير قصد

وقال وكتب بها إلى صاحبه سيف الدين أبي بكر بن أبي القاسم السلامي ويشتاقه ويداعبه ويعاتبه على انقطاع كتبه :

فَلتةٌ كان منك عن غيرِ قَصدٍ ، يا أبا بكرَ عقدُ بَيعَةِ وُدّي
فلهذا ، إذا تقادَمَ عَهدٌ بيننا حُلتَ عن وَفائي وعهدي

١ معنى العجز غامض .

يا سميَّ الصِّدِّيقِ ، ما كنتَ في صَـ ـدِّكَ إلاَّ مُصَدِّقاً قولَ ضِدِّي
أنتَ ألزَمتَني بأخلاقِكَ الغُـ ـرِّ وَداداً في حالِ قُربي وبُعدي
ثمَّ قاسَمتَني ، فعِندَكَ قلبي حينَ فارقتَني ، وذِكرُكَ عندي
كلَّ يومٍ أقولُ : قد قال مولايَ ، وما قلتُ ساعةً : قال عَبدي
يا نَديمي ، إذا تَفَرَّدَ بي الفِكـ ـرُ ،ويا مُؤنسِي ، إذا كنتُ وحدي
أنتَ تَدري ما كان بعدَكَ حالي ، فتُرى كيفَ كان حالُكَ بعدي ؟
هل تُقاسي الحنينَ مثلي ، وهل تحـ ـمِلُ شَوقي ،وهل تكابدُ وَجدي
فتُرى لِمْ قطَعتَ كُتبي وقطّعْـ ـتَ حِبالَ الوَفا بإخلافِ وعدي
لا كتابٌ به ابتدأتَ ، ولا ردٌّ جَوابٍ ، ولو بحَبّةِ وَرْدِ
ويكَ أنّى لكَ الجُزارةُ والحُمـ ـقُ؟ أجِبني ،وأنتَ في ذاك جندي[1]
أنا أولى بهـا لعِدّةِ أقسـا مٍ جِسامٍ لكن أُسِرُّ وتُبدي
ما سَرايا أبي ، وما ابنُ أبي القا سم عمّي ، وما مَحاسنُ جَدّي[2]
كما قيلَ يقولُ : تَدبيرُ قَيسِ الـ ـرَّأيِ دوني وبأسُ عمرو بن مَعدي
غيرَ أنّي مُذ أطلَقَتْ نُوَبُ الأ يّامِ حدّي ما جُزتُ بالحمقِ حدّي
بل تَعَوّدتُ أن أُصغّرَ قَدري لصَديقي ، ولا أُصعّرَ خَدّي
فلَئنْ كان منكَ ذلكَ بالقَصدِ ، ولم تَخشَ من صَواعقِ رَعدي
لا أُجازيكَ بالإهانَةِ والسّـ ـبِّ، ولكن جزاك يا نَحسُ عندي

---

١ الجزارة بضم الجيم : ما يأخذه الجزار أجرة الذبح كاليدين والرجلين والرأس . وبالكسر : حرفة الجزار .

٢ السرايا ، الواحدة سرية : القطعة من الجيش .

كلام شبيه الكلوم

وقال وكتب بها إلى الأديب الفاضل شمس الدين محمد بن المعجونة الكاتب الموصلي وكان ورد منه رسول يدعى إبراهيم يكتب إلى الإخوان بماردين ولم يكن له معه كتاب وأخبره بأنه تزوج بالموصل يداعبه ويذكر محبوباً كان له اسمه موسى :

لو بَعَثْتم في طَيِّ نَشْرِ النَّسيمِ   بسَلامٍ راقٍ لقَلْبي السَّليمِ[1]
لالتَقينا قبولَها بقبولٍ ،   وشُفينا منها ، ولو بالسُّمومِ
ولو أنَّ الرَّسولَ جاءَ بطِرسٍ   لمُحبٍّ من بَينِكم في جَحيمِ
قلتُ عندَ الإيابِ: يا نارُ بَرداً   وسَلاماً كوني لإبراهيمِ
هُدهُدٌ هَدَّ قوَّتي حينَ لَم يُلْ   قِ إلى العَبدِ من كتابٍ كَريمِ
جاءَ يَسعى بكلِّ طِرسٍ نَضيدٍ   جاءَ من لَفظِهِ بدُرٍّ نَظيمِ
بمعانٍ منَ الجَزالَةِ كالصَّخْ   رِ ، ولَفظٍ من رِقَّةٍ كالنَّسيمِ
فتَوَسَّمتُهُ ، فكانَت مَعانيـ   ـهِ لِقاحاً لكلِّ فِكرٍ عَقيمِ
سيِّدي بل سمعتُ عنكَ كَلاماً،   هوَ في مُهجَتي شَبيهُ الكُلومِ
إنَّ مولايَ قد تَوَلَّعَ جَهلاً   بعد سِقطِ اللِّوى بوادي الصَّريمِ
ورَوَوا عَنهُ أنَّ ذاكَ زَواجٌ   ثابتٌ يَقتَضي شُروطَ اللُّزومِ
ثمَّ قيلَ اهتَدى ، فيا لَيتَه دا   مَ على ذلكَ الضَّلالِ القَديمِ

---

[1] السليم : الملسوع .

فتنفّستُ حسرةً ، وتعوّذ تُ من الشرّ بالسّميعِ العليمِ
ربّ رُشدٍ مُلقّبٍ بضلالٍ ، وشقاءٍ مُلقّبٍ بنعيمِ

يا أهيل الود

وقال وكتب بها جواباً لأحد أصحابه بالحلة عن أبيات كتبها إليه من البحر المديد على هذا الروي :

راقني من لفظِكَ المُستطابِ حِكمةٌ فيهِ وفصلُ الخِطابِ
ومعانٍ مُشرِقاتٌ حِسانٌ ، ما تَوارتْ شمسُها في حِجابِ
هيَ للواردينَ ماءٌ زُلالٌ ، وسواها لامِعٌ كالسّرابِ
جالَ ماءُ الحُسنِ فيها كما قد جالَ في الحسناءِ ماءُ الشّبابِ
ما رأينا قبلَها عِقدَ دُرٍّ ضمّهُ في الطّرسِ سطرُ كِتابِ
صَدرَتْ عن لفظِ صاحبِ فضلٍ هوَ عندي من أكبرِ الأصحابِ
فتأمّلتُ وأمّلتُ منهُ جمعَ شملي في عاجلٍ واقترابِ
ثمّ قابلتُ أيادي ثناهُ بدُعاءٍ صالحٍ مُستجابِ
يا أُهيلَ الودّ أنتم مُرادي ، وإليكم في العلاءِ انتِسابي
ذكرُكم لي شاغلٌ في حُضوري ، وثناكم مؤنسي في اغترابي

الصاحب المعظم

وقال وكتب بها جواباً إلى الصاحب المعظم تاج الدين بن البارنيادي كاتب السر الشريف بطرابلس عن أبيات وصلته منه أولها :

من وفي إلى صفي مصاف ، حسن الذكر كامل الأوصاف

فأجـاب :

نِلتُ من ودّكَ الجميلِ انتصافي ، حيثُ من سائرِ القذى أنتَ صافي
وتيَقّنتُ مُذ أذِنتَ اكتُبي أن تُوافي ، بأنّ لي أنتَ وافي
حَمَلَتها قَوادِمٌ مِن وَفاءٍ ، وخَوافٍ للودّ غيرُ خَوافِ[1]
أيّها الصّاحبُ المُعَظّمُ تاجُ الـ ـدّينِ ربّ الإسعادِ والإسعافِ
لا تَظُنّ انقطاعَ كُتْبي بأنّي لكَ جافٍ ، كلاّ ولا مُتَجافِ
ذكرُكم ملءُ مسمَعي ، وسَنا وَجـ ـهكَ تِلقاء ناظري والهوى فيّ[2]
وردَتْ عبدَكَ المُقَصِّرَ أبيـا تٌ فأغنَتهُ عن كؤوسِ السُّلافِ
بقَوافٍ قد رُصّعتْ بالمَعاني ، ومَعانٍ قد فُصّلتْ بالقَوافي
فتَخَيّرتُ ما أقولُ ، وأُهدي نحوَ تلكَ الأخلاقِ والألطافِ
غيرَ أنّي لَفَقّتُ نَذرَ جَوابٍ ، ليَ شافٍ ، وإن غَدا غَيرَ شافِ

١ القوادم : الريشات التي في مقدم الجناح وهي كبار الريش ، والخوافي : صغاره وهي تحت القوادم . الخوافي الثانية من خفي : استتر .
٢ الهوى في : أي في قلبي ، وفي البيت اكتفاء .

فاسخُ لي مُنعِماً بتَمهيدِ عُذري ؛ إنّها من خَلائقِ الأشرافِ
قد شرَحتُ المبسوطَ من قِصرِ عذري، فاعتَبِرْهُ من رأيِكَ الكَشّافِ

عبد يود بقاء رقه

قال وكتب بها في صدر رسالة إلى السلطان الملك الصالح :

من غَرسِ نِعمتِه وتُربِ سَماحِه ، ورَبيبِ دولَتِهِ وراضِعِ جودِهِ
عَبدٌ يَوَدّ بَقاءَ مالكِ رِقّهِ ، عِلماً بأنّ وجودَهُ بوُجودِهِ
يَطوي المَفاوِزَ وهوَ يَنشُرُ فَضلَهُ ، ووِدادُهُ منهُ كحَبلِ وريدِهِ
لا يَستَطيعُ جُحودَ شاملِ بِرّهِ ، عَبدٌ ، قَلائدُ جُودِه في جِيدِهِ

عبد يقبل الأرض

وقال وكتب بها في صدر رسالة أخرى إليه عز نصره :

يُقَبّلُ الأرضَ عَبدٌ تحتَ ظِلّكُمُ ، علَيكُمُ بَعدَ فَضلِ اللهِ يَعتَمِدُ
ما دارُ مَيّةَ من أقصَى مَطالبِه ، يوماً ، وأنتُمْ لهُ العَلياءُ والسّنَدُ

رعى الله من ودعته

وقال في صدر رسالة وكتب بها
إليه عند رحيله من ماردين متوجهاً
إلى مصر :

رَعَى اللهُ مَن وَدّعتُهُ ، فكأنّما ... أُوَدّعُ روحاً بَينَ لحمي وأعظُمي
وقلتُ لقَلبي ، حينَ فارَقتُ مجدَهُ : ... فِراقٌ ومَن فارَقتَ غيرَ مُذَمَّمِ

يا سادة

وقال في صدر رسالة وكتبها إليه
عند عوده من الشام لزوم ما لا يلزم :

يا سادَةً مُذ سعَتْ عن بابهم قدَمي ، ... زَلّتْ ، وضاقتْ بيَ الأمصارُ والطُّرُقُ
قد حارَبَ الصّبرَ والسّلوانَ بعدَكمُ ... قلبي ، وصالحَ طَرفي الدّمعُ والأرَقُ
ودَوحَةُ الشّعرِ مُذ فارَقتُ مجدَكمُ ، ... قد أصبحتْ بهَجيرِ الهَجرِ تحترِقُ
فإنْ أرَدتُمْ لها البُقيا بقُربكُمُ ، ... تَداركوها ، وفي أغصانِها وَرَقُ

هلم إلى ربع الجواد

وقال في صدر شفاعة إليه :

أقولُ لسارٍ يَطلُبُ الرِّزْقَ ساقياً سَوامَ الأماني من حِياضِ المَطامعِ
هلُمَّ إلى رَبعِ الجَوادِ الذي بَدَتْ مَناقبُهُ مثلَ النّجومِ الطّوالِعِ
وربَّ دَليلٍ لي إليهِ أجبتُهُ : كَفاني دَليلاً ما له من صَنائعِ
ومُستَشفِعٍ بي عندَهُ قُلتُ إنّه كَريمٌ ، نَداهُ عندَهُ خيرُ شافعِ

ما اشتقت الحمى

وقال وكتب بها إلى الملك ناصر الدين عمر أخيه وقد طلبه إلى الحمى بماردين وسيرها أمامه :

فواللهِ ما اشتَقتُ الحِمَى لحَدائقٍ بها الدّوحُ يزهى غُصنُهُ ووَريقُه
بل اشتَقتُ لمّا قيلَ إنّكَ بالحِمَى، ومَن ذا الذي ذِكرُ الحِمى لا يَشوقُه

سقى الله

وقال في صدر رسالة وكتبها إلى
السلطان الملك المؤيد عماد الدين صاحب
حماة طاب ثراه :

سقَى اللهُ أرضاً،نورُ وجهكَ شمسُها، وحيّا سَماءً ، أنتَ في أُفقِها بَدرُ
ورَوّى بلاداً ، جُودُ كفّك غيثُها ، فَفي كلّ قُطرٍ من نَداكَ بها قَطرُ

أصبحت كالورقاء

وقال في صدر رسالة أخرى
إليه وهي لزوم ما لا يلزم :

يا سادَةً حُمّلتُ من بَعدِهم ، أكثرَ من عَهدي ومن طَوقي
أصبَحتُ كالوَرقاءِ في مَدحِكم ، لمّا غَدا إنعامُكُم طَوقي
إنّ حَواسي الخَمسَ مُذ غِبتُمُ ، إلَيكُمُ في غايَةِ الشّوقِ
تَحلونَ في عَيني وسَمعي ، وفي لمسي ، وفي شَمّي ، وفي ذَوقي
كَذا جِهاتي السّتّ من بَعدِكم مَملوءَةٌ مِن لاعِجِ الشّوقِ
خَلفي وقُدّامي ، ويُمناي واليسرى ، ومن تَحتي ومن فَوقي

إليك اشتياقي

وقال في صدر رسالة :

إليكَ اشتياقي لا يُحَدّ لأنّــهُ   إذا حُدّ لا يُلفَى لضابطِـهِ أصلُ
وكيفَ يُحَدّ الشّوق عندي بضابطٍ   وليسَ له جِنسٌ قريبٌ ولا فَصلُ

سواد في بياض

ولمّا سطَرْتُ الطّرسَ أشفَقَ ناظري،   وقال لطِرسي : سوفَ أمحوكَ بالهَطلِ
كِلانا سَوادٌ في بَياض ، فَما الذي   تَمُنّ به حتّى تُشاهدَهم قبلي

كل مصور في النار

لا غَروَ أن يَصلى الفؤادُ لبعدِكم   ناراً تُؤجّجُها يَدُ التّذكارِ
قلبي إذا غِبتم يُصَوّرُ شخصَكُم   فيهِ ، وكلُّ مُصَوّرٍ في النّارِ

أحن إليكم

أحِنّ إليكم كلّما ذرّ شارقٌ ، ويَشتاقُ قلبي كلّما مرّ خاطِفُ
وأهتزّ من خفقِ النّسيمِ ،إذا سرَى، ولولاكمُ ما حرّكتني العوَاصِفُ

رعى الله

رعَى اللهُ مَن فارَقتُ يومَ فِراقِهم حُشاشةَ نَفسٍ ودّعتْ يومَ ودّعُوا
ومَن ظَعنتْ روحي ،وقد سارَ ظَعنُهم، فلَم أدرِ أيّ الظّاعِنينَ أشيّعُ

يا بعيداً

يا بَعيداً يَشتاقُهُ لحظُ عيني ، وقَريباً محلُّهُ في فُؤادي
تَشتَهي العينُ أن تَراكَ ولو بِـ ـتُّ مريضاً وأنتَ من عُوّادي
وتمَنّيتُ لو كتبتُ كتابي أنّ إنسانَها مكانَ المِدادِ
لا تظنّ البُعادَ يُخلِقُ عهدي ، أو تحُلّ الأيّامُ عقدَ وِدادي
أنتَ من مُهجتي مكانَ السّوَيدا ءِ ومن مُقلتي مكانَ السّوادِ

ختام الأحلام

م تَخلُ منكَ خَواطري ونَواظري ، في حالِ تَسهادي ، وحينَ أنام
فبِطيبِ ذِكرِ منكَ تَبدأُ يَقظَتي ، وبشَخصِ طَيفِكَ تُختَمُ الأحلامُ

طيب الوصل في الحلم

واللهِ ما سهِرَتْ عَيني لبُعْدِكُمُ ، لعِلمِها أنّ طيبَ الوَصلِ في الحُلُمِ
ولا صَبَوتُ إلى ذكرِ الجَليسِ لكم ، لأنّ ذكرَكمُ في خاطري وفَمي

سلام عليكم

سلامٌ علَيكم من مُحبٍّ مُتَيَّمٍ ، مَشوقٍ إذا جَنّ الظّلامُ لهُ جُنَّا
سلامٌ علَيكم منشجٍ ، كلّما هدتْ من اللّيلِ آناءُ الظّلام لهُ أنّا[1]
سلامٌ علَيكم من غَريٍّ بذكرِكم ، إذا هَبّ خَفّاقُ النّسيمِ له حَنّا[2]

---

١ معنى البيت غامض ، وربما كان فيه تحريف .
٢ الغري : المولع .

سلامٌ علَيكم لا فُجعنا بقُربكم ، ولا قَدّرَ الرّحمنُ بُعدَكمُ عنّا
سلامٌ علَيكم ما حَيِينا، وإن نمُتْ علَيكم سلامُ اللهِ من بعد نا مِنّا

يا بياض البياض

يا بيَاضَ البيَاضِ ! أنتَ من الأعـ يُنِ والقلبِ في سوادِ السّوادِ
طالَ شَوقي إليكَ ، والسرّ خافٍ عن جميعِ الأنامِ ، والشّوقُ بادِ
فلَئن سِرتُ عن حِماكَ وحالَ الـ شّوقُ ما بيَننا بغيرِ مُرادِ
ما تزَوّدتُ مُذ رَحلتُ سوى الهَـ مّ ، فلا تَجعلَنْه آخرَ زادي

أخذت بثأر الدهر

إذا ما تراءَتْ لي مَحاسنُ شَخصِكم يُطالبُني قلبي ويَمطُلُني صَبري
فأُحجِمُ ، لا خلٌ يُعَوِّضُ عنكُمُ لديّ ، ولا وَعدٌ يَقومُ به عُذري
فإنْ سَمَحَ الدّهرُ المُشتُّ بقُربكم ، وأصلَحَ ما قد أفسَدته يدُ الهَجرِ
أخذتُ بثأرِ الدّهرِ من كلّ كاشحٍ ، يَقولُ بأنّ الغَدرَ من شِيَمِ الدّهرِ

بُعد بَعد قُرب

لَئن حكَمَتْ بفُرقَتِنا اللّيالي ، وراعَتنا ببُعدٍ بَعدَ قُربِ
فشَخصُكَ لا يزالُ جَليسَ عيني وذِكرُكَ لا يَزالُ أنيسَ قلبي

كيف أنسى

لَستُ يوماً أنسَى مَوَدّةَ مَولا يَ ، وإن كانَ للمَوَدّةِ أنسِي[1]
كيفَ أنسَى مَن كانَ راحةَ قَلبي وصَفا عَيشَي وجامعَ أُنسِي[2]

شراب الدموع

الشّوقُ أعظَمُ جُملَةً ،يا سيّدي ، مِن أن يُحَدّ يَسيرُهُ بكتابِ
ولَواعجُ البُرَحاءِ أعظَمُ كَثرَةً مِن أن يُحيطَ بها بَليغُ خِطابي
لا بِنتَ يا إنسانَ أعينِ حِبّتي عنّي ، وبيتَ قَصيدَةِ الأصحابِ
لو لم يكُن شربُ الدّماءِ مُحَرَّماً صَيّرتُ بَعدَكمُ الدّموعَ شَرابي

١ أنسي : من النسيان .
٢ أنسي ، من الأنس : ضد الوحشة .

أشكو اليك

أشكو إليكَ اشتياقاً لستَ تُنكِرُهُ   منّي وأبدي ارتياحاً أنتَ تعرِفُه
وأرتجيكَ لعَينٍ أنتَ مانعُها   طيبَ الرّقادِ ، وقلبٍ أنتَ مُتلِفُه
فكلَّ يومٍ مَقالي حينَ يُقلِقُني   قلبٌ لبُعدِكَ باللّقيا أُسوّفُه
لا أوحشَ اللهُ مِمّن لا أرى أحَداً   من الأنامِ ، إذا ما غابَ يَخلُفُه

غاية القرب

ومِن عَجَبي أنّي أحِنّ إليكُمُ ،   ولم يَخلُ طَرفي من سَناكم ولا قلبي
وأطلُبُ قُرباً من حِماكم، وأنتمُ   إلى ناظري والقلبُ في غاية القُربِ

حضور غيب

أفدي الذين قضَتْ لهم أيدي النّوى   بالبُعدِ عن أوطانِهِمْ فتَغَرّبُوا
غابُوا ، ومثّلَ شخصَهم لنَواظري   ذكري لهم ، فهمُ الحضورُ الغُيّبُ

سواد القلب وسواد العين

أيا مَن ضاعَ فيهِ نَفيسُ عُمري، وصَبري بَيْنَ إعراضٍ وبَيْنِ
أراكَ مُمَثَّلاً بسَوادِ قَلبي ، فمن لي أن يراكَ سَوادُ عَيْني ؟

كنت اصبر

قال وكتب بها إلى من دنا داراً وعز مزاراً :

قد كنتُ أصبرُ ، والدّيارُ بَعيدَةٌ ، فاليَومَ قد قَرُبَتْ وصَبريَ فاني
ما ذاكَ من عَكسِ القِياسِ ، وإنّما لتَضاعُفِ الحَسَراتِ بالحِرمانِ

القرب شر من البعد

وما زادَني قُربُ الدّيارِ تَلَهّفاً عليكم ، لأنّ القُربَ شَرٌّ من البُعدِ
ولكنْ ، إذا الظمآنُ شاهدَ مَنهلاً ، على قُربِهِ ، زادَ الحَنينُ إلى الوِردِ

دنوتم فزاد الشوق

دنَوتُم ، فزادَ الشّوقُ عمّا عهِدتُه ، وزِدتُ لقُربِ الدّارِ كَرْباً على كَرْبِ
وكنتُ أظنّ الشّوقَ في البُعدِ وحدَه ، ولم أدرِ أنّ الشّوقَ في البُعدِ والقُربِ

الدنو بعاد

شَوقي إليكم ، والدّيارُ قريبةٌ ، إن قلتُ : زالَ معَ التّقرّبِ
دنتِ الدّيارُ بكم ، وعزّ مزاركم ، حتى توَهّمتُ الدّنُوّ

تباعدتم وأوحشتم

وقال فيمن قدم من سفر ثم سافر على الأثر :

وكنّا سألنا اللهَ يَجمَعُ بَينَنا ، ويَقضي لَنا بالقُربِ منكم ويحكمُ
ونَجلو بأيّامِ السّرورِ ونُورِها لَيالي أحزانٍ ، بها العَيشُ مُظلِمُ
فلمّا أنِسنا منكُمُ بخَلائِقٍ تُصَدِّقُ ما تَروي الخَلائقُ عنكمُ
تَباعَدتمُ ، لا أبعَدَ اللهُ داركم ؛ وأوحَشتمُ ،لا أوحَشَ اللهُ مِنكُمُ

هبة الزمان

نَفسي الفِداءُ لقادمٍ جَذَبَ الفِراقَ بِباعِه
وهبَ الزّمانُ لَنا اللقّا ، ودَعاهُ في استرجاعِه
عانَقتُهُ عندَ القُـدو مِ ، وجَدّ في إسراعِه
فَهوَ اعتِناقُ لِقائِهِ ، وهوَ اعتِناقُ وَداعِه

بأي أرض تموت

وقال وكتب بها يستدعي أحد الأعيان :

ليسَ كلّ الأوقاتِ يَجتَمعُ الشّمـ لُ ، ولا راجعٌ لَنا ما يَفوت
فاغتَنِمْ ساعَةَ اللّقاءِ ، فما تَعـ لمُ نَفسٌ بأيّ أرضٍ تَموتُ

نجل الجياد

لقد جُزتَ في الصّدّ حَدّ الزّيادَه ، فَلا تَجعَلِ الهَجرَ خُلقاً وعادَه
فعندي اشتِياقٌ شَديدٌ إلَيكَ ، وقلبُكَ يَشهَدُ هَذي الشّهادَه

وعَوّدتَني منكَ حُسنَ الوَدادِ ، وما يَطلُبُ القَلبُ إلاّ اعتيادَه
وإنّي عَهِدتُكَ نَجلَ الجِيادِ ، لذلكَ أطلُبُ منكَ الإجادَه
فإنْ أنتَ أتحَفتَني بالحُضورِ ، فمِنْ أينَ للعَبدِ هذهِ السّعادَه ؟

تقبله وقبله

وقال في جواب كتاب من بعض الأعيان :

ما جاءَ عبدَكَ مَسطورٌ بعثتَ به ، إلاّ تَقَبّلَهُ حُبّاً ، وقبّلَه
ولا سمَحتَ بوعدٍ فيه مرتَقَبٍ ، إلاّ تأمّلَهُ عَشراً وأمّلَه
ولا أتيتَ بعُذرٍ عن تأخّرِهِ ، إلاّ تَعَلّلَ باللّقيا وعَلّلَه
ما ضَرّ مولايَ لو زادَ الخطابُ بهِ ، ولو تَطَوّلَ بالحُسنى وطَوّلَه

كتاب هو السحر

أتاني كتابٌ منكَ أحسبُ أنّهُ هوَ السّحرُ لا بل دون مَوقعه السّحرُ
بنَثرٍ يظَلّ النّظمُ يَحسُدُ رَصفَهُ ، ونظمٍ للُطفِ السّبكِ يحسدُهُ النّثرُ
له رِقّةُ الخَنساءِ في حالِ نَوحِها ، ولكنّ مَعناهُ لقُوّتِهِ صَخرُ
إذا شَنّفَ الأسماعَ دُرُّ نِظامِهِ ، تيَقّنَ كلٌّ أنّ مُرسلَهُ البَحرُ

كتبت

كتَبتُ ، فما علمتُ أخطُّ نقشٍ ... يلوحُ لناظري أمْ حظُّ نفسي
فتمَّ بهِ عليَّ سرورُ يومي ، ... وكادَ بأنْ يُعيدَ سرورَ أمسي
وقالوا : قد وجدتَ به سروراً ، ... فقلتُ مُصرِّحاً من غيرِ لبسٍ :
غرَستُ بصدرِ مُرسلِهِ وَداداً ، ... فما أنا قد جنَيتُ ثِمارَ غرسي

اتق الله في أمري

أتاني كتابٌ منكَ ينفُثُ بالسِّحرِ ، ... ولكنّهُ بالعتبِ منتفِخُ السَّحرِ
يضمّ عِتاباً من عُبابِكَ ذاخِراً ، ... ولا عجَبٌ، إذ ذاكَ،من لُجّةِ البحرِ
فأشعرْتُ من تعريضِهِ بسِعايةٍ ... رمَتني بها الأعداءُ من حيثُ لا أدري
فإن يكُ حقّاً، فاجعلِ العفوَ كيدَهم؛ ... وإن يكُ زوراً فاتّقِ اللهَ في أمري

الباب الخامس

في مراثي الأعيان وتعازي الإخوان

انهدام المجد

قال يرثي خاله صفي الدين بن محاسن المقدم ذكره في باب الحماسة حين قتل غدراً :

أُنظُرْ إلى المَجدِ كَيفَ يَنهَدِمُ ، وعُروَةِ المُلكِ كَيفَ تَنفَصِمُ
واعجبْ لشُهبِ البُزاةِ كيفَ غدتْ تَسطو علَيها الحِداةُ والرَّخَمُ[1]
قد كنتُ أختارُ أن أغَيَّبَ في التُّربِ ، وتَبلى عِظامي الرِّمَمُ
ولا أرى اليَومَ من أكابرِنا أُسداً وفيها الذّئابُ قد حكَمُوا
ظَنّوا الوِلاياتِ أن تَدومَ لهم ، فاقتَطَعوا بالبلادِ ، واقتَسَمُوا
واقتَدَحوا بالوَعيدِ نارَ وغًى ؛ ورُبّ نارٍ وَقُودُها الكَلِمُ
لم يَعلَموا أيَّ جُذوَةٍ قَدَحوا ، وأيَّ أمرٍ إلَيهِ قد قدِمُوا
بل زَعَموا أن يَصدّنا جزَعٌ ؛ كانتْ يَدُ اللهِ فوقَ ما زَعَمُوا

---

١ الحداة ، مسهل حدأة : طائر من الجوارح . الرخم : طائر من الجوارح الكبيرة الجثة الوحشية الطبـاع .

لا عُرِفَ العِزّ في مَنازِلِنا ، وأنكَرَتنا الصَّوارِمُ الخُذُمُ[1]
إن لم نَقُدْها شُعثاً مضَمَّرَةً تَذوبُ من نارِ حِقدِها اللُّجُمُ
بكلّ أزرٍ في مَتنِهِ أسدٌ ؛ وكلّ طَودٍ من فَوقِهِ صَنَمُ[2]
من فِتيَةٍ أرخَصوا نفوسَهُمُ ، كأنّهمْ للحَيـاةِ قد سَئِمُوا
إن زأروا في الهياجِ تحسبُهم أسداً عليها من القَنَا أجَمُ
شُوسٌ تَظُنّ العِدى سِهامَهمُ شُهباً بها الماردون قد رُجِمُوا
صَغيرُهم لا يَعيبُهُ صِغَـرٌ ، وشَيخُهُم لا يَشينُهُ هَرَمُ
فَفي القَضايا إن حُـكّموا عدَلوا ، وفي التّقاضي إن حُوكموا ظَلَمُوا
إن صَمَتوا كانَ صَمتُهمْ أدَباً ، أو نَطَقوا كانَ نُطقُهم حِكَمُ
ما عُذرُنا ، والسّيوفُ قاطِعَةٌ ، وأمرُنا في العراقِ مُنتَظِمُ
وحَولَنا من بَني عُمومتِنا كَتائِبٌ كالغَمامِ تَزدَحِمُ
بأيّ عينٍ نرَى الأنامَ ، وقد تحَكّمَتْ في أُسودِنا الغَنَمُ
أمّا مَماتٌ ، وذِكرُنا حَسَنٌ ؛ أما حَياةٌ ، ورَبعُنا حَرَمُ
لا شاعَ ذكري بنَظمِ قافيَةٍ تَلوحُ حُسناً كأنّها علَمُ
ولا اهتَدَتْ فِكرَتي إلى دُرَرٍ يُشرِقُ من ضوءِ نُورِها الكَلِمُ
وشَلّ منّي يَدٌ ، عَوائِدُها يَجولُ فيها الحُسامُ والقَلَمُ
إن لم أُخضّبْ ملابسي عَلَقاً يُصبَغُ من سَيلِ قطرِها القَدَمُ

---

١ الخذم : السيوف القاطعة .
٢ الأزر : الظهر .

وآخذ الثّارَ من عِداكَ ، ولو   تَحَصّنوا بالحصونِ ، واعتَصَمُوا
في وَقعةٍ تُسلَبُ العقُولُ بها ،   وأنفُسُ الدّارِعِينَ تُختَرَمُ
إنْ باشَرَتْها أقارِبي بيَدٍ   يوماً ، فلي دونَهمْ يَدٌ وفَمُ
يا صاحبَ الرّتبَةِ التي نكَصَتْ   من دونِ إدراكِ شأوِها الهِمَمُ
قد كنتَ لي ذابلاً أصولُ به ،   ما خِلتُه في الهِياجِ يَنحَطِمُ
ما كنتُ أخشَى الزّمانَ حينَ غَدا   خَصمي لعِلمي بأنّكَ الحَكَمُ
كفَفتَ عنّا كفّ الخطوبِ ، فمِن   بعدِكَ أمسَى الزّمانُ يَنتَقِمُ
ما ألبَسَتنا الأيّامُ ثَوبَ عُلًى   إلاّ وأنتَ الطّرازُ والعَلَمُ
عزّ على المَجدِ أن تَزولَ ، وأن   تُخلِقَ تلكَ الأخلاقُ والشّيَمُ
تَبكي المَواضي ، وطالما ضَحِكَتْ   منك وأمسَتْ غُمودَها القِمَمُ
فاليَومَ قد أصبَحتْ صَوارِمُها ،   وشَملُها في الهِياجِ مُنصَرِمُ
يُذكِرُني جودَكَ الغمامُ ، إذا   أصبَحَ دمعُ الغَمامِ يَنسَجِمُ
إذ كنتَ لي ديمةً تَسُحّ ، ولا   يَنساكَ قَلبي ما سَحّتِ الدّيَمُ
لا جَمَدَتْ أدمعي ، ولا خمَدتْ   نارُ أسًى في حَشايَ تَضطَرِمُ
وكيفَ يَرقَا علَيكَ دمعُ فتًى ،   ولحمُهُ من ثَراكَ مُلتَحِمُ

غارات المنية

وقال يرثي جماعة أنسابه الذين قتلوا في تلك الواقعة ويخص منهم خاله جلال الدين عبد الله بن حمزة بن محاسن المذكور في باب الحماسة :

جِبالٌ بأرياحِ المَنيّةِ تُنسَفُ ، غدتْ وهيَ قاعٌ في الوَقائعِ صَفصَفُ[1]
مَحَتها رِياحٌ للمَنونِ عَواصِفٌ ، على أنّها لا تُتّقَى حينَ تَعصِفُ
أفي كلّ يومٍ للمَنيّةِ غــارَةٌ ، تُغيرُ على سِربِ النّفوسِ فتَخطَفُ
كأنّ حِبالَ السّاحرينَ نفُوسُنا ، وتلكَ عصا موسَى لها تَتَلَقّفُ
أغارَتْ على الأقيالِ من آلِ سِنبِسٍ ، فأصبَحَ فيهمْ صرفُها يتَصَرّفُ
رِجالٌ، لوَ انّ الأُسدَ تُخشَى ديارُهم لكنتُ عليها منهمُ أتَخَوّفُ
شموسٌ أرانا الموتُ في التُّربِ كسفَها ، وما خلتُ أن الشمس في التربِ تكسِفُ
أتاها ، فلَم تُدفع من السّيفِ وقعَةٌ ، ولم يُغنِ منهُ السّابريُّ المُضَفَّفُ[2]
ولا الخَيلُ تَجري بينَ آذانِها القَنا ، تُقَرَّطُ من خُرصانِهِ وتُشَنَّفُ[3]

---

١ القاع : أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام. الصفصف : المستوي من الأرض ، المطمئن .

٢ السابري : درع دقيقة النسج محكمة. المضفف : لعله من تضاف القوم : اجتمعوا ، يريد أن نسج الدرع مجتمع محكم .

٣ الخرصان : الرماح القصيرة ، الواحد خرص . والخرصان أيضاً حلق من الذهب والفضة وغيرها . تقرط : تلبس أقراطاً ، والقرط : ما يعلق في شحمة الأذن من درة ونحوها . تشنف : تلبس الشنوف ، والشنف : ما علق في الأذن أو أعلاها من الحلي .

ولا رَدَّ عن نَفسِ ابنِ حمزَةَ جاشُها ... ولا الجيشُ من أمواجِهِ الأرضُ ترجُفُ
ولا صارِمٌ ماضي الغِرارِ بكَفِّهِ ، ... مَضارِبُهُ في الرَّوعِ بالدَّمِ تَرعَفُ
عَرُوفٌ بأحوالِ الضِّرابِ توْءَمُهُ ... عزيمَةُ شَهمٍ منهُ بالضَّربِ أعرَفُ
ألا في سَبيلِ المَجدِ مَصرَعُ ماجِدٍ ... ثِمارُ الأماني مِن أيادِيهِ تُقطَفُ
إذا ما أرادَ الضِّدُّ غايَةَ ذَمِّهِ ... توَصَّلَ حتى قال: في الجودِ مُسرِفُ
تصَدَّعَ قلبُ البرقِ يومَ مُصابِهِ ، ... ألَستَ تَراهُ خافِقاً حينَ يَخطَفُ
وما زالَ بَدرُ التِّمِّ يَلطِمُ وجهَهُ ... على فَقدِهِ حتى اغتَدَى، وهوَ أكلَفُ
فَيا هالكاً قد أطمَعَ الخَطبَ هُلكُهُ ، ... وكانَ بهِ طَرفُ النَّوائبِ يُطرَفُ
لقد كُنتَ حِصناً مانعاً بكَ نَلتَجي ... حِذارَ العِدى،واليومَ باسمِكَ نَحلِفُ
فإن كنتَ في أيّامِ عَيشِكَ كعبَةً ... يُلاذُ بها، فاليَومَ ذكرُكَ مُصحَفُ
فبعدَكَ لا شَملُ اللُّهَى متفَرِّقٌ ، ... بجُودٍ ، ولا شَملُ العُلى مُتألِّفُ
سأبكيكَ بالعزِّ الذي كنتَ مُلبسِي ، ... وكنتُ بهِ بينَ الوَرَى أتَصرَّفُ
وأنزِفُ من حزني دَمي لا مَدامعي ، ... وأيُّ دَمٍ أبقَيتَ فيَّ فيَنزِفُ
سقَى اللهُ تُرباً ضَمَّ جِسمَكَ وابِلاً ... يُنَمِّقُ رَوضاً بَردُهُ ويُفَوِّفُ
إذا أنكَرَتْ أيدي البِلى عَرَصاتِهِ ، ... يَنِمُّ على أرجائِهِ ، فيُعَرَّفُ

فجعت بك الدنيا

وقال يرثي خاله المذكور :

سفَهاً ، إذا شُقّتْ عليكَ جُيوبُ، إنْ لم تُشَقَّ مَرائرٌ وقُلوبُ
وتَمَلّقاً سَكبُ الدّموعِ على الثرى إنْ لم يُمازِجها الدّمُ المَسكُوبُ
يا حَمزةَ الثّاني الذي كادَتْ لهُ صُمٌّ الجِبالِ الرّاسياتِ تَذُوبُ
إن ضاعَ ثارُكَ بينَ آلِ محاسِنٍ ، تلكَ المَحاسنُ كلّهنّ عُيوبُ
لم أبكِ بالحُزنِ الطّويلِ تَمَلّقاً ، حُزني علَيكَ وقائعٌ وحرُوبُ
فلأبكِيَنّكَ بالصّوارِمِ والقَنا ، حتى يُحَطِّمَ ذابلٌ وقَضيبُ[1]
لا يأمَنَنّ بَنو أبي الفَضلِ البقا ، إنّ الفَناءَ إليهِمُ لقَريبُ
ووَراهمُ من آلِ سِنبِسَ عصبَةٌ مُرْدٌ ، وشُبّانٌ تُهابُ ، وشِيبُ
قومٌ ،إذا غضِبوا على صرفِ القَضا ، جاءَ الزّمانُ من الذّنوبِ يَتوبُ
وإذا دُعوا يوماً لدَفعِ مُلِمّةٍ ، بسَمُوا وفي وَجهِ الزّمانِ قُطوبُ
إن خُوطبوا ، فحديثُهم وخِطابُهم يومَ الجِلادِ ، حَوادِثٌ وخطوبُ
فَليَبكِيَنَّكَ طَرفُ كلّ مُثَقّفٍ يُزهَى بحَملِ سِنانِهِ الأُنبوبُ
يَبكيكَ في يومِ الهِياجِ بأعينٍ خُزْرٍ ، مَدامِعُها الدّمُ المَصبوبُ
والصّبحُ لَيلٌ بالعَجاجِ ، وقد بَدا بالبِيضِ في فَودِ العَجاجِ مَشيبُ

---

[1] الذابل : الرمح . القضيب : السيف .

ولقد رَضيتَ بأنْ تَعيشَ منزَّهاً ، لا غاصِباً فيها ، ولا مَغصوبُ
في مَنصِبٍ ، للهِ فيهِ طاعَةٌ تُرضي ، وللفقراءِ فيهِ نَصيبُ
ستُثيرُ ثارَكَ ، يا ابنَ حمزَةَ ، عصبةٌ شُمّ الأُنوفِ إلى القِراعِ تَثوبُ
نُجَباءُ من آلِ العَريضِ ، إذا سطوا يوماً ، أفادوا الدّهرَ كيفَ يَنوبُ
سمعَتْ بمصرَعِكَ البلادُ فأرجفتْ ، وتَواتَرَ التّصديقُ والتّكذيبُ
وبكَى لرُزئِكَ صَعبُها وذَلُولُها ، وشكَا لفَقدِكَ شاتُها والذّيبُ
تَبكي العِتاقُ ، إذا نَعَتكَ عواتقٌ ، ويَحِنّ بَينَكَ إذْ أبانَ النُّوبُ[1]
فُجعَتْ بكَ الدّنيا ، فلا وَجهُ العُلى طَلقٌ ، ولا صَدرُ الزّمانِ رَحيبُ
إذ أنتَ في يومِ الجِلادِ على العِدى خَطبٌ وفي يومِ الجِدالِ خَطيبُ
يا شَمسَ أُفقٍ لم يكُنْ من قَبلِها للشّمسِ في طَيّ الصّعيدِ غُرُوبُ
إنْ غُيّبَتْ تلكَ المَحاسنُ في الثّرى فجَميلُ ذكرِكَ في البلادِ يَجوبُ
حُزتَ المَحامدَ بالمَكارِمِ ميّتاً ، فغَدا لكَ التّأبينُ لا التّأنيبُ
فابشِرْ ، فإنّكَ بالثّناءِ مُخَلَّدٌ ، ما غابَ إلاّ شَخصُكَ المَحجوبُ
حَيّا الحَيا جَدَثاً حَلَلتَ بتُربِهِ ، حتى تَعَطّرَ نَشرُهُ ، فيَطيبُ
لا زالَ تَبكيهِ عيونُ سَحائبٍ ، للبَرقِ في حافاتِهنّ لَهيبُ
تَهمي علَيهِ للسّحابِ مَدامعٌ ، فتُشَقّ فيهِ للشّقيقِ جُيوبُ

---

١ عجز البيت غامض ، ولعله محرف .

القضيب الذاوي

وقال يرثي ولد صديق له :

يا قَضيباً ذوى ، وكانَ نَضيرًا ... ما رأينا لهُ الغَداةَ نَظيرًا
أظلَمَتْ بعدَهُ الدّيارُ ، وقد كا ... نَ سِراجاً بها وبَدراً مُنيرًا
غَيّبَتهُ الأرضونَ عنّا ، وما خِلـ ... ـتُ أديمَ التّرابِ يَحوي البُدورَا
لا ولا خِلتُ أنّ شُهبَ الدّراري ... بعدَ أوجِ العُلى تَحِلّ القُبورَا
يا حَبيباً ، فِراقُهُ أخرَبَ القَلْـ ... ـبَ ، وقد كان مَنزِلاً مَعمورَا
فاجأتْنا بالنّدبِ أصواتُ ناعيـ ... ـكَ ، وكادَتْ قلوبُنا أنْ تَطيرَا
فنَفَينا الرّقادَ عن كلّ عَينٍ ، ... فجرّتَها دُمُوعُها تفجيرًا
ما رأى النّاسُ قبل مثواكَ يوماً ... كانَ بالبَينِ شرّهُ مُستَطيرًا
ولقد خِفتُ من فِراقِكَ يَوماً ... باكياً بالثّبورِ يَنعَى ثَبيرًا[1]
فبِرُغمي أنْ لا أرى منك وَجهاً ... يَرجعُ الطّرفُ من سَناه حَسيرًا
كنتَ رَيحانَةَ القُلوبِ ، فقد دا ... رَ بكَ التُّربُ عَنبراً وعَبيرًا
كنتَ شَهماً معَ الحَداثَةِ في السّـ ... ـنّ ، وجَلداً على البَلاءِ صَبورًا
وحمَلتَ الأثقالَ عنّي فأمسَى ... بكَ طَرفي بينَ الأنامِ قَريرًا
فجَزاكَ الإلَهُ عن ذلكَ الصّبْـ ... ـرِ على الهَولِ جَنّةً وحَريرًا
وأراكَ الإلَهُ في جَنّةِ الخُلدِ ... نَعيماً بها ومُلكاً كَبيرًا

---

١ الثبور : الهلاك . ثبير : جبل .

خذها على طيب السماع

وقال يرثي السلطان الملك المنصور طاب ثراه وقد كان نظم مرثية بالعراق وحضر إلى ماردين للعزاء فوجد العزاء قد انقضى وبنيه قد خلعوا الحزن ونصبوا مجلس الأنس فاستقبح إيرادها ونظم على هذا النمط الغريب :

أدرْها بأمنٍ لا يُغَيّركَ الوَهمُ ، وزُفَّ على الجُلاّسِ ما خلّفَ الكَرْمُ
وداوِ أذاها بالسّماعِ ، فإنّها بلا نَغَمٍ غَمٌّ ، بلا دَسَمٍ سُمّ
مُعَتَّقَـةٌ لو غَسّلوا ميتاً بهـا لمَا ذابَ منهُ المُخّ وانهَشَمَ العَظمُ
ولولا اتّقاءُ اللهِ قلتُ بأنّهـا بها تَنطِقُ الأمواتُ أو تَسمَعُ الصُّمّ
فلَم يرَ يوماً كاسَها مَن رأى الأذى ، ولا مَسّها بالكَفّ مَن مَسّه الهَمّ
فخُذها على طيبِ السّماعِ ، فإنّها بَشاشةُ وجهِ العيشِ إن عَبَسَ الهَمّ
ولا تَخشَ من إثمٍ ، إذا ما شربتَها ، لظاهرِ قولِ النّاسِ إنّ اسمَها الإثمُ
فَما كلّ وصفٍ في الحَقيقَةِ ذاتُه ، وليسَ المُسَمّى في حَقيقَتَه الاسمُ
ولو أنّ وَصفَ الشيءِ عَينٌ لذاتِه ، أو الذّكرَ للشيءِ المُرادِ هوَ الجُرمُ
لمَا ماتَ مَن سَمّوهُ باللّفظِ خالِداً ، ولا خرّ مَلكٌ في الثّرى واسمه نجمُ
كما خَرّ نجمُ الدّينِ من عَرشِ مُلكه ولم يُغنِ عَنهُ الباسُ والعَزمُ والحَزمُ
مضَى الملكُ المَنصورُ من دَستِ ملكِه ولم يُنجِه المُلكُ المُمَنَّعُ والحُكمُ
مَليكٌ أفاضَ العَدلَ في كلّ مَعشَرٍ ، فلَيسَ لهُ ، إلاّ لأموالِه ، ظُلمُ
وما غَيّبَتهُ الأرضُ ، إلاّ لأنّها لأقدامِه ، ما كانَ يُمكِنُها اللّثمُ

وخلّفَ أشبالاً سعَوا مثلَ سعيِه   لئلاّ يعمّ النّاسَ مِن بعدِه اليُتمُ
ملوكاً حذَوا في الجُودِ حذوَ أبيهِمُ   ففي كلّ وَصفٍ من نَداهُ لهم قِسمُ
وأشرَقَ في الشّهباءِ في الدّستِ منهمُ ،   وقد غابَ عنها نجمُها، بدرُها التمّ
هو الصّالحُ المَلكُ الذي لبِسَ البهَا ،   وللنّاسِ منهُ، فوقَ ثوبِ البهَا، رَقمُ[1]
جَميعُ أماراتِ الشّهيدِ ظَواهِرٌ   عليهِ تَساوَى الباسُ والرّأيُ والفَهمُ
وأهوَنُ شيءٍ عندَهُ الحَيلُ واللُّهَى ،   وأنفَقُ شيءٍ عندَهُ النّثرُ والنّظمُ
وأحسَنُ أيّامِ السّماحِ وَلُودُها ،   إذا أعجَبَ النُّجّالَ أيّامُها العُقمُ
وربّ حَديثٍ من عُلاهُ سَمِعتُهُ ،   لحُلوِ جَناهُ، من حُلوقِ النُّهَى طَعمُ
وفَيضِ نَوالٍ من يَدَيهِ أفَدتُهُ ،   له في قلوبِ النّاسِ من جَسدي وسمُ
ولمّا أرادَ الدّهرُ كَيدي فزُرتُهُ ،   وبِتُّ ، ولي في صُحفِ إنعامِهِ رَسمُ
فأخّرَ صَرْفَ الدّهرِ عنّي ، فلا يرَى   مُقابَلَتي لمّا درَى أنّهُ الخَصمُ

سقى عهدك العهاد

وقال يرثي مملوكاً كان رباه صغيراً
حتى صار كاتباً فطناً وسيداً :

هَجرَتْ بَعدَكَ القلوبُ الجُسومَا   حينَ أمسَتْ منكَ الرّبوعُ رُسُومَا
وخلَتْ من سَناكَ زُهرُ المَغاني ،   فاستَحالَ النّهارُ لَيلاً بَهيمَا

[1] الرقم : برد موشى .

يا هِلالاً أودَى بهِ الخَسفُ لمّا صارَ عندَ الكَمالِ بَدراً وسيمَا
وقضيباً رُمنا لذيذَ جَناه ، فذوى حين صار غُصْناً قَوِيما
ما ظَنَنّا المَنونَ تَرقَى إلى البَـدرِ ، وأنّ الحِمامَ يَغشَى النّجومَا
هَدّ قَلبي مَن كانَ يُؤنِسُ قَلبي إذْ نَبَذناهُ بالعَراءِ سَقِيمَا
ونأى يُوسُفي ، فقد ذهبَتْ عينايَ من حزُنِهِ ، وكنتُ كَظيمَا
يا صَغيراً حوَى عَظيمَ صِفاتٍ ، أوجَبَتْ في قُلوبِنا التّعظيمَا
خُلُقاً طاهراً ، وكَفّاً صَناعاً ، ولِساناً طَلقاً ، وطَبعاً سَليمَا
كنتَ رِقّي ، فصِرتَ مالكَ رِقّي بحِجًى منكَ يَستَخِفّ الحُلومَا[1]
ويَدَينِ ثَنَتْ عِنانَ يَراعٍ أنبَتَتْ في الطّروسِ دُرّاً نَظيمَا
ومَقالٍ ، إذا دَعاهُ لَبيبٌ ظَنّ أنّي منكَ استَفَدتُ العُلومَا
وإذا ما تَلَوتُ نَظمي ونَثري ، خالَني منكَ أطلُبُ التّعليمَا
يا خَليلاً ، ما زالَ خَصماً لخَصمي كيفَ صَيّرتَ لي الغَرامَ غَريمَا
كيفَ جرّعتَني الحَميمَ من الحُزنِ ، وقد كنتَ لي صَديقاً حَميمَا
نِمتَ عن حاجتي ، فأحدثتَ عندي لتَنائيكَ مُقعِداً ومُقيمَا
وتَرَحّلتَ عن فِنائي رَحيلاً ، صَيّرَ الحُزنَ في الفُؤادِ مُقيمَا
لَستُ أنساكَ ، والمَنيّةُ تُخفي منكَ نُطقاً عَذباً وصَوتاً رَخيمَا
ومَسَحتُ الجَبينَ منكَ بكَفّي ، فأعادَ المَسيحُ قَلبي كَليمَا
كنتُ أمّلتُ أنْ تُشَيّعَ نَعشي ، وتُواري في التُّربِ عَظمي الرّميمَا
وتَوَقّعتُ أن أرُدّ بكَ الخَطبَ ، فأمسَى نَواكَ خَطباً جَسيمَا

---

[1] الحجى : العقل .

قد تبوّأتَ قاطناً جنّةَ الخُلْدِ ، فأورثتَ في فؤادي الجحيما
وتفرّدتَ بالنّعيمِ منَ العيْشِ ، وأبقيتَ لي العذابَ الأليما
فسقَى عهدَكَ العِهادُ ، فقد فزْتَ بزُلفَى الجِنانِ فوزاً عظيما[1]
وعليكَ السّلامُ حيّاً ، وميتاً ، ورضيعاً ، ويافِعاً ، وفطيما

بدور تحت التّراب

وقال يرثي السلطان الملك المنصور
وهي الأولى المشار إليها :

يا بُدوراً تغيبُ تحتَ التّرابِ ، وجِبالاً تمُرّ مرّ السّحابِ
إنّ في ذلكَ اعتباراً وذِكرى ، يتَوَعّى بها ذَوو الألبابِ
قلْ لصادي الآمالِ لا ترِدِ العيْشَ ، فإنّ الحَياةَ لَمعُ سَرابِ
أينَ ربّ السّريرِ والجيزَةِ البيْضاء ذاتِ النّخيلِ والأعنابِ
عرَصاتٌ كأنّهنّ سَماءٌ ، قد توارَتْ شموسُها في الحِجابِ
أينَ ربّ الآراءِ والرّتبَةِ العَلْياءِ ، والماجِدُ الرّفيعُ الجَنابِ
والذي لقّبوهُ بالأبلَجِ الوَهّابِ طَوراً ، والعابسِ النهّابِ
لَيثُ إبنا أرتُقَ الملكُ المَنْصورُ ، ربُّ الإحسانِ والأنسابِ

---

[1] العهاد : مطر الربيع .

صاحبُ الرّتبَةِ التي نكَصَ العا لمُ من دونِها على الأعقابِ
ومُجلّي لَبسَ الأمورِ ، إذا بَر قَعَ قُبحُ الخطا وجوهَ الصّوابِ
حازَ حِلمَ الكُهولِ طِفلاً وأُعطي وَرَعَ الشّيبِ في أوانِ الشّبابِ
جلّ عن أن تُقبّلَ النّاسُ كفّيـ ـهِ ، فكانَ التّقبيلُ للأعتابِ
لم تُرَنّحْ أعطافَهُ نَشوةُ المُلـ ـكِ ، ولا يزدهيهِ فَرطُ اعتجابِ
رافعُ النّارِ بالبقاعِ ، إذا أخـْ ـمَدَ بَردُ الشّتاءِ صَوتَ الكِلابِ
ومُحيلُ العامِ المَحيلِ ، إذا اعتا دَ لسانُ الفَصيحِ نُطقَ الذّبابِ
عرّفوا رَبعَهُ ، وقد أنكرَ الجُو دُ ، برَفعِ اللّوا ونَصبِ العِتابِ
وقدورٍ بما حوَتْ راسياتٍ ، وجِفانٍ مَملُوّةٍ كالجَوابي[1]
ملكٌ أصبحَ الخَلائقُ والأ يّامُ والأرضُ بعدَهُ في اضطرابِ
فاعتَبِرْ خُضرَةَ الرّياضِ تَجِدْها أثرَ اللّطمِ في خُدودِ الرّوابي
حَمَلوهُ على الرّقابِ ، وقد كا نَ نَداهُ أطواقَ تلكَ الرّقابِ
ما أظنّ المَنونَ تَعلَمُ ماذا قَصَفَتْ بعدَهُ من الأصلابِ
يا رَجيمَ الخطوبِ ، فاسترِقِ السّمـ ـعَ ، فأُفقُ العُلَى بغَيرِ شِهابِ
فليَطُلْ ، بعدَه على الدّهرِ عتبي ، رُبّ ذَمٍّ مُلَقّبٍ بعِتابِ
أيّها الذّاهبُ الذي عرّضَ الأمـ ـوالَ والنّاسَ بعدَهُ للذّهابِ
طارَ لُبّ السّماحِ ، يومَ تُوُفّيـ ـتَ ، وشُقّتْ مَرائرُ الآدابِ
وعَلا في المَلا عَويلُ العَوالي ، ونَحيبُ اليَراعِ والقِرضابِ

---

١ الجوابي : الأحواض .

لو يُرَدّ الرّدى بقوّةِ بأسٍ ... لوَقَيناكَ في الأُمورِ الصِّعابِ
بأُسودٍ بيضِ الوجوهِ ، طِوالِ الـ ... باعِ ، شُمِّ الأنوفِ، غُلبِ الرّقابِ[1]
تَرَكوا اللّهوَ للغُواةِ ، وأفنَوا ... عُمرَهم في كتائبٍ ، أو كِتابِ
وجيادٍ مثلِ العقاربِ نحوَ الـ ... رَّوعِ تَسعَى شَوائلَ الأذنابِ
كلّ طِرْفٍ مُطَهَّمٍ ، سائلِ الغُرّةِ ، جَعدِ الرّسغينِ، سبطِ الإهابِ
كنتَ ذُخراً لنا ، لوَ انّ المَنا ... يا جُنِّبتْ عن رَفيعِ ذاكَ الجَنابِ
لم أكنْ جازعاً ، وأنتَ قَريبٌ ، ... لبُعادِ الأهلينَ والأنسابِ
كانَ لي جُودُكَ العَميمُ أنيساً ... في انفرادي، ومَوطناً في اغترابي
ما بَقائي من بعدِ فقدِكَ ، إلاّ ... كبَقاءِ الرّياضِ بعدَ السّحابِ

مبدد شمل المال

وقال يرثي ولده الملك ناصر الدين محمداً طاب ثراه :

عيونٌ لها مَرأى الأحبّةِ إثمِدُ ، ... عَجيبٌ لها في عُمرِها كيفَ تَرمَدُ[2]
وعَينٌ خلَتْ من نُورِ وجه حَبيبِها ، ... عجبتُ لها ، من بعدِهِ، كيفَ تَرقُدُ
ولي لُمقلَةٌ قد أنكَرَ الغُمضَ جفنُها، ... وعرّفها صرفُ النّوى كيفَ تَسهَدُ

---

[1] الغلب : الغلاظ ، كناية عن القوة .
[2] الاثمد : الكحل .

تراعي النّجومَ السّائراتِ ، كأنّما تَمثّلَ فيهنّ المليكُ مُحَمّد
تحاولُهُ بَينَ النّجومِ ، لأنّهُ لرُتبَتِهِ فوقَ الكَواكبِ مَقعَدُ
مليكٌ ، لوَ انّ الرّيحَ تُشبِهُ جودَهُ ، لما أوشكَتْ يوماً من الدّهرِ تَركُدُ[1]
مُبَدِّدُ شَملِ المالِ ، وهوَ مُجَمَّعٌ ، وجامعُ شَملِ الحَمدِ ، وهوَ مُبَدَّدُ
فلا نَمّقَ الاعذارَ يَوماً لسائلٍ ، ولا قالَ للوُفّادِ : مَوعِدُكم غَدُ
دَهَتهُ المَنايا ، وهيَ من دونِ بأسِهِ ، كذا الصّارمُ الصّمصامُ يفنيهِ مِبرَدُ
فَيا مَلِكاً قد أطلَقَ الجُودُ ذِكرَهُ ، وكلّ نَزيلٍ من نَداهُ مُقَيَّدُ
لقد كنتَ للوُفّادِ وَبلاً ، وللعِدَى وَبالاً ، بهِ تَشقَى أناسٌ وتَسعَدُ
فكَم أنشأتْ كَفّاكَ في المَحلِ عارِضاً ، وخَدُّ الثّرى من عارضِ الخطبِ أمرَدُ
وكم أرسلَتْ يُمناكَ في الحَربِ للعدى سَحابَ نَكالٍ بالصّواهلِ يَرعُدُ[2]
إذا ما وَنَى مَسراهُ ثِقلاً يَحثُّهُ جَوادٌ وعَضبٌ: أجرَدٌ ومُجَرَّدُ
فيَنظِمُ فيها الرّمحُ ما السّيفُ ناثِرٌ ، ويَنثُرُ فيها العَضبُ ما اللّدنُ يَنضِدُ
فمُفرَدُها من نَثرِ سَيفِكَ تَوأمٌ ، وتَوأمُها من نَظمِ رُمحِكَ مُفرَدُ
وفي مَعرَكِ الآدابِ كم لكَ مَوقِفٌ ، لأهلِ الحِجَى منهُ مُقيمٌ ومُقعدُ
ولمْ يَبقَ من آيِ المَفاخرِ آيَــةٌ ، ولا غايَةٌ ، إلاّ وعندَكَ تُوجَدُ
علَيكَ سَلامُ اللهِ ، لا زالَ سَرمداً كجُودِكَ حتى بعدَ فَقدِكَ سَرمَدُ
فلَو خَلّدَ المَعروفُ قبلَكَ ماجداً لكُنتَ بإسداءِ الجَميلِ مُخَلَّدُ

---

١ تركد : تسكن .
٢ النكال : هو أن يصنع شخص صنيعاً يحذر غيره إذا رآه .

بكى عليك الحسام والقلم

وقال يرثي أخاه الملك ناصر
الدين عمر طاب ثراه وجل
من براه :

بكَى عليكَ الحُسامُ والقلَمُ ، وانفجعَ العِلمُ فيكَ والعلَمُ
وضَجّتِ الأرضُ ، فالعِبادُ بها لاطِمَةٌ ، والبِلادُ تلتَطِمُ
تُظهِرُ أحزانَها على ملكٍ ، جُلُّ ملوكِ الوَرَى لهُ خَدَمُ
أبلجُ، غضُّ الشّبابِ، مُقتَبِلُ العمرِ ، ولكِنْ مَجدُهُ هَرِمُ
مُحكَّمٌ في الوَرى ، وآمِلُهُ يَحكُمُ في مالِهِ ويَحتَكِمُ
يَجتَمِعُ المَجدُ والثّناءُ لهُ ، ومالُهُ ، في الوُفودِ ، يُقتَسَمُ
قد سَئِمتْ جُودَهُ الأنامُ ، ولا يَلقاهُ ، مِن بَذلِهِ النّدى، سأمُ
ما عُرِفتْ منهُ لا ، ولا نَعَمٌ ، بل دونَهنّ الآلاءُ والنِّعَمُ
الواهبُ الألفِ ، وهوَ مُبتَسِمٌ ، والقاتلُ الألفِ ، وهوَ مُقتَحِمُ
مُبتَسِمٌ والكُماةُ عابِسَةٌ ، وعابِسٌ ، والسّيوفُ تَبتَسِمُ
يَستَصغِرُ العَضبَ أن يَصولَ به إنْ لم تُجَرِّدْ من قَبلِهِ الهِمَمُ
ويَستَخِفّ القَناةَ يَحمِلُها ، كأنّها في يَمينِهِ قَلَمُ
لم يَعلَمِ العالمونَ ما فَقَدوا منهُ ، ولا الأقرَبونَ ما عَدِمُوا
ما فَقدُ فَردٍ من الأنامِ ، كمَنْ إنْ ماتَ ماتَتْ لفَقدِهِ أُمَمُ
والنّاسُ كالعَينِ إن نَقَدتَهُمُ ، تَفاوَتَتْ عندَ نَقدِكَ القِيَمُ

يا طالبَ الجودِ قد قضى عُمَرٌ ، فكلُّ جُودٍ وَجُودُهُ عَدَمُ
ويا مُنادي النّدى ليدركَهُ ! أقصِرْ ، فَفي مَسمعِ النّدى صَمَمُ
مضَى الذي كانَ للأنامِ أبـاً ، فاليَومَ كلُّ الأنامِ قد يتِمُوا
وسارَ فوقَ الرّقابِ مُطّرَحاً ، وحَولَهُ الصّافناتُ تَزدَحِمُ
مُقَلّبَاتِ السّروجِ شاخِصةٌ ، لها زَفيرٌ ذابتْ بهِ اللُّجُمُ
وحَلّ داراً ضاقَتْ بساكِنِها ، ودونَ أدنَى دِيارِهِ إرَمُ[1]
كأنّهُ لم يَطُلْ إلى رُتَبٍ ، تَقصُرُ من دونِ نَيلِها الهِمَمُ
ولم يُمَهِّدْ للمُلْكِ قاعِدَةً بها عيُونُ العُقولِ تَحتَلِمُ
ولم تُقَبِّلْ لهُ المُلوكُ يَداً تَرغَبُ في سِلمِها ، فتَستَلِمُ
ولم يَقُد للحروبِ أُسدَ وَغًى ، تَسري بها من رِماحِها أجَمُ
ولم يَصِلْ والخَميسُ مرتَكِبٌ عُبابُهُ ، والعَجاجُ مُرتَكِمُ
اينَ الذي كانَ للوَرى سَنَداً ، ورحبُ أكنافِهِ لها حَرَمُ
اينَ الذي إنْ سرَى إلى بلَدٍ لا ظُلمَ يَبقى به ، ولا ظُلَمُ
أين الذي يَحفَظُ الذّمامَ لَنـا إنْ خُفِرَتْ عندَ غَيرِهِ الذّمَمُ
يا ناصرَ الدّينِ ، وابنَ ناصِرِهِ ، ومَن بهِ في الخُطوبِ يُعتَصَمُ
وصاحبَ الرّتبَةِ التي وَطِئَتْ لها على هامَةِ السّهَى قَدَمُ[2]
تُثْني علَيكَ الوَرى ، وما شهِدوا منَ السّجايا إلاّ بما عَلِمُوا

---

١ إرم : مدينة أسطورية .
٢ السهى : نجم خفي .

يَبكيكَ مألوفُكَ التّقَى أسَفاً ، وصاحباكَ العَفافُ والكَرَمُ
لم يَشقَ يوماً بكَ الجَليسُ ، ولا مَسّ نَداماكَ عندَكَ النّدَمُ
أغنَيتَني بالوِدادِ عن نَسَبي ، كأنّما الودّ بَينَنا رَحِمُ
لَولا التّسَلّي بمَن ترَكتَ لَنا ألَمّ بي من تَدَلّهي لَمَمُ[1]
وفي بَقاءِ السّلطانِ تَسليَةٌ لكلّ قلبٍ بالحُزنِ يَضطَرِمُ
المَلِكُ الصّالحُ الذي ظَهَرَتْ منهُ السّجايا ، وطابَتِ الشّيَمُ
لا زالَ يُغني الزّمانَ في دَعَةٍ ، والذّكرُ عالٍ ، والمُلكُ مُنتَظِمُ

يا ليت شعري

وقال يرثيه أطاب الله مثواه :

يا لَيتَ شِعري ، وقد أودى بكَ القدرُ ، بأيّ عُذرٍ إلى العَلياءِ يَعتَذِرُ
وكيفَ جارَ عليكَ الدّهرُ مُعتَدِياً ، أما تَعَلّمَ منكَ العَدلَ يا عُمَرُ
يا ابنَ الملوكِ الأُلى كان الزّمانُ لهم طَوعاً وأقبَلَ صرفُ الدّهرِ يأتَمِرُ
يا ناصرَ الدّينِ ، يا مَن جودُ راحته بينَ الأنامِ على الأيّامِ يَنتَصِرُ
أنتَ الجَوادُ الذي لولا مكارِمُهُ ، لأصبَحَ الجُودُ عَيناً ما بها بصَرُ
تُعطي وتَبسُطُ بَعدَ البَذلِ مَعذرَةً ، وعُذرُ غَيرِكَ دونَ البَذلِ يُبتَدَرُ

---

١ لمم : جنون .

فُقتَ الملوكَ جميعاً في عطاً وسَطاً، فأنتَ كالبَحرِ فيه النّفعُ والضّررُ
وحُزتَ أخلاقَ شمسِ الدّينِ مكتسباً والشّمسُ مكتسبٌ من نورِها القمرُ
خاطرتَ في طلَبِ العلياءِ مُجتهداً وما يُخاطِرُ إلاّ مَن له خطَرُ
رفعتَ ذِكرَكَ بالإنعامِ مُنتَجِداً، بهِ ، وغيرُكَ بالأموالِ يَفتَخِرُ[1]
قد كانَ جودُكَ لي عينَ الحَياةِ إذا وَردتُه ، وحَواني رَبعُكَ الخَضِرُ
أعزِزْ عليّ بأنْ أدعوكَ ذا أمَلٍ ، فلا يُجابَ برِفدٍ منكَ يَنهَمِرُ
وأن يُحَثّ إلى مَغناكَ وفدُ ثَناً ، وليسَ منكَ به عَينٌ ولا أثَرُ
طابتْ مَراثيكَ لي بعدَ المَديحِ ،ومن بعدِ السّرورِ بَراني الحُزنُ والفِكَرُ
كأنّ حُزنَكَ من أسمائِهِ سَقَرٌ، فذاكَ في القلبِ لا يُبقي ،ولا يَذَرُ[2]
سقى ضريحَكَ صوبُ المُزنِ مُنبجساً حتّى يُدَبّجَ أقصَى تُربِه الزّهَرُ
وكيفَ أسألُ صَوبَ المزنِ رَيّ ثرًى حلَلتَ فيه ، وفيهِ البَحرُ والمَطَرُ

---

١ منتجداً : مستعيناً .
٢ سقر : من أسماء جهنم .

نفوس الصيد أثمان المعالي

وقال يرثي الأمير ركن الدين اسحق ابن ملك الأمراء سيف الدين بهادر المنصوري وقد قتله الأكراد اللاذخية حين غزاهم بوادي جهنم من نواحي الجزيرة ويحرض السلطان الملك الصالح على أخذ ثأره منهم حالا :

نُفوسُ الصِّيدِ أثمانُ المَعالي ، إذا هَزّتْ مَعاطِفَها العَوالي
وأبدَتْ أوجُهُ البِيضِ ابتِساماً ، يُطيلُ بكاءَ آجالِ الرِّجالِ
ومَن عَشِقَ العَلاءَ، وخافَ حَتفاً غَدا عندَ الكَريهَةِ ، وهوَ سالي
ولم يَحزُ العُلى إلاّ كَميٌّ ، رَحيبُ الصّدرِ في ضِيقِ المَجالِ
تَيَقّنَ أنّ طيبَ الذّكرِ يَبقَى ، وكلُّ نَعيمِ مُلكٍ في زَوالِ
لذاكَ سَمَتْ برُكنِ الدّينِ نَفسٌ تَعلّمَ رَبُّها طَلَبَ الكَمالِ
سمَتْ فأرَتهُ حرّ الكَرّ بَرداً ، ويَحمُومَ المَنيّةِ كالزّلالِ[1]
فألبَسَ عِرضَهُ دِرعاً حَصيناً ، وصَيّرَ جِسمَهُ غَرَضَ النّبالِ
تَبوّأ جَنّةَ الفِردَوسِ داراً ، وحَلّ على الأرائِكِ في ظِلالِ
وخَلّفَ كلَّ قَلبٍ في اشتِغالٍ ، وكلَّ لهيبِ صَدرٍ في اشتِعالِ
بروحي مَن أذابَ نَواهُ روحي ، وأفقَدَ فَقدُهُ عزّي ومالي
ولم أكُ قَبلَ يومِ رَداهُ أدري بأنّ التُّربَ بُرجٌ للهِلالِ
وقالوا: قد أُصِبتَ، فقلتُ: كلاّ ، وما وقعُ النّبالِ على الجِبالِ

---

١ اليحموم : الأسود من كل شيء ، الدخان .

ولم أعلَمْ بأنّ الرّمسَ يُمسي بمَوجِ الحربِ من صَدَفِ اللآلي
أيا صَخرَ الجَنانِ أدَمتَ نَوحي ، فَها أنا فيكَ خَنساءُ الرّجالِ
وفَتْ لي فيكَ أحزاني ودَمعي ، وخانَ علَيكَ صَبري واحتِمالي
بذَلتَ النّفسَ في طَلَبِ المَعالي ، كبَذلِكَ لِلُّهَى يومَ النّوالِ[1]
تُسابِقُ للوَغَى قَبلَ التّنادي ، كسَبقِكَ بالعَطا قَبلَ السّؤالِ
شدَدتَ القَلبَ في خَوضِ المَنايا، ووَبلُ النُّبلِ مُنحَلّ العزالي[2]
لبِستَ على ثِيابِ الوَشيِ قَلباً ، غَنيتَ بهِ عن الدّرعِ المُذالِ[3]
تَهزّ لمُلتَقَى الأعداءِ عِطفاً ، يَهزّ رَطيبَهُ مَرَحُ الدّلالِ
فعِشتَ ، وأنتَ مَمدوحُ السّجايا، ومُتَّ ، وأنتَ محمودُ الخِلالِ
أرُكنَ الدّينِ كم رُكنٍ مَشيدٍ هَدَدتَ بفَقدِ ذيّاكَ الجَمالِ
ربُوعُكَ بعدَ بَهجَتِها طُلولٌ ، وحاليها من الأنوارِ خالِ
تَنوحُ لفَقدِكَ الجُردُ المَذاكي ، وتَبكيكَ الصّوارِمُ والعَوالي
يَحِنّ إلى يَمينِكَ كلُّ عَضبٍ ، وتَشتاقُ الأعِنّةُ للشّمالِ
أتَسلُبُكَ المَنونُ ، وأنتَ طَودٌ، وتُرخِصُكَ الكُماةُ ، وأنتَ غالِ
وتَضعفُ عَزمَةُ البِيضِ المَواضي ، وتَقصُرُ همّةُ الأسَلِ الطّوالِ
ولم تُحطَمْ قَناةٌ في طعانٍ ، ولم تُفلَلْ صِفاحٌ في قِتالِ

---

١ اللهى : العطايا .
٢ قوله العزالي : هو من قولهم أنزلت السماء عزاليها إشارة إلى شدة وقع المطر ، شبه شدة انصباب النبال بشدة انصباب المطر .
٣ المذال : الطويل الذيل .

ولا اضطَرَمتْ جيادٌ في طِرادٍ ، ولا اعترَكتْ رجالٌ في مَجالِ
ولا رَفَعوا بوَقعِ الخَيلِ نَقعاً ، ولا نُسِجَ الغُبارُ على الجِلالِ
وتُمسي اللاّذخيّةُ في رُقادٍ ، تَوَهَّمُ فِعلَها طَيفَ الخَيالِ
ولم تُقلَعْ لقَلعتِهِمْ عروشٌ ، إذا استَوَتِ الأسافِلُ والأعالي
ولا وادي جَهَنّمَ حينَ حَلّوا به أمسَى عليهم شَرَّ فالِ
سأبكي ما حَييتُ ، ولستُ أنسَى صَنائعَكَ الأواخِرَ والأوالي
ولو أنّي أُبَلَّغُ فيكَ سُؤلي ، بَكَيتُكَ بالصّوارِمِ والعَوالي
بكلّ مُهَنّدِ الحَدّينِ ماضٍ تَدبّ به المَنيّةُ كالنّمالِ
يُريكَ به رُكامُ المَوتِ مَوجاً ، وتَمنَعُهُ الدّماءُ منَ الصّقالِ
وأسمَرَ ناهزَ العِشرينَ لَدْنٍ ، رُدَيْنيٍّ المَناسبِ ذي اعتِدالِ
يُضيءُ على أعاليهِ سِنانٌ ضِياءَ النّارِ في طَرَفِ الذُّبالِ
وأشفي من دِماءِ عِداكَ نَفساً ، تَنوطُ القَولَ منها بالفِعالِ
لعَلّ الصّالحَ السّلطانَ يَجلو بغُرّةِ وجهِهِ ظُلَمَ الضّلالِ
ويُجريها من الشّعبَينِ قُبّاً ، إلى الهَيجاءِ تَسعَى كالسّعالي
يُحَرّضُها الطّرادُ على الأعادي ، كأنّ الكَرّ يُذكِرُها المَخالي
علَيها كلُّ ماضي العَزم ذِمْرٍ ، كَميٍّ في الجِلادِ وفي الجِدالِ[1]
ويَشفي عندَ أخذِ الثّأرِ منهُم نُفوساً لَيسَ تَقنَعُ بالمَطالِ
وأعلَمُ أنّ عَزمتَهُ حُسامٌ ، ولكنّ التّقاضي كالصّقالِ

---

[1] الذمر : الشجاع .

لو يرد الردى

وقال يرثي قاضي القضاة بماردين
شمس الدين عبد الله بن المهذب قدس
الله روحه في سنة عشرين وسبعمائة :

لو يُرَدُّ الرَّدى ببَذلِ الأيادي ، أبقَتِ المَكرُماتُ كعبَ الإيادي[1]
ولأبقَتْ فتى المُهَذَّبِ أيـدٍ طَوَّقَتْ بالنَّدَى رِقابَ العِبادِ
ولوَ آنَّ الحِمامَ يُدفَعُ بالبا سِ ، وبيضِ الظُّبَى وحُمرِ الصِّعادِ
لحَمَتهُ يَومَ الهِيـاجِ حُماةٌ تُرعِفُ البِيضَ من نجيعِ الأعادي
وكُماةٌ يُظِلّها من وَشيجِ الـ خَطِّ غابٌ يَسيرُ بالآسادِ
بصِفـاحٍ تُخالُ مَوجَ المَنايا ، في صَفَا مَتنِها عيونُ الجَرادِ
كلُّ صافي الفِرِندِ بالمـاءِ رَ يّان ولكنّهُ إلى الدّمِ صادي
غيرَ أنّ الأيّامَ بالخَلْقِ تجري لبلوغِ الآجالِ جَريَ الجِيادِ
كيفَ تَرجو المَقامَ ، والخَلقُ سَفرٌ ، نحنُ رَكبٌ وحادثُ الدّهرِ حادي
أينَ رَبّ السّريرِ والحِيرَةِ البَيـ ضاء ، أم أينَ رَبّ ذاتِ العِمادِ
إنّ أسبابَ فـاصِلاتِ المَنـايا قد أبادتْ فرعونَ ذا الأوتادِ
ما اعتمادي على الزّمانِ ، وقد أو دى بمَولًى عليهِ كانَ اعتمادي
بمَديدِ الظّلالِ مُقتَضَبِ الرّا ي بَسيطِ النّدى طويلِ النّجادِ
مُسرِفٍ في السّماحِ يُوهِمُهُ الجو دُ بأنّ الإقصادَ في الإقتصادِ[2]

---

1 كعب الإيادي : أحد مشاهير أجواد العرب .
2 الاقصاد ، من أقصده : طعنه فلم يخطئه .

لم تُرَنّحْ أعطافَهُ نَسمَةُ الكِبْـ ـرِ ، ولا اقتادَهُ عِنانُ العِنادِ
حاكمٌ حُكمَ المؤمِّلِ في الما لِ ، وقاضٍ قضَى بحَتفِ الأعادي
وسرَتْ منهُ سيرَةُ العَدلِ في النّا سِ مَسيرَ الأرواحِ في الأجسادِ
شمسُ دينِ اللهِ الذي ضبَطَ الأحـ ـكامَ ضَبطَ الأموالِ بالأعـدادِ
رُبَّ حِلمٍ للبَطشِ فيهِ كُمونٌ ، كلَظَى النّارِ كامناً في الزّنادِ
سَطوَةٌ تُظمِىءُ الرّواةَ مِنَ الرّعـ ـبِ ،ونُطقٌ يروي النّفوس الصّوادي
وانتقادٌ ، إذا جلَتْ ظُلمةُ الشّـ ـكّ ، جَلاهُ بنُورِهِ الوَقّادِ
وجِدالٌ مَعسول أكمَنَهُ اللّفـ ـظُ كأنّ العِدى فيهِ في جِلادِ[1]
ذو يَراعٍ رَطبِ المَشافِرِ يَبسِ الـ ـمَتْنِ جَمٍّ الضّميرِ خُلوِ الفُؤادِ
خدَمَتهُ البِيضُ الحِدادُ، وإن كا نَ صَبِيّاً ، كَمِبضَعِ الفَصّادِ[2]
فإذا ما جرَى بحَلبَـةِ طرسٍ ركضَ الرّعبُ في قلوبِ الأعادي
يُطلِقُ اللّفظَ في السّجِلّ فيأتي ، بالمَعاني مَقرونَةً في صِفادِ
ما رأينا من قَبلِ مَجراهُ خَطّاً ساطعَ النّورِ في ظَلامِ المِدادِ
كلُّ خَطٍّ سَوادُهُ في بَياضٍ ، وتَراهُ بَياضُهُ في السّوادِ
أينَ خَصبُ الأكنافِ في الزّمنِ الما حلِ ،والسّبطُ في السّنينَ الجِعادِ[3]
والجَوادُ السّهلُ اللّقاءِ ، إذا ما كانَ سَهلُ اللّقاءِ غَيرَ جَوادِ
سَلَبَتهُ الأيّامُ غَدراً ، وكانتْ طَوعَ كَفّيهِ في الأمورِ الشّدادِ

---

١ هذا البيت غامض المعنى ، مختل الوزن ، ولعله محرف .
٢ عجز البيت غامض .
٣ أراد بالسبط سبط الكف كناية عن الكرم . وبالسنين الجعاد : الماحلة ، البخيلة .

وأُصيبتْ لفَقدِهِ ، فلهَذا ألبِسَتْ بعدَهُ ثياب حِداد
كانَ عَضداً للآملينَ ، فأمسَى بنَواهُ يَفُتّ في الأعضاد
كانَ زينَ الأولادِ والمالِ إن زيـ نَ سِواهُ بالمالِ والأولادِ
يا حُساماً ما خِلتُ أنّ أديمَ الـ أرضِ يُمسي لهُ منَ الأمجادِ[1]
كنتَ يَومَ النّدى سَريعاً إلى البِـ رّ، ويَومَ الرّدى أبيَّ القيادِ
أيُّ نادٍ للجُودِ لم تكُ فيهِ حاضراً بالنّدى ، وذِكرُكَ بادِ
أصبَحتْ بعدَكَ المَكارِمُ فُقراً ، والمَعالي عَواطِلَ الأجيادِ
وتُوُفّي السّماحُ ، يومَ تُوُفّيـ ـتَ ، فهَل كنتُما على ميعادِ
فعَزيزٌ على المَكارِمِ أن تَخـ فَى ، وفي النّاسِ طيبُ ذكرِك بادِ
أو يُنادى للمَكرُماتِ ، فلا يَسـ بِقُ منكَ النّدى نِداءَ المُنادي
رَقدَةٌ ما نَراكَ من قَبلِها ذُقْـ تَ عن المَكرُماتِ طَعمَ رُقادِ
ما شَهِدْنا من قَبلِها لكَ حالاً كنتَ فيها خِلواً من الحُسّادِ
أحسَنَ اللهُ عَنكَ صَبرَ المَعالي ، وعَزاءَ الإنشاءِ والإنشادِ
وأطالَ اللهُ عُمرَ مَراثيـ لكَ فإنّي فيها حليفُ اجتهادِ[2]
وسقَتْ قبرَكَ الغَوادي ، وإن كا نتْ دموعي رَوائِحاً وغَوادي
فلَعَمري لقد عَهِدتُ إلى الدّمـ ـعِ ليُغنيهِ عن دُموعِ العِهادِ

١ قوله من الأمجاد : هكذا في الأصل .
٢ هذا البيت غامض .

لا ناه ولا آمر

وقال يرثي صديقاً له رتب ناظراً
ببلد العين بالعراق وتوفي فيها :

ما دامَ جَرْيُ الفَلَكِ الدائرِ، لم يَبقَ من بَرٍّ ولا فاجرِ
ما عطَفَ الدهرُ على حاتِمٍ ، كلاّ ، ولا قَصّرَ عن مادرِ[1]
إنّ خيولَ الدهرِ إن طارَدَتْ أتْبَعَتِ الأوّلَ بالآخرِ
لا تَحرِصَنْ منهُ على مَوردٍ ، فغايَــةُ الوارِدِ كالصّادِرِ
أبعدَ عبدِ اللهِ بحرِ النّــدى لزَلّةِ الأيامِ من غافِرِ
مُجري النّدى في الأرضِ حتى نهى بَسيطُها من بَحرِهِ الوافِرِ[2]
ومُخصِبٌ في بَلَدٍ ماحِلٍ ، وعادِلٌ في زَمَنٍ جائِرِ
ومَن غَدَتْ سيرةُ إنعــامِهِ تَملأُ سَمْعَ المَثَــلِ السّائِرِ
أصبَحَ دَستُ المُلكِ من بَعدِهِ خِلواً بلا ناهٍ ولا آمِــرِ
وأصبَــحَ العَينُ بلا ناظِرٍ ، كأنّها العَينُ بلا ناظِرِ

---

١ حاتم : هو حاتم الطائي المشهور بكرمه . مادر : لئيم من بني هلال .
٢ قوله نهى : هكذا في الأصل ، ولعله أراد نهل ، أي شرب فحذفت اللام مراعاة للوزن ، واعتاض منها بالألف .

الدهر مغرى بالكريم

وقال يرثي السيد النقيب غياث الدين عبد الكريم بن عبد الحميد وقد خرج عليه جماعة من العرب بشط سوراء من العراق فحكموا عليه وسلبوه فمانعهم عن سلب سرواله فضربه أحدهم فقتله ويحرض النقيب الطاهر شمس الدين الآوي على الأخذ بثأره :

هوَ الدّهرُ مُغرًى بالكَريمِ وسَلبِهِ ، فإنْ كنتَ في شَكٍّ بذاكَ فسَلْ بِهِ
أرانا المَعالي كيفَ يَنهَدّ رُكنُها ، وكيفَ يَغورُ البَدرُ من بينِ شُهبِهِ
أبعدَ غياثِ الدّينِ يَطمَعُ صَرفُهُ بصرفِ خطابِ النّاسِ عن ذمّ خطبِهِ
وتَخطو إلى عبدِ الكَريمِ خُطوبُهُ ، ويُطلَبُ منّا اليَومَ غُفرانُ ذَنبِهِ
سَليلُ النّبيّ المُصطَفى ، وابنُ عمّهِ ، ونجلُ الوصيّ الهاشميّ لصُلبِهِ
فتًى كانَ مثلَ الغَيثِ يُخشَى وَبالُهُ ويُرجَى لطُلاّبِ النّدى وَبلُ سُحبِهِ
رَقيقُ حَواشي العَيشِ في يومِ سِلمِهِ ، كثيفُ حواشي الجيشِ في يومِ حَربِهِ
فلا يَتّقي الأسيافَ إلاّ بوَجهِهِ ، ولا يَلتَقي الأضيافَ إلاّ بقَلبِهِ
ولا يَنظُرُ الأشياءَ إلاّ بعَقلِهِ ، ولا يَسمَعُ الأنباءَ إلاّ بلُبّهِ
إذا جالَ في يومِ الرّدى قيلَ مَن له ؟ وإن جادَ في يومِ النّدى قيل مَن بِهِ ؟
أمِن بعدِ ما تَمّتْ مَحاسنُ بَدرِهِ ، ودارتْ على كلّ الوَرى كاسُ حزنِهِ
دَهَتهُ المَنايا ، وهيَ في حدّ سَيفِهِ ، وصَرْفُ اللّيالي وهوَ من بعضِ حبّهِ[1]

---

[1] من بعض حبه : أي من بعض محبيه .

كأنْ لم يَقُدْها كالأجادلِ سُرَّباً ، ويرفعَ قبَّ اللّيلِ من نَقعِ قُبّهِ[1]
ولم يَقرَعِ الأسماعَ وَقعُ خِطابِهِ ، ولم يَطرُقِ الهَيجاءَ مَوقعُ خَطبِهِ
ولا كان يومَ الدَّستِ صاحبَ صدرِهِ ، وللجيشِ يومَ الحربِ مَركزُ قُطبِهِ
أتَعتَزّهُ الأعداءُ في يومِ لَهوِهِ ، فهلّا أتوهُ جَحفَلاً يومَ حَربِهِ
ولم أرَ قبلَ اليومِ لَيثَ عَريكَةٍ ، أذاقتهُ طَعمَ المَوتِ عَضّةُ كَلبِهِ
ولو كانَ ما بينَ الصّوارِمِ والقَنا ، وفوقَ مُتونِ الخَيلِ إدراكُ نَحبِهِ
لكانَ جَميلَ الذّكرِ عن حُسنِ فعلِه ، يُنَفِّسُ عن قلبِ الفتى بعضَ كَربِهِ
أبيُّ قِيادِ النّفسِ آثَرَ حَتفَهُ ، ولم يُبدِ يَوماً للعِدى لينَ جَنبِهِ
كأنّ بني (عبدِ الحَميدِ) لفَقدِهِ ، ذُرى جبَلٍ هُدّتْ جَلامدُ هَضبِهِ
أتَسلُبُهُ الأعداءُ مِن بين رَهطِهِ ، وتَغتالُهُ الأيّامُ من دونِ صَحبِهِ
وتَفقِدُهُ في دَولَةٍ ظاهريّةٍ ، بها الذّئبُ يَعدو رائعاً بينَ سِربِهِ
بدَولَةِ مَلْكٍ يَغصِبُ اللّيثَ قُوتَهُ ، ويَقتُلُ مَنْ يَلقاهُ شِدّةُ رُعبِهِ
فلو كانَ شمسُ الحقّ والدّين شاهداً ، لمَصرَعِ ذاكَ النّدبِ ساعةَ نَدبِهِ
بكاهُ بأطرافِ الأسنّةِ والظُّبَى ، بدَمعٍ من اللّبّاتِ مَسقِطُ سَكبِهِ
وشَنّ على عُربِ العذارينِ غارَةً ، يَضيقُ بها في البَرّ واسعُ رَحبِهِ
فتَعجَبُ لَبّاتُ الكُماةِ بطَعنِهِ ، ويُعرِبُ هاماتِ الحُماةِ بضَربِهِ
فلا نَقطَ إلّا من سِنانِ قَناتِهِ ، ولا شَكلَ إلّا من مَضاربِ عَضبِهِ

---

[1] قوله : سرباً، لعله من قولهم : ظبية ساربة أي ذاهبة إلى مرعاها. قب الليل: لعله أراد قبة الليل . قبه : خيوله الضامرة .

أبا الحَرْبِ بادِرْ واتّخِذْها صنيعَةً ، تُبَدِّلُ مُرَّ القَولِ فيكُم بعَذْبِهِ
فكَم لغِياثِ الدّينِ من حَقِّ مِنّةٍ تُطَوِّقُ بالإنعامِ أعناقَ صَحبِهِ
قضَى نَحبَهُ ، والذّكرُ منه مُخَلَّدٌ بأفواهِنا لم يَقضِ يوماً لنَحبِهِ
ومُذ رَجَعَتْ أترابُهُ من وَداعِهِ ، تَلَقّاهُ في أكفانِهِ عَفوُ رَبّهِ
سقَى قَبرَهُ من صَيّبِ المُزنِ وابلٌ ، يَجُرّ على أرجائِهِ ذَيلَ خَصبِهِ
ومن عَجَبٍ أنّ السّحابَ بقَبرِهِ ، وأسألُ من صَوبِ الحَيا رَيّ رَبّهِ

المرء غرض الردى

وقال يرثي القاضي شهاب الدين محموداً كاتب السر بدمشق سنة خمس وعشرين وسبعمائة :

حَبلُ المُنى بحِبالِ اليأسِ مَعقودُ ، والأمنُ من حادِثِ الأيّامِ مَفقودُ
والمرءُ ما بَينَ أشراكِ الرّدى غَرَضٌ صَميمُهُ بسِهامِ الحَتفِ مَقصُودُ
لا تَعجبنّ ، فما في الموتِ من عجَبٍ ، إذ ذاكَ حدٌّ به الإنسانُ مَحدودُ
فالمُستَفادُ من الأيّامِ مُرتَجَعٌ ، والمُستَعارُ من الأعمارِ مَردودُ
وللمَنيّةِ أظفارٌ ، إذا ظَفِرَتْ ، رأيتَ كلّ عَميدٍ وهوَ مَعمُودُ
لم يَنجُ بالبأسِ منها ، مع شَراستِهِ ، ليثُ العَرينِ ، ولا بالحيلةِ السِّيدُ

قد ضَلّ من ظنّ بعضَ الكائناتِ لها   مَكثٌ ، وللعالَمِ العلويّ تخليدُ
ألَم يقولوا بأنّ الشهبَ خالدةٌ   طبعاً ، فأينَ شهابُ الدّينِ محمودُ
مَن كانَ في علمِه بينَ الورى علماً   يُهدى بهِ إن زوَتْ أعلامَها البيدُ
ومَن روَتْ فضلَهُ حُسّادُ رُتبتِه ،   وعنعنَتْ عن أياديهِ الأسانيدُ[1]
فضلٌ بهِ أوجُهُ الأيّامِ مُشرقةٌ ،   كأنّهُ لخُدودِ الدّهرِ تَوريدُ
مُهذَّبُ اللفظِ لا في القولِ لَجلَجةٌ   منهُ ، ولا عندَهُ في الرّأيِ تَرديدُ
لا يَهدِمُ المَنُّ منهُ عُمرَ مَكرُمَةٍ ،   ولا يعمـدُ بالمَطلِ المَواعيدُ[2]
إن كان يُقصَدُ مَقصودٌ لبَذلِ ندًى   فإنّهُ للنّدى والفَضلِ مَقصودُ
لهُ اليَراعُ الذي راعَ الخطوبَ بهِ   في حَلبَةِ الطّرسِ تَصويبٌ وتصعيدُ
أصَمُّ أخرَسُ مَشقوقُ اللّسانِ ، إذا   طارحتَهُ سُمِعَتْ منهُ الأغاريدُ
إن شاءَ تَسويدَ مُبيضّ الطّروسِ فمن   إنشائِهِ لبَياضِ النّاسِ تَسويدُ
لو خَطّ سَطراً ترى عكسَ القياسِ بهِ :   الشّمسُ طالعةٌ ، واللّيلُ مَوجودُ
والسّائراتُ التي راقتْ لسامِعِهـا   ألفاظُها ، وحلَتْ منهُ الأناشيدُ
رَشيقَةُ السّبكِ لا المعنى بمُبتَذَلٍ   منها ولا لَفظُها بالعَسفِ مَكدودُ[3]
يا صاحبَ الرّتبَةِ المَعذورِ حاسِدُها ؛   إنّ السّعيدَ على النّعماءِ مَحسودُ
ما شامَ بَعدَكَ أهلُ الشّامِ بارِقَةً   للفَضلِ حينَ ذوَى من رَبّهِ العُودُ

---

١ عنعن : قال في روايته : روى فلان عن فلان عن فلان . الأسانيد ، الواحد إسناد : من يسند إليه الحديث ، أي يعزى ويرفع .

٢ قوله : يعمد ، هكذا في الأصل .

٣ العسف : التكلف .

إلَيكَ قد كانَ يُعزى العِلمُ مُنتَسِباً، واليَومَ فيكَ يُعزّى العِلمُ والجُودُ
كم خُطبَةٍ لكَ راعَ الخطبَ مَوقِعُها، وكم تُقُلِّد منهُ ، الدّهرَ، تَقليدُ[1]
ولَفظَةٍ لا يَسُدّ الغَيرُ مَوضِعَها، غَرّاءَ تُحسَبُ ماءً ، وهيَ جُلمودُ
وجَحفَلٍ لجِدالِ البَحثِ مُجتَمعٍ ، كأنّهُ لجِلادِ الحَربِ مَحشُودُ
قد جَرّدَ الشّوسُ فيه قُضبَ ألسِنَةٍ ، في مَعرَكٍ يومُهُ المَشهورُ مَشهُودُ
عَقَرتَ كلّ كَميٍّ في عَقيرَتِهِ بهِ ، وأزرُكَ بالتّحقيقِ مَشدودُ
بصارِمٍ لا يردّ الدّرعُ ضَربتَهُ ، ولو سنى نَسجَهُ المَردودَ داودُ[2]
حتى إذا نكَصَ القومُ الكَميٌّ به ، وأعوزَتْ عندَ دَعواهُ الأسانيدُ
ألقَوا مَقاليدَهم فيهِ إلى بطَلٍ شَهمٍ ، إلى مِثلِهِ تُلقَى المَقاليدُ
يا مُفقدي مع وُجودي فيضَ أنعُمِهِ همّي وموجودُ وجدي وهوَ مَفقودُ
وجاعِلَ الفَضلِ فيما بينَنا نسَباً ، إذ كانَ في نَسَبِ الآباءِ تَبعيدُ
قد كانَ يُجدي التّناسِي عنك دفعُ أسًى ، لو أنّ مثلكَ في المِصرَينِ مَوجودُ
قد أخلَقتْ ثوبَ صبري فيكَ حادثةٌ أضحَى بها لثيابِ الحُزنِ تَجديدُ
برُغمِ أنفيَ أن يَدعوكَ ذو أمَلٍ ، فلا يَسحّ عِهادٌ منكَ مَعهودُ
وأن يُرى ربعُكَ العافي ، وليسَ به مرعًى خَصيبٌ ، وظلٌّ منك ممدودُ
أبكي: إذا ما خلا أوصافُ مجدِكَ لي، فِكري وأطلُبُ صَبري، وهو مطرودُ
والتَجي بالتّسَلّي أن ستُخلِفُها أبناؤكَ الغُرُّ أو أبناؤكَ الصِّيدُ

---

١ عجز البيت غامض . وقد يكون فيه تحريف .
٢ سنى : فك ، حل .

فسَوفَ تَرثيكَ منّي كلُّ قافيَةٍ ، بها لذِكرِكَ بينَ النّاسِ تَخليدُ
وأُسمِعُ النّاسَ أوصافاً عُرِفتَ بها ، حتى كأنّكَ في الأحياءِ مَعدودُ
فلا عَدا الغَيثُ تُرباً أنتَ ساكِنُهُ ، مع عِلمِنا أنّ فيهِ الغَيثَ مَلحودُ
ودامَ ، والظّلّ مَمدودٌ بساحَتِهِ ، والسّدرُ والطّلعُ مَحصورٌ ومَنضودُ[1]

أي الملوك نعوا ؟

وقال يرثي السلطان الملك المؤيد عماد الدين صاحب حماة وقد حضر موته مسمطاً لقصيدة الوزير أبي الوليد أحمد بن زيدون المغربي في سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة :

كانَ الزّمانُ بلُقياكُم يُمَنّينا ، وحادِثُ الدّهرِ بالتّفريقِ يَثنينا
فعندَما صَدَقتْ فيكم أمانينا ، أضحَى التّنائي بَديلاً مِن تَدانينا
ونابَ عن طيبِ لُقيانا تَجافينا

خِلنا الزّمانَ بلُقياكم يُسامِحُنا لكَيْ تُزانَ بذِكراكم مَدائحُنا
فعندَما سمَحَتْ فيكم قَرائحُنا بِنتُم وبِنّا فَما ابتَلّتْ جَوانحُنا
شَوقاً إليكُم ولا جَفّتْ مآقينا

[1] السدر : شجر النبق . الطلع : ما يبدو من ثمرة النخل أول ظهورها .

لم يُرضِنا أن دَعا بالبَينِ طائرُنا ، شَقَّ الجُيوبِ، وما شُقّتْ مرائرُنا
يا غائبينَ ومأواهم سَرائرُنا ، تَكادُ حينَ تُناجيكُم ضَمائرُنا
يقضي علينا الأسَى لولا تأسّينا

حمدتُ أيّام أنسٍ لي بكم سَعِدتْ، وأسعَدتْ إذ وَفتْ فيكم بما وَعدتْ
فاليومَ إذ غِبتمُ ،والدّارُ قد بعُدتْ، حالَتْ لفَقدِكمُ أيّامُنا فغَدَتْ
سُوداً ، وكانتْ بكم بِيضاً لَيالينا

فُزنا بنَيلِ الأماني من تَشَرّفِنا ، بقُربِكم ، إذ بُرينا من تكَلّفِنا
حتى كأنّ اللّيالي في تصَرّفِنا ، إذ جانبُ العَيشِ طَلقٌ من تألّفِنا
ومَورِدُ اللّهوِ صافٍ من تَصافينا

كم قد وَرَدنا مياهَ العِزّ صافيَةً ، وكم علَلْنا بها الأرواحَ ثانيَةً
إذْ عَينُها لم تكن بالمَنّ آنيَةً ، وإذ هصَرنا غصونَ الأنسِ دانيَةً
قُطوفُها ، فجنَيَنا منهُ ما شِينا

يا سادَةً كانَ مَغناهم لنَا حرَمَا، وكانَ رَبعُ حَماةٍ للنّزيلِ حِمَى
كم قد سقَيتُم مياهَ الجودِ ربّ ظمَا ليَسقِ عَهدكُم عَهدُ الغَمَامِ فما
كُنتم لأرواحِنا إلاّ رَياحينا

هل يَعلَمُ المُسكرونا من سَماحِهمُ برَشفِ راحِ النّدى من كأسِ راحِهمُ
أنّا لَبِسنا الضّنا بَعدَ التماحِهِمُ ، مَن مُبلِغُ المُلبِسينا بانتزاحِهِمُ
ثَوباً من الحُزنِ لا يَبلى ويُبلينا

إذا ذكرنا زَماناً كانَ يُدرِكُنا ، بالقُربِ منكم ، وفي اللّذّاتِ يُشرِكُنا
لا نَملِكُ الدّمعَ والأحزانُ تملكُنا ؛ إنّ الزّمانَ الذي قد كان يُضحِكُنا
آناً بقُربكُمُ قد صارَ يُبكِينا

نعَى المُؤيَّدَ قومٌ لَوْ دَرَوا ووَعَوا ، أيَّ الملوكِ إلى أيّ الكِرام نعَوا
أظنّهُ ، إذ سَقانا الودَّ حينَ سعَوا ، غيظَ العِدى من تَساقينا الهوى فدعَوا
بأن نَغَصّ ، فقالَ الدّهرُ آمينا

لمّا رأوا ما قَضينا من مَجالِسِنا ، وسِبطَ أنسٍ رأينا من مَجالِسِنا
دَعَوا لنُفجَعَ في الدّنيا بأنفُسِنا ، فانحَلّ ما كانَ مَعقوداً بأنفُسِنا
وانبَتّ ما كانَ مَوصولاً بأيدينا[1]

أينَ الذينَ عَهِدْنا الجودَ يُوثِقُنا في رَبعِهم ، ولهم بالشّكرِ يُنطِقُنا
وكان فيهم بهم منهم تأنّقُنا ، وقد نكونُ وما يُخشَى تَفَرّقُنا
فاليَومَ نحنُ ، وما يُرجَى تَلاقينا

يا غائبين ، ولا تَخلو خَواطرُنا من شَخصِهم وإن اشتاقتْ نواظرُنا
واللهِ لا يَنقَضي فيكم تَفكّرُنا ، لا تَحسبُوا نأيَكم عنّا يُغيّرُنا
انْ طالَ ما غيّرَ النّأيُ المُحبّينا

إنّا ، وإن زادَنا تَفريقُنا غُلَلاً[2] إلى اللّقا ، وكَسانا بَعدَكم عِلَلاً
لم نَدعُ غَيرَكمُ سُؤلاً ، ولا أملاً ، واللهِ ما طَلَبتْ أرواحُنا بَدَلاً
منكم ، ولا انصرَفتْ عنكم أمانينا

---

١ انبت : انقطع .
٢ الغلل ، الواحدة غلة : العطش الشديد . العلل ، الواحدة علة : المرض الشديد .

إذا ذكرتُ حِمَى العاصي ومَلعَبِهِ ، والقَصرَ والقُبّةَ العُليا بمَرقَبِهِ
أقولُ ، والبرقُ سارٍ في تَلَهّبِهِ : يا ساريَ البرق غاديَ القصرَ فاسقِ بهِ
من كان صَرفَ الهوَى والوُدّ يَسقينا

يا غاديَ المُزنِ إن وافَيتَ حِلّتَنا على حَماةَ ، فجُد فيها مَحَلّتَنا
واقرَ السّلامَ بها عنّا أحبّتَنا ، ويا نَسيمَ الصَّبا بَلّغْ تَحيّتَنا
مَن لو على البُعدِ مُتنا كانَ يُحيينا

سلطانُ عَصرٍ إلَهُ العَرشِ بَوّأهُ مِنَ المَعالي ، وللخَيراتِ هَيّأهُ
براهُ زَيناً ، وممّا شانَ بَرّأهُ ، ربيبُ مُلكٍ كأنّ اللهَ أنشَأهُ
مِسكاً ، وقَدّرَ إنشاءَ الوَرى طينا

نحنُ الفِداءُ لمن أبقَى لَنا خَلَفاً ، من ذِكرِهِ ، وإن ازدَدنا به أسفاً
وإن نكن دونَ أن يُفدى بنا أنفاً ، ما ضَرّ إن لم نكن اكفاءَهُ شرَفاً
وفي المَوَدّةِ كافٍ من تَكافينا[1]

يا مَن يرَى مَغنَمَ الأموالِ مَغرَمَةً إن لم يُفِدْ طالبي جَدواهُ مَكرُمَةً
إنّا ، وإن حُزتَ ألقاباً مكَرَّمةً ، لَسنا نُسَمّيكَ إجلالاً وتَكرِمةً
وقدرُكَ المُعتَني عن ذاكَ يُغنينا

كم قد وُصِفتَ بأوصافٍ مشَرّفَةٍ ، في خطّ ذي قلمٍ أو نُطقِ ذي شفةٍ
فقَد عرَفناكَ منها أيَّ مَعرِفَةٍ ، إذا انفَرَدتَ وما شُورِكتَ في صِفةٍ
فحَسبُنا الوصفُ إيضاحاً وتَبيينا

---

١ انفاً : ترفعاً .

خلّفتَ بعدَكَ للدّنيا وآمِلِها نُجلاً يُسرّ البرايا في تأمّلِها
فلم تقل عنك نَفسٌ في تملمُلِها: يا جنّةَ الخُلدِ أُبدِلنا بسلسَلِها
والكَوثَرِ العَذبِ زُقّوماً وغِسلينا

كم خلوةٍ هزّنا للبَحثِ باعِثُنا ، فليسَ يُؤنِسُنا إلاّ مباحثُنا
فاليَومَ أُخرِسَ بالتّفريقِ نافثُنا ، كأنّنا لم نَبِتْ ، والوَصلُ ثالثُنا
والدّهرُ قد غضّ من أجفانِ واشينا

ولَيلَةٍ قد حَلا فيها تَنادُمُنا ، والعِزُّ يَكنِفُنا ، والسّعدُ يقدُمُنا
ونحنُ في خَلوَةٍ ،والدّهرُ يَخدُمُنا، سِرّينِ في خاطِرِ الظّلماءِ يكتمُنا
حتى يَكادُ لسانُ الصّبحِ يُفشينا

للهِ كم قد قضَينا منكمُ وطراً ، قد كان عيناً فأمسَى بعدكم خبراً
لا تَعجَبوا إن جعلنا ذكرَكمسمراً، إنّا قَرأنا الأسَى يومَ النّوى سُوَراً
مَتلوّةً ، واتّخَذنا الصّبرَ تَلقينا

كم من حَبيبٍ عَدَلنا مع ترَحّلِه، إلى سِواهُ ، فأغنى عن تأمّلهِ
وصَعبِ وِرْدٍ عَدَلناهُ بأسهلِهِ ؛ أمّا هَواكَ ، فلَم يُعدَل بمَنهلِهِ
شُرْباً وإن كانَ يَروينا ، فيُظمينا

تَشكو إلى اللهِ نفسٌ بعضَ ما لقيتْ غِبّ النّعيمِ الذي من بعدِ شقيتْ
فيَا سَحاباً به كلُّ الوَرىسُقِيتْ : عليكَ منّي سَلامُ اللهِ ما بقيَتْ
صَبابَةٌ منكَ تُخفيها وتُخفينا

مضى طاهرِ الأثواب

قال يرثي أخاه لأبويه عبد الله بن سرايا سنة ست وعشرين وسبعمائة وقد توفي في تلك السنة ابنا عميه وولده ومملوكه وصديق له :

بكَيتُ دَماً لو كانَ سكبُ الدّما يُغني ، وضاعفتُ حزُني لو شَفى كمَداً حزُني
وأعرَضتُ عن طيبِ الهَناءِ لأنّني نَقِمتُ الرّضَى حتى على ضاحكِ المُزنِ
أرى العَيشَ في الدّنيا كأحلامِ نائمٍ ، فلَذّاتُها تَفنى ، وأحداثُها تُفني
فمن حادِثٍ جَمٍّ صَفَقتُ له يَدي ، ومن فادحٍ صَعبٍ قَرَعتُ له سنّي
أفي الستّ والعشرينَ أفقدُ ستّةً ، جبالاً غدتْ من عاصِفِ الموتِ كالعِهنِ [1]
فقَدتُ ابنَ عمّي وابن عمّي وصاحبي ، وأكبرَ غِلماني بها ، وأخي ، وابني
متى تُخلِفُ الأيّامُ كابنِ مُحَمّدٍ ونجلِ سَرايا بعدَهُ ، وفتى الرّكنِ
رِجالاً لوَ انّ الشّامخاتِ تَساقَطتْ عليهم، لكان القلبُ من ذاك في أمنِ
فُجِعتُ بنَدبٍ كانَ يَملأُ ناظري ، فأصبحَ ناعي نَدبِهِ مالئاً أذني
عَفيفُ نَواحي الصّدرِ من طيّ رِيبَةٍ ؛ سليمُ ضَميرِ القلبِ من دنسِ الضّغنِ
قريبٌ إلى المَعروفِ والخَيرِ والتّقَى ، بَعيدٌ عن الفَحشاءِ والإفكِ والأفنِ [2]
جَبانٌ عن الفَحشا ، شحيحٌ بعِرضِهِ ، إذا عيبَ بعضُ النّاس بالشّحّ والجُبنِ

---

١ العهن : الصوف .
٢ الافك : الكذب . الافن : ضعف العقل .

ومَن أتعبَ اللُّوّامَ في بَذلِ بِرّهِ ، فَلائِمُهُ يَثني ، وآمِلُهُ يُثني[1]
مضَى طاهرَ الأثوابِ والنّفسِ والخُطى ، عَفيفَ مَناطِ الذّيلِ والجَيبِ والرّدنِ
ولم يَبقَ من تَذكارِهِ غَيرُ زَفرَةٍ ، تُفَرّقُ بينَ النّومِ ، في اللّيلِ ، والجفنِ
ولو سَلَبَتهُ الحربُ منّي لَشاهدَتْ كما شاهدَتْ في ثارِ أخوالِهِ منّي
وأبكَيتُ أجفانَ الصّوارِمِ والقَنا نَجيعاً ، غداةَ الكرّ في الضّربِ والطّعنِ
فيا ابنَ أبي والأمّ ، قد كنتَ لي أباً حُنُوّاً ، ولكن في الإطاعة لي كابني
ليَهنِكَ أنّ الدّمعَ بعدَكَ مُطلَقٌ ، لفَرطِ الأسَى ، والقلبَ بالهَمّ في سجنِ
جَعَلتُ جبالَ الصّبرِ بالحُزنِ صَفصفاً ، وصَيّرتُ أطوادَ التّجلّدِ كالعِهنِ
وحاوَلتُ نَظمَ الشّعرِ فيكَ مَراثياً ، فأُرتِجَ حتى كِدتُ أُخطىءُ في الوَزنِ
بَنَيتُ على أن أتّقي بكَ شِدّتي ، ولم أدرِ أنّ الدّهرَ يَنقُضُ ما أبني
وبُلّغتُ ما أمّلتُ فيكَ سوى البَقا ، وما رُمتُهُ إلاّ الوُقوفَ على الدّفنِ
سبقَتَ إلى الزّلفَى ، وما من مَزيّةٍ من الفَضلِ إلاّ كنتَ أولى بها منّي
خَلَفتَ أباكَ النّدبَ في كلّ خلّةٍ من المَجدِ ، حتّى كِدتَ عنه لنا تُغني
سَرايا خِصالٍ من سَرايا وَرِثتَها ، على أنّ هذا الوَردَ من ذلكَ الغُصنِ[2]
جزَاكَ الذي يَمّمتَ سَعياً لبَيتِهِ ، ولَبّيتَ فيهِ مُحرِماً ، جَنّتَيْ عَدنِ
ووَفّاكَ مَن لم تَنسَ في الدّهرِ ذِكرَه شَفاعتَه ، والنّاسُ في الحَشرِ كاللُّكنِ
فقد كنتَ تُحيي اللّيلَ بالذّكرِ ضارِعاً إلى اللهِ ، حتى صِرتَ بالنّسكِ كالشّنّ[3]

---

١ يثني : يرتد باللوم . ويثني بضم الياء : يمدح .
٢ السرايا : الشريفة .
٣ الشن : القربة البالية .

فيؤنِسُني ترتيبُ نَفلِكَ في الضّحى، ويُطرِبُني ترتيلُ وِردِكَ في الوَهنِ[1]
أمنتُ صروفَ الدّهرِ بعدَكَ والأذى، فمن ذا رأى من صارَ بالخَوفِ في أمنِ
سأبكيكَ بالعِزّ الذي كنتَ مُلبِسي، لدَيكَ، وثِقلٍ كُنتَ تَحمِلُه عَنّي
وأعلَمُ أنّ الحُزنَ والموتَ واحِدٌ عليّ، فذا يُضني القُلوبَ، وذا يُفني
فإن كانَ عُمرُ البَينِ قد طالَ بَينَنا، كما طالَ في آناءِ مدّتِهِ حُزني
فَحُبُّكَ في قَلبي، وذِكرُكَ في فَمي، وشَخصُكَ في عَيني، ولفظُكَ في أذني

لا عبد يغني عنه

وقال يرثي مملوكاً له وكان كاتباً مجيداً فصيحاً:

لا عَبدَ يُغني عَنهُ ولا وَلَدُ، ما كلّ عَبدٍ علَيهِ يُعتَمَدُ
ولا سَليلٌ يَسرّهُ تَلَفي، كَناصحٍ في رِضايَ يَجتَهِدُ
ذا يتَمَنّى فَقدي لكَيْ يَجدَ الـ مالَ، وهذا لحُزنِهِ يَجِدُ
رَبيبُ بَيتي، بل رَبّ نِعمَتِه، ومَن بهِ في الأُمورِ أعتَضِدُ
يَسعى لنَفعي بالطّبعِ منهُ، ولا يَقصُرُ في فِعلِهِ ويَضطَهِدُ
قد يَقطَعُ الصّارِمُ المُهنّدُ بالطّبـ عِ، ويَمضي بِرُغمِهِ الوَتِدُ

[1] النفل: ما يعمل زيادة عن المفروض. الورد: الجزء من القرآن. الوهن: الليل.

وهوَ القَويّ الأمينُ إن عرَضَتْ　　لي أزمَةٌ كانَ منهُ لي مَدَدُ
مَنظَرُهُ صالحٌ ، ومَخبرُهُ ،　　فالبَدرُ في بُردَتَيهِ ، والأسدُ
كانَ لساناً لي ناطِقاً ، ويَداً　　طُولَى ، وظَهراً إليه أستَنِدُ
لم تَكُ لي دارُ ميّةٍ غرَضاً ،　　إذ ليَ منهُ العَلياءُ والسّنَدُ
كَفَلتُهُ يافعاً ، فكنتُ لهُ　　كالوالدِ البرّ ، وهوَ لي وَلَدُ
مُعتَقِداً فيهِ ما تَحقّقَ لي　　من وُدّهِ ، وهوَ فيّ مُعتَقِدُ
فقَدتُهُ ، فارتَضَيتُ همّتَهُ ،　　والنّاسُ مثلُ النُّضارِ تُنتَقَدُ
وظلتُ أغذوهُ بالعُلومِ ، وما　　يَزينُهُ ، وهوَ فيهِ مُجتَهِدُ
فجاءَ مُستَعذَبَ الخَلائقِ واللّفظِ ، ومِصباحُ فَهمِهِ يَقِدُ
مُهَذَّبُ اللّفظِ ، ما بمنطِقِهِ　　زَيغٌ ، ولا في خِلالِهِ أوَدُ
يُعرِبُ ألفاظَهُ ، فيَنفُثُ في　　سِحرِ المَعاني ، وما بها عُقَدُ
إن خَطّ طرساً، فالدُّرّ منتَظِمٌ ،　　أو قالَ لَفظاً ، فجَوهَرٌ بَدَدُ
لله قَلبٌ رَثّتْ عَلائِقُهُ　　به ، وأثوابُ حُزنِهِ جُدَدُ
قطَعتُ من غَيرِهِ الرّجاءَ فَما　　وَجَدتُ مِثلاً لهُ ، ولا أجِدُ

بدور تغرب في الماء

وقال يرثي صديقاً له غرق بدجلة :

أصفيحُ ماءٍ أم أديمُ سَماءِ ، فيهِ تَغورُ كَواكِبُ الجَوزاءِ ؟
ما كنتُ أعلَمُ قبلَ موتِكَ مُوقِناً أنّ البُدورَ غُروبُها في الماءِ
ولقدْ عجِبتُ، وقد هَوَيتَ بلُجّةٍ ، فجَرى على رسلٍ بغَيرِ حَياءِ[1]
لو لم يُشَقّ لكَ العُبابُ ، وطالما أشبَهتَ موسَى باليَدِ البَيضاءِ
أنِفَ العلاءُ عليكَ من لمسِ الثّرى وحلولِ باطنِ حُفرَةٍ ظَلماءِ
وأجَلّ جِسمَكَ أن يُغَيّرَ لُطفَهُ عَفَنُ الثّرى وتَكاثُفُ الأرجاءِ
فأحَلّهُ جَدَثاً طَهوراً مُشبِهاً أخلاقَهُ في رِقّةٍ وصَفاءِ
ما ذاكَ بِدعاً أن يَضُمّ صَفاؤهُ نُوراً يُضَنّ بهِ على الغَبراءِ
فالبَحرُ أولى في القياسِ من الثّرى، بجِوارِ تلكَ الدُّرّةِ الغَرّاءِ
يا مالكي ! إنّي علَيكَ مُتَيَّمٌ ؛ يا صَخرُ ! إنّي فيكَ كالخَنساءِ
ولقد ألوذُ بكَنزِ صَبري طالباً حُسنَ العَزاءِ ، ولاتَ حينَ عزاءِ
وأعافُ شُربَ الماءِ يَطفَحُ لُجُّهُ ، فأصُدّ عَنهُ ، وأنثني بظَماءِ
وإذا رأيتُ مَدامعي مُبيَضّةً مثلَ المياهِ مَزَجتُها بدِماءِ
لا يُطمِعِ العُذّالَ حُسنُ تجَلّدي ، فلَذاكَ خَوفَ شماتَةِ الأعداءِ
فلئِنْ خفَضتُ لهم جَناحَ تحَمّلي، فالقَلبُ مَنصوبٌ على الإغراءِ

---

[1] في هذا البيت غموض .

ثمال اليتامى والأيامى

وقال يرثي القاضي تاج الدين محمد
ابن وشاح قاضي الحلة :

لو أفادَتنا العَزائمُ حالا ، لم نَجِدْ حُسنَ العَزاءِ محالا
كيفَ يُولي العَزمُ صَبراً جَميلاً حينَ وارَى التّربُ ذاكَ الجَمالا
ما ظَنَنّا أنّ ريحَ المَنَايا تَنسِفُ الطَّودَ، وتُردي الجِبالا
جارَ صَرفُ الدّهرِ فينا بعَدلٍ لم نَجِدْ للقَولِ فيهِ مؤالا[1]
أفَما تَنفَكّ أيدي المَنايا تَسلُبُ المالَ ، وتُفني الرّجالا
فإذا أبدى لها المَرءُ سِلماً ، جرّدَتْ عَضباً ، وراشتْ نِبالا
كلّما رُمنا نموّ هِلالٍ غَيّبَتْ بَدراً أصابَ الكَمالا
فإذا ما قلتُ قد زالَ حُزنٌ ، أبدلَتْ أحداثُها اللاّمَ دالا
كيفَ دكّتْ طودَ حِلمٍ نَداهُ، سبَقَ الوَعدَ ، وأفنى السّؤالا
كيفَ كفّ الدّهرُ كَفّاً كريماً ليَمينِ الدّهرِ كانتْ شِمالا
ثمِلٌ من نَشوَةِ الجُودِ أضحَى لليَتامَى والأيامَى ثِمالا[2]
نِعَمٌ لسائِليهِ جَوابٌ ، لم يَصِلْ يَوماً إلى لَن ولا لا
دَوحَةٌ من عِرقِ آلِ وِشاحٍ، قد دَنَتْ للطّالبينَ مَنالا

١ مؤالا : هكذا في الأصل ، ولعلها محرفة عن : مجالا .
٢ الثمال : الغياث .

قد رَسَت أصلاً وطابتْ ثِماراً ، وزكَتْ فَرعاً ومَدّتْ ظِلالا
أزعَجَ النادي بنَجواهُ ناعٍ ، كم نُفُوسٍ في دُموعٍ أسَالا
فسَمِعنا منهُ نَدباً لنَدبٍ أبعَدَ الصّبرَ ، وأدنَى الخَيالا
باتَ يُهدي للقلوبِ اشتغالا ، ولنيرانِ الهُمومِ اشتِعالا
قد مَرَرنا في مَغانيهِ رَكباً ، وغَوادي الدّمعِ تَجري انهِمالا
وسألنا النّارَ عَنـهُ ، فقالتْ : كانَ تاجُ الدّينِ رُكناً ، فزَالا
كانَ وَبلاً للعُفاةِ هَتوناً ، ولأحزابِ العُـداةِ وَبالا
كانَ تاجُ الدّينِ للدّهرِ تاجاً ، زادَ هامُ الدّهرِ منـهُ جَمالا
كانَ زلزالاً لباغٍ عَصاهُ ، ولباغي الرّفدِ منهُ زُلالا
كانَ للأعداءِ ذُلاً وبؤساً ، ولراجي الجُودِ عِزّاً ومالا
كانَ للنّاسِ جَميعاً كَفيلاً ، فكأنّ الخلقَ كانوا عِيالا
راعَ أحزابَ العِدى بيَراعٍ ، طالمَا أنشأ السّحابَ الثّقالا
ناحلِ الجِسمِ قَصيرٍ دَقيقٍ دَقّ في الحَربِ الرّماحَ الطّوالا
يَجعَلُ النّومَ عليهم حَراماً ، كلّما أبرَزَ سِحراً حَلالا
فإذا ما خطّ اسوَدَ نَقشٍ خِلتَهُ في وَجنَةِ الدّهرِ خَالا
يا كَريماً طابَ أصلاً وفَرعاً ، وسَمَا أُمّاً وعَمّاً وخَالا
وخَليلاً مُذْ شربتُ وَفاهُ لم أرِدْ نَبعاً بهِ أو خِلالا
وإذا ما فهتُ باسمِ أبيـهِ ، كانَ للميثاقِ والعَهدِ فالا
إنْ أسأنا لم يَرُعْنا بلَومٍ ، وإذا لُمناهُ أبدَى احتِمالا

كانَ عَصرُ الأُنسِ منكَ رُقاداً ، ولَذيذُ العَيشِ فيهِ خَيالا
مَن لدَستِ الحُكمِ بعدَكَ قاضٍ لم يَمِلْ يَوماً إذا الدّهرُ مالا
مَن لإصلاحِ الرّعايا ، إذا ما أفسدَتْ منها يدُ الدّهرِ حالا
مَن لإطفاءِ الحروبِ ، إذا ما صارَ آلُ المَرءِ بالكرّ آلا
وإذا صارَ الجِدالُ جِلاداً ، أخمَدَ الحَربَ، وأفنى الجِدالا
رُبّ يومٍ مَعرَكُ الحربِ فيهِ حطّمَ السّمرَ وفلّ النّصالا
ذكّرَ الأحقادَ فيهِ رِجالٌ ، حبّبَ الطّعنُ إليها النّزالا
في مَكَرٍّ واسعِ الهَولِ ضَنكٍ ، لا يُطيقُ الطّرفُ فيهِ مَجالا
ألبَسَ الجَوَّ العَجاجُ لِثاماً ، وكسا الخَيلَ الغُبارُ جِلالا
شمتَ في إصلاحِهِم عَضبَ عزمٍ زادَهُ حَزمُ الأمورِ صِقالا
بكَ كَفَّ اللهُ كفَّ الرّزايا ، وكَفَى اللهُ الأنامَ القِتالا
فلئِنْ وارَتكَ أرضٌ ، فها قد سارَ منكَ الذّكرُ فيها وَجالا
لم يَمُتْ مَن طابَ ذِكراً، وأبقى بعدَهُ شِبهاً لهُ أو مِثالا
أسَدٌ خلّفَ شِبلَيْ عَرينٍ شَيّدا مَجداً لهُ لَن يُنالا
ظَلّ زينُ الدّينِ للدّهرِ زَيناً ، وجَمالُ الدّينِ فيهِ جَمالا
فأرانا اللهُ أقصَى الأماني فيهِما ، إنْ جارَ دَهرٌ ومالا
وحَباكَ اللهُ في الخُلدِ روحاً ، ونَعيماً خالداً لَنْ يُزالا

الضد يظهر الضد

وقال يرثي السيد النقيب مجد الدين
أبا الفوارس بن الأعرج طاب مثواه :

صروفُ اللّيالي لا يَدومُ لها عَهدُ ، وأيدي المَنايا لا يُطاقُ لها رَدُّ
تُسالمُنا سَهواً ، وتَسطو تَعَمّداً ، فإسعافُها عَسفٌ ، وإقصادُها قَصدُ[1]
عَجِبتُ لمن يَغتَرّ فيها لِجَنّةٍ من العَيشِ ما فيها سَلامٌ ولا بَرْدُ
أفي كلّ يومٍ للنّوائبِ غارَةٌ يُشَقّ عليها الجَيبُ أو يُلطَمُ الخَدّ
أرى كلّ مألوفٍ يُعَجَّلُ فَقدُهُ ، فَما بالُ فَقدِ الإلفِ ليسَ له فَقدُ
فقدتُ رِجالاً كانَ في البؤسِ بأسُهم ، هوَ الظّهرُ لي والباعُ واليَدُ والزّندُ
يَزيدُهم لَيلُ الخُطوبِ، إذا دَجَا، ضِياءً وحُسنُ الضّدّ يُظهِرُهُ الضّدّ
أرى كلّ من يستخلِصُ الشكرَ بعدَهم من النّاسِ نَحراً لا يَليقُ به عِقدُ
لذاكَ هَجَرتُ الإلفَ أعلَمُ أنّني لكَ السّيفُ لا يُبليهِ ،إن بَلِيَ،الغِمدُ
وزرتُ بِلاداً يُنبِتُ العزَّ أرضُها ، ويَنجَحُ في أبناءِ أبياتِها العَقدُ
مَخافَةَ أن أُضْحي من الخِلّ خالياً ، وَحيداً،وأُمسي عندَ مَن ما لَهُ عِندُ
ولمّا عطَفتُ العيسَ ، آخرَ رِحلَةٍ ، إلى مَعهَدٍ لي ، والحَبيبُ بهِ عَهدُ
وشارَفتُ أعلامَ الطّويلَةِ ذاكِراً عهودَ الصّبا، والشّيبُ لمّا يَلُحْ بَعدُ
سألتُ حِمَى الفَيحاءِ: ما بالُ رَبعِها جديباً ، وقد كانتْ نَضارَتُهُ تَبدو

---

[1] العسف : الظلم . إقصادها : إصابتها .

وما بالُها لَمْ يُروَ من مائِها الصّدى ... لظامٍ ، ولا يُوري لقاصدِها زَنْدُ
فقالتْ: قضَى من كان بالسّعد لي قضَى، ... وصَوّحَ نَبتُ العزّ وانهدَمَ المَجدُ
فأصبحَ مجدُ الدّينِ في التّربِ ثاوياً ، ... وزالَ السّماحُ السّبطُ والرّجلُ الجَعدُ
فتًى علّمتهُ غايةَ الزّهدِ نَفسُهُ ، ... فأصبحَ حتى في الحَياةِ لهُ زُهدُ
ولم أرَ بدراً قَبلَهُ حازَهُ الثّرى ، ... ولم أرَ بحراً قَبلَهُ ضَمّهُ اللّحدُ
سَليلُ صفيّ المُصطَفى ، وابنُ سبطه ، ... لقد طابَ منهُ الأُمّ والأبُ والجَدّ
فَصيحٌ ، إذا الخَصمُ الألَدّ تَعالمتْ ... دَلائِلُهُ ، كانتْ لهُ الحُجَجُ اللُّدّ
إذا قالَ قَولاً يَسبِقُ القولَ فِعلُهُ ، ... فلَيسَ لهُ يوماً وَعيدٌ ، ولا وَعدُ
لئن أخطأتْ أيدي الرّدى بمُصابِهِ ، ... لعَمرُ أبي ، هذا هوَ الخَطأُ العَمدُ
مضَى طاهرَ الأثوابِ والجسمِ والحَشَى ، ... له الشّكرُ دِرْعٌ ، والعَفافُ لهُ بُردُ
وأبقَى لَنا من طيبِهِ طِيبَ وُلْدِهِ ، ... يَنوبُ كما أبقَى لَنا ماءَهُ الوَردُ
همُ القومُ فاهُوا بالفَصاحةِ رُضّعاً ، ... وشابَتْ نَواحي مجدِهم ، وهمُ مُرْدُ
إذا حَلّ منهم واحدٌ في قَبيلَةٍ ... يُشارُ إليَهِ إنّهُ العَلَمُ الفَرْدُ
كَفاهم فَخاراً أنّهُ لهمُ أبٌ ، ... ويَكفيهِ أن أمسَى ومِنهم لهُ وُلدُ
فَيا نازِحاً يُدنيهِ حُسنُ ادّكارِهِ ، ... فَفي بُعدِهِ قُربٌ ، وفي قُربه بُعدُ
لكَ اللهُ كم أدركتَ في المَجدِ غايَةً ... تَقاعسَ عن إدراكِها الأسدَ الوَردُ
إذا افتَخرَ الأقوامُ يوماً بمجدِهمْ ، ... فإنّكَ مِن قَومٍ بهمْ يَفخَرُ المَجدُ
تَعَوّدَ مَتنَ الصّافناتِ صَغيرُهم ، ... إلى أنْ تَساوَى عندَهُ السّرجُ والمَهدُ
حَمَوا بجنودِ الجأشِ حَولَ بيوتِهم ، ... من المَجدِ ، ما لم يَحمِهِ الجيشُ والجُندُ

بيوتُ كُماةٍ دونَها تُحطَمُ القَنا ، وغاباتُ أُسدٍ دونَها تُفرَسُ الأُسدُ
أقامُوا وبَردُ العيشِ عندهمُ لَظًى ، و صالوا وحَرُّ الكَرّ عندَهمُ بَردُ
وعَزّوا إلى أن سالمتهم نجومُها ، فلا نجمَ إلاّ وهوَ في رَبعِهِمْ سَعدُ
ورثتَ علاهم واقتَديتَ بفَضلِهم ، فأنتَ إذاً نِدّ الكِرامِ لهم نِـدّ
فإن شاقَ صدرُ الخَودِ والنّهدُ مَعشراً يَشوقُكَ صَدرُ الدّستِ والفرَسُ النّهدُ
فَبالرّغمِ منّي أن يُغَيّبَكَ الثّرَى ، ويَرجعَ مَردوداً بخيبَتِهِ الوَفدُ
ويُعرِضَ عن رَدّ الجَوابِ لسائِلٍ ، وقد كنتَ لم يُعرَفْ لسائِلكَ الرّدّ
سأبكيكَ جُهدَ المُستَطيعِ مُنَظّماً رِثاكَ ،وهذا جُهدُ مَن مَا له جُهدُ
فإنْ رَمِدَتْ أجفانُ عَينيَ بالبُكا ، فكَم جَلَيتْ منّا بكَ الأعينُ الرُّمدُ
لئن كنتَ قد أصبَحتَ عنّا مُغَيَّباً ، فقد نابَ عنكَ الذّكرُ والشّكرُ والحمدُ
وما غابَ مَن يَقصو ومَعناهُ حاضرٌ ، ولا زالَ مَن يَخفَى وآثارُهُ تَبدو[1]

بدر يستسر في التراب

وقال يرثي الأمير محمداً
ولد الحاج صالح بماردين :

صالَ فينا الرّدى جَهاراً نَهارا ، فكأنّ المَنونَ تَطلُبُ ثَارَا
كلّما قلتُ يَستَتِمّ هِلالٌ ، سلَبَتنا أيدي الرّدى أقمارَا

---

١ يقصو : يبعد .

يا لَقَومي! ما إن وَجدتُ من الخطب مَحيداً ، ولا علَيه انتِصارَا
كلَّ حينٍ ألحَى الخطوبَ على فقدِ حَبيبٍ ، وأعتبُ الأقدارَا
يا هلالاً لمَّا استتمَّ ضياءً ، قد أغارَتْ فيه المَنونُ ، فَغارَا
قمرٌ أسرَعتْ له الأرضُ كَسفاً ، وكذا الأرضُ تَكسِفُ الأقمارَا
أذهلَ العقلَ رُزؤهُ ، فترَى النّاسَ سَكارَى وما همُ بسَكارَى
ما رأينا من قبلِ رُزئِكَ بَدراً جعَلَ المُكثَ في التّرابِ سِرارَا
كنتُ أدري أنّ الزّمانَ ، وإن أسْعَفَ بالصّفوِ يُحدِثُ الأكدارَا
غيرَ أنّي غُررتُ أنسوفَ تبقى ، فلَقَد كنتَ كَوكباً غَرّارَا
يا قَضيباً ذَوى ، وصَوّحَ لمّا أظهرَ الزّهرُ غُصنَهُ والثّمارَا
قد فَقَدنا من طيبِ خُلقِكَ أنساً علّمَ النّومَ عن جفوني النّفارَا
خُلُقاً يُشبِهُ النّسيمَ ، ولُطفاً سلَبَ الماءَ حُسنَه ، والعُقارَا
أيّها النّازِحُ الذي ملأ القلْبَ بأحزانِهِ ، وأخلى الدّيارَا
لستُ أختارُ بَعدَ بُعدِكَ عَيشاً ، غَيرَ أنّي لا أملِكُ الإختيارَا
كلّما شامَ برقَ مَغناكَ قَلبي ، أرسلَتْ سُحبُ أدمُعي أمطارَا
وإذا ما ذكَرتُ ساعاتِ أُنسي بكَ أذكَى التّذكارُ في القلبِ نارَا
فكأنّ التّذكارَ حَجّ بقَلبي ، فهوَ بالحزنِ فيهِ يَرمي الجِمارَا
فسأبكيكَ ما حَييتُ بدَمعٍ ، لا تُقالُ الجُفونُ منهُ عِثارَا
ليسَ جُهدي من بعدِ فَقدِكَ إلاّ أرسِلَ الدّمعَ فيكَ والأشعارَا

سقى الله قبراً

وقال يرثي صاحبه زكي الدين بن مقبل البغدادي حين توفي بماردين :

سقَى اللهُ قَبراً حَلَّ فيهِ ابنُ مُقبِلٍ ، تَوالي أمطارٍ بها البرقُ ضاحِكُ
فتًى غابَ عنّا شخصُهُ دونَ ذكرِهِ ، فأصبحَ فينا حاضراً ، وهوَ هالِكُ
غَريبٌ عنِ الأوطانِ قد حَلَّ حُفرَةً من الحُزنِ يَعلوهُ الصّفا والدّكادِكُ[1]
فيا ربِّ قد وافاكَ ذا أمَلٍ ، فجُدْ علَيهِ برُضوانٍ ، فإنّكَ مالِكُ

رحم الاله جوارحاً

وقال في شمس الدين محمد بن المعجونة الموصلي الكاتب وقد توفي بماردين ودفن بجبانة تعرف بقبور الرضوان :

رَحِمَ الإلهُ جَوارِحاً ضَمَّ الثّرَى ، في ماردين بأيمَنِ الصّمّانِ
فلَقَدْ تَمتّعتِ النّواظرُ بُرهَةً من رَبّها بالحُسنِ والإحسانِ
وعلمتُ أنّ ذنوبَهُ مَغفُورَةٌ من دَفنِهِ بمَقابِرِ الرّضوانِ

---

١ الدكادك : الأراضي فيها غلظ .

توفيت الآمال بعد محمد

وقال يرثي السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون في سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة :

وَفَى ليَ فيكَ الدّمعُ إذ خانني الصّبرُ ، وأنجَدَ فيكَ النّظمُ إذ خُذِلَ النّصرُ
وأضحتْ تقولُ النّاسُ والدّستُ والعلى : كذا فليَجلّ الخَطبُ وليَفدحِ الأمرُ
تُوُفّيَتِ الآمالُ بَعدَ مُحَمّدٍ ، وأصبَحَ في شُغلٍ عن السّفرِ السّفْرُ
وزالَتْ حَصاةُ الحِلمِ عن مُستَقرّها ، وأصبَحَ كالخَنساءِ في قَلبِهِ صخرُ
وساوَى قلوبَ النّاسِ في الحُزنِ رزؤه كأنّ صدورَ النّاسِ في حُزنِها صَدرُ
فإن أظلَمَتْ أرضُ الشّآمِ لحُزنِهِ ، فلَم يَخلُ من ذاكَ الصّعيدُ ولا مصرُ
قضَى النّاصرُ السّلطانُ من بعدِ ما قضَى فروضَ العُلى طُرّاً ، وسالمَهُ الدّهرُ
ولم يُغنِ عنه الجأشُ والجيشُ واللُّهَى وفَرْطُ النُّهَى والحكمُ والنّهيُ والأمرُ
ولا الخَيلُ تَجري بينَ آذانِها القَنا ، لحربِ العِدى والدُّهمُ من دَمهم حُمرُ
لدى معرَكٍ خاضَتْ به الخَيلُ في الوغى من الدّمِ فيما خاضتِ البيضُ والسّمرُ
كأنْ لم يَقُدها في الهياجِ عَوابِساً ، بكلّ كَميٍّ ضمّ في قَلبِهِ الصّدرُ
ولم تَرجعِ البِيضُ الصّفاحُ من العِدى مُخَضَّبَةً ، والبَرّ من دَمِهمْ بحرُ
ولم يَترُكِ الأبطالَ صَرعَى، وغسلُها دماها ، وأحشاءُ النّسورِ لها قَبرُ
ولا صَنَعَتْ فيها ظُباهُ مآدِباً ، فأصبَحَ من أضيافِهِ الذّئبُ والنّسرُ
ولا أخذَتْ منهُ الملوكُ لسِلمِهِ زِمامَ الرِّضَى ممّا يُقَلقِلُها الذّعرُ

ولا مُهّدَ الإسلامُ عندَ اضطرابِهِ ، فأصبحَ مَشدوداً بهِ ذلكَ الأزرُ
ولا قلّدَ الأعناقَ من فيضِ جُودِهِ ، قلائدَ برٍّ لا يقومُ بها الشّكرُ
ولا جبَرَتْ كفّاهُ في كلّ بلدَةٍ كَبيرَ كِرامٍ ما لكَسرِهمُ جَبرُ
ألا في سبيلِ المَجدِ مُهجَةُ ماجِدٍ يُشارِكُنا في حُزنِهِ المَجدُ والفَخرُ
كَريمٌ أفادَ الدّهرُ منهُ خَلائقاً ، فأيّامُهُ منهُ مُحَجَّلَةٌ غُرّ
يَروعُ جيوشَ الحادِثاتِ يَراعُهُ ، ويُفني الأعادي قَبلَ أسيافِهِ الذّكرُ
إلى بابِهِ تَسعَى المُلوكُ ، فإن عدَتْ تعدّى إليها القَتلُ والنّهبُ والأسْرُ
لقَدْ شَهِدَتْ أهْلُ المَمالكِ أنّهُ مَليكٌ لهُ مِن فوْقِ قَدرِهمُ قَدْرُ
قَوِيٌّ إذا لانوا ، سريعٌ إذا وَنَوا ، صَؤولٌ إذا كَرّوا ، ثَبوتٌ إذا فرّوا
كأنّ أديمَ الأرضِ قُدّ من اسمِهِ ، فَما وُجِدتْ إلاّ وفيها لهُ ذِكرُ
يَجُولُ ثَناهُ في البلادِ كأنّه وِشاحٌ ، ومجموعُ البقاعِ له خَصرُ
وما كان يَدري مَن تَيَمّمَ جودَهُ ونكّبَ لُجَّ البَحرِ أيّهُما البَحرُ
مَفاتحُ أرزاقِ العِبادِ بكَفّهِ ، فيُمنى بها يُمنٌ ، ويُسرَى بها يُسرُ
فتًى كانَ مثلَ الدّهرِ بَطشاً وبَسطةً ، يُرَجّى ويُخشَى عندَهُ النّفعُ والضّرّ
فتًى طَبّقَ الأرضَ البَسيطةَ جودُهُ ، فَفي كلّ قُطرٍ من نَداهُ بها قَطرُ
فتًى لَفظُهُ مع رأيِهِ ونَوالِهِ ، يَجيءُ ارتجالاً لا يُغَلغِلُهُ الفِكرُ
فتًى لمْ تُرَنّحْ نَشوَةُ الكِبرِ عِطفَهُ ، ومن بَعضِ ما قد نالَهُ يَحدُثُ الكِبرُ
فتًى يَكرَهُ التّقصيرَ حتّى تظُنّهُ ، يكونُ حَراماً عِندَهُ الجَمعُ والقَصرُ
فتًى لم يدَعْ في مُهجَةِ المَجدِ حسرَةً ، مدى الدّهرِ ، إلاّ أن يَطولَ له العمرُ

فتًى ذَخرَ الحُسنى ، فأعقبَ فعلُهُ عواقبَهُ الحُسنى ، فقد نفعَ الذّخرَ
تَقاصرَتِ الأشعارُ عن وَصفِ رُزئِهِ ، لقد جَلّ حتى دَقّ عن وصفه الشّعرُ
طواهُ الثّرى من بعدِ ما شَرُفَ الثّرَى بوَطأتِه ، والتّختُ والدّستُ والقصرُ
ولم نَرَ بَدراً قَبلَهُ غابَ في الثّرى ، ولم نَرَ طَوداً قَبلَهُ ضَمّهُ القَبرُ
وقد كان بطنُ الأرضِ يَغبطُ ظهرَها عليه ، فأمسَى البَطنُ يَحسدُهُ الظّهرُ
أحاطَ بهِ الآسونَ يَبغُونَ طِبّهُ ، وقد حارَتِ الأفهامُ واشتَغَلَ السّرّ[1]
ورامُوا بأنواعِ العَقاقيرِ بُرأهُ ، وهل يُصلحُ العطّارُ ما أفسدَ الدّهرُ
وكيفَ يردّ الطّبُّ أمراً مُقَدّراً ، إذا كانَ ذاكَ الأمرُ ممّنْ لهُ الأمرُ
وممّا يُسلّي النّفسَ حُسنُ انتقالِه ، عَفيفَ إزارٍ لا يُناطُ بهِ وِزْرُ[2]
وإنّ لَنا من بَعدِهِ من سَليلِهِ مَليكاً بهِ عن فَقدِهِ يَحسُنُ الصّبرُ
فإنْ غابَ ذاكَ البَدرُ عن أفقِ مُلكِه فقد أشرَقتْ من نجلِهِ أنجمٌ زُهرُ
وسَرّ العُلى ما أسمعَ النّاسُ عنهمُ ، وقالَ الوَرى قد صَدّقَ الخبرَ الخُبرُ
فإنْ فَلّتِ الأيّامُ حَدّ مُحَمّدٍ ، فقد جَرّدَتْ سَيفاً به يُدرَكُ الوِترُ
وإن أحدَثتْ بالنّاصرِ المَلْكِ زَلّةً ، فبالملك المَنصورِ قامَ لها العُذرُ
فيا دوحةَ المَجدِ الذي عندما ذوَتْ سمَتْ ونمَتْ في المجدِ أغصانُها الخضرُ
لكَ اللهُ كَم قَلّدتَنا طَوقَ مِنّةٍ ، فتلكَ كَعَدّ القَطرِ ليسَ لهُ حَصرُ
لقد عَزّ فينا بعدَ وُجدانِكَ الغِنى ، كما ذَلّ فينا قبلَ فِقدانِكَ الفَقرُ
تَرَتّبَتِ الأحزانُ فيكَ مَراتِباً بقَلبي ، ورَقمُ الصّبرِ من بَينِها صِفرُ

---

١ الآسون ، الواحد آس : الطبيب .
٢ الوزر : الإثم .

ولمّا نَظَمتُ الشّعرَ فيكَ قَلائِداً ، تَمَنّتْ نجومُ اللّيلِ لو أنّها شِعرُ
سأبكيكَ بالأشعارِ ، حتى إذا وَهَتْ سُلُوكُ عُقُودِ النّظمِ أنجدَني النّثرُ
عليكَ سَلامُ اللهِ ما ذُكِرَ اسمُكم، وذلكَ بَينَ النّاسِ آخرُهُ الحَشرُ

ما للجبال الراسيات ؟

وقال يرثي السلطان الملك الأفضل ناصر الدين محمداً ابن السلطان الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن أيوب صاحب حماة في سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة :

ما للجِبالِ الرّاسياتِ تَسيرُ ، أفآنَ بَعثٌ للوَرَى ونُشورُ ؟
أم زالَتِ الدّنيا فيَذبُلَ يَذبُلٌ منها ويَدعي بالثّبورِ ثَبيرُ[1]
أم أخبرَتْ أنّ ابنَ أيّوبٍ قضَى ، فتَكادُ من حُزنٍ عليهِ تَمُورُ
الأفضَلُ الملكُ الذي لفَخارِهِ ذَيلٌ على هامِ السُّهَى مَجرُورُ
ذو الرّتبَةِ العَلياءِ ، والوَجهِ الذي مِنهُ البدورُ تَغارُ ثمّ تَغورُ
يَسخو وصَوبُ المُزنِ يحبسُ قطرَه عنّا ، ويَعدلُ والزّمانُ يَجُورُ
فإذا سَخا ذلّ النُّضارُ بكَفّهِ ، كرَماً ، وعزّ له الغَداةَ نَظيرُ
يروي حَديثَ الجُودِ عنهُ معنِّفاً، فحَديثُهُ بَينَ الوَرَى مأثُورُ

[1] قوله : يدعي ، هكذا في الأصل ، ولعلها لغة في يدعو .

جَمَعَ الثّناءَ ، وإنّهُ ، إلاّ على   جَمع ِ النُّضارِ ، إذا يَشاءُ قَديرُ
من مَعشَرٍ ما شَكّ طالبُ جُودهم   أنّ الثّناءَ عليهِـمُ مَحصُورُ
قومٌ ،إذا صَمتَ الرّواةُ لفَضلِهم ،   أثنى علَيهم مِنبَرٌ وسَريرُ
أخنَتْ علينا الحادِثاتُ برُزْئِـهِ ،   والرّزءُ بالمَلكِ الكَبيرِ كَبيرُ
وعَلا النّعيّ لَه ، وكانَ إذا بَدا   يَعلو لَـهُ التّهليلُ والتّكبيرُ
عَمّ الخلائِقَ حُزنُهُ ، فقلوبُهم   بالحُزنِ مَوتَى ، والجسومُ قُبورُ
عَفٌّ الإزارِ ، فَلا يُلاثُ بزَلّةٍ ،   فيقالَ : إنّ هِباتِهِ تَكفِيرُ[1]
طالَتْ إلى الحُسنى يَداهُ ،وخطوُه ،   نحوَ المَعاصي ، واللّسانُ قَصيرُ
يتَطَهّرُ المَاءُ القَراحُ بغسلِهِ ،   وبطيبِهِ يتَعَطّرُ الكافُورُ
أينَ الذي كَسَبَ الثّناءَ بسَعيِه   لتجارَةٍ في المَجدِ لَيسَ تَبُورُ
أينَ الذي ساسَ البلادَ بخاطِرٍ   كالبَحرِ ليسَ لصَفوِهِ تَكديرُ
أينَ الذي عَمّ الأنامَ بأنعُمٍ   يُطوَى الزّمانُ ، وذِكرُها مَنشورُ
يا غائِباً أخفَى التّرابُ جَمالَهُ   عَنّا ، وأنعُمُهُ لدَيّ حضورُ
ومُسافِراً ولّى فطَوّلَ نأيَهُ ،   ونرَى المُسافرَ فرضُهُ التّقصيرُ
لقد استَقَمتَ كما أُمِرتَ،وأمرُكَ الـ   عالي ، فأنتَ الآمرُ المأمورُ
رأيٌ حَمَيتَ به (حماةَ)وأهلَها ،   ورعَى المَمالكَ سَعيُكَ المَشكورُ
ما زالَ وَفرُكَ للعُفاةِ مُعَرَّضاً ،   أبداً ، وعِرضُكَ بَينَهم مَوفُورُ
ما خِلتُ أنّ نَداكَ تُقلِـعُ سُحبُهُ   عَنّا ، ويَنضبُ بَحرُهُ المَسجورُ[2]

---

١ يلاث : يلطخ .
٢ المسجور : الملآن ، المحمي .

أفإنْ أُصِمَّ صَداكَ عنّي إنَّ لي	منكَ الصّدى المَهموزُ والمَقصورُ
سَمعتْ بمقدمكَ الجِنانُ فزَخرَفتْ	وتَباشرَتْ ولِدانُها والحُورُ
لم تَثْنِ عنكَ الغاسِلونَ عِنانَها ،	إلاّ أتاكَ مُبَشِّرٌ وبَشيرُ
وغدَتْ تَقولُ العالمونَ وقد بكَتْ	عِلماً بلَذّةِ ما إليهِ تَصيرُ
تَبكي عليهِ ، وما استَقرَّ قَرارُهُ	في اللّحدِ ، حتى صافحَتهُ الحُورُ

زعزع ركن المجد

وقال يرثي الأمير الكبير المعظم ملك السادة عماد الدين ناصر بن محمد الدلقندي أطاب الله مثواه ويذكر وفاته فجأة في يوم عاشوراء من سنة ست وأربعين وسبعمائة :

اليَومَ زُعزِعَ رُكنُ المَجدِ وانهدَما ،	فحُقَّ للخلقِ أن تذري الدّموعَ دما
ما مِن وَفيٍّ بكَى دَمعاً بغَيرِ دَمٍ ،	إلاّ غَدا في صَفاءِ الودّ مُتّهَما
يا فَجعةً أحدثتْ في المجدِ مُعضِلةً	تُبلي الصّميمَ وفي سمعِ العُلى صَمَما
شَقٌّ الجيوبِ بلا شَقّ القلوبِ بها	خُلُقٌ ذَميمٌ لمن يَرعى لها الذّمَما
حتّامَ أحزنُ في تَوديعِ مُرتَحِلٍ ،	وأقرَعُ السّنّ في آثارِهِ نَدَما
من خالطَ النّاسَ كانَ الحزنُ غايتَه ،	من أكثرَ النّومَ لا يَستذنبُ الحُلُما
أماتَني الحزنُ إلاّ أنّ نُطقَ فَمي	يحكي الصّدى لنَعيٍّ خطبُهُ عَظُما

فالنّاس تُعجبُ إذ نَظّمتُ مرثيةً ، وهل سَمعتَ بميتٍ نظّمَ الكَلِما
أينَ الذي كانَ مَغناهُ لآمِلهِ حِصناً ، وظَلّ فِناهُ للنّزيلِ حِمى
أينَ الذي كانَ مَسعاهُ وبهجَتُهُ بَينَ المَمالكِ تَجلو الظُّلمَ والظُّلَما
أينَ الذي كانَ نعمَ المُستَشارُ به ، إذا تَراكَمَ موجُ الشّكِّ والتَطَما
وإن غدَتْ لملوكِ الأرضِ مُشكلةٌ غَدا لها حَكَماً ترضَى بها حِكَما[1]
يَقظانُ يُرضيكَ نَجواهُ وخاطرُه ، إن قالَ أفهَمَ ، أو أسمَعتَهُ فهِما
مضَى الأميرُ عِمادُ الدّينِ عن أمَمٍ قد كانَ منها سَناهُ والنّدى أمَما[2]
فَما أرَتنا اللّيالي عندَهُ نِعَماً ، حتّى قضَى ، فأرَتنا عندَهُ نِقَما
قضَى ديونَ العُلى في عزّةٍ وقضَى عَفَّ الإزارِ بحَبلِ اللهِ مُعتَصِما
ما مالَ إلاّ على مالٍ يَجودُ بهِ على الوَرى ولغَيرِ الحَيلِ ما ظلَما
ولم يُحرّكْ لساناً في أذَى أحدٍ من العبادِ ، ولا أجرَى به قلَما
يا ناصرَ الحَقّ لمّا عزّ ناصِرُهُ ، وذلّ مَن لم يكن بالجاهِ مُلتَزِما
ما كنتَ إلاّ طِرازاً راقَ مَنظَرُه على ثيابِ العُلى والمَجدِ قد رُقِما
ماتَتْ لموتكَ خلقٌ كنتَ غَيثَهمُ ، وهَدّ فَقدُكَ من أهلِ الرّجا أُمَما
لبّيتَ داعي الرّدى لمّا فُجئتَ بهِ طَوعاً ، ولم ترَ منهُ عابساً وَجِما
رَمَيتَ بالذّلّ قوماً أنتَ عزّهمُ ، وما رَمَيتَ ولكنّ الإلَهَ رَمَى
حلّ الرّدى بكَ ضَيفاً فانبسَطتَ لهُ ، وجُدتَ بالنّفسِ لمّا رامَها كَرَما
قد سالمَتكَ اللّيالي في تَصرّفِها ، حتّى المَنيّةُ ألقَتْ دونَكَ السَّلَما

---

١ ترضى بها : هكذا في الأصل .
٢ الأمم : القرب .

فَفاجأتكَ برِفقٍ لم يُذِقكَ ضَنًى ، ولم تُقاسِ بها في مَرضَةٍ ألمَا
يا ابنَ الأئمّةِ والقومِ الذينَ سمَوا على الأنامِ ، فكانوا للهُدى عَلَما
مَثواكَ في يومِ عاشوراءَ يُخبرُنا بقُربِ أصلِكَ من آبائِكَ الكُرَما
وخُلقُكَ السَّبطُ يا ابنَ السِّبطِ حنَّ له ، فيومَ مَصرَعهِ من بَينِنا اختُرِما
قد كانَ وَجهُكَ في الإقبالِ قِبلَتَنا ، فأصبَحَ اسمُكَ فيما بَينَنا قَسَما
وكانَ مالُكَ في الأقوامِ مُنقَسِماً ، فصارَ حزنُكَ بينَ النّاسِ مُقتَسَما
كنّا نُعَزّيكَ في الأموالِ تُتلِفُها ، فاليومَ فيكَ نُعزّي المَجدَ والكرَما
أرضَعتَنا ثَدْيَ أُنسٍ منكَ تألَفُهُ ، فاليومَ منك رَضيعُ الأُنسِ قد فُطِما
تُبدي التّواضعَ للإخوانِ مُنبَسِطاً ، وإن وَضَعتَ على هامِ السُّها قدَما
بسَطتَ لي منكَ أخلاقاً وتكرِمةً ، حتّى غدا الودّ فيما بَيننا رَحِما
فكيفَ نَحيا، وقد زالَ الحياةُ لنا ، فإن نَمُتْ بعدَه حُزناً فلا جرَما
أبكي عليهِ ،وهل يَشفي البكا كمَداً ، ولو مَزَجتُ دموعي بالدّماءِ لَما
وكيفَ نَبكي امرأً كانَ الإلهُ لهُ في المالِ والآلِ والخيراتِ قد ختَما
مضَى ، وأبقَى لَنا من بَعدِهِ خلَفاً شملُ العَلاءِ بهِ قد عادَ ملتَئِما

كنتم له خلفاً

قال وكتب بها إلى أبناء الملك المنصور صدر رسالة :

ما ماتَ مَن أنتُمُ أغصانُ دَوحَتِهِ ، فالذّكرُ منهُ مُقيمٌ بينَ أحياءِ
لمّا اقتَضَى الدّهرُ منهُ وترَهُ ، وقضَى عفَّ الإزارِ حَميدَ الفِعلِ والرّأيِ
كُنتُم لهُ خلَفاً يُهدي الثّناءَ له ، كالماءِ للوَردِ ، أو كالوَردِ للماءِ

خفض همومك

قال يعزي الملك الأفضل صاحب
حماة بوالده الملك المؤيد :

خَفّضْ همومك، فالحَياةُ غرُورُ، ورَحَى المَنونِ، على الأنامِ تدورُ
والمَرءُ في دارِ الفَناءِ مُكَلَّفٌ، لا قادِرٌ فيها ولا مَعذورُ
والنّاسُ في الدّنيا كظِلٍّ زائِلٍ، كلٌّ إلى حُكمِ الفَناءِ يَصيرُ
فالنّاسُ والملكُ المتوَّجُ واحدٌ، لا آمرٌ يَبقَى، ولا مأمُورُ
عجَباً لمن ترَكَ التّذَكّرَ، وانثنى في الأمنِ، وهوَ بعَينِهِ مَغرُورُ
في فَقدِنا المَلكَ المؤيّدَ شاهِدٌ ألاّ يَدومَ معَ الزّمانِ سرُورُ
ملكٌ تيَتّمَتِ الملوكُ برأيِهِ، فكأنّهُ لصَلاحهِمْ إكسيرُ[1]
من آلِ أيّوبَ الذينَ سَماحُهُم بحرٌ بأمواجِ النّدى مَسجورُ
أضحَتْ مدائحُه الحِسانُ مَراثياً، للنّاسِ منها رَنّةٌ وزَفيرُ
وبكَتْ لهُ أهلُ الثّغورِ، وطالمَا ضَحكَتْ لدَستِ المُلكِ منه ثُغورُ
أمسَى عِمادُ الدّينِ بعدَ علومهِ ولطِبّهِ عَمّا عَراهُ قُصورُ
وإذا القَضاءُ جرَى بأمرٍ نافِذٍ، غَلِطَ الطّبيبُ، وأخطأ التّدبيرُ
ولو أنّ إسماعيلَ مثلُ سَميّهِ يُفدى، فدَتْهُ تَرائبٌ ونُحورُ
إن لمتُ صرفَ الدّهرِ فيه أجابَني: أبتِ النُّهَى أن يُعتَبَ المَقدورُ

---

١ الإكسير في زعمهم : ما يلقى على الفضة ونحوها فيحوله إلى ذهب خالص .

أو قلتُ: أين تُرى المؤيّدُ؟ قال لي : أينَ المُظَفّرُ قبلُ والمَنصورُ ؟
أم أينَ كِسرَى أزدشيرُ وقيصرٌ والهُرمُزان ، وقبلهم سابورُ ؟
أينَ ابنُ داودٍ سليمانُ الذي كانتْ بجَحفَلِهِ الجبالُ تَمورُ
والرّيحُ تجري حيثُ شاءَ بأمرِهِ ، منقادَةً ، وبهِ البِساطُ يَسيرُ ؟
فتكَتْ بهم أيدي المَنونِ ، ولم تزَلْ خَيلُ المَنونِ على الأنامِ تُغيرُ
لو كانَ يخلُدُ بالفَضائلِ ماجِدٌ ، ما ضَمّتِ الرُّسْلَ الكِرامَ قُبُورُ
كلٌّ يَصيرُ إلى البِلى ، فأجبتُه: إنّي لأعلَمُ ، واللّبيبُ خَبيرُ

لدوا للموت وابنوا للخراب

وقال يعزي الصاحب المعظم الحاج
شرف الدين بن فخر الدين إبراهيم
بماردين بولد :

لِدُوا للمَوتِ ، وابنُوا للخَرابِ ، فَما فَوقَ التّرابِ إلى التّرابِ
كذلكَ قالَ خَيرُ الخَلقِ طُرّاً ، رَسولُ اللهِ ، ذو الأمرِ المُجابِ
فمَرجِعُ كلّ حيٍّ للمَنايا ، وغايةُ كلّ مَلْكٍ للذّهابِ
بَنو الدّنيا فَرائِسُ للمَنايا ، ونابُ المَوتِ عَنها غَيرُ نابِ
ومَن يَغتَرّ في الدّنيا بعَيشٍ ، فقد طلَبَ الشّرابَ من السّرابِ

دعا ابنَكَ للرّدى مَن ليس يُعصَى ، وداعي المَوتِ مَمنوعُ الجَوابِ
أرانا فَقدُهُ الأيّامَ سُوداً ، ونادي الأنسِ مغبَرّ الجَنابِ
وما طيبُ الحَياةِ بغَيرِ بِشرٍ ، ولا حُسنُ السّماءِ بلا شِهابِ
فلُذْ بالصّبرِ في اللاّئي وأحسِنْ عَزاءَكَ واغتَنِمْ حُسنَ الثّوابِ
فإنّكَ مِنْ أُناسٍ ليسَ يَخفى على آرائِهِمْ وجهُ الصّوابِ

كذا فليصبر

وقال يعزي الأمير نور الدين
ركن الدين إسحق بملك الأمراء فخر
الدين عثمان :

كذا فليَصبِرِ الرّجلُ النّجيبُ ، إذا نزَلَتْ بساحَتِهِ الخُطوبُ
يَسرّ النّفسَ ثمّ يُسِرُّ حزُناً ، يَضيقُ ببَعضِهِ الصّدرُ الرّحيبُ
ويُبدي البأسَ للأعداءِ كَيلا تُؤنّبهُ الشّوامتُ ، أو تَعيبُ
ومثلُ عُلاكَ نُورَ الدّينِ مَن لا يُقَلقِلُ قَلبَهُ نُوَبٌ تَنوبُ
فإنّكَ في جِلادِ المُلكِ خَطبٌ ، وفي يَومِ الجِدالِ لهُ خَطيبُ
تَخافُكَ حينَ تَزجرُها الرّزايا ، وتُجلَى حينَ تَلحَظُها الكُروبُ
بقَلبٍ كلّ فِكرَتِهِ عيونٌ ، وطَرْفٍ كلّ نَظرَتِهِ قلوبُ

وإنَّ يدَ الرّدى ، وَوُقيتَ منها ، سِهامُ خطوبِها أبداً تُصيبُ
أرَتكَ بفَقدِ فخرِ الدّينِ رُزءاً ، تُشَقّ له المَرائرُ لا الجُيوبُ
كَريمٌ ما بسَمعِ نَداهُ وَقرٌ ، ولا في وَجهِ نائِلِه قُطوبُ
ولو أنّ الوَغَى سَلَبَتهُ منّا ، وبزّتهُ الوَقائعُ والحُروبُ
لقامَ بنَصرِهِ منّا رِجالٌ تُزَرّ على دُروعِهِمُ القُلوبُ
ببِيضٍ يَغتَدي نَملُ المَنايا لهُ من فوقِ صَفحَتِها دَبيبُ
وخَيلٍ كلّما رَفَعَتْ عَجاجاً جَلاهُ الدّرعُ والسّيفُ العَضيبُ[1]
كأنّ مُثارَ عِثْيَرِها سَحابٌ حَدَتهُ من سَنابكِها جَنوبُ
أفَخرَ الدّينِ كم أعلَيتَ فَخراً ، لآلِكَ حينَ تَشهَدُ ، أو تَغيبُ
برُغمي أن تَبيتَ غَريبَ دارٍ ، وعِشتَ ، وأنتَ في الدّنيا غَريبُ
وتَخلو منكَ أُمنيَةُ المَعالي ، ويَمحَلُ ذلكَ المَرعَى الخَصيبُ
وتَدعوكَ الكُفاةُ ولا تُناجي ، وتَسألُكَ العُفاةُ ، فلا تُجيبُ
ويُقسَمُ في الأنام زَكاةُ مَدحٍ ، وما لَكَ في نِصابِهمُ نَصيبُ
خَفيتَ عن العيونِ ،وأيُّ شَمسٍ تَلوحُ ، ولا يكونُ لها مَغيبُ
فصَبراً يا بَني إسحقَ ، صَبراً ، فربُّ العَيشِ بالحُسنى يُثيبُ[2]
وخَفّضْ عنك نورَ الدّينِ حزناً، تكادُ الرّاسياتُ بهِ تَذوبُ
فإنّ قَريبَ ما تَخشَى بَعيدٌ ، وإنّ بَعيدَ ما تَرجُو قَريبُ
وليسَ الحَتفُ في الدّنيا عَجيب ، ولكنّ البَقاءَ بها عَجيبُ

---

١ العضيب : القاطع .
٢ يثيب : يكافيء .

لا شغل الله

وقال وكتب بها إلى أحد الأعيان :

لا شَغَلَ اللهُ لكم خاطراً ، ولا عَرَتكُم بعدَها شائبَه
ولا أرَتكُم لصُروفِ الرّدى حادِثَةٌ تُصمي ولا نائِبَه

الباب السادس

في الغزل والنسيب وطرائف التشبيب

شفاء العشاق بعيد

قال في المحاورات والجواب :

ظَنَّ قَومي أنَّ الأُساةَ ستَبري داءَ وَجدي ، والعلاجُ يُفيدُ
فأتَوا بالطّبيبِ ، وهوَ لعَمري في ذَوي فَنّهِ مُجيدٌ مُجيدُ
مذ رأى عِلّتي ، وقد لاحَ للمَوتِ علَيها أدلّةٌ وشُهودُ
جسَّ نَبْضي وقال: ما أنتَ شاكٍ؟ قلتُ : ناراً لم يُطفِها التّبريدُ
فغَدا يُخلِصُ الدّواءَ ، فألفَى نارَ وَجدي معَ الدّواءِ تَزيدُ[1]
قال : ما كانَ أصلُ دائكَ هذا ؟ قلتُ: طَرفي ، وذاكَ حالٌ شديدُ
قال : إنّ الهَوَى قد أحدَثَ بَلوا كَ ، فقلتُ: المَقصورُ لا المَمدودُ
فانثنى حائراً وقالَ لأهلي : ما شِفاءُ العُشّاقِ إلاّ بعيدُ

---

١ يخلص الدواء : يختاره ، يأخذ خلاصته .

مجلس أنيق

وقال متغزلا بمحبوب له وكان وعده أن يسافر معه عند انتزاحه عن العراق ثم اعتذر بمحاذرة أعدائه فكتب إليه من بغداد وهو في موسم المحول بمجلس عيشي :

أذابَ التّبرَ في كأسِ اللُّجَينِ ، رَشاً بالرّاحِ مَخضوبَ اليَدينِ
وطافَ على السّحابِ بكأسِ راحٍ فطافَتْ مُقلَتاهُ بآخرَينِ
رَخيمٌ من بني الأعرابِ طِفلٌ ، يُجاذِبُ خَصرُهُ جَبَليْ حُنَينِ
يُبَدّلُ نُطقَهُ ضاداً بدالٍ ، ويُشرِكُ عُجمَةً قافاً بغَينِ
يَطوفُ على الرِّفاقِ من الحميّا ، ومن خَمرِ الرُّضابِ بمُسكِرَينِ
إذا يَجلو الحميّا والمُحَيّا شَهِدْنا الجَمعَ بَينَ النَيّرَينِ
وآخرَ من بني الأعرابِ حفّتْ جيوشُ الحُسنِ منهُ بعارضَينِ
إلى عَينَيهِ تَنتَسِبُ المَنايا ، كما انتَسَبَ الرِّماحُ إلى رُدَينِ
تلاحظُ سَوسَنَ الخَدّينِ منهُ ، فيُبدِلُها الحَياءُ بوَردَتَينِ
ومَجلِسُنا الأنيقُ تُضيءُ فيهِ أواني الرّاحِ من وَرَقٍ وعَينِ
فأطلَقنا فَمَ الإبريقِ فيهِ ، وباتَ الزّقُّ مَغلولَ اليَدينِ
وشَمعَتُنا شَبيهُ سِنانِ تِبرٍ ، تركّبَ في قَناةٍ من لُجَينِ
وقَهوَتُنا شَبيهُ شُواظِ نارٍ ، توَقّدُ في أكفّ السّاقيَينِ
إذا مُلِىءَ الزّجاجُ بها وطارَتْ حَواشي نورها في المَشرِقَينِ

عجبتُ لبَدرِ كأسٍ صارَ شَمساً يُحَفّ من السُّقاةِ بكوكبَينِ
ونحنُ نزُفّ أعيادَ النّصارى بشَطّ مُحَوّلٍ والرّقمتَينِ[1]
نُوَحّدُ راحَنا من شِركِ ماءٍ ، ونُولَعُ في الهوى بالمَذهبَينِ
وقد صاغَتْ يدُ الأزهارِ تاجاً على الأغصانِ فوقَ الجانبَينِ
بوَردٍ كالمداهنِ في عقيقٍ ، وأقداحٍ كأزرارِ اللُّجَينِ
وقد جُمِعَتْ ليَ اللذّاتُ لمّا دنَتْ منها قُطوفُ الجنّتَينِ
وما أنا من هوَى الفَيحاءِ خالٍ ، ولا ممّنْ أُحبّ قضَيتُ دَيني
إذا ما قلّبوا في الحَشرِ قلبي ، رأوا بيَنَ الضّلوعِ هوَى حُسَينِ
تَملّكَ حبُّهُ قلبي وصَدري ، فأصبحَ ملءَ تلكَ الخافقَينِ[2]
وأعوزَ مع دُنُوّي منهُ صبري ، فكَيفَ يكونُ صَبري بعدَ بَينِ
إذا ما رامَ أن يَسلوهُ قلبي تَمثّلَ شَخصَهُ تِلقاءَ عَيني
ألا يا نَسمةَ السّعديّ كُوني رَسُولاً بيَنَ مَن أهوى وبيَني
ويا نَشرَ الصّبا بلّغْ سَلامي إلى الفَيحاءِ بيَنَ القَلعتَينِ
وحَيّ الجامعَينِ وجانبَيها ، فقَد كانا لشَملي جامِعَينِ
وقُلْ لمُعَذّبي هل من مَجازٍ لوَعدَيْ سالِفَيكَ السّالفَينِ
سَميّكَ كانَ مَقتولاً بظُلمٍ ، وأنتَ ظلَمتني ، وجلَبتَ حَيني
وهَبتُكَ في الهوى روحي بوَعدٍ ، وبِعتُكَ عامِداً نَقداً بدَينِ
وجِئتُ وفي يَدي كفَني وسَيفي ، فكَيفَ جعلتَها خُفَّيْ حُنَينِ ؟

---

١ قوله النضارى : هكذا في الأصل .
٢ قوله تلك الخافقين : هكذا في الأصل .

وليمْ صَيّرْتَ بُعدَكَ قَيدَ قَلبي ، وكانَ جمالُ وجهِك قيدَ عَيني ؟
فصِرنا نُشبّهُ النّسرَينِ بُعداً ، وكنّا ألفَـةً كالفَرقَدَينِ
علمتُ بأنّ وعدَكَ صارَ مَيناً ، لزَجري مُقلَتَيكَ بصارِمَينِ
وقلتُ ، وقد رأيتُك : خابَ سعيي لكَونِ البَدرِ بَينَ العَقرَبَينِ
فلِم دَلّيتَني بحِبالِ زُورٍ ، ولم أطعَمتَني بسَرابِ مَينِ
وهَلاّ قلتَ لي قَولاً صَريحاً ، فكانَ المَنعُ إحدَى الرّاحتَينِ
عرَفتُكَ دونَ كلّ النّاسِ لمّا نَقَدتُكَ في المَلاحةِ نَقدَ عَينِ
وكم قد شاهدَتكَ النّاسُ قَبلي ، فَما نَظَروكَ كلّهُمُ بعَيني
وطاوَعتُ الفتوّةَ فيكَ حتى جعَلتُكَ في العَلاءِ برُتبَتَينِ
فلَمّا أن خلا المَغنى وبِتنا عُـراةً بالعَفافِ موزَّرَينِ
قضَينا الحجّ ضَمّاً واستلاماً ، ولم نَشعُرْ بما في المشعَرَينِ
أتَهجُرُني وتَحفَظُ عَهدَ غَيري . وهَل للمَوتِ عُذْرٌ بعدَ دَينِ
وقلتُ : الوَعدُ عندَ الحرّ دَينٌ ، فكَيفَ مطَلتني وجحَدتَ دَيني
أأجعَلُ لي سِواكَ عليك عَيناً ، وكنتَ على جَميعِ النّاسِ عَيني
إذا ما جاءَ مَحبوبي بذَنبٍ يُسابقُهُ الجمالُ بشافِعَينِ
وقلتُ : جعلتَ كلّ النّاسِ خَصمي لقد شاهدتُ إحدى الحالتَينِ
فكانَ النّاسُ قبلَ هواكَ صَحبي ، فهَل أبقَيتَ لي من صاحبَينِ
بُعادي أطمَعَ الأعداءَ حتى رأوكَ اليومَ خُزرَ النّاظرَينِ
وهَلاّ طالَعوكَ بعَينِ سُوءٍ ، وأمري نافِذٌ في الدّولتَينِ

وما خفقَتْ جَناحُ الجَيشِ إلاّ رأوني ملءَ قلبِ العَسكَرَينِ
لئِن سكَنَتْ إلى الزّوراءِ نَفسي ، فإنّ القَلبَ بَينَ مُحرّكَينِ
هوًى يَقتادُني لديارِ بَكرٍ ، وآخَرُ نحوَ أرضِ الجامعَينِ
سأُسرِعُ نحوَ رأسِ العَينِ خطوي ، وأقصدُها على رأسي وعَيني
وأُسرِحُ في حِمَى جيرونَ طَرْفي ، وأربَعُ في رِياضِ النَّيّرَينِ
فلَيسَ الخَطبُ في عَيني جَليلاً ، إذا قابَلتُهُ بالأصغَرَينِ
فيا مَن بانَ لمّا بانَ صَبري ، وحارَبَني رُقادُ المُقلَتَينِ
تَنَغّصَ فيكَ بالزّوراءِ عَيشي ، وبُدّلَ زَينُ لَذّاتي بشَينِ
وما عَيشي بها جَهماً ، ولكنْ رأيتُ الزّينَ بَعدَكَ غَيرَ زَينِ

الريق والرحيق

تُرَى سَكِرَتْ عِطفاهُ من خَمرِ رِيقِهِ ، فماسَتْ به ، أم من كؤوسِ رَحيقِهِ
مَليحٌ يُغيرُ الغُصنَ عندَ اهتزازِهِ ، ويُخجِلُ بَدرَ التّمّ عندَ شُرُوقِهِ
فَما فيهِ شيءٌ ناقِصٌ غَيرَ خَصرِهِ ؛ ولا فيهِ شيءٌ بارِدٌ غَيرَ رِيقِهِ
ولا ما يَسوءُ النّفسَ غَيرُ نِفارِهِ ، ولا ما يَرُوعُ القَلبَ غَيرُ عُقوقِهِ
عجبتُ لهُ يُبدي القَساوَةَ عندَما يُقابِلُني من خَدّهِ برَقيقِهِ
ويَلطُفُ بي من بَعدِ إعمالِ لحظِهِ ، وكيفَ يُرَدّ السّهمُ بعدَ مُروقِهِ

يقولون لي، والبدرُ في الأفقِ مُشرِقٌ: بذا أنتَ صبٌّ؟ قلتُ: بل بشقيقهِ
فلا تُنكِروا قتلي بدقّةِ خصرِهِ، فإنّ جليلَ الخطبِ دونَ دقيقهِ
وليلةَ عاطاني المُدامَ، ووجهُهُ يُرينا صَبوحَ الشُّربِ حالَ غَبوقِهِ
بكأسٍ حكاها ثغرُهُ في ابتِسامةٍ، بما ضمّهُ من دُرّهِ وعقيقهِ
لقد نِلتُ، إذ نادمتُهُ، من حديثِهِ من السُّكرِ ما لا نلتُهُ من عقيقهِ
فلم أدرِ من أيّ الثلاثةِ سكرتي، أمِنْ لحظِهِ أم لفظِهِ أم رحيقهِ
لقد بِعتُهُ قلبي بخلوةِ ساعةٍ، فأصبحَ حقّاً ثابتاً مِن حقوقِهِ
وأصبحتُ ندماناً على خُسرِ صفقتي، كذا مَن يبيعُ الشيءَ في غيرِ سوقِهِ

لولا الهوى

لولا الهوَى ما ذابَ من حنينِهِ صَبٌّ أصابتْهُ عيونُ عينِهِ
مُتيّمٌ لا تهتدي عُوّادُهُ، إلاّ بما تسمعُ من أنينِهِ
أصبحَ يخشَى الظبيَ في كِناسِهِ، ولا يخافُ الليثَ في عرينِهِ
يعتذِرُ الرُّشدُ إلى ضلالِهِ، ويقرأُ العقلُ على جُنونِهِ
يا جيرةَ الحيّ أجيرُوا عاشقاً، ما حالَ عن شرعِ الهوَى ودينِهِ
باطنُهُ أحسنُ من ظاهرِهِ، وشكُّهُ أوضحُ من يقينِهِ
لا تحسبوا ما ساحَ فوقَ خدّهِ مدامعاً تسفحُ من جفونِهِ
وإنّما ذابَ جليدُ قلبِهِ، فطرْفُهُ يرشحُ من معينِهِ

يتمسك بالتراب

غَيري بحَبلِ سِواكمُ يتَمَسّكُ ، | وأنا الذي بتُرابكُم أتَمَسّكُ[1]
أضعُ الخُدودَ على ممَرّ نِعالِكم ، | فكأنّني بتُرابِها أتبَرّكُ
ولقَد بذَلتُ النّفسَ ، إلاّ أنّني | خادَعتُكم ، وبذَلتُ ما لا أملِكُ
شَرطي بأنّ حُشاشَتي رِقٌّ لكم ، | والشّرْطُ في كلّ المَذاهبِ أملَكُ
قد ذقتُ حبّكمُ ، فأصبحَ مُهلكي ، | ومِنَ المَطاعِمِ ما يُذاقُ فيُهلِكُ
لا تَعجلَوا قَبلَ اللّقاءِ بقتلَتي ، | وصِلُوا ، فذلكَ فائِتٌ يُستَدرَكُ
ولقد بكيتُ لدَهشَتي بقدومِكُم ، | وضَحكتُ قبلُ وهجرُكم لي مُهلكُ
ولربّما أبكَى السّرورُ إذا أتَى | فَرطاً ، وفي بعضِ الشّدائدِ يُضحكُ
زَعَمَ الوُشاةُ بأنْ هَوِيتُ سِواكمُ ، | يا قُوتِلَ الواشي ، فأنّى يُؤفَكُ
عارٌ عليّ بأنْ أكونَ مُشَرِّعاً | دينَ الهَوى ، ويُقال إنّي مُشرِكُ

شمس في الليل

جلّ الذي أطلَعَ شمسَ الضّحى | مُشرِقَةً في جنحِ لَيلٍ بَهيمْ
وقدّرَ الخالَ على خَدّهِ ، | ذلكَ تَقديرُ العَزيزِ العَليمْ

---

[1] بترابكم أتمسك : أتضمخ بالمسك .

بدرٌ ظنَنّا وجهَهُ جنّةً ، فمَسّنا منها عذابٌ أليمْ
ينفِرُ كالرّيمِ ، ألا فانظُروا إلى بخيلٍ ، وهوَ عندي كريمْ
لمّا انحنى حاجبُهُ ، وانثنى يهُزّ للعشّاقِ قدّاً قَويمْ
عَجبتُ من فرطِ ضَلالي ، وقد بَدا ليَ المُعوَجُّ والمُستقيمْ
داوِ حبيبي ، يا طبيبَ الهوَى، وخلّني ! إنّي بحالي عليمْ
فخَصرُهُ واهٍ ، وأجفانُهُ مريضَةٌ ، واللّحظُ منهُ سقيمْ

في ذمة الرحمن

رَعَى اللهُ مَن لم يَرْعَ لي حقّ صُحبَةٍ ، وسَلّمَ مَن لم يَسخُ لي بسَلامِهِ
وفي ذِمّةِ الرّحمنِ مَن ذَمّ صُحبتي ، ولم أكُ يوماً ناقضاً لذِمامِهِ
وإنّي على صَبري على فرطِ هَجرِهِ ، وقُربِ مَغانيهِ ، وبُعدِ مَرامِهِ
يُحاوِلُ طَرفي لحظَةً من خَيالِهِ ، ويَشتاقُ سَمعي لفظَةً من كلامِهِ
ويومَ وَقفنا للوَداعِ ، وقد بَدا بوَجهٍ يُحاكي البَدرَ عندَ تَمامِهِ
شكَوتُ الذي ألقَى ، فظَلّ مُقابِلاً بُكايَ وشَكوى حالَتي بابتِسامِهِ
بدَمعٍ يُحاكي لَفظَهُ في انتِثارِهِ ، وعَتبٍ يُحاكي ثَغرَهُ في انتظامِهِ
فما رَقّ من شكوايَ غيرُ خُدودِهِ ، ولا لانَ من نَجوايَ غَيرُ قَوامِهِ

أصداً وسخطاً ؟

أصَدّاً وسُخطاً، ما لَهُ كيفَ يَحكمُ ، أليسَ لَهُ قلبٌ يرقّ ، فيَرحَمُ
أأرضَى بقَتلي في الهوى وهوَ ساخطٌ ، وأبسطُ أعذاري لهُ وهوَ مُجرِمُ
نَبيٌّ جَمالٍ للغَرام مُشَرِّعٌ ، يُحَلّلُ ما يَختارُهُ ويُحَرِّمُ [١]
يُرينا خُدودَ المُحسنينَ ضَوارِعاً لدَيهِ ، وأقدامَ المُسيئينَ تُلثَمُ
عَجبتُ لهُ يَجني ويُصبِحُ عاتباً، فوا حَرَباً من ظالمٍ يتَظَلَّمُ
وأعجَبُ من ذا أنّه،وهوَ ظالمي ، غدا ليَ خصماً وهوَ في الفصلِ يحكمُ
فَيا عاتِباً في سَكبِ دَمعٍ أذالَهُ ، فأمسَى بأسرارِ الهَوى يتَكَلّمُ
أسرتَ فؤادي ثمّ أطلَقتَ أدمُعي ؛ وحاوَلتُ أنّي للصّبابَةِ أكتُمُ
ومَن قَلبُهُ مع غَيرِه كيفَ حالُه؛ ومَن سِرّهُ في جَفنِهِ كيفَ يُكتَمُ

أما للحب منتصر ؟

وقال أيضاً في غلام كفله
صغيراً ورباه فحسد عليه :

هَويتُهُ تحتَ أطمارٍ مُشَعَّثَةٍ ، وطالبُ الدُّرّ لا يَغتَرّ بالصّدَفِ
وخَبّرَتني مَعانٍ في مَراسِمِهِ بهِ ، كما خَبّرَ العُنوانُ بالصّحفِ

١ أراد بمشرع : من يضع الشرائع .

ولاحَ لي من أماراتِ الجَمالِ به ماكان عن لحظِ غيري بالخمول خفي
فظلّتُ أُرخِصُ ما يُبديه من دَرَنٍ به ، وأدحضُ ما يُخفيه من جَنَفِ[1]
حتى إذا تمّ معنى حُسنِهِ وبَدا كالبدرِ في التمّ أوكالشمسِ في الشرَفِ
ولاحَ كالصّارمِ المَصقولِ أخلصَه تتَبّعُ القَينِ من شَينٍ ومن كَلَفِ
وجالَ في وَجهِهِ ماءُ الحَياةِ كما يجولُ ماءُ الحَيا في الرّوضةِ الأنُفِ
وأولَدَ الحُسنُ في أحداقه حَوَراً ، وضاعفَ الدّلُّ ما بالجسمِ من ترَفِ
أضحَتْ به حدَقُ الحسّاد مُحدقةً ترنو إليهِ بطَرفٍ غيرِ مُنطَرِفِ
وظلّ كلُّ صَديقٍ يرتَضي سخَطي فيه ، وكلّ شَفيقٍ يرتَجي تَلَفي
يا للرّجالِ أما للحبّ مُنتَصِرٌ لضُعفِ كلّ مُحبٍّ غيرِ مُنتَصِفِ
ما أطيَبَ العَيشَ لولا أنّ سالكَهُ يُمسي لأسهمِ كَيدِ النّاسِ كالهدفِ

يا رب ! . .

يا رَبّ أعطِ العاشقينَ بصَبرِهم في الخُلدِ غاياتِ النّعيمِ المُطلَقِ
وأذِقهُمُ بَردَ السّرورِ ، فطالما صَبَروا على حَرّ الغَرامِ المُقلِقِ
حتى يرَى الجُبَناءُ عن حَملِ الهوى غاياتِ عزمِهمُ ، التي لم تُلحَقِ
فيكون أصغَرُ جاهلٍ حملَ الهوى يَلهو بأكبَرِ عالمٍ لم يَعشَقِ

[1] أدحض : أبطل . الجنف : الجور .

ضعيف الجفون

يا ضَعيفَ الجُفونِ أضعفتَ قَلباً ، كانَ قَبلَ الهَوَى قَويّاً مَليّا
لا تُحارِبْ بناظِرَيْكَ فُؤادي ، فضَعيفانِ يَغلِبانِ قَويّا

لا بارك الله للأعداء

أطَعتُ ما سَنّ أعدائي وما فرَضُوا ، وشاهدوكَ بسُخطي راضياً فرَضُوا
تَشَيّعُوا ، إذ رأوا تَفريقَنا شيَعاً ، وسُنّةَ العَدلِ في دِينِ الهوَى رَفَضُوا
أعياهُمُ السّعيُ فيما بَينَنا زَمَناً ، فمُذْ رأوا فُرصَةً في بَينِنا نهَضُوا
بَنَوا لَدَيكَ بِناءً لا ثَباتَ لَهُ ، وما دَرَوا أيَّ ودٍّ بَينَنا نَقَضُوا
يا مَن تُقَطّبُ منّي حينَ أمنَحُهُ أنساً ، وأبسطُ آمالي فيَنقَبِضُ
ومَن تَعَرّضَ لي حتى أعارِضهُ ، يوماً، فيُعرِضُ عنّي ثمّ يَعترِضُ
لا بارَكَ اللهُ للأعداءِ فيكَ ، ولا هناكَ مَن لكَ عنّي منهمُ العِوَضُ
ولا تَعَدّى لظُلمي في الوُثوقِ بهم ، ولا علا منكَ بينَ النّاسِ ما خفَضُوا
فسَوفَ تَعرِفُ مِقداري ، إذا سَميتْ نفوسُهم ،وانقضَى من وَصلكَ الغرَضُ[1]

---

١ قوله سميت : هكذا في الأصل .

حرضوني

حَرّضُوني على السلوّ ، وعابُوا　　لكَ وَجهاً به يُعابُ البدرُ
حاشا للهِ ما لعُذريَ وَجهٌ ،　　في التّسلّي، ولا لوَجهِك عُذرُ

حديث الناس

حَديثُ النّاسِ أكثرُهُ مُحالُ ،　　ولكنْ للعِدَى فيهِ مَجالُ
وأعلَمُ أنّ بَعضَ الظّنّ إثمٌ ،　　ولكنْ لليَقينِ بهِ احتِمالُ
وكنتُ عذَرتُكم والقولُ نَزرٌ،　　فَما عُذري وقد كَثُرَ المَقالُ
وقلتم : قيلَ ما لا كانَ عنّا ،　　فمَن لي أن يَكونَ ، ولا يُقالُ
فَيا مَن ضاعَ فيهِ نَفيسُ عُمري،　　وقُوّضَ فيهِ مالي والرّجالُ
وكم قد رامَهُ ضِدّي بسوءٍ ،　　فراحَ وآلُهُ في الحَربِ آلُ
سألتُكَ لا تَدَعْ للقَولِ وَجهاً ،　　فيكثُر حينَ أذكُرُكَ الجِدالُ
وإنّي مع صُدودِكَ والتّجَنّي　　وفيٌّ ليسَ لي عنكَ انتقالُ
أغارُ إذا سرَى بحِماكَ بَرقٌ ،　　وأغضَبُ كُلّما طرَقَ الخَيالُ
وأُوثِرُ أن يَنالَ دَمي ووَفري ،　　ومَحبُوبي عَزيزٌ لا يُنالُ

لأنّي لا أخونُ عهودَ خِلٍّ ، ولو حفّتْ بيَ النُّوَبُ الثّقالُ
وإنّي إنْ حلَفتُ لهُ يَميناً ، فَما غَيرُ الفِعالِ لها شِمالُ
فَيا مَنْ سرّني باللّفظِ منهُ ، ولكنْ ساءَني منهُ الفِعالُ
إلى كَم ألتَقيكَ بوَجهِ بِشرٍ ، وفي طَيّ الحَشا داءٌ عُضالُ
وأحمِلُ من عُداتِكَ كلّ يومٍ حَديثاً ليسَ تَحمِلُهُ الجِبالُ
وأسمَعُ من وُشاةِ الحَيّ فينا كَلاماً دونَ مَوقعِهِ النّبالُ
وأُرسِلُ مع ثِقاتِكَ من حَديثي عِتاباً ، دونَهُ السّحرُ الحَلالُ
ومَهما لم يكُنْ في السّيفِ أصلٌ بجَوهرِهِ ، فَما يُجدي الصّقالُ
جعلتَ جَميعَ إحساني ذُنُوباً ، وطالَ بكَ التّعَتّبُ والدّلالُ
وقلتَ بكَ انهتَكتُ،وذاكَ زُورٌ وإنّ الزّورَ مَوقِعُهُ مُحالُ
فَما نَفعي بحُسنٍ في خَليلٍ ، إذا لم يَصفُ لي منهُ الخِلالُ
إذا عَدِمَ الفتى خُلقاً جَميلاً ، يَسودُ بهِ ، فَلا خُلِقَ الجَمالُ

قيل وقال

إذا علِمَ العِدى عَنكَ انتِقالي، فخُذْ ما شِئتَ من قيلٍ وقالِ
ونالوا منكَ بالأقوالِ عِرضاً ، وَقَيناهُ بأطرافِ العَوالي
وقد كانَ العَذُولُ يَوَدّ أنّي أُسيغُ لهُ اليَسيرَ مِنَ المَقالِ

فكَيفَ إذا تيَقَّنَ فيكَ زُهدي ، وكانَ يَسُرّهُ عنكَ اشتِغالي
فكم سَخِطَ الأنامُ ،وأنتَ راضٍ ، وكم رَخُصَ المِلاحُ، وأنتَ غالي
وكم هدَمتْ حِمى قومي خطوبٌ تَهدّ الرّاسياتِ ، وأنتَ عالي
وكم من وَقعَةٍ لعِداكَ عِندي ، نَذَرتُ بها دَمي ، ونذرتُ مالي
وكم هَمّتْ كِلابُ الحَيّ نَهضاً وقد حمَتِ الأسودُ حمى الغَزالِ
وكم لامَتْ علَيكَ سَراةُ أهلي، فأحسَبُ قولَ آلي لمعَ آلِ
وكم خاطَرتُ فيكَ ببَذلِ نَفسي وأعلَمُ أنّ بالي فيكَ بالي
وكم صَبٍّ تَفاءَلَ في حَبيبٍ وَفَى لي ، إنّ حِبّي ما وَفَى لي
وكم جرّبتُ قَبلَكَ من مَليحٍ ، فأمسَى جيدُ حالي منهُ حالي
ولولا أنّ في التّجريبِ فَضلاً ، لمَا فَضُلَ اليَمينُ على الشّمالِ
أظنُّكَ ،إذ حويتَ الحُسنَ طُرّاً ، وإذ وَفّيتَ أقسامَ الجَمالِ
قصَدتَ بأنْ جَعَلتَ العُذرَ عَيباً، عَساهُ يَقيكَ من عَينِ الكَمالِ
فسَوفَ أسُوءُ نَفسي بانقِطاعي، بحَيثُ أسرّ نَفسَكَ بارتِحالي
إذا ما شِئتَ أن تَسلُو حَبيباً ، فأكثِرْ دونَهُ عَدَدَ اللّيالي

لا أجعل الذل سلماً

تَيَقّنَ مُذ أعرَضتُ أنّي لهُ سالي ، فأوهَمَ ضِدّي أنّهُ الهاجرُ القالي
وأظهرَ للأعداءِ ، إذ صَدّ جافياً ، بأنّ جَفاهُ عن دَلالٍ وإذلالِ
فلمّا رآني لا أُحَرّكُ باسمِهِ لِساني ، ولم أشغَلْ بتَذكارِهِ بالي
وأيقَنَ أنّي لا أعودُ لوَصلِهِ ، ولو قَطّعَتْ بِيضُ الصّوارِمِ أوصالي
تَعَرّضَ للأعداءِ يَحسبُ أنّهُمْ يكونونَ في حِفظِ المَوَدّةِ أمثالي
فأصبَحَ لمّا جرّبَ الغَيرَ نادماً ، كثيفَ حَواشي العيش مُنخفضَ الحالِ
إذا ما رآهُ عاشِقٌ قال شامتاً : ألا انعِمْ صَباحاً أيّها الطّلَلُ البالي
فإنّي إذا ما اختَلّ خِلٌّ تَركتُهُ ، وبِتُّ ، وقَلبي من محبّتِهِ خالِ
وما أنا ممّنْ يَبذُلُ العِرضَ في الهوَى وإن جُدتُ للمَحبوبِ بالرّوحِ والمالِ
على أنّني لا أجعَلُ الذّلّ سُلّماً بهِ تَرتَقي نَفسي إلى نَيلِ آمالي
وما زِلتُ في عِشقي عَزيزاً مكَرَّماً ، أجُرّ على العُشّاقِ بالتّيهِ أذيالي
فقُولا لمنْ أمسَى بهِ مُتَغالياً ، ولم يَدرِ أنّي مُرخِصٌ ذلكَ الغالي
كَذا لم أزَلْ يَرعَى المحبّونَ فَضلَتي ، ويَلبَسُ أهلُ الحبّ في العشقِ أسمالي

العذاب الأليم

عذابُ الهَوى للعاشِقينَ أليمُ ، وأجرُهمُ يومَ المَعادِ عَظيمُ
فواللهِ لا ذاقُوا الجَحيمَ وإن جنَوا ، فحَسبُهُمُ أنّ الغَرامَ جَحيمُ
بروحيَ من قد نامَ عن سوءِ حالَتي وعنديَ منهُ مُقعِدٌ ومُقيمُ
وما ذاكَ إلاّ أنّ مُخطَفَ خصرِهِ لراجيهِ كَهفٌ ، والعِذارُ مُقيمُ[1]

ما أغبى المغالين في الهوى

خَليليّ ما أغبَى المُغالينَ في الهَوى ، وأغفَلَهمْ عن حُسنِ كلّ مَليحِ
يَظُنّونَ أنّ الحُسنَ بالعَينِ مُدرَكٌ ، وسرّ الهوَى بادٍ لكُلّ لَمُوحِ
وليسَ طَمُوحُ النّاظرَينِ بمُبصِرٍ ، إذا كانَ لَحظُ القَلبِ غيرَ طَموحِ
فليسَ (جَميلٌ) في الهوَى (وكثيّرٌ) ولا (عُروةُ العذريّ) و (ابنُ ذَريحِ)
بأعرَفَ منّي للمِلاحِ تَوَسّماً ، ولا جنَحوا للعشقِ بعضَ جنوحي
وأيّ لَبيبٍ ما سبَى الحُسنُ لُبّهُ ، فَباتَ بقَلبٍ بالغَرامِ قَريحِ
إذا ما خَلا القَلبُ الصّحيحُ من الهَوَى، علمتُ بأنّ العَقلَ غَيرُ صَحيحِ

---

١ المخطف : الضامر .

يد الغرام

أينَ في الحِمَى عَرَبُ لي بِرَبعِهِم أرَبُ
كُلَّما ذَكَرتُهُمُ هزَّني لهم طَرَبُ
جِيرَةٌ بِحَيِّهِمُ ليسَ يُحفَظُ الحَسَبُ
العهودُ والحُقُو قُ عندهم تُغتَصَبُ
في خيامِهِم قَمَرٌ بالصِّفاحِ مُحتَجِبُ
رِيقُهُ مُعَتَّقَةٌ ثَغرُهُ لها حَبَبُ
بِتُّ في ديارِهِمُ والفُؤادُ مُكتَئِبُ
الدُّموعُ هاطِلَةٌ والضُّلوعُ تَلتَهِبُ
إنَّ للغَرامِ يَداً ، مَسَّني بها العَطَبُ
إن قَضَيتُ فيهِ أسًى ، فَهوَ بَعضُ ما يَجِبُ
أبدَتِ الوُشاةُ رِضًى منهُ يُلحَظُ الغَضَبُ
الوُجوهُ ضاحِكَةٌ ، والقُلوبُ تَنتَحِبُ
لو أتَوا بِمَكرُمَةٍ ، أعتَبُوا وما عَتَبُوا
فالغَرامُ نارُ لَظًى ، عَذلُهُم لها حَطَبُ

أدوا الأمانات

قلوبُنا مُودَعَةٌ عندَكمْ ، أمانَةٌ نَعجِزُ عن حَمْلِها
إنْ لَمْ تَصونوها بإحسانِكُم ، أدّوا الأماناتِ إلى أهلِها

ولقد ذكرتك

ولقَد ذكَرتُكِ ، والسّيوفُ مواطرٌ كالسُّحبِ من وَبلِ النّجيعِ وطلّهِ
فوَجدتُ أنساً عندَ ذكرِكِ كامِلاً ، في مَوقِفٍ يَخشَى الفتى من ظِلّهِ

تعطرت أرض الكفاح

ولقَد ذكَرتُكِ ، والعَجاجُ كأنّهُ ظِلّ الغَنيّ وسوءُ عيشِ المُعسِرِ
والشُّوسُ بَينَ مُجَدَّلٍ في جَندَلٍ منّا ، وبَينَ مُعَفَّرٍ في مِغفَرِ
فظَنَنتُ أنّي في صَباحٍ مُشرِقٍ ، بضِياءِ وجهِكِ ، أو مَساءٍ مُقمِرِ
وتَعَطّرَتْ أرضُ الكِفاحِ ، كأنّما فُتِقَتْ لَنا رِيحُ الجِلادِ بعَنبَرِ

راح وكؤوس

ولقَد ذَكَرتُكِ ، والجَماجمُ وُقَّعٌ   تحتَ السَّنابكِ . والأكفّ تطيرُ
والهامُ في أُفقِ العَجاجةِ حُوَّمٌ ،   فكأنّها فوقَ النّسورِ نُسورُ
فاعتادَني من طيبِ ذكركِ نَشوَةٌ ،   وبَدَتْ عليّ بَشاشَةٌ وسُرورُ
فظَنَنتُ أنّي في مَجالِسِ لَذّتي ،   والرّاحُ تُجلَى . والكؤوسُ تَدورُ

نبل كالوبل

ولقد ذَكَرْتُكِ حينَ أنكرَتِ الظُّبَى   أغمادَها وتَعارَفَتْ في الهامِ
والنَّبلُ من خلَلِ العَجاجِ كأنّهُ   وَبْلٌ تَتابَعَ من فُروجِ غَمامِ
فاستَصغرَتْ عَيناي أفواجَ العِدى ،   وتَتابُعَ الأقدامِ في الإقدامِ
ووَجَدتُ بَردَ الأمنِ في حرّ الوَغَى ،   والمَوتَ خَلفي تارَةً وأمامي

غارت

غارَتْ ، وقد قُلتُ لِسواكِها :   أراكَ تَجني ريقَها يا أراك
قالَتْ : تَمنّيتَ جَنَى ريقَتي   وفازَ بالتَّرشافِ منها سِواك

يا ظبية

يا ظَبيَةً قَنَصَ الأُسُودَ جَمالُها ، ونَرَى الظّباءَ يَصيدُها القَنّاصُ
أصمَتْ لواحظُكِ القلوبَ بأسهُمٍ ، لم يُغنِ عَنها نَثرَةٌ ودِلاصُ[1]
فهبي جَرَحتُ الخَدّ منكِ بنَظرَةٍ ، أفَما لأسرِ القَلبِ منكِ خَلاصُ
ها قد جرَحتِ بنَبلِ عَينَيكِ الحَشَى ، فدَعي فؤادي ، فالجُروحُ قِصاصُ

السواك السفيه

يا مَن حمَتْ عَنّا مَذاقَةَ ريقِها ، رفقاً بقَلبٍ ليسَ فيهِ سِواكِ
فلكَمْ سألتُ الثّغرَ وَصفَ رُضابِه فأبَى ، وصرّحَ لي سَفيهُ سِواكِ[2]

قالت وقلت

قالَتْ : كحلَتَ الجفونَ بالوَسَنِ ، قلتُ : ارتِقاباً لطَيفِكِ الحَسَنِ
قالَتْ : تَسَلّيتَ بعدَ فُرقَتِنا ؛ فقلتُ : عن مَسكَني وعن سكَني

---

١ النثرة : الدرع السلسة الملبس . الدلاص : الدرع الملساء اللينة .
٢ السواك : المسواك ، ما تنظف به الأسنان .

قالَتْ : تَشاغَلتَ عن مَحبّتِنا ، قلتُ : بفرطِ البُكاءِ والحزَنِ
قالَتْ : تَناسيتَ! قلتُ: عافيَتي ! قالتْ: تناءيتَ! قلتُ: عن وَطَني
قالَتْ: تخَلّيتَ! قلتُ: عن جلدي! قالتْ: تغَيّرْتَ! قلتُ: في بدَني
قالَتْ: تخَصّصتَ دونَ صُحبتِنا، فقلتُ : بالغَبْنِ فيكِ والغَبَنِ[1]
قالَتْ: أذَعتَ الأسرارَ، قلتُ لها: صَيّرَ سرّي هواكِ كالعَلَنِ
قالَتْ: سَرَرتَ الأعداءَ، قلتُ لها: ذلكَ شيءٌ لو شِئتِ لم يكُنِ
قالَتْ : فَماذا تَرومُ ؟ قلتُ لها : ساعةَ سَعدٍ بالوَصلِ تُسعِدُني
قالَتْ : فعَينُ الرّقيبِ تَنظُرُنا ! قلتُ : فإنّي للعَينِ لم أبِنِ
أنحَلتِني بالصّدودِ منك ، فلَو ترَصّدَتني المَنونُ لم ترَني

فاضحة البدور

وقال مسمطاً لأبيات محيي الدين بن زبلاق :

فضحتِ بدورَ التّمّ ،إذ فُقتِها حُسنَا، وأخجلتِها، إذ كنتِ من نورِها أسنَى
ولمّا رَجَونا من مَحاسنِكِ الحُسنَى، بعَثتِ لنا من سحرِ مُقلَتِكِ الوَسنَى
سُهاداً يَذودُ النّومَ أن يألَفَ الجَفنَا
وخِلتُ بأنّي عن مَغانيكِ راحِلٌ ، ورَبعَ ضَميري من ودادِكِ ماحلٌ

[1] الغبن والغبن (بتسكين الباء وفتحها) : الخداع .

فأسهرَ طَرفي ناظرٌ منكِ كاحِلٌ ، وأبصَرَ جسمي أن خصرَكِ ناحلٌ[1]
فَحاكاهُ لكن زادَني دِقّةَ المَعنَى

حويتِ جَمالاً قد خُلقتِ برَسمِهِ ، فخلناكِ بَدرَ التّمّ ، إذ كنتِ كاسمِهِ
فمُذ صارَ منكِ الحُسن ُقِسماً كقِسمِهِ : حكَيتِ أخاكِ البَدرَ في حالِ تِمّهِ
سَناً وسَناءً ، إذْ تَشابَهتُما سِنّا[2]

سجنتِ فؤادي حينَ حرّمتِ زَورَتي ، وأطلَقتِ دَمعي لو طَفا حرَّ زَفرَتي
فقُلتُ ، وقد أبدى الغَرامُ سَريرَتي : أهيفاءُ إن أطلَقتِ بالبُعدِ عَبرَتي
فإنّ لقَلبي من تَباريحِهِ سِجنَا

حُرِمتُ الرّضَى إنْ لم أزُركِ على النّوى ، وأحمِلَ أثقالَ الصّبابَةِ والجَوَى
فلَيسَ لداءِ القَلبِ غَيرُكِ من دَوا ، فإنْ تُحجَبي بالبِيضِ والسُّمرِ فالهوَى
يُهَوّنُ عند العاشِقِ الضّربَ والطّعنَا

سأثني حدودَ المَشرَفيّةِ والقَنا ، وأسعَى إلى مَغناكِ إن شَطّ أو دَنَا
وألقَى المَنايا كَيْ أنالَ بها المُنى ، وما الشّوقُ إلاّ أنْ أزورَكِ مُعلِنَا
ولو منَعَتْ أُسدُ الشّرَى ذلكَ المَغنَى

عدمتَ اصطباري بَعدَ بُعدِ أحِبّتي ، فَماذا علَيهم لو رَعَوا حَقّ صُحبَتي
فبِتُّ ، وما أفنى الغَرامُ محبّتي ، أأحبابَنا قَضّيتُ فيكُم شَبيبَتي
ولم تُسعِفُوا يَوماً بإحسانِكم حُسنَى

١ كاحل : أراد مكحول .
٢ السنا : البهاء . السناء : الارتفاع ، العلو .

أعيدوا لَنا طيبَ الوِصالِ الذي مضَى ، فقَد ضاقَ بي من بعدِ بُعدِكمُ الفَضَا
ولا تَهجرُوا فالعُمرُ قد فاتَ وانقضَى وما نِلتُ من مأمولِ وَصلِكُمُ رِضَى
ولا ذُقتُ من رَوعاتِ هَجرِكُمُ أمنَا

حفِظتُ لكم عهدي على القربِ والنّوى وما ضَلّ قَلبي في هَواكم وما غَوى
فكَيفَ نَقَضتُم عَهدَ من شفَّه الجوَى وكنّا عقَدنا لا نَحولُ عن الهَوَى
فقَد ، وحَياةِ الحبّ ، حُلتُم وما حُلنَا

فلَستُ بسالٍ ، جُرتُمُ أو عَدَلتُمُ ، ولا حُلتُ إن قاطَعتُمُ ، أو وَصَلتُمُ
ولكنّني راضٍ بما قد فعَلتُمُ ، فشُكراً لِما أولَيتُمُ إذْ جعَلتُمُ
بدايتَكم بالبُعدِ منكُم ، ولا منّا

القرض الحرام

يا دِيارَ الأحبابِ ! باللهِ ماذا فعلَتْ في عِراصِكِ الأيّامُ
أخلَقَتها يَدُ الجَديدَينِ حتى نُكِرَتْ من رُسومِها الأعلامُ
قد شَهِدْنا فعلَ البِلى بمَغانيـ ـكِ ، ودمعُ الغيومِ فيكِ سِجامُ
واقترَضنا منها الدّموعَ فقالَتْ : كلُّ قَرضٍ يَجرّ نَفعاً حَرامُ

أقول للدار

أقولُ للدّارِ ، إذْ مرَرتُ بها ، وعَبرَتي في عِراصِها تَكِفُ
ما بالُ وعدِ السّحابِ أخلفَ مَغْناكِ ؟ فقالتْ : في دمعكَ الخَلَفُ

نعس الغنج

البِيضُ دُونَ لِحاظِ الأعيُنِ السّودِ ، والسُّمرُ دونَ قُدودِ الخُرّدِ الغِيدِ
والمَوتُ أحلى لصَبٍّ في مَفاصِلِه ، تَجري الصّبابةُ جَريَ الماءِ في العودِ
مَن لي بعَينٍ غدَتْ بالغُنجِ ناعِسَةً أجفانُها ، وكَلّتْ جَفني بتَسهيدِ
وحاجبٍ فَوقَهُ تَشديدُ طُرّتِهِ ، كأنّما النّونُ منهُ نُونُ تَوكيدِ[1]
وماءِ وَجهٍ غَدا بالنّورِ مُتّقِداً ، كأنّ في كلّ خَدٍّ نارَ أُخدودِ[2]
ونَقطِ خالٍ ، إذا شاهَدتَ مَوقِعَهُ ، خِلتَ الخَليلَ ثَوَى في نارِ نمرُودِ
يا أهلَ جَيرونَ جُرتُم بعدَ مَعدَلَةٍ ظُلماً ، وعَوّدتُمُوني غَيرَ مَعهودي[3]
بذَلتُ روحي إلاّ أنّها ثَمَنٌ ، للوَصلِ منكُم ، ولكن حَسبُ مجهودي

---

١ شبه الحاجب في تقوسه بالنون .
٢ إشارة إلى النار التي أحرق فيها أصحاب الأخدود (الآية) .
٣ جيرون : من دمشق .

أنا المُحبّ الذي أهلُ الهوَى نقَلوا عَنّي ، فأعطَيتُهُم بالعِشقِ تقليدي
مِن أينَ للعِشقِ مثلي في تَشَرّعِهِ ، ومن يُشيّدُ دينَ الحبّ تَشييدي
للهِ لَيلَةُ أُنسٍ قلتُ إذ ذُكِرَتْ : يا لَيلَةَ الوَصلِ من ذاتِ اللّمَى عودي
والشّرقُ قد حملَتْ أحشاؤهُ لهَباً للشّمسِ فيها حَنينٌ غيرُ مَولودِ
وثَعلَبُ الصّبحِ وافَى فاغراً فمَهُ ، إذ قابلَتهُ الثّرَيّا شبهَ عُنقودِ
كأنّها شكلُ انكيسٍ تُوَلّدُهُ في الغَربِ أيدي الدّياجي أيَّ تَوليدِ
أمسَى بها وعيونُ الغرّ شاخصَةٌ نَحوي وحصني متونُ الضُّمّرِ القُودِ
مكانَتي فَوقَ إمكاني ، ومَقدرَتي من دونِ قَدري ، وجودي فوقَ موجودي
وما رَجاني امرُؤٌ ، إلاّ بَذَلتُ لَهُ جُوداً عن الشّكرِ ، أو شكراً عن الجودِ
لا أوحَشَ اللهُ من قومٍ مَكارِمُهم وفضلُ جُودِهمُ كالطّوقِ في جيدي
ما عِشتُ لا أتَعاطَى غَيرَ حُبّهِمُ ، وهل سَمِعتُمْ بشِركٍ بَعدَ تَوحيدِ

السن ضاحكة وقلبي باك

لو صِرتُ من سَقَمي شَبيهَ سِواكِ ، ما اختَرتُ من دونِ الأنامِ سِواكِ
لا فُزتُ من أشراكِ حبّكِ سالماً ، إن شُبتُ دينَ هَواكِ بالإشراكِ
يا مَن سَمَحتُ لها برُوحي في الهَوَى ، أرخَصتِني وعليّ ما أغلاكِ
أخرَبتِ قلبي ، إذ ملَكتِ صَميمَهُ ، أكَذا يكونُ تَصرّفُ المُلاّكِ

كيفَ استبَحتِ دَمَ المُحبّ ولم يكنْ قلبي عَصاكِ ، ولا شققتُ عَصاكِ
هل عندَمُ الوَجَناتِ رَخّصَ في دَمي ، أم طَرفُكِ الفتّاكُ قد أفتاكِ ؟
أصغَيتِ سَمعاً للوُشاةِ ، فتارَةً أخشَى عليكِ ، وتارَةً أخشاكِ
أطلَقتِ في إفشاءِ أسرارِ الهَوى دَمعي وفاكِ ، فَما أقلّ وَفاكِ
شَمِتَ العُداةُ ، ولو ملَكتِ، صِيانَةً لكِ ، فاكِ عن إيضاحهِم لكَفاكِ
ولقَد أُمَوّهُ بالغَواني والمَهَا ، خوفَ العِدى ، وأصُدّ عن ذِكراكِ
إذ لم يكن لكِ في التّغزّلِ بالمَهَا لَقَبٌ ، ولا أسماهُ مَن أسماكِ
زَعَمَ العُداةُ بأنّ حُسنَكِ ناقِصٌ ؛ حاشاكِ من قَولِ العِدى حاشاكِ
قالوا : حكَيتِ البَدرَ، وهيَ نَقيصَةٌ ؛ البَدرُ لو يُعطَى المُنَى لحَكاكِ
لِمْ صَيّرُوا تَشبيهَهمْ لكِ شُبهَةً ، أتُراكِ مكّنتِ العُداةَ تُراكِ ؟
إنّي لأُصغي للوشاةِ تَمَلّقاً لهمُ ، فأُرضي الكاشِحينَ بذاكِ
وأظَلّ مُبتَسِماً لفَرطِ تَعَجّبي ، فالسّنُّ ضاحكَةٌ ، وقلبي باكِ

الناس أعداء لما جهلوا

في مثلِ حُبّكُمُ لا يَحسُنُ العَذَلُ ، وإنّما النّاسُ أعداءٌ لِما جَهِلُوا
رأوا تَحَيّرَ فِكري في صِفاتِكُمُ ، فأوسَعوا القَولَ إذ ضاقَتْ بيَ الحِيَلُ
و أنّهمْ عرَفوا في الحُبّ مَعرِفَتي بشأنِكم ، عذَروا من بَعدِما عذَلُوا

يا جاعِلي خَبَرَي بالهَجرِ مُبتَدِئاً ، لا عَطفَ فيكم ، ولا لي منكمُ بدَلُ
رَفَعتُ حالي ، ورَفعُ الحالِ مُمتنعٌ ، إلَيكم ، وهوَ للتّمييزِ يَحتَمِلُ
كم قد كتَمتُ هَواكم لا أبُوحُ بهِ ، والأمرُ يَظهَرُ والأخبارُ تَنتَقِلُ
وبِتُّ أُخفي أنيني والحَنينَ بكُم تَوَهّماً أنّ ذاكَ الجُرحَ يَندَمِلُ
كَيفَ السّبيلُ إلى إخفاءِ حبّكُمُ ، والقَلبُ مُنقَلِبٌ ، والعَقلُ مُعتَقَلُ
يا مُلبسي القلبِ ثَوبَ الحُزنِ بعدهمُ ، حُزني قَشيبٌ وصَبري بعدكم سَمِلُ[1]
لِذا بَواكرُ أيّامي ، لبُعدِكُمُ ، أصائِلٌ ، وضُحاها بَعدَكم طَفَلُ
أحسَنتُمُ القَولَ لي وَعداً وتَكرِمَةً ، لا يَصدُقُ القولُ حتى يَصدُرَ العملُ
حتى إذا وَثِقَتْ نَفسي بمَوعِدِكم ، وقلتُ: بُشرايَ زالَ الخوفُ والوَجَلُ
حَمّلتُمُوني ، على ضُعفي ، لقُوّتكم ما لَيسَ يَحمِلُهُ سَهلٌ ولا جبَلُ
للهِ أيّامُنا ، والدّارُ دانيَةٌ ، والشّملُ مُجتَمِعٌ ، والجمعُ مُشتَمِلُ
شفَيتُ غُلّةَ قَلبي ، والغَليلَ بها ، فاليَومَ لا غُلّتي تَشفى ، ولا الغَلَلُ
يا حَبّذا نَسمةُ السّعديَ حينَ سرَتْ مريضَةً في حَواشي مِرطِها بَلَلُ[2]
لا أوحَشَ اللهُ من قَومٍ لبُعدِهِمُ ، أمسَيتُ أحسدُ من بالغمضِ يكتَحلُ
غابُوا ، وألحاظُ أفكاري تُمَثّلُهم ، لأنّهم في ضَميرِ القَلبِ قد نَزَلُوا
ساروا ، وقد قَتَلوني بعدَهم أسَفاً ، يا لَيتَهُم أسرُوا في الرّكبِ مَن قتَلُوا
وخَلّفُوني أعَضّ الكَفَّ من نَدَمٍ ، وأكثِرُ النّوحَ ، لمّا قَلّتِ الحِيَلُ

---

١ السمل : الثوب البالي .
٢ المرط : كل ثوب غير مخيط .

أقولُ في إثرِهم . والعَينُ داميَةٌ ، والدّمعُ مُنهَمِرٌ منها ومُنهَمِلُ :
ما عوّدوني أحبّائي مقاطعَةً ، بل عوّدوني . إذا قاطعتُهم وصَلُوا
وسِرتُ في إثرِهم حيرانَ مُرتَمِضاً ، والعيسُ من طَلّها تَحفَى وتَنتَعِلُ[1]
تُريكَ مَشْيَ الهوَينا ، وهيَ مسرِعةٌ ، مَرَّ السّحابةِ لا رَيثٌ ، ولا عَجَلُ
لا تَنسبنّ إلى الغربانِ بَينَهُمُ ، فذاكَ بينَ غَدَتْ غربانُه الإبِلُ
وفي الهَوادجِ أقمارٌ مُحَجَّبَةٌ ، أغَرّةٌ حمّلَتها الأينُقُ الذُّلُلُ
تلكَ البروجُ التي حلّتْ بدورُهمُ فيها ، وليسَ بها ثَورٌ ، ولا حَمَلُ
وحجّتِ العيسَ حادٍ صَوتُهُ غَرِدٌ ، بنَغمَةٍ دونَها المَزمومُ والرّمَلُ[2]
حدَا بهم ثمّ حَيّا عيسَهم مَرَحاً ، وقالَ : سِرْ مُسرِعاً حُيّيتَ يا جَملُ
ليتَ التّحيّةَ كانتْ لي ، فأشكُرَها ، مكانَ يا جَمَلٌ حُيّيتَ يا رَجُلُ

أصم الله

أصمّ اللهُ أسمعَنا المَلاما ، وقَصّرَ عمرَ أطوَلِنا مَطالا
وأعمى طرْفَ أعذَرِنا لِحاظاً ، وعجّلَ حَتفَ أسرَعنا مَلالا
وهَدّ جَنانَ أثبتِنا جَناناً ، إذا عزَمَتْ أحبّتُنا ارتِحالا
وأرغدِنا على التّفريقِ عيشاً ، وأحسنِنا لفَقدِ الإلفِ حالا

---

١ المرتمض : الحزين .
٢ حجت العيس : هكذا في الأصل . المزموم والرمل : من غناء العرب .

سلوة أخي الهوى

يقولون: طولُ البُعد يُسلي أخا الهوى، فقلتُ: أجل عن صحّة الجسم والقلبِ
ولو أنّ طولَ البُعد يُحدِثُ سلوةً، لما رَغبَ العُشّاقُ يوماً إلى القُربِ
ولكنّهم ظنّوا التّجلّدَ سلوةً، وما علِموا ما في الفؤادِ من الكربِ
وقد يَصبرُ المَغلوبُ رَغماً على الأذى، كما يَئِسَ الظّمآنُ من لذّةِ الشُّرْبِ

قد قيل

قد قيلَ طولُ البُعدِ يُسلي الفتى، فقلتُ: بل يُفرِطُ في وجدِهِ
وليسَ ذا حقٍّ، ولكنّهُ تَوَقُّفُ الشيءِ على ضِدّهِ

فتاة كالهلال

بدَتْ تَختالُ في ذَيلِ النّعيمِ، كما مالَ القَضيبُ معَ النّسيمِ
وأشرَقَ صبحُ واضِحِها فولّى هَزيعُ اللّيلِ في جَيشٍ هَزيمِ
وكفُّ الصّبحِ قد سلّتْ نِصالاً، تُخَرّقُ حُلّةَ اللّيلِ البَهيمِ

وأجّجَ من شُعاعِ الشّمسِ ناراً، أذابَ لهيبُها بَردَ النّجومِ
فتاةٌ كالهِلالِ ، فإنْ تجلّتْ أرَتنا البَدرَ في حالٍ ذَميمِ
وكنتُ بها أحبَّ بَني هِـلالٍ ، فمُذ تَمّتْ هَويتُ بَني تَميمِ
بمَخصرٍ مثلِ عاشِقِها نَحيلٍ ، وطَرفٍ مثلِ مَوعِدِها سَقيمِ
وَقَدٍّ لو يَمرّ بهِ نَسيمٌ ، لكادَ يَؤودُهُ مَرُّ النّسيمِ[1]
أيا ذاتَ اللّمَى رِفقاً بصَبٍّ ، يُراعي ذِمّةَ العَهدِ القَديمِ
يُعَلَّلُ من وِصالِكِ بالأماني ، ويَقنَعُ من رِياضِكِ بالهَشيمِ
نظَرتُ إليكِ ، فاستأسرتِ قلبي ، فأدرَكَني الشّقاءُ مِنَ النّعيمِ
فطَرْفي من خُدودكِ في جِنانٍ ، وقَلبي من صُدودِكِ في جَحيمِ
أرى سقَمَ الجُفونِ برَى فؤادي ، وعلّمَني مُكابدَةَ الهُمُومِ
لَعَلَّ الحبّ يَرفُقُ بالرّعايا ، ويأخُذُ للبريءِ من السّقيمِ

جنة الحسن

يا جنّةَ الحُسنِ التي حُفّتْ لدَينا بالمكارِه
إنّي لوَجهِكِ عاشقٌ ، ولمَنظَرِ الرّقَباءِ كارِه

---

١ يؤوده : يضنكه ، ويثقل عليه .

هلا عدلت

يا مَن حكَتْ شمسَ النّهارِ بحُسنِها، وبُعادِ مَنزِلِها وبَهجةِ نُورِها
هَلاّ عدَلتِ كعَدلِها ، إذ صَيّرَتْ للنّاسِ غَيبتَها بقَدرِ حُضورِها

لو أن لي صبراً

وما بِعتُكُم روحي بأيسَرِ وَصلِكُم ، وبي من غِنًى عن قَبضِ ما ليَ من حَقّ
ولو أنّ لي صَبراً على مُرّ هَجرِكم ، صَبَرتُ وما أمسَيتُ من رِبقَةِ الرّقّ

زورة على عجل

لعَمرُكَ ما تجافَى الطّيفُ طَرفي لفَقدِ الغُمضِ ، إذ شَطّ المَزارُ
ولكنْ زارَني من غَيرِ وَعدٍ ، على عَجَلٍ ، فلَم يرَ ما يُزارُ

لي حبيب

لي حَبيبٌ يَلَذّ فيهِ عَذابي ويعذُبُ
ليسَ لي فيهِ مَطمعٌ ، لا ولا عَنهُ مَذهَبُ
يتَمَنّى منيّتي وهوَ للقَلبِ مَطلَبُ
إنّ قتلَ المحبّ فيهِ حَلالٌ وطَيّبُ
أنا فيهِ مُخاطِرٌ ، حينَ يأتي ويَذهَبُ
فعلَى الظّهرِ حَيّةٌ ، وعلى الصُّدغِ عقرَبُ

زارني

قال وهو من الأوزان الأعجمية :

زارَني والصّباحُ قد سَفَرا ، وظَليمُ الظّلامِ قد نَفَرَا
وجيوشُ النّجومِ جافِلَةٌ ، ولِواءُ الشّعاعِ قد نُشِرَا
جاءَ يُهدي وِصالَهُ سحَراً ، شادِنٌ للقلوبِ قد سحَرَا
فتيَقّنتُ أنّهُ قمَرٌ ، وكذا اللّيلُ يَحمِلُ القَمَرَا

نار خده

أوضحَتْ نارُ خَدّه للمَجوسِ ... حُجّةً في السّجودِ والتّقديسِ
وأقامَتْ للعاشِقينَ دَليلاً ... واضِحاً في جَوازِ نَهبِ النّفوسِ
رَشأٌ من جآذِرِ التُّركِ ، لكِن ... حازَ إرثَ الجَمالِ عن بِلقيسِ
لابِساً من بَهائِهِ ثَوبَ بَدرٍ ، ... ومِنَ الوَشيِ حُلّةَ الطّاوُوسِ
حمَلَ الكأسَ فاكتَسَتْ وَجنَتاه ... شَفَقاً من شُعاعِها المَعكوسِ
فشَهِدنا من خَدّهِ وسَناها ... كيفَ تُكسَى البدورُ نورَ الشموسِ
وجَلاها والصّبحُ قد هزَمَ اللّيـ ... لَ ، وهَمّ الرّفاقُ بالتّعريسِ[1]
والثّرَيّا وَلّتْ ومالَتْ إلى الغرْ ... بِ ، فكانتْ كالطّائحِ المنكوسِ
وَلَدَ الشّرقُ شَكلَها ، وهوَ لحيا ... نُ فصارَتْ في الغربِ كالإنكيسِ[2]
فابتَدَرنا الصَّبوحَ واللّهوَ لمّا ... نَبّهَ الصّحبَ دَقّةُ النّاقُوسِ
وجلَونا على الأهِلّةِ شَمسَ الرّا ... حِ بَينَ الشمّاسِ والقِسّيسِ
قَهوَةٌ تحسُدُ العَمائمَ لا تَسـ ... كنُ ، لمّا تُدارُ ، غيرَ الرّؤوسِ
جعَلَتْ بينَ شارِبيها على اللّهـ ... وِ وبَينَ الهمومِ حربَ البَسوسِ
من يَدَي شادنٍ يَكادُ يُعيدُ الـ ... رّاحَ سَكرَى بخُلقِهِ المأنُوسِ
فعلَتْ مُقلَتاهُ في أنفُسِ العُـ ... شّاقِ فعلَ السُّلافةِ الخَندريسِ[3]

١ التعريس : النزول ليلا .
٢ الإنكيس : شكل من أشكال الرمل وهو ثلاثة خطوط متساوية تحتها نقطة ، ويسمى بالمنكوس أيضاً .
٣ الخندريس : الخمر القديمة .

قدَحٌ دارَ في يدي ذي احورارٍ فسَكِرنا بالطّردِ والمَعكوسِ
أهيفُ القدّ مخطَفُ الخَصرِساجي الـ طّرْفِ أُنسُ النّديم روحُ الجَليسِ
لا تُلامُ العُشّاقُ في تلَفِ الأرْ واحِ في عِشقِهِ وبَذلِ النّفوسِ
نظَروا ذلكَ الجَمالَ ، وقد لا حَ نَفيساً ، فخاطَروا بالنّفيسِ

لا بلغ الحاسد

لا بَلَغَ الحاسِدُ ما تَمَنّى ، فقد قضَى وَجداً ، وماتَ منّا
ولا أراهُ اللهُ ما يَرومُهُ فينا ، ولا بُلّغَ سُوءٌ عنّا
أرادَ يرمي بَينَنا لبَينِنا ، فَجاءَ في القَولِ بما أرَدْنا
أبلغَكُم أنّي جَحَدتُ حبّكم ، أصابَ في اللّفظِ وأخطا المَعنَى
ظَنّ حَبيبي راضِياً بسَعيِهِ ، فشَنّ غاراتِ الأذَى وسَنّا
فمُذْ رأى حِبّي إليّ مُحسِناً أساءَني فِعلاً وساءَ ظَنّا
يا مَن غَدا للنّيّرَينِ ثالِثاً ، وثانيَ الغُصنِ ، إذا تَثَنّى
ومَن سألنا منهُ مَنّاً بالمُنى ، فمَنّ بالوَصلِ لَنا ومَنّا
أشمَتَني بالصّدّ بعدَ شِدّةٍ ، ومَن تَعَنّى في الهَوى تَهَنّا
فعُد بوَصلٍ واغتَنِم طيبَ الثّنا ، فإنّ ذا يَبقَى وذاكَ يَفنَى

المولع بالخلاف

أَلْهَمَ اللهُ غُنْجَ أَلحاظِكَ العَدْ لَ ، وأَغرَى عَينَيكَ بالإِنصافِ
سَيِّدي أنتَ مع رِضاكَ وسُخطي لا تُوافي ولا بودِّ تُوافي
كيفَ حالي ، إذا تكَدَّرتَ منّي ، أنتَ صافي ، وما يَرومُ انتصافي
قلتُ لمّا رأيتُ قدَّكَ والخَدْ دَ ومَطلَ الوُعودِ والإِخلافِ
ما لغصنِ الأراكِ إذ حَمَلَ الوَرْ دَ غَدا ، وهوَ مُولَعٌ بالخِلافِ

دموع لا ترقأ

دُموعي فيكَ لا تَرقَا ، وداءُ القَلبِ لا يُرقَى
ومَحلُ الخَدِّ مِن غَيْـ ـرِ مَسيلِ الدَّمعِ لا يُسقَى
دُموعٌ تُعطِشُ الخَدْ دَ وأجفاني بها غَرقَى
ألا يا مالِكَ الرِّ قِّ بمَنْ مَلَّكَكَ الرِّقّا
إذا لم تَقضِ أن أسْعَـ ـدَ لا تَقضِ بأنْ أشقَى
تَصَدَّقْ بالذي يَفنَى ، وخُذْ أجرَ الذي يَبقَى
وذَكِّرْ عِطفَكَ المَيّا لَ والرِّدفَ بما ألقَى
سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخشَى ويَتَجَنَّبُها الأشقَى

العقيق والسحر

قيلَ إنّ العقيقَ قد يُبطِلُ السّحـ ـرَ بتختيمِه لسِرٍّ حقيقي
فأرى مُقلتَيكَ تَنفُثُ سِحراً ، وعلى فيكَ خاتمٌ من عقيقِ

اتقِ الله

ليتَ شعري بمَن تَشاغَلْتَ عنّا ، يا خليلاً أشقى القُلوبَ وأعنَى
وإذا ما تَثنّيتَ عن وَصلِ خِلٍّ ، عَنكَ يَثني . ولم يكن عنكَ يُثنَى
فاتّقِ اللهَ في عذابِ مُحِبٍّ ، كلّما جَنّ لَيلُهُ فيكَ جُنّا
ثمّ عُدْ للوِصالِ من غيرِ مَطلٍ ، مثلَما كنتَ قبلَ ذاكَ وكنّا
سيّدي قد علمتَ فيكَ اعتقادي ، فلِماذا أسأتَ بالعبدِ ظَنّا
أنتَ أملَلتَنا . ولم نَجنِ ذَنباً ، لو علِمنا ذَنباً لدَيكَ لتُبنا
بالرّضَى كانَ منكَ صَدُّكَ والبُعـ ـدُ ، فكانَ الفِراقُ بالرّغمِ مِنّا
يا مُعيرَ الغَزالِ جِيداً وطَرفاً ، ومُغيرَ القَضيبِ لَمّا تَثَنّى
قد وجَدنا فيكَ الجَمالَ ، ولكنْ فيكَ حُسنٌ ولم نجِد فيك حُسنَى
من تَرى مُسعدي على جَورِ بدرٍ يتَجلّى ، وتارَةً يتَجَنّى
ما تَهنّيتُ في الهوَى ، إذْ تَعَنّيـ ـتُ ، وقد قيلَ من تَعَنّى تَهنّى

يا عاذلي

لا تَنطِقَنَّ عَنِ الهَوى ، يا مَن يُعَنِّفُ في الهَوَى
بسِوَى الحُمَيّا والمُحَيّا ، مــا لأدوائي دَوَا
قَسَماً بنَجمِ الكأسِ في كفّ السُّقاةِ . إذا هَوَى
ما ضَلّ صاحبُكم بِذا كَ عن الصّوابِ . وما غَوَى
يا عاذِلي فيمَن طَوَيْـ تُ عليهِ قَلبي ، فانطَوَى
القَلبُ عنهُ ما سَـلا ، وإلى مَقالِكَ ما ارعَوَى
خالَفتَ عَبدَ القادِرِ الـ قُرَشيّ ، فاسألْ ما رَوَى
إذ ذاكَ يَخطُو في الهَوا ءِ . وإنْ تَخَطّى في الهَوَى

أهلاً وسهلاً

أهلاً وسَهلاً يا رَسولَ الرِّضَى ، شَنَّفتَ سَمعي بلَذيذِ الكَلامْ
تُهدي سَلاماً من حَبيبٍ لَنا . علَيكَ منّا وعلَيهِ السّلامْ
فاشهَدْ بما شَهِدْتَ من حالَتي ، وصِفْ جُنوني ، إذ يَجُنّ الظّلامْ
وإن تَغافَلتَ وأغفَلتَها . علَيكَ فيها لا عليّ المَلامْ

محاسن الحسن

ما كنتُ أعلَمُ ،والبَلاغةُ صَنعَتي ، أنّ البَديعَ بحُسنِ وجهِكَ يُعلمُ
حتى تبَدّتْ لي مَحاسنُ حُسنِهِ ، ببَدائِعِ تُملي عليّ وأنظِمُ

ضلال وهدى

الوَجهُ منكَ عنِ الصّوابِ يُضِلُّني ، وإذا ضَلَلتُ ، فإنّهُ يَهديني
وتُميتُني الألحاظُ منكَ بنَظرَةٍ ، وإذا أرَدتَ ، بنَظرَةٍ تُحييني
وكذاكَ من مَرَضِ الجُفونِ بَليّتي ، وإذا مَرِضتُ ، فإنّها تَشفيني
فلذاكَ أشري الوَصلَ منكَ بمُهجَتي ، وأبيعُ دُنيائي بذاكَ وديني

شكوت

شكَوتُ إلى الحَبيبِ أنينَ قَلبي ، إذا جَنّ الظّلامُ ، فقال : إنّا
فقلتُ لهُ : أظنُّكَ غَيرَ راضٍ بما كابَدتُ فيكَ ، فقال : إنّا
فقلتُ : أتَرتَضِي إن ناءَ قلبي بأثقالِ الغَرامِ ، فقال : إنْ نَا
فقلتُ : فإنّكُم لَوُلاةُ أمرٍ على أهلِ الغَرامِ، فقال : إنّا

ما يقول الفقيه

ما يَقولُ الفَقيهُ في عَبدِ رِقٍّ   لحَبيبٍ لم يَرضَ منهُ بعتقِ
زارَهُ في الصّيامِ يَوماً ، وأولا   دُ جَميلاً من بَعدِ بُعدٍ وسُحقِ[1]
هل علَيهِ في لَثْمِ فيهِ جُناحٌ ،   إن غَدا مُضمِراً محبّةَ صِدقِ[2]

قلبي لكم

قلبي لكم بشُروعِه وشُروطِه ،   وشَرُوبُهُ مِلكٌ لكم وحُقوقُهُ[3]
حرٌّ تُحيطُ بهِ حُدودٌ أربَعٌ   فيها تَعيّنَ رَحبُهُ ومَضيقُهُ
الودُّ أوّلُها وثانيها الوَفا ،   والثّالثُ العَهدُ السّليمُ وَثيقُهُ
والرّابعُ المَسلوكُ صِدقُ مَحبّتي   لكُمُ . وفيهِ بابُهُ وطَريقُهُ

---

١ السحق : البعد .
٢ الجناح : الإثم .
٣ شروبه : ماؤه الصالح للشرب .

اقرار اللسان

أقرّ بمُهجتي لكُمُ لساني ، وذاكَ بصحّةٍ وجوازِ أمْرِ
وأوجبَ ذاكَ إيجاباً صَحيحاً ، مُطيعاً ، راضِياً من غيرِ قسرِ
فقد ملّكتُكُم مُلكاً جليلاً ، بنَيتُ بهِ المَناقبَ طولَ عُمري
فلِمْ أسكَنتُمُ الأحزانَ فيهِ ، لتَخرِبَه، ويَعفو رسمُ ذكري

احلى من البدر

وَجهٌ مِن البَدرِ أحلَى . ومنهُ بالمَدحِ أحرَى
طَرفي بهِ يتَجلّى . وناظِرٍ يتَحرّى
بمَنظَرٍ يتَحلّى . وناظِرٍ يتَجرّى
خدٌّ يُقِرّ بقَتلي . ورِدفُــهُ يتَبرّى

كثرة النمام

لا تَعْجبَنّ ، إذا أتَوا بنَميمَةٍ ، فينا . وإن عَذَلوا علَيكَ ولامُوا
من كان نسبةُ حُسنِ يوسفَ حُسنَه، فلذاكَ يكثُرُ حَــولَهُ النُّمّامُ

القناعة ملك

لِلتُّركِ ما ليَ تَـرْكُ ، ما دِينُ حُبِّيَ شِرْكُ
أخلَصتُ دينَ هَواهم ، فحُبُّهُمْ ليَ نسكُ
خاطَرتُ بالنّفسِ فيهم ، ومَسلَكُ العِشقِ ضَنكُ
قَنِعتُ بالودّ منهم ، إنّ القَناعَةَ مُلكُ
وبي أغرُّ غريرٌ ، ملامتي فيه إفْكُ
بحاجبَيـهِ وعَينَيهِ للمُحبّينَ هَتكُ
حَواجبٌ وعيونٌ لها بقَلبيَ فَتكُ
كالقوسِ يُصمي ، وهذي تَشكي المحبَّ ويَشكُو

عاقبت من اهواه

عاقَبتُ مَن أهواهُ في هَجري وأكثرتُ المَلامَه
فأجابَني : أقلَلتَ حبّ كَ لي ، فأبدَيتَ الجَهامَه
فأجَبتُ : إنّ كَرامَتي فرضٌ عليكَ إلى القيامَه
فأجابَني : مَن ما لَهُ حُبٌّ فليسَ له كَرامَه

كان بدر السماء

كانَ بَدرُ السّماءِ يَكتَسِبُ النّو ... رَ منِ الشّمسِ كي يَحوزَ البَهاءَ
فهوَ اليَومَ يَستَعيرُ ضِيا وجـ ... ـهِكَ . إذْ فُقتَهُ سَناً وسَناءَ
وإذا ما رآكَ صَدّ عنِ الشّمـ ... ـسِ ، ووافاكَ يَستَمِدّ الضّياءَ

السكوت أبلغ من الكلام

أموتُ ، وأنتَ تَعلَمُ ما لقيتُ ، ... أيا مَن بالنّعيمِ به شَقيتُ
ولولا أنّ في قَلبي أماني ... أعلّلُهُ بهنّ لمَا بَقيتُ
وأعجَبُ أنّ بي قَرَماً شَديداً ... إليكَ ، وأنتَ للأرواحِ قُوتُ
جعَلتُ من الرّجاءِ إلَيكَ زادي ، ... فجِئتُ ، وذاكَ زادٌ لا يُقيتُ
أُضامُ ، ولا أرى للقولِ وَجهاً ، ... وليسَ يَليقُ بي إلاّ الصُّموتُ
إذا عَدِمَ القبولَ إلَيكَ شاكٍ ، ... فأبلَغُ من تُكَلّمُهُ السّكوتُ

سارق الكحل

ما زالَ كُحلُ النّومِ في ناظري ، ... مِن قَبلِ إعراضِكَ والبَينِ
حتى سرَقتَ الغُمضَ من مُقلَتي ، ... يا سارِقَ الكُحلِ من العَينِ

انت سؤلي

أنتَ سُؤْلي، وإن بَخِلتَ بسُؤْلي، ورجائي . وإن قطَعتَ رَجائي
وحَياتي ، وإن تعمّدتَ قَتلي ، ونَعيمي . وإن قصَدتَ شَقائي
مُنيتي ، بُغيتي ، حَبيبي ، نَصيبي ، مالكُ الرّقّ ، سيّدي ، مولائي
لَيتَ أنّي قضَيتُ نَحبي ، وأن تُصبحَ بَعدي مُمتَّعاً بالبَقاءِ

راقب الله

كيفَ صَبري . وأنتَ للعَينِ قُرّه ، وهيَ ما إن تَراكَ في العامِ مَرّه
وبماذا يُسَرّ قَلبي . إذا غِبْتَ . إذا كنتَ للقُلوبِ مَسَرّه
قَسَماً بالذي أفاضَ على طَلعتِكَ النّورَ، فهيَ للشّمسِ ضَرّه
إنّ يوماً أرى جَمالَكَ فيهِ ، هوَ عندي في جَبهَةِ الدّهرِ غُرّه
أيّها المُعرِضُ الذي هانَ عندي تعَبي فيهِ . واحتمالُ المَضرّه
راقِبِ اللهَ في حُشاشَةِ نَفسي . إنّهُ لا يَضيعُ مِثقالُ ذرّه

الصبر الفاني

إن غِبتَ عَن عِياني ، يا غايَةَ الأماني
فالفِكرُ في ضَميري ، والذِّكرُ في لِساني
ما حالَ عَنكَ عَهدي ، ولا انثَنَى عِناني
وَجدي علَيكَ باقٍ ، والصَّبرُ عَنكَ فاني

رقيق الخدين

ورقيقِ الخَدّينِ مُذْ قابَلَ الكأ سَ بوَجهٍ كرِقّةِ الدّيباجِ
جَرَحَتْ خَدّه أشعّةُ نُورِ الـ ـرّاحِ شَفّتْ وراءَ جِرمِ الزّجاجِ

الصمم المستعذب

أوهَمتُها صَمَماً في مسمَعي . فغدَتْ تُكَرّرُ اللّفظَ أحياناً وتَبتَسِمُ
قَبلَتُهُ ما رُمتُ من رَجعِ الكَلامِ فلا عَدِمتُ لَفظاً به يُستَعذَبُ الصَّمَمُ

محاذر السخط

أشرتُ عليكَ ، فاستَغشَشتَ نُصحي لظنّكَ أنّ مَقصودي أذاكَا
وأغراكَ الخِلافُ بضِدّ قَولي ، فكانَ الفِعلُ منكَ بضِدّ ذاكَا
وشاروني العُداةُ وبايَعُوني ، فأنجَحَ حُسنُ رأيي في عِداكَا
فصِرتُ ، إذا خطبتَ جميلَ رأيي ، أشيرُ بما أرى فيهِ هَواكَا
ولم أتبَعْ خُطاكَ لضُعفِ رأيي ، ولا أنّي أُريدُ بهِ رداكَا
ولكنّي أُحاذِرُ مِنكَ سُخطاً ، فأتبَعُ كلّ ما فيهِ رِضاكَا

الخمارة النصرانية

ونصرانيّةٍ بِتنا جِواراً لها ، فلَنا بساحَتِها جُنُوحُ
خَطَبنا عندَها راحاً ، فجاءَتْ براحٍ للنّفُوسِ بها تُريحُ
وأبدَتْ مَنظَراً حسَناً ، فظَلنا ، وكلٌّ من تَلَهّفِهِ قَريحُ
فلمّا أن دنَتْ نحوي بكأسٍ يُضاعِفُ نورَها الوَجهُ الصّبيحُ
مَسَحتُ يَدي على خَدٍّ أسيلٍ فعادَتْ فيّ بَعدَ المَوتِ رُوحُ
فهزّتْ عِطفَها مَرَحاً وقالتْ : قضَى نَحباً ، فأحياهُ المَسيحُ

لله بالحدباء عيشي

لِلّهِ بالحَدباءِ عَيشي ، فكم وَرَدتُ من عَيْنٍ بها جارِيَه
وكَم تَقَنّصتُ بها جُؤذُراً ، ورُدتُ مِن عينٍ بها جارِيَه[1]

ودعوني

وَدّعُوني من قَبلِ تَوديعِ حِبّي ، أنا منهُ أحَقّ بالتّوديعِ
ذاكَ يُرجَى لهُ الرّجوعُ ، ولا يُطمَعُ ، إنْ مُتُّ بَعدَه ، برُجُوعي

قمر هدى أهل الضلال

عَبَثَ النّسيمُ بقَدّهِ ، فتأوّدا ، وسرَى الحَياءُ بخَدّهِ فتَوَرّدا[2]
رَشَأٌ تَفَرّدَ فيهِ قَلبي بالهَوَى ، لمّا غَدا بجَمالِهِ مُتَفَرّدا

---

١ ردت : طلبت . العين : أراد النساء الجميلات العيون .
٢ تأود : تمايل .

قمَرٌ هَدَى أهلَ الضّلالِ بوَجهِهِ ، وأضَلّ بالفَرعِ الأثيثِ من اهتَدَى[1]
كحَلَ العيونَ بضوءِ نُورِ جَبينِهِ ، عندَ السّفورِ . فلا عدِمتُ الإثمِدا
مُغرًى بإخلافِ المَواعِدِ في الهَوى ، يا لَيتَهُ جعَلَ القَطيعَةَ مَوعِدا
سَلَبَتْ مَحاسِنُهُ العقُولَ بناظرٍ يُصدي القُلوبَ ومَنظرٍ يَجلو الصّدَا[2]
يا صاحيَ الأعطافِ من سُكرِ الطِّلى ، ما بالُ طَرفِكَ لا يَزالُ مُعَربِدا[3]
وحُسامُ لحظِكَ كامنٌ في غِمدِهِ ، ما بالُهُ قَدَّ الضّرائبَ مُغمَدا
قاسوكَ بالغُصنِ الرّطيبِ جَهالَةً ، تاللهِ قد ظَلَمَ المُشبِّهُ واعتَدَى
حسنُ الغُصونِ إذا اكتَستْ أوراقُها ، ونَراكَ أحسَنَ ما تكونُ مُجَرَّدا

أغار عليك مني

تَعرّضَ بي ، فقلتُ : إليكَ عنّي ، كَفاني فيكَ عَيشي بالتّمَنّي
أخافُ من اللّحاظِ عليكَ ، حتى أغارُ علَيكَ . حينَ أراكَ ، منّي
ألَمْ تَرَني . إذا أرسَلتُ طَيفاً ، وزادَ علَيكَ خَوفي بعدَ أمني
أقَبّلُ تُربَ مَسعاهُ بطَرفي ، وأمحو إثرَ وطأتِهِ بجَفني

١ الأثيث : الملتف ، الكثير .
٢ يصدي ، مسهل يصدئ الشيء : يجعله صدئاً .
٣ الطلى : الخمر . المعربد : السيء الخلق .

ملكت رقي

مَلَكتَ رِقّي ، وأنتَ فيهِ ، يا حَسناً جَلّ عَن شَبَهِ
يا مَن حَكَى يُوسُفاً ، ولكن قد زينَ في عَينِ مُشتَريهِ

طاف بالكأس

طافَ بالكأسِ على عُشّاقِهِ ، رشأٌ كالبَدرِ في إشراقِهِ
فكأنّ الرّاحَ من وَجنَتِهِ ، وكأنّ الماءَ من أخلاقِهِ
لَيّنُ العِطفِ ، ولكنْ لم يزَلْ قاسيَ القَلبِ على مُشتاقِهِ
لم يكُن أوهَى قُوًى من خصرِه غَيرُ صَبري عَنهُ ، أو ميثاقِهِ

قسم الحبيب

أقسَمَ الحِبُّ أن يُبالِغَ في الصّدّ ليَبلو على الصّدودِ جَناني
بَرّ في حَلفِهِ ، فيا لَيتَهُ كا نَ ولو من دَمي خَضيبَ البَنانِ

غيرة قلب

يَغارُ علَيكَ قَلبي مِن عِياني ، فأُخفي ما أُكابِدُ من هَواكَا
مَخافَةَ أن أُشاوِرَ فيكَ قَلبي ، فيَعلَمَ أنّ طَرفي قَد رآكَا

ملك ومملوك

وظَبي حازَ رِقّي ، وهوَ رِقّي، بصحّةِ كَسرَةِ الطّرفِ السّقيمِ
يُناسِبُ يوسُفَ الصّدّيقَ حُسناً ، ووَصفاً في قِياسِ ذوي العُلومِ
فذلكَ قَبلَ ذا مَلِكٌ كَريمٌ ، وهذا قَبلُ مَملوكٌ كَريمُ

آيات الجمال

بُعِثتَ بآياتِ الجَمالِ ، فآمَنَتْ بحُسنِكَ أبصارٌ لَنا وبَصائِرُ
وأبدَيتَ حُسناً باللّحاظِ مُمَنّعاً ، فلا خاطِرٌ إلاّ وفيكَ يُخاطِرُ
ولمّا بدَتْ زُهرُ الثّغورِ ، وتاهتْ الـ خواطرُ، وامتَدّتْ إليكَ النّواظرُ
ختَمتَ على دُرّ الثّنايا بخاتَمٍ عقيقٍ وتحتَ الختمِ تُخبَى الجواهرُ

الحب للحبيب الأول

لا حُبَّ إلاَّ للحَبيبِ الأوَّلِ ، فاصرِفْ هَواكَ عن الحَبيبِ الأوّلِ
ودَعِ العَتيقَ ، فللجَديدِ حَلاوَةٌ تُنسيكَ ماضي العَيشِ بالمُستَقبَلِ
أعلى المَراتبِ في الحِسابِ أخيرُها ، فقِسِ المِلاحَ على حِسابِ الجُمَّلِ
أتَشُكُّ في أنَّ النّبيَّ مُحَمَّداً خَيرُ البريّةِ ، وهوَ آخرُ مُرسَلِ

اعتذار البدر

إلى مُحَيّاكَ ضَوءُ البَدرِ يَعتَذِرُ ، وفي مَحَبّتكَ العُشّاقُ قد عُذِرُوا
وجَنّةُ الحُسنِ في خَدّيكَ مُونِقَةٌ ، ونارُ حبّكَ لا تُبقي ولا تَذَرُ
يا مَن يَهزّ دَلالاً غُصنَ قامتِهِ ، الغُصنُ هذا ، فأينَ الظّلّ والثّمَرُ
ما كنتُ أحسبُ أنّ الوَصلَ مُمتَنِعٌ ، وأنّ وَعدَكَ بَرقٌ ما به مَطَرُ
خاطَرتُ فيكَ بغالي النّفسِ أبذُلُها ، إنّ الخَطيرَ علَيهِ يَسهُلُ الخَطَرُ
لمّا رأيتُ ظَلامَ الشَّعرِ منكَ بَدا خُضتُ الظّلامَ ولكنْ غَرّني القَمَرُ

نظروا الهلال

نظَروا الهلالَ فأعظموهُ وأكبَروا ، حتى سفَرتَ . فقيلَ هذا أكبرُ
ودَرَوا بأنّهمُ بذلكَ أخطأوا ، فأتاكَ كلٌّ تائباً يَستغفرُ
يا جنّةً يَصلى المُحبُّ بها لَظىً ، ويَموتُ من ظَمإٍ . وفيها الكَوثرُ
صيّرتَني في نارِ حبّكَ خالِداً ، قلبٌ يَذوبُ . وأدمعٌ تتَحَدّرُ
فكأنّ قلبي في الحَقيقَةِ مِرجَلٌ ، نارُ الصّبابَةِ حَولَه تتَسعّرُ
فإذا تَصاعَدَ بالتّنَفّسِ حَولَها تُهدي إلى عَينَي الدّموعَ ، فتَقطُرُ

صب أسر الهوى

قد هتَكَ الدّمعُ منهُ ما ستَرا ، وإن تُرِدْ خبُرَ حالِه ستَرَى
صَبٌّ أسرّ الهوَى وكتّمَهُ ، فعِندَما فاضَ دَمعُهُ ظَهَرا
لا تَعجَبُوا إن جرَتْ مَدامعُهُ ، بل اعجَبوا للفراقِ كيفَ جرَى
شامَ بُروقَ الشآمِ ناظرُهُ ، فأرسلَتْ سُحْبُ دَمعِه مَطَرَا
لمّا ترَاقَى من حرّ لَوعَتِه لَهيبُ نارٍ بقَلبِه استَعَرَا
تَكاثَفَ الدّمعُ في مَحاجِرِه ، فإنْ أذابَتهُ نارُهُ قَطَرَا

بشراي

قال وهو من الأوزان الأعجمية :

بشرايَ قد تَنَبَّهَ لي الطالعُ السّعيدْ قد زارَني الحَبيبُ فذا اليومُ يومُ عيدْ
قد تَمّ لي السّرورُ وكَمُلَتْ مَجلسي من خَمرِنا العتيقِ ومن زَهرِنا الجديد[1]
ناديّتُ ، إذْ رأيتُ حَبيبي بمَجلِسي عن جانبي القريبِ وقد جاء من بعيدْ
مَن شاهَدَ الكَواكبَ تَمشي على الثّرى أو عاينَ المَوالي تَسعى إلى العَبيدْ
من خَمرِهِ سُقيتُ ومن بَردِ ريقهِ خمريَنِ ذي تُزيل خُبالي وذي تزيدْ[2]
إنْ فاتَني التّمتّعُ بالطّيفِ في الكرَى في يقظتي حظيتُ بأضعافِ ما أريدْ

من عاشق ناء

وأخبرني من أثق به من الشيوخ أنه قرأ في كتاب مهتدى الفرق للإمام فخر الدين الرازي قصيدة مربعة من مربع الرجز ، كل أربعة سطور منها على قافية للشيخ مدرك ابن علي الشيباني المغربي ، وذكر الإمام فخر الدين أنها جمعت سائر عبادات النصارى ومواقيتهم وقرابينهم، وأسماء أكابرهم وشيوخ طريقهم وكان موجب نظمها أن الشيخ مدركاً كان من أفاضل أهل الغرب والمتقنين في العلوم، المطبوعين في نظم الشعر، وكان ببغداد يقرىء في الآداب وله مجلس بمحلة دار الروم لا يقرأ به سوى الأحداث وكان بينهم

١ قوله : كملت مجلسي ، هكذا في الأصل .
٢ الخبال : الجنون .

عمرو بن روحنا النصراني كان من أحسن أهل زمانه وأسلمهم طباعاً فهام به الشيخ مدرك عشقاً ولم يستحسن مواجهته ، فكتب رقعة وطرحها في حجره وفيها :

بمجالس العلم التي بك تم جمع جموعها
ألا رثيت لمقلة غرقت بماء دموعها
بيني وبينك حرمة ، الله في تضييعها

فلما قرأ عمرو الأبيات استحيا وخاف أهله وعلم بها من بالمجلس فانقطع عن مجلسه فاشتد به البلاء فترك المجلس والاشتغال ونظم هذه القصيدة ومرض مرضة شديدة.

ووجد في كتاب فيه أخبار الشيخ مدرك أنه لما اشتد به المرض اتصل خبره بقاضي القضاة ببغداد وهو يومئذ أبو القاسم بن المحسن بن أبي الفهم التنوخي وأصله من المعرة وهو ممدوح أبي العلاء المعري ، فشق عليه ذلك وقال لمن حضره إن كان موت هذا الرجل دنياً فإن إحياءه لمروءة.ثم أحضر الغلام وجبره على عيادته فعاده وقال له : كيف حالك ؟ فقال :

أنا في عافية إلا من الشوق إليكا
أيها العائد ما بي منك لا يخفى عليكا
لا تعد جسماً وعد قلباً رهيناً في يديكا
كيف لا يهلك مر شوق بسهمي مقلتيكا

ثم شهق شهقة فمات . قال الراوي حساس بن محمد بن عيسى بن شيخ : فما برحت عنده حتى غسلته ودفنته وكانت هذه القصيدة سائبة اللزوم لا أرجوزة مطلقة ولا مسمطة بشرائط التسميط إذ شرطه على رأي الخليل ومن تابعه أن تكون الثلاثة أغصان على قافية بمفردها ويكون الرابع على قافية تبنى عليها القصيدة بجميع أبياتها وترجع إليها،ومثل عليه بقول ابن الحريري :

أيا من يدعي الفهم إلى كم يا أخا الوهم تعبي الذنب والذم وتخطي الخطأ الجم

فإنه حيث كان بناء المصراع الرابع على قافية الميم لم يفارقه إلى آخر القصيدة .

قال العبد الناظم هذا الديوان : وكنت وقعت في قريب مما وقع فيه الشيخ مدرك ورأيت القصيدة قابلة للتتميم بالتسميط فخمستها تخميساً لم أسبق إليه لأن من شأن التخميس أن تخمس الفصلان بثلاثة أخر قبلها ، وهاهنا خمسة : الأربعة بواحد بعدها، وقد ناسبت بين الألفاظ والمقاصد بحيث يتوهم السامع أنها لناظمها عملتها وهي :

مِن عاشِقٍ ناءٍ ، هَواهُ دانِ ، ناطِقِ دَمعٍ صامتِ اللّسانِ
مُوثَقِ قَلبٍ مُطلَقِ الجُثمانِ ، مُعَذَّبٍ بالصّدّ والهِجرانِ
طَليقِ دمعٍ ، قلبُهُ في أسرِ

من غَيرِ ذَنبٍ كسَبتْ يَداهُ ، غيرَ هَوًى نمّتْ بهِ عَيناهُ
شوقاً إلى رؤيَةِ من أشقاهُ ، كأنّما عافاهُ مَن أبلاهُ
إذ كانَ أصلُ نَفعهِ والضّرّ

يا وَيحَهُ من عاشِقٍ ما يَلقَى ، من أدمُعٍ منهَلّةٍ ما ترقَا
ذابَ إلى أن كادَ يَفنى عِشقَا ، وعن دَقيقِ الفِكرِ عَنهُ دَقّا
فكادَ يَخفَى عن دَقيقِ الفِكرِ

لم يَبقَ منهُ غَيرُ طَرفٍ يبكي ، بأدمُعٍ مثلِ نِظامِ السّلكِ
يُخمِدُ نيرانَ الهَوى ويُذكي ، كأنّها قَطرَ السّماءِ تَحكي
هيهاتَ هل قِيسَ دَمٌ بقَطرِ[1]

إلى غَزالٍ من بَني النّصارَى ، فُضّلَ بالحُسنِ على العَذارَى
كلُّ الوَرَى منذُ نَشا حَيارَى ، في رِبقَةِ الحُبّ لهُ أسارَى
يُنشِدُ قولَ مُدرِكٍ في عَمرِو[2]

يا عمرو ناشَدتُكَ بالمَسيحِ ألاّ سَمعتَ القَولَ من نَصيحِ
يُعربُ عن قَلبٍ لهُ جَريحِ ، ليسَ من الحبّ بمُستَريحِ
كَسيرِ قَلبٍ ما لَهُ من جَبرِ

---
١ يذكي : يشعل .
٢ الربقة : العروة في الحبل .

يا عمرو بالحَقّ منَ اللاّهوتِ ، والرّوحِ روحِ القُدسِ والنّاسوتِ
ذاكَ الذي خصّ من النّعوتِ ، بالنّطقِ في المَهدِ ، وبالسّكوتِ
وأنشَرَ الميتَ ببطنِ القبرِ[1]

بحَقّ ناسوتٍ ببطنِ مريمِ ، حلّ محلّ الرّوحِ منها في الفمِ
ثمّ استحالَ في القنُومِ الأقدمِ ، يُكلّمُ النّاسَ ولمّا يُفطَمِ
مصرّحاً عن أمّهِ بالعُذرِ

بحَقّ مَن بعدَ المَماتِ قُمّصَا ثوباً على مقدارِهِ ما قُصّصَا
وكانَ للهِ تقيّاً مُخلِصَا ، ومُبرِئاً من أكمهٍ وأبرَصَا
بما لَديهِ من خفيّ السّرّ

بحَقّ مُحيي صورةِ الطّيورِ ، بالنّفخِ في المَوتَى وفي القُبورِ
ومَن إليهِ مَرجِعُ الأمُورِ ، يَعلَمُ ما في البَرّ والبُحورِ
وما بهِ صرفُ القضاءِ يَجري

بحَقّ مَن في شامخِ الصّوامعِ من ساجدٍ لربّهِ وراكعِ
يَبكي ، إذا ما نامَ كلّ هاجعِ ، خَوفاً من اللهِ بدَمعٍ هامعِ
ويَهجُرُ اللّذّاتِ طولَ العُمرِ

بحَقّ قومٍ حلَقوا الرّؤوسَا ، وعالَجوا طولَ الحَياةِ بُوسَا
وقرَعوا في البيعَةِ النّاقُوسَا ، مُشْمَعلّينَ يَعبُدونَ عيسَى
قد أخلَصوا في سرّهم والجَهرِ[2]

---

[1] أنشر الميت : أقامه من الموت .
[2] مشمعلين : متفرقين ، منتشرين

بحَقّ ماري مَريمٍ وبولُسِ ، بحَقّ شَمعون الصّفا وبطرُسِ
بحَقّ دانيلٍ وحَقّ يُونُسِ ، بحَقّ حَزقيلَ . وبَيتِ المَقدِسِ
وكلّ أوّابٍ رَحيبِ الصّدرِ[1]

ونينَوى إذ قامَ يَدعو رَبّهُ مُطَهّراً مِن كلّ ذَنبٍ قَلبَهُ
ومستَقيلٍ ، فأُقيلَ ذنبهُ ، ونالَ من أبيهِ ما أحبّهُ
إذ رامَ من مَولاهُ شدّ الأزرِ[2]

بحَقّ ما في قُلّةِ المَيرُونِ من نافِعِ الأدواءِ للجُنونِ
بحَقّ ما يُؤثَرُ عن شَمعونِ من بَرَكاتِ النّخلِ والزّيتونِ
خِصبِ البلادِ في السّنينَ الغُبرِ[3]

بحَقّ أعيادِ الصّليبِ الزُّهرِ ، وعيدِ ماريّا الرّفيعِ الذّكرِ
وعيدِ أشموني ، وعيدِ الفِطرِ ، وبالشّعانينِ الجَليلِ القَدرِ
مَواسمٌ تَمنَعُ حَملَ الإصرِ[4]

وعيدِ اشَعيا وبالهَياكلِ ، والدُّخَنِ اللاّتي لوَضعِ الحاملِ
يَشفَى بها من كلّ خَبَلٍ خابلِ ، ومن دَخيلِ السّمّ في المَفاصِلِ
لكَونِها من كلّ داءٍ تَبري[5]

بحَقّ سَبعين من العِبادِ ، قاموا بدينِ اللهِ في البلادِ

---

١ شمعون الصفا وبطرس : كلاهما واحد . الأواب : التائب .
٢ لعله أراد بنينوى يونان .
٣ القلة : الكوز الصغير .
٤ الإصر : الإثم .
٥ الدخن ، الواحدة دخنة : ذريرة تدخن بها البيوت . الخبل : الجنون .

وأرشَدوا النّاسَ إلى الرّشادِ ، حتى اهتَدى مَن لم يكن بالهادي
وحُقّقَ الحقّ بكَشفِ السّترِ

بحَقّ الاثني عشرَ منَ الأمَم ، ساروا إلى الرّحمن يتلونَ الحِكَم
حتى إذا صُبحُ الهدى جَلا الظُّلَم ، صاروا إلى اللهِ ففازوا بالنِّعَم
ثمّ استَدامُوها بفرطِ الشّكرِ

بحَقّ ما في مُحكَمِ الإنجيلِ من مُنزَلِ التّحريمِ والتّحليلِ
وبالبتول والأبِ الهيُولي ، بحَقّ جيلٍ قد مضَى وجيلِ
يُسنِدُ زيدٌ علمَهُ عن عمرِو

بحَقّ مار عَبدا التّقيّ الصّالحِ ، بحَقّ لوقا ، بالحَكيمِ الرّاجحِ
والشّهَداءِ بالفَلا الصّحاصِحِ ، من كلّ غادٍ منهُمُ ورائحِ
مُعتبرٌ في صَومِهِ والفِطرِ[1]

بحَقّ مَعموديّةِ الأرواحِ ، والمَذبَحِ المَعمورِ في النّواحي
ومَن به من لابِسِ الأمساحِ ، من راهبٍ باكٍ ومن نَوّاحِ
يَذرِفُ لَيلاً دمعَهُ ويُذري

بحَقّ تَقريبِكَ في الآحادِ ، وشُربِكَ القَهوَةَ كالفِرصادِ
وما بعَينَيكَ من السّوادِ ، بطولِ تَقطيعِكَ للأكبادِ
وسلبِكَ العشّاقَ حُسنَ الصّبرِ[2]

---

١ الصحاصح ، الواحد صحصحان : ما استوى من الأرض وكان أجرد .
٢ الفرصاد : التوت الشامي .

بحَقّ شَمعونَ ، وما يَرويهِ بالحَمدِ للهِ وبالتّنزيهِ
وكلّ ناموسٍ لهُ فَقيهِ ، مُؤتَمَنٍ في دينِهِ وجيهِ
مُتّبَعٍ في نَهيِهِ والأمرِ

شَيخَينِ كانا من شيوخِ العِلمِ ، وبَعضِ أركانِ التّقَى والحِلمِ
لم يَنطِقا قَطّ بغَيرِ الفَهمِ ، مَوتُهما كانَ حَياةَ الخَصمِ
وعَنهما أخبرَ كلّ حِبرِ[1]

بحُرمَةِ الأسقُفّ ، بالمطرانِ ، والجاثِليقِ العالِمِ الرّبّاني
والقِسّ ،والشمّاسِ ،والغُفرانِ ، والبَطرَكِ الأكبرِ ، والرّهبانِ
والمقربانِ ذي الخِصالِ الزُّهرِ[2]

بحُرمَةِ المَحبوسِ في أعلى الجبَلِ ، بحَقّ لوقا حينَ صَلّى وابتَهَل
وبالمَسيحِ المُرتضَى وما فعَل وبالكَنيساتِ القديماتِ الأُوَل
وبالذي يُتلَى بها من ذِكْرِ

بكلّ ناموسٍ لهُ مُقَدَّمِ ، يُعَلّمُ النّاسَ ولمّا يَعلَمِ
بحُرمَةِ الصّومِ الكَبيرِ الأعظَمِ ، وما حوَى الميلادُ لابنِ مريمِ
من شرَفٍ سامٍ عظيمِ الفَخرِ

بحَقّ يومِ الذّبحِ في الإشراقِ ، ولَيلَةِ الميلادِ والسُّلاّقِ
بالذّهَبِ الإبريزِ لا الأوراقِ ، بالفِصحِ يا مهذَّبَ الأخلاقِ
وكلّ ميقاتٍ جَليلِ القَدرِ[3]

١ الحبر بالفتح والكسر : العالم الصالح ، ورئيس من رؤساء الدين عند المسيحيين .
٢ الجاثليق : متقدم الأساقفة . وقوله المقربان : لم نجدها ، ولا نعلم ماذا أراد بها .
٣ يوم الذبح في الإشراق : لا نعلم ما هو . السلاق : عيد الصعود عند المسيحيين .

ألاَّ سعَيتَ في رِضَى أديبِ . باعدَهُ الحبُّ عن الحَبيبِ
فذابَهُ شوقاً إلى المُذيبِ . أعلى مُنَاهُ أيسَرُ القَريبِ
من بَسطِ أخلاقٍ وحُسنِ بِشرِ[1]
وانظُرْ أميري في صَلاحِ أمري ، مُحتَسِباً فيَّ عَظيمَ الأجرِ
مكتَسِباً منّي جَميلَ الشُكرِ ، في نَظمِ ألفاظٍ ونَظمِ شِعرِ
فَفيكَ نَظمي أبداً ونَثرِي

شكوت إليك الجوى

وقال وقد اقترح عليه السلطان الملك المؤيد
صاحب حماة تخميس أبيات غنيت بمجلسه لمغاربة
فخمسها بديهاً بالمجلس :

شكَوتُ إليكِ الجَوى ، فلَم تَسمَحي بالذّوَى
فمذ طالَ عمرُ النّوى ، جعلَتُ إليكِ الهوَى
شَفيعاً ، فلَم تُشفعي[2]
صرَمتِ حبالَ الوَفا . وكَدَّرْتِني بالجَفَا
فحاوَلتُ منكِ الصّفا ، ونادَيتُ مُستَعطِفَا
رِضاكِ ، فلَم تَسمعي

1 قوله : فذابه شوقاً ، هكذا في الأصل ، والوجه : أذابه .
2 الذوى : النعاج الصغيرة ، ولا معنى لها هنا ، ولعلها محرفة ، وقوله : فلم تشفعي، هكذا في الأصل.

تُراكِ إذا ما اشتَفَى عِداكِ ، وزالَ الجَفَا
وأمرَضتِني بالجَفَا . أتارِكَتي مُدنَفَا
أخا جَسَدٍ مُوجَعِ

تُرى هل لعَيشي رُجوعْ بمُؤنِسَتي في الرَّبُوعْ
وفاجعَتي بالهُجُوعْ . ومُغرِقَتي بالدَّمُوعْ
وقد أحرَقتْ أضلُعي

لقد كنتُ طَوعَ الهوَى ، ونحنُ بحالٍ سوَا
فكيفَ أكفُّ النَّوى ، وفؤادي قدِ انكَوَى
بالنَّظَرِ المُطمِعِ

أطَعتُ فَعاصَيتِني ، وبالصَّبرِ أوصَيتِني
فمُذ قلتُ خصَّيتِني . جَفَوتِ وأقصَيتِني
فهَلاَّ ! وقلبي مَعي

الهوى حرم

قال وهي من الفراقيات :

وحَقِّ مَن لا سواهم عنديَ القسمُ ، ومَن بغَيرِ هَواهم ليسَ لي قسَمُ
ومَن أموِّهُ بالذّكرى لغَيرِهِمُ مُعَرِّضاً بسِواهم ، والمرادُ هُمُ

أهوَى جُحودَ الهوَى لا بل أدينُ بهِ ، وإن أقرّ بهِ التّبريحُ والسّقَمُ
ما كلّ مَن صانَ إجلالاً لمالِكِهِ غَرامَهُ ، في صَفاءِ الودّ مُتّهَمُ
استَودعُ اللهَ قوماً ما أفارِقُهُمْ ، إلا وتُدنيهِمُ الأفكارُ والحُلُمُ
ومَن لكَثْرَةِ تَمثيلي لشَخصِهِمُ ، أظنُّ في كلّ يومٍ أنّهمْ قَدِمُوا
أظنّهُم ما دَروا ما بي وقد رَحَلوا ، تاللهِ لو علِموا حالي بهِمْ رَحِمُوا
سادوا وقد تَركوا جسمي بلا رَمَقٍ عندي ، ليَندُبَهم ، والقلبُ عندهمُ
صادوا فؤادي وحِلُّ الصّيدِ مُمتَنعٌ ، لهم وقد علموا أنّ الهوَى حرَمُ
يا غائبينَ ، وما غابَتْ مَحاسنُهم ، ونازِحينَ ، وأقصَى بَينِهم أمَمُ
نمتُم ولم تَحلَموا بي في رُقادِكُمُ ، ومع سُهادي بكُم يَقظانُ أحتَلِمُ
وحَقِّ مُوثَقِ عَهدٍ كنتُ أعهَدُهُ ، وصحبَةٍ خِلتُ جَهلاً أنّها رَحِمُ
ما لذّ لي العيشُ مُذ غابتْ مَحاسنُكم ، ولا حلَتْ ، بعدَ رؤياكم ، ليَ النّعَمُ
قد كانَ لَيلي نَهاراً من ضِيائكُمُ ، فاليَومَ ضوءُ نَهاري بَعدَكم ظُلَمُ
عشقتُكم لخِلالٍ كنتُ أعرِفُها ، وإنّما تُعشَقُ الأخلاقُ والشّيَمُ
لا تَنقُضُوا ذِمَمي بَعدَ الوَفاءِ بها ، إنّ الكِرامَ لدَيها تُحفَظُ الذّمَمُ
لا ذَنبَ لي يوجبُ الهِجرانَ عندكمُ ، وهَبهُ كانَ ، فأينَ العَفوُ والكَرَمُ
أعطَى الزّمانُ نَفيساً من وِصالِكُمُ ، فارتَدّهُ ، وعَراهُ بَعدَهُ نَدَمُ
إلى مَنِ المُشتَكى إن عَزّ قربُكُمُ ، ممّا جنَى الدّهرُ وهوَ الخَصمُ والحكَمُ
قد كنتُ أقهَرُ صرفَ الحادِثاتِ بكم ، فَاليَومَ أصبحَ صَرفُ الدّهرِ يَنتَقِمُ
كم قد بكَيتُ وقد سارَتْ ركائبُكُم ، فالدّمعُ يَسفَحُ ، والأحشاءُ تَضطرِمُ

ما للمَدامعِ لا تُطفي لَظَى كَبِدي ، ويُغرِقُ الرّكبَ منها سيلُها العَرِمُ
وَقَفتُ أُظهِرُ للعُذّالِ مَعذِرَةً عنكم وإن صَحّ عندَ النّاسِ ما زَعمُوا
قالوا : غَدا مُغرَماً طولَ الزّمانِ بهم، واللهُ يَعلَمُ أنّي مُغرَمٌ بِكُمُ

فراق دون إياب

تَنَزُّهُ عتّبي عن خَطاكَ صَوابُ ، وصَمتيَ عن رَدّ الجَوابِ جَوابُ
وما كلّ ذَنبٍ يَحسُنُ الصّفحُ عندَه ، ألا رُبّ ذَنبٍ ليسَ منهُ مَتابُ
أفي كلّ يومٍ لي إليكَ رَسائلٌ ، وفي كلّ طَورٍ وقفَةٌ وعِتابُ
أُعلّلُ روحي بالوُرودِ على الظّمَا ، وأُطمِعُها بالماءِ ، وهوَ سَرابُ
أتَجعَلُ غَيرِي في هَواكَ مماثلي ، وما كلّ أعلاقِ الخيولِ سَكابُ[1]
إذا كَدّرَتْ وِردي الأُسودُ أبَيتُه ، فكَيفَ إذا ما كدّرَتهُ كِلابُ
وما فيهِ من عَيبٍ عليّ ، وإنّما عليَكَ بهذا لا عليّ يُعابُ
أبَى اللهُ أن ألقَى قبيحكَ بالرّضَى ، فصَبري على ذاكَ المُصابِ مُصابُ
إذا اختَلّ ودّ الخِلّ من غيرِ مُوجبٍ ، فلي نحوَ أهلِ الودّ منه ذَهابُ
وكان غَرامي فيكَ ، إذ كنتَ وامقاً بصَوني ، كما صانَ الحُسامَ قِرابُ
وقدرُكَ ما بَينَ الأنامِ مُمَنَّعاً ، لكَ العزُّ ثَوبٌ ، والحَياءُ نِقابُ

---

١ الاعلاق ، الواحد علق : النفيس من كل شيء . سكاب : اسم مهرة من عتاق الخيل .

وما بَينَنا سِترٌ يُراعي سِوى التّقَى ، ولا دونَنا إلاّ العَفافُ حِجابُ
فكَيفَ وقد أصبَحتَ في الحيّ مُهمَلاً . لكلّ مُريدٍ نحوَ وَصلِكَ بابُ
فلا تَدعُني للقُربِ منكَ جَهالَةً . فَما كلّ داعٍ في الأنامِ يُجابُ
وليسَ فراقٌ ما استَطَعتُ، فإن يكنْ فِراقٌ على حالٍ . فليسَ إيابُ

أمير الملاح

قال وهي أبيات مردوفة على طريق الموشح :

طافَ ، وفي راحتِهِ كأسُ راحْ ، مُوَقَّرُ الرّدفِ سَفيهُ الوِشاحْ
يُجيلُ في عُشّاقِهِ أعيُناً . نحنُ بها المَرضَى وهنّ الصّحاح
مُقَرْطَقٌ مُمَنطَقٌ ، إذا نَطَقَ ظَنَنتُ عنهُ المِسكَ والنّدّ فاح[1]
يُسكِرُنا من نُطقِ ألحاظِهِ ، وألسُنُ الأعينِ خُرسٌ فِصاح
كأنّه ، والكأسُ في كَفّهِ . بدرُ الدّجى يحملُ شمسَ الصّباح
قد أشرَقَ ، وأبرَقَ ، وأحرَقَ قَلبي بنارِ الوَجدِ والالتياح[2]
تمّتْ مَعاني الحُسنِ في وَجهِهِ . حتى غَدا يُدعَى أميرَ المِلاح

١ المقرطق : اللابس القرطق : ضرب من اللباس . الممنطق : اللابس النطاق : ما يشد به الوسط .
٢ الالتياح : العطش .

أحوَى لهُ خَـدٌ سَقاهُ الحَيَـا   فأورَثَ الأحداقَ منهُ اتّقاح[1]
فحلّقَ . تـألّقَ . فطلّقَ   نومي . وراجَعتُ البكا والنّواح
مُهفهَفٌ تَحسبُهُ أعزَلاً .   وهوَ من الألحاظِ شاكِ السّلاح
مُتَرّكُ اللّحظِ لَـهُ قامَةٌ .   ألطَفُ هزّاً من قُدودِ الرّماح[2]
وأرشَقَ وأمشَقَ . فما أعشَقَ   قلبي لهُ في جِدّهِ والمزاح

حامل الهوى

قال من الموشح المضمن وهو من مخترعاته التي
لم يسبق إليها والأبيات منحولة لأبي نواس
وقيل إنها لابن الحريري :

وحقّ الهوى ما حاتُ يوماً عن الهوَى ،   ولكنّ نَجمي في المَحبّةِ قد هوَى
وما كنتُ أرجو وصلَ مَن قَتَلي نوَى ،   وأضنى فؤادي بالقَطيعَةِ والنّوَى[3]
لَيسَ في الهوَى عجَبُ ،   إنْ أصابَني النّصَبُ
حامِلُ الهوَى تَعِبُ ،   يَستَفِزّهُ الطّرَبُ
أخو الحبّ لا يَنفَكّ صَبّاً متَيّمَا ،   غَريقَ دُموعٍ قلبُهُ يَشتكي الظّمَا

---

١ الاتقاح : الوقاحة .
٢ مترك اللحظ : أراد تركي اللحظ .
٣ قتلي نوى : أي عزم على قتلي . النوى : الفراق .

لفَرطِ البُكا قد صارَ جِلداً وأعظُمَا ، فلا عَجَبٌ أن يَمزُجَ الدّمعَ بالدِّمَا

الغرامُ أنحَلَه ، إذ أصابَ مَقتَلَه

إنْ بَكى يُحَقّ لَه ، لَيسَ ما بِهِ لَعِبُ

ألا قُل لذاتِ الخالِ يا رَبّةَ الذّكَا ، ومَن بضياءِ الوَجهِ فاقتْ على ذُكَا[1]

شكَوتُ غَرامي لو رَثَيتِ لمَن شَكَا ، وأطلَقتِ دمعي لو شفى الدّمعُ من بكَى

فانثَنَيتِ ساهيَةً ، والقُلوبُ واهيَةً

تَضحَكينَ لاهيَةً والمُحبُّ يَنتَحِبُ

أسرتِ فؤادي حينَ أطلَقتِ عَبرَتي ، وبَدّلتِني من مُنيَتي بمَنيّتي

ولمّا رأيتِ السّقمَ أنحَلَ مُهجَتي ، تعَجّبتِ من سُقمي وانكَرتِ قتلتي

صِرتِ إنْ بَدا ألَمي ، عندَما أرَقتِ دَمي

تَعجَبينَ من سقَمي ، صِحّتي هيَ العَجَبُ

تحَجّبْتِ عن عَيني ، فأيقَنتُ بالشّقا ، وآيَستَني فَرطُ الحِجابِ من البَقَا

فلمّا أمَطتُ السّترَ وارتحتُ باللّقَا ، غَضِبتِ بلا ذَنبٍ وعاوَدتِني لِقَا

حينَ تُرفَعُ الحُجُبُ ، منكِ يَصدُرُ الغضَبُ

كلّما انقَضَى سَبَبٌ منكِ عادَني سَبَبُ

---

[1] ذكا بالضم : الشمس .

وا طول خوفي

قال من الموشح المجنح
ويسمى أيضاً الشعرى :

عزَمتَ، يا مُتلفي، على السَّفَرِ ، واطولَ خوفي عليكَ واحذَري
يُؤيِسُني من لِقاكَ قولُهمُ بأنّهُ لا رجُوعَ للقمَرِ
تَمهّل مُضنى جَفاك ، تحمّلْ ذُبتُ في هَواك

يا مَن حكَى الظَّبيَ في تلَفّتهِ ، وفاقَهُ بالدّلالِ والخفَرِ
أتلَفتَني بالصّدودِ مُعتَدِياً فذَلّ عِزّي وعزّ مُصطبَري
تَدَلّل مُهجَتي فِداك ، تَسهّلْ بعضَ ذا كَفاك

ودّعتَني ، والدّموعُ سائحةٌ ، لو عرضَتْ للمَطيّ لم تَسِرِ
وخاطري بالفِراقِ مُنكَسِرٌ ، ولاعجُ الوَجدِ غيرُ مُنكَسِرِ
مُبَلبَلٌ أرتَجي لِقاك ، أُعلّلُ انّني أراك

علَيكَ جِسمٌ كالماءِ رِقّتُهُ ، يَضُمّ قَلباً قد قُدّ من حَجَرِ
وطَلعَةٌ كالهِلالِ مُشرِقَةٌ ، تُزهَى على غُصنِ قدّك النّضِرِ
إذا أقبَلَ يَخجَلُ الأراك ويَذبُلُ عندَما يَراك

إن قيلَ قد رُمتَ في الهوَى بدَلاً فانظُرْ ، فلَيسَ العيانُ كالخبَرِ
فتّشْ فؤادي ، فأنتَ ساكِنُه، فلَيسَ فيهِ سِواكَ من بَشَرِ
تأمّل هَل بهِ سِواك ليُقفَل، مقتضَى رِضاك

كأنّ نارَ الجَحيمِ هجرُك لي ، لم تُبقِ من مُهجَتي ولم تَذَرِ
إن كان أقصى مُناكَ سَفكَ دمي فلَيسَ عندي لذاكَ من أثَرِ
أيَحمِلِ حَتفاً مَن رَجاك ويُقتَل . وهوَ في حِماك
يا قلبِ قد كانَ ما بليتَ به ، فاصبرْ لحُكمِ القَضاءِ والقَدَرِ
فالصبرُ كالصَّبرِ في مَرارَتِه ، لكنّ فيهِ عَواقبَ الظَّفَرِ
تَحمَّل في الهوَى أذاك ، نُذَلَّل كَي نَرَى مُناك

كثير الحسن قليل الوفاء

قال موشحاً وأغصانه من وزن الدوبيت :

عَينُ حِبّتي أعيذُها باللهِ ، ما أوقَعَني في عِشقِه إلاّ هي
مُذ قاطعَني وصَدّ عنّي لاهي ، أجرى عَبرَتي ، وأذكى زَفرَتي
أمسَيتُ وطيبُ النّومِ عن أجفاني فاني
لَمّا تَجافاني أرعَى النّجوم
أهوَى قمَراً هَويتُ عَينَيهِ وفاه ، ما أكثَرَ حُسنَهُ ، وإن قَلّ وَفاه
والعاذِلُ يُغري فيهِ إن لامَ وَفاه ، أمسَى في ضِرامٍ من نارِ الغَرام
إنْ كانَ عَذولي الذي أغراني رآني
في حَرّ نيرانِ . لِمْ ذا يَلُوم

لمّا شهرَ الحبُّ من اللّحظِ نِصال، أكثرتُ عِتابَه وقد صَدّ وصَال

كي أنعَمَ بالكَلامِ من غيرِ وِصال ناجَى بالكَلامِ من بَعدِ السّلام

لو لم يَكن الحَبيب إذ ناجاني جَاني

بالوَصلِ نَجّاني من ذي الهُموم

يا مَن بهَواه صِرتُ في الحبّ أسيرْ حَيرانَ إلى مَسالك الذّلّ أسيرْ

واللهِ أرى تخلّصي منكَ عَسير لو رُمتُ انتقال عن هذا الجَمال

ما كانَ إذا كنتُ عنِ الإخوانِ واني

ورُمتُ سُلواني، عُذري يَقُوم

لو صِرتُ من السّقامِ في زِيّ سواك لا أعشقُ دونَ سائرِ الخَلقِ سواك

لا كنتُ إن انثنَيتُ عن دين هَواك أُدعَى في الأنامِ من أهلِ الذّمام

بل كنتُ بها لعابدِ الأوْ ثانِ ثاني

إنْ صَدّني ثانِ عَمّا أروم

بي ظبي حمى

وقال من ذلك ما اخترع وزنه السلطان الملك المؤيد صاحب حماة واقترحه عليه امتحاناً له طاب ثراه :

بيَ ظَبيُ حِمىورَدُخدّه صارِمُ اللّحظِ قاسٍ غَرّني منهُ رِقّةُ الخَدّ واللّفظِ

ذو فَرعٍ بمحضِ اعتناقِ أرْدافِه محظي ما لي لم أنل حظّه كما قد حكَى حظّي

بديعُ المَعاني من الأقمار أحسَن

إلينا أسا لحظُه واللّفظُ أحسَن

قد حازَ المَعاني بجمعِه، والضّدَّ بالضّدِّ من ماءٍ ونارٍ تَضُمُّها صَفحةُ الخَدِّ

والفَرقُ الذي شَقّ ليلَ فاحمه الجَعدِ أضحَى للوَرى يَقرِنُ الضّلالةَ بالرُّشدِ

بفرعِ دجًى اللّيلُ فيه قَد تَعيّن

وفرقِ سنًى الصّبحُ فيه قَد تَبَيّن

هل يَدري الذي باتَ عن عنّا الحبِّ في شكٍّ ماذا لاقتِ العربُ من ظُبَى أعينِ التُّركِ

قد قلّ احتمالي وليس لي طاقةُ التَّركِ ألقَتني العيونُ المِراضُ في معركٍ ضَنكِ

سَباني عَزيزٌ مِنَ الأتراكِ أعين

بقَدٍّ رَشيقٍ مِنَ الأغصانِ ألْين

قولا للّذي ظلّ بالحَيا كاسرَ الجَفنِ، ما بالي أرى سيفَ لحظه كاسرَ الجَفنِ

ما شرطُ الوَفا أن يزيدَ حسنُك في حزني إذ مُهجَتي زادَ خَلقَه واهبُ الحسنِ

فمِنْ حَبّةِ القَلبِ نَقطَ الخالِ كَوّن

كما من دَمي صَفحَةَ الخَدّينِ لَوّن

يا مَن قد لحاني لو كنتَ تَهدي إلى الحقِّ ما رُمتُ انتقالي عمّن غدا مالكاً رقّي

بَدرٌ ليسَ يَرضَى بغيرِ قلبيَ من أفقٍ، يُرضيني عَذابي به ولم أرضَ بالعِشقِ

وسلطانُ حُسن بقَلبي قَد تَمكّن

وأمسَى لهُ في صَميمِ القَلبِ مَسكَن

لمّا أن أتَى زائراً بلا مَوعدٍ حِبّي، أعديتُ الدّجَى رقّةً بما رَقّ من عَتبي

أبدي من رَقيقِ العِتابِ ما رَقّ للقَلبِ حتى نشَرَ الشَرقُ ما طوَته يدُ الغربِ
وأشكُو بلَفظٍ بهِ الألبابُ تُفتَن
وأبكي بدَمعٍ من الأنــواءِ أهتَن
كم خَودٍ غدَتْ وهيَ في غرامي بهمثلي تَلحاني لعَتبي له وتُزري على عَقلي
قالت: لا تُسائل ربّ الجَمالِ عن الفعلِ لو انّ اللّيالي تجودُ لي منه بالوَصل
كان نترُكُ عِتابهُ، ونَعمَلُ غيرَ ذا الفنّ
وذاكَ الذي بَينَنا في الوَسَطِ يُدفَن[1]

رب العيون القواتل

قال وقد اقترح عليه أحد الأعيان بحلب نظم موشح في غرض له من أنواع الغزل معارضاً لموشح الأستاذ أبي بكر بن تقي المغربي الذي أولـه :

لست من اسر هواك محلا ، لو يكن إذا ما طلبت سراحا

وإن تكن الخرجة زجلية فنظم :

صاحبَ السّيفِ الصّقيلِ المُحلاّ ، جرّدِ اللّحظَ ، وألقِ السّلاحَا
لكَ يا رَبّ العيُونِ القَواتِل
ما كفَى عن حَملِ سيفٍ وذابِل
أعيُنٌ تَبدو لدَيها المَقاتِل

---

[1] هاتان التوشيحتان الأخيرتان هما بألفاظ الزجل تسميها المغاربة والمصريون خرجة زجلية اقترحها أيضاً عليه .

ما سرَى في جفنِها الغنجُ إلاّ أوثقَتْ منّا القلوبَ جِراحَا
وغزالٍ من بني التّر ك ألمى
خدّهُ باللّفظِ لا باللّحْ ظِ يَدمى
فلّ جيشَ اللّيـلِ لَمّـا ألمّا
أشرقَتْ خدّاهُ ، والرّاحُ تُجلَى ، فتوهّمتُ اغتباقي اصطباحَا
زارَني ، واللّيلُ قد مَدّ ذَيلا
فأرانـا وَجهُـهُ الشّمسَ لَيلا
كلّما مالَتْ بهِ الرّاحُ مَيلا
وتبـدّى وجهُهُ وتجلّى صَيّرَ اللّيلَ البَهيمَ صَباحَا
وعذولٍ باتَ لي عنهُ زاجِر
إذ رآني مِن أذىَ القولِ حاذِر
قلتُ : قُل ، إنّي برو حي مُخاطِر
قال : مَه لا تَعصِني ! قلتُ : مَهلا ، لَستُ أخشَى مع هَواهُ افتضاحَا
ربّ لَيـلٍ باتَ فيهِ مُواصل
وخضـابُ اللّيـلِ بالصّبحِ ناصِل
فسَقـاني الرّيقَ ، والكأسُ واصِل
قال : املإِ الكأسَ بالرّاحِ أم لا قلتُ : حَسبي ريقُكَ العذبُ راحَا
قال لي في العتَبِ واللّيلُ هادي
ويَدي تَدنيـهِ نحوَ وِسـادي :
حُلتَ مـا بَيني وبَينَ رُقادي

جاعِلاً يُمناكَ للسّاقِ حِجلاً ، واليَدَ اليُسرَى لِخَصري وِشاحَا

وفَتــاةٍ واصَلَتهُ ومالَت
تَبتَغي تَقبيلَــهُ حِينَ زالَتْ
فانثَنَى عَنهـــا نِفاراً فقالَت :

عن مَبيتِ لَيلَةٍ ما تَسمَح بقبلَه ، لا عَدِمنا منكَ هَذي السّماحَه[1]

شرك الرقاد

قال من الغزل من لحن الدوبيت :

لا تحسَبْ زورَةَ الكَرى أجفاني من بَعدِكَ من شَواهدِ السُّلوانِ
ما أرسلَتِ الرّقادَ إلاّ شَراكاً . تَصطادُ بهِ شَوارِدَ الغِزلانِ

كلما أعادوه حلا

في مِثلِكَ يَسمَعُ المحبُّ العَذلا . ما كلُّ محبٍّ سَمعَ العذلَ سَلا
ما أسمعُهُ إلاّ لأزدادَ هَـوًى . إذ ذِكرُكَ كلّما أعادوهُ حَلا

١ وهذان القفلان أيضاً خرجة زجلية كما تقدم شرحه .

سخاء الحب

وقال فيه وهو تجنيس القلب :

الحِبّ سَخا ، وطَرفُ أعدائي خَسا   من حيثُ سرَى والنّجمُ في الغربِ رَسَا
للوَصلِ سَعى ، وطالما قلتُ عَسَى ،   والرّيق سقَى من بعدِ ما كان قَسَا

ما ملت عن العهد

ما مِلتُ عنِ العَهدِ وحاشايَ أمِين ،   بل كنتُ على البُعدِ قويّاً وأمين
لا تَحسبَنّي إذ قَسا الهَجرُ ألِين ،   بل لو كُشفَ الغطا لما ازددتُ يقين

دار الفؤاد

كم قد جَعَلَ الفؤادَ داراً وسكَن ،   من رَبّ مَلاحَةٍ ،ولا مثلَ سَكَن
ملَكتُكَ رُوحي ، وفؤادي ، فلِذا   أختارُ بأن تكونَ إلفاً وسَكَن

للحسن حلاوة

لِلحُسنِ حَلاوَةٌ ، وبالعينِ تُذاق،   إن كنتَ تَراها بعيونِ العُشّاق
والعِشقُ لهُ مَرارَةٌ يَعرِفُها   من خَلّدَ في جَحيمِ نارِ الأشواق

العيد أتى

قال من تجنيس التام والمركب :

العيدُ أتَى ، ومَن تَعشّقتُ بَعيدْ ،   ما أصنَعُ بَعدَ مُنيَةِ القَلبِ بِعيد
ما العَيشُ كَذا لكنّ من عاشَ رَغيدْ   مَن غازَلَ غِزلاناً ، أو عاشرَ غِيد

شعر كالأرقم

قال من جناس الملفق :

ذا شَعرُكَ كالأرقَمِ إمّا لَسَبَا .   والعِقدُ كالغُصنِ البانِ إن مال سبَى
والرّدفُ ، إذا عاتَبتُهُ خاطَبَني   بالآخرِ للأحقافِ إمّا لِسبَا[1]

[1] لسب : لسع . سبى : فتن . الاحقاف : رمال مستطيلة بناحية الشحر . سبا : بلاد باليمن .

أهوى قمراً

أهوَى قمَراً كلّ الوَرى تَهواهُ ، ما أرخَصَ عِشقَهُ وما أغلاهُ
يَنأى ملَلاً ، وخاطري مأواهُ ، ما أبعَدَهُ منّي وما أدناهُ

ما خلق عبثاً

يا مَن لجَمالِ يوسفٍ قد وَرِثَا ، العاذِلُ قَد رَقّ لحالي ورَثَى
والنّاسُ تَقولُ ، إذ ترى حُسنك ذا : سُبحانَكَ ما خلَقتَ هذا عَبَثَا

فاضح الغصون

يا مَن فضَحَ الغصونَ في مَشيَتِهِ ، والبَدرَ . فما أفاقَ من غَشيَتِهِ
مَن شاهَدَ ظَبياً شارداً ذا مَرَحٍ ، قد أشفَقَتِ الأُسودُ من خَشيَتِهِ

ظباء تصيد الأسد

يا مَن جعَلَ الظّباءَ للأُسدِ تَصيد ، والسّادَةَ في مَواقِفِ العِشقِ عَبيد
ألهِمْ حدَقَ المِلاحِ في الحُكمِ بِنا إنجازَ مَواعِدٍ وإخلافَ وَعيد

يا سليماً من داء قلبي

قال في غلام اسمه إبراهيم :

يا سَليماً من داءِ قَلبي السّليمِ . ومقيماً على الوِدادِ القَديمِ
إن تَنَم خالياً ، فبَعدَكَ قلبي كلَّ يومٍ في مُقعِدٍ ومُقيمِ
أو يكُن خاطري بذكرِكَ في الخا دِ ، فعَيناي في العذابِ الأليمِ
فمتى يُسعِدُ الزّمانُ بلُقيا كَ مُحِبّاً منَ النّوى في جَحيمِ
ويَقولُ الوِصالُ يا نارُ بَرداً وسَلاماً كُوني لإبراهيمِ
يا سَميّ الذي فَدَى اللهُ إكرا ماً لهُ نجلَهُ بذِبحٍ عَظيمِ
لو تَمَكّنتُ لافتَدَيتُ تَدانِيـ ـكَ بسَوداءِ مُهجَتي والصّميمِ

سمي الخليل

يا سَميّ الذي لَهُ خبَتِ النّا رُ ، وكانَتْ لَهُ سَلاماً وبَرداً
لِمْ عكَستَ القِياسَ في نارِ قلبي فإذا ما ذُكِرتَ تَزدادُ وَقداً
مُذ حكَيتَ الهِلالَ والظّبيَ والغُصـ ـنَ جَبيناً ، وغنجَ طَرفٍ ، وقَدّاً
شَهِدَ العالمونَ طُرّاً لطَرْفي أنّهُ فيكَ أحسنُ النّاسِ نَقداً

لو كنت تشرى

قال في غلام اسمه يوسف :

يا سَميَّ الذي بهِ اتُّهِمَ الذّئْـ ... ـبُ ، وأفضَى إليهِ مُلْكُ العزيزِ
لو تَقَدّمتَ مع سَميّكَ لم يمـ ... ـسِ فَريداً في حُسنِهِ المَنبوزِ
حُزتَ أضعافَ حُسنِه وتَميّزْ ... تَ علَيهِ بكلّ معنًى مَحوزِ
أنتَ حُرُّ الأديمِ ، لم تُشرَ في الرِّ ... قِّ بنَزرِ اللُّجَيْنِ والإبريزِ
تتَمنّى العشّاقُ لو كنتَ تُشرَى ... بنفوسٍ نَفيسَةٍ وكنوزِ
لا ومَن زانَ وَردَ خدّك بالخا ... لِ ، وزانَ العُيونَ بالتّلويزِ[1]
ما تَغَيّرتُ عن هَواكَ ولا رُمْـ ... ـتُ سِوى ذلكَ الجَمالِ العَزيزِ
كلّما هزّكَ الصِّبا هزّني الشّوْ ... قُ إلى ضَمّ قَدّكَ المَهزوزِ
غَيرَ أنّي أبيتُ نَصباً على الهَـ ... ـمّ بحالٍ يُغني عنِ التّمييزِ
أتَوَقّى الأعداءَ إن رُمتُ ذِكرا ... كَ فأكْني عن اسمِكَ المَرموزِ
فأُناجي بكلّ معنًى دَقيقٍ ... وأُناجي بكلّ لَفظٍ وجيزِ

---

[1] التلويز : أن تكون العيون لوزية .

ذكرى يوسف

أنصَفتُهُ جُهدي ، ولي ما أنصَفا ، ولكنّم صَفوتُ له،ولي ما إن صَفا
ووَهبتُهُ رقّي ، فما إن رَقّ لي ، ووفَيتُ بالعَهدِ القَديمِ فَما وَفى
قمَراً أرادَ البَدرُ يحكي وجهَهُ حُسناً ، فأمسَى شاحباً متَكَلّفا
أنوي السّلوّ له ، فيثني عزمتي وَجهٌ لهُ لو قابَلَ البدرَ اختَفى
هيهاتَ لا أنفكّ يجري ذِكرُهُ بفَمي، وإن لامَ العذولُ وعَنّفا
طَوراً أصيّرُه تِلاوةَ منطِقي ، شَغَفاً،وطَوراً في يَميني مُصحَفا
أشبَهتُ يَعقوبَ الحَزينَ لأنّني ما إنْ أزالُ ليوسُفٍ متأسّفا
حتّى اعتدى كلّ الأنامِ يقولُ لي: تاللهِ تَفتَأُ أنتَ تَذكُرُ يوسُفا

طاعة الجن والإنس

قال في غلام اسمه سليمان :

يا سَميّ الذي دانَتْ لهُ الجِنّ ، وجاءَت بعَرشِها بلقيسُ
غيرَ بِدعٍ إذا أطاعَتْ لكَ الإنسُ، وهامتْ إلى لِقاكَ النّفوسُ

لان الحديد

قال فيمن اسمه داود :

وَثِقتَ بأنّ قَلبي من حَديدٍ ، وفيهِ على الهوى بأسٌ شديدُ
فلانَ على هَواكَ ، ولا عَجيبٌ ، إذا داودُ لانَ لهُ الحَديدُ

آية ذا

قال فيمن اسمه موسى :

أتَى مُوسَى بآيَةِ خالِ خَدّ ، حمَتهُ صَوارِمُ الحَدَقِ المِراضِ
فجاءَ بضِدّ ما قد جاءَ مُوسَى ، كليمُ اللهِ في الحقَبِ المَواضي
فآيَةُ ذا بَياضٌ في سَوادٍ ، وآيَةُ ذا سَوادٌ في بَياضِ

الوصل القبيح

قال في غلام اسمه خليل :

مَن لي بأنّكَ يا خَليلُ تكونُ في الدّنيا خَليلي
وصلٌ قَبيحٌ منكَ أحلى لي من الصّبرِ الجَميلِ

أنت حسبي

قال فيمن اسمه أحمد :

أمَرَ اللهُ أن يُطيعَكَ لُبّي حينَ وَلاّكَ أمرَ جِسمي وقلبي
لم أقُل ذاكَ عن ضَلالٍ ، ولكن أنتَ روحي والرّوحُ من أمر ربّي
يا سَميَّ النّبيّ في سُورَةِ الصّفّ ومَن باسمِهِ تُشَرَّفُ كُتْبي
أنتَ حَسبي من كلّ مَن وَطِىءَ الأرضَ ،وحَسبي بأنّ مثلَكَ حَسبي

مليح

قال في غلام اسمه أبو بكر :

أما والهوى لو ذُقتَ طعمَ الهوَى العُذري أقَمتَ بمن أهواهُ يا عاذلي عُذري
ولو شاهَدَتْ عَيناكَ وجهَ معذّبي ، وقد زارَني بعدَ القَطيعَةِ والهَجرِ
رأيتَ بقَلبي من تلقّيهِ مَرحباً ، وسَيفُ عليٍّ في لِحاظِ أبي بَكرِ
مَليحٌ يُرينا فَرعُهُ وجَبينُهُ سُدولَ ظَلامٍ تحتَها هالَةُ البَدرِ
وأسمَرُ كالخَطّيّ زُرقاً عُيُونُهُ ، كَذاكَ رِماحُ الخَطّ زُرقاً على سُمرِ
مزَجتُ بشَكوى الحبّ رقّةَ عَتبِه ، فكنتُ كأنّي أمزُجُ الماءَ بالخَمرِ
ولُذتُ بظلّ الاعترافِ وإن جَنَى ، مَخافَةَ إعراضٍ ، إذا جئتُ بالعُذرِ

شهيد الدار

وقال في غلام اسمه علي :

كيفَ حلّلتَ يا عليّ دَمي فيـ　　لكَ ، وإنّي من شيعةِ الأنصارِ
وتلا مَرحباً فؤادي للُقيا　　كَ فنابتْ عَيناكَ عن ذي الفقارِ
لا أرى مُوجباً لذلكَ إلاّ　　حيثُ أصبحتَ في الهوَى ذا الحِمارِ
فتيقّنتُ ، إذ هجرتَ فِنا دا　　ريَ ، أنّي بها شهيدُ الدّارِ

الموت أسرع لي

ما دامَ قلبيَ مأسُوراً باسرِ علي ،　　كيفَ البقاءُ ،فإنّ الموتَ أسرَعُ لي
وكيفَ أسلَمُ من طرفٍ لَواحظُهُ　　كالسّيفِ عُرّيَ متناهُ من الخِللِ[1]
يا مَن حكَى في احترامات النّفوسِ به　　سميّهُ عندَ وقعِ البيضِ والأسَلِ
اكففْ لحاظَك واغمد ذا الفقارِ ، فما　　عليكَ في قتلةِ العشّاقِ من عجَلِ
لقد فللتَ جموعَ العاشقينَ بهِ ،　　في وقعةِ الظّبيِ ، لا في وقعةِ الجملِ

[1] الخلل ، الواحدة خلة : جفن السيف المغشى بالادم .

شوق طويل

قال في غلام اسمه حسين :

حَبيبي وافرٌ والشّوقُ منّي ... طَويلٌ والجوَى عندي مَديدُ
وأعجَبُ أنّني أهوَى حُسيناً ، ... ووَجدي في محبّتِهِ يَزيدُ
كتَمتُ الحبّ حتى عيلَ صَبري ، ... وكتمانُ الهوَى صَعبٌ شَديدُ
وهل يُخفي الغَرامَ حَليفُ وجدٍ ... مَدامعُهُ بما يُخفي شُهُودُ

رأيته كالهلال

قال في غلام اسمه بلال :

رأيتُهُ كالهِلالِ يَبدو ... ووَجهُهُ مُشرِقٌ بِلالا[1]
مُخالِفٌ ، مُخلِفٌ لوَعدي ، ... ما قالَ يوماً نَعم بِلالا[2]
ما بَلّ يوماً غَليلَ قَلبي ، ... وإن دَعاهُ الوَرى بِلا لا[3]
دعَوتُهُ سَيّدي ، ويَوماً ... في الدّهرِ لم يَدعُني بِلالا[4]

---

١ أي نور .
٢ أي نافية .
٣ أي اسمه .
٤ أي خادم .

حوشيت من السقم

قال في غلام متمرض :

لا حالَ في جَوهرِ جِسمِكَ العَرَضُ ، ولا سرَى في سوى ألحاظِكَ المَرَضُ
حُوشيتَ من سقَمٍ في غيرِ خَصرِكَ أو في مَوعِدٍ لكَ في إخلافِهِ غرَضُ
فتورُ نبضِكَ من عَينيَكَ مُسترَقٌ ، وضعفُ جسمك من جفنيك مُقترَضُ
لو أستَطيعُ بقَلبي عَنكَ حملَ أذًى ، جعَلتُهُ في لظَى حُمّاكَ يرتَمِضُ

مخلق الخدين

قال في غلام رام بالبندق :

ومُخَلَّقِ الخَدّينِ من صِبغِ الحَيا ، في قُرطُقٍ بدَمِ القَنيصِ مُخَلَّقِ[1]
جُبِلَتْ على سَفكِ الدّما ألحاظُهُ ، ونِبالُهُ ، فكِلاهُما لم يُشفِقِ
حتى إذا شَهِدَ المَقامَ مُبارِزاً ، والطّيرُ بينَ مُحَوّمٍ ومُحلّقِ
شَغَلَ الطّيورَ بحُسنِ مَنظَرِ وَجهِهِ ، فتَوَقّفَتْ ، فأصابَها بالبُندُقِ

---

١ المخلق : المطلي بالخلوق ، وهو ضرب من الطيب .

ما رمدت عيناك

قال في غلام رمد :

وما رَمِدَتْ عَيناكَ إلاّ لفَرطِ ما أَصَرَّ على كَسرِ القُلوبِ انكِسارُها
أراقَتْ دمَ العُشّاقِ في مَعرَكِ الهوَى فصارَ احمراراً في الجفونِ احوِرارُها

ظبي بقفر

قال في غلام فارس يرمي الظبي بالسهام وفيه سبعة تشبيهات على الترتيب طياً ونشراً :

وظَبيٍ بقَفرٍ فوقَ طِرفٍ مُفَوَّقٍ بقَوسٍ رَمَى في النّقعِ وحشاً بأسهُمِ
كشَمسٍ بأُفقٍ فوقَ بَرقٍ بكَفّهِ هِلالٌ رَمَى في اللّيلِ جِنّاً بأنجُمِ

الطرف الكاسر

قال في غلام متصيد بالجوارح :

وأهيفَ مُغرًى بالجَوارحِ حوّمَتْ علَيهِ قلوبٌ ما لهنّ سَرائِرُ
فواعَجَبا من طَرفِهِ ، وهوَ جارحٌ ، يُخَيَّلُ مكسوراً ، لنا ، وهوَ كاسرُ

قابض المال

قال في غلام رتب قابضاً للمال
وفيه ستة طعوم[1] :

يا قابِضَ المالِ الذي لم تَـزَلْ   عَيْني إلى بَهجَتِه تَطمَحُ
ومَن إذا جرَّحَني لحظُهُ   غَدا بلَحظِ خَدِّهِ يَجرَحُ
تاللهِ لا أنفَكُّ مُستَهتراً   فيك بأشعاري ولا أبرَحُ
يعذُبُ لي الإحماضُ في قابضٍ   حُلوٍ إذا ما مَرَّ يُستَملَحُ

وجه

قال في غلام تركي عليه
كمة خز وبندها ذهب[2] :

وجهٌ تَحُفُّ بهِ فَرائدُ عَسجَدِ   كالعِقدِ في بَندِ الكلاءِ منَظَّمِ[3]
ما شاهدَتْ عَيناي قَبلَ جَمالِهِ   بَدراً عليهِ هالةٌ من أنجُمِ

---

١ الطعوم الستة هي : العذوبة ، والإحماض ، والقبض ، والحلاوة ، والمرارة ، والاستملاح .
٢ كمة : قلنسوة . الخز : الحرير .
٣ الكلاء : العشب ، ولعلها محرفة .

لحى الله الطبيب

قال في غلام قلع أضراسه :

لحَى اللهُ الطّبيبَ لقَد تَعَدّى وجاءَ اقلَعِ ضِرسِكَ بالمُحالِ
أعاقَ الظّبيَ عن كِلتا يَدَيهِ ، وسَلّطَ كَلبتَينِ على غَزالِ

بروج الهلال

قال في غلام وجده بحمام
يضفر شعره :

وظَبيٍ إنسٍ ذي مَعانٍ مُكَمَّله ، كأنّهُ دُنيا السّعيدِ المُقبِلَه
نظَرتُهُ نظرَةَ حِبٍّ أوّلَهٍ ، في صَحنِ حَمّامٍ به مُجَمَّلَه
بفاحِمٍ سَبطٍ ، إذا رَجّلَه قبّلَ في حالِ القِيامِ أرجُلَه
كاللّيلِ ما أسحَمَهُ وأطوَلَه . حتى إذا سرّحَهُ وأسبَلَه
وشَدّهُ كالكُرَةِ المُدَعبلَه ، ثمّ أجادَ ضفرَهُ وعَدّلَه
كانَ بُروجاً للهِلالِ مُدَلّه ، فتارَةً جَوزَا وطَوراً سنبُلَه[1]

---

١ الجوزاء والسنبلة : من البروج السماوية .

ضلال عام

قال في غلام سلم عليه
قبل المعرفة :

تَنَبَّأَ فيكَ قَلبي فاستَرابَتْ	بهِ قومٌ وعَمَّهُمُ الضَّلالُ
وصَدّهمُ الهوى أن يؤمنوا بي ،	وقالوا : إن مُعجِزَهُ مُحالُ
فمُذْ سلّمتَ سلّمتِ البَرايا ،	إليّ ، وقيلَ : كلّمهُ الغَزالُ

لعبة الشطرنج

قال في غلام لاعبه بالشطرنج :

وغَزالٍ غازَلتُهُ بَعدَ بَينِ	ألّفَتْ بَينَهُ المُدامُ وبَيني
صالحَتني الأيّامُ بالقُربِ منهُ ،	بعدَما كنتُ منهُ صِفرَ اليَدَينِ
مِن بَني التّركِ لا أُطيقُ لَهُ	تَركاً واو حانَ في المَحبّةِ حَيني
بتُّ أُسقَى بثَغرِهِ ويَدَيهِ ،	من لمَاهُ وراحِهِ ، قَهوَتَينِ
مَزَجَ الكأسَ لي فمُذ عبثَ السّكـ	ـرُ بعِطفَي قَوامِهِ المترَفَينِ
قال لي مازِحاً ، وقد طَغَتِ الرّا	حُ وجالَ التّضريجُ في الوَجنَتَينِ
قد مَللنا ، فهاتِ نَلعَبُ بالشّطرَنـ	ـجِ ، كَيما أُريح قَلبي وعَيني

قلتُ سَمعاً وطاعةً لكَ مَولا ... يَ . ولكن لُعبُنا في رُهَينِ
فأجلُّ الشَّطرَنج منّي ، ولي منـ ... ـك أقلّ النّقوش في الكعبتَينِ
فانثنى ضاحكاً . وقال لَعَمري ... تَنثَني راجعاً بخُفّي حُنَينِ
فارتَضَينا بذا الرِّهانِ وصيّر ... تُ إليه الخيارَ في الحِليتَينِ
قال لي السّودُ للأسودِ وذي الـ ... ـبيض لمَن يَبتَغي بياضَ اللُّجَينِ
فصَفَفنا الجَيشَينِ تُركاً وزَنجاً ، ... واعتَبرنا تَقابُلَ العَسكَرَينِ
فابتَداني بدَفعِهِ بَيدَقَ الفِر ... زانِ من حِرصِهِ على نَقلَتَينِ
وأدارَ الفِرزانَ في بيتِ صَدرِ الـ ... ـشّاهِ نَقلاً يَظنّهُ غيرَ شَينِ
فعَقَدتُ الفِرزانَ مع بيدقِ الصّد ... رِ وسُقتُ الفيلَينِ في الطّرَفَينِ
فتَدانَى بالرُّخّ بَيتاً . وأجرَى ... خَيلَهُ بَينَ مُلتقَى الصّفّينِ
فرَدَدتُ الفِرزانَ ثمّ نَقَلتُ الفيـ ... ـلَ في بَيتِه على عُقدَتَينِ
ثمّ شاغَلتُهُ ، وأرسَلتُ فيلي ... مِنجَنيقاً يَرمي على القِطعتَينِ
فأخذتُ الفِرزانَ حُكماً ، وولّى ... رُخُّهُ ناكصاً على العَقِبَينِ
ثمّ حَصّنتُ منهُ نَفسي عن الشّا ... هِ بعَقدِ الفِرزانِ بالبَيدَقَينِ
ثمّ بَرطَلتُهُ ببَيدَقِ فيلي ، ... ودَفَعتُ الثّاني على الفَرَسَينِ
فأخَذتُ اليُمنى ، وأجفلَتِ اليُسـ ... ـرَى شَروداً تجولُ في الحَومتَينِ
وتَقَدّمتُ من خُيولي بمُهرٍ ... أدهمِ اللّونِ مُصمَتِ الصّفحتَينِ
ثمّ سلّطتُهُ على الشّاهِ والرُّ ... خّ فعَجّلتُ أخذَهُ بَعدَ ذَينِ
ثمّ لَقَطتُ من بَيادِقِهِ الشُّـ ... ـرّدِ خَمساً ، عاجَلتُهنّ بحَينِ

فانثنى يَطلُبُ الفِرارَ وجبّـ   شي راجعاً نحوَهُ من الجانبَينِ
ثمّ ضايَقتُهُ ، فلَم يبقَ للشّا   هِ على رُغمِهِ سِوى بَيتَينِ
فملَكتُ الأطرافَ منهُ وسلّطـ   ـتُ عليهِ تَطابُقَ الرُّخّينِ
ثمّ صِحتُ اعتزِل فشاهُكَ قد ما   تَ، بلا مِريةٍ ، وقد حلّ دَيني
فكَسا وجهَهُ الحَياءُ وأمسَى   نادِماً سادِماً يَعَضّ اليَدَينِ[1]
وانثنَى باكياً يُقبّـلُ كَفّـ   ـيّ ويَهوي طَوراً على القَدمَينِ
قائلاً : إن عفَوتَ قِيلَ كما قيـ   ـلَ وما شاعَ عنكَ في الخافقَينِ
إنّ في رُتبَةِ الفُتُوّةِ أصلاً   لكَ يُعزَى إلى أبي الحَسَنَينِ
صاحبِ النّصّ والأدِلّةِ والإجما   عِ في المَشرِقَينِ والمَغرِبَينِ
ومُجلّي الكروبِ عن سيّدِ الرُّسْـ   ـلِ ببَدرٍ وخَيبرٍ وحُنَينِ
قُلتُ بُشراكَ قد أقَلتُكَ إكرا   ماً لذِكرِ المَولى أبي السِّبطَينِ
فعَلَيهِ السّلامُ ما جَنّ لَيلٌ ،   وأنارَ الصّباحُ في المَشرِقَينِ

شجى وشفى

قال في غلام مطرب بالعود :

شجَى وشفَى ، لما شَدا وترَنّما ،   فأنعَسَ أيقاظاً وأيقَظَ نُوّمَا
وجَسّ من الأوتارِ مَثنًى ومَثلَثاً ،   فحفّتْ بنا الأفراحُ فَرداً وتَوأمَا

---

١ السادم : المهموم مع ندم .

أغنُّ كأنّ العُودَ ضَمّ صَدًى له ، يُحاكيه في ألفاظِه إن تَكَلّمَا
يُحاكيه في الحالَينِ صَوتاً ولهجةً ، فقد كادَ يُلفَى ضاحكاً متبَسّمَا
إذا رتّلَتْ ألفاظُهُ الشّعرَ مُعرَباً ، أعادَتْ لَنا أوتارُهُ اللّفظَ مُعجَمَا
له مَنطِقٌ يَستَنزِلُ العُصمَ عندَما يحرّكُ في الأوتارِ كَفّاً ومِعصَمَا
يَضمّ إلى نَهديهِ عُوداً تَظنّهُ نَسيماً مُجزّأً ، أو نَعيماً مُجسَّمَا[1]
كأنّ حَشاهُ ضَمّ سرّاً مكتّماً ، يُمَوّهُ عَنه ، أو حديثاً مُجَمجَمَا
يُطارِحُنا شرحَ الضروبِ مُبرهِناً ، فنأخُذُ نَقلَ اللّهوِ عَنهُ مُسلَّمَا
وإنحرّكتهُ الكَفُّ أبدىتَمَلمُلاً ، فحَرّكَ منّا يَذبُلاً ويَلَملمَا

فتن الأنام بعوده

فتَنَ الأنامَ بعُودِهِ وبشَدوهِ ، شادٍ تجَمّعَتِ المَحاسنُ فيه
حتى كأنّ لسانَهُ بيَمينِهِ . أو أنّ ما بيَمينِهِ في فيه

أصح وأمرض

وأغَنَّ أبدى من مَواجبِ عُوده نغَماً أصَحّ بهِ القلوبَ وأمرَضَا
بيَدٍ ، إذا سَخِطَتْ على أوتارِهِ ، نالَ الرّفاقُ بسُخطِها عينَ الرّضَى

[1] مجزأ : مسهل مجزأ . ولا نعلم ماذا أراد بالنسيم المجزأ .

نافخ الصور

قال في غلام زامر :

يا نافخَ الصّورِ بل يا نافخَ الصّوَرِ، من رَقدَةِ السّكرِ لا من ظُلمةِ الحُفَرِ[1]
قرَنتَ حُسنَكَ بالإحسانِ فيهِ لَنا ، فكانَ فيكَ مُرادُ السّمعِ والبَصَرِ
ضَمِنتَ للصّحبِ إقبالَ السّرورِ كما ضَمّنتَ نايَكَ نأيَ الهمّ والكَدَرِ
صوتٌ بَسيطٌ بهِ أرواحُنا انبَسطَتْ، إذ جئتَ في اللّفظِ والمعنى على قَدَرِ
إذا ترَنّمَ ساوَى وَزنَ نَغمَتِهِ ، وإن علا جاءَ بالتّرخيمِ في الأثَرِ
يكادُ تُخرِسُ صَوتَ العُودِ صرخَتُه حتى كأنّ لَهُ وِتراً على الوَتَرِ

مياه الحيا

قال في غلام راقص :

جاءَ في قَدّهِ اعتدالٌ ، مُهَفهَفٌ ما لهُ عَديلُ
قد خَفّفَتْ عِطفَهُ شَمالٌ ، وثقّلَتْ جَفنَهُ شَمولُ[2]
ثمّ انثنى راقصاً بقَدٍّ ، تُثنى إلى نحوِهِ العقُولُ
يَجولُ ما بَينَنا بوَجهٍ فيهِ مياهُ الحَيا تَجولُ
ورَنّحَ الرّوضُ منهُ عِطفاً، حفّ بهِ اللّطفُ والدّخُولُ
فعِطفُهُ داخِلٌ خَفيفٌ ، وردفُهُ خارجٌ ثَقيلُ

١ الصور : البوق . وقوله نافخ الصور : أراد باعث الموتى .
٢ الشمول : الخمر .

رقص وغناء

قال في غلمان راقصين :

رَقَصوا فقامَ الحربُ واشتَبكَ القَنا ، من كلّ قَدٍّ كالقَضيبِ إذا انثَنَى
ونَضَوا من السُّودِ المِراضِ صَوارِماً، بيضاً ، فلَم نَعلَم علَينا أم لَنَا
هَزّوا الغصونَ ، وكلّفوا أعطافَهم حَمْلَ الجبالِ ، فكانَ ظُلماً بيّنَا
من كلّ رِدفٍ كالكثيبِ مُجاذِبٍ قَدّاً أغَضَّ من القَضيبِ وألْيَنَا
صَدّوا ورَدّوا سافرينَ وجوهَهم نَحوي فشاهَدتُ المَنيّةَ والمُنَى
ضَمِنُوا قِرى أسماعِنا وعيونِنا ، للعَينِ رقصُهُمُ وللسّمعِ الغِنَا

بدور فوق غصون

رَقَصُوا ، فشاهدتُ الجبالَ تَمورُ ، برَوادِفٍ ماجَتْ بهِنّ خُصورُ
وثَنَوا قُدوداً رَخصَةً ، فكأنّما هزّوا غُصوناً فوقهنّ بدورُ
من كلّ مَجدولِ القَوامِ ، كأنّما في الوَجهِ منهُ روضَةٌ وغَديرُ
طَوراً يُغيرُ على القلوبِ قَوامُهُ ، مَرَحاً ، وطَوراً للغصونِ يُغيرُ

بحر من الحسن

بحرٌ من الحُسنِ لا يَنجو الغريقُ بهِ ، إذا تَلاطَمَ أعطافٌ بأعطافِ
ما حرّكتهُ نَسيمُ الرّقصِ من مرَحٍ ، إلاّ وماجَتْ به أمواجُ أردافِ

ساق طفل

وقال في غلام ساق :

وساقٍ من بني الأتراكِ طَفلٍ أتيهُ بهِ على جَمعِ الرّفاقِ[1]
أُمَلّكُهُ قِيادي ، وهوَ رقّي، وأفديهِ بعَيني ، وهوَ ساقي

طلعة الشمس

وقال في مليح أرسل إليه
رسولا مليحاً :

مَن كنتَ أنتَ رَسولَه ، كانَ الجَوابُ قبولَه
هوَ طَلعَةُ الشّمسِ الذي جاءَ الصّباحُ دَليلَه

[1] الطفل : الرخص ، الناعم .

لم يَبدُ وجهُكَ قبلَهُ ، إلاّ ارتقبتُ وُصولَه
فلِذاكَ إذ واجهتَني بَلّ الفؤادُ غليلَه

شكرت الهي

وقال في مليح عشق
مليحاً ظريفاً :

شكرتُ إلهي إذ بلَى مَن أحبّهُ بعِشقِ مَليحٍ في الهوَى ليسَ يُنصِف
يُجرِّعُهُ أضعافَ ما بي من الأذَى ، ويُنحِلُهُ بالهَجرِ منهُ ويُتلِفُ
فأورَدَهُ ما أورَدَ النّاسَ في الهوَى ، وأسلَفَهُ الوَجدَ الذي كان يُسلِفُ
فأصبحَ مَسلوباً وإن كانَ سالباً ، ففي الحزنِ يعقوبٌ وفي الحسن يوسفُ

شيمته الخلف

وقال في غلام كثير الخلاف :

هَويتُهُ مُخالفا ، إن سِمتُه الوَصلَ جفَا
شيمَتُهُ الخُلفُ، فلو سألتَهُ الغَدرَ وَفَى

حبيب الحبيب

وقال في محبوب المحبوب :

يا حَبيبَ الحَبيب دِنهُ كما   دانَ مُحبّيه من صُدودٍ وهَجرِ
ثمّ مُرْ طَرفَكَ الصّحيحَ بأنْ   يأخُذَ من طَرفِهِ السّقيمِ بوِترِ
جاءَ نَصرُ الإلَه والفتحُ إلى أن   دُمتَ حَرباً له وقُمتَ بنَصري
أنتَ بَدرُ التّمامِ ،فاجعلْ لنا بَيْـ   نَكَ عَهداً وبَينَهُ حَربَ بَدرِ

عذار من الحبر

وقال في غلام كاتب
لاث خده بالمداد :

يَقولُ ، وقد لاثَ في خَدّهِ   مِداداً حكَى اللّيلَ فوقَ النّهارِ :
أتَعجَبُ ممّا جَنَته يَدي ،   فَما كانَ ذاكَ بغَيرِ اختيارِي
ولكن أرَدتُ يرَى عاشِقي   تَضاعُفَ حُسني بنَبتِ العذار

سورة وصورة

وقال في غلام قارىء :

نَفسي الفِداءُ لشادنٍ شاهَدتُه يومَ الزّيارَةِ قارِئاً في المُصحَفِ
فتنَ الأنامَ بِبَهجةٍ وبلَهجَةٍ تَسبي وتُصبي كلّ صبٍّ مُدنَفِ
فتلا مليّاً جُلّ سُورَةِ يوسُفٍ ، وجلا مُحَيّاً مثل صُورةِ يوسف

الصيد في جوف الفرا

وقال في غلام لابس سمل فروة :

بَصُرُوا بفَروِك ، فازدَرَوك لحالَةٍ أضحَى بها مَعروفُ حسنكَ مُنكَرَا
كلٌّ أدارَ الطّرفَ عَنكَ مُحاوِلاً صيداً،وكلّ الصيدِ في جوفِ الفرَا[1]

الظلام مطية الأنوار

وقال في غلام معذر :

قالوا التَحَى من قد كلفتُ بحبّهِ ، وبَدا السّوادُ بخَدّهِ الغَرّارِ
فأجَبتهُم: ما تلكَ منهُ عَجيبَةٌ ، إنّ الظّلامَ مطيّةُ الأنوارِ

---

١ الفرا : حمار الوحش . وقوله كل الصيد في جوف الفرا : مثل يراد به أن الفرا أعظم الصيد لمن صاده فهو يغنيه عن كل صيد .

مشبه البدر

وقال في غلام شرير كثير الفتن
بدوي من آل ليث وقد جنى جناية
فضرب بالسياط :

أفدي غَزالاً من آلِ لَيثٍ تَمَّتْ لهُ دولَةُ الجَمالِ
تَفعَلُ ألحاظُهُ بقلبي ما يَفعَلُ اللّيثُ بالغزالِ
ذا حاجبٍ خُطَّ تحتَ صَلتٍ مُنَوَّرٍ بالجَمالِ ، حالِ
كأنَّ أيدي فتى هِلالٍ عرقنَ نُوناً على هِلالِ[1]
يا مُشبهَ البَدرِ حينَ يبدو ، في النّورِ والبُعدِ والكَمالِ
أفديكَ يا مَن تَراهُ عَيني في كلِّ يومٍ بسوءِ حالِ
وكلَّ يومٍ ببَطنِ سِجنٍ ، وكلَّ آنٍ ببابِ والي
كيفَ أتَوا بالسّياطِ ضرباً من فَوقِ أردافِكَ الثّقالِ
فأثّروا فَوقَها رُسوماً ، كأنّها الطّرقُ في الجِبالِ

كل حياة الى تلف

وقال في معذر له أخ
مليح صغير :

لمّا اكتَسَى خدُّه ، وقلتُ له : كلُّ حَياةٍ عَقيبُها تَلَفُ
رأى أخاهُ بعَينِ مَعذِرَةٍ ، وقال : ما ماتَ مَن لهُ خَلَفُ

[1] لعله أراد بعرقن : جعل نوناً كالعروق .

دبيب العذار

دَبَّ العِذارُ ، فقامتِ الأعذارُ ، وبَدا السَّوادُ ، فزادَتِ الأنوارُ
لا بِدعَ إن زادَ الظّلامُ ضِياءَهُ ، إذ في الحَنادِسِ تُشرِقُ الأقمارُ
لو لم تَلُحْ شَعَراتُهُ في خَدِّهِ ، لم تَحلُ لي في وَصفِهِ الأشعارُ
يبدو الظّلامُ على ضِياهُ كأنّهُ قَمَرٌ لهُ ذَيلُ السّحابِ خِمارُ

سواد وبياض

وقال في معذر عيره بالشيب :

أيّها المُعرِضُ المُعرِّضُ بالشّيـ ـبِ ، وألغَى عن عارِضَيهِ اعتراضِي
لو تَغاضَيتَ عن عتابي لأغضَيْـ ـتُ عن العَتبِ ضُعفَ ذاكَ التّغاضِي
فلماذا امتَعَضتَ من نَبتِ خَدّيْـ ـكَ ، وما أوجَبَ المَشيبُ امتعاضِي
أنا راضٍ بأنْ أشيبَ ، وأن يُصـ ـبِحَ من هَولِ نَبتِهِ غيرَ راضِ
إنّ هذا البَياضَ بَعدَ سَوادٍ دونَ ذاكَ السّوادِ بَعدَ بَياضِ

الحلاوة طبع

وقال في مليح سكري :

ومُستَحلَى المَراشِفِ سكّرِيّ ، أتى بغَرائبِ الحُسنِ الظّريفِ
تَنازَعَ خَصرُهُ والرِّدفُ ، حتى بدا حُكمُ القَويّ على الضّعيفِ
فقلتُ وقد رأيتُ كَثيفَ ردفٍ يَموجُ لهَزّةِ القَدّ اللّطيفِ
لذا غدَتِ الحَلاوَةُ فيهِ طَبعاً ، لمعتَدِلٍ يؤثِّرُ في كَثيفِ

اغن مسكي الإهاب

وقال في غلام أسود مليح :

وأغنّ مِسكيِّ الإهابِ . ووَجهُهُ يُبدي جَمالاً زانَهُ الإشراقُ[1]
راقَ العيونَ بمَنظَرٍ ذي بَهجَةٍ ونَواظِرٍ منها الدّماءُ تُراقُ
فكأنّهُ لمّا تَكامَلَ حُسنُهُ ورَنَتْ إليهِ بطَرفِها العشّاقُ
من فَرطِ إحداقِ العيونِ بحُسنِهِ، خلَعَتْ عليهِ سوادَها الأحداقُ

---

١ الأغن : الرخيم الصوت .

سافك الدماء

وقال في مليح حجام :

كلَّفني بحجّامٍ تحكّم طرفُهُ ، فغدا على سفكِ الدّماءِ يُواطي
أضحى كثيرَ الاشتطاطِ ، ولم تكن منهُ اللّحاظُ كليلةَ المِشراطِ

فاعل صانع

وقال في مليح فاعل :

وفاعلٍ أبدعَ في صُنعِهِ ، وحسنُهُ مع فِعلِهِ رائعُ
أحسنَ في صَنعتِهِ مُتقِناً ، فقلتُ : هذا فاعلٌ صانعُ

لا تجزعن

وقال في مليح أبخر الفم :

لا تجزَعَنّ إذا ارتاعوا لرائحةٍ بفيكَ ليسَ لها في الحُسنِ من أثَرِ
للكَلبِ والضّبّ أفواهٌ معطّرَةٌ ، واللّيثُ والصّقرُ موصوفانِ بالبَخَرِ

خمار أسود

وقال في معذر:

واللهِ ما شانَتكَ حليَةُ لحيَةٍ بل نزّهتكَ عن القياسِ بأمرَدِ
وبَدا بخَدّيكَ السّوادُ فزانَها ، مثلُ المَليحَةِ في الخِمارِ الأسوَدِ

المحاسن المجموعة

وقال فيمن اسمه علي :

شَمسُ النّهارِ بحُسنِ وجهِكَ تُقسِمُ ، إنّ المَلاحَةَ من جَمالِكَ تُقسَمُ
جُمِعَتْ لبَهجَتِكَ المَحاسنُ كلُّها ، والحُسنُ في كلّ الأنامِ مُقسَّمُ
يا مَن حكَتْ عَيناهُ سَيفَ سميّهِ هلاّ اقتَدَيتَ بعَدلِه إذ يحكُمُ
أنتَ المُرادُ ، وسَيفُ لحظِكَ قاتِلي ، لكن فَمي عن شرحِ حالي مُلجَمُ
تَشكُو تَفَرّقَنا ، وأنتَ جَنيتَهُ ، ومن العَجائبِ ظالِمٌ يتَظَلّمُ
وتَقولُ أنتَ بعُذرِ بُعدي عالمٌ ، واللهُ يَعلَمُ أنّني لا أعلَمُ
فتُراكَ تَدري أنّ حبّكَ مُتلِفي ، لكنّني أُخفي هَواكَ وأكتِمُ
إن كنتَ ما تَدري ، فتلكَ مصيبَةٌ ، أو كنتَ تَدري ، فالمصيبَةُ أعظَمُ

قطرة مسك

وقال في غلام بخده خال :

مذ بدا صُبحُ وجه حبّي وولّى هارباً من سناهُ صِبغُ اللّيالي
قطَرَتْ منهُ قَطرَةٌ تُشبِهُ المِسـ ـكَ على خدّهِ فعُدّتْ بخالِ

الباب السابع

في الخمريات والنبذ الزهريات

ربيبة الدير

قال في صفة الخمرة ومجالسها وأحوالها :

تَشارَكَ فيها الشمُّ والذَّوقُ واللّمسُ ، ومَرَّ على الأسماعِ من صَبّها جَرَسُ
ولاحَ للحظِ الصَّحبِ ساطعُ نُورِها ، فقد أشرِكتْ فيها حَواسهمُ الخَمسُ
رَبيبَةُ دَيرٍ لَيسَ تُرفَعُ حُجبُها ، إذا سامَها الشمّاسُ عَوّذَها القَسّ
دعَوتُ لها خِلاً من الدّيرِ صالحاً ، رَقيقَ الحَواشي لا بطيءٌ ولا نِكسُ
فجاءَ بريحانيّةٍ كَهرَبيّةٍ ، تُخالُ على كَفّ النّديمِ بها وَرسُ[1]
براحٍ ، إذا حقّقتَ طَردَ حروفِها ، غدا طَبعُها في الكيفِ ، وهوَ لها عكسُ
تَفوقُ جَميعَ المُسكِراتِ بأصلِها ، فقد طابَ منها الفصلُ والنّوعُ والجنسُ
تُوَلِّدُ ما بينَ القُلوبِ مَوَدّةً ، وتُحدِثُ أنساً ليسَ في محضِه وَكسُ[2]
إذا قاتِلٌ حَيّاً بها ابنَ قَتيلِهِ ، تولّدَ منها بينَ قلبيهِما الأُنسُ

---

١ الورس : نبات أصفر .
٢ الوكس : النقص .

إذا ما درى إبليسُ ما في طِباعِها ، من السرّ، قال الجِنّ : نَفديكَ يا إنسُ
ولو عَلِمتْ أهلُ المَدارِسِ قَدرَها ، جلَتْ كأسَها في موضعٍ يُذكرُ الدّرسُ
ولو رَشَفَ الرِّعديدُ فاضلَ كأسِها ، على ضُعفِهِ ، ظَنّتهُ عنترَها عَبسُ
ولمّا قتَلناها بسَيفِ مِزاجِها ، فبُرّدَ منها الحَرُّ ، واعتدَلَ اليَبسُ
أقامَتْ لها الأطيارُ في الدّوحِ مأتَماً ، بهِ للنّدامَى من سرورِهِمِ عُرسُ
وقامَتْ لها الحرباءُ من كلّ مرقَبٍ تُطالعُها ، لا تَهزَئي إنّها الشّمسُ
وباتَ يُعاطينا سُلافاً كأنّهــا هيَ النّارُ لكن يُستَطاعُ لها لَمسُ
بكأسٍ لها أشخاصُ كسرى وقَيصرٍ ، وقد أحدقتْ من حولِها الرّومُ والفرسُ
فلَو لَبِثَتْ في كأسِها عُمرَ ساعةٍ ، إذاً نطَقَتْ من سرّها الصّوَرُ الخُرسُ
ولمّا استَحالَتْ نَشوَةُ الكأسِ سكرَةً إذا ماتَ منها العقلُ تَنتعِشُ النّفسُ
وهَبتُ لها كَهلاً من العَقلِ وافراً ، فكان لديها النّصفُ والثّلثُ والسّدسُ
يَقولونَ لي جَهلاً : متى تَترُكُ الطّلا ، فقلتُ : إذا ما عادَ من فَوتِهِ أمسُ
وكيفَ اطّراحي للمُدامِ ، وفضلُها جَليٌّ ، على الأبصارِ ليسَ به لَبسُ
فَما سادِرٌ في السّكرِ إلاّ كَحاتِمٍ ، وما باقِلٌ إلاّ إذا ذاقَها قَسٌّ

قهوة أفنت الزمان

أذكرُوا ، لمّا أرَوها النّديمَا ، من عُهودِ المِعصارِ عهداً قديمَا
فأتتْ تطلبُ القِصاصَ ، ولكن تجعلُ العقلَ في التّقاضي غريمَا
قَهوَةٌ أفنَتِ الزّمانَ ، فأفنَى الرَّطبَ من جِرمها وأبقى الصّميمَا
فغدَتْ تُثقِلُ اللّسانَ لسرّ الـ ـسّكرِ منها وتستخفّ الحُلومَا
لو حَسا من سُلافِها الأكمَهُ الأخـ ـرَسُ كأساً لاستخرَجَ التّقويمَا[1]
وعلى الضّدّ لو حَساها فَصيحٌ أحدَثَتْ في حَديثِهِ التّرخيمَا[2]
أنبأتنا الأنباءَ عن سالِفِ الدّهـ ـرِ وعدّدَتْ لَنا القُرونَ القُرومَا[3]
وحكَتْ كيفَ أصبحت فتيةُ الكَهـ ـفِ رُقوداً،خلواً،وكيفَ الرّقيمَا
وبماذا تجنّبَتْ نارُ نُمرُو دٍ خَليلَ الإلَـهِ إبراهيمَا
وغداةَ امتحانِ يونُسَ بالنّـو نِ ، وقد كانَ في الفِعالِ مَليمَا
وتشكّي يعقوبُ إذ ذهبَتْ عَينا هُ من حُزنِهِ ، وكانَ كَظيمَا
والتّناجي بالطّورِ ، إذْ كلّمَ الرّحـ ـمَنُ مُوسَى نَبيَّهُ تَكليمَا
ودُعاءَ المَسيحِ ، إذ نُعِشَ المَيْـ ـتُ من رَمسِهِ ، وكانَ رَميمَا
فشَهِدنا لها بفَضلٍ قَديمٍ ، واستفَدنا منها النّعيمَ المُقيمَا

---

١ الأكمه : المولود أعمى . التقويم : حساب الأزمنة .
٢ الترخيم عند النحاة : قطع آخر المنادى ، وأراد هنا أن شاربها الفصيح يثقل كلامه فيقطع ألفاظه قبل إتمامها .
٣ القرون ، الواحد قرن : مئة سنة ، والقرن سيد القوم . والقروم ، الواحد قرم : السيد العظيم .

وفَضَضنا خِتامَها ، عن أناها ، فرأينا مِزاجَهــا تَسنيمـَا[1]
وظَلَلنا نُحيِي بها جَوهرَ النّفـ ـسِ ، ونُسقَى رَحيقَها المَختُومـا
في جِنانٍ من الحَدائقِ لا تَسـْ ـمَعُ فيها لَغواً ولا تأثيمـَا
بينَ صَحبٍ مثلِ الكَواكبِ لا تَنْـ ـظُرُ ما بَينَهم عُتُلاً زَنيمـَا[2]
وجَعلنا السّاقي خَليلاً جَليلاً ، يُحسِنُ المَزجَ ، أو غَزالاً رَخيمـَا
فرأينا في راحةِ البَدرِ شَمساً ، اطلَعَتْ في سَما الكؤوسِ نجُومـَا
وقَذَفنا بشُهبِها مارِدَ الهَـ ـمِّ ، فكانَتْ للماردِينَ رُجُومـَا
ولَدَتْ لُؤلؤ الحَبابِ ، وكانتْ قبلَ وَقعِ المِزاجِ بِكراً عَقيمـَا
أخصَبَتْ عند شُربِها ساحَةُ العَيـ ـشِ وأمسَى أحوَى الهمومِ هَشيمـَا
فابتَدِرْها مُدامَةً تَجلُبُ الرَّو حَ إلى الرُّوحِ حينَ تَنفي الهُمومـَا[3]
واختصِرْ إنّ قَلّها يُنعشُ الرُّو ح وإفراطها يضرّ الجسُومـَا
فارتكِبْ أجمَلَ الذّنوبِ لنَفعٍ ، واعتَقِدْ في ارتكابِهِ التّحريمـَا
ثمّ تُبْ ، واسألِ الإلَهَ تَجِدْهُ ، لذُنُوبِ الوَرى غَفوراً رَحيمـَا

---

١ التسنيم : قيل انه ماء في الجنة .
٢ العتل : الجافي الغليظ . الزنيم : اللئيم .
٣ الروح ، بفتح الراء : الراحة ، الفرح .

ادرها بلطف

أدِرها بلُطفٍ، واجعلِ الرِّفقَ مَذهبَا، وحَيِّ بهِ كأساً من الرّاحِ مُذهبَا
ولا تَطغَ في حَثِّ الكؤوسِ لأنّنا شَربنا لنَحيا، ما حَيينا لنَشربَا
فإنّ قَليلَ الرّاحِ للرّوحِ راحَةٌ، فإن زادَ مِقداراً عن العَدلِ أتعبَا
فلا تَكُ مَن أعطَى المُدامَ قِيادَهُ، فأودَتْ به واستَوطأ الجَهلَ مَركَبَا
فإنّ كَثيراً مَن يَظُنّ كَثيرَها، إذا زادَ زادَ النّفعُ أو كانَ أقربَا
كظَنّهِمِ في كَثرَةِ الأكلِ أنّها إذا أفرَطتْ أمسَى بها الجسمُ مُخصِبَا
أضَلّوا الوَرى من جَهلِهِم وتَنزّهوا عن الجَهلِ حتى صارَ جَهلاً مركّبَا
وأعجَبُ أنّ السّكرَ في كلّ مِلّةٍ حَرامٌ، وإنْ أمسَى إلَيها مُحبَّبَا
وتُكثِرُ منها المُسلمونَ لسُكرِها، وتَترُكُ نَفعاً للقَليلِ مُحرَّمَا
وإنْ نَظَرُوا يوماً لَبيباً مُداوِياً بها الهَمَّ، قالوا: باخلاً متَطَبِّبَا
وما السّكرُ إلاّ حاكمٌ متَسَلِّطٌ، إذا هوَ قاوَى أغلَباً كانَ أغلَبَا
فإنْ شئتَ يوماً شُربَها، فاتّخِذْ لها حَكيماً لَبيباً، أو نَديماً مُهَذَّبَا
وخِلٍّ دَعاني للصَّبُوحِ أجَبتُه، وقلتُ له: أهلاً وسَهلاً ومَرحَبَا
وأقطَعتُهُ كِفلاً من الأمنِ بَعدَما بسَطتُ له صَدراً من الدّهرِ أرحَبَا[1]
وأبرَزتُها صَفراءَ تَحسبُ كأسَها غِشاءً من البَلّورِ يَحمِلُ كَهربَا
وعاطَيتُهُ صَفراءَ يُشرِقُ وجهُها بنورٍ يُرينا أدهَمَ اللّيلِ أشهَبَا

---

١ الكفل : الضعف من الأجر ، الحظ ، النصيب .

طَليقَةُ وَجهٍ ثَغرُها مُتَبَسِّمٌ ، إذا ما حَساها باسمُ الثّغرِ قَطَّبَا
وبِتنا نُوَفّي العَيشَ باللّهوِ حَقّهُ ، ونَسرَحُ في رَوضٍ من الأنسِ أعشَبَا
وإنّي لأهوى من نداماي ماجِداً ، إذا خامَرَتهُ الرّاحُ زادَ تأدّبَا
إذا ما أُمِرّتْ مُرّةٌ في مَذاقِها ، رآها لقُربي من جنى النّحلِ أعذَبَا
فأوجَبَ مع مِثلي على النّفسِ شُربَها ، فإنْ لم يكن مِثلاً أرى التّركَ أوجَبَا

ما وجدت مثلي

طَلَبتُ نَديماً يُوجِدُ الرّاحَ راحَةً ، إذا الرّاحُ أودَتْ بالكثيرِ من العَقلِ
يُشارِكُني في سِرّها وسرُورِها ، فيملأُ أو يحسُو ، ويكتُبُ أو يُملي
ويَشرَبُها بالكَيفِ والأينِ والمَتى ، ويَعرِفُها بالجنسِ والنّوعِ والفَصلِ
فلَمّا أبَى الحِرمانُ إلاّ لحاجَةً ، وأعوزَني خِلاً يُناسِبُ في الفَضلِ
خلَوتُ بها وحدي ، كما قالَ شَيخُنا ، وذاكَ لأنّي ما وَجَدتُ لها مِثلي

تسبي وتسبى

عَجِبتُ لها تُمسي العقولُ لها نَهبًا ، وتَسبي النّدامَى وهيَ ما بَينَهم تُسبى
وأعجَبُ من ذا أنّها كلّما طغَتْ على العَقلِ زادَ الشّاربونَ لها حُبّا

سُلافٌ تُميتُ العَقلَ في حالِ شُربِها ، ويَنعَشُ منها الرّوحَ والجسمَ والقَلبَا
مُعَتَّقَةٌ أفنَى الحَديدَ عَتيقُها ، وأبقَى صَميماً من حُشاشَتِها لُبّا
مُحَجَّبَةٌ وسطَ الدّنانِ ، ونُورُها يُخَرِّقُ من لألاءِ غُرّتِها الحُجبَا
كُمَيتٌ إذا شاهدتَها في إنائِها ، ولكن لصافي لَونِها دُعِيتْ صَهبَا
إذا مَسّها وقعُ المِزاجِ تألّمَتْ ، وأزبَدَ منها الثّغرُ ، وامتلأتْ رُعبَا
وأعجَبُ من بكرٍ لها الماءُ والِدٌ ، وتَرجعُ أنّى رامَ تَقبيلَها غَضبَى
عَجوزٌ إذا ما أبرِزَتْ من حِجابِها ، تُريكَ نَشاطاً ، كالغُلامِ إذا شَبّا
هيَ الشّمسُ إلاّ أنّها في شُروقِها ، إذا مُزِجَتْ في كأسِها أطلَعتْ شُهبَا
إذا جُلِيَتْ في كأسِها وتَبرّجَتْ ، وزادَتْ نفوسَ الوامقِينَ بها عُجبَا
يعضّ عليها التّائبونَ بَنانَهم ، ويَندُبُ كلٌّ منهُمُ عقلَهُ نَدبَا
إذا ما حَسَوناها أقرّوا بأنّهم قد ارتكَبوا في تَركِها مَركَباً صَعبَى
ولم أرَ حِبراً تابَ عن نَفعِ نَفسِهِ ، فللهِ ما أعمَى الجهولَ ، وما أغبَا
فهُبّا بنا نحوَ الصَّبوحِ وبَردِهِ ، فإنّي ليُرضيني النّديمُ ، إذا هَبّا
وعُوجا بنا نَستَمطِرُ الدّنّ غُدوَةً ، إذا عاجتِ الأغمارُ تَستَمطرُ السُّحبَا[1]
وواصِل صَبوحي بالغَبوقِ وعلّني بها كلّ يومٍ لا تَذر شُربَها غِبّا
فإنّ قَتيلَ الرّاحِ يُوشِكُ بَعثُهُ ، إذا أنتَ أترَعتَ الكؤوسَ له سَكبَا
إذا نفَحتْ من روحِها فيه نَفحَةً ، تَمَثّلَ حَيّاً بَعدَ أن قضَى نَحبَا
فكَم لَيلَةٍ أحيَيتُها بمَسَرّةٍ ، وقَضّيتَ فيها العَيشَ أنهَبُهُ نَهبَا

---

١ الاغمار ، الواحد غمر : غير المجرب .

وبِتنا نُوَفّي الحاشرِيّةَ حقّها، ونُثبِتُ من بعدِ الغَبوقِ لها نَصبا[1]
نُلبّي مُنادي الاصطِباحِ إذا دَعا، ونَدعو سَميعَ الاغتِباقِ إذا لَبّى
بلَيلةِ سَعدٍ نَصطلي النّدّ ريّها، ونُوقِدُ في آنائِها المَندلَ الرّطبا
براحٍ لها طَبعٌ لعَكسِ حرُوفِها، يُصَيِّرُ ضِيقَ الصّدرِ من جرّه رَحبا
وكادتْ تكونُ الرّوحَ لا الرّاحَ كمّلتْ قوى طَبعِها لو كان يابسُها رطبا
شمَمنا شَذاها في الكؤوسِ فأسكرَتْ، فأنّى لها رُشدٌ، إذا استُعمِلتْ شُربا
فلَو لمَعَتْ في اللّيلِ غُرّةُ وَجهِها، لَشاهدتَ دُهمَ اللّيلِ من نورِها شُهبا
ولو قطرَتْ منها على الصّخرِ قطرَةٌ، رأيتَ صفاةَ الصّخرِ قد أنبتتْ عُشبا
فَما هيَ إلاّ أصلُ كلّ مسَرّةٍ، فكم رَوّحتْ هَمّاً وكم فرّجتْ كَربا
إذا ما رَحَى الأفراحِ دارَتْ، فلا يرَى لَبيبٌ سوى كأسِ المُدامِ لها قُطبا

عرس الكرام

حيِّ بالصِّرفِ من كؤوسِ المُدامِ، إنَّ بنتَ الكرومِ عِرسُ الكِرامِ
واذكِ فَهمي بقَهوَةٍ تُطفىءُ الهَمّ ببَردٍ من سُكرِها وسَلامِ
ثمّ قُلْ، كلّما تَراءتْ لكَ الكأسُ فَشابتْ بها فروعُ الظّلامِ:
عَصَمَ اللهُ منكِ كلّ ثَقيلٍ، جاهلٍ ذي تَبَظرُمٍ واحتِشامِ[2]

١ الحاشرية : لعلها من أسماء الخمر أو نعوتها . النصب : العلم .
٢ التبظرم ، من تبظرم : إذا كان أحمق وعليه خاتم فيتكلم ويشير به في وجوه الناس .

يجدُ اللّهوَ بالمُدامِ حَراماً ، عندَهُ ، والرّباءَ غَيرَ حَرامِ
ويرى الزُّورَ والتّجَسّسَ والغيـ ـبةَ حِلاّ ، في شُرعَةِ الإسلامِ[1]
وإذا زارَ مَجلِساً لكَ فَدمٌ منهُمُ غَيرُ مُولَعٍ بمُدامِ[2]
فاثْنِ جِيداً عَنهُ وثَنِّ بما يُو جِبُ إبعادَهُ بغَيرِ احترامِ
ثمّ صرّحْ لهُ بأنّ حضورَ الـ رّاحِ قَصداً كشُربِها في الإثامِ
فمُقامُ الصُّحاةِ بَينَ السّكارَى كمُقامِ القُعودِ بَينَ النّيامِ

جنة من رياض الحزن

وقال أيضاً يصف ليلة قضاها
في دير بنواحي ماردين :

ما ماسَ مُنعطِفاً في قُرطَقٍ وقَبَا ، إلاّ وعَوّذتُهُ من غاسِقٍ وقَبَا[3]
ظبيٌ نَبا سَيفُ صَبري في محبّتِهِ ، وطِرفُ عَزمي بمَيدانِ السلوّ كَبَا[4]
مُتَرّكُ اللّحظِ في أخلاقِهِ دَمَثٌ ، مُستَعرِبُ اللّفظِ تركيٌّ إذا انتَسَبَا

---

١ الغيبة : الاغتياب .
٢ الفدم : العيي عن الكلام .
٣ القرطق والقبا : ضربان من الثياب . وقبا : أتى ، جاء . الغاسق : الليل إذا اشتدت ظلمته ، الأسود من الحيات .
٤ الطرف : المهر . العزم : الثبات والشدة فيما يعزم عليه الإنسان . كبا : انكب على وجهه .

يَرمي بسَهمٍ من الأسقامِ أسهَمَني ... عن حاجبٍ للكَرَى عن ناظري حجَبَا[1]
صَعبُ القيادِ ، فإن راضَتْ خلائقَهُ ... كأسُ المُدام ألانَتْ منهُ ما صَعُبَا
ولَيلَةٍ جادَ لي عدلُ الزّمانِ بهِ ، ... فلَم يُفِدْ بعدَها جُوداً ولا ذَهَبَا
سُقيتُ من يَدِهِ طَوراً ومن فَمِهِ ... كأسَيْ سُلافٍ تُزيلُ الهَمّ والكُرَبَا
في جنَّةٍ من رِياضِ الحَزنِ غاليَةٍ ، ... يُضاحكُ الزّهرُ من نُوّارِها السُّحُبَا[2]
قد أفرَشَتنا من الرّوضِ الأنيقِ بها ... بُسطاً ، ومَدّ علَينا دَوحُها طُنُبَا
بِتنا بها لَيلَةً رَقّتْ شَمائِلُها ، ... كيَومِها يَستَجِدّ اللّهوَ والطّرَبَا
أسقي نَديمي بها ، إذ غابَ ثالِثُنا ، ... إذا شَرِبتُ ، ويَسقيني إذا شرِبَا
من قَهوَةٍ كشُعاعِ الشّمسِ مشرِقَةٍ ، ... إذا جرَى الماءُ فيها أطلَعَتْ شُهُبَا
شَعشعتُها فأضاءَ الشّرقُ مُنبَلِجاً ... بها ، وقامَ لها الحِرباءُ مُنتَصِبَا[3]
حتى إذا أمحَلَتْ منها زُجاجَتُنا ، ... وظَلّ منها غَديرُ الدّنّ قد نَضَبَا
نَبّهتُ راهبَ دَيرٍ كانَ يُؤنِسُنا ... تَرجيعُهُ الصّوتَ إن صَلّى وإن خطَبَا
بادَرتُهُ ، وقرَعتُ البابَ واحدَةً ... قَرعاً تَوَسّمَ من إخفائِهِ الأدَبَا
فقامَ يَسحَبُ بُردَيهِ على مَهَلٍ ، ... فما استَشاطَ بنا خَوفاً ولا رُعُبَا
وجاءَ يَسألُ عَمّا ليسَ يُنكِرُهُ ... ممّا نَرومُ ، ولكنْ يُثبِتُ الطّلَبَا
فقلتُ : ضَيفٌ مُلِمٌّ غيرُ ذي طَمَعٍ ... في الزّادِ ، لكنّه يَرضَى بما شَرِبَا
فأطلَقَ البابَ إذناً في الدّخولِ لَنا ، ... وقال : هذا علَينا بعضُ ما وَجَبَا

---

١ أسهمني : غير لوني ، أهزلني .
٢ الحزن : ما غلظ من الأرض وقلما يكون إلا مرتفعاً .
٣ شعشعتها : مزجتها بالماء .

وجاءَنا بسُلافٍ نَشرُها عَبِقٌ ، شَمطاءُ قد عُتِّقَتْ في دَنّها حِقَبَا
أفنى المَدى جِرمَها حيناً، فلو مكثَتْ في الدّنّ حولاً لكادَتْ أن تَطيرَ هَبَا
فأترَعَ الكأسَ حتى فاضَ فاضلُها ، بكفّهِ ، وسَقاني بَعدَما شَرِبَا
فمُذ رأينا سروراً في أسرّتِـهِ تَبدو وكَفّاً لهُ بالنّورِ مُختضِبَا
كِلنا لهُ فضّةً بالكَفّ فاضِلَةً عنّا ، وكالَ لنا من دونِهِ ذَهَبَا
من قَهوَةٍ حَجَبوها في مَعابدِهم ، وعلّقُوا حَولَها الأستارَ والصُّلُبَا
فبِتُّ أسقي نَديمي من سُلافتِها ، راحاً تَكونُ إلى راحاتِهِ سَبَبَا
ما زِلتُ أسقيهِ حتى مالَ جانبُهُ إلى الوِسادِ وأغفى بعدَما غُلِبَا
حتى إذا قُدّ ذَيلُ اللّيلِ من دُبُرٍ بها وسل علَينا صُبحُها قُضُبَا
ومَدّ باعُ الضّحَى كفّاً أناملُها تُزجي الشّعاعَ وأخرَى تَلقُطُ الشُّهُبَا
نَبّهتُهُ وجَبينُ الصّبحِ مُندَلِقٌ ، وقد دَنا أجَلُ الظّلماءِ واقترَبَا
فقامَ يَمسَحُ عَينَيهِ براحتَيهِ ، والنّومُ يعقدُ من أجفانِهِ الهُدُبَا
عاطَيتُهُ ، وحجابُ اللّيلِ مُنخَرِقٌ ، راحاً تُخَرِّقُ من لألائِها الحُجُبَا
عَذراءَ تَعلَمُ أنّ الماءَ والدُها ، وتَستَشيطُ ، إذا ما مَسّها ، غَضَبَا
إذا أصابَ لجينُ الماءِ عَسجَدَها ، أرَتكَ دُرّاً يُريكَ الدرّ مُحتَلَبَا
وبِتُّ في طيبِ عَيشٍ رقّ جانبُهُ ، مُرَفَّهَ البالِ لا أخشَى بهِ نصَبَا
بِتنا نُقَضّيهِ ، والأيّامُ تُنشِدُنا : ما كلّ يومٍ يَنالُ المَرءُ ما طَلَبَا
والدّهرُ قد غَفَلَتْ أيّامُهُ، وغَدَتْ بطيبِ ساعاتِهِ تَستَوقِفُ النُّوَبَا
فلا تُضِعْ ساعةً كانتْ لنا هِبَةً ، من قبل أن يَستَردّ الدّهرُ ما وَهَبَا

إذا مت

إذا مُتُّ ، فانعَيْني بخَفقِ مَثالثٍ ، وصرخَةِ نايٍ واصطِفاقِ مَزاهِرِ
ولا تَعقِري غيرَ العُقارِ لتَنضَحي ثَرَى جدَثي من سَيرِها المتَجادِرِ[1]
وقولي : كذا قد كانَ ظاهرُ فِعلِهِ ، وكُفّي ، فعندَ اللهِ عِلمُ السّرائرِ
فإن كانَ رَبّي في المَعادِ مُسائلي ، وحُوسبتُ عن فعلِ الذّنوبِ الكَبائرِ
أقولُ : ترَشّفتُ المُدامَ ، ولم أقلْ طَعَنتُ ابنَ عَبدِ القيسِ طِعنةَ ثائرِ

سلام الخمر

حلَتْ بمَزْجِها المُدامُ ، فالمَزجُ لنَقصِها تَمامُ
لا أشرَبُها بغَيرِ ماءٍ ، فالخَمرُ بعَينِها حَرامُ
حَمراءُ لنورِها وميضٌ يُجلَى بشُعاعِهِ الظّلامُ
الدُّرُّ لكأسِها نِطاقٌ ، والمِسكُ لدَنّها خِتامُ
شَمطاءُ تَنجلي عَروساً ، للدُّرِّ بنَحرِها نِظامُ
للهَمّ بمَزجِها قُطُوبٌ إن لاحَ لثَغرِها ابتِسامُ
لو نادَمَها النّديمُ يَوماً ، ما أعجزَها لهُ الكَلامُ
إن قالَ لها امرؤٌ : سلام! قالت : وعليكمُ السّلامُ

---
١ من سيرها المتجادر : هكذا في الأصل ولعل فيه تحريفاً .

الملام يغري

خلّياني من قول زيدٍ وعمرو ، واسقياني ما بين عودٍ وزمرِ
واتركا اليوم في مدامي ملامي ، إنّ فرط الملام في ذاك يغري
ودعاني من سخط من رام تخوي في وزجري ، وهجر من رام هجري
إنّ من لا يطيق ينقص رزقي ، لم يكن قادراً على نقص عمري
ربّ يوم قضيت فيه سروراً ، فهو باللهو خيرٌ من ألف شهرِ
طاب عيشي بكلّ ليلة شربٍ قدّرتْ بالسرور ليلة قدرِ
فنعمنا بالحاشريّة حتى خلت نور المدام مطلع فجرِ
مع غزالٍ عيناه من آل حربٍ ، حين يبدو ، والوجه من آل بدرِ
يتعاطى حبّي ويمزج راحي ، ويعاطي كأسي وينشد شعري
في رياضٍ كأنّما رصّع القطـ ـرُ أكاليلها الحسان بدرّ
حلّ فيها الربيع ، فالزهر يبدي لهباً ، خلته مشاعل جمرِ
وبدا النرجس المحدّق يحكي أشيباً فوق رأسه طاس تبرِ
فدعوت الساقي : لقد غفل الدّهـ ـرُ ، فعجّلْ وطفْ بكاسات خمرِ
فتباطا بها ، فقلت : أدرها ، لست ساقي ، ولا قلامة ظفري

قم الى اللهو

نَديمي قُمْ إلى اللّهوِ ، فقد ساعدَنا الدّهرُ
وفي مَجلِسِنا شَمسٌ تَوَلّى حَملَها بَدرُ
وساقٍ كلّما ماسَ تَشَكّى رِدفَهُ الخصرُ
نَديمٌ ، ناعِمٌ ، حُلوٌ ، وراحٌ خَشِنٌ مُرّ

ماء الملام

يا مَن يَلُومُ على المُدامَه ، ما للمُحبّ وللمَلامَه
لا حبّ عندي للّذي فيها يَلومُ ، ولا كَرامَه
ما إن تَنالُ ، إذا عَذَلـ تَ على المُدامِ ،سوى النّدامَه
إنْ تَسقِني ماءَ المَلا مِ سقَيتُكَ اسمَ أبي دُلامَه[1]

1 أبو دلامة : شاعر أسود من موالي بني أسد كان يقول الشعر وكان الناس يخافون لذعات لسانه .

العمر خطفة طائر

إذا ابتَدأ السّاقي وثَنّى وثَلّثا ، وجَس لنا الشّادونَ مَثنى ومَثلَثا
وهَبّ لنا شادٍ حكَى الغصنَ قدُّهُ ، يرَدّدُ طَرفاً صامتاً مُتَحَدّثا
أخو نَشطَةٍ ، فحلُ اللّحاظِ ، مذكَّرٌ ، يُخالُ لتَرخيمِ الكَلامِ مؤنَّثا
إذا لحظُهُ ، أو لَفظُهُ ظَلّ نافثاً بسِحرٍ لنا لم نَدرِ مَن كانَ أنفَثا
فيُنشِدُ من شِعري رَقيقاً مُخَمَّساً ، ويرشُفُ من خَمري رَحيقاً مُثَلَّثا
ويَمزجُ لي في الكأسِ بِكراً قديمَةً ، تَخالُ حَبابها من جنى النّحلِ مُحدَثا
إذا بَسَمَتْ للهَمّ راحَ مُقَطِّباً ؛ وإن سَفَرَتْ للحُزنِ سارَ مُحَثحِثا
فلا تَخَلْني إن طِرْتُ بالسّكرِ تائِهاً أرومُ بأهدابِ النّجومِ تَشَبُّثا
ولا أن تَراني تائِهَ العقلِ طائِشاً ، أرى الرّشدَ عندي أن أقولَ وأعبَثا
ولا أنثَني عن حالَةٍ وأُعيدُها ، وأُقسِمُ أنّي لا أعودُ وأحنَثا
فَما العُمرُ إلاّ مثلُ خَطفَةِ طائرٍ ، يمُرُّ سريعاً لا يُطيقُ تَلَبُّثا
لذلكَ إنّي أنهَبُ العَيشَ قاطِعاً ثِمارَ المُنَى ، حتى أمُوتَ وأُبعَثا

لا تصحو ولا نصحو

ويومٍ ضمّ شَملَ الصّحبِ فيهِ مُليثٌ في تَرادُفِهِ مُلِحُّ
تَكاثَفَ غَيمُهُ ، فالصّبحُ لَيلٌ ، وأومَضَ بَرقُهُ ، فاللّيلُ صُبحُ

وعاهَدنا العِهادَ بهِ عُهوداً ، فَما لجُفونِها بالسَّحِّ شَحّ[1]
فقد حلَفَتْ لنا أن ليسَ تَصحو ، وأقسَمنا لها أن لَيسَ نَصحُو

ضيف ثقيل

وقال وقد زاره ثقيل من الفقهاء
وهو على عزم الشرب فام يستطع دفعه
إلا بالتلويح له بذلك :

وقَهوَةٍ يُجتَلَى السّرورُ بها وتَنْجَلي بانجِلائِها الكُرَبُ
جلَوتُها ، والخُطوبُ غافلَةٌ ، وقد تجَلّتْ في أُفقِها الشُّهُبُ
وبِتُّ أُغري بها أخًا صَلَفٍ ، قد نَشّفَتهُ الدّروسُ والكُتُبُ
باتَ برُغمي ضَيفاً لدَيّ ، ولا يَعلَمُ أنّي بمِثلِهِ تَعِبُ
فقالَ لي مُغضَباً ليُرشِدَني : مثلُكَ لا يَستَخِفّهُ الطّرَبُ
فقلتُ : هلاّ رأيتَ صيغتَها كأنّها في الزّجاجِ تَلتَهِبُ
وطَعمُها لو عرَفتَ لذّتهُ لزالَ عنكَ الوَقارُ والأدَبُ
نُطفَةُ كرمٍ فُوَيقَها حبَبٌ ، كأنّهنّ الرّضابُ والشّنَبُ[2]
فازدادَ يُبساً ، وقامَ مُمتَعِضاً ، ولاحَ فيهِ النّفارُ والغَضَبُ
وقال : لا ذُقتُها ! فقلتُ لَه : من مثلِ ذا اليُبسِ يحدثُ الجرَبُ

١ العهاد : أول مطر الربيع ، ولعله أراد هنا السحاب .
٢ الرضاب : الريق . الشنب : بياض الأسنان وحسنها .

الفقيه الزائر

وقال في مثله :

وليلَــةٍ زارَني فَقيهٌ　　في رُشدِهِ لَيسَ بالفَقيهِ
رأى بيُمنايَ كأسَ خَمرٍ،　　فظَلّ يَنأى ويَتّقيــهِ
فقلتُ : هَلاّ ؟ فقال : كلاّ ،　　فقلتُ : لِمْ لا ؟ فقال: ايهِ[1]
ما ذاكَ فنّي ، فقلتُ : عدلٌ　　أنزَهُ انكأسَ عن سَفيهِ

قنانٍ وقيان

وقال وقد ورد الورد في أول شوال
يمدح الملك ناصر الدين عمر ابن
الملك المنصور :

دَقّ شَوّالُ في قَفَا رَمضانِ ،　　وأتَى الفِطرُ مُؤذِناً بالتّهاني
فجعَلنا داعي الصَّبوحِ لدينا　　بدَلاً من سُحُورِهِ والأذانِ
وعزَلنا الإدامَ فيهِ ولُذنـا　　بقَنَـانٍ مَصفُوفَةٍ وقيَانِ
ونحَرنا فيهِ نحورَ زِقاقٍ ،　　وضرَبنا بِـهِ رِقـابَ دِنانِ
واستَرَحنا من التّراويحِ واعتَضْ　　نا بخَفقِ الجنوكِ والعِيدانِ

[1] ايه : اسم فعل للاستزادة من قول أو فعل .

فالمَزاميرُ في دُجاهُ زمُورٌ ، والمَثاني مَثالِثٌ ومَثَاني
كلَّ يوم أروحُ فيهِ وأغدُو بَيْنَ حُورِ الجِنانِ والوِلدانِ
لا تراني ، إذا رأيتَ نقيَّ الـ خدِّ أثني طرفي إلى لِحْيانيّ[1]
مَنظَرُ الصّومِ مع تَوَخّيهِ عندي مَنظَرُ الشّيبِ في عيونِ الغَواني
ما أتاني شَعبانُ من قَبلُ إلاّ وفُؤادي من خَوفِهِ شعبانِ[2]
كيفَ أستَشعِرُ السّرورَ بشَهرٍ زَعَمَ الطّبّ أنّهُ مَرَضانِ
لا تَتِمُّ الأفراحُ إلاّ إذا عا دَ سَنا بَدرِهِ إلى نُقصانِ
فيهِ هَجرُ اللّذّاتِ حتمٌ وفيهِ غَيرُ مُستَحسَنٍ وِصالُ الغَواني
وقَبيحٌ فيهِ التّنَسّكُ إلاّ بَعدَ ستّينَ حِجّةً وثَماني
فاسقِني القَهوَةَ التي قيلَ عَنها إنّها من شرائطِ الشّيطانِ
خَنْدَريساً تكادُ تَفعَلُ بالعَقـ لِ فِعلَ النّعاسِ بالأجفانِ
بنتُ تِسعينَ تُجتَلى في يَدَي بنـ تِ ثَلاثٍ وأربعٍ وثَمانِ
كلّما زادَتِ البَصائِرُ نَقصاً خَطَبُوها بوافِرِ الأثمانِ
شَمسُ راحٍ تُريكَ في كلّ دورٍ ببدورِ السُّقاةِ حُكمَ قِرانِ
ذاتُ لُطفٍ يَظُنّها مَن حَساها خُلِقَتْ من طَبائعِ الإنسانِ
سِيّما في الخَريفِ ، إذا بَرَدَ الظّـ لّ وصَحّ اعتدالُ فَصلِ الزّمانِ
وانتشارُ الغيومِ في مَبدإ الفَصـ لِ ، وشَمسُ الخريفِ في الميزانِ
وبساطُ الأزهارِ كالوَشْيِ ، والغَيْـ مُ كثَوبٍ مُجَسَّمٍ من دُخانِ

---

١ اللحياني : الطويل اللحية .
٢ شعبان : الشهر الثامن من الشهور القمرية . شعبان الثانية : أراد بها انه مصدوع .

في رياضِ الفَخْرِيّةِ الرّحبَةِ الأكْ ناف ذاتِ الفنونِ والأفنانِ
فوقَ فُرشٍ مَبْثُوثَةٍ وزَرابِـ يّ عِتاقٍ وعَبقَرِيٍّ حِسانِ[1]
صَحّ عندي بأنّها جَنّةُ الخُلْـ ـدِ ، وفيها عَينانِ نَضّاخَتانِ
وكأنّ الهِضابَ بِيضُ خُدُودٍ ضَرّجَتها شَقائِقُ النّعمانِ
وكأنّ المِياهَ دَمعُ سرورٍ ، وكأنّ الرّياحَ قَلبُ جَبانِ
وشموسُ المُدامِ تُشرِقُ والصّحْـ ـبُ بظلّ الغَمامِ في صيوانِ
فاسقِني صِرفَها ، فإنّ جَديدَ الـ ـغَيمِ يَدعُو إلى عَتيقِ الدّنانِ
بَينَ فُرشٍ مَبثوثَةٍ وزَرابِـ يّ رياضٍ وعبقَريّ حِسانِ[2]
في ظِلالٍ على الأرائِكِ منها ، والدّوالي ذاتِ القُطوفِ الدواني
فانتَهِزْ فُرصَةَ الزّمانِ فليسَ الـ ـمَرءُ من جَورِ صَرفِهِ في أمانِ
وتَمتّع ، فإنّ خَوفَكَ منها سُوءُ ظَنٍّ بالواحِدِ المَنّانِ
فرَضعنا دَرّ السّرورِ وظَلّنا في أمانٍ من طارِقِ الحِدْثانِ
شمَلَتنا من ناصرِ الدّينِ نُعمَى نصَرَتنا على صُروفِ الزّمانِ
عُمَرَ المالكُ الذي عَمّرَ الجُو دَ ، وقد كانَ داثِرَ البُنيانِ
المَليكُ الذي يرَى المَنّ إشرا كاً بوَصفِ المُهَيْمِنِ المَنّانِ
والجوادُ السّمحُ الذي مرجَ البَحـ ـرينِ من راحتَيهِ يَلتَقيانِ[3]
مَلِكٌ يعتِقُ العَبيدَ من الرّ قّ ويَشري الأحرارَ بالإحسانِ

---

١ الزرابي ، الواحدة زربية : ما بسط واتكىء عليه. العبقري : الذي ليس فوقه شيء . الحسان : الحسن.
٢ هذا البيت مكرر .
٣ مرج : خلط .

بسَجايا رَضعنَ دَرّ المَعالي ، ومَزايا رَضَعنَ دُرّ المَعاني
فلباغٍ عَصاهُ حُمرُ المَنايا ، ولباغي نَداهُ بيضُ الأماني
لذتُ حبّاً به ، فمَدّ بضَبعَيّ وأغلى سِعري ، وأعلى مَكاني
وحَباني قُرباً ، فأصبحتُ منهُ مثلَ هارون من فتى عِمرانِ
يا أخا الجُودِ ليسَ مثلُكَ مَوجوداً ، وإن كانَ بادياً للعِيانِ
أنتَ بَينَ الأنامِ لَفظَةُ إجماعٍ عليها اتّفاقُ قاصٍ ودانِ
ولكَ الرّتبَةُ التي قَصّرَتْ دونَ عُلاها النّيرانُ والفَرقَدانِ
والحُسامُ الذي إذا صَلّتِ البيضُ وصَلّتْ في البَيضِ والأبدانِ[1]
قامَ في حَومةِ الهياجِ خَطيباً قائلاً : كلّ مَن عليها فانِ
واليَراعُ الذي يَزيدُ بقَطعِ الرّأسِ نُطقاً من بعد شَقّ اللّسانِ
لم يمسّ التّرابَ نَعلاكَ إلاّ حسدَتهُ مَعاقِدُ التّيجانِ
شِيَمٌ لم تكُنْ لغَيرِكَ إلاّ لمَعالي شَقيقِكَ السّلطانِ
جَمَعَ اللهُ فيكُما الحُسنَ والإحسانَ إذ كُنتُما رَضيعَيْ لِبانِ
وتجارَيتُما إلى حَلبَةِ المَجدِ ، فوافَيتُما كمُهرَيْ رِهانِ
ثمّ عاضَدتَهُ ، فكُنتَ لهُ عَيناً وعَوناً في كلّ حَربٍ عَوانِ
فتَهنّ بالعيدِ السّعيدِ ، وإن كانَ لكلّ الأنامِ منهُ التّهاني
ليسَ لي في صِفاتِ مَجدِكَ فخرٌ ، هيَ أبدَتْ لَنا بَديعَ المَعاني
كلّما أبدَعَتْ سجاياكَ مَعنًى ، نظَمَتْ فِكرَتي وخَطّ بَناني

---

١ صلت الأولى ، من صل السلاح : إذا سمع له طنين . والثانية من الصلاة على الاستعارة والجناس .

لا تَسُمْني بالشّعرِ شُكرَ أيادي ... لكَ ، فما لي بشكرِهنّ يَدانِ
او نَظَمتُ النّجومَ شِعراً لمَا كا ... فَيتُ عن بَعضِ ذلكَ الإحسانِ

يا قاصدي البحر

بَدَتْ ، فلَم يَبقَ سِترٌ غيرَ مُنْهَتِكِ ... منّا ولم يَبقَ سرٌّ غيرَ مُنْهَتِكِ[1]
وأقبلَتْ، وقميصُ اللّيلِ قد نَحلَتْ ... أسمالُهُ ، ورداءُ الصّبحِ لم يُحَكِ
تَبَسّمَتْ إذ رأتْ مَبكايَ فاشتَبَهتْ ... مَدامعي بلآلي الثّغرِ في الضّحِكِ
فحِرتُ من دُرّ عَبراتي ومَبسِمِها ، ... ما بَينَ مُشتَبِهٍ منها ومُشتَبِكِ
ملكتِ قلبي وجسمي في يديكِ هوًى، ... إن شئتِ فانتهبي ، أو شئتِ فانتهكي
أفنَتْ لِحاظُكِ أربابَ الغَرامِ ، وما ... عليكِ في قَتلةِ العشّاقِ من دَرَكِ
يَذِلّ كلّ عزيزٍ في هَواكِ كما ... يَعِزّ كلّ ذَليلٍ في حِمَى المَلِكِ
مَلْكٌ لو انّ يَدَ الأقدارِ تُنصِفُهُ ، ... لما أحلّتهُ إلاّ ذُرْوَةَ الفَلَكِ
يَستَعظِمُ النّاسُ ما نَحكيه عنه ، فإنْ ... لاذوا به استَقْلَلوا ما كان عنه حُكي
تَشارَكَ النّاسُ في إنعامِ راحَتِهِ ، ... ومَجدُهُ في البَرايا غَيرُ مُشتَرَكِ
بحرٌ ، ولكنّهُ طابَتْ مَشارِعُهُ ، ... والبحرُ يجمَعُ من طيبٍ ومن سَهَكِ

---

[1] ستر غير منهتك : غير متمزق . وسر غير منهتك : غير مفتضح .

في كَفِّهِ قَلَمٌ تَهمي مَشافِرُهُ ، في نَفعِ مُعتَكِرٍ ، أو وَقعِ مُعتَرَكِ
قل للمُنَكِّبِ عَنهُ كي يَنالَ غِنًى ، لقد سلَكتَ طَريقاً غيرَ مُنسَلِكِ
يا قاصِدي البحر إنّي في ذرَى مَلِكٍ ، لدَيهِ أصبَحتُ جارَ البَحرِ والمَلِكِ
يا ناصرَ الدّينِ يا مَن شُهبُ عزمته مُنيرَةٌ في سَماءِ المَجدِ والحُبُكِ[1]
لا يُقدِمُ الدّهرُ يوماً أن يَميلَ على عَبدٍ بحَبلِ وَلاءٍ منكَ مُمتَسِكِ
ما إن حَطَطتُ رِحالي في ربوعِكُمُ ، إلاّ وكنتم لَنا كالماءِ للسَّمَكِ
ما زِلتَ تَمنَحُني ودّاً ، وتَرفَعُني حتى ظَنَنتُ مَحَلّي ذُروَةَ الفَلَكِ
وَدّعتُ مَجدَكَ والأقدامُ تَنكُصُ بي كأنّني حافياً أمشي على حَسَكِ
وكيفَ تَدرُجُ بي عن ظِلّكُم قَدَمٌ أمسَى لها جُودُكُم من أوثَقِ الشَّرَكِ
فاسلَمْ على قُلَلِ العَلياءِ مُرتَفِعاً عِزّاً ، وشانئُكم في أسفَلِ الدّرَكِ

الشرب بين طعامين

وقال في لطف الغذاء :

لا يَحفَظُ الصّحّةَ أكلُ الفتى طَعامَهُ بَينَ شَرابَينِ
وإنّما الحِكمَةُ في شُربِهِ شَرابَهُ بَينَ طَعامَينِ

---

١ الحبك ، يقال : السماء ذات الحبك أي ذات الطرائق الحسنة .

خمر من قبل التاريخ

ومُدامٍ حكَتْ سُهَيلَ اتّقاداً ، في زُجاجٍ كأنّهُ المرّيخُ
ذاتِ نَشرٍ تُريكَ حاملَها وَهْـ ـوَ بمِسكٍ أو عَنبرٍ مَلطُوخُ
عتّقتها القُسوسُ مِسكيّةَ الأنـ ـفاسِ ، لا قارِسٌ ولا مَطبوخُ
قلتُ: كم عمرُها المَديدُ؟ فقالوا: خُلِقَتْ قَبلَما يُخلَقُ التّاريخُ

لا وعد ولا وداع

وقال في شروط أدب الشرب :

كم عَكَفنا على المُدامةِ يوماً ، إذ دَعانا إلى المَسرّةِ داعِ
وخلَونا بها بإخوانِ صِدقٍ ، رؤساءِ الحَديثِ والاستماعِ
والتَزَمنا شُرُوطَها ، واتّبَعنا أدَبَ الافتراقِ والاجتِماعِ
فاجتَمَعنا لها على غَيرِ وَعدٍ ، وافتَرَقنا عَنها بغَيرِ وَداعِ

بين اليمين والشمال

قال في الاعتذار عن دور الكؤوس شمالا :

أدِرِ الكؤوسَ على الشّمالِ ، فلا تخفْ عَتباً ، وكنْ في مَزجهِنَّ أمينَا
فالشّمسُ تَسري في الحقيقةِ يَسرَةً ، ويُديرُها الفَلَكُ المُحيطُ يَمينَا

اشرقت شمس المدام

ربَّ يومٍ قد رَفَلتُ بهِ ، في ثيابِ اللّهوِ والمَرَحِ
أشرَقَتْ شَمسُ المُدامِ بهِ ، وجَبينُ الصّبحِ لم يَلُحِ
فظَلَلنا بَينَ مُغتَبِقٍ بحُميّاها ، ومُصطَبِحِ
وشَدَتْ في الدّوحِ صادِحَةٌ بضرُوبِ السّجعِ والمُلَحِ
كلّما ناحَتْ على شَجَنٍ ، خِلتُها غَنّتْ على قَدَحِ

معجزات الخمرة

أرسَلَتْ في الكؤوسِ بالمُعجِزاتِ ، فأرَتنا الآياتِ والبيِّناتِ
وتجلَّتْ من خِدرِها ، فنَهَضنا ، ومَشَينا لفَضلِها خُطُواتِ
كيفَ لا تَخضَعُ العقُولُ لدَيها ، وهيَ سُلطانُ سائرِ المُسكِراتِ
قَهوَةٌ بَردُها يَنُوبُ عن الما ءِ ، وتُغني طَوراً عن الأقواتِ
لو حَسَا ابنُ التّسعينَ منها ثَلاثاً أبدَلَتْ قَوسَ قَدِّهِ بقَناةِ
قَتَلَتها السُّقاةُ عَمداً لتَحيَا ، بشَبا الماءِ لا حدودِ الظُّباتِ
ألِفُوا في الكؤوسِ إذ مزَجُوها ، بَينَ ماءِ الحَيا وماءِ الحَياةِ
باحمرارٍ يَدِبّ في يَقَقِ الما ءِ دَبيبَ التّضريجِ في الوَجَناتِ[1]
سبَكَ الدّهرُ تِبرَها ، فتَراءتْ كسَنا الشّمسِ في الصّفا والصّفاتِ
جاءَ نَصّ الكتابِ بالنّفعِ فيها ، لو خلَتْ من مآثِمِ الشّبُهاتِ
نهكَ المُفرِطُونَ فيها حِمَى الإس لامِ مِن غَيرِ عِدّةٍ وثَباتِ
لو حَسَوها بما لها من شروطٍ ، بَدّلَتْ سَيّئاتِهم حَسَناتِ
قلتُ لمّا شَربتُها مع كرامٍ عرَفوا ما لها منَ الآياتِ
ولدَينا السّرورُ دانَ ، وعنّا الضّدُّ قد غابَ والزّمانُ مُواتِ :
كم يَفُوتُ المُعربدينَ على السّكْ رِ لدَينا من طَيّبِ اللّذّاتِ

---

١ اليقق : الأبيض ، البياض .

تحريم الراح

وقال وقد حرموا الشرب :

يَقولونَ لي: قد حَرّمَ الرّاحَ مَعشَرٌ، وعزّتْ، فقلتُ: اليَومَ عَفّ إزارُها
وقالوا: حِماها قد أحاطَتْ به الظُّبَى الـ ـمَواضي ، فقلتُ: الآنَ طابَ مَزارُها

شربها للدواء حل

رَوِّني من سُلافَةِ الصّهباءِ ، فهيَ تَروي من سائرِ الأدواءِ
واسقِياني بل اشفِياني ، فحِفظُ الـ ـنّفسِ خَيرٌ من أنْ أمُوتَ بدائي
إن يكُ شربُها حَراماً على النّا سِ بنَصّ الكتابِ والأنباءِ
شربُها للدّواءِ حِلٌّ لباغيهِ ، قياساً لها على المُومِياءِ[1]

---

[1] المومياء : ضرب من الدواء .

قم هاتها

وقال مسمطاً لأبيات لابن حمديس الصقلي :

قد أيقظَ الصّبحُ ذواتِ الجَناح ، وعَطّرَ الزّهرُ جيُوب الرّياح
وارتاحَتِ النّفس إلى شُربِ راح ، قم هاتِها من كفّ ذاتِ الوِشاح
فقد نعَى اللّيلَ بَشيرُ الصّباح

باكِرْ ، فطَرف الدّهرِ في غَفلَةٍ ، وأنتَ من يَومِكَ في غَفلَةٍ
فاعجَلْ ، فظِلُّ العَيشِ في نُقلَةٍ ، واحلُلْ عُرى نومِكَ عن مُقلَةٍ
تُقِلُّ ألحاظاً مِراضاً صِحاح

فقاطِعِ الغُمضَ ، وصِلْ نَشوَةً ، تُوليكَ من بَعد الصِّبا صَبوَةً
ولا تَرُمْ من سُكرِها صَحوَةً ، خلّ الكَرَى عَنكَ ، وخُذ قهوَةً
تُهدي إلى الرّوحِ نَسيمَ الرّياح

باكِرْ صَبوحَ الرّاحِ بَينَ الدُّمَى مع كلّ بَدرٍ فاقَ بَدرَ السّما
من كلّ حُلوِ اللّفظِ عَذبِ اللّمَى ، هذا صَبوحٌ وصَباحٌ ، فَما
عذرُكَ عن تَركِ صَبوحِ الصّباح

إنْ لَذّةٌ وافَتْ ، فكن أهلَها ، مَخافَةَ أن لا تَرَى مثلَها
وإن نأتْ صارِمَةً حَبلَها ، بادِرْ إلى اللّذّاتِ واركَبْ لها
سَوابِقَ اللّهوِ ذواتِ المِراح

أما تَرى اللّيلَ بنا قَد طَحَا ، والصُّبحَ بالنّورِ لهُ قد مَحَا
قم فارشُفِ الكأسَ ودَعْ مَن لحَا من قبل أن ترشُفَ شمسُ الضّحى
رِيقَ الغَوادي من ثُغُورِ الأقاح

هبوا

هُبّوا ، فقَد قُدّ ذيلُ اللّيلِ من دُبُرِ ، ونَبّهَ الصّحبَ شدوُ الوُرقِ في السّحَرِ
وأقبَلَ الصّبحُ يدعُو بالصّبوحِ لَنا ، مُناجِياً بلِسانِ النّايِ والوَتَرِ
فاستَيقِظُوا من ثيابِ السّكرِ وابتدروا راحاً تُريحُ من الأحزانِ والفِكَرِ
مُدامَةً أثرَتْ في وَجهِ شارِبِها ، أضعافَ تأثيرِ نورِ الشّمسِ والقَمَرِ
يَسعَى بها ثَمِلُ الأعطافِ يُسعِفُها بنَشوَةٍ من سُلافِ الغُنجِ والحَوَرِ

إكسير السرور

أقولُ لراوُوقٍ تَضَمّنَ راحَنا : بقلبكَ إكسيرُ السّرورِ، فلِمْ تَبكي؟
فقالَ : همَتْ عَيني ، وسِنّيَ ضاحكٌ ، وقد تَدمَعُ العَينانِ من شدّةِ الضّحكِ

جيب الظلماء

وليلةٍ خرّقتُ عن صُبحِها جَيباً ، من الظّلماءِ، مزرورَا
شاهدتُ بَدرَ التمّ فيها ، وقد كوّرَ شمسَ الرّاحِ تكويرَا
بتنا بها نَشرَبُ من قَهوةٍ قدّرَها السّاقونَ تقديرَا
إن لم تكُن أكوابُنا فِضّةً كانَتْ قَواريرَ قَواريرَا

كلوا واشربوا

أذَى الجسمِ شربُ الرّاحِ قبلَ اغتذائِه ، وللنّفسِ منهُ غايةُ القبضِ والثّقلِ
كُلوا واشرَبُوا أمرٌ بترتيبِ شُربِها ، ولا تَشرَبوا الصّهباءَ ، إلاّ على أكل

اشربها على حذر

قالوا : خلا الوقتُ فاشرَبها على حذَرٍ ، فقلتُ : هيهاتَ أمرٌ ليسَ ينكتِمُ
كيفَ السّبيلُ وكلٌّ ، حين يَشرَبُها ، يَجُولُ في وَجهِهِ بعدَ الصّفارِ دَمُ

أسياف البرق

لجيشِ الحَيا في مأقطِ الرّوضِ مَعرَكٌ ، كأنّ لهُ ثأراً على الأرضِ يُدرَكُ[1]
إذا استَلّ فيهِ الرّعدُ أسيافَ برقِهِ ، فليسَ بهِ إلاّ دَمُ الزّقّ يُسفَكُ
فيا حبّذا! فَصلُ الخَريفِ ومُزْنُهُ ، وسِتْرُ السّحابِ الطّلقِ بالبرقِ تُحبَكُ
وللطّلّ في الغدرانِ رَقْشٌ مُنَمنَمٌ ، كأنّ أديمَ الماءِ صَرْحٌ مُشبَّكُ
ولم أنسَ لي في دَيرِ سَهلانَ لَيلَةً ، بها السُّحبُ تَبكي والبوارِقُ تَضحكُ
و ثَوبُ الثّرى بالزّعفَرانِ مُعَطَّرٌ ، وللرّيحِ ذَيلٌ بالرّياضِ مُمَسَّكُ
وأقبَلَ شَمّاسٌ وقَسٌّ وأسقُفٌ ، ومِطرانُهم مع مَقربانٍ وبَطرَكُ
يَحفّونَ بي حتى كأنّي لدَيهِمُ حَبيبٌ مُفَدّى ، أو مَليكٌ يُمَلَّكُ
ويُصغونَ لي عِلماً بأنّي لبَحثِهِم عُذَيقُ جَناهُ ، والجُذيلُ المُحكَّكُ[2]
وأقبَلَ كلٌّ منهُمُ بمُدامَةٍ ، بها كانَ في تَقديسِهِ يتَنَسّكُ
فذلكَ نَحوي يَحمِلُ الكأسَ جاثِياً ، وهذا بمَسحِ الكَفّ بي يتَبَرّكُ
وطافوا بكأسٍ لا يُوَحِّدُ راحُها ، ولكن لها في الكأسِ ماءٌ يُشَرِّكُ
مشَعشعَةٌ يُخفي الزّجاجُ شُعاعَها ، فمن نُورِها سِترُ الدُّجُنّةِ يُهتَكُ
توَهّمَها السّاقُونَ نُوراً مُجَسَّماً ، فظَلّتْ بها بَعدَ اليَقينِ تُشَكِّكُ
إذا قَبّلوها يُنعِشُ الرّوحَ لُطفُها ، وإن تَرَكوها ، فهيَ للجِسمِ تَهتِكُ

١ قوله : مأقط ، هكذا في الأصل ولم نجدها .
٢ العذيق ، مصغر عذق : هو من النخل كالعنقود من العنب . الجذيل ، تصغير الجذل : أصل الشجرة . يقال : انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب، يقوله الرجل الذي يستشفى برأيه وعقله .

وإنْ سامَحوها في المزاجِ تمرَّدَتْ ، ومالتْ فكادتْ أنفُسُ الصّحبِ تهلَكُ
فتَكنا بسَيفِ الماءِ فيها ، فحاوَلَتْ قِصاصاً، فباتتْ وهيَ في العقلِ تَفتُكُ
وهَبَّ لَنا شادٍ كَريمٌ نِجادُهُ ، خُؤولتُهُ في الفَخرِ قَيسٌ وبَرمَكُ
يُحرِّكُ أوتاراً تُناسِبُ حسَّها ، بها تَسكُنُ الأرواحُ حينَ تُحرَّكُ
إذا جَسَّ للعشّاقِ عُشّاقَ نَغمَةً يُشارِكُها في اليَمِّ رَستٌ وسَلمَكُ[1]
ورتّلَ من شِعري نَسيباً مُنَقّحاً ، يكادُ يُعيرُ الرّاحَ سُكراً ويُوشِكُ
إذا ما تَأمّلتُ البُيوتَ رأيتُها نُضاراً بنارِ الألمَعيّةِ يُسبَكُ
ولمّا مَلَكتُ الكأسَ ثمّ حسَوتُها ، تَقاضَتْ فظلّتْ، وهيَ للعقلِ تَملِكُ
بَخلتُ على الأغيارِ منها بقَطرَةٍ ، وجُدتُ لساقيها بما كنتُ أملِكُ
وناوَلتُهُ كأساً ، إذا ما تمَسّكَتْ يَداهُ بها ظَلّتْ بها تتَمَسّكُ[2]
فظَلّ إلى اللّذّاتِ يَهدي نُفُوسَنا ، على أنّه لا يَهتَدي أينَ يَسلُكُ
فلا تَنسَ في الدّنيا نَصيبَكَ ، وابتَدِرْ إلى الرّاحِ ، إنّ الرّاحَ للرّوحِ تُمسِكُ
وثِقْ أنّ رَبّ العَرشِ ،جلّ جَلالُه، غَفُورٌ ، رَحيمٌ ، للسّرائرِ مُدرِكُ
وما كانَ من ذَنبٍ لدَيهِ ، فإنّهُ سيَغفِرُهُ إلاّ بهِ حينَ نُشرِكُ

---

١ العشاق الثانية : لحن من ألحان الغناء ، وكذلك الرست والسلمك .
٢ تتمسك : تتضمخ بالمسك .

السلاف النافعة

وقال وهي لزوم ما لا يلزم :

حلّتِ المُومياءُ ، وهيَ من المَيْـ ... تَةِ ، بعدَ التّحريمِ للنّفعِ فيها
وسُلافٌ بنَفعِها نَطَقَ القرآ ... نُ قد حُرّمَتْ على عارِفيها
يَلبَسُ الجَهلَ مَن قَصَدَ السّكـ ... رَ ، فيُمسي بها الحَليمُ سَفيها

السجود للخمر

وقال وهي لزوم ما لا يلزم :

أنِفَ الخمّارُ من فَرطِ خِباها ، ... ورأى الصَّونَ احتكاراً فسَباها
قَهوَةٌ ، لو قيلَ للشّمسِ اسجُدوا ... وبَدَتْ حُقّتْ على النّاسِ اشتباها
جَرّدَ المَزْجُ علَيها سَيفَهُ ، ... عندَما سَلّتْ على اللّيلِ ظُبَاها
وأباها المَزجُ لمّا مُزِجَتْ ، ... وإذا ما انتَسَبَتْ كانَ أباها
فرأينا اللّيلَ صُبحاً عندَما ... برَزَتْ تُجلَى علَينا من خِباها
هتكَتْ أنوارُها سِترَ الدّجَى ، ... بصِفاحٍ خرّقَ اللّيلَ سَناها
قابلَتنا ، فسَجَدنا هيبَـةً ... لمحَيّاها ، وعَفّرنا الجِباها

في رياضٍ عطّرتْ أنفاسُها سائرَ الآفاقِ ، إذ هبّتْ صَباها
ألبَستها السُّحبُ من وَشْيِ الكَلا حُلَلاً ، مُذْ بلَغَ السّيلُ رُباها
فقضَينا لذّةَ النّفسِ بها ، في صَفا عيشٍ بهِ الدّهرُ حَباها

تحريم الخمر وتحليلها

نهَى اللهُ عن شربِ المُدامِ لأنّها مُحرّمةٌ ، إلاّ على مَن لَهُ عِلمُ
وقد جاءَ في القرآن إثباتُ نفعِها ، ولكن فيهِ من توابِعِها إثمُ
وذاكَ بقَدرِ الشّاربين وعقلِهِم ، ففي مَعشرٍ حِلٌّ ، وفي مَعشرٍ حُرْمُ
ولو شاءَ تحريماً على كلّ مَعشَرٍ لقالَ رسولُ اللهِ لا يُغرَسُ الكَرمُ

كن للهم ذا مقت

قال في السبت :

ألا يا مَلِكَ العَصـ ـرِ ، ويا نادِرَةَ الوَقتِ
ومَن شرّفَ قَدرَ الدّسـ ـتِ ، والكرسيَّ والتّختِ

وَمَن ما زالَ صَدرَ الجَيـ ... شِ والموكبِ والدَّستِ
ألا فانظُرْ إلى الفِردَوْ ... سِ كالفردوسِ في النّعتِ
وبادِرْ غيرَ مأمُورٍ ... وكُنْ للهَمّ ذا مَقتِ
وزفّ الرّاحِ لا زِلتَ ... سَعيدَ الجَدّ والبَختِ
مِنَ السّبتِ، إلى السّبتِ، ... إلى السّبتِ، إلى السّبتِ

واصل الشرب

قال في الأحد :

يا مالِكَ العَصرِ ، ومَن ... لجُودِهِ الغَيثُ حَسَدْ
ومَن حوَى مكرُمةَ الـ ... أنواءِ مع بأسِ الأسَدْ
أما تَرَى الزّهرَ ، وقد ... أجّجَ ناراً ووَقَدْ
وانتبَهَ الدّهرُ لَنا ، ... مِن بَعدِ ما كانَ رَقَدْ
فاغتَنِمِ العَيشَ ، ولا ... تردّ منهُ ما وَرَدْ
وواصِلِ الشّربَ، وقُل ... أنجَزَ حرٌّ ما وَعَدْ
من الأحدْ ، إلى الأحد ، ... إلى الأحَد ، إلى الأحَدْ

خذ اللذات من الاوقات

قال في الاثنين :

أيا ذا الفَخرِ ومَلْكَ العَصرِ   وسامي القَدرِ على النّسرَينِ
وربَّ الفَضلِ ،وجمَّ البَذلِ ،   ومن بالعَدلِ حكَى العُمَرَينِ
أرى الأنوارَ من النُّوارِ   شَبيهَ النّارِ بدَتْ للعَينِ
فقُم من بَعدِ نُهوضِ السّعدِ   فإنّ الوَعدَ شَبيهُ الدَّينِ
خُذِ اللّذّاتِ من الأوقاتِ   ودَعْ ما فاتَ قُبيلَ البَينِ
وقُمْ نَرتاحُ لشُربِ الرّاحِ ،   فللأقداحِ سَناها زَينِ
من الاثنَينِ ، إلى الاثنَينِ ،   إلى الاثنَينِ ، إلى الاثنَينِ

باكر الراح

قال في الثلاثاء :

يا مَن غَدا للأنام غَيثاً ،   وَجُودُهُ للوَرى غِياثَا
ومَن إذا جارَ صَرفُ دَهرٍ ،   فقَد نجَا مَن بهِ استَغاثَا
أما تَرَى الزّهرَ وهوَ زاهٍ ،   والجونَ قد جادَهُ وغاثَا[1]

[1] أراد بالجون : السحاب الأسود .

وقد وَفَى دَهرُنا ، وكانَتْ حِبــالُ مِيعادِهِ رِثَاثَا
فاغتَنِمْ وفي مَوعِدِ اللّيالي من قَبلِ أن تُحدثَ انتِكاثَا
وباكِرِ الرّاحَ كلّ يومٍ ، ولا تَرُمْ دونَها التِباثَا
مِنَ الثّلاثا ، إلى الثّلاثا ، إلى الثّلاثَا ، إلى الثّلاثَا

ثب إلى قهوة

قال في الأربعاء :

أيا مَلِكاً رَبعُهُ للعُفاةِ ، رَحيبُ الفِناءِ رَفيعُ البِناءِ
ومَن وجهُه مثلُ شَمسِ النّهارِ عَزيزُ المَقالِ عَزيزُ السّناءِ
ومَن إن أرَدنا دُعاءً لَنا ، دَعَــونا لأيّامِــهِ بالبَقاءِ
ألستَ تَرَى الأرضَ قد زُخرِفتْ، وقد ضَحِكتْ من بُكاءِ السّماءِ
فثُبْ كلّ يَومٍ إلى قَهوَةٍ ، تشاكَلُ كاساتُها في الصّفاءِ
ومُرْ ساقيَ الرّاحِ يَمزُجْ لَنا مِياهَ الحَياةِ بمـاءِ الحَيَاءِ
من الاربعاءِ ، إلى الاربعاءِ ، إلى الاربعاءِ ، إلى الاربعاءِ

اطرد لنا وهم الحوادث بالكميت

قال في الخميس :

يا صاحبَ الفَضلِ العَميـ م ِ، وصاحبَ الرَّبعِ الأنيسِ
ومَنِ انجلَى بضياءِ بَهـ جتِه دُجى الخَطبِ العبوسِ
انظُرْ إلى زَهرِ الرّيـا ضِ عليكَ يُجلى كالعروسِ
والدّوحُ قد جعَلَ الشّقيـ قَ برانساً فوقَ الرّؤوسِ
فاطرُدْ لنا وَهمَ الحَوا دِثِ بالكُميتِ الخندَريسِ
في كلّ يوم تَجتلي صَبّاً يُجلّى في الكؤوسِ
منَ الخميسِ ، إلى الخَميـ سِ ،إلى الخميس،إلى الخميسِ

بادر لذة العيش

قال في الجمعة :

أيا مَن خصّهُ اللهُ بحُسنِ الخُلقِ والطّلعَه
ويا مَن هوَ بالمُلكِ أحَقّ النّاسِ بالشّفعَه
ألا فانظُرْ إلى الأزهـا رِ في أنوارِها لمعَه

وضَحكِ الزّهرِ ، والرّاوُو قُ لا تَرقَى له دَمعَه
فبادِرْ لذّةَ العَيشِ ، وطِيبَ الوَقتِ والبقعَه
وزفّ الرّاحَ والرّاحا تِ في أيّامِكَ السّبْعَه
من الجمعَه ، إلى الجمعَه ، إلى الجمعَه ، إلى الجمعَه

حق الصداقة والجوار

أزِلْ بالخَمرِ أدواءَ الخُمارِ ، وعاقِرْ صَفوَ عَيشِكَ بالعُقارِ
وهُبّ معَ الصّباحِ إلى صَبُوحٍ ، وصِلْ آناءَ لَيلِكَ بالنّهارِ
وإنْ شرّفتَ مَجلِسَنا ، فإنّا لَنا حَقّ الصّداقَةِ والجِوارِ
فعِندي سادَةٌ غُرٌّ كِرامٌ ، يَزينُونَ الخَلاعَةَ بالوَقارِ
ومَجلِسُنا بهِ ساقٍ صَغيرٌ ، يُحَيّينا بأقداحٍ كِبارِ
إذا ما قلت: مَهلاً! قال: مَه لا، وحقّكَ ليسَ ذا يوم اختصارِ
وشادٍ قد حوَى في الخَدّ منهُ كما في الكأسِ من ماءٍ ونارِ
إذا أرضَى مَسامعنا بشَدوٍ ، تُجاوِبُهُ البَلابلُ والقَماري
وحضرَتُنا من الأزهارِ ملأى ، من الوَردِ المُكلّلِ بالبَهارِ
وفي مَيدانِنا فُرسانُ لَهوٍ ، كُماةٌ في المَجالسِ لا القِفارِ
رماحُهُمُ الشّموعُ بهِ ، وفيهِ دُخانُ النّدّ كالنّقعِ المُثارِ

وراحٌ في لُجَيْنِ الكأسِ تَحكي بصُفرَةِ لونِها ذَوبَ النُّضارِ
وقد عَقَدَ الحَبابُ لها نِطاقاً ، لمِعصَمِ كأسِها شِبهَ السُّوارِ
فَلا تَعزِمْ لَنا عُذراً ، فإنّا نُجِلّكَ عن مَقامِ الاعتذارِ
وعَجِّلْ بالتّفَضّلِ ، أو أرِحنا بمَنعِكَ عن عَناءِ الانتِظارِ

قم نلتقط اللذات

وقال يستدعي أحد الفضلاء
وهو تضمين لأعجاز أبيات
فاتحة الحماسة :

قم صاحِ نَلتَقِطِ اللّذّاتِ إن ذَهَلَتْ بَنُو اللّقيطَةِ من ذُهلِ ابنِ شَيبانَا
ولا تُطِعْ في اطّراحِ الرّاحِ ذا ملَقٍ ، عندَ الحَفيظَةِ إن ذو لَوثَةٍ لانَا
أما ترَى الصّحبَ إذ نادى النّديمُ بهم ، طاروا إليهِ زُرافاتٍ ووُحدانَا
إن قال : هبّوا لها كانَ السّرورُ لهُ في النّائِباتِ على ما قالَ بُرهانَا
قومٌ أقامُوا على لَذّاتِ أنفُسِهِم ، لَيسوا من الشرّ في شيءٍ ، وإن هانَا
لم يَسألوا عن وُلاةِ الجَورِ مَعدَلَةً ، ومِن إساءَةِ أهلِ السّوءِ إحسانَا
قد أقسَمَ الدّهرُ ان العَينَ ما نَظَرَتْ سواهمُ من جَميعِ النّاسِ إنسانَا
يُبدونَ عندَ الرّضَى ليناً ، فإن غَضِبوا ، شَنّوا الإغارَةَ فُرساناً ورُكبانَا

وقال يستدعي صاحباً إلى داره بماردين :

رَسائلُ صِدقِ إخوانِ الصّفاءِ ، تُجَدِّدُ أُنسَ خُلاّنِ الوَفاءِ
وأربابُ الوَدادِ لهم قلوبٌ ، يُذيبُ صَميمَها فَرطُ الجَفاءِ
فشَرِّفْ بالحُضورِ ، فإنّ قَلبي يُؤمِّلُ منك ساعاتِ اللّقاءِ
وحيِّ على المُدام ، ولا تَبِعها بما فوقَ الثّرى لكَ من ثَراءِ
فقَد وَشّى الرّبيعُ لَنا رُبُوعاً ، فوَشّعَها كتَوشيعِ الرّداءِ[1]
ونحنُ بمَنزِلٍ لا نَقصَ فيهِ ، رَحيبِ الرَّبعِ مُرتَفِعِ البِناءِ
وفي داري بُخارِيٌّ وخَيشٌ ، أُعِدّا للمَصيفِ وللشّتاءِ[2]
فهذا فيهِ شاذروانُ نارٍ ، وهذا فيهِ شاذروانُ ماءِ
ومَنظَرَةٍ بها شبّاكُ جامٍ رَقيقِ الجِرمِ معتَدِلِ الصّفاءِ[3]
يردّ البَردَ والأهواءَ عنّا ، ويأذَنُ للأشِعّةِ والضّياءِ
وبِركَتُنا بها فَوّارُ ماءٍ يُجيدُ القَصدَ في طَلَبِ السّماءِ
إذا سَفَرَ الصّباحُ لها أضاءَتْ بماءٍ مثلِ مَسرودِ الأضاءِ[4]

....

١ وشعها : أعلمها أي جعل لها علماً من طراز وغيره .
٢ البخاري : لعله أراد بساطاً بخارياً . الخيش : ضرب من المراوح كانوا يستخدمونها في الحر لاستجلاب الريح .
٣ الجام : الكأس ، ولعله استعاره للزجاج .
٤ الاضاء : الغدير .

وشادٍ يُرجِعُ الصّهباءَ سَكرَى بما يُبديهِ من طيبِ الغِناءِ
وساقٍ من بَني الأعرابِ طِفلٍ ، يَزين الحُسنَ منهُ بالذّكاءِ
ذَكاءُ قَريحَةٍ وذكاءُ نَشرٍ ، وأنوارٌ تَفُوقُ على ذُكَاءِ
وراحٌ تَعبَقُ الأرجاءُ منها ، كأنّ أريجَها طيبُ الثّناءِ
إذا اتّحدَتْ بجِرمِ الكأسِ أخفَتْ بساطعِ نُورِها جِرمَ الإناءِ
تُعَظّمُ قَدرَ كلّ سَليمِ طَبعٍ ، وتُصغِرُ قَدرَ أهلِ الكِبرياءِ
وقد سَتَرَ السّحابُ ذُكا ، وفُضّتْ جَلابيبُ الغُيومِ على الفَضاءِ
سَماءٌ بالغُيومِ شَبيهُ أرضٍ ، وأرضٌ بالخَمائلِ كالسّماءِ
فهُبّ إلى المُدامِ ، فإنّ فيها شِفاءٌ عندَ مُنقَلَبِ الهَواءِ
إذا دُرِئَتْ بها الأدواءُ جاءَتْ بما يُغنيكَ عن شُربِ الدّواءِ[1]
وقد زُرناكَ في أمسٍ ، فزُرنا نَكُنْ عندَ الزّيارَةِ بالسّواءِ
فشَرطُ الرّاحِ أن تَدعو وتُدعَى ، فتُسعِفَ بالإجابَةِ والدّعاءِ

---

١ درئت : دفعت .

رقص وسماع

وقال يستدعي أحد الأعيان بماردين
وقد برز للسفر ونصب خيمة له بظاهرها
ويذكره ليلة قبلها، وهي تضمين لأعجاز
من أبيات لامية العرب :

أُجِلُّكَ إن يَسخُ الزّمانُ ، وتَبخَلُ ، ويَعدِلُ فينا باللّقاءِ فتَعدِلُ
ويُسعِفُنا بالقُربِ منكَ ، فتَغتَدي ، ودونَكَ أستارُ التّحَجّبِ تُسبَلُ
فَمِلْ نحوَ إخوانِ الصّفاءِ ، ولا تَقُل ، فإنّي إلى قَومٍ سِواكم لأمْيَلُ
فإنْ لم تَزُرنا ، والخِيامُ قَريبَةٌ ، ولا سِترَ إلاّ الأتحميّ المُرَعبَلُ[1]
فكَيفَ إذا حَقّ التّرَحّلُ في غَدٍ ، وشُدّتْ اطيّاتٍ مَطايا وأرحُلُ[2]
فقَد مَرّ لي يومٌ سَعيدٌ لغَيمِهِ لبائدُ عن أعطافِهِ ما تَرَجّلُ[3]
ولَيلَةِ سَعدٍ يَصطَلي العُودَ ربُّها ، سُروراً ، وفي آنائِها البَدرُ يُشعَلُ
أدارَ بها الوِلدانُ كأساً رَويّةً ، وشَمّرَ منّيَ فارِطٌ مُتَمَهّلُ[4]
فنَحنُ وقد حَيّا السّقاةُ بشُربِها ، فَريقانِ مَسؤولٌ ، وآخَرُ يَسألُ
وهَبَّ لَنا شادٍ حكَى الغُصنَ قَدُّهُ ، ألفُّ ، إذا ما رُعتَهُ اهتاجَ ، أعزَلُ

---

١ الأتحمي : ضرب من البرود . المرعبل : الممزق .
٢ شدت المطايا : ركبت عليها أرحلها .
٣ اللبائد ، الواحدة لبيدة : ما تلبد من الشعر . الأعطاف : الجوانب. ترجل، من رجل الشعر : سرحه ومشطه .
٤ الفارط : متقدم القوم إلى الماء .

يَتجُسّ من الأوتارِ صُهباً ، كأنّها خُيوطَةُ ماريّ تُغارُ وتُفتَلُ[1]
يَفرّ بها من نَحرِهِ ، فكأنّهُ يُطالعُها في أمرِهِ كيفَ يَفعَلُ
إذا هزّ للتّرجيعِ رخصَ بَنانِه ، يَشُوبُ فتأتي من تُحَيتٍ ومن عَلُ
تُتابعهُ فيها رُمُوزٌ ، كأنّها مُرَزّأةٌ ثَكلَى تَرِنّ وتُعولُ[2]
إذا واحدٌ منها استَعانَ بصَحبِهِ ، دَعا ، فأجابَتهُ نَظائرُ نُحَّلُ[3]
وقامَتْ لَنا عندَ السّماعِ رَواقِصٌ ، عَذارَى عليهنّ المُلاءُ المُذَيَّلُ
يُحَرّكنَ في الكَفّينِ شِيزاً كأنّهُ قِداحٌ بكَفّيْ ياسرٍ تَتَقَلْقَلُ[4]
إذا الرّقصُ هزّ الرّدفَ منهنّ خِلتَهُ يَظَلّ بهِ المُكّاءُ يَعلُو ويَسفُلُ[5]
فشُبْ نحوَ صَحبٍ لم تَزَلْ مُتَفَضّلاً عليهم ، وكانَ الأفضَلَ المتَفَضِّلُ
فذا العَيشُ لا مَن أصبحَ السِّيدُ جارَهُ ، وأرقَطُ زُهلولٌ ، وعَرفاءُ جَيألُ[6]

---

١ ماري : اسم فاتل الخيوط . تغار : يحكم فتلها .
٢ المرزأة : المصابة بالرزيئة ، المصيبة .
٣ نظائر : أي ذئاب تشبهه . نحل : ضعيفة من شدة الجوع .
٤ الشيز : خشب أسود صلب جداً ، وأراد هنا آلة من آلات الطرب . الياسر : اللاعب بسهام الميسر .
٥ المكاء : طائر يصفر صفيراً .
٦ السيد : الذئب. الأرقط الزهلول : النمر الأملس. العرفاء: طويلة العرف ، أي شعر العنق. جيأل : من أسماء الضبع .

أدوات اللهو

وقال يستدعي أحد الأعيان للشرب :

تَصَدَّقْ ، فإنّا ذا النّهارَ بخَلوَةٍ ، إذا زُرتَها تَمّتْ لَدَيّ المَحاسِنُ
أوانٍ ، وساقٍ غَيرُ وانٍ ، ومُطرِبٌ، وراحٌ لها طيبُ السّرورِ مُقارِنُ
فإن زُرتَ مَغنانا تكُن أنتَ أوّلاً ، وعَبدُكَ ثانيها ، وشادٍ وشادِنُ
وخامسُها الرّاوُوقُ والكأسُ سادِسٌ، وسابعُها الإبريقُ ، والعُودُ ثامِنُ

ليلة السرور

هَذي لَيلَةُ السّرورِ الّتي كُـ ـلّ وَلِيٍّ بمِثلِها مَسرُورُ
وَأنا اليَومَ في طِلابِكَ كالدّو لابِ تَجري دُمُوعُهُ ويَدورُ[1]
ولدَينا راحٌ ونَقلٌ ومَشمُو مٌ ومُردٌ تُحيي النّفوسَ وَحورُ
وتَمامُ السّرورِ عندي إن أمـ ـكن من وَجهكَ الجميلِ الحضورُ

---

[1] أراد دولاب الناعورة .

إعادة الأيام الذاهبة

أيا ابنَ الكِرامِ الكُماةِ الحُماةِ ، كنوزِ العَفافِ وكَهفِ العُفاةِ
ويا مَن يرَى الجُودَ حتماً علَيهِ وفَرضَ الصِّلاتِ كفَرضِ الصَّلاةِ
ومن رأيُه في الأُمورِ الجِسامِ سُبلُ النّجاحِ وسُفنُ النّجاةِ
لقَد ساعَدَ الفِطرُ رَبَّ الصّيامِ بعيدِ مُوافٍ وعيشٍ مُؤاتِ
وعنديَ ظَبيٌ غَريبُ الجَمالِ غَزيرُ الصّفاءِ عَزيزُ الصّفاتِ
يُديرُ الصّفاءَ كَماءِ الحَيـا ، وماءِ الحَياءِ ، وماءِ الحَياةِ
وقد طَبّقَ الجَوَّ غَيمٌ جَهامٌ أحاطَ بهِ من جَميعِ الجِهاتِ[1]
ونحنُ نُقابلُ جَيشَ الرّبيعِ بزَفّ الهَناءِ ، وزنّ الهَناتِ[2]
فساعِدْ سَعِدتَ بنَيلِ الوِفاقِ لأهلِ الوَفاءِ قُبيلَ الوَفاةِ
وزُرنا ، فإنّ ألَذّ الهِبـاتِ إعادَةُ أيّامِنا الذّاهِبـاتِ

ليلة صالحة

شرّفْتَ بالأمس بنَقل الخُطَى ، حتى انقَضَتْ لي لَيلَةٌ صالحَه
فعُدْ بها حتى تَقُولَ الوَرَى : ما أشبَهَ اللّيلَةَ بالبارحَه

---

١ الجهام : الذي لا مطر فيه .
٢ قوله : زن ، هكذا في الأصل . الهنات ، الواحدة هنة : الشيء .

حيّ على الراح

وقال يستدعي فقيهاً كان
يوافقه في المطبوخ :

أيا صاحباً ساءَني بُعدُهُ ، فما سرّني القُربُ من صاحبِ
لئن كنتَ عن ناظري غائباً ، فعن خاطري لستَ بالغائبِ
ألستَ ترى الدّهرَ يجري بنا ، كجَري المَطيّةِ بالرّاكبِ
فزُرني أعُدْ بكَ مُستَدرِكاً لما فاتَ من عَيشِنا الذّاهبِ
فعندي قَليلٌ من البختجوشِ ، هَدايا فَقيهٍ إلى تائبِ[1]
كأنّ شَذا عَرفِها عَنبَرٌ ، يُلاثُ بهِ شاربُ الشّاربِ
وغُرفَتُنا خَلوَةٌ للعُلومِ أُعِدّتْ كصَومعَةِ الرّاهبِ
وقَينَتي خَلفَ كُتبِ الصِّحاحِ تحتَ الجِرارِ إلى جانبي[2]
إذا شمّها النّاسُ كابرَتُهم ، وأقسَمتُ بالطّالبِ الغالبِ
وإن شوهدَتْ قلتُ : نيمختج أُداوي بهِ وجَعَ الحالبِ[3]
ولن يُنكِرَ النّاسُ إن زُرتَني لسعي فَقيهٍ إلى كاتبِ
فحَيّ على الرّاحِ قَبلَ الدّروسِ ولا تَجعَلِ النّدبَ كالواجبِ
وخُذها بأوفَرِ أثمانِها ، ولا تأسَ من غِبطَةِ الكاتبِ
وغالِ بها ، انّها جَوهرٌ ، فقيمَتُها غَرَضُ الطّالبِ

١ البختجوش : ضرب من المآكل ، أو المشارب .
٢ قوله : قينتي ، هكذا في الأصل ، والوزن مختل .
٣ نيمختج : الظاهر أنه ضرب من الأدوية .

تصدّق

وقال أيضاً يستدعي صديقاً :

تَصَدّقْ ، فإنّا على حالَةٍ ... تُقَلِّدُ بالمَنّ جيدَ الزّمانِ
تُضاعِفُ بالأمن بأسَ الشّجاع ... وتُضعِفُ بالرّعب قلبَ الجبانِ
يَسُرّ المَسامعَ في جَـوّه ... هَديرُ القَناة وشَدوُ القِيانِ
وعنديَ ساقٍ يَنُوبُ المدامَ ، ... فيُسكِرُنا بلَطيف المَعاني[1]
وتَحسبُ قَهوتَنا كاهِناً ... لِما أظهرَتْ من صفاتٍ حِسانِ
إذا ما حَساها الفَتى وُكّلَتْ ... بحَلّ الضّمير وعَقد اللّسانِ

منة لا تجحد

إن كانَ يُمكِنُ أن تشرّفَ مَنزلي ، ... فلتِلكَ عندي مِنّةٌ لا تُجحَدُ
فالعَبدُ في هذا النّهار بخَلوَةٍ ... مَحجوبَةٍ ، وبها ثَلاثٌ تُحمَدُ
راحٌ مُعَتّقَةٌ ؛ وشادٍ مُطربٌ ، ... طَلَقٌ مُحَيّاهُ ، وساقٍ أغيَدُ
من بَعد ما قد كانَ مَجلِسُهُ كما ... قالَ الوَليدُ لكَي به يستَشهِدُ
فأقلُّ خلوَته انتَفيفَةِ مَحفِلٌ ، ... وأخَفُّ مَجلِسه المحَجّبِ مَشهَدُ

١ ينوب المدام : أر د ينوب عن المدام فنصب بنزع الخافض .

اللبيب يبتدر

وقال في مثله أيضاً :

لَيسَ عنكَ مُصطَبَرُ ، حينَ أسعدَ القَدَرُ
إنّ صَفوَ عيشَتِنا ، لا يَشوبُهُ كَدَرُ
فابتَدِرْ لمَجلسِنا ، فاللّبيبُ يَبتَدِرُ
واعجبنْ لشمس ضُحًى ، قد سَعَى بها قَمَرُ
والخطُوبُ غافِلَةٌ ، والرّفاقُ قد حَضَرُوا
والعُيونُ ناظرَةٌ ، والقُلوبُ تَنتَظِرُ
غَيرَ أنهم نَفَرٌ عن رضاكَ ما نَفَرُوا
إن منَحتَهم شكَرُوا ، أو منَعتَهم عذَرُوا

أنعم وشرف

أنعِمْ وشرِّفْ بالجَوابِ ، أو زُرْ فقد زادَ الجوَى بي
فبِمَجلِسِي صِرفُ المُدام لَدَى سَواقينا الجَوابي
وبه القُدورُ الرّاسياتُ لدَى جِفانٍ كالجَوابي

ليلة بالدير

وقال يستدعي صاحباً إلى
الشرب بدير سهلان بماردين :

قد مَرّ لي لَيلَةٌ بالدّير صالحَـةٌ ، مع كلّ ذي طَلعَةٍ بالبَدر مُشتبهِ
وقد عزَمتُ بأن أغشاهُ ثانيَـةً ، فهَل تُعينُ على غَيٍّ همَمتُ بهِ

مجلس شارفُ الكمال

وقال يستدعي صديقاً له في أواخر
شهر شعبان :

قُم بنا في صباحِ يومِ الخَميسِ نتَلَقّى الصّيامَ بالتّنهيسِ[1]
ثمّ قَدّمْ لَنا التّأهّبَ للصّومِ ، وَداعَ السّلافَةِ الخَندَريسِ
لا تَقُلْ إنّها لَيالٍ شِرافٌ ، لَستُ ألقَى سُعُودَها بنُحوسِ
إنّ يَوماً مبارَكاً لاجتِلاءِ الـ رّاحِ خَيرٌ من هَولِ يومٍ عَبُوسِ
فغَـدا يَقرأُ الصّيامُ بفَحوا هُ على النّاسِ آيَةَ الدّبُوسِ
وتَرى بَينَنا وبَينَ المَلاهي وكؤوسِ المُدامِ حَربَ البَسوسِ

---

١ التنهيس ، من نهس اللحم : أخذه بمقدم أسنانه .

فالقَ صَدرَ الخَميسِ منكَ بصَدرٍ، لم يزَل في الهياجِ صَدرَ الخَميسِ[1]
فلَدَينا مُـدامَةٌ ونَدامَى ، كبدورٍ قد أحدَقَتْ بشُموسِ
كلُّ شَهمٍ أجرا جَناناً من الصّقـ ـرِ ، وأبهَى حُسناً من الطّاوُوسِ
مَجلِسٌ شارَفَ الكَمالَ ، ولا يكْـ ـمُلُ إلاّ بوَجهِكَ المَحرُوسِ

بلك نعوذ ونلوذ

وقال يستهدي شراباً من الملك
ناصر الدين محمد ابن الملك
المنصور طاب ثراهما :

بكَ من حادث الزّمان نَعُوذُ ، وبأبوابِكَ الشّراف نَلُوذُ
ولكَ الأنعُمُ التي كلَّ حدسٍ بَينَنا غَيرَ شُكرِها مَنبُوذُ
يا مَليكاً للمال منهُ نَفادٌ ، ولآرائِه الشّرافِ نُفُوذُ
قد خلَونا بمَجلِسٍ كلُّ ما فيـ ـهِ ، سوى البُعد عن عُلاك،لذيذُ
ولدَينا شادٍ ، ونَقلٌ ، ومَشمو مٌ ، وطَيرٌ يُشوَى ، وخبزٌ سَميذُ
وغلامٌ من النّصارى بماء الـ ـحُسن قَبلَ اعتمادِه مَعمُوذُ
لو رأى لَفظَهُ الرّئيسُ ابنُ سينا سرّهُ أنّـهُ لَهُ تِلميذُ

---

١ الخميس الأول : يوم الخميس . الثاني : الجيش من خمس فرق .

قد أخذناهُ من ذويه ، ولكن كلُّ قلبٍ في أسره مأخوذُ
ومسرّاتُنا تمامٌ ، فما أعوَ زَ بينَ الرّفاق إلاّ النّبيذُ
أعوزَتْ بغتةً فحاليَ موقو فٌ ، وقلبي لفقدِها مفقوذُ
إن تُساعِدْ بها ، فكم من أيادٍ لكَ فكري لشكرها مشحوذُ
قيّدَتْ شاردَ الثّنا لك والشّكـ رَ ، فما للثّناء عنها شذوذُ

أعوزت الراح

فسدَ الشّربُ حينَ أعوزَتِ الرا حُ ، وحالَتْ قواعدُ النّدمانِ
وحقيقٌ ، إذا تعذّرَت الشّمـ سُ ، فسادُ النّباتِ والحيَوانِ
فتصدّقْ بقهوةٍ ، إنْ تجلّتْ في الأواني ، ظننتَ فيها الأواني

وعد ومطل

وعدتُ النّدامَى بالمُدام ، فلَم أجِد مُنى النّفس ، واستَحييتُ من كثرَة المطلِ
فمُنَّ بأرطالٍ عليَّ حبيبَــةٍ إليَّ ، فإنّي أعشَقُ المَنَّ بالرّطلِ

لا تحرماني منكما

وقال يحرض نديمين كانا
يكثران النوم في مجلسه :

خَليليّ هُبّا كلّ يومٍ ولَيلَةٍ ، ولا تَطعَما حتى الصّباح كَراكمَا
فإنّ لُيَيلات الشّتاء أنيسَةٌ ، إذا نمتُما قد فازَ فيها سِواكُمَا
وقد أمكَنَتْ في مَجلِس الشّربستّةٌ ، وكلٌّ على وفق الصّواب رضاكُمَا
شمُوعٌ ، وشَمّامٌ ، وشادٍ ، وشادنٌ ، وشَهدٌ ،وشَرْبٌ يَشتَهي أن يَراكمَا
فلا تَحرماني منكما حُسنَ صُحبَةٍ ، ألَذُّ بها ، إنّي محبّ لذاكُمَا
وإن كانَ هذا العيشُ من غير مانعٍ ، فلا أحسَنَ الرّحمنُ فيه عَزاكُمَا

الحياة غرور

وقال يستدعي صديقاً له :

ثُبْ إلى اللّذّات ، فالعمرُ قَصيرُ ، وحَياةُ المَرء في الدّنيا غُرُورُ
لا تَدَعْ نَهبَ سرُورٍ عــاجِلاً ، كلّما أمكَنَ في الدّنيا سُرُورُ
فأسرِعِ الخَطوَ ، فعِندي شاد نٌ ، وفَتاةٌ ، وخمُورٌ ، وأُمورُ
وسُقاةٌ ، وحُداةٌ ، وغِناً ، وجُنوكٌ ، وطُبولٌ ، وزُمورُ
كلّما دُرنا رأينــا بَينَنــا شادناً يَشدو ، وكاساتٍ تَدورُ

الحشيش والفقاع

وقال في مثله وقد نودي بإبطال الشرب :

قُم بنا إنّا قَصَدنا الاجتماع ، لا مُدامٌ وحَضرَةٌ وسَماع
لَيسَ من شأنِنا التَقَيّدُ بالشّر ب ، فإن زالَتْ زالَتِ الأطماع
إن يكن صدّنا عن الرّاح ذو الأم ر ، وذو الأمر في الأمور مُطاع
فلَدَينا مُدامَـةٌ ما أتَى النّ صّ بتَحريمِها ولا الإجماع
إن يكنْ حُرّمَ المُدامُ علَينا ، فلَدَينا الحَشيشُ والفُقّاع[1]

كيف رضيت أن أشكوك

وقال يستدعي صديقاً له إلى داره بماردين في ليالي الشتاء ويصف ما بالمجلس ويعاتبه عن تأخره :

حوَيتَ الحمدَ إرثاً واكتِساباً ، وفُقتَ النّاسَ فَضلاً وانتِساباً
فكيفَ رَضيتَ أن أشكوكَ يوماً ، وأُغلِظ في الكتابِ لكَ العِتابا

---

١ الفقاع : الشراب يتخذ من الشعير .

أُزَجّي الكُتْبَ من فَذّ ٍ ومَثْنَى ، فلَستَ تُعيدُ عن خَمس ٍ جَوابَا
وأحسَبُ عَدّها ببَنان ِ كَفّي ، كذلكَ شأنُ مَن عَملَ الحسابَا
فكَمْ أُوليكَ وداً واعتقاداً ، فتُوليني صُدوداً واجتنابَا
هدَمتَ القَلبَ ثمّ سكَنتَ فيه ِ ، فكَيفَ جعلَتَ مَسكنكَ الخَرابَا
فزُرنا إنّ مَجلِسَنا أنيقٌ ، يَكادُ يُعيدُ مَنظَرُهُ الشّبابَا
يُقابِلُهُ بُخاريٌّ تَلَظّى ، فتَحسَبُ حَرّ آب ٍ منهُ آبَا[1]
لهُ تاجٌ يُريكَ النّارَ تُجلَى ، وتَنظُرُ للدّخان ِ به ِ احتِجابَا
فوِلدانٌ تُديرُ بذا مُداماً ، وغِلمانٌ تُديرُ بذا كِتابَا
ولَيلَتُنا شَبيهُ الصّبح ِ نُوراً ، وقد عقَدَ البَخورُ بها ضَبَابَا
كأنّ ظَلامَها بالشّمع ِ فَودٌ ، وقد وَخَطَ القَتيرُ به ِ ، فَشابَا[2]
ويَرفُدُ ضَوءَ شَمعَتِنا غُلامٌ لها في اللّيل ِ تَحسَبُهُ شِهابَا
تَقاصَرَ دونَها قَدّاً ، وقَدراً ، وجاوَزَها ضياءً والتهابَا
إذا اقتَسَمَ العَقائرَ مَن لَدَيها ، جعَلنا اسمَهُ الشّحمَ المُذابَا[3]
وقَهوَتُنا من المَطبوخ ِ حِلٌّ ، إذا دُعيَ الفَقيهُ لها أجابَا
تَجلّتْ في الزّجاج ِ بغَير ِ خِدر ٍ ، وصَيّرَت ِ الحَبابَ لها نِقابَا
ولمّا ساقَنا نَظمٌ بَديعٌ ، يَسرّ النّفسَ خَطّاً ، أو خِطابَا
جَعَلنا الماءَ شاعرَنا ، فلَمّا جرَت في فكره ِ نَظَمَ الحَبابَا

١ بخاري : لعله نوع من المواقد .
٢ الفود : جانب الرأس . القتير : أراد الشيب .
٣ العقائر ، الواحدة عقيرة : ما عقر ، أي نحر من الصيد وغيره .

فزُرنا تَكمُلِ اللّذّاتُ فينا ، ولا تَفتَحْ لَنا في العَتبِ بَابا
ولا تَجعَلْ كلامَ الضّدّ عُذراً ، تَصُدّ بهِ الأحبّةَ والصّحابَا
فإنّ الرّاحَ للأرواحِ روحٌ ، إذا حَضَرَتْ لدَفعِ الهَمّ غابَا
ومثلُكَ لا يُدَلّ على صَوابٍ ، وأنتَ تُعَلّمُ النّاسَ الصّوابَا

شبهة النعاس

وقال يخاطب نديماً تخصص
دونه بليلة صالحة :

أخبرَتْ شُبهَةُ النّعاسِ بعَينَيـ لكَ صَباحاً عن المَساءِ السّعيدِ
وفَهِمنا مِنَ الفُتورِ نَشاطاً ، كانَ منها في نَهبِ وردِ الخُدود
وعَلِمنا لِمَ طُلّقَتْ لذّةُ الغُمـ ضِ ، بما راجَعت من الشّهيدِ[1]
فلِخَمرِ السّهادِ فيها خُمارٌ ، مُخبِرٌ بانقِضاءِ عَيشٍ رَغيدِ

ذنب السكر

وقال يعتذر إلى أحد الأعيان
من هفوة جرت منه على السكر :

إن أكنْ قد جَنَيتُ في السّكرِ ذنباً فاعفُ عنّي يا راحَةَ الأرواحِ
أيّ عَقلٍ يَبقَى هناكَ لمِثلي ، بينَ سُكر الهوى وسُكر الرّاحِ

١ عجز البيت مختل الوزن .

أخلاق كالراح

وما كانَ ذا سكري من الرّاح وحدَها، ولكن لأسبابٍ يقُومُ بها العُذرُ
جَمَعتَ لنا راحاً وروحاً وراحةً، وكلٌّ لهُ في العقل ما تفعَلُ الخمرُ
وأبدَيتَ أخلاقاً حكَى الرّاحَ فعلُها، وليسَ عجيباً أن يُتَعتِعَني السّكرُ

لا توبة عن الخمر

خبّروني عنّي بما لستُ أدري، من أمُورٍ أبدَيتُ في حالِ سُكري
فاعترّاني الحيَا، وكِدتُ، وحاشا يَ بأنّي أتُوبُ عن كأسِ خمري
ثمّ راجَعتُ رُشدَ عقلي وكفّر تُ يَميناً، كانتْ وَساوِسَ صَدري
فلئِن كنتُ قد أسأتُ فموَلا يَ على سَكرَتي يُمَهّدُ عُذري
لم يكن ذاكَ عن شُعوري ولكنْ أنتَ تَدري بأنّني لستُ أدري

هذيان سكران

وقال يعتذر من ذلك إلى صاحبه
علاء الدين بن العلم المصري ويداعبه
وكان سقاه قسراً وهو تائب فعربد في
الحال وسفه عليه :

ضُعفُ رأسي وقِلّةُ الإيمانِ أوجبَا ما رأيتَ من هَذَياني
والجُنونُ الفُحشُ الذي صرتُ منه خارجاً عن طَبيعَةِ الإنسانِ[1]
فبحقّي أموتُ يا مالكَ الرّ قّ فأنِ عن المُدامِ عِنَاني
إنّ شربَ النّضوحِ يَسلبُني الرّشْـ ـدَ فكيفَ المُشَعشَعِ الحَرَكاني[2]
ضَرّني شُربُهُ بغَيرِ مِزاجٍ في أوانٍ دارَتْ بغَيرِ تَوانِ
إنّ سُوءَ المِزاجِ منهُ ومنّي مُوجِبٌ ما شَهِدْتَهُ بالعِيانِ
ولذا ان مُنتَهَى غاية السّكـ ـرِ حَرامٌ في سائرِ الأديانِ
بتُّ أشكو جَورَ الكؤوسِ وساقٍ كلّما قلتُ قد سَكِرتُ سَقاني
إن أقُل: كُفّ! قال: هاكَ بحَقّي، أو أقل: مُتُّ! قال لي: في ضَماني
وغُلامٍ كالشّمسِ في خدمةِ الشّمـ ـسِ يُحَيّي بالشّمسِ بنتَ الدّنانِ
بعُقَارٍ تَظَلّ تَفعَلُ بالعَقـ ـلِ فِعالَ النّعاسِ بالأجفانِ
فلهَذا قَصّرتُ في أدَبِ النّفْـ ـسِ ، وطالَتْ به يَدي ولِساني
فأنا اليَومَ في خُمارَيْنِ من سُكـ ـرٍ وفِكرٍ أعَضّ منهُ بَناني
فاعفُ واصفَحْ عمّا تَخَيّلَهُ السّكـ ـرُ،فبَعضُ الحَياءِ منكَ كَفاني

---

[1] الفحش : القبيح من القول والفعل .
[2] النضوح بالضم : الشرب دون الري . وبالفتح : الماء الناضح ، ولعله والحركاني: ضرب من الشراب.

إن شئت

وقال يعتذر عن شرب الكثير :

إن شئتُ أن أشرَبَ الكثيرَ من الرّا ح ِ نَهاني الوَقــارُ والأدَبُ
أخافُ أن تَستَخِفَّ سَورَتُها حِلمي إذا ما استَخفّني الطّرَبُ
فيَنثَني من أوَدّ صُحبتَهُ ، وقَلبُهُ عن هَوايَ يَنقَلِبُ

قال الديك

قالَ لَنا الدّيكُ حينَ صوّتْ ، والجَفنُ بالغُمضِ قد تَفَوّتْ
والغصنُ بالزّهرِ قد تَجَلّى ، والأرضُ بالقَطرِ قد تَرَوّتْ
يا حَيفَ مَن في الصّباحِ أغفَى ، وغَبنَ مَن للصَّبُوحِ فَوّتْ
تَنَبّهُوا ، فالغصونُ سَكرَى إذا ما ثَنَتها الصَّبَا تَلَوّتْ
والغَيمُ رَطبُ الأديمِ جَعدٌ ، كأنّهُ حُلّةٌ تَطَوّتْ
قُوموا اشرَبوا، فالهُمومُ ضَعفَى، إذا تَراخَى الفَتَى تَقَوّتْ

ما عارضه

وقال من وزن الدوبيت
يستدعي صاحباً له في يوم مطر :

الغَيثُ عقيب ما همَى عارِضُه ، والحبُّ قُبيلَ ما نَمَى عارِضُه
حاشاكَ تقولُ عارِضٌ يمنعُني ، أو تُحوِجُني أقولُ ما عارِضُه

هل تعلم

هل تَعلَمُ ما تَقُولُهُ الأطيارُ ، في الدّوحِ إذا مالَتْ بها الأشجارُ
ما العيشَةُ إلاّ ساعةٌ ذاهبَةٌ ، لا تَبخَل إن سخَتْ بها الأقدارُ

هفوة آدم

وقال يعتذر من هفوة فرطت
على السكر :

لا تأخُذنّي بجُرمِ مَن قد غَلِطا ، في حالةِ سُكرِهِ ، وإن كان خَطَا
لولا صَدرَتْ من آدمٍ هَفوَتُهُ ، ما كانَ من الجنّةِ يوماً هَبَطَا

مرحباً بالربيع

قال في الزهريات والربيعيات:

وَرَدَ الرَّبيعُ ، فمَرحَباً بوُرُودِهِ ، وبنُورِ بَهجَتِهِ ، ونَوْرِ وُرُودِهِ
وبحُسنِ مَنظَرِهِ وطيبِ نَسيمِهِ ، وأنيقِ مَلبَسِهِ وَوَشْيِ بُرُودِهِ
فَصلٌ ، إذا افتَخرَ الزّمانُ ، فإنّهُ إنسانُ مُقلَتِهِ ، وبَيتُ قَصيدِهِ
يُغْني المِزاجَ عن العِلاجِ نَسيمُهُ ، باللّطفِ عندَ هبُوبِهِ ورُكُودِهِ
يا حبّذا أزهارُهُ وثِمارُهُ ، ونَباتُ ناجمِهِ ، وحَبُّ حَصيدِهِ
وتَجاوُبُ الأطيارِ في أشجارِهِ ، كبَناتِ مَعبَدَ في مَواجِبِ عُودِهِ
والغصنُ قد كُسِيَ الغَلائلَ ، بعدَما أخذَتْ يَدا كانونَ في تَجريدِهِ
نالَ الصِّبَا بعدَ المَشيبِ ، وقد جرَى ماءُ الشّبيبَةِ في مَنابتِ عُودِهِ
والوَردُ في أعلى الغُصونِ ، كأنّهُ مَلِكٌ تَحُفّ بهِ سَراةُ جُنودِهِ
وكأنّما القَدّاحُ سِمطُ لآلىءٍ ، هوَ للقَضيبِ قِلادَةٌ في جيدِهِ[1]
والياسَمينُ كعاشِقٍ قد شَفّهُ جَورُ الحَبيبِ بهَجرِهِ وصُدودِهِ
وانظُرْ لنرجسِهِ الشّهِيّ كأنّهُ طَرفٌ تَنَبّهَ بعدَ طولِ هجودِهِ
واعجَبْ لأذَريُونِهِ وبَهارِهِ ، كالتّبرِ يَزهُو باختلافِ نُقُودِهِ[2]
وانظُرْ إلى المَنظُومِ من مَنثُورِهِ ، مُتَنَوّعاً بفُصولِهِ وعُقُودِهِ

---

١ القداح : نور النبات قبل أن يتفتح .
٢ الأذريون والبهار : زهر أصفر .

أوَما ترَى الغَيمَ الرّقيقَ . وما بَدا للعيَنِ من أشكالهِ وطرُودهِ[1]
والسّحبُ تَعقُدُ في السّماءِ مآتماً . والأرضُ في عُرسِ الزّمانِ وعيدهِ
ندبَتْ . فشقّ لها الشّقيقُ جيُوبَهُ . وازرَقّ سَوسَنُها للَطمِ خدُودِهِ
والماءُ في تيّارِ دِجلَةَ مُطلَقٌ . والجسرُ في أصفادِهِ وقيُودِهِ
والغَيمُ يَحكي الماءَ في جرَيانهِ . والماءُ يَحكي الغَيمَ في تَجعيدِهِ
فابكُرْ إلى رَوضٍ أنيقٍ ظِلُّهُ . فالعَيشُ بَينَ بَسيطِهِ ومَديدِهِ
وإذا رأيتَ جَديدَ روضٍ ناضرٍ . فارشُفْ عَتيقَ الرّاحِ فوقَ جَديدِهِ
من كَفّ ذي هيَفٍ يُضاعِفُ خلْقُه سُكرَ المُدامِ بشَدوِهِ ونَشيدِهِ
صافي الأديمِ ترَى . إذا شاهَدتَهُ . تِمثالَ شَخصِكَ في صَفاءِ خدُودِهِ
وإذا بلَغتَ من المُدامَةِ غايَةً . فأقلِلْ لتُذكي الفَهمَ بعدَ خمُودِهِ
إنّ المُدامَ . إذا تزايدَ حَدُّها في الشّربِ. كان النّقصُ في محدودِهِ

حبذا يوم الشعب

حبّذا بالشِّعبِ يومي . بَينَ وِلدانٍ وحُورِ
وغصونُ البانِ والوَرْدِ على شاطي النّهُورِ
وبَدا النّرجِسُ ما بَينَ أقاحٍ مُستَنيرِ
كقُدودٍ . وخُدودٍ . وعيُونٍ ، وثغُورِ

[1] الطرود : فراخ النخل ولا نعلم ماذا أراد هنا ولعلها محرفة .

الروض الضاحك

قد أضحكَ الرّوضَ مدمعُ السُّحبِ وتوّجَ الزّهرُ عاطلَ القُضُبِ
وقَهقَهَ الوَردُ للصَّبَا ، فغدَتْ تَملأُ فاهُ قُراضَةُ الذّهَبِ
وأقبلَتْ بالرّبيعِ مُحدِقَةً ، كَتائبٌ لا تُخِلّ بالأدَبِ
فغُصنُها قائِمٌ على قَدَمٍ ، والكَرمُ جاثٍ له على الرُّكَبِ
والسُّحبُ وافَتْ أمامَ مَقدَمِهِ ، لهُ تَرُشّ الطّريقَ بالقُرَبِ
والأرضُ مَدّتْ لوَطءِ مَشيَتِهِ ، مَطارِفاً من رِياضِها القُشُبِ[1]
والطّلُّ فوقَ المياهِ مُنتَثِرٌ ، فهوَ لكأسِ الغَديرِ كالحَبَبِ
والطّيرُ غَنّتْ بمَنطِقٍ غَرِدٍ ، يُغني النّدامى عن نَفخَةِ القَصَبِ
والقُضْبُ مالَتْ لسَجعِها طَرَباً ، ونحنُ منها أحَقُّ بالطّرَبِ
فقُم بنا نَنهَبِ السّرورَ ، وعِشْ من التّهاني في حُسنِ مُنقلَبِ
ولا نُضِعْ فُرصَةَ الزّمانِ ، فَما تَعلَمُ ما في حَوادِثِ النُّوَبِ

عيون إلى ربها ناظرة

رَعَى اللهُ لَيلَتَنا بالحِمَى ، وأمواهُ أعيُنِهِ الزّاخرَه
وقد زينَ حُسنُ سماءِ الغصونِ بأنجُمِ أزهارِها الزّاهرَه
وللنّرجِسِ الغَضّ ما بَينَنا وُجُوهٌ بحَضرَتِنا ناضِرَه
كأن تَحَدُّقَ أزهارِها عيُونٌ إلى رَبّها ناظِرَه

١ المطارف ، الواحد مطرف : رداء من خز ذو أعلام .

أعلام الزنبق

قد نَشَرَ الزّنبَقُ أعلامَهُ ، وقالَ : كلّ الزّهرِ في خِدمَتي
لو لم أكُن في الحُسنِ سُلطانَه ، ما رُفِعَتْ من دونِهِم رايَتي
فقَهقَهَ الوَردُ بهِ هازِئاً ، وقالَ : ما تَحذَرُ مِن سَطوَتي
وقالَ للسّوسَنِ : ماذا الذي يَقُولُهُ الأشيَبُ في حَضرَتي
وامتَعَضَ الزّنبَقُ في قَولِهِ ، وقالَ للأزهارِ : يا عُصبَتي
يكونُ هذا الجَيشُ بي مُحدِقاً ويَضحَكُ الوَردُ على شَيبَتي

مروط الرياض

وجِنحُ دُجُنّةٍ فيهِ اغتَبَقنا ، وواصَلْنا الصَّبوحَ بيَومِ دَجنِ
وقد نَشَرَ الرّبيعُ مُروطَ رَوضٍ على الشِّعبَينِ من سَهلٍ وحَزْنِ[1]
فأغصانٌ منَ النّسَماتِ تُثنَى ، وأزهارٌ على الأنواءِ تَثني
يُضاحِكُها الغَمامُ بثَغرِ بَرقٍ ، وتَبكيها الغَمامُ بدَمعِ مُزنِ
فطَوراً ضاحِكاً من غَيرِ بِشرٍ ؛ وطَوراً باكياً من غَيرِ حُزنِ

---

١ المروط ، الواحد مرط : كل ثوب غير مخيط . الحزن : ضد السهل .

قال الحيا للنسيم

قالَ الحَيَا للنّسيمِ لَمّا ظَلَّ بهِ الزّهرُ في اشتغالِ
وضاعَ نَشرُ الرّياضِ حتى تَعَطّرَتْ بُرِدَةُ الشّمالِ
أما ترَى الأرض َكيفَ تُثني عليّ ، منها لِسانُ حالي
فاعجَبْ لإقرارِها بفَضلي ، وسكرِها بي وشكرِها لي

بركة نيلوفر

وقال في النيلوفر :

وبركَةٍ نيلُوفَرٍ زَهرُها ثنى جيدَهُ في الدّجى واحتَجَبْ[1]
فمُذ لاحَ وجهُ حَبيبي لَهُ ، وشاهَدَ أنوارَهُ كاللّهَبْ
تَوَهّمَه الشّمسَ قد أشرَقتْ ، فقامَ على سُوقِهِ وانتَصَبْ

ياقوت النيلوفر

وزَهرُ نِيلُوفَرٍ لولا تَشَعّبهُ ، لظَنّ أنواعَهُ الرّاؤونَ ياقُوتَا
كأنّ أحمرَهُ حُسناً وأزرَقَهُ ، إذا غَدا بلسانِ الحالِ مَنعُوتَا
مشاعلٌ أوقَدوا في بَعضِها عِوَضاً منَ الوَقودِ مكانَ النّفطِ كبريتَا

---

١ النيلوفر : ضرب من النبات ينبت في المياه الراكدة .

الطرف الكحيل

وقال في زهر الباقلاء :

أمشبِّهَ الطّرفِ الكَحيلِ بنَرجِسٍ ، بَعدَ القِياسِ ، وذاكَ من أضدادِهِ
نافاهُ في تَدويرِهِ وصَفـارِهِ ، وجُحوظِ مُقلَتِهِ وفَرطِ سُهادِهِ
فاعجَبْ لزَهرِ الباقلاءِ ، وقد بَدا فوقَ القَضيبِ يَميسُ في أبرادِهِ
يَحكي عُيونَ العِينِ في تَلويزِهِ ، وفتورِهِ وبَياضِهِ وسَوادِهِ

خلياني

وقال يصف عين البرود وهي إحدى ضياع ماردين وفيها ستة تشبيهات طي ونشر مرتبات :

خلياني أجُرّ فَضلَ بُرودي ، راتعاً في رِياضِ عَينِ البُرودِ
كم بها من بَديعِ زَهرٍ أنيقٍ ، كفُصولٍ مَنظُومَةٍ وعُقُودِ
زَنبَقٌ بَينَ قُضبِ آسٍ وبانٍ ، وأقاحٍ ، ونَرجِسٍ ، ووُرُودِ
كجَبينٍ ، وعارِضٍ ، وقَوامٍ ، وثُغُورٍ ، وأعينٍ ، وخُدودِ

١ الباقلاء : الفول .

عين البرود برود العين

وقال فيها أيضاً :

عَيَنُ البرودِ بُرودُ عَيني ، إن عزّ منظرُ رأسِ عَينِ[1]
فلو استَطَعتُ لزُرتُها ، سَعياً على رأسي وعَيني
أرضٌ يُنَمّقُ زَهرَها ، ما فاضَ من نَهرٍ وعَينِ[2]
ويَظَلّ يَرفُدُها السّحابُ، بصَوبِ وسميٍّ وعَينِ
فكأنّ بَهجَةَ وَردِها شَمسٌ تُلاحظُها بعَينِ[3]
وكأنّ نَرجِسَ رَوضِها ، قد صيغَ من وَرَقٍ وعَينِ[4]
فلَئِنْ ثَناني رَبعُها ، والضّدّ يَرصُدُني بعَينِ[5]
لا أنثَني عَنها ، ولا أرضَى بأثْرٍ بَعدَ عَينِ[6]

نرجس كالبيض الناضج

اعجَبْ لنَرجِسِنا المُضعَّفِ أن نمَتْ أوراقُهُ وتَفَتّحَتْ أزهارُه
يحكي نَضيجَ البَيضِ قُدّ بمِديَةٍ كانتْ فبَثّ على البَياض صفارَه

١ رأس العين : موضع .
٢ العين : أراد عين الماء .
٣ العين : أراد بها المطر .
٤ الورق : الفضة . العين : الذهب المضروب .
٥ العين : الجاسوس .
٦ الأثر : ما بقي من رسم الشيء . العين : حضور الشيء بشخصه .

ذيل الصبا

وقال في رياض الميطور بدمشق :

إن جُزتَ بالمَيطورِ مُبتَهِجاً بهِ ، ونَظَرتَ ناضِرَ دَوحِهِ المَمطورِ
وأراكَ بالآصالِ خَفقُ هَوائه الـ ـمَمدُودِ تحريكَ الهوى المَقصورِ
سلْ بانةَ المَنصوبِ أينَ حديثُه الـ ـمَرفوعُ عن ذَيلِ الصَّبا المَجرورِ

بسط الربيع وحلله

وقال في رياض عين
الصفا وهي واد بماردين :

عُجنا على وادي الصّفا ، فصَفا عَيشي ، وولّى الهَمُّ مُرتَحِلا
ولنا بها ، والشّمسُ في أسَدٍ قَيظاً ، فخِلنا بُرجَها الحَمَلا[1]
في روضةٍ حاكَ الرّبيعُ لها بُسطاً ، وألبَسَ دوحَها حُلَلا
ما إن تَزالُ رِياضُها قُشُباً ، أبَداً ، وبُردَةُ شَمسِها سَمِلا
فكأنَّ صَوبَ المُزنِ يَعشَقُها ، فأقامَ لا يَبغي بها حِوَلا
ما زالَ يَبكيها ويَعتَبُها ، حتى تَوَرّدَ خَدُّها خَجَلا

---

١ في أسد : أي في برج الأسد .

جواسيس الحدائق

ولم أنسَ إذ زارَ الحَبيبُ بروضةٍ ، وقد غفلَتْ عنّا وُشاةٌ ولُوّامُ
وقد فرَشَ الوردُ الخُدودَ ونُشّرَتْ لمَقدَمهِ للسّوسنِ الغضّ أعلامُ
أقولُ وطرفُ النّرجسِ الغضّ شاخص إلَينا ، وللنّمّامِ حَولي إلمامُ[1]
أيا ربّ ! حتى في الحَدائقِ أعيُنٌ علَينا ، وحتى في الرّياحينِ نَمّامُ

....

النمام : نبت له بزر كالريحان عطري قوي الرائحة سمي بذلك لسطوع رائحته .

الباب الثامن

في الشكوى والعتاب وتقاضي الوعد والجواب

لعلي أسأت

قال يعاتب أحد نواب السلطان الملك الصالح عز نصره عن مال انقطع له بالخزانة بماردين في الشكوى والعتاب :

مَلَكتَ ببَعضِ بِرِّكَ رِقَّ شكري ، وفكَّ سَماحُ كفِّكَ قَيدَ أسرِي
فإن خَفَّفتَ بالإحسانِ نَهضي ، فقَد أثقَلتَ بالإنعامِ ظَهرِي
فما بَرِحَتْ صِلاتُكَ واصِلاتٍ ، لتَنجِدُني بها وتَشُدُّ أزرِي
فقَلبُكَ في الشّدائدِ صَدرُ بحرٍ ، وصَدرُكَ في الأوابِدِ قَلبُ بَحرِ
وكنتُ ، إذا أتَيتُكَ بَعدَ بُعدٍ ، تُصَدّقُ فيكَ آمالي وزَجرِي
يُقابلُني نَداكَ ببِشرِ وجهٍ ، ويَلقاني رِضاكَ بوَجهِ بِشرِ
فلِمْ عَوّدتَني غَيرَ اعتيادي ، وجوّزَ وسعُ صَدرِكَ ضِيقَ صَدرِي
عَذَرتُكَ حينَ حُلتَ وأنتَ بحرٌ ، لأنّ البَحرَ ذو مَدٍّ وجَزرِ
لقد فكّرتُ ، حتى حارَ فكري ، وقد نَقّبتُ ، حتى عيلَ صَبرِي
فلَم أرَ مُوجِباً سُخطي ، ولكنْ لَعَلّي قد أسأتُ ، ولستُ أدرِي

فإن أكُ قد أسأتُ لكَ التّقاضي ، فلا يَخفَى على مَولايَ عُذري
بأنّي لا يَفي بالخَرجِ كَسبي ، ولَستُ أضيعُ بالتّقتيرِ عُمري
ولم أكُ باذِلاً للنّاسِ وَجهي ، ولا أنا كاسِبٌ مالاً بشِعري
فأحمِلَ في التّحَمّلِ فوقَ طَوقي ، وأبذُلَ في التكَلّفِ فوقَ قَدري
وأشرِيَ عندَكم ماءً بمـالٍ ، وأُحرِزَ دائِماً تِبراً بتِبري
فأكسبَ كلّ شَهرٍ خرجَ يومٍ ، وأخرِجَ كلّ يومٍ كَسبَ شَهرِ
فكيفَ ، وقد توَلّتْ نقصَ كيسي كؤوسُ الرّاحِ في أيّام فِطري
وطافَ بها ثَقيلُ الرِّدفِ طَفْلٌ ، صَقيلُ السّالفين نَحيلُ خَصرِ
براحٍ ذاتِ جسمٍ من عَقيقٍ ، ويُولِدُها المِزاجُ بَناتِ دُرّ
فمِن لهَبٍ توَقّدَ تحتَ ماءٍ ، ومن بَردٍ تَنَضّدَ فوقَ جَمرِ
أُعاقِرُ كأسَها في كلّ يومٍ ، وأسرِفُ لَذّتي من صَرفِ دَهري
ولَيسَ بشاغلي عن زَفّ مَدحي ، ولستُ أُخِلّ في سُكري بشُكري

كيف أشقى

وقال يعاتب عزالدين بن بهاء
الدين على ضيم لحقه منه :

خدمتي في الهوى علَيكم حَرامُ ، كيفَ أشقَى بكم، وأنتم كِرامُ
إنّ شَرطَ الكرامِ لا العبدُ يَشقَى في حِماهم ، ولا النّزيلُ يُضامُ

أنا عَبدٌ لدَيكمُ ونَزيلٌ ، ولهذينِ حُرمَةٌ وذِمامُ
فلماذا أضَعتُم عَهدَ مَن كا نَ لَهُ صُحبَةٌ بكم والتِزامُ
شابَ في مَدحكُم ذوائبُ شِعري، مثلَ شَعري ، وشِعرُ غيري غلامُ
ونَظَمتُ البَديعَ فيكم ، وقد ألـ قَى مَقاليدَهُ إليّ الكَلامُ
فإذا ما تَلا الزّمانُ قريضي ، أصبحَتْ تَستَعيدُهُ الأيّامُ
وتَقَرّبتُ بالوِدادِ فمَحسو دٌ مَقالي لديكمُ ، والمَقامُ
ولقَد ساءَني شَماتُ الأعادي ، فيّ لمّا زَلّتْ بيَ الأقدامُ
فإذا ما افتَخَرتُ بالودّ قالوا : لا افتخارٌ إلاّ لمن لا يُضامُ
فإلى كَم أعودُ في كلّ يوم ، خائباً ساخطاً وتَرضَى اللّئامُ
وإذا جرّبَ المُجَرِّبَ عمرٌو ، فعلَيهِ إذا أُصيبَ المَلامُ
تقتُلوني بالبِشرِ منكم ، وقد يقـ تُلُ مع ضَحكِ صَفحتَيهِ الحُسامُ
وتُريشونَ بَينَنا أسهمَ البَيـ نِ ، وتُعزَى إليّ تلكَ السّهامُ
فبرُغمي فراقُكم ورضاكم ، وشَديدٌ عليّ هذا الفِطامُ
فلقَد صَحّ عندَ كلّ لَبيبٍ أنّ بُعدي مُرادُكم ، والسّلامُ

العتاب الطويل

وعَوّدْتَني منكَ الجَميلَ ، فإن يكنْ جَفاكَ لأمرٍ مُوجبٍ ، فجَميلُ
وإن يَكُ لي في ذاكَ ذَنبٌ، فمَنطِقي قَصيرٌ ، وإلاّ فالعِتابُ طَويلُ

وجه بغير خط

وقال وكتب بها الى الملك ناصر الدين
محمد ابن الملك المنصور طاب مثواه يعاتبه
على إحالة كتبها له بغير وجه :

جُدتَ بخَطٍّ بغَيرِ وَجهٍ ، ذاكَ حالٌ عليّ يُبطي
وليسَ ذا مَذهَبي ، ولكن أُحبّ وَجهاً بغَيرِ خَطّ

يا سادة

وقال يعاتبه على ضرر لحقه :

يا سادَةً شخصُهم في ناظري أبداً ، وطيبُ ذِكرِهمُ في خاطري وفَمي
ومَن لو انّ صروفَ الدّهرِ تُسعِدُني لمّا سعَتْ نحوَ مَغنى غَيرِهم قَدَمي
واللهِ لو علمتْ روحي بأنّ لكم في قَتلَتي غرَضاً آثرتكم بدَمي

حال الدنيا

وقال يعاتب أحد الأعيان
على الانقطاع :

عذَرتُكَ ، إذ حالَتْ خلائقُكَ التي أطَلتَ بها باعي ، وقصّرتَ آمالي
لأنّكَ دُنيايَ التي هيَ فِتنَتي ، فلا عَجَبٌ ألاّ تَدومَ على حالِ

القلب دليل القلب

وقال في مثله :

لا والذي جعلَ المودّةَ مانعي من أن أجازي سيّدي بجفائهِ
ما حلّتِ الأيّامُ موثقَ حبّهِ عندي ، ولا حالتْ عهودُ وفائهِ
ودليلُ قلبي قلبُهُ ، فودادُهُ كودادهِ ، وصفاؤهُ كصفائهِ

هجران من غير ذنب

لئن سمحَ الزّمانُ لنا بقربٍ ، نشرتُ لديكَ ما في طيّ كُتْبي
وقمتُ معَ المقالِ مقامَ عتبٍ ، توهّمهُ الأنامُ مجالَ حربِ
أيا مَن غابَ عن عيني ، ولكن أقامَ مُخيّماً في ربعِ قلبي
عهدتُكَ زائري من غيرِ وعدٍ ، فكيفَ هجرتني من غيرِ ذنبِ
فإنْ تكُ راضياً بدوامِ سخطي ؛ وإن تكُ واجداً روْحاً بكربي
فحسبي أنّني برضاكَ راضٍ ، وحسبي أن أبيتَ ؛ وأنتَ حسبي

الوداد زور

إن كنتُ قد غبتُ لا تزُرني ، وكلّما غبتَ لا أزُورُ
فإنّ هذا الصّدودَ قصدٌ ، وإنّ ذاكَ الودادَ زُورُ

لا يؤخذ الجار بالجار

وقال يعاتب صاحباً جفاه
بجرم جار له :

لا يؤخذُ الجارُ في الأعراضِ بالجارِ . إن دامَ . وهوَ على رِسلِ الوَفا جارِي[1]
على ذوي الودّ بالحُسنى بأنفُسِهِم . وما علَيهِم بفِعلِ الغَيرِ من عارِ
فكَيفَ ألحَقتُمُ فِعلَ العُداةِ بِنا . لقُربِ دارِهم ، بالرّغمِ ، من دارِي
ولِمْ عَذَقتُم بنا ما قالَ ضِدُّكمُ عنكم . وإن قلتُهُ من غَيرِ إيثارِي[2]
كما سَمِعتَ بصوتِ النّارِ في حَطَبٍ ، والصّوتُ للرّيحِ ليسَ الصّوتُ للنّارِ

أتقتص مني

أتَقتَصّ منّي إنْ جَنَى الغَيرُ زَلّةً ، ككاسرِ دَنّ الخلّ إن جنَتِ الخَمْرُ
ومن عَجَبِ الأشياءِ أنّ جَريمَةً يَجيءُ بها زَيدٌ ، فيُجزَى بها عَمْرُو

تقطب الحجاب

وقال في أحد الأمراء
عن ضيق حجابه :

سَعَةُ العُذرِ لي ، وضيقُ الحِجابِ جَنّباني عن قَصدِ ذاكَ الجَنابِ
وقطوبُ الخُطوبِ أهوَنُ عندي مَوقِعاً من تَقَطّبِ الحُجّابِ

---

١ الرسل : الخصب ، التمهل ، التؤدة .
٢ قوله : عزقتم ، أراد ألصقتم .

حتام

حتّامَ لا تَضجرُ ، يا سيّدي ، من سَعةِ العُذرِ وضيقِ الحِجابْ
ومَعشَرٍ إن يَمّموا نَحوكم يَحظَونَ بالزُّلفَى وحسنِ المآبْ
يا مالِكاً أصبَحَ لي صارِماً أُعِدُّهُ يومَ الوَغَى للضّرابْ
حاشاكَ أن تَرضَى بقولِ العِدَى ، سَيفُكَ هذا لا يَفُكّ القِرابْ

إسطبل موسى

وقال يشكو إلى الملك المنصور طاب
ثراه أحد نوابه وقد شد فرسه عنده في
الطريق فبات بغير عليق ولا غطاء :

رأى فرَسي اسطَبلَ مُوسَى ،فقال لي: قِفا نَبكِ من ذِكرَى حَبيبٍ ومَنزِلِ
بهِ لم أذُقْ طَعمَ الشّعيرِ كأنّني بسِقطِ اللّوى بينَ الدّخولِ ، فحومَلِ
تُقَعقِعُ مِن بَردِ الشّتاءِ أضالعي ، لما نَسَجَتها من جَنوبٍ وشمألِ
إذا سمعَ السُّوّاسُ صَوتَ تَحَمحُمي ، يَقولونَ : لا تَهلِكْ أسًى وتَجَمّلِ
أُعَوّلُ في وَقتِ العَليقِ علَيهِمُ ، وهل عندَ رَسمٍ دارِسٍ من مُعَوَّلِ

مانعا الصرف

وقال يعاتب مخدوماً له
صرفه من عمل لغير موجب :

خدَمتُكُمُ ، فما أبقَيتُ جُهداً ، ولا أطمَحتُ بالأطماحِ طَرفي
وجِئتُكُمُ بمَعرِفَةٍ وعَدلٍ ، ألم يكُ فيهما مَنعٌ لصَرفي[1]

المنع سجية

وقال وقد حمل إلى أحد الأعيان هدايا
فلم يكافئه :

ولمّا رأينا المَنعَ منكُم سجيّةً ، وما زِلتُ بالتّكليفِ مُستَفرِغاً جهدي
عدَلنا إلى التّخفيفِ عَنّا وعَنكُمُ ، وصِرنا نُجازي بالدّعاءِ عن الودّ
خلَصنا ، وأسقَطنا التّجمّلَ بَينَنا ، فلا سَيّدي يعطي ، ولا عبدُه يُهدي

ثناء بلا ثمن

وقال قريباً منه :

قد اطمأنّتْ على الحرمانِ أنفُسنا ، فلَيسَ للمَنعِ يوماً عندَنا أثَرُ
حتّى تَساوَى لدَينا مَن لَهُ كَرَمٌ ، من الأنامِ ، ومَن في نَفسِهِ قِصَرُ
يُقَصّرون ، فنَستحيي ونعذرُهم ، ويَحلِفُونَ ، فنَستَعفي ونَعتَذِرُ
نُهدي الثّناءَ ، ولا نَبغي له ثمناً ، ورُبّ دَوحٍ نَضيرٍ ما لَهُ ثَمَرُ

---

١ أراد أن الاسم يمتنع من الصرف للعلمية والعدل ، وقد ورى بهما تورية .

المستحيل ثلاثة

وقال يشكو عدم وفاء الإخوان :

لمّا رأيتُ بَني الزّمانِ ، وما بهم   خِلٌّ وفيٌّ ، للشّدائدِ أصطَفي
أيقَنتُ أنّ المُستَحيلَ ثَلاثَةٌ :   الغُولُ والعَنقاءُ والخِلّ الوَفي

صاحب كهواء الخريف

وَلي صاحبٌ كهَواءِ الخريفِ ،   يُضِرّ ، وإن كانَ يُستَعذَبُ
لهُ مَنطِقٌ كلَيالي الشّتاءِ ،   طَويلٌ على بَردِهِ مُسهَبُ
بذَلتُ لهُ خُلُقاً كالرّبيعِ   يَطيبُ ومَخبرُهُ أطيَبُ
وإن كانَ قَلبي بهِ كالمَصيفِ   سُمُومُ الهُمُوم بهِ تَلهَبُ

لا حب ولا كرامة

للهِ أشكُو صاحباً ،   لا حُبّ فيهِ ولا كرَامَهْ
كانَ النّديمَ . فلَم أنَلْ   من قُربِهِ غَيرَ النّدامَهْ

وأقَمتُ أرقُبُ وصلَهُ ، فأقامَ في هَجري القِيامَهْ
قد كانَ لي فيهِ الغرامُ ، فصارَ لي منهُ الغَرامَهْ
ورَضيتُ منهُ بالسّلامِ . فصِرتُ أرضَى بالسّلامهْ
فهناكَ قُلتُ لخاطري . بعدَ المَلالةِ والمَلامَهْ :
أتَرومُ من بَعدِ النّدا مَةِ منه إدراكَ النّدى؟مَه

الصديق الحميم

وقال في مثله وفيه صنعة الاستخدام :

وخِلٍّ بغَى منهُ قَلبي الشّفا وأمرَضَهُ فَوقَ أمراضِهِ
وقلتُ يكونُ الصّديقُ الحَميمُ . فجرّعَنيهِ بإعراضِهِ[1]

ثمار الوفاء

وقال قريباً منه وفيه تورية :

لدَيّ تَصحّ ثِمارُ الوَفاءِ ، لصَبريَ عندَ انقلابِ الهوَى
ويَنبُتُ عندي نَخيلُ الوِدادِ ، لأنّكَ عندي دَفَنتَ النّوَى[2]
فلا تَنوِ غَيرَ فِعالِ الجَميلِ ، فإنّ لكلّ امرئ ما نوَى

١ أعاد الضمير في جرعنيه إلى الحميم بمعنى الماء الحار وهذا هو الاستخدام .
٢ التورية في معنى النوى البعيد : أي الفراق ، والنوى بالمعنى القريب جمع نواة ، أي نواة التمر .

وابل على الشهباء

وقال يعاتب الصاحب فخر الدين هبة الله صاحب ديوان حلب عن قرض كان له قبله، فمطله بسبب عزله، وفيها صنعة تجنيس الإبدال في كل بيت منها :

كَفاكَ تَهمي بالنّوالِ وتَهمُلُ ، ويَداكَ تجزي بالجَميلِ وتُجزِلُ
وعُلاكَ يَقضي للمؤمِّلِ بالرّضَى ، وعَطاكَ يكفي الوافدينَ ويَكفلُ
أنتَ الذي إن أمّهُ مُستَصرِخٌ ، يَكمي العطيّةَ للنّزيلِ ويَكمُلُ[1]
فإذا شَكا جَورَ الحَوادِثِ جارُهُ ، يُعدي النّزيلَ على الزّمانِ ويَعدِلُ[2]
ما كنتَ للشّهباءِ إلاّ وابِلاً ، يُرسَى علَيها بالقُطارِ ، ويُرسَلُ
ما شاهدَتْ عَينايَ قَبلَكَ حاكِماً يُعزَى إلى فِعلِ الجَميلِ ، فيُعذَلُ
مولايَ دونَكَ نظمَ شاكٍ شاكرٍ ، يُغضِي فيَحمي العتبَ عنك ويَحملُ
وأُجلّ مجدَك أن يكونَ مُساعدي دهراً فتُبدي ضِدّ ذاكَ وتُبدِلُ
فسِواكَ مَن يَرضَى بفِعلٍ دَنيّةٍ ، يَشكو الصّديقَ من المَطالِ فيشكُلُ[3]

---

١ يكمي : يستر ، يكتم .
٢ يعديه : يعينه .
٣ يشكل : يقيد ، لعله أراد يشكل الصديق .

الأداء ثقيل

طلبتم يسيرَ المالِ قرضاً فلم يكن إلى الرّدّ عمّا رُمتموهُ سبيلُ
وتعلمُ أنّ المالَ في النّاسِ أخذُه خفيفٌ ، ولكنّ الأداءَ ثقيلُ
فلا تجعلَنّ العرضَ للمالِ جُنّةً ، وكن كالفتى الكنديّ حينَ يقولُ :
يهُونُ علينا أن تُصابَ نُفُوسُنا وتسلَمَ أعراضٌ لنا وعقُولُ

القيام بالود أولى

وقال يعاتب صديقاً كان
يغتابه ويقوم له إذا أقبل :

يا مُهيني عندَ المَغيبِ ومُبدٍ مع حضُوري خضوعَ عبدٍ لمَولى
لا تقُمْ لي معَ التّقاعُدِ عنّي ، فقيامُ النّفوسِ بالودّ أولى

الخطب أهون من الخطاب

وقال في أمير اغتابه :

سأُمسِكُ عن جوابِكَ لا لعيٍّ ، وربُّ الأمرِ ممنوعُ الجوابِ
ولو أنّي أمِنتُ ، وقلتُ عدلاً ، رأيتُ الخطبَ أهونَ من خطابي

كأني لم أسمع

بغَيرِ ودادِكَ لم أقنَعِ ، وفي غَيرِ قُربِكَ لم أطمَعِ
وأنتَ الذي ما ادَّعي فَضلَهُ ، وكَذَّبَ في وَصفِهِ المُدّعي
وكم قد هفَوتَ بهجرِ الكَلامِ ، فأعرَضتُ عن سَمعِهِ مِسمَعي
فكنتَ كأنّكَ ما قُلتَهُ ، وكنتُ كأنّيَ لم أسمَعِ

بعض الشر أهون من بعض

رَضيتُ ببُعدي عن جَنابكَ عندَما رأيتُكَ مَطويَّ الضّلوعِ على بُغضِي
وأغضَيتُ لمّا أن رأيتُكَ كلّما تعرّضَ عَتبٌ لا تَغُضّ ولا يُغضِي
وأطلَقتُ دَمعي في الخُدودِ تأسّفاً عليك، فطلّقتُ الجفونَ من الغُمضِ
وأقنَعتُ نَفسي أن أراكَ على النّوى بقَلبي ،وبعضُ الشرّ أهوَنُ من بَعضِ

الظن الجميل

وقال يعاتب :

أراكَ إذا ما قلتَ قَولاً قَبِلتُه ، ولَيسَ لأقوالي إلَيك قَبُولُ
وما ذاكَ إلاّ أنّ ظَنّكَ سَيّءٌ بأهلِ الوَفا ، والظّنّ فيك جَميلُ
فكُنْ قائلاً قَولَ السّموألِ تائِهاً بنَفسِكَ عُجباً ، وهوَ منكَ قليلُ
ونُنكِرُ إن شِئنا على النّاسِ قولهم ، ولا يُنكِرُونَ القولَ حينَ نَقولُ

ضدي وصديقي

أنتَ ضدّي . إذا تيقّنتَ قُربي . والصّديقُ الشّفيقُ عندَ فِراقي
فلِهذا أصبحتُ أمتحِنُكَ البُعـ ـد . وعُذري تعذّرُ الاتّفاقِ
مثلُ قولِ الشّمسِ المُنيرَةِ للبَد رِ بلَفظِ العِتابِ والإشفاقِ
أنا أكسبتُكَ الضّياءَ ، وكمّا تُ لكَ النّورَ لَيلَةَ الإشراقِ
وإذا ما دَنَوتَ بالقُربِ منّي نِلتُ منكَ الكسوفَ حالَ التّلاقي
قال : أنتَ البادي لأنّيَ في بُعـ ـدِكَ أدنُو إليكَ كالمُشتاقِ
فإذا ما سُرِرتُ منكَ بقُربٍ ، كانَ مَع ذلكَ السّرورِ مَحاقي

حالي وحالك

حالي وحالُكَ كالهِلالِ وشَمسِهِ ، مُذ أكسبَتهُ النّورَ في إشراقِهِ
فإذا نأى عَنها حَظِي بكَمالِهِ ، وإذا دَنا منها رُمِي بمَحاقِهِ

أحبة وأعادٍ

في طَبعِكم مَلَلٌ مُنافٍ للوَفا ، ومنَ المُحالِ تجَمّعُ الأضدادِ
فإذا تَناءَينا نكونُ أحِبّةً ، وإذا تَدانَينا نَكونُ أعادي
فلِذاكَ أنّي قد قَطَعتُ تَرَدّدي عنكم ، ونارُ الشّوقِ حشوُ فؤادي
وأرَدتُ إبقاءَ المَوَدّةِ بَينَنا ، فرأيتُ صُحبَتَكم دوامَ بُعادي

لا أراك ولا تراني

عَلِمتُ بأنَّ رأيَكَ في التَّنائي ، فلَستُ أرُوعُ قلبَكَ بالتَّداني
وأُوثِرُ أن تَعيشَ قَريرَ عَينٍ ، وأنّي لا أراكَ ولا تَراني

نسيتكم

نَسيتُكمُ لمّا ذَكَرتُم مَساءَتي ، وخالَفتُكم لمّا اتّفَقتُم على هَجرِي
وأصبَحتُ لا يَجري ببالي ذِكرُكم ، مَلالاً ، ولا يَجري ببالكُمُ ذِكرِي
وقد كنتُ أفنَيتُ الزّمانَ بشُكرِكم ، وبالوَصفِ حتى شاعَ في مدحكم شِعرِي
وإنّي وإنْ أغلَظتُ في القَولِ مَرّةً ، عليكم ، لأمرٍ ضاقَ عن حمله صَدرِي
أمنتُ بما أُوليتُ من حقّ خِدمَةٍ إليكم ، وما أبلَيتُ من جِدّةِ العُمرِ

كل مجلوب مهان

عَرَضنا أنفُساً عَزّتْ لدَينا ، علَيكم ، فاستَخَفّ بها الهَوانُ
ولو أنّا دَفَعناها لعَزّتْ ، ولكنْ كلُّ مَجلُوبٍ مُهانُ

دق الباب

لم يَبدُ منّي ما سيوجبُ وحشةً ، ويُبيحُ قَدرَ قَطيعَتي وعِتابي
إن كُنتُمُ استَوحَشتُمُ من فِعلِكم ، فعلَيكُمُ في ذاكَ دَقّ البابِ

حرف تغير

ما زِلتُ أعهَدُ منكَ وُدّاً صافياً ، ومَواثِقاً مأمُونَةَ الأسبابِ
وأرى مَلالَكَ بَينَهن كأنّهُ حَرفٌ تَغَيّرَ في سُطورِ كتابِ

ستذكرني إذا جربت غيري

زَجَرتُ مُرورَ طَيرِكمُ بسَعدٍ ، فهَلاّ قد زَجَرت بذاكَ طَيرِي ؟
وما خَبّرتَ أينَ حَلَلتَ إلاّ وَصَلتُ إليكَ إدلاجي بسَيرِي
ولم يَبرَحْ إلى أعداكَ شَرّي ، إذا لاقَيتَهم ، وإليكَ خَيرِي
ولم تَحفِلْ بمَنزِلَتي ، ولكِن ستَذكُرُني ، إذا جَرّبتَ غَيرِي

على رسلكم

وقال معاتباً :

رَعَى اللهُ قَوماً أصلَحونا بجَورِهم ، وعادَةُ إصلاحِ الرّعيّةِ بالعَدلِ
عرّفنا بهم حَزمَ الأمورِ ، ولم نكنْ لنَحسبَ حُسنَ الظّنّ نوعاً من الجَهلِ
فَيا مَن أفادونا بسُوءِ صَنيعِهِم تَجارِبَ جُرمٍ أيقَظَتْ سُنّةَ العَقلِ
على رِسلِكم في الجَورِ إن عُدت ثانياً، وإن بتُّ مغرُوراً بكم فعَلَى رِسلي

لي الخيار

أتَهجُرُني ، وما أسلَفتُ ذَنباً ، ويَظهَرُ منكَ زُورٌ وازوِرارُ
وتُعرِضُ كُلّما أبدَيتُ عُذراً، وكم ذَنبٍ مَحاهُ الاعتِذارُ
وتَخطُبُ بَعدَ ذلكَ صَفوَ ودّي، فهَل يُرضيكَ وِدٌّ مُستَعارُ
فَلا واللهِ لا أصفُو لخِلٍّ . سَجيّتُهُ التّعَتّبُ والنِّفارُ
إذا اختَلّ الخَليلُ لغَيرِ ذَنبٍ ، فلي في عَودِ صُحبتِهِ الخيارُ

ود وهجر

كِلانا على ما عَوّدَتهُ طِباعُهُ ، مُقيمٌ ، وكلٌّ في الزّيادَةِ يَجهَدُ
لكم منّيَ الوُدّ الذي تَعهَدُونَه ، ولي منكُمُ الهجرُ الذي كنتُ أعهَدُ

حتام

حتّامَ أمنَحُكَ المَوَدّةَ والوفَا ، وتَسومُني قصدَ القَطيعةِ والجَفَا
يا عاتباً بجريرَةٍ لم أجنِها ، ظَنّاً بأنّ وَفايَ كانَ تكَلُّفَا
باللهِ لِمْ ثَقُلَتْ علَيكَ رَسائلي ، هذا ، وأنتَ أجلّ إخوانِ الصّفَا
ولِمَ اطّلَعتَ على جِبالِ مودّتي ، فجَعَلتَها بالهَجرِ قاعاً صَفصَفَا
هَبْ أنّني أغلَظتُ قَولي عاتباً ، أيَجوزُ أن يُقلَى الصّديقُ إذا هَفَا
إنّ الصّديقَ ، إذا تأكّدَ حقّهُ بالودّ أغلَظَ في العِتابِ وعَنّفَا
وكذا سَميعُ العَتبِ في حالِ الرّضَى يُغضي له ، وإذا تحَرّفَ حرّفَا
كالرّاحِ تُدعَى الإثمَ عندَ مَلالها ، ومعَ الرّضَى تُدعى السّلافَ القَرقَفَا

حالة غدر

أتُكرِمُني سِرّاً ، وتَثلِمُني جَهرا ، لعَمرُكَ هذا حالُ مَن أضمرَ الغَدرَا
فهَلاّ عكَستَ الحالَ أو كنتَ جاعلاً بعَدلكَ إحدى الحالتَينِ كما الأخرَى

خير السبيل

وقال يعاتب من من عليه بحاجة يسيرة :

حَمّلْتَنا بالمنّ حِملاً ثَقيلْ ، فحَسبُنا اللهُ ، ونعمَ الوَكيلْ
وقلتَ : إنّي مُحسنٌ مُجمِلٌ ، ولم تكن من أهلِ هذا القَبيلْ
وإنّما كانَ اتّفاقاً جرَى ، وسوفَ أجزيكَ بهِ عن قَليلْ
وإن أمُت من قَبلِ فَوزي به فَفي سَبيلِ اللهِ خَيرُ السّبيلْ

عيادة الحمار

وقال يعاتب أحد الأعيان
على ترك عيادته :

أعُودُ حِماركم في كلّ يومٍ ، إذا ما ضَرّهُ فَرطُ الشّعيرِ
ويُمرِضُني التّألّمُ مِن جفَاكم فلَم أرَ عائداً لي من زَفيرِي
فإنْ يكُ ذاكَ حَقّ جَزايَ منكم ، لإفراطِ المَحبّةِ في ضَميرِي
فشكراً للمَحبّةِ ، إذ حَطَطتم بها الأصحابَ عَن قَدرِ الحَميرِ

مشفق معذور

وقال في مثله :

عذَرتُ مَولايَ في تَركِ العيادَةِ لي ، إذ كان في الودّ عندي غيرَ مُتّهَمِ
لأنّــهُ مُشفِقٌ تَنهــاهُ رأفتُــهُ عن أن يَرانيَ في شيءٍ من الألَمِ

خلان المدام

وقال يعاتب إخواناً هجروه
لما تاب عن المدام :

أخلاّنَ المُدامِ هَجَرتُمُوني ، لهَجري عن قليلٍ للمُدامِ
وأصبَحَ مَن سمَحتُ له برُوحي يَشحّ عليّ حتى بالسّلامِ
ولم أكُ تائباً عنها ، ولكِن أردتُ بأنْ أرَى أهلَ الذّمامِ
وأعرِفَ مَن يُصاحبُني لأمرٍ ، إذا ما هَلّ -مَلّ مع التّمامِ
فشكراً للمُدامةِ ، إذ أرَتني صَديقَ الصّدقِ من مَذِقِ الكلامِ

الخطاب خطوب

وقال وكتبها إلى صديق له في
ظاهر كتاب أغلظ فيه عليه :

إقرأ كتابَكَ واعتَبره قَريبَا ، فكَفَى بنَفسِكَ لي عليكَ حَسيبَا
أكذا يكونُ خطابُ إخوانِ الصّفَا ، إن راسَلوا جعلوا الخطابَ خُطوبَا
ما كان عُذري لو أجَبتُ بمِثلِه ، أو كنتُ بالعَتبِ العَنيفِ مُجيبَا
لكنّني خِفتُ انتقاضَ مَوَدّتي ، فتَعُدّ إحساني لدَيكَ ذُنُوبَا

العاري المردود

وقال يعاتب صاحباً استعار
منه جوخة يوماً فرده :

لمّا استعرتُ من المُهذّبِ جُوخةً ... ولّى ، وأولاني جفاً وصُدودا
حاولتُها عاريّةً مردودةً ، ... فرجعتُ منها عارياً مردودا

العبد المطيع

وقال يشكو إلى مخدومه جور
أحد نوابه :

يا طاهرَ المأثُراتِ والأصلِ ، ... وصاحبَ المكرُماتِ والفضلِ
ومَن إذا ما احتمَى النّزيلُ بهِ ... كانَ لدَيهِ كالصّارِمِ النّصلِ
أشكُو إلى ظلّكَ الظّليلِ لنَا ... من جَورِ باغ مُستَحكم الجَهلِ
أبعدَما شاعَ أنّني لكُمُ ... عَبدٌ مُطيعٌ في القَولِ والفعلِ
يَصدُرُ في مثلِ عصركم مثل هذا ال ... فعلِ من مِثلِه إلى مِثلي

المؤيد من الله

قال وكتب بها إلى السلطان الملك
المؤيد عماد الدين صاحب حماة وكان
وعده أن يحمل إليه غريماً له ببلده :

لا زالَ ظلّكَ للعُفاةِ ظَليلا ، وربيعُ مَجدِكَ للمُقلّ مَقيلا
يا أيّها المَلكُ الذي آراؤهُ سَحَبَتْ على هام السّحابِ ذُيُولا
أنتَ المُؤيَّدُ من إلهكَ بالذي طُلتَ الأنامَ به ، ونِلتَ السُّولا
بسَماحَةٍ تَذَرُ العُفاةَ أعزّةً ، وحَماسَةٍ تَذرُ العَزيزَ ذَليلا
وشَمائلٍ لو صافحتْ عِطفَ الصَّبا خِلتَ الشّمالَ من الصّفاءِ شَمولا
وصَوارمٍ حمَتِ البلادَ حدودُها ، وأرَتكَ في حَدّ الزّمانِ فُلُولا
فنَظَمتَها فوقَ الرّقابِ غلاغلاً ، وتَخالُها بَينَ الضّلوعِ غَليلا[1]
طمَحَتْ إلىعَلياكَ أحداقُ الوَرى ، وارتَدّ طَرفُ الدّهرِ عنك كَليلا
وهبَتْ لكَ العَلياءُ حقّ صداقِها ، حتى رَضيت بأنْ تَراكَ خَليلا
إن أمّ رَبعَكَ من وفودِكَ قاصدٌ ، أمْسَتْ بيُوتُ المالِ منكَ طُلولا
تُعطي وتَسألُ سائليكَ معَ العَطا عُذراً ، فكنتَ السّائلَ المَسؤولا
تَجِدُ اليَسيرَ من المَدائحِ مُفرِطاً ، وتَرَى الكَثيرَ من العَطاءِ قَليلا
يا مَن ،إذا وَعَدَ الجَميلَ لوَفدِه ، أضحَى الزّمانُ بما يَقولُ كَفيلا

---

١ الغلاغل : عروق الأشجار الممعنة في الأرض ، ولعله أراد بها الاغلال .

مَولايَ تَثقيلي علَيكَ كَثيرٌ إذ كانَ ظَنّي في عُلاكَ جَميلا[1]
وبريفِ مِصرِكَ لي عَزيزٌ لم أجِدْ بسِواكَ للإنصافِ منهُ سَبيلا
لمّا عرَضتُ على عُلاكَ لذكرِهِ طَرَفاً وصادَفَ من نَداكَ قَبولا
هَنَّأتُ نَفسي ، ثمّ قلتُ لها ابشري وثِقي ، فذلكَ وَعدُ إسماعيلا
هوَ صادِقُ الوَعدِ الذي لوَفائِهِ نَستَشهِدُ الآياتِ والتّنزِيلا
قد ظَلّ يَفتَخِرُ القَريضُ بأنّني صَيّرتُهُ طَوراً إلَيكَ رَسُولا
والعَبدُ مُشتَهِرٌ بحبّكَ ، ناطقٌ بجَميلِ ذكرِكَ ، بُكرَةً وأصيلا
فاجعَلْ إجازَةَ شِعرِهِ من مالِهِ ، إذ شأنُهُ أن لا يرَى التّثقيلا

ماء الحياء كماء النجاة

وقال وكتب بها إلى أحد الأعيان :

كفَرضِ الصَّلاةِ فروضُ الصِّلاتِ ، ومَطلُ العِداتِ كحَربِ العُداة[2]
ومَن جادَ بَعدَ تَمادي المطالِ ، فإنّ العَطيّةَ أجرُ السُّعاةِ
فكَيفَ امرؤٌ جالَ في فِكرِهِ بأنّ المطالَ سَفينُ الحَياةِ
ولم يَعتَرِفْ أنّ ماءَ الحَياءِ عندَ الكِرامِ كماءِ النّجاةِ

---

١ صدر البيت مختل .
٢ العدات ، الواحدة عدة : الوعد .

الوعد السقيم

وعدُكم بالنّدى سَقيمُ ، وأُمّ آمالِنـا عـَقيمُ
وَهَبتُمُ مَوعِداً ونمتُم ، فعِنديَ المُقعِدُ المُقيمُ
يا رَقدَةً لم يَحْظَ قَديماً بمِثلِها الكَهفُ والرّقيمُ
قعُودُها عن قَضاءِ حَقٍّ ، لعُذرِ مَن لامَني يُقيمُ

نسيان

تَناسَيتَ وعدي ، وأهمَلتَهُ ، وغَرّكَ في ذاكَ منّي السّكوتُ
إلى أن عَلاه غُبارُ المطالِ ، وخيّمَ من فَوقِهِ العَنكبوتُ
فَناسَيتُ نَفسي وعَلّلتُها بأن سوفَ أذكُرُه ، إذ حَيِيتُ
فلَمّا تَجاوَزَ حَدّ المطالِ ، نَسيتُ بأنّي لَهُ قد نَسيتُ

متى نرى وعدكم؟

قد قضَينا العُمرَ في مطلِكُمُ ، وظننّا وعدَكم كانَ مَناما
أإذا مُتنا نَرَى وَعدَكُمُ ، أم إذا كُنّا تُراباً وعِظامَا ؟

ليلة القدر

قد صَبرنا بالوَعدِ منكَ شهوراً ، ما رأينا بهنّ لَيلَةَ قـدرِ
كلُّ تلكَ الشّهورِ بيضٌ ، ولكن لَيلَةُ القَدرِ خَيرٌ من ألفِ شَهرِ

انعموا بعذر

وعَصرِ الرّضَا إنّي لدَيكَ لَفي خُسرِ بمَطلي . وقلبي فيكَ لم يرضَ بالصّبرِ
ووَعدُكَ مُحتاجٌ إلى فَسحِ مُدّتي ، وربّكَ أدرَى ما تخلّفَ من عُمرِي
وفرطُ التّقاضي يُوهمُ النّاسَ أنّني هجَمتُ ، واستَنزعتُ ذلكَ بالقَسرِ
فإن صَدّ عن إنجازِهِ المَنعُ . فانعِمُوا بعُذرٍ . فإنّ العُذرَ أسوَى من الغَدرِ

فاتني النوم

هجرْتُ الكَرَى مذ نمتَ عن ذكرِ موعدي ، لئلاّ أرَى إخلافَ وَعدك في الغُمضِ
فما فُزتُ بالوَعدِ الذي رُمتُ قَبضَهُ . وقد فاتَني النّومُ الذي كان في قَبضِي

حمالة الحطب

وقال أيضاً وقد رآه أحد الأمراء في دار له
في ماردين وأوقد في بخير بها جميع حطب في
الدار ووعد أن يرسل بغاله لتحمل له عوضه :

إنّ البَخيرِيّ مُذ فارَقتُموهُ غَدَا　　يَسفي الرّمادَ على كانُونِه الحَرِبِ[1]
لو شِئتُمُ أنّهُ يُمسِي أبا لَهَبٍ　　جاءتْ بغالُكُمُ حَمّالَةَ الحَطَبِ

من هو الكريم

وقال في التقاضي :

ولَيس كَريماً مَن يَجُودُ بمَوعِدٍ ،　　ويَمطُلُ حتى يُقتَضَى بعِتابِ
ولكنّهُ مَن يُتبِعُ القولَ مُسرِعاً ،　　جَزيلَ ثَوابٍ ، أو جَميلَ جَوابِ

وعد ومطل

وَعَدتُم ، وأعطَيتُم مدى المَطلِ حقّهُ　　على قَدرِهِ حتى سئِمنا التّمادِيَا
فلَمّا تَقاضَينا بشِعرٍ سخطتُمُ ،　　وقلتُم : غَدا ، بعدَ المَدائحِ ، هاجيَا
وما كانَ ذاكَ الهُزءُ ظُلماً ، وإنّما　　يُذَكّرُ بالأشعارِ مَن كانَ ناسِيَا
فإنْ قُلتُمُ إنّا ظَلَمنا ، فلَم نكن　　ظَلَمنا ، ولكِنّا أسأنا التّقاضِيَا

[1] أراد بالحرب الذي ينادي بالحرب ، أي بالويل لفراغه .

علينا الصبر

وقال أيضاً والبيت الأخير
منها يحتمل الذم والمواربة عنه :

علَينا، إذا ما طالَ مطلُكُمُ، صَبرُ، ومقصودُنا ألاّ يَضيقَ لكم صَدرُ
ولَيسَ لَنا نحوَ العِتابِ تسرُّعٌ، إذا ما وَنَى الانجازُ أو عَجِلَ العُذرُ
ولكن سنَنسَى ما وَعَدتُم لعَلّهُ يَدورُ اهُ يوماً بفِكرِكمُ ذِكرُ
وإن حالَ داعي المَوتِ دونَ نجازِهِ، فلا رَحِمَ الرّحمنُ مَن ضَمّهُ القَبرُ

العذر الواضح

يا مانحي مَحضَ الوُعودِ، ومانِعي حِفظَ العُهُودِ، ومُجتَنَى مَعرُوفِهِ
لي، كلَّ يومٍ، منكَ عُذرٌ واضِحٌ، وأخافُ أن يُفضِي إلى تَصحيفِهِ[1]

لا تقطعوا رسائلكم

قال في تقاضي أجوبة الكتب :

باللهِ لا تَقطَعُوا عنّا رَسائِلَكم، فإنّ فيها شِفاءَ القَلبِ والبَصرِ
وآنسونا بها إن عَزّ قربُكُمُ، فالأنسُ بالسّمع مثلُ الأنسِ بالنّظرِ

---

[1] تصحيف عذر : غدر .

لا كتاب ولا جواب

تَقصُرُ الكُتُبُ عن تَطاوُلِ عتبي ، ليتَ شِعري ، فما الذي كان ذَنبي
لا كتابٌ يأتي ابتداءً ، ولا رَ دُّ جَوابٍ ، إذا ابتدأتُ بكُتْبي
ولعَمري ما زالَ حبّكَ قيداً ، في حالتَيْ بُعادي وقُربي
فإذا لحتَ كنتَ قيداً لعيْني ؛ وإذا غِبتَ كنتَ قيداً لقلبي

يا بصيراً

يا بَصيراً إلاّ بإبصارِ كُتْبي ، وجَواداً إلاّ بردّ جَوابي
ولوَ انّي بلَغتُ سُؤلي من الدّهـ رِ لَوافَيتُهُ مكانَ الكِتابِ

أنت والزمان

لا تكُنْ أنتَ والزّمانُ على عبـ ـدِكَ بالبَينِ والجفَا أعوانَا
فهوَ راضٍ بلَمحِ كتبِكَ ، إذ لم يَسمَحِ الدّهرُ أن يَراكَ عِيانَا

قضي الأمر

نَسيتَ عهودي ، واطّرَحتَ رَسائِلي ، كأنْ لم يدُرْ يوماً بفِكرِكَ لي ذكرُ
وقد كنتُ أخشَى بعضَ ذاك ، فعندما قطعتَ جَوابي ، قلتُ: قد قُضِيَ الأمرُ
وقد كانَ ظَنّي فيكَ أنّكَ ذاكري ، ولو جُرّدَتْ ما بَينَنا الأنصُلُ البُترُ
فكَيفَ ولا الخطّيّ يخطِرُ بَينَنا ، ولا نَهِلَتْ منّا المثقّفَةُ السُّمرُ

يقبل الأرض

يُقَبّلُ أرضاً شرّفَتها رِكابُكم ، ويُلصِقُ أحناءَ التّرائِبِ بالتُّربِ[1]
ويَسألُكُم أن لا يكونَ نَصيبُه من الرّدّ إلاّ رَدّ أجوبةِ الكُتبِ

رادع العتاب

قد قَنعنا مِنكم برَدّ الجَوابِ ، دونَ إسعافِنا بما في الكِتابِ
فاجعَلُوهُ زكاةَ مَقدرَةِ الحُكمِ علَينا . أو رادِعاً للعِتابِ

[1] الترائب ، الواحدة تريبة : أعلى الصدر .

أضربت صفحاً

أضرَبتَ صَفحاً إذ أتتكَ صَحيفتي ، فطَوَيتَ كَشحاً عندَ رَدّ رَسائلي
أظنَنتَ كلَّ الرّدّ يَقبُحُ فِعلُهُ ، ردُّ الجَوابِ خلافُ رَدّ السّائلِ

تغاب لا غباوة

لو فعَلتُم معَ المُحبّ صَوابَا ، ما جَعَلتُم تَركَ الجَوابِ جَوابَا
ولوَ انّي عَلمتُ أنّ علَيكُم فيهِ ثقلاً لَما بَعَثتُ كِتابَا
كَيفَ أخرّتُمُ جَوابي وما كُنّا كما يَزعُمُ الحَسودُ غِضابَا
لاحَ إعراضُكُم ، ولَستُ غَبيّاً بقِلاكمُ ، لكِنّني أتَغابَى

القناعة بالرد

سألتُكُمُ رَدّ جَوابي فكم يدٍ لكم من قَبلِها عندي
فقَلّدونا مِنّةً ، واعجَبوا مِن سائلٍ يَقنَعُ بالرّدّ

لا تعرف الرد

تركتَ إجابةَ كُتْبي إليكَ ، لَحَقّ تَشَبّهَ بالباطِلِ
لأنّي سألتُكَ رَدّ الجَوابِ ، ولا تَعرِفُ الرّدّ للسّائلِ

جمال الرد

لا تَخشَ مِن رَدّ الجَوا بِ ، وقد بدأتُكَ بالكتابِ
فالرّدّ يَجمُلُ في الأما نَةِ والتّحيّةِ والجَوابِ

لا خلخال ولا قلب

أقُولُ وقد وافتْ إلى الصّحبِ كُتبُكم ، ولم أرَ لي ، من دونهم ، بينَهم كُتُبَا
تَجُولُ خَلاخيلُ النّساءِ ، ولا أرَى لرَملَةَ خلخالاً ، يَجولُ ، ولا قُلبَا[1]

كنت أخشى

كنتُ أخشَى عَذلَ العَواذِلِ ، حتى صِرتَ مُستَثقِلاً لرَدّ جَوابي
فتركتُ التّثقيلَ في بَعثِ كُتْبي ، واستراحَتْ عَواذِلي من عِتابي

---

١ القلب : سوار للمرأة .

الجواب الشافي

عَوَّدْتَني ، بسَوابقِ الألطافِ ، أُنساً تَرومُ ببَسطِهِ استعطافي[1]
فعَلامَ تُعرِضُ عن جَوابيَ جائراً ، والجَورُ ضِدٌّ خَلائقِ الأشرافِ
فاشفِ القُلوبَ ، فقَد غدَونا على شفاً بجَوابِ طِرسٍ من يَدَيك يُوافي
فلأنتَ في حالَيْ حُضورِكَ والنّوى ما زِلتَ تَعهَدُ بالجَوابِ الشّافي

الروح المعتلة

روحي التي اعتَلَّتْ لبُعدي عنكُمُ ، وغَدَتْ تُعَلَّلُ عندَ سَطرِ كتابي
تُبدي اشتياقاً كالسّياقِ ، وتَرتَجي رَمَقاً ، فرَدَّدَهُ بردِّ جَوابِ

السماع بالعين

لقَدِ اشتاقَ سَمعي منكَ لَفظاً ، وأوحَشَني خِطابُكَ بعدَ بَيْني
فأودِعْ طيبَ لَفظِكَ لي كتاباً ، لأسمَعَ ما تُخاطِبُني بعَيْني

---

[1] الألطاف ، الواحد لطف : الهدية .

الباب التاسع

في الهدايا والاعتذار والاستعطاف والاستغفار

بحر وغدران

قال وكتب بها إلى القاضي علاء الدين ابن الأثير كاتب السر بمصر وكان لا يقبل هدية :

تَاللهِ إلاّ ما قَبِلتَ هديّتي ، وجعلتَ لي فَضلاً على الأقرانِ
فالبَحرُ تَنشأُ منهُ كلُّ سَحابَةٍ صَدرَتْ، ويَقبلُ فاضِلَ الغُدرانِ

البحر يمطره السحاب

وقال قريباً منه :

نَزِفُّ إلَيكَ أبكارَ المَعاني ، وسائرُها لَنا منكَ اكتِسابُ
ونَحمِلُ من نَداكَ إليكَ مالاً ، فأنتَ البَحرُ يُمطِرُهُ السّحابُ

هدية عبد

وقال وكتب بها مع طبق
حلوى على يد غلام له :

عبدُك قد أرسَلَ أدنَى خدمَةٍ إليكَ ، يا مَن بالجَميلِ قد سَبَقْ
فانظرْ بلَحظِ الجبرِ ، أو عينِ الرّضا نحوَ غُلامٍ وكاتبٍ وطَبَقْ

جبر القلوب

لو فرَضنا أنّ الهَديّةَ لا تَحـ مِلُ ، إلاّ نِهايَةَ المَطلوبِ
شَقّ هذا على المقل ، ولكن من صِفاتِ الكِرامِ جبرُ القلوبِ

الهدية على مقدار مهديها

لو أنّ كلّ يَسيرٍ رُدّ مُحتَقَراً ، لم يَقبَلِ اللهُ للوَرى عَمَلا
فالمَرءُ يُهدي على مِقدارِ قُدرَتِهِ ، والنّملُ يُعذرُ في القَدرِ الذي حَمَلا

هدية متواضعة

بَعَثتُ هديـّتي لكُمُ ، ولـَيستْ بقـَدرِكَ في القـِياسِ ولا بقـَدري
ولكن حَسبُ إمكاني ، وأرجو لد َيكَ قبولـَها وقيامَ عـُذرِي
فدَعْ كـَسرَ القلوبِ ، ففي حِسابي يكونُ لـَنا مـُقابَلـَةٌ بجبرِ

القدر الواهن

مَولايَ هذا قـَدَرٌ واهِنٌ ، يـُخبِرُ عن قِلـّةِ مَيسورِي
ليسَ على قـَدري ولا قدرِكم ، لكن على مِقدارِ مـَقدورِي

السيف الواصل

قال وكتب بها مع سيف
أهداه لأمير كان مقاطعه :

بَعَثتُ الحُسامَ إلى مثلِهِ ، ولم أكُ في حَملِهِ جاهلا
وشاهـَدتـُهُ مـُرهـَفاً قاطِعاً، فصَيـّرتـُهُ بَينـَنا واصِلا

يد الخطوب

قال وقد أهدى لصديق له دون ما وعده به :

تركُ التَّكلّفِ فيما قد خدَمتُ بهِ أولى من المَطْلِ والإخلافِ والمَلَلِ
وربَّ قائلِ قَولٍ قَصّرَتْ يَدَهُ يَدُ الخُطوبِ ، فصَدّتهُ عن العَمَلِ

العذر الجميل

وقال في ترك الهدية :

أُجلّكَ أن تُواجهَ بالقَليلِ ، ولم أقدِرْ على القَدْرِ الجزيلِ
فأترُكُ خيرَةً هـذا وهذا ، وأطمعُ منكَ بالعُذرِ الجَميلِ[1]

---

١ الخيرة : الاختيار .

مجدل الابطال

قال يعتذر إلى الأمير الكبير المعظم غياث الدين زكريا بن جلال الدين حاكم سنجار رحمه الله وقد اجتمع به في مجلس السلطان الملك الصالح صاحب ماردين بالفردوس فوهبه مالا فوهبه للمطربين ومعه شيء آخر فعظم عليه ذلك وأرسل يعاتبه فكتب إليه :

لم تَبغِ هِمَّتُكَ المَحَلَّ العالي ، إلاّ وأنتَ مُوَفَّقٌ لكَمالِ
وكذاكَ ما عَشِقتْ خلائقُكَ العُلى ، إلاّ وللأموالِ قلبُكَ قالي
أمُجَدِّلَ الأبطالِ ، بل يا باذِلَ الـ أموالِ ، بل يا حامِلَ الأثقالِ
صَيَّرتَ أسحارَ السَّماحِ بَواكراً ، وجعَلتَ أيّامَ الكِفاحِ لَيالي
بحَماسَةٍ مَقرونَةٍ بسَماحَةٍ ، وجَلادَةٍ مَشفُوعَةٍ بجِدالِ
تُحمي الجِوارَ من الحَوادِثِ مثلَما يَحمي فريسَتَهُ أبو الأشبالِ
أغياثَ دينِ اللهِ ، يا مَن رأيُه يُغنيهِ عن خَطّيّةٍ ونِصالِ
ما كنتُ أعلَمُ ، قَبلَ لُحتَ لناظري ، أنّ الجُيولَ تَسيرُ بالأجبالِ
طاوَعتُ فيكَ تَفَرّسي وتَوَسّمي ، وعَصَيتَ فيكَ مَلامَةَ العُذّالِ
ما زِلتُ منذُ سرَى رِكابُكَ ماثِلاً أتَوَقّعُ الإقبالَ بالإقبالِ
وجَهِدتُ أنّي لا أسيرُ ميَمّماً ، حتّى أُمَثِّلَ بالمَقَرِّ العالي
في جَنّةِ الفِردوسِ كانَ مُقامناً ، وبمثلِها في الحَشرِ يَنجحُ فالي
فكأنّ ذاكَ اليَومَ رِقدَةُ نائمٍ ، وكأنّ عَيشي فيهِ طَيفُ خَيالِ
ما تلكَ للسّلطانِ أوّلَ مِنّةٍ ، عَمّتْ يَداهُ بمِثلِها أمثالي

مَلِكٌ عَرَفْتُ بِهِ المُلوكَ ، فَلَمْ يَزَلْ شِعري بِهِ عالي ، سِعريَ غالي
لمّا رأيتَ لسانَ شُكري قاصِراً ، وعَلِمتَ وِدّي من لسانِ الحالِ
وحفظتُ عهدكَ مثلَ حِفظي صِحّتي وشَهِدتَ في ذاكَ المَقامِ مَقالي
أغراكَ جُودُكَ بي ، فجُدتَ تَبرّعاً، وسألتَني لمّا أمِنتَ سُؤالي
فأبَيتُ أن أرضَى ، لصِدقِ محبّتي ، ثَمَناً ، وأُرخِصُ قَدرَ وُدّي الغالي
ومنَحتَني ، فبَذلتُ مالَكَ في يَدي، وحسَدتُ جُودَكَ لي ، فجِدتُ بمالي
إذ كنتُ أرغبُ في رِضاكَ ، ولم يكن لي ، مع ودادِكَ ، رَغبَةٌ في المالِ
وأوَدّ أن أُجري ببالِكَ بعضَ ما يُجري مَديحُكَ والثّناءُ ببالي
ما كنتُ أُنهِكُ بالتّوَقّعِ بالعَطَا عِرضي ، فأُسمِنَ جارَتي بهُزالي
لكن أُزيلُ نَفيسَ ما ملَكَتْ يَدي أنَفاً ، وماءُ الوَجهِ غَيرُ مُزالِ
شِيَمٌ عَهِدتُ بها مَساعيَ مَعشري ، فسَحَبتُ في آثارِهم أذيالي
ما طالَ في الدّنيا تَنَعّمُ راحَتي ، إلاّ وقد قَصُرَتْ بها آمالي
ما في نِظامي غَيرَ تَركِ مَدائحي نَقصٌ ، وذاكَ النّقصُ غيرُ كَمالي

للاقلام طغيان

وقال يعتذر عن غلطة
سبق بها القلم بين يديه :

طَغَى اليَراعُ لبَسطي في العِنانِ لهُ ، وهوَ الجَوادُ وظهرُ الطِّرسِ مَيدانُ
فلا تُؤاخِذْ بطُغيانِ اليَراعِ ، إذا جرَى عليّ ، فلِلأقلامِ طُغيانُ

شركة في المال

وقال يعتذر إلى الملك المنصور وقد وهبه
يوماً مالا ففرقه ببابه فأنكر عليه :

فوالله ما فَرّقتُ ما جُدتَ لي بهِ على الصّحبِ عن تيهٍ عَرانيَ أو كِبرِ
ولكنّني لمّا علِمتُ بأنّني أقصّرُ عن أداءِ حقّكَ بالشّكرِ
شَرِكتُ جَميعَ الصّحبِ فيها لعلّها تُساعدُ في شكرٍ يقومُ به عُذرِي

خادم وحاجب

وقال يعتذر إليه ، وقد سار في ركابه
مرة أولا ومرة أخيراً :

إن سارَ عَبدُكَ أوّلاً ، أو آخراً ، في ظِلّ مَجدِكَ ما تَعدّى الواجبَا
فإذا تأخّرَ كانَ خلفَكَ خادِماً ، وإذا تَقَدّمَ كان دونَكَ حاجِبَا

حاجة في نفس يعقوب

وقال يعتذر إلى ولده الملك ناصر
الدين محمد عن الانقطاع بسبب سعي غلام
له به يدعى يعقوب :

نالَتِ الأعداءُ بالسّعيِ مُناها ، فبرُغمي يا أبا الفَضلِ رِضاها
كانَ سَعيُ الضّدّ فيما بَينَنا حاجةً في نَفسِ يَعقوبٍ قَضاها

الذئب المتهم

وقال يعتذر إلى أحد الأعيان
عن أمر عزوه إليه:

يا عَلَماً لاحَ لخَفضِ العِدى، وهوَ لرَفعِ الذّكرِ مَنصوبُ
عَبدُكَ قد جاءَكَ مُستَصرِخاً، وقلبُهُ بالهَمّ مَكرُوبُ
حاشاكَ أن تُنصِفَ مَن دونَه ، وحقّهُ عندَكَ مَغصُوبُ
فكلٌّ ما يَغرِسُ وحشُ الفَلا مُتّهَمٌ في فِعلِهِ الذّيبُ
الذّئبُ لا يُؤمَنُ لكِنّهُ علَيه في يوسُفَ مَكذوبُ
وقد تجَلّى الحَقّ من بَعدِ ما صَدّقَ فيهِ السّعيَ يَعقُوبُ
كذلكَ العَبدُ الذي حَقّهُ بباطلِ الأعداءِ مَغلوبُ
رأوكَ للسّعيِ بهِ سامعاً ، فلَفّقتْ عَنهُ الأكاذيبُ

مكافأة الطبيعة

وقال يعتذر إلى القاضي تاج الدين
ابن وشاح قاضي الحلة عن قيل فيه
وعزوه إليه كتبها اليه عند وصوله
من جبل الهكار :

حَذراً علَيكَ من الفَعالِ الجافي ، أُدنيكَ مُجتَهِداً إلى الإنصافِ
وأوَدّ فِعلَكَ للجَميلِ مَخافَةً ، إنّ الطّبيعَةَ للمُسيءِ تُكافي

يا شائنَ الحُسنِ البَديعِ ببدعَةِ الـ هَجرِ الشّنيعِ وكَثرَةِ الإخلافِ
لا تَقرِنَنّ الحُسنَ منكَ بضدّهِ ، إنّ الإساءَةَ للجَمالِ تُنافي
يا جامعَ الوَردِ الجَنيّ ، ومائِهِ في الخَدّ ، لِمْ أُشرِبتَ ماءَ خِلافِ[1]
يا عاذلي في الحبّ لمّا أن رأى وَجدي وبِشري في الهَوى بتَلافِ
لو سرتُ في قدسِ المَحبّةِ حافياً ، لعَلِمتَ كيفَ يكونُ بِشرُ الحافي
إنّ الذي أضحَتْ صوارِمُ لحظِهِ تَحمي مَراشفَهُ من التّرشافِ
لو شاءَ أن يَشفي المحبَّ سَقاهُ من تلكَ الشّفاهِ بأوّلِ الأعرافِ
فسقَى رُبَى المَرجِ الأنيقِ ولالشٍ ، والعَينَ صَوبَ الوابلِ الوكّافِ[2]
أرضاً حلَلتُ مُمتّعاً في أهلِها ، فكأنّهم إلفايَ ، أو أحلافي
ما زِلتُ أنعَمُ في جَديدِ سوالِفٍ منها ، وطَوراً في عَتيقِ سُلافِ
من كلّ مَجدولِ القَوام مُهَفهَفٍ، فَحلِ اللّحاظِ مُخَنَّثِ الأعطافِ
من فتيَةِ الكُردِ الذينَ لجَدّهم شَرَفٌ مُنافٍ أهلَ عَبدِ مَنافِ
قومٌ إذا أسرُوا الملوكَ بأرضِهِمْ ، جَعَلُوا الشّعورَ حَمائلَ الأسيافِ
غَصبُوا الوُعولَ بها القِيانَ وَوطّدوا وَعرَ الذّرى بتَسهّلِ الأكنافِ[3]
وبنَوا على قُلَلِ الجِبالِ بيوتَهُم ، إنّ البِقاعَ مَنازِلُ الأشرافِ
خلَفَتْ عيونُهُمُ السّهامَ ، ولم أخَل أنّ القُلوبَ لها من الأهدافِ
ورَنَوا بأجفانٍ ضِعافٍ في الوَغَى ، لكنّها في الفَتكِ غَيرُ ضِعافِ

---

١ الخلاف : صنف من الصفصاف ، وفي الكلام تورية .
٢ لالش : لعله موضع .
٣ قوله القيان : هكذا في الأصل ، ولم ندرك ماذا أراد .

حمَلوا البُدورَ على الغُصونِ وكلّفوا ضُعفَ الخُصُورِ تَحمّلَ الأحقافِ[1]
عقَدوا البُنودَ على الخُصورِ فأظهرَتْ ما كانَ مَجهُولاً من الأردافِ
وتَسربَلُوا بدُجَى الشّعورِ ، فأسبلوا ، فوقَ الصِّباحِ ، مَدارعَ الأسدافِ[2]
وتَتوّجوا بقَلانِسٍ مُحمَرّةٍ ، جَعدٌ على سَبَطِ الأثيثِ الصّافي[3]
حُمرٌ على سُودِ الشّعورِ ، كأنّها شَفَقٌ على بَحرِ الدُّجُنّةِ طافِ
قُل للذي أخذَتْ مَناطقُ خَصرِهِ من فَرعِهِ خَبراً عَنِ الأشنافِ
إن يَزْهُ خصرُكَ بالوشاحِ فقد زَهَتْ بفِني وشاحٍ سائرُ الأطرافِ[4]
الحاكمُ الحَكَمُ الذي شهِدَتْ لهُ أعداؤهُ بالعَدلِ والإنصافِ
قاضٍ ، إذا التبَستْ حقيقَةُ مُشكِلٍ أبدَتْ لهُ الآراءُ ما هوَ خافِ
وإذا أفاضَ البَحثَ ساقَطَ لَفظُهُ دُرَراً تُنَزّهُها عَنِ الأصدافِ
وإذا المَسائلُ في الجِدالِ تَعرّضَتْ بالعيّ أقبَلَ بالجَوابِ الشّافي
مولًى طَوارِفُ مالِهِ وتِلادُهُ وَقفٌ على الإسعادِ والإسعافِ
طُبِعَ الأنامُ على الخِلافِ وَجُودُهُ ، في النّاسِ ، مسألَةٌ بغَيرِ خِلافِ
بذَلَ النُّضارَ معَ اللّجَينِ وعِرضُهُ في الصّونِ كاسمِ أبيهِ في الأوصافِ
يُبدي اهتزازاً للمَديحِ ، كأنّما عُوطي ، وحاشاهُ ، كؤوسَ سُلافِ
ولربّما جَلّى العَجاجَ بسَيفِهِ ، والنّقعُ أحلَكُ من جَناحِ غُدافِ[5]

١ أراد بالأحقاف : الأرداف على التشبيه بأحقاف الرمل ، وهي كثبانه .
٢ الأسداف ، الواحد سدف : الظلمة والضوء ، وأراد هنا الشعور السود .
٣ السبط : ضد الجعد . الأثيث : الشعر الكثير الملتف .
٤ قوله : بفني وشاح ، هكذا في الأصل .
٥ الغداف : الغراب .

من فوقِ يَعبُوبٍ لهُ يومَ الوَغَى   سَبَقُ القَطا ، وتَقَلّبُ الخطّافِ[1]
يَنمي إلى القَومِ الذينَ إذا سَطَوا ،   أغنَتْ عَزائمُهُم عن الأسيافِ
يتَهافَتونَ على القِراعِ وفي النّدى   يتَهافَتونَ على قِرى الأضيافِ
أغناهمُ عن رَفعِ نيرانِ القِرى   ذكرٌ لهم عالٍ ، وشكرٌ وافِ
لا عَيبَ فيهم غيرَ أنّ نَوالَهُم ،   في النّاسِ ، مَنسُوبٌ إلى الإسرافِ
مولايَ ، تاجَ الدّينِ ، يا مَن حِلمُهُ   وسَماحُهُ يُغني عن استعطافي
كيفَ استَخرتَ سَماعَ ما نقلَ العِدى   عنّي ، وذلكَ للصّحيحِ يُنافي
أفصَحّ أنّ الذّئبَ آكِلُ يوسُفٍ ،   أوَلَيسَ فيهِ لَكُم دَليلٌ كافِ
حتى تُقاسَ عليهِ كلّ رَفيعَةٍ   رَفعَ السّعاةُ بها إلى الأشرافِ
ولقَد بسَطتُ العُذرَ عندَكَ فاعتَبرْ   مَبسُوطَهُ من رأيكَ الكَشّافِ
كم طالبٍ عَفواً ، وليسَ بمُذنبٍ ،   ومُقَدّمٍ عُذراً ، وليسَ بهافِ
ومُؤنَّبٍ في الانقِطاعِ ، وإن غَدا   مُتَجافياً خَجَلاً ، فلَيسَ بجافِ
ولربّ جانٍ ، وهوَ غَيرُ مُجانِبٍ ،   ولربّ وافٍ ، وهوَ غيرُ مُوافِ
شُكراً لواشٍ أوجَبَتْ أقوالُهُ   حَجّي لكَعبَةِ رَبّكُم وطَوافي
بُعدٌ جَنَيتُ القُربَ من أغصانِهِ ،   وسكينَةٌ حصَلَتْ من الإرجافِ
ولربّما عوَتِ الكِلابُ ، فأرشدتْ   نحوَ الكِرامِ شَوارِدَ الأضيافِ
دَعْ عَنكَ ما اختَلفَ الوَرى في نَقلِهِ   عنّي ، وخُذْ مَدحاً بغَيرِ خِلافِ
مَدحاً ، أتاكَ ، ولا يَرومُ إجازَةً ،   إلاّ المَوَدّةَ والضّميرَ الصّافي

---

[1] أراد باليعبوب : المهر .

الظهر المثقل

وقال يعتذر إلى احد
الأعيان عن الانقطاع :

عَجزَي ، عن قَضاءِ حقّك بالشّكـ ـرِ ، ثَناني عنِ الجَنابِ السّامي
كَيفَ أستَملِكُ النّهوضَ بظَهرٍ ، أثقَلَتهُ يَـداكَ بالإنعامِ

الحضور كالغياب

وقال في مثله :

حضوري عندَ مَجدِكَ مثلُ غَيبي ، وبُعدي عن جَنابِكَ مثلُ قُربي
فإنْ تَكُ غائباً عن لحظِ عَيني ، فلَستَ بغائبٍ عن لحظِ قَلبي

سيان

سِيّانِ مِن رَبّ الوِدا دِ حضورُهُ ومَغيبُهُ
لا تَستَمعْ قولَ العِدَى، مَن غابَ غابَ نَصيبُهُ

يسعى على رأسه

قسماً بالحطيم والبيتِ والرّكـ ـن ، ومن حولها يطوفُ ويسعى
لو تمكّنتُ من زِيارةِ مولا يَ لوافيتُهُ على الرّأسِ أسعى
كيفَ لي دائماً بقُربِ مليكٍ ملكَ النّاسَ والسّماحةَ طبعا
إن سطا في الكِفاحِ ثوّرَ نقعاً ، أو سخا في السّماحِ أثرَ نفعا

الخوف من الحاجبين

وقال يعتذر عن الانقطاع
بضيق الحجاب :

أخافُ معَ التّردادِ تقطيبَ حاجبٍ ، وأخشَى من التأخيرِ تقطيبَ حاجبِ
فإنْ رُمتُ إقداماً ، فليسَ بمُمكنٍ ، وإن رمتُ تأخيراً، فليسَ بواجبِ
فبِاللهِ إلاّ ما جزَمتَ بحالةٍ تُخلّصُ رَبّ الوُدّ من عتبِ عاتبِ

زيارة بالقلب

وقال يعتذر من أحد الأعيان
من الزيارة بالمطر :

حسدَتْ جودَ كفّكَ الأمطارُ، فغدَتْ منكَ بل عليكَ تغارُ
صدّنا الغيثُ عن زِيارةِ غيثٍ بِشرُهُ البرقُ والنُّضارُ القُطارُ

عاقَ أجسادَنا ، فزُرناهُ بالقلـ ـبِ، وذو الفضل بالقُلوبِ يُزارُ
حَجَبَتهُ عَنّا السّحائبُ أيّا ماً ، وبالسُّحبِ تُحجَبُ الأقمارُ
فكأنّ السّحابَ رَقّ لشَكوا يَ ، ففاضَتْ منهُ الدّموعُ الغِزارُ
أو تَعاطَى بأنْ يُحاكيكَ في الجو دِ ، وهيهاتَ ما لذاكَ اعتبارُ
ذا بماءٍ يَسخُو ، وأنتَ بمالٍ ، بعَطاهُ تُستَعبَدُ الأحرارُ
أنتَ يروي نَداكَ كلُّ ذوي الفقـ ـرِ ، وذا من نَداهُ يَروي القِفارُ
ذاكَ منهُ النّهارُ يُظلِمُ كالليـ ـلِ ، ومن وَجهِكَ الظّلامُ نَهارُ
أيّها المُنعِمُ الذي لَيسَ للآ مالِ في مُنعِمٍ سِواهُ اختيارُ
ما اختَصرتُ التّردادَ إلاّ لعذرٍ ليَ يُغني عن وَصفِهِ الاشتِهارُ
رأتِ السُّحبُ أنّها حينَ تَهمي لَيسَ تَمتَدّ نَحوَها الأبصارُ
وإلَيكَ العُيونُ تَطمَحُ إن لُحـ ـتَ ، وإن غِبتَ بالبَنانِ يُشارُ
فثَنَينا بالهَطلِ بل فثُنينا ، فمَكَثنا ونابَتِ الأشعارُ
فاقبَلِ العُذرَ،فهوَ أوضَحُ عذرٍ، فلَدَى الصِّيدِ تُقبَلُ الأعذارُ

غيرة الغيث

أغارَ الغَيثَ كَفُّكَ حينَ جادَا ، فأفرَطَ في تَرادُفِهِ وزادَا[1]
أظنُّ السُّحبَ تَحسُدُنا علَيهِ ، فتَمنَعُ من زِيارَتِكَ العِبادَا

[1] الترادف : التتابع ، وأراد ترادف الجود .

ثَنانا عَنكَ ، فازدَدنا ثَناءً على عَلياكَ لا نألُو اجتِهادَا
فأغضَبنَا ، وإن أرضَى البَرايا، وأظمَأنا ، وإن رَوّى البلادَا
وكَم عنّفتُهُ في قَطعِ حَبلي ، وإن وَصَلَ الأنامَ ، فَما أفادَا
فيَضحَكُ حينَ أُوهمُهُ ، ويَبكي فيُوهِمُني الخَديعَةَ والوَدادَا
وأعجَبُ لابتسام البرقِ فيهِ ، وقد لَبِسَتْ سَحائبُهُ حِدادَا
فظَلّتْ تَحسُدُ الأوراقَ عَيني ، وقد أرسَلتُها تَشكُو البُعادَا
ولو أنّي استَطَعتُ، وقد حمَلنا بَياضَ الطِّرسِ نحوَكَ والسّوادَا
لصَيّرتُ البَياضَ لها سِجِلاًّ ؛ وصَيّرتُ السّوادَ لها سَوادَا[1]

القطوع الوصول

عاقَني الغَيثُ عن زِيارَةِ غَيثٍ ، بِشرُهُ البرقُ ، والعطاءُ السّيولُ
غارَ من كَفّهِ ومن نُطقِ فيهِ بصَنيعٍ يُسدى لَنا ، فيُزيلُ
قطَعَ الوَصلَ ثمّ واصلَ هَطلاً ، فبرُغمي ذاكَ القَطوعُ الوَصولُ
فهوَ في فِعلِهِ وَفيٌّ، خَؤونٌ ، عادلٌ ، جائرٌ ، جَوادٌ ، بخيلُ
فلذا جاءَ ، وهوَ طَلقٌ عَبوسٌ ، مَنظَرٌ رائقٌ ، ودَمعٌ هَطُولُ
فتَحَيّرتُ بَينَ مَدحٍ وذَمٍّ ، لَستُ أدري في حَقّهِ ما أقولُ
غَيرَ أنّي لَهُ شَكُوٌّ، شَكُورٌ، عاذلٌ، عاذرٌ، صَموتٌ، قَؤولُ

١ أراد بالسواد الأخير : الحبر .

صدني اليم

وقال يعتذر عن التأخر بقطع جسر دجلة :

صَدّني اليَمّ عن تيَمّمِ مَولا ... يَ لِمَدٍّ قضَى لوَصلي بجَزْرِ
فأبَيتُ ارتكابَ فُلكٍ ، وما كُنْ ... تُ جَسوراً على العُبورِ بجِسرِ
عندَ قَطعِ الجُسورِ لَستُ جَسوراً، ... أنا غمرٌ إذا نُبِذتُ بغَمرِ[1]
لستُ أرضَى بالفُرسِ مُلكاً إذا ما ... كانَ رِزقي فيما وَراءَ النّهرِ

الود ما حوته الصدور

طلَبَ الودَّ بالزّيارَةِ زَوْرٌ ، ... إنّما الودّ ما حوَتهُ الصّدورُ
كم صَديقٍ يُقَصّرُ السّعيَ تَخفيـ ... ـناً بقَصدٍ ، وكم عدُوٍّ يزَورُ
ذاكَ عُذري عن قَصدِ حضرَةِ مولا ... يَ ، وقَولي مع أنّني مَعذُورُ
إن أكُنْ في تأخرِ السّعيِ قَصّر ... تُ ، ففَرضُ المُسافرِ التّقصيرُ

....

[1] نبذت : طرحت ، رميت .

مواصلة بالدعاء

وقال يعتذر عن الزيارة بألم المفاصل
وهي لزوم ما لا يلزم :

لَئن سَلَّ الزّمانُ لَنا مَناصِلْ ، فصُنْعُ الودّ عندي غيرُ ناصِلْ
وإن أخّرتُ عن مَولايَ سَعيي ، فإنّي بالدّعاءِ لَهُ مُواصِل
وإنّي إنْ وَصَفتُ لَهُ وَلائي ، كأنّي طالبٌ تحصيلَ حاصِل
ولم يَكُ ذلكَ التّأخيرُ إلاّ لِما ألقاهُ مِن ألَمِ المَفاصِل

عيب القصر

وقال يعتذر عن انقطاع كتبه :

مَولايَ إنّ صروفَ الدّهرِ تَشغَلُني عنِ التّعَبّدِ بالأوراقِ في سَفَرِي
فكلّما طالَ شَوقي قصّرَتْ كُتُبي ، وأيّ عَيبٍ لها أسنى منَ القِصَرِ

الكتابة على الظهر

وقال يعتذر عن المكاتبة
على ظهر قرطاس :

كتَبتُ على ظَهرٍ إلَيكَ لأنّني رأيتُكَ ظَهري في جَميعِ النّوائبِ
وأعرَضتُ عن بِيضِ الطّروسِ لأنّني حُرِمتُ نَصيبي عندَ بِيضِ الكَواعبِ

قضاء الدين بالاعتذار

وقال وقد سأله بعض الخلفاء أن يكتب على يده اعتذاراً أو شفاعة إلى الملك العادل :

إنّ عَبداً أتاكَ يَلتَمِسُ العَفْـ وَ قضَى باعتِذارِهِ عَنهُ دينَا
قَد أتَى تائِباً لتَصفَحَ إن شِئْـ تَ ، وإلاّ ، فبَدّلِ الحاءَ عَينَا[1]

مرض العين لا يعاد

وقال يعتذر عن ترك عيادة أرمد :

إنّي ، وإن لم أعُدكَ يَوماً ، فلي على ودّكَ اعتمادُ
وما تأخّرتُ عَن مَلالٍ ، بل مَرَضُ العَينِ لا يُعادُ

صفاء القلوب

وقال يعتذر عن ترك الوداع :

لم أبادِرْكَ بالوَداعِ لأنّي واثِقٌ باجتِماعِنا عن قَريبِ
ولهذا تأخّرَتْ عَنكَ كُتُبي لاعتمادي على صَفاءِ القلوبِ

---

[1] بدل الحاء عيناً ، أي حاء تصفح فتصير تصفع .

ترك العتاب

وقال يعتذر عن ترك العتاب :

ما تركتُ العِتابَ ، يا مالكَ الرّ قّ ،لأنّي قد قرّ عنكَ قراري
بل تعاميتُ عن ذُنوبكَ خوفاً أن أرَى فيكَ ذِلّةَ الاعتِـذارِ

فصل الخطاب

وقال في مثله :

ربّ هَجرٍ مُوَلَّدٍ من عِتابٍ ، ومَلالٍ مؤكَّدٍ من كتابِ
فلهذا قطَعتُ عتبي وكُتبي ، حذراً أن أرَى الصّدودَ جَوابي
أيّها المُعرِضونَ عنّا بلا ذَنْ بٍ، وما كان هجرُهم في حسابي
خاطِبُونا ، ولو بلَفظَةِ شتمٍ ، وهيَ عندي منكم كفصلِ الخطابِ

سنن العدل

وقال يعتذر عن مكافأة
مسيء باساءته :

حَداني إلى ما لم يكُن من سَجيّتي ، فأحوَجَني بالقَولِ منهُ إلى الفِعلِ
وأحوَجَني بالجَورِ عن سُنَنِ الوَفا ، فأخرَجَني بالجَورِ عن سُنَنِ العَدلِ

دب بقرد

وقال يعتذر عن ترك إجازة شاعر مدحه
بالشام وافتخر عليه في شعره ولوح بالامتحان
فأجابه بقصيدة جزلة وكتب بعدها :

لوَ انّكَ بالقَريضِ قصَدتَ حمدي ... لكُنتَ معَ الإيابِ حمدتَ قَصدي
ولكن رُمتَ بالشّعرِ امتِحاني ، ... فَجاءَكَ مثلُهُ دُبّاً بقِردِ
كَسوتُكَ من قَشيبِ الشّعرِ بُرداً ... يهجّنُ شِعرَ بَشّارِ بنِ بُردِ
وكنتُ عزَمتُ أن أوليكَ بِرّاً ، ... وأحمِلَ في الإجازَةِ وُسعَ جُهدي
فلوّح لي قريضُكَ بافتخارٍ ، ... وعُجبٍ جاءَ عن تَصعيرِ خَدّ
فصَيّرتُ القريضَ لهُ جزاءً ، ... وقلتُ : جُزيتَ عن نَحسٍ بسَعدِ

مرض العين كماضي القول

وقال يعتذر عن ترك
عيادة مريض العين أيضاً :

ما انقطاعي عنِ العِيادَةِ كِبرٌ ، ... بل لأمرٍ تَداوَلَتهُ العِبادُ
مَرَضُ العَينِ في القِياسِ كماضي الـ ... قَولِ كلٌّ بَينَ الوَرى لا يُعادُ

ساكن كالياء

وقال يعتذر عن الانقطاع
بألم المفاصل أيضاً :

قد اقعَدَتني عنكُمُ مَفاصِلٌ   وإن أقامَتْ في انقطاعي عُذرِي
فصِرتُ من بَعدِ الحَراكِ ساكِناً   كالياءِ في القاضي وفي المستشرِي

العفو عند المقدرة

قال وكتب بها إلى أحد ملوك
عصره وقد قال قولا فخوفه
أحد أضداده :

إنَّ المُلوكَ لتَعفُو عندَ قُدرَتِها ،   لكنّها عن ثَلاثِ عَفوُها قَبُحَا
ذكرُ الحَريمِ ،وكشفُ السّرّ من ثقَةٍ ،   والقَدحُ في المُلكِ ممّن جدّ أو مزَحَا
والعَبدُ لم يُفشِ أسرارَ المَليكِ ، ولم   يذكُرْ حَريماً ، ولا في مُلكِهِ قَدَحَا
وإنّما قالَ قَولاً كانَ غايتَهُ   أن صرّحَ العُذرَ أو للحالِ قد شرَحَا
فكَيفَ يَسعَى وَسيطُ السّوءِ عنه بما   يُقصيهِ عنكم فيُعطي فوقَ ما اقترَحَا

منن كالمنون

وقال وكتب بها إليه
في الترفع عن التشفع :

زَجرَتني عن التّشفّعِ نفسٌ ، مِننُ النّاسِ عندَها كالمَنونِ
لم أكُنْ جاعِلاً شَفيعيَ إلاّ عفوَكَ المُرتجَى ، وحُسنَ ظنُوني
كيفَ أستَنجِدُ الشّفاعةَ من قَو مٍ همُ في المَقامِ عندَكَ دُوني
ليسَ تُغني عنّي شَفاعتُهم شيْ ئاً ولا همُ من بأسكُم يُنقذوني

سكرة الموت

لسُخطِك جاءتْسكرَةُ الموتِ بالحقّ ، فعَطفاً ، وإحساناً على عبدك الرّقّ
فقَد تَنقُلُ الأعداءُ حقّاً وباطِلاً ، فلا يَحملُ المولى الجَميعَ على الصّدقِ
وكيفَ يَرى إسخاطَ مالكِ رقّهِ ، بنَجواه ، عبدٌ ليسَ يَرغبُ في العتقِ
فرِفقاً إلى أن يُبرِزَ الحَقُّ وجهَه ، بعَبدِكمُ ، فالعَبدُ أجدَرُ بالرفقِ

أين العفو والكرم ؟

وقال وهي لزوم ما لا يلزم :

مولايَ يا مَن رَبعُهُ ، لِلاّئذينَ بهِ حَرَمْ
قد كانَ منّي زَلّةٌ ، لا عُذرَ عَنها يُغتَرَمْ
فلئِن نقمتَ ، فَما ظلَمتَ ،وإن عفوتَ فلاجرَمْ
هَبني أسأتُ كما زَعَمتَ ،فأينَ عفوك والكرَمْ ؟

قساوة الاخلاق

عهدتُكَ بي دَهراً ضَنيناً على العِدى ، إذا رَمَتِ الأعداءُ عِرضيَ بالظّنّ
وكانَ يَراني حُسن رأيكَ بالّتي يُفتّتُ أكبادَ العُداةِ مِنَ الغبَنِ
فإن حالَ ذاكَ الرّأيُ فيّ ، فَطالَما أحلتَ صروفَ الدّهرِ مُجتَهِداً عنّي
وإن قَسَتِ الأخلاقُ منك ، فطالَما ألَنتَ ليَ الأيّامَ حتى اختَشَتْ منّي

خير البر عاجله

اصبرْ لعادَتكَ الحُسنى الّتي عَجِلتْ بالبرّ نَحوي ، وخيرُ البرّ عاجلُه
وإن تَبرّمْتَ فادْلُلنا على مَلِكٍ ، يَحكيكَ لي ، فدَليلُ الخَيرِ فاعلُه

مولايْ

مولايَ مثلي لا يُضا ع ُولا يُضارُ ولا يُضامُ
وبمِثلِ ودّي لا يُقا سُ، ولا يُقال،ولا يقامُ
ولَدَيّ سرُّكَ لا يُذا عُ، ولا يُزالُ،ولا يُذامُ
فلِذاكَ سِربي لا يُرا عُ، ولا يُرادُ، ولا يُرام

غفران الذنوب

أؤمّلُ غُفرانَ ذَنبي إلَيكَ لِما كان عندك لي من مَكانِ
ولَو أنّ ذَنبي لونُ المَشيبِ، وحِلمَكَ لحظُ عيونِ الغَواني

الطمع بالعفو

طَمِعتُ بعَفوٍ منكَ عمّا اقترَفتُهُ، فليسَ له في طَيّ حلمِكمُ قَدرُ
وقلتُ بأنّ البَحرَ لا يَحمِلُ القَذَى، وما شَكّ خَلقٌ واحدٌ أنّكَ البَحرُ
وأبدَيتُ إقراراً بذَنبي لأنّهُ بهِ يَثبُتُ الإنصافُ والتّوبُ والعُذرُ

الصفح أنسب

العَفوُ منك من اعتذاري أقرَبُ ، والصّفحُ عن زَلَلي بحِلمِكَ أنسَبُ
عُذري صريحٌ غَيرَ أنّي مُقسمٌ ، لا قُلتُ عذراً غيرَ أنّي مُذنبُ
يا مَن نَمُتُّ إلى عُلاهُ بأنّنا في طَيّ نِعمَةِ مُلكِهِ نتَقَلّبُ
إنّي لأعجَبُ من وُقوعِ خطيّتي ، ولئِنْ جُزيتُ بها ، فذلك أعجَبُ

اليد الشافية

أمسَيتُ ذا ضُرٍّ وفي يَدِكَ الشّفا ، لمّا غدَوتُ من الذّنوبِ على شَفَا
وعلِمتُ أنّ الصّفحَ منكَ مُؤمَّلٌ ، والعَفوَ مَرجوٌّ لدَيكَ لمَن هَفَا
فجَعَلتُ عُذري الاعترافَ بزَلّتي ، إذ ما بها في طَيّ عِلمِكَ من خَفَا
فإذا انتَقَمتَ ، فإنّ ذَنبي مُوجِبٌ ، ولئن عَفَوتَ ، فإنّ مثلَكَ من عَفَا

البين أعظم

وقال يستعطف بعض الإخوان :

أقيموا على الإعراضِ مع قُربِ دارِكم ، ولا تُتلِفُوا الأرواحَ بالبُعدِ عَنكُمُ
فقَد سَهّلَ البَينَ المُشَتِّتَ بَينَنا جَفاكم وأحلى صَدّكم وهوَ عَلقَمُ

وإنّا لنَرضَى بالدّنُوّ بسُخطِكُم ، ونَقنَعُ بالإعراضِ في القُربِ منكُمُ
ونَختارُ أيّامَ الصّدودِ ، لأنّنا نَرى عِظَماً بالصّدّ ، والبَينُ أعظَمُ

تجرّم المولى على عبده

مثلُكَ مَن يَعتَبُ في صَدّهِ ، توَثّقاً بالمَحضِ مِن ضِدّهِ
جفَوتَ عَبداً لو كوَتْ قلبَه نارُ الجَفا ما حالَ عَن عَهدِهِ
ولَيسَ لي ذَنبٌ ، ولكنّهُ تَجَرُّمُ المَولى على عَبدِهِ

إصفاء الود

حاشاكَ تَسمعُ فيّ ما نقَلَ العِدى ، وتَظنّ ودّي فيكَ كانَ تكَلُّفَا
إنّ الكَبيرَ أجلُّ قَدراً أن يُرى عَجِلَ التّغَيّرِ للصّديقِ ، إذا هفَا
لكنْ يُنَقِّبُ عن حقيقةِ جُرمِهِ ، مُتَبَيّناً ، فإذا تحَقّقَهُ عفَا
عِلماً بأنّ ذَوي المَحبّةِ مَعشَرٌ جُبِلَتْ قلوبُهمُ على حِفظِ الوَفَا
فالخِلّ يُصفي ودّهُ متَكَدِّراً ، والضّدّ أكدَرُ ما يكونُ إذا صَفَا

الباب العاشر

في العويص والتقييد للايجاز

كم ساهرٍ

وله وهي مهملة الحروف
ليس فيها حرف معجم :

كَم ساهرٍ حَرّمَ لمسَ الوِسادْ ، وما أراهُ سؤلَــهُ والمُرادْ
ما سَهِرُ الوالِهِ مُعطٍ لهُ وَصلاً ، ولو داوَمَ طولَ السُّهادْ
ولا اطّراحُ اللّهوِ داعٍ لِمَا رامَ ، وسحُّ الدّمعِ سحُّ العِهادْ
كم والِهٍ مرّ هَواهُ لَــهُ لمّا حَلا مَورِدُهُ والمُرادْ
أطمَعَهُ حلوُ مِراحِ الطّلا ، وهامَ لمّا ماسَ دَلاً ومادْ
أراهُ مَعسُولَ اللّمَى وردَهُ ، وصَدّ عَمّا رامَهُ ، وهوَ صادْ
مُصارِمٌ ما صارَ طَوعاً لهُ ، إلاّ أراهُ ساعَهُ ما أرادْ
أسمَرُ كالرّمحِ لهُ عاملٌ ، إعمالُهُ حَطّمَ سُمرَ الصِّعادْ
أحمَرُ كالوَردِ لهُ طُرّةٌ ، مُسوَدّةٌ حالكَةٌ كالمِدادْ
مُحكَّمٌ سَلّ لطَلّ الدّما صَوارِمَ السّودِ الصِّحاحِ الحدادْ

سَدَّدَ سَهماً ما عَدا روعَه ، ورَوَّعَ العُصمَ ، وللأُسْدِ صادْ
أمالكَ الأمرِ أرِحْ هالِكاً مدّرِعاً للهَمّ دِرعَ السَّوادْ
أراهُ طولُ الصّدّ لمّا عَدا مَرامَهُ ما هَدّ صُمَّ الصِّلادْ
ودّ وداداً طارِداً هَمَّهُ ، وما مُرادُ الحُرّ إلاّ الوَدادْ
والمَكرُ مَكرُوهٌ دَها أهلَهُ ، وأهلَكَ اللهُ لهُ أهلَ عادْ

فتنت بظبي

وله وهي معجمة ليس فيها
حرف مهمل :

فُتِنتُ بظَبيٍ بغَى خَيبَتي ، بجَفنٍ تَفَنّنَ في فِتنَتي
تَجَنّى ،فبِتُّ بجَفنٍ يَفيضُ ، فخَيّبتُ ظَنّي في يَقظَتي
قَضيبٌ يَجيءُ بزيّ يزينُ تَثَنّي ، فذُقتُ جَنَى جَنّةِ
نَجيبٌ يُجيبُ بفَنٍّ يُذيبُ ، بِبَضٍّ خَضيبٍ نَفَى خيفَتي
بجَفنٍ يجيءُ ببيضٍ غزَتْ تَشجّ ، فتَنفذُ في جُبّتي
غنيٌّ يَضَنّ بنَضٍّ نَقيٍّ ، فيَقضي بغَبني في بُغيَتي[1]
تيَقّظَ بي غُنجُ جفنٍ غَضيضٍ بفَنٍّ يشنّ ضَنًى جُثّتي

[1] النض : الدينار ، أراد به الوجه على التشبيه بالاستدارة والنقاوة .

فِي شَظَفٌ بِتُّ ضَبْنِي ضَنِي خَفِي بَيْنَ جَنْبَيَّ فِي غَشْيَتِي
شُغِفْتُ بِذِي جَنَفٍ بَيِّنٍ ، بِنَزْغٍ تَبَيَّنَ فِي غَيْبَتِي
بِذِي شَنَبٍ بِجَبِينٍ يُضِي ءُ تَغْنِيَتِي ، فَفَشَتْ غَيْبَتِي
بِخِشْفٍ يُغِيظُ بِبَغْيٍ يَغِيضُ ، بِغِشٍّ يَفِيضُ تُقَى نِيَّتِي
قَضَيْتُ بِتَشْتِيتِ بَيْنٍ قَضَى ، فَتًى بَثَّ خَفْضِي فِي فِتْنَتِي
غَضِبْتُ بِتَبْيِينِ غِشٍّ جَنَى ، فَبِتُّ بِغَيْظِي ، فِي غَضْبَتِي
نَشِبْتُ بِبَغْيِ غَنِيٍّ بَغَى ، فَذُبْتُ بِغَبْنِي فِي نَشْبَتِي
تَخَشَّيْتُ غِبَّ تَجَنٍّ يَفِي يَقِينِيَ ، جَنَّى فِي خَشْيَتِي

مجرى القوافي

وقال فيما قيد به حروفها الستة :

مجرَى القَوافي في حروفٍ ستّةٍ ، كالشّمسِ تَجري في علوّ بُرُوجِها
تأسيسُها ، ودَخيلُها مع رِدفِها ، ورَوِيُّها مع وَصلِها وخُرُوجِها

حركات القوافي

وقال فيما قيد حركاتها
الست على الترتيب :

إنّ القَوافيَ عندَنا حرَكاتُها ستٌّ على نَسَقٍ بهنّ يُلاذُ
رَسٌّ، وإشباعٌ، وحذْوٌ، ثمّ تَو جيهٌ ، ومَجرى بعدَه ونفاذُ

بحور العروض

وقال فيما قيد به عدة بحور العروض
الستة عشر تقريباً مختصراً للمبتدىء لا
على بناء أصول الدوائر :

الأول الطويل

طَويلٌ له دونَ البُحورِ فَضائلُ ، فعولن مفاعيل فعولن مفاعلُ

الثاني المديد

لمديدِ الشّعرِ عندي صِفاتُ، فاعلاتن فاعلُن فاعلاتُ

الثالث البسيط

إنّ البَسيطَ لدَيهِ يُبسَطُ الأمَلُ ، مُستَفعلن فاعلن مُستفعلن فعلُ

الرابع الوافر

بحُورُ الشّعرِ وافرُها جَميلُ، مُفاعلتن مُفاعلتن فعولُ

الخامس الكامل

كَمُلَ الجَمالُ من البحورِ الكامل، مُتفاعلن متفاعلن متفاعلُ

الثالث الهزج

على الأهزاجِ تَسهيلُ مَفاعيلن مَفاعيلُ

السابع الرجز

في أبحرِ الارجازِ بحرٌ يَسهُلُ ، مُستَفعلن مُستَفعلن مُستَفعلُ

الثامن الرمل

رملُ الأبحرِ ترويهِ الثّقاتُ ، فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتُ

التاسع السريع

بحرٌ سَريعٌ ما له ساحلُ ، مُستفعلن مُستفعلن فاعلُ

العاشر المنسرح

مُنسَرِحٌ فيهِ يُضرَبُ المَثَلُ ، مُستفعلن فاعلاتٌ مفتعلُ

الحادي عشر الخفيف

يا خَفيفاً خَفّتْ بهِ الحَرَكاتُ ، فاعلاتن مستفعلن فاعلاتُ

الثاني عشر المضارع

تُعَدّ المُضارِعاتُ مفاعيلُ فاعلاتُ

الثالث عشر المقتضب

اقتَضِبْ كما سألوا ، فاعلاتُ مُفتعلُ

الرابع عشر المجتث

إنْ جُثّتِ الحَرَكاتُ مستفعلن فاعلاتُ

الخامس عشر المتقارب

عنِ المُتقارِبِ قالَ الخَليلُ فعولُن فعولن فعولن فعولُ

السادس عشر المحدث ويسمى الخبب والخلع وطرد الخيل

حرَكاتُ المُحدَثِ تَنتَقِلُ فَعِلُن فَعلن فعلن فعلُ

زحاف الشعر

وقال في تقييد زحاف الشعر
الثمانية على ترتيب وقوعها في الأبحر :

زُحافُ الشّعرِ قَبضٌ ثمّ كَفٌّ ، بهنّ لأحرُفِ الأجزاءِ نَقصُ
وخَبنٌ ، ثمّ طَيٌّ ، ثمّ عَصبٌ ، وعَقلٌ ، ثمّ إضمارٌ ووقصُ
وسائرُ ما عَدا عِلَلٌ طَوارٍ ، لها في الشّعرِ أمكِنَةٌ تُخَصّ

الباب الحادي عشر

في الملح والاهاجي

النفور من الغريب

قال وقد سمع أحد الفضلاء شعره فاستحسنه وقال لا عيب فيه سوى قلة استعماله للغة الغريبة فكتب إليه هذه الأبيات :

إنّما الحَيزَبونُ والدّردَبيسُ ، والطَّخَا والنُّقاخُ والعَطَلّبيسُ[1]
والسّبَنتَى ، والحَقصُ ، والهَيقُ ، والهِجرِسُ والطّرقسانُ والعَسطوسُ[2]
لغَـةٌ تَنفُرُ المَسامعُ منها حينَ تُروى وتَشمَئزّ النّفوسُ
وقَبيحٌ أن يُذكَرَ النّافرُ الوَحشيّ منها ويُترَكَ المأنُوسُ
أينَ قَولي هذا كثيبٌ قَديمٌ ، ومَقالي عَقَنقَلٌ قَدمُوسُ
لم نَجِدْ شادِياً يُغنّي قِفا نَبكِ على العُودِ ، إذ تُدارُ الكؤوسُ
لا ولا مَن شَدا أقيمُوا بَني أُمّي ، إذا ما أُديرَتِ الخَندَريسُ

---

١ الحيزبون : العجوز . الدردبيس : الداهية ، الشيخ ، العجوز الفانية. الطخا: السحاب المرتفع . النقاخ : الماء البارد الصافي . العطلبيس : لم نجدها .

٢ السبنتى : النمر . الحقص : الشد . الهيق : الطويل من الرجال المفرط الطول و الظليم . الهجرس : القرد ، الثعلب، الدب . الطرقسان : لم نجدها. والعسطوس : شجرة كالخيزران .

أتُراني إن قُلتُ للحبِّ يا علـْ قٌ دَرَى أنّهُ العَزيزُ النّفيسُ
أو إذا قلتُ للقِيامِ جُلوسٌ ، علمَ النّاسُ ما يَكونُ الجلوسُ
خَلّ للأصمَعيّ جَوبَ الفَيافي ، في نَشافٍ تَخِفّ فيهِ الرّؤوسُ
وسؤالَ الأعرابِ عن ضَيعةِ اللّفـ ـظِ إذا أشكَلَتْ علَيهِ الأُسُوسُ
دَرَسَتْ تِلكُمُ اللّغاتُ وأمسَى مَذهَبُ النّاسِ ما يَقولُ الرّئيسُ
إنّما هـذهِ القُلوبُ حَديدٌ ، ولَذيذُ الألفاظِ مِغناطيسُ

أبو حبه

مَملُوكُكَ اليَومَ أبو حُبّه ، مُجتَهِدٌ في خِسّةِ النّفسِ
يُزاحمُ الحَمّالَ في قُوتِهِ ، ويَخزِنُ الفَلسَ على الفَلسِ
يأكُلُ والغِلمانَ في يَومِهِ ، فضلَةَ ما قَد كانَ بالأمسِ
يَوَدّ يُمسِي عِرضُهُ مُطلَقاً ، ومالُهُ المَوفُورُ في حَبسِ
لا يَعرِفُ الحَمّامَ لكنّهُ في البَيتِ يَحمي الماءَ في الشّمسِ
إذا رأى في قِدرِهِ لحمَةً ، تَلا علَيها آيَةَ الكُرسِي
وإنْ رأى في بَيتِهِ فارَةً بادَرَها بالسّيفِ والتّرسِ
يُجِلّ أن تُدرِكَ رُغفانَهُ حَواسُ مَن يأتيهِ بالخَمسِ
بالسّمعِ والابصارِ والشمّ قد تُدرَكُ دونَ الذّوقِ واللّمسِ

يُقفِلُ عندَ الأكلِ أبوابَهُ ، خوفاً على الزّادِ من الكَبسِ
فإنْ أتى ضَيفٌ على غِرّةٍ ، قابَلَهُ بالتَّعسِ والنُّكسِ
يَلقاهُ بالترغيبِ في الاحتِما ، وبَعدَهُ بالخبزِ والدّبسِ
فإنّ تَعدّ أكلُهُ لُقمَةً ، رأيتَ في أضلاعِهِ رَفسي
فهذهِ الأوصافُ مكسوبَةٌ ، أدركَها في غُربَتي حِسّي
قد عَلِمَ السّلطانُ من قَبلِها أنّيَ من ذلكَ بالعَكسِ
ولم أزَلْ في رَحبِ أكنافِهِ أقولُ باللّذّاتِ واللُّبسِ
وإن تَراءَتْ في يَدي بَدرَةٌ ، أتلَفتُها في مَجلِسِ الأُنسِ
فمُذ ثَناني الدّهرُ عن رَبعِهِ ، ولم يكن ذلكَ في حَدسِي
وجُزتُ في المَتجرِ مع مَعشَرٍ هَمّهُم في الضّبطِ والبَخسِ
طَوراً على الرّومِ أرَى بَينَهم ، وتارَةً في بَلَدِ الفُرسِ
فصِرتُ من أبناءِ جِنسٍ لهم ، واستَرَقَتْ أخلاقَهم نَفسِي
أحِبّ مَن في نَفسِهِ خِسّةٌ ، والجِنسُ مَيّالٌ إلى الجِنسِ
ولم أكنْ مُستَحدِثاً نعمَةً أفضَى بِيَ السّعدُ إلى نَحسِ
لكنّ شَمسَ الدّينِ مُذ ملّني ، صَوّحَ نَبتي وذَوَى غَرسِي
كذاكَ كلّ النّبتِ مِن شأنِهِ يُفسِدُهُ البُعدُ عن الشّمسِ

الشاعر والشيطان

وقال في أحد ملوك العصر وقد حل في بلده اتفاقاً فسامه المدح أطواراً فمدحه بما استحسنه ورحل عنه كما ورد:

رأيتُ في النّومِ أبا مرّةٍ ... شَيخيَ في تَهذيبِ عِلمِ البَيانِ[1]
وحَولَهُ من رَهطِهِ عُصبَةٌ ، ... يُشيرُ نحوي لهُم بالبَنانِ
وقالَ : يا بُشراكُمُ بالذي ... غَيّبتُمُ عن ذِكرِهِ بالعِيانِ
هذا الذي أخبرتُكُم أنّهُ ، ... في نَظمِهِ ، أوحدُ هذا الزّمانِ
وقالَ : لو شَنّفتَ أسماعَنا ... ببعضِ ما نَظّمتَ في ذا الأوانِ
فعِندَها أورَدتُ مِن مَدحِكم ... بَدائعاً مَنظُومَةً كالجُمانِ
فَعادَ كلٌّ منهُمُ قائِلاً : ... أحسَنتَ يا ربَّ المَعاني الحِسانِ
فقالَ : مع ذا المَدحِ هل أنعمُوا ... بضَيعَةٍ عامِرَةٍ أو فِدانِ
فقلتُ : لا ! قال : ولا مَنزِلٌ ... مُستحسنٌ يُغنيك عن بيتِ خانِ
فقلتُ : لا ! قال : ولا سابقٌ ... مُرَفَّهُ السَّوقِ شَقيُّ العِنانِ
فقلتُ: لا ! قال: فنَم صاغراً، ... ما أنتَ إلاّ بِغَويّ اللّسانِ

---

[1] أبو مرة : كنية إبليس .

زيارة إبليس

وقال وقد سأله أحد الأعيان أبياتاً
على هذا النمط منحولة إلى أبي نواس
واقترح عليه نظمها فعكسها وقال :

واَيلَتَا طالَ سُهادي بها ، فزارَني إبليسُ عندَ الرّقادْ
فقال : هل لكَ في شقفة كبشيّةٍ تَطرُدُ عنّا السّهادْ ؟[1]
قلتُ : نعم ! قال : وفي قهوَةٍ عتّقَها العاصرُ من عَهدِ عادْ ؟
قلتُ : نعم ! قال : وفي مطرِبٍ إذا شَدا يَطربُ منهُ الجَمادْ ؟
قلتُ : نعم ! قال : وفي طَفْلَةٍ في وَجنَتَيها للحَياءِ اتّقادْ ؟
قلتُ : نعم ! قال : وفي شادنٍ قد كُحِلَتْ أجفانُه بالسّوادْ ؟
قلتُ : نعم ! فقال : نَم آمناً ، يا كعبةَ الفسقِ ورُكنَ الفَسادْ

خط براءة

وقال وقد كلف نظم أبيات
في وصف المفرح الحيدري :

عاطَيتُها مَمزوجةً بالنّباتِ ، من فمِ الكيسِ لا من الكاساتِ
خَندَريساً دِنانُها حُقَقُ العا جِ ، وراحاً كؤوسُها راحاتي[2]
لم تُدَنَّسْ بمَزجِ ماءٍ ، ولكن ربّما أُتبِعَتْ بماء فُراتِ[3]

١ الشقفة : القطعة من الخزف ، ولم ندرك ماذا أراد بالشقفة الكبشية ، ولعلها محرفة .
٢ الخندريس : الخمرة . الحقق ، الواحدة حقة : الوعاء الصغير .
٣ الفرات : العذب .

لا خُمارٌ لها سوى لُطفِ فكرٍ يَبسطُ النّفسَ آخرَ النّسَماتِ
نَشوَةٌ لم تَفُزْ بها نَشوةُ الرّا حِ ، وهل للعَجوزِ لُطفُ الفتاةِ
ما علَيها في الشّرعِ حَدٌّ ولا جا ءَ بتَحريمِها حديثُ الثّقاتِ
عرَفَتها النّسّاكُ ، فاتّخَذوها في المَعاجينِ والجواراشاتِ[1]
لَقّبوها طَوراً بباعثَةِ الفِكـ رِ ، وطَوراً بهاضِمِ الأقواتِ
قلتُ لمّا تضَوّعَ المسكُ منها ، وانجلَتْ في ثيابِها الخَفِراتِ:
حُقّ من باتَ خاطباً لكِ أن يع طيَ بنتَ الكُرومِ خطّ بَراة[2]:

في الكيس لا في الكأس

وقال فيها وهي لزوم ما لا يلزم :

في الكيسِ لا في الكأسِ لي قَهوَةٌ ، من ذَوقِها أسكَرُ ، أو شَمّها
لم ينهَ نَصّ الذّكرِ عنها ، ولا أُجمِعَ في الشّرعِ على ذَمّها
ظاهِرَةُ النّفعِ لها نَشوَةٌ تَستَنقِذُ الأنفُسَ من هَمّها
فشكرُها أكثرُ من سُكرِها ، ونَفعُها أكثرُ من إثمِها

---

١ الجواراشات : لعله من جرشه : طحنه ولم ينعم طحنه . والجوارش نوع من الحلاوات .
٢ براة : مسهل براءة ، وخط البراءة : خط بالإجازة .

خمرة لا بأس بشربها

في الكيس لي عِوَضٌ عمّا حوى الكاسُ ، وفي القراطيسِ عمّا ضَمّتِ الطّاسُ
وبالحَديدِ غرامي لا مُعتّقةٍ ، وَسواسُها في صُدورِ النّاسِ خنّاسُ
مُدامةٌ ما لها في الرّأسِ وَسوَسَةٌ ، تُطغي النّفوسَ ، ولا في الصّدرِ وَسواسُ
ولا تُكَلِّفُ نَفساً غيرَ طاقتِها ، ولا يُخافُ بها ضُرٌّ وإفلاسُ
كم بَينَ خَمرٍ يَخافُ الحدَّ شاربُها ، وخَمرَةٍ ما على شُرّابِها باسُ
ولا نَبيتُ ، إذا شِئنا نُعاقرُها ، لَنا على البابِ حُفّاظٌ وحُرّاسُ
حوضُ الدّواةِ لها جانٍ ، ومِزوَدُها دَنٌّ ، وكاساتُها ظِفرٌ وقِرطاسُ

الحشيش لا الرحيق

تَغانَ بالحَشيشِ عن الرّحيقِ ، وبالوَرَقِ الجَديدِ عن العَتيقِ
وبالخَضراءِ عن حمراءَ صِرفٍ ، وكم بَينَ الزّمرّدِ والعقيقِ
مُدامٌ في الجُيوبِ تُصانُ عِزّاً ، وتُشرَبُ فوقَ قارِعَةِ الطّريقِ
يَظَلّ سَحيقُها في الكَفّ يَهزَا بطيبِ روائحِ المِسكِ السّحيقِ
فعاقِرها ، وطَلّق ما سِواها تَعِشْ في النّاسِ ذا وَجهٍ طَليقِ

أكل وظل

وقال أيضاً وهي لزوم ما لا يلزم :

خُذ أحاديثَها مِنَ العارِفيها   واعف نَدمانَها منَ العارِ فيها
قَهوَةٌ لا يَخافُ شاربُها الحَدّ ، ولا تَجعَلُ الحَليمَ سَفيها
قد وَجَدنا بها نَعيماً مُقيماً ،   فغَدَتْ جَنّةً لِمَن يَصطَفيها
أكلُها دائِمٌ ، وظِلٌّ ظَليلٌ ،   وتَرَى أهلَها يحلّونَ فيها

السكر المركب

وقال في الجمع بينها وبين المدام :

في نَشوَةِ الحَمراءِ والخَضراءِ   أمْنٌ من السّوداءِ والصّفراءِ
هَذي بلا نارٍ تَفُورُ ، وهذه   ماسَتْ مَعاطفُها بغَيرِ هَواءِ
فاكسُرْ بفَتَرَةِ تلكَ شِرّةَ هذه ،   واعجَبْ لحُسنِ تَلاؤمِ الأجزاءِ
فالسّكرُ فيما بَينَ ذَين مرَكّبٌ ،   كسلُ الحشيشِ ونَشطةُ الصّهباءِ

ساءت وسرت

قال ، ولم يكن نظم هجاء قط وانما اقترح عليه افاضل اصحابه شيئاً من ذلك في اسماء لم تعرف مسمياتها امتحاناً له لظنهم انه تركه ذلك عجزاً عن نظمه اسوة بالمتنبي ، فمن ذلك في مغنية غنت قبيحاً وضربت مليحاً :

حوَتْ ضِدّين ، إذ ضرَبتْ وغنّتْ ، فقد ساءَتْ وسرّتْ مَن رآها
غِناءٌ تَستَحِقّ عليه ضَرْباً ، وضَرباً تَستَحِقّ به غِناها

يميت السرور ويحيي الكرب

وقال في مطرب خارج ثقيل :

وشادٍ يُشَتّتُ شَملَ الطّرَبْ ، يُميتُ السّرورَ ، ويُحيي الكُرَبْ
بوَجهٍ يُبيدُ ، إذا ما بَدا ، وكفٍّ تَضُرّ ، إذا ما ضرَبْ
شَدا ، فغَدا كلُّ قَلبٍ به قليلَ النّصيبِ كثيرَ النّصَبْ
تَغَنّى ، فعَنّى قلوبَ الرّفاقِ ، وماسَ ، فمَسّ القلوبَ العَطَبْ

صوت عذاب

وسئل تكريره فقال :

غنّى بصَوتٍ مثلِ سَوطِ عَذابِ ، وبَدا بوَجهٍ مثلِ ظَهرِ غُرابِ
فوَدَدتُ أنّي لا أراهُ ، فإنّني بكَرَتْ إليّ مُغيرَةُ الأعرابِ

ماتت ملاحته

وقال في مليح نبت عذاره :

ماتَتْ ملاحتُهُ يكونُ لكَ البَقا ، وأتَى العذارُ يقولُ من عاشَ التقَى
وبَدا السّوادُ على نَقاءِ خُدودِهِ ، فجَديدُهُ لجَديدِها قد أخلَقَا
وتَنكّرَتْ صِفةُ الغُوَيرِ ، فلم يكن ذاكَ الغُويرَ ولا النَّقا ذاكَ النَّقَا[1]

الغني البخيل

وقال فيمن رزق مالا فتباخل :

لمّا اغتَنَى أفقَدَنا نَفعَهُ ، وتلكَ من شيمَةِ بَيتِ الخَلا
يَسعَى إليهِ إن غدا فارغاً ، وما بهِ نَفعٌ إذا ما امتَلا

---

١ الغوير ، تصغير غار : ما انحدر واطمأن من الأرض . النقا : قطعة من الرمل محدودبة .

الباب المقفل

وسئل هجاء من خيب مؤمله فقال :

ما كنتَ في إحدى الشّدائدِ مُرتجَى ، إلاّ رأينا بابَ جُودِكَ مُرتَجَا
وكذاكَ ما نُسِبَتْ إليكَ رَذيلَةٌ ، إلاّ مُدِحتَ بها ، وكانَ لها الهِجَا

وبلغه أن المهجو توعد ذلك المقترح فخاف ، وطلب التنصل ، فغير له في كل بيت لفظة وقال إن سئلت فقل ما قلت إلا :

ما كنتَ في إحدى الشّدائدِ مرتجَى ، إلاّ رأينا بابَ عُذرِكَ مُرتَجا
وكذاكَ ما نُسِبَتْ إليكَ فَضيلَةٌ ، إلاّ وقد مُدِحتَ وكانَ لكَ الهِجَا

ما كان انساناً

وسئل هجاء ميت كان شريراً
يدعى إسحق فقال :

ما كانَ إسحَقُ إنساناً فتَندُبَهُ ، فلا تَقُلْ ماتَ إسحقٌ ، وقل نَفَقَا[1]
لا تَجنَحَنّ إلى حَيٍّ تُمايِلُهُ ، وإن جَنَحتَ إليه ، فاتّخذْ نَفَقَا[2]

---

١ نفقت الدابة : خرجت روحها .
٢ النفق : سرب في الأرض له مخرج إلى مكان معهود . المصراع الأخير يتضمن صدر بيت من قصيدة الطغرائي .

لا رحمة لثوائه

وسئل تكرير ذلك فقال :

سرَى نَعشُهُ من بَعدِ ما سارَ غِشُّهُ ، فأفنى به الأحياءَ حالَ بَقائِهِ
وطالَ ازدحامُ النّاسِ من حولِ نعشهِ شَماتاً بهِ ، لا رَحمَةً لثوائِهِ
فلا رَحِمَ الرّحمَنُ مَن فوقَ تحتِهِ ، ولا مَن غَدا يَسري أمامَ ورائِهِ
ونَوّرَ من كِفلٍ من النّارِ قَبرَه ، وآنَسَهُ بالرّعبِ عندَ لقائِهِ[1]

بأس الذئب

وقال وقد عزل شمس الدين
ابن كبش من ولاية طريق خراسان
ورتب نجيب الدين بن ذئب فقال :

بشَمسِ الدّينِ لم تُطِقِ الرّعايَا ، فكَيفَ ، وقد تَبَدّلَ بالنّجيبِ
رَعايا ما أطاقُوا بأسَ كَبشٍ ، مُحالٌ أن يُطيقُوا بأسَ ذئبِ

الشوك بين الأقاح

وسئل تكريره فقال :

عُزِيتَ إلى آلِ بَيتِ النّبيّ ، وأنتَ بضِدّهِمُ في الصّلاحِ
وإنْ صَحّ أنّكَ من نَسلِهِم ، فقَد يَنبُتُ الشّوكُ بَينَ الأقاحِ

[1] الكفل : الإثم ، النصيب .

قال النبي

وقال في هجاء علوي شرير :

قالَ النّبيُّ مقالَ صِدقٍ لم يَزَلْ يَجري على الأسماعِ والأفواهِ :
مَن غابَ عنكم أصلُهُ ، ففعالُه تُنبيكُمُ عن أصلِهِ المُتَناهي
وسفَرتَ عن أفعالِ سوءٍ أصبحتْ بينَ الأنامِ قليلَةَ الأشباهِ
وتَقُولُ : إنّكَ من سُلالَةِ حيدرٍ ، أفأنتَ أصدَقُ أم رَسُولُ اللهِ[1] ؟

الرقيب القبيح

وقال في مليح له رقيب قبيح :

ومليحٍ لهُ رَقيبٌ قَبيحٌ ، يتَعَنّى وغَيرُهُ يتَهَنّى
ليسَ فيه معنًى يُقال ولكن هوَ عندَ النّحاةِ جاءَ لمَعنَى

ولد وعبد

وشكا إليه أحدهم ولده وعبده
وسأله نظم شيء فيهما فقال لذلك :

ليَهنِكَ أنّ لي وَلَداً وعَبداً ، سَواءٌ في المَقالِ وفي المَقامِ
فهَذا سابقٌ من غَيرِ سينٍ ، وهذا عاقِلٌ من غَيرِ لامِ[2]

---

١ حيدر : لقب الإمام علي .
٢ سابق من غير سين : آبق ، وهو العبد الذي يهرب من سيده . عاقل من غير لام : عاق ، والولد العاق : الذي يعصي والده .

لو فكر العاشق

وسئل هجاء مليح سال عذاره فقال:

وأغيدٍ مُكتَمِلٍ حُسنُه، ليسَ له في النّاسِ من مُشبهِ
أسقَطَهُ العارِضُ من رُتبَةٍ مُخبرَةٍ بالقُربِ من رَبّهِ
فقُلتُ، إذ سالَ له عارِضٌ، فأعرَضَ العُشّاقُ عن حبّهِ:
لو فكّرَ العاشقُ في مُنتَهَى حُسنِ الذي يَسبيهِ لم يَسبِهِ

زوال البهاء

وسئل تكريره بتصريح الهجاء فقال:

أصبَحَتْ نارُ وَجنَتَيكَ رَمادا ، ورَبيعُ الجَمالِ منكَ جَمادا
واستَحالَ سَوادُ حظّي بَياضاً ، حينَ حالَ البَياضُ منك سَوادا
أحمَدُ اللهَ ، إذ كَساكَ عِذاراً ، حالَ منهُ الجَمالُ عنكَ ، وحادا
زادَ في الخَلقِ ما يَشاءُ ، ولكنْ زالَ من وَجهِكَ البَها حينَ زادا

حميم وحمام

وسئل ذم حمام دخلوه فقال :

إنّ حمّامكَ قد ضَ　　مّتْ حَميماً وحِمامَا
فهيَ مثلُ النّارِ ساءتْ　　مُستَقَرّاً ومَقامَا

فرس ليست شكوراً

وقال في ذم فرس له جفول :

ولي فَرَسٌ لَيسَتْ شَكوراً ، وإنّما　　بها تُضرَبُ الأمثالُ في العضّ والرّفسِ
إذا جفَلَتْ بي في ضياعِ دبرّشٍ .　　فلَيسَ لها قَبضٌ سوَى في جوَى فَرسِ [١]
تُعَربِدُ في وَقتِ الصّباحِ من الضّيا ،　　وتجفُلُ في الآصالِ من شفقِ الشّمسِ
فَيا لَيتَها ، عندَ العَليقِ ، جَفولَةٌ ،　　كما هيَ منكارٌ من الحسّ والجنسِ
فلَو شرِبتْ بالفَلسِ من كفّ حاتمٍ　　لأصبَحَ نَدماناً على تلَفِ الفَلسِ
ولو برَزَتْ في جَحفَلٍ تحتَ عَنترٍ　　لجُدّلَ وانفلّتْ جيوشُ بني عَبسِ

---

١ دبرش : لعله اسم موضع . الجوى : شدة الوجد من حزن أو عشق ، وداء في الصدر. الفرس ، من فرس الأسد فريسته : دق عنقها . وقوله جوى فرس : هكذا في الأصل .

شر البقاع

وسئل ذم منزل نزلوه
بالغور فقال :

لا جادَ هَطّالُ السّحائبِ بُقعَةً بالغَورِ، أضحتْ وهيَ شرُّ بِقاعِهِ
أرضٌ تَضاعَفَ حَرُّها وبَعُوضُها في مَرجِها ، لمّا حَلَلتُ بِقاعِهِ
وخَلا الذّبابُ بها ، فلَيسَ ببارحٍ غَرِداً يحكّ ذِراعَهُ بذِراعِهِ

صديق لا يعرف الصدق

وسأله أحد ذم صديق له
يعامله بالكذب فقال :

لي صَديقٌ لا يَعرِفُ الصّدقَ في القو لِ ،وليسَ الصّديقُ إلاّ الصّدوقُ
ليسَ فيهِ تَصَوّرٌ يُدرِكُ العِلْ مَ ، ولا لي إن قُلتُهُ تَصديقُ

كذاب نساء

وسئل تكريره والتصريح
بكذبه فقال :

تُلَفّقُ كِذباً ، ثمّ تأتي بضِدّهِ ، إذا سألوا تكريرَ ما كنتَ حاكيا
فإن كنتَ قَوّالاً فإنّكَ كاذبٌ ، وإن كنتَ كَذّاباً فلا تَكُ ناسيا

الفخر بالنسوان

يهجو شخصاً من بني طفيل :

طُفَيلٌ تُقادُ بأذنابِها ، وقودُ الجِيادِ بأرسانِها
إذا افتَخَرَتْ فِتيَةٌ بالرّجالِ ، ففَخرُ طُفَيلٍ بنسوانِها

لا يجيب ولا ينض

وسئل هجاء بخيل متكبر فقال
وكان مدعياً بعلم الطب :

تحَجّرَ فيكَ طَبعُ الشّحّ يبساً ، وذاكَ لأنّ كَفّكَ فيهِ قَبضُ
وكم حرّكتُهُ بشَرابِ عَتْبٍ ، فأقسَمَ لا يُجيبُ ولا يَنُضّ[1]
ومنذُ رَفعتَ صَوتَكَ لي دَليلاً ، فكانَ لنَصبِ قَدرِكَ منه خَفضُ
علمتُ بأنّ رأسَكَ فيهِ خِلطٌ غَليظٌ ، لا يُحلّ ، ولا يُفضّ
ومَن تلكُ هذه الأعراضُ فيهِ ، ولم يُعرَفْ لهُ بالعَذلِ عِرضُ
فكَيفَ أرُومُ صِحّتَهُ بعَتبي ، ولم يَخفِقْ لهُ بالجُودِ نَبضُ

---

١ ينض ، من نض الماء : سال قليلا قليلا أو رشح .

لست إنساناً

وسئل هجاء ماطل للوعود فقال :

لمّا تَطاوَلَ بي إفراطُ مَطلِكَ لي ، وضاعَ وَقتيَ بَينَ العُذرِ والعَذَلِ
أيقَنتُ أن لستَ إنساناً لفِعلِكَ ذا ، لقَولِهِ خُلِقَ الإنسانُ من عَجَلِ

أصل الانام

وسئل هجاء جاهل متغافل متشدق بالكلام فقال :

أيّها الفاضِلُ الذي لفظُهُ الدُّ رّ ، ولَفظُ الأنامِ كالأصدافِ
كيفَ تلقَى الأنامُ شأوَكَ في الفضـ لِ ، وإن شُبّهوكَ في الأوصافِ
أصلُ كلّ الأنامِ طِينٌ ، ولكن أنتَ طينٌ من بَعدِ ياءٍ وقافِ[1]

مباضع إسحق

ومنه في طبيب يدعى إسحق :

مَباضعُ إسحاقَ الطّبيبِ كأنّها لها بفَناءِ العالمينَ كَفيلُ
مُعَوَّدَةٌ ألاّ تُسَلَّ نِصالُها فتُغمَدَ حتى يُستَباحَ قَتيلُ

---

[1] قوله : طين من بعد ياء وقاف ، أي يقطين ، وهو ما لا ساق له من النبات ، وغلب على القرع الطويل .

سميت عيسى

وله في ملقوط اسمه عيسى :

سُمِّيتَ عيسَى ،ولم تَظفَرْ بمُعجِزَةٍ ، ولم تُشابِهْهُ في عِلمٍ ولا حَسَبِ
ولا أتيتَ بشيءٍ من فَضائِلِهِ ، إلاّ بأنّكَ من أُمٍّ بغَيرِ أبِ

لو كان !

ومنه في أحمق طويل اللسان :

لو أنّ قُوّةَ وَجهِهِ في قَلبِهِ ، قبَضَ الأُسودَ وجَدّلَ الأبطالا
أو كانَ طولُ لسانِهِ بيَمينِهِ ، أفنى الكُنوزَ ، وأنفَدَ الأموالا

خبط عشواء

وقال في طبيب اسمه عيسى :

أرَى فيكَ يا عيسَى الطّبيب فضيلَةً ، هيَ الضّدّ من أفعالِ عيسَى بن ِ مَريَمِ
تُميتُ لَنا الأحياءَ من غيرِ عِلّةٍ ، وتُضني وتُغني باليَدَينِ وبالفَمِ
وتَحمي ، ولكن عن شِفاءٍ وصِحّةٍ ، وتحقنُ إلاّ للحَيَــاءِ وللدّمِ
فما أنتَ إلاّ خَبطُ عَشواءَ مَن تُصِب تُمتهُ ،ومن تُخطىء يُعَمَّر فيَهرَمِ

ضعف اليقين

وقال في زنديق قد تمارض :

وقالوا : عندَ عبدِ اللهِ ضُعفٌ ، فقلتُ : نعَم ، ولكن في اليَقينِ
فقالوا : ما يَعيشُ؟ فقلتُ: عدلٌ، كذا هوَ في الحَياةِ بغَيرِ شينِ[1]

لستما أبناء جنس

وقال في مسلماني طاول
شريفاً يدعى حسيناً :

كيفَ ترجو بأن تُساوي حُسَيناً ، لَستما في الفَخارِ أبنـاءَ جِنسِ
هل تَساوى مَن جَدُّه عَبدَ الشّمـ ـسَ ، ومَن كانَ جدُّهُ عبدَ شَمسِ

أعجب ما شوهد

وقال في جاهل طياش
يدعى ابن عوسجة :

جَلَّ الذي أنشاكَ من قَرعَةٍ ، وسائرُ العالمِ من طينَه
أعجَبُ ما شُوهِدَ في عَصرِنا عَوسَجَةٌ تَحمِلُ يَقطينَه

١ يعيش بغير شين : يعي أي ما يعي ، من الوعي : التدبر والحفظ .

ثقل صورة وخفة رأس

وقال في ثقيل جهم الوجه :

وافَى ، وقد شفَعَ التقطُّبُ وَجهَهُ ، وطَحا بها مَرحُ التكبّرِ ، فانثنَى[1]
يَبدو فتَقذِفُهُ النّفُوسُ لثِقلِهِ ، فتَراهُ أبعَدَ ما يكونُ إذا دَنَا
فطَفِقتُ أُنشِدُ ،إذ بَصُرتُ بحُمقِهِ ، بَيتاً جعَلتُ الشّطرَ منهُ مُضَمَّنَا
يا ثِقلَ صورَتِهِ وخِفّةَ رأسِهِ ، هَلاّ نَقَلتِ إلى هُنا من ها هُنَا

جار كالبوم

وقال في متكبر مكار
جهم الوجه :

ليَ جارٌ كأنّهُ البُومُ في الشّكلِ ، ولكنّ في عُجبِهِ ، فغُرابُ
هوَ كالماءِ إنْ أرَدتَ لهُ قَبْضاً ، وإنْ رُمتَ مَورِداً فسَرابُ

شرفه بثوبه

وسئل نظم شيء في وضيع
يفتخر بالمال فقال :

أتَشمَخُ إن كَساكَ الدّهرُ ثَوباً ، شَرُفْتَ بهِ ، ولم تَكُ بالشّريفِ
فكَم قد عايَنَتْ عَينايَ سِتراً منَ الدّيباجِ حُطّ على كنيفِ

---

١ شفعه : صيره شفعاً أي أضاف إليه مثله .

لا عار في دخول الكنيف

وسأله صاحب من أهل الفضل
ذم إنسان مدحه لضرورة إليه
فخيب ظنه فقال :

مدَحتُكَ مَدحَ بَشّارِ بنِ بُردٍ ... رَبابَةَ ، إذ دَعاهُ لها اضطرارُ
أرادَ قَضاءَ حاجتِهِ لدَيها ، ... فجاءَ بما لها فيهِ اختيارُ[1]
إذا اضطُرَّ الشّريفُ إلى كنيفٍ ، ... فلَيسَ علَيهِ إذ يأتيهِ عارُ

السارق البارع

وسئل نظم شيء في سارق فقال :

لو عايَنَتْ مُقلَتُهُ دُخنَةً ، ... لاستَرَقَ اللّبَّ من القِشرِ[2]
ولو فَلاها بَعدَهُ ناقِدٌ ، ... لم يَرَ فيها أثَرَ الكَسرِ
يكادُ أن يَسرِقَ طيبَ الكَرى ، ... من راقِدِ اللّيلِ ، ولا يَدري
هذا ، ولو شاءَ غَدا مُمكِناً ... أن يَسرِقَ السُّكرَ منَ الخَمرِ

١ حكي أن بشار بن برد كان أعمى وكانت ربابة خادمة لجدته تخدمه وتطبخ له ، فأراد مكافأتها بشيء من المال ، فأبت إلا أن يمدحها ، ولم ير إسخاطها لمكان الضرورة إليها ، فقال ما يناسب حالها :

ربابة ربة البيت ، ... تصب الخل في الزيت
لها سبع دجاجات ، ... وديك حسن الصوت

٢ الدخنة : ذريرة تدخن بها البيوت .

أنف وقود للنار

وسئل نظم شيء في رجل عظيم
الأنف فقال ارتجالا :

لو غَدا أنفك العَظيم غَدا وَهْـ ... وَ وَقُودٌ للنّارِ ذاتِ الوَقُودِ
ثمّ قالوا : هلاّ امتلأتِ ؟ لقالتْ: ... هوَ حَسبي ،ولم تُرِدْ من مَزيدِ

الضد يصلحه الضد

وسئل نظم شيء في رجل أبخر
يدعى يحيى فقال ارتجالا :

ليَحيىَ فَمٌ لو عُلّقَ المِسكُ فَوقَهُ ... لأصلَحَهُ ، والضّدُّ يُصلِحُه الضّدُّ
ترى صَحبَهُ الحُضّارَ من نَتْنِ ريحِهِ ... كأنّهُمُ من طُولِ ما التَثَموا مُردُ

نكهة منتنة

وقال في شخص يسمى أبا علي :

لوكان لريحِ نَكهتَهِ هبوبُ ، ... لأوشكَتِ الجبالُ لها تَذوبُ
إذا ما عابَ ضرسُ أبي عليٍّ ، ... فليسَ يُطيقُ يقلَعُهُ الطّبيبُ

العذر اللطيف

وسئل تكرار اسم يحيى فقال :

قلتُ للكَلبتَين إذ عجزَتْ عن ضِرسِ يحيى من بعد جُهدٍ عنيفِ
كيفَ أعياكِ نزعُ ذلكَ والكَلْـ بُ بسَلبِ العِظامِ غَيرُ ضَعيفِ
فأعادَتْ مِنَ الصّليلِ جَواباً ، بادَرَتنا منهُ بعُذرٍ لَطيفِ
لا تُطيقُ الكلابُ تَنزِعُ عَظماً مُوثَقَ السّمرِ في قَرارِ كنيفِ[1]

رأس هدف النعال

وقال وقد سئل نظم شيء في
رجل كان بمجلس السلطان
وهو يصفع :

عَهدي بهِ ، والأكفُّ تختَلفُ ، وهوَ يُعاصِي طَوراً ويَنحرِفُ
وكلّما مالَ عِطفُهُ سَفَهاً تُميلُهُ صَفعَةٌ ، فيَنعَطِفُ
وإن تَوارَى بشَخصِهِ هَرَباً من راحةٍ في اعتمادِها خَيَفُ[2]
ظَلّتْ سهامُ النّعالِ تَرشقُه ، كأنّما رأسُهُ لها هَدَفُ

1 قوله : موثق السمر ، هكذا في الأصل ، ولعله من سمره : إذا شده بالمسمار .
2 قوله : خيف ، هكذا في الأصل .

فم يحيى

وسئل تكريره ثالثاً فقال :

فمٌ ليَحيَى ريحُهُ مُنْتِنٌ ، لم يُرَ يوماً مثلهُ قَطّ
لو أنّه عَضّ على فارَةٍ اَعافَ أن يأكلَها القِطّ

يرد الفقر باللوم

وسئل ذم بخيل ذي مال فقال :

أيا مَن يرُدّ الفَقرَ باللّومِ جاهداً ، كما رَدّهُ يَوماً بسَوءَتِهِ عَمرُو
إذا كانَ هذا سوء عَيشِكَ في الغِنى ، فماذا الذي تَخشَى إذا مَسّكَ الفَقرُ

سماء بأرض

وسئل نظم مثل ذلك في
شحيح الزاد فقال :

وبخيلٍ يَنالُ مِن عرضِهِ النّا سُ ، ولكن رَغيفُهُ لا يُنالُ
كلَّ يَومٍ يأتي بحَرفِ رَغيفٍ ، كهِلالٍ لم يَدنُ منهُ كَمالُ
مُستَقِرٌّ في وَسطِ سُفرَتهِ الزّر قاءِ لا يَعتَريهِ منهُ زَوالُ
فتَعَجّبتُ من سَماءٍ بأرضٍ كلَّ يومٍ يلوحُ فيها هِلالُ

ولي صاحب

وسئل تكرير ذلك فقال :

ولي صاحبٌ يَسترجعُ النّاسَ كلّما ذكَرتُ لهم أوصافَهُ ونُعوتَهُ
لقَد ألبَستَني صِحّةَ الجسمِ دارُهُ بفَرطِ الحِمَى لمّا حلَلتُ بيُوتَهُ
وما علّمتني حكمَةً غيرَ أنّني أديمُ مَطالَ الجُوعِ حتى أُميتَهُ

شحيح يخبز البخل

وسئل مثل ذلك في شحيح
يبسط للناس أخلاقه ليصدهم عن
زاده فيقيمها مقام الضيافة فقال :

وشَحيحٍ من لُؤْمِهِ يَخبِزُ البخـ ـلَ ببَسطِ الأخلاقِ بَينَ الرِّفاقِ
فهوَ من شحّهِ يُشَمِّنُ في الحَر جِ علَينا مَكارِمَ الأخلاقِ

وعزتي لن تراني

وسئل مثل ذلك في رجل
يدعى ابن سنان :

لو تَراني من فَوقِ طَودٍ من الجو عِ أناجي رَغيفَ نجلِ سِنانِ
كلّما قُمتُ قائلاً أرِني وَجـ ـهكَ نادى : وعِزّتي لَن تَراني

ان حاول الضيف

وسئل نظم شيء في بخيل يحتج
بالحكمة فنظم لزوم ما لا يلزم :

يَحفَظُ في الجوعِ ألفَ منفعةٍ ، ومثلَها في مَضرّةِ البِطنه
ويُوهمُ النّاسَ أنّ شِبعَهمُ يُطفىءُ نورَ الذّكاءِ والفِطنه
إن حاوَلَ الضّيفُ أن يُلِمّ بهِ أعطاهُ من قَبلِ نُطقِهِ القطنه

الباب الثاني عشر

في الآداب والزهديات ونوادر مختلفات

صاحب ذا أدب

في الأدب والحكم :

صاحِبْ، إذا ما صَحبتَ،ذا أدَبٍ   مُهَذَّبٍ ، زانَ خَلقَهُ الخُلقُ
ولا تُصاحبْ مَن في طَبائعِهِ   سرٌّ لأنَّ الطِّباعَ تُستَرَقُ

لا تصاحب اللئيم

لا تُصاحب منَ الأنامِ لئيماً ،   ربّما أفسَدَ الطِّباعَ اللّئيمُ
فالهَواءُ البَسيطُ في جَمرةِ القَيْـ   ـظِ سَمُومٌ ، وفي الرّبيعِ نَسيمُ
وابغِ منهم مُجانِساً يوجبُ الضّـ   ـمَّ ، فقد يَصحبُ الكريمَ الكريمُ
واعتَبرْ حالَ عالَمِ الطّيرِ طُرّاً،   كلُّ جِنسٍ مع جنسِهِ مَضمومُ

الذل في السؤال

لا تكُن طالباً لِما في يَدِ النّا   سِ ، فيَزوَرّ عن لِقاكَ الصّديقُ
إنّما الذّلّ في سؤالكَ للنّا   سِ ، ولو في سؤالِ أينَ الطّريقُ

قناعة المرء

قَناعَةُ المَرءِ بما عندَهُ ،   مملَكَةٌ ما مثلُها مَملَكَه
فارضَوا بما قد جاءَ عَفواً ، ولا   تُلقُوا بأيديكم إلى التّهلُكَه

اقلل المزاح

أقلِلِ المَزحَ في الكَلامِ احترازاً ،   فبإفراطِهِ الدّمـاءُ تُراقُ
قِلّةُ السّمّ لا تضُرّ ، وقد يقـ   تُلُ مع فَرطِ أكلِهِ الدّرياقُ

توق فحش الكلام

توَقّ من النّاسِ فُحشَ الكَلامِ ،   فكُلٌّ يَنالُ جَنى غَرسِهِ
فمَن جرّبَ الذّمّ في عِرضِهِ ،   كمَن جرّبَ السّمّ في نَفسِهِ

المزح يوغر الصدور

كلّ مَن كانَ شأنَهُ الانبساطُ ، ليسَ يُطوى للقَدحِ فيهِ بِساطُ
ربّما أوغرَ الصّدورُ بمَزحٍ لاحَ فيهِ الجَفا والاشتِطاطُ[1]
فأقلِلِ المَزحَ ما استَطَعتَ ولا تأ تِ بنَزرٍ إلاّ وفيهِ احتياطُ[2]
وتَوَقّ الإفراطَ فيهِ فقَد يُفـ رِطُ في وَضعِ قَدرِكَ الإفراطُ

فحش الكلام يروع القلب

أرى فُحشَ الكَلام يَروعُ قَلبي ، وليسَ تَروعُهُ البيضُ الحِدادُ
كحَلقِ البَكرِ يَجرَحُه زُلالٌ ، ولا يُدمي مَشافِرَهُ القَتادُ[3]

تأديب النفس

تعَلّمتُ فِعلَ الخَيرِ من غيرِ أهلِه ، وهذّبَ نَفسي فعلُهُم باختلافِهِ
أرى ما يَسوءُ النّفسَ من فعلِ جاهلٍ ، فآخُذُ في تأديبِها بخِلافِهِ

---

١ الاشتطاط : مجاوزة الحد .
٢ النزر : القليل .
٣ البكر : الفتيّ من الإبل . القتاد : شجر صلب له شوك كالإبر .

الفرع ينبي عن الاصل

إذا غابَ أصلُ المَرءِ فاستَقرِ فِعلَهُ، فإنّ دَليلَ الفَرعِ يُنْبي عن الأصلِ
فقَد يَشهَدُ الفعلُ الجَميلُ لرَبّهِ، كذاكَ مَضاءُ الحدّ من شاهدِ النّصلِ

طيب الاصل لا يغني

لَعَمرُكَ لا يُغني الفَتى طيبُ أصلِهِ، وقد خالَفَ الآباءَ في القولِ والفِعلِ
فقَد صَحّ أنّ الخَمرَ رِجسٌ مُحَرّمٌ، وما شكّ خلقٌ أنّهُ طَيّبُ الأصلِ

سمعة الانسان

ما كلّ مَن حَسُنَتْ في النّاسِ سُمعتُه وحازَ قَلباً ذكيّاً أدرَكَ الأمَلا
ما السّمعُ والقلبُ مُدنٍ منك مَنقَبَةً، إن لم يكن مثلُ ذا بأساً، وذاكَ عُلا[1]

قول الخير

عَوّدْ لسانَكَ قَولَ الخَيرِ تَنجُ بهِ من زَلّةِ اللّفظِ بل من زَلّةِ القَدَمِ
واحرِزْ كَلامَكَ من خِلٍّ تُنادِمُه، إنّ النّديمَ لَمُشتَقٌّ منَ النّدَمِ

[1] السمع : الذكر الحسن ، وولد الذئب . القلب : العضو المعروف، منزل من منازل القمر، وفي البيت استخدام .

مخاطبة الجليس

إسمعْ مُخاطَبَةَ الجَليسِ ، ولا تكن عَجِلاً بنُطقِكَ قَبلَما تَتَفَهَّمُ
لم تُعطَ مع أُذُنَيكَ نُطقاً واحِداً ، إلاّ لتَسمعَ ضِعفَ ما تتَكَلَّمُ

ترك الجواب

إذا لم تكُن عالماً بالسّؤالِ ، فتركُ الجَوابِ لهُ أسلَمُ
فإنْ أنتَ شَكَكتَ فيما سُئِلـ ـتَ ، فخَيرُ جَوابِكَ لا أعلَمُ

زيارة الملوك

إذا زُرتَ المُلوكَ ، فكن رَئيساً ، بَصيراً بالأمورِ رَحيبَ صَدرِ
وقابِلْ منهُمُ بجَزيلِ شُكرٍ لدَيكَ ، ومَنعَهم بجَميلِ عُذرِ
فإنْ أقصَوكَ قُلْ هذا مَقامي ، وإن أدنَوكَ قل ذا فوقَ قَدري

صحبة السلطان

إن تَصحَبِ السّلطانَ كن محترِسًا ، مُتقِنَ آداب الصّباحِ والمَسَا
وكُن لِما يُؤثِرُهُ مُقتَبِسا ، واخضَعْ ، إذا لانَ ، ولِن إذا قسَا
ولا تكن طَلقاً إذا ما عبَسَا ، ولا تكُن مُستَوحِشاً إن أنِسَا
ولا تَزُرْ حَضرَتَهُ مُختَلِسا ، ولا تُشَمِّتْهُ إذا ما عَطَسَا
وأوضِحْ له الأمرَ إذا ما التَبسا ، من غَيرِ جَعلِ رأيهِ مُنعَكِسَا
ولا تُشِعْ سِرّاً لهُ مُحتَبَسا ، ولا تَبِتْ في عَيشِهِ مُنغَمِسَا
ولا تُشارِكْهُ بأحوالِ النِّسَا ، لم تَدرِ ما في نَفسِهِ قَد هَجَسَا
فإنّهُ كاللّيثِ يُخفي الشَّرَسَا ، حتى إذا رِيعَ حِماهُ افترَسَا

اللبيب والفدم

إذا بُليَ اللّبيبُ بقُربِ فَدمٍ[1] تَجَرّعَ منهُ كاساتِ الحُتوفِ
فذو الطّبعِ الكَثيفِ بغَيرِ قَصدٍ يُضِرّ بصاحبِ الطّبعِ اللّطيفِ
وذاكَ لأنّ بَينَهما اختِلافاً يُنافي العَقلَ بالجَهلِ العَنيفِ
فداءُ الجَهلِ ليسَ لهُ دواءٌ ، كحُمّى الرّبعِ في فَصلِ الخَريفِ

١ الفدم : العيي عن الكلام في رخاوة وقلة فهم .

المجهول

إنّ المجهولَ ، إذا ألزمتُ صُحبتَهُ قسراً ، فصاحبتُهُ عن غيرِ إيثارِ
يُطفي ضياءَ سنا فهمي ، ويُنقصُهُ ، كالنّارِ بالماءِ ، أو كالماءِ بالنّارِ

توقوا النساء

وقال وهو منظوم من كلام
أمير المؤمنين علي عليه السلام :

تَوَقّوا النّساءَ ، فإنّ النّساءَ نقَصنَ حظوظاً وعقلاً ودينَا
وكلٌّ بهِ جاءَ نَصُّ الكتابِ وأوضحَ فيه دَليلاً مُبينَا
فأمّا الدّليلُ لنَقصِ الحظوظِ ، فإرثُهُمُ نصفُ إرثِ البَنينَا
ونَقصُ العقولِ فإجراؤهنّ بنِصفِ الشّهادَةِ في الشّاهدينَا
وحَسبُكَ من نَقصِ أديانهنّ ما لَستَ تَزدادُ فيه يَقينَا
فَواتُ الصّلاةِ ، وتَركُ الصّيامِ في مُدّةِ الحَيضِ حيناً ، فحينَا
فلا تُطمِعُوهنّ يوماً ، فقَد تكونُ النّدامَةُ منهُ سِنينَا

أعدى الاعادي

إخفِضْ جَناحاً لِمَن تعاشِرُهُ ، ولِنْ ، إذا ما قَسَتْ خَلائِقُه
فإنّهُ ، إن أسأتَ صُحبتَهُ ، أعدى أعاديك ، إذ تُفارِقُه

من الصديق

ولَيس صَديقاً مَن إذا قلتَ لَفظَةً يُحاوِلُ في أثناءِ مَوقِعِها أمرا
ولكنّهُ مَن لو قَطَعتَ بَنانَهُ توَهّمَهُ قَصداً لِمَصلَحَةٍ أخرَى

عيون الرضا

فكَم صاحبٍ مُذ بَدا سُخطُه بَذَلتُ لَهُ خُلُقاً مُرتَضَى
مَخافَةَ أن تَنقَضِي بَينَنا عهودُ المَوَدّةِ ، أو يَنقُضَا
وإنّي ، وإن ساءَني فِعلُهُ ، وأصبَحَ بَعدَ الوَفَا مُعرِضَا
أقابِلُهُ بمُحَيّا القَبُولِ ، وألحَظُهُ بعُيُونِ الرِّضَا

الصديق و العدو

إنَّ الصَّديقَ يُريدُ بَسطَكَ مازِحاً ، فإذا رأى منكَ المَلالَةَ يُقصِرُ
وترى العَدوَّ ، إذا تيَقَّنَ أنَّــهُ يُؤذيكَ بالمَزحِ العَنيفِ يُكَثِّرُ

لا تعتب على ذنب

تحَمَّلْ من حَبيبِكَ كلَّ ذَنبٍ ، وعُدَّ خَطاهُ في وَفقِ الصَّوابِ
ولا تَعتُبْ على ذَنْبٍ حَبيباً ، فكَم هَجراً تَوَلَّدَ من عِتابِ

العقل المسامر

أُحبُّ صَديقاً منصِفاً في ازديادِهِ ، يُخَفِّفُ عن قَصدٍ ويُبرِمُ عن عُذرِ
ولا رأيَ لي فيمَن يُنَغِّصُ خَلوَتي ، فيَسرِقُ لَذّاتي ، ويُنفِقُ من عُمري
ولي خَلَواتٌ لا أبيعُ يَسيرَها بما مَلَكَتْ كفّايَ من وافرِ الوَفرِ
أبيتُ بها في عالَمٍ من تَصَوّري ، يُسامِرُني عَقلي ، ويُؤنِسني فِكري
ويَعتادُني من خَمرِ مَعنايَ نَشوَةٌ ، أوَدُّ سروراً أن يَدومَ بها سُكري
إذا كَدَّ وَزنُ النَّظمِ جُهدَ قَريحَتي عزَلتُ القَوافي واستَرَحتُ إلى النَّثرِ
وأجعَلُ لَفظي للمَعاني قَوالِباً ، فأنحَتُ من صَخرٍ وأغرِفُ من بحرِ

النصح

انصحْ صَديقَكَ مرّتينِ ، فإنْ عَصاكَ فغُشّهُ
لو ظَنّ صِدقَكَ ما عصَى . وأبَى وأظهرَ فُحشَهُ

نبأ الهدهد

نَصَحتُكَ فاصغِ إلى منطِقي ، يقُدْكَ إلى السَّنَنِ الأرشَدِ
ولا تَستقِلّنّ رأيَ امرئٍ ، وإن كانَ دونَكَ في المَحتِدِ
فإنّ سُليمانَ في مُلكهِ ، وكُلٌّ بآرائهِ يَهتَدي
أطاعتهُ كلُّ ذواتِ الجَناحِ وأصغَى إلى نَبإ الهُدهُدِ

صن سرك

سِرُّكَ إن صنتَهُ بصَمتٍ ، أصلحَ بَينَ الأنامِ شانَك
فلا تَفُه لامرئٍ بسرٍّ ، ولا تُحرّكْ بهِ لِسانَك

الغنى كالشهاب

إنّ الغِنى كشِهابٍ كلّما اعتَكَرَتْ دُجَى الخُطوبِ جَلا منها حنادِسَها
لا تَنفَعُ الخَمسَةُ الأسماءُ مُحدِقَةً لدَيكَ ، إلاّ إذا ما كنتَ سادِسَها

عقول الرجال

تأمّل ، إذا ما كتبتَ الكتابَ . سطورَكَ من بَعدِ إحكامِها
وهَذّبْ عبارَةَ طَرزِ الكَلامِ ، واستَوفِ سائرَ أقسامِها
فقَد قيلَ إنّ عقولَ الرّجالِ تحتَ ألسِنَةِ أقلامِها

لسان الفقير

وإذا فاتَكَ الغِنى نكَصَ العز مُ وكَلّ اللّسانُ عندَ الكَلامِ
ما لسانُ الفَقيرِ إلاّ قَصيرٌ ، عَجَباً إن أطاقَ رَدّ السّلامِ

قاضي الحاجات

لَن يَقضِيَ الحاجاتِ إلاّ دِرهَمٌ ، عزّ الغَنيُّ ودِرهَمٌ لمؤمِّلِ
يُدني لكَ الغَرَضَ البَعيدَ بسِحرِهِ ، ويَحُلّ عُقدَةَ كلّ أمرٍ مُشكِلِ
فإذا فَهِمتَ السرّ فيهِ رأيتَهُ ذُخرَ المُؤمِّلِ ، نُزهَةَ المتأمِّلِ
وإذا نَظَرْتَ إلى أسِرّةِ وَجهِهِ لمَعَتْ كلَمعِ العارِضِ المُتَهَلّلِ

لا تحقرن المال

قد نَظَرَ النّاسَ بلا عَينٍ ، مَن ناظَرَ النّاسَ بلا عَينِ[1]
لا تَحقِرَنّ المالَ فالعَينُ لِلْـ إنسانِ كالإنسانِ للعَينِ[2]

عين النضار

عَينُ النُّضارِ كناظرِ العَينِ الذي يتأمّلُ الفاصي بهِ والدّاني
ولربَّ إنسانٍ بلا عَينٍ غَدا وكأنّهُ عَينٌ بلا إنسانِ

تصريف الايام

يُعطَى البليدُ معَ الخُمولِ ،منالغنى ما لم يَنَلهُ بعَقلِهِ وبحِسّهِ
كم مُدرِكٍ ، مع عَجزِهِ من دهرِهِ في يَومه ، ما لم ينَل من أمسِهِ
لكنّها الأيّامُ ، في تَصريفِها ، تَقضي علَيه بسَعدِهِ وبنَحسِهِ
إن أقبَلَتْ وهَبَتْ مَحاسنَ غيرِه ، أو أدبَرَتْ سلَبَتْ مَحاسنَ نَفسِهِ

١ بلا عين الأولى : بلا آلة النظر . الثانية : بلا علم ، بلا خبرة .
٢ الإنسان الثاني : بؤبؤ العين .

الفقير

إنّ الفَقيرَ ، وإن نَمَتْ ـهُ مَكارِمٌ وفَضائلُ
لا يُستَعانُ بهِ ، ولا يُعبَأ بما هوَ قائِلُ
لو كانَ سحبانَ البَلا غَةِ أنكَرَتهُ وائلُ
أو كانَ قَسّاً في الفَصا حةِ قيلَ هذا باقِلُ

حسن الظن

لا تُحسِنِ الظّنّ فيمَن يُرضيكَ حُسنُ لِقائِهِ
فمَن يُرِدكَ لأمرٍ ، يَملُلْكَ عندَ انقِضائِهِ

اخفض جناحك

إنّ الصّديقَ ، إذا رآكَ مُخالِفاً لهواهُ ، بَدّلَ ودّهُ بعُقُوقِ
فاخفِضْ جَناحَكَ للصّديقِ مُتابِعاً لهَوائِهِ ، أو عِشْ بغَيرِ صَديقِ

سكر العشق

للعِشقِ سُكرٌ كالمُدا مِ، إذا تمكّنَ في العقولِ
يَبقَى اليَسيرُ منَ الكَثيـ ـرِ، فكيفَ ظَنُّكَ بالقَليلِ

النفور من الشحيح

مَن لم تَضُمَّ الضّيوفَ ساحتُهُ ، فسترُهُ أن تَضُمّهُ الحُفرَه
ومَن تَمادى في شُحّهِ نفرَتْ من قُربِهِ النّاسُ أيّما نَفرَه
واللّؤمُ يُذري من قَدرِ صاحبِه ، حتى لقَد كادَ يَقتَضِي كُفرَه
ومَن غَدا عرضُهُ المهَلَّبَ في النّا سِ ، غَدا وَجهُهُ أبَا صُفرَه

يا من يعز المال

يا مَن يُعِزّ المالَ ضَنّاً بهِ ، إنّ المَعالي ضِدّ ما تَزعَمُ
ما عزّ بَينَ النّاسِ قدرُ امرىءٍ ، إلاّ وقد ذَلّ بهِ الدّرهَمُ

لا تخزنوا المال

لا تَخزُنوا المالَ لقَصدِ الغِنى ، وتَطلُبوا اليُسرَى بعُسراكُمُ
فذاكَ فَقرٌ لكُمُ عاجلٌ ، أعاذَنا اللهُ وإيّاكُمُ
ما قالَ ذو العَرشِ لَنا اخزُنُوا بل أنفِقُوا ممّا رَزَقناكُمُ

سافر

إنْ قَلَّ نَفعُكَ في أرضٍ حلَلتَ بها ... سافِرْ لتُدرِك قَصداً أو تَرَى أمَلا
فالبِيضُ لو لازَمتْ أغمادَهاصَدِئَتْ، ... والشّمسُ لو لم تَسِرْ ما حلّتِ الحَمَلا

تغرب

تَغَرّبْ وابغِ في الأسفارِ رِزقاً ، ... لتَفتَحَ بالتّغَرّبِ بابَ نُجحِ
فلَنْ تَجِدَ الثّراءَ بغَيرِ سعيٍ ، ... وهل يُوري الزّنادُ بغيرِ قَدحِ ؟

أصل كل هوان

بثَلاثِ واواتٍ وشِينٍ بَعدَها ... كافٌ وضادٌ أصلُ كلّ هَوانِ
بوكالَةٍ ، ووَديعَةٍ ، ووَصيّةٍ ، ... وبشِركَةٍ ، وكَفالَةٍ ، وضَمانِ

حبل الوصال

يُسائِلُني صديقي عن كتابٍ ، ... فأُنكِرُهُ ، وأشغَلُ عَنهُ بالي
وأزعُمُ أنّهُ خَطٌّ سَقيمٌ ، ... وطِرسٌ دارِسٌ ، كالشنّ بالي
مَخافَةَ أن أرومَ لهُ ارتجاعاً ، ... فيَقطَعَ دونَهُ حَبلَ الوِصالِ
ولَستُ بواصِفٍ يَوماً حَبيباً ... أُعَرّضُهُ لأهواءِ الرّجالِ

المغرى بالقوافي

وإنّي لمُغرًى بالقَوافي ونَظمِها ،   ويَبلُغُ بي حدَّ السّرورِ بليغُها
وأطيَبُ أوقاتي من الدّهرِ ليلَةٌ ،   تُريغُ القَوافي خاطري وأُريغُها[1]
فكم بلَغَتْ بي هِمّتي بُعد غايةٍ   يَعزّ على الشّعرَى العبورِ بلوغُها
فَما سرّني إلاّ كَلامٌ أُسيغُهُ ،   بمسمعٍ واعٍ ، أو معانٍ أصوغُها

أين البلاغة

لَيسَ البَلاغَةُ مَعنًى   فيهِ الكَلامُ يَطُولُ
بل صَوغُ معنًى كَثيرٍ   يَحويهِ لَفظٌ قَليلُ
فالفَضلُ في حُسنِ لَفظٍ   يَقِلّ فيهِ الفُضولُ
يظنّهُ النّاسُ سَهلاً ،   وما إلَيهِ سَبيلُ
والعَيّ مَعنًى قَصيرٌ ،   يَحويهِ لَفظٌ طَويلُ

الفساد عين الصلاح

في فَسادِ الأحوالِ للهِ سِرٌّ ،   والتِباسٌ في غايَةِ الإيضاحِ
فيَقُولُ الجُهّالُ : قد فَسَدَ الأمْـ   ـرُ ، وذاكَ الفَسادُ عينُ الصّلاحِ

---

١ أراغه : راوده ، طلبه .

ذو العقل

ذو العَقلِ مَن أصبَحَ ذا خَلوَةٍ في بَيتِهِ ، كالمَيتِ في رَمسِهِ
مُنفَرِداً بالفِكرِ عن صَحبِهِ ، مُستَوحِشاً بالإنسِ من أُنسِهِ
أصبَحَ لا يألَفُ خِلاً ، ولا يصحَبُ شَخصاً ليسَ من جِنسِهِ
ولا يُريدُ اللَّيثَ في غابِهِ ، من مُؤنسٍ فيهِ سِوى نَفسِهِ

أطيب الاوقات

وأطيَبُ أوقاتي منَ الدّهرِ خَلوَةٌ ، يَقَرّ بها قَلبي ويَصفُو بها ذِهني
وتأخُذُني من سَورَةِ الفِكرِ نشوَةٌ فأخرُجُ من فَنٍّ وأدخُلُ في فَنّ
ويَفهَمُ ما قد قال عَقلي تَصَوّري ، فنَقلي إذاً عنّي ، وسَمعي بها منّي
وأسمَعُ من نجوَى الدّفاترِ طُرفَةً ، أُزيلُ بها هَمّي ، وأجلو بها حزني
يُنادِمُني قَومٌ لدَيّ حَديثُهم ، فما غابَ منهم غيرُ شخصِهم عنّي

الوحدة المؤنسة

تُؤنسُني الوَحدةُ في خَلوَتي ، وهذِهِ من صِفَةِ العالمِ
مَن يَكُ بالعالَمِ مُستأنِساً ، فإنّني منّيَ في عالَمِ

طالب الراحة

قالَ العَذولُ : لمَ اعتزَلتَ عن الوَرى ، وأقَمتَ نَفسَكَ في المَقامِ الأوهنِ
نادَيتُ : طالبُ راحةٍ ، فأجابَني : أتعَبتَها بطِلابِ ما لم يُمكِنِ

الهدية المزرية

لا تُهدِ شَيئاً لم يكُن حَسَناً ، أو طُرفَةً عُدّتْ من النّزرِ
إنّ الهَديّةَ في زِيارَتِها تُزري بصاحبِها ولا يَدري

علامات زوال الصحبة

لا تَستَدِلّ على تَغيّرِ صاحبٍ ، وزَوالِ صُحبتِهِ وخَفرِ ذِمامِهِ
يوماً بأوضَحَ من تجَهّمِ وَجهِهِ ، وجَفاءِ مَنطِقِهِ وسُخطِ غُلامِهِ

أرد ما يكون

إذا الجَدّ لم يَكُ لي مُسعِداً ، فَما حرَكاتيَ إلاّ سُكُونُ
إذا لم يكُن ما يُريدُ الفَتى ، على رُغمِهِ ، فليُرِد ما يكُونُ

كل لسان انسان

بقَدرِ لُغاتِ المَرءِ يَكثُرُ نَفعُهُ ، فتلكَ لهُ عندَ المُلِمّاتِ أعوانُ
تَهافَتْ على حِفْظِ اللّغاتِ مُجاهداً ، فكلُّ لِسانٍ في الحَقيقَةِ إنسانُ

بنو الزمان والخل الوفي

لمّا رأيتُ بَني الزّمانِ وما بهِم خِلٌّ وَفيٌّ للشّدائدِ أصطَفي
أيقَنتُ أنّ المُستَحيلَ ثلاثةٌ : الغُولُ والعَنقاءُ والخِلّ الوَفي

اني لأعجب

إنّي لأعجَبُ من تعقّلِ جاهلٍ أمسَى يدلّ بجاهِهِ وبوَفرِهِ
أمسَى يَشحّ بمالِهِ وبزادِهِ ، لكن يَجودُ بعِرضِهِ وبذِكرِهِ
وتَراهُ يحسبُ ما بَقي من مالِهِ ؛ فتُراه يَعلَمُ ما بَقيمن عُمرِه؟

المرء من ماء وطين

أتَطلُبُ من أخٍ خُلقاً جَليلاً ، وخَلقُ النّاسِ من ماءٍ مَهينِ
فسامِح أن تُكَدِّرَ ودّ خِلٍّ ، فإنّ المَرءَ من ماءٍ وطينِ

إذا أبطأ الرسول

وقال وقد اقترح عليه إجازة صدر بيت مفرد
وهو: إذا أبطا الرسول فظن خيراً، فقال:

إذا أبطا الرّسولُ فظُنّ خيَراً ، فسُوءُ الظّنّ في عَجَلِ الرّسولِ
فلَولا أن يرَى ما يَشتَهيهِ ، لَعادَ إليكَ في أمَدٍ قَليلِ

الداء من لذيذ الطعام

لا تأمنَنّ إلى الحَريفِ وإنْ غدَا عذبَ الهَواءِ يلَذّ للأجسامِ
واحذرْ تَوَصّلَهُ إليكَ بلذّةٍ ، فالدّاءُ يَحدُثُ من ألَذّ طَعامِ

يا رب

قال عند دخوله بيت
الله الحرام شرفه الله :

يا رَبّ ! إنّي دَخَلتُ بَيتَكَ والـ ـدّاخلُ بَيتِ الكَريمِ في حَسبِهِ
لا يَختَشي سُخطَهُ علَيهِ ، ولا يَحذَرُ من مَكرِهِ ولا غَضَبِهِ
فكَيفَ يَرتاعُ مَن أناخَ بكَ الرّحـ ـلَ ، ويخشَى من سُوءِ مُنقلَبِهِ
لا يَسألُ العَبدُ غَيرَ مَن هوَ بالـ ـعَفوِ جديرٌ ، وأنتَ أجدرُ بِهِ

ذنبي عظيم

يا رَبِّ ! ذَنْبي عَظيمُ ، وأنتَ عَنّي حَليمُ
بل عزّني منكَ وَعْدٌ ، لهُ الأنامُ تَرُومُ
إذ قُلتَ في الذِّكرِ للمُصطَفَى ، وأنتَ كَرِيمُ
نَبِّىءْ عِبادِيَ أنّي أنا الغَفُورُ الرّحيمُ

وقني النار

رَبِّ أنعَمتَ في المَديدِ منَ العُمرِ ، ونَجّيتَني منَ الأشرارِ
فاعفني اليَومَ من سُؤالِ لَئيمٍ ، وَقِني في غَدٍ عَذابَ النّارِ

الله سميع

تُبْ وتُبْ وادعُ ذا الجَلالِ بِصِدقٍ تَجِدِ اللهَ للدّعاءِ سَميعَا
لا تَخَفْ مع رَجاءِ رَبّكَ ذَنباً ، إنّهُ يَغفِرُ الذّنوبَ جَميعَا

عفوك حسبي

يا رَبّ إن كانَ ذَنبي خِلافَ إخلاصِ قَلبي
فلَيسَ ذلكَ إلاّ لحُسنِ ظَنّي برَبّي
ما لي إلَيكَ شَفيعٌ ، إلاّ اعترافي بذَنبي
ولَيسَ ، حَسبيَ إلاّ بأنّ عَفوَكَ حَسبي

عيشة راضية

وقال موشحاً على طريق التصوف اقترح عليه ذلك معارضاً موشحاً لغيلان الغول المصري الذي أوله :

شَرِبنا سُلافاً بلا آنيَه ، فلا تَحسَبوا عَينَها آنيَه[1]

فقال والتزم في توشيحها تجنيس القلب :

لَنا نَشوَةٌ في الدّجَى ناشيَه ، بإدراكِها أصلَحَتْ شانيَه
ترى ظِلّها في الضّحَى والمَقيل
أشَدّ وطاءً وأقوَمَ قيل
وألقَتْ على الضّدّ قَولاً ثَقيل

[1] آنية الأولى : جمع إناء . الثانية من أنى : دنا .

فكانَتْ لأنفُسِنا هادِيَه . ولكنّها للعِدَى داهيَه

تَبَدّتْ لَنا ، فحلَلْنا الحُبَى
وقُلنـا لها مَرحَباً ، مَرحَبا
بشَمسٍ بدَتْ قَبلَ رَفعِ الخِبا

وشاهَدتُ أنوارَها بادِيَه ، فصَيّرتُ تَذكارَها دابيَه[1]

رآهـا أُناسٌ بعَينِ القُلُوبِ
فدانَ الوُجُودُ لهم بالوجوبِ
وسَحّتْ علَيهم غيوثُ الغُيُوبِ

علَيهِم سَحائِبُها هاميَه ، ولم يَدرِ غَيرُهم ما هيَه

فَهِمنا بها رَمزَ سِرّ الوُجودِ
لفَوزِ العُقُولِ بحَلّ العُقُودِ
فقُمت لها بوَفـاءِ العُهُودِ

فكانَتْ لشَهواتِنا نافيَه ، على أنّهـا لَذّةٌ فانيَه

رَأينـا الدّعاءَ لَدَيهـا يُجابْ
وكم دونَ أبصارِها مِن حِجابْ
وأشهَدَنا الغَيبُ شَيئاً عُجابْ

فعِشنا بها عِيشَةً راضِيَه ، وأُسدُ حَقائِقِنا ضَارِيَه

---

١ دابيه ، مسهل دأبي : شأني ، أمري .

كل كأس

وقال على طريقة التصوف أيضاً :

كلُّ كأسٍ من غيرِ خمـ ـرةِ معناكَ لي قدَحْ
وسوى ذكرِكَ المُفَـ ـرّحِ لم ينشَ لي فرَحْ
أيّها الغائبُ الـذي عن حِمَى القلبِ ما نزَحْ
مَن يكن قصدُهُ سِوا كَ فقد خابَ وافتضَحْ

من وراء الحجاب

تعشّقتُ ليلى من وراءِ حِجابِها ، ولم ترَ عيني لمحَةً من جنابِها
فكيفَ سلوّي ، إذ أُميطَتْ ستورُها ، وزُحزِحَ إذ وافيتُ فضلُ نِقابِها
وكم أمكنَتني فرصَةٌ في اختلاسِها ، وبِتُّ ، وقلبي طامعٌ في اغتصابِها
فأجلَلتُها عن أن أراها بريبَةٍ ، ولم يُرضِني إلاّ الدّخولُ ببابِها

الشهادة بالسماع

شَهِدتُ بأنّي عبدُ مَغناكمُ الذي على بابِكم أرضَى حِجابَكُمُ عنّي
فإن شنّعَ الأعداءُ عنّي بضدّهِ ، فلا تَشهدُوا إلاّ بمَسموعكم منّي

تراءت لنا

تَراءَتْ لَنا، بينَ الأكِلّةِ والحُجبِ، فتاهَ بها طَرفي، وهامَ بها قَلبي
وأعجَبُ شيءٍ أنّها مُذ تَبرّجَتْ، رأتْ حُسنَها عَيني، ولم يرَها صَحبي
تَلَقّيتُها بالرّحبِ منّي كَرامَةً، ومنها تَعلّمنا التّلَقّيَ بالرّحبِ
عَجبتُ لمَسراها، وأعجَبُ باللّقا، فَيا عَجَبي ممّا رأيتُ، ويا عُجبي
غَزالَةُ سِربٍ كُنتُ أخشَى نِفارَها، فأصبَحتُ مع فَوزي بها آمِنَ السّربِ
خَفَضتُ جَناحَ الذّلّ رَفعاً لقَدرِها، فأوجبَ ذاكَ الخفضُ رَفعي عن النّصبِ
وناجَيتُها فيما أحبّ سَماعَهُ، مُشافَهَةً، لا بالتّرَسّلِ والكُتبِ
لقَد أصبَحَتنا من مُدامِ خِطابِها، وما قلتُ إلحاحاً علَيهِ: ألاَ هُبّي[1]
حملَتُ الظّما شَوقاً إليها، فساقَني إلى عَينِ تَسنيمٍ أدَمتُ بها شُربي
علِمتُ بها ما كنتُ أجهَلُ عِلمَه، وكنتُ بها أُنبا فصِرتُ بها أُنبي
كَستني من العزّ المُقيمِ مَلابِساً حِساناً ولم تَقصِد بذاكَ سوى سَلبي
وأصبحَ مَوتي كالحَياةِ بوَصلِها، فإن غِبتُ كان البعدُ في غايةِ القُربِ
وكم جَعَلَتْ منّي عليّ طَليعَةً، فعَيني لها في ذاكَ عَينٌ على قَلبي[2]
فكلٌّ يرَى شَمساً من الشّرقِ أشرَقتْ، وتُشرِقُ شَمسُ العارفينَ من الغَربِ
فيا حَضرَةَ القُدسِ الّتي مُذ شَهِدتُها تَيَقّنَ قَلبي بالوصولِ إلى رَبّي
حنانَيكِ قد أشهَدتِني كلّ واجبٍ عليّ، فلي من ذاكَ شُغلٌ عن النّدبِ
فأنتِ لَنا قُطبٌ علَيهِ مَدارُنا، وأيّ رَحًى أضحَتْ تدورُ بلا قُطبِ

[1] ألا هبي: أي ألا هبي بصحنك فاصبحينا، مطلع معلقة عمرو بن كلثوم.
[2] العين: الرقيب.

بورك من في النار

وقال أيضاً من الدوبيت :

لمّا رُفِعَتْ نارُكم للسّاري ، آنَستُ على النّارِ هُدى الأسرارِ
قد جئتُكم أرومُ منها قَبَساً ، نُوديتُ أن بُورِك مَن في النّارِ

نور الشيب

عَجَباً لفَوْدي بعدَ فَقدِ شبيبَتي ، وكأنّ نُورَ الشّيبِ فيهِ قَتامُ
لمّا نَضَتْ عَنهُ اللّيالي صِبغَها ، خلعَتْ عليهِ شَبابَها الأيّامُ

كره الشباب

وقال في الشيب :

لو تيَقّنتُ أنّ ضَيفَ بياضِ الشّيـ بِ يَبقَى لما كَرِهتُ الشّبابَا
غيرَ أنّي علِمتُ من ذلكَ الزّا ئرِ ما يَقتَضي وما يَتَقاضَى

تبديل

تَقُولُ لمّا أن رأتْ لِمـّتي مَحفُوفَةً بالشّعرِ الأشيَبِ :
بدّلتَ مِن مِسكِكَ كافُورَةً ، فقلتُ : بل بالعَنبَرِ الأشهَبِ

دولة الشباب

هذهِ دولَةُ الشّبابِ ، إذا لم أكُ فيها مُمَلّكاً مَحسُودَا
فمَتى أملِكُ القِيادَ ، ويُضحي الـ شّيبُ حَولي عَساكراً وجُنُودَا

كذب الخضاب

قالوا اخضِبِ الشّيبَ فقلتُ اقصرُوا ، فإنّ قصدَ الصّدقِ من شيمَتي
فكَيفَ أرضَى بَعدَ ذا أنّني أوّلُ ما أكذِبُ في لحيَتي

مجازاة الفضل

وقال وكتبها إجازة الشيخ العلامة القدوة المحقق شمس الدين بن عبد اللطيف بن خليفة الهمداني برواية نظمه ونثره :

إنّي لفَضلِكَ بالمَديحِ أُجازي ، شتّانَ بَينَ حَقيقَةٍ ومَجازِ
فَضلاً بهِ ضاقَ الكَلامُ بأسرِهِ ، فَضلاً عن الإرمالِ والإرجازِ
إن رُمتُ بالنّظمِ البَديعِ صفاتِهِ ، لم ألقَ غَيرَ نِهايَةِ الإعجازِ
رُضتَ العلومَ فأصبحتْ إذ أصبَحَتْ ، وجِيادُها تَمشِي بِلا مِهمازِ
وسموتَ هِرمسَ والرّئيسَ وثابتاً ، فَضلاً على الطّوسيّ والشّيرازِي[1]
والشّعرُ ثوبٌ لَيسَ يَعرِفُ قَدرَهُ ، من بَعدِ حائِكِهِ سوى بَزّازِ
وهزَزتَ أغصانَ الكَلامِ ، فساقطَتْ دُرراً ، فلا عَدِمتَكَ من هَزّازِ
ونَشَرتَ في أقصَى البِلادِ فَضائلاً ، غُرّاً ، رزأتَ بهِنّ ذِكرَ الرّازِي[2]
وتركتَ فُرسانَ الكَلامِ لِقايَةً ، حتى كأنّكَ بالفَضائلِ غازِي[3]
فإذا الجِدالُ ، أو الجِلادُ حواهمُ في يَومِ تَبريزٍ ويومِ بِرازِ
نَظَرُوا إليكَ بأعينٍ مزوَرّةٍ ، نَظَرَ البُغاثِ إلى التِفاتِ البازِي[4]

١ هرمس : إله الفصاحة عند اليونان. الرئيس : هو ابن سينا. ثابت بن قرة : عالم في الرياضيات والفلك . الطوسي والشيرازي : عالمان مشهوران .
٢ الرازي : هو أبو بكر الرازي جالينوس العرب ، أو طبيب المسلمين .
٣ قوله : لقاية ، هكذا في الأصل .
٤ البغاث : طائر ، وكذلك البازي .

يا سابِقَ الوَعدِ المَقولِ بفِعلِهِ ، فيَحولُ بينَ المَطلِ والإيجازِ
كم قد أسأتُ مُهاجراً ومُجاهراً ، فعُزيتُ بالإكرامِ والإعزازِ
يا صاحبَ المِنَنِ التي آثارُها فينـا ، كفِعلِ الغَيثِ بالإرجازِ
لديارِ مصرَ لكَ الهَناءُ ، وإن غَدَا للزومِ بُعدِكَ والعِراقِ تَعازي
قوّضتَ عن أعلامِها ، فتَنَكّرَتْ ، فكأنّها ثَوبٌ بغَيرِ طِرازِ
ما للمُقيمِ بحَصرِ بَعضِ صِفاتِهِ قِبَلٌ ، فكَيفَ لعابرٍ مُجتازِ
وجلَوتَ شِعري في المَحافلِ بَعدَما أخفَيتُهُ بدَفاترٍ وجُزازِ
وخَطَبتَ منّي بعدَ ذاكَ إجازَةً عن نَقلِهِ ، حتى ظَنَنتُكَ هازِي
هل يَخطُبُ المَولى إجازَةَ عَبدِهِ ، ويَرومُ من مَولاهُ خَطّ جَوازِ
ولقَد أجَبتُ بأن أجزتُ بخِدمَةٍ في غايَةِ التّلخيصِ والإيجازِ
وأذِنتُ أن تَرويهِ عنّي ، مالكي ، مع كلّ ما تَعزُوهُ نحوي عازِي
فهيَ الإجازَةُ والوَداعُ لأنّها صَدَرَتْ ، ومُرسِلُها على أوفازِ
متَوَقّعُ الإغضاءِ عن تَقصيرِهِ ، مَن ذا يُوازِنُ فَضلَكُم ويُوازِي
وإذا عَجِزتُ عنِ الجَزاءِ لحَقّكم بمدائحي ، فاللهُ خَيرُ مُجازِي

اجازة

وقال وقد كتبها إجازة
لآخر برواية نظمه ونثره :

أجَزتُ لسيّدي ومَليكِ رِقّي ، روايَةَ ما حوَى من نَسجِ فكرِي
وما أنشأتُ من جِدٍّ وهَزلٍ ، وما أبدَعتُ من نَظمٍ ونَثرِ
ولم أقصِد بذاكَ سِوى قَبُولي لمَرسُومٍ أشارَ بهِ وأمرِي
ولو نَسَبُوا إلَيهِ جَميعَ عِلمي : لَكانَ كنُقطَةٍ في لُجّ بَحرِ

كم ترك الاول للآخر

وقال وكتبها على كتاب
المثل السائر لابن الأثير :

هذا كتابُ المَثَلِ السّائرِ في أدَبِ الكاتبِ والشّاعرِ
ألّفَهُ نَجلُ الأثيرِ الذي أبرَزَهُ كالكَوكَبِ الزّاهرِ
فكَم بهِ من زَهَرٍ ناضِرٍ ، في الحُسنِ أضحى نُزهةَ النّاظرِ
إذا بَدا مَعناهُ قالَ الوَرى : كم تَرَكَ الأوّلُ للآخرِ

المقيد المطلق

قال وكتب بها إلى مسجون
من الأعيان مطوق :

إن يَحبِسوكَ ، فإنّ جودَكَ سائرٌ، أو قيّدوك ، فإنّ ذِكرَكَ مُطلَقُ
والمِسكُ يُخزَنُ في الوِعاءِ ونَشرُه أبداً بأفنيَةِ المنازِلِ يَعبَقُ
وكذاكَ كلّ نَفيسِ دُرٍّ لم يزَل من دونِهِ للخَزنِ بابٌ مُغلَقُ
والحَلْيُ في كلّ المَواطنِ زِينَةٌ ، شتّانَ جيدٌ عاطِلٌ ومُطَوَّقُ

الجوهر يخزن

وقال في مثل ذلك :

قد عُهِدَ الجَوهَرُ بالخَزنِ ، فلا تَخَفْ عاقبَةَ السِّجنِ
يوسفُ نالَ الملكَ من بعده ، وعاشَ في عزٍّ ، وفي أمنِ
مِن بَعدِ ما أعمَى أباهُ البُكا وابيضَّ عيناه من الحزنِ

فخار مجدك

وذكر عنه رحمه الله أنه عند جوازه بمدينة بدليس أنعم مالكها الأمير نجم الدين أبو بكر عليه بإنعامات متواصلة من قبل الاجتماع به فعندما اجتمع به رحل عنه ولم يمتدحه فعتب عليه نجم الدين المرقوم وحمل ذلك على الكبرياء فكتب إليه هذه اللزومية والاعتذار في آخرها وهي:

لم تَتبَعِ الأمرَ إلاّ كانَ ، أو كادا ، ولم تَرَ الخطبَ إلاّ بانَ ، أو بادا
وما رأى البُؤسَ أفواجُ العُفاةِ ، وقد حلَّتْ بربعِكَ ، إلاّ حالَ أو حادا
وطيبُ ذِكرِكَ لم يَقصِد بشَهوَتِهِ بِناءَ مَجدِكَ ، إلاّ شاعَ أو شادا
حلَّى بكَ الدّهرُ أجيادَ العَلاءِ ، فلَم تُعطَ المَراتبَ إلاّ زانَ ، أو زادا
يا ماجداً ما دَعَتهُ في نَدًى ورَدًى بَنو المَطالبِ إلاّ جالَ أو جادا
ما رامَ بالعَزمِ صَيدَ الصِّيدِ يومَ وَغًى إن صالتِ الشّوسُ إلاّ صال أو صادا
ولم يُشاهِد بَني الآمالِ قد قُطِعَتْ منها العَلائقُ إلاّ عاجَ أو عادا
وما دَعَا للنّدَى إلاّ أجابَ نِدا باغي النّوالِ ، إذا ما ناحَ أو نادَى
لا يَنثَني لمَهَبّ العاصِفاتِ ، ولم يَهُزّهُ المَدحُ إلاّ مالَ أو مادا
فخارُ مجدِكَ ، نجمَ الدّينِ ، إن فخرَتْ أهلُ السّيادةِ ساوَى النّجمَ ، أو سادا
ونارُ عَزمِكَ إن نارُ القِرى وُقِدَتْ رأى لها النّاسُ إيقاظاً وإيقادا
وسُحبُ نَفعِكَ إن هَبّتْ عَواصِفُها رأى لها الشّوسُ إرعاباً وإرعادا
تركتُ مَدحَكَ إذ أكرَمتَني حَذَراً أن تُفنيَ المالَ إنفاقاً وإنفادا
إذ كنتَ أولَيتَ قوماً دونَ مَرتَبَتي بأيسَرِ المَدحِ إرفاقاً وإرفادا
فمُذ أثَرتُ رِكابي عنكَ مُرتَحِلاً ، أثَرتُ مَدحَكَ إنشاءً وإنشادا
فاسعَدْ بأبكارِهِ ، لا زِلتَ في نِعَمٍ ، تَرَى من اللهِ إسعافاً وإسعادا

غيرة الغيث من كفه

وقال عند وصوله إلى دمشق سنة خمس وعشرين وسبعمائة وقد نزل بضواحيها فكتب إليه القاضي العلامة ملك الفصحاء شهاب الدين محمود كاتب الدرج الشريف يومئذ بها يستزيده بأبيات دالية فلما عزم على زيارته واصل الغيث ثلاثة أيام متوالية بعد انقطاعه مدة طويلة فكتب يعتذر عن تأخره ويطلب المهلة إلى حين يقلع الغيث وأجابه بهذه الأبيات :

أغارَ الغَيثَ كفُّكَ حينَ جادَا ، فأفرَطَ في تَواتُرِه وزادَا
أظُنُّ الغَيثَ يَحسُدُنا علَيهِ ، فيَمنَعُ من زيارَتِكَ العِبادَا
هَمَى فرأيتُ منهُ السّحّ شحّاً ، سَحاباً ما عَهِدتُ به العِهادَا
إذا رُمنا لحَضرَتِكَ ازدِياداً ، نُوَهَّمُ أنّنا رُمنا ازدِيادَا
أعادَ الأرضَ في صَفَرٍ رَبيعاً ، وكانَ رَبيعُنا فيها جُمادَى
وما باراكَ في فَضلٍ بهَطلٍ ، ولكن زادَنا فيكَ اعتقادَا
وكيفَ يَرومُ أن يحكيكَ جُوداً ، بفَرطِ الهَطلِ ،أو يُدعَى جَوادَا
وأنتَ وقد أفَدتَ ضَحوكُ ثَغرٍ ، ويَبدو بالبُكاءِ ، وما أفادَا
وأينَ الغَيثُ من إنعامِ مَولًى ، يُنَوِّلُ كلَّ قَلبٍ ما أرادَا
أغَرُّ تَراهُ أعلى النّاسِ نَقداً ، إذا ما رُمتَ للنّاسِ انتِقادَا
قليلُ الغُمضِ في طَلَبِ المَعالي ، ومَن عَشِقَ العُلى هجرَ الوِسادَا
إذا عصَفَتْ به النّكباءُ عاسٍ ، وإن هَزّتهُ رِيحُ المَدحِ مادَا
يُعيدُ الفَضلَ عَوداً بَعدَ بَدءٍ ، ويُنكِرُ فهمَهُ اللّفظَ المُعادَا

تُصَرِّفُ كفُّهُ اليُمنى يَراعاً ، به راعَ العِدى ، ورَعى البلادا
ترَى الأسيافَ قد مطرَتْ نَجيعاً ، إذا أوداجُهُ قطَرَتْ مِدادا
خَفيُّ الكَيدِ تَعرِفُهُ المَنايا ، إذا ما أنكرَ السّيفُ النّجادا
بنَفثٍ علّمَ النّفثَ الأفاعي ، وجَرْيٍ علّمَ الجَرْيَ الجيادا
يكونُ لساعدِ العَلياءِ زَنداً ، ونارُ الحربِ إن وُقِدَتْ زِنادا
يُرينا أوجُهَ الآمالِ بِيضاً ، إذا مَجّتْ مَشافرُهُ السّوادا[1]
يظنّ إذا امتَطَى خمساً لطافاً لعدّتهِ ارتَقَى سَبعاً شِدادا
ولم أرَ قَلبَهُ قَلَماً نحيفاً ، يكونُ لبَيتِ مَكرُمةٍ عِمادا
شِهابَ الدّينِ قد أطلَقتَ نُطقي ، وصَيّرتَ المَكارِمَ لي صِفادا
أقَمتَ لصَنعَةِ الإنشاءِ سُوقاً ، وكانَتْ قبلُ شاكيةً كَسادا
وزِدتَ رَفيعَ مَنصِبِها سَداداً ، وكانَ سِواكَ من عَوَزٍ سِدادا
بفَضلٍ يُخجلُ السُّحبَ الغوادي ، ولَفظٍ يَفجُرُ الصُّمّ الجِلادا
رَفَعتُ إليكَ يا مَولايَ شِعرِي ، لأخطُبَ من مكارِمِكَ الودادا
وحَظّي من وِدادِكَ غَيرُ نَزرٍ ، ولكنّي أؤمّلُ أن أزادا
وأسألُ منكَ أن تَعفُو وتُعفي مُحبّكَ من إجابَتِهِ اعتِقادا
فيُعفيني قبولُكَ عَن جَوابٍ ، إذا يُتلى نَقَصتُ بهِ وزادا
فلا أنفَكُّ أشكُرُ منكَ فَضلاً قريبَ العَهدِ ، أو أشكو بُعادا

---

١ مشافره : شفاهه .

الكافية البديعية في المدائح النبوية

قال الشيخ العالم تاج الأدباء والفضلاء، ملك الشعراء والفصحاء، صفي الدين أبو المحاسن عبد العزيز بن سرايا بن أبي القاسم الحلي السنبسي، رحمة الله عليه، يمدح سيدنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وذكر أن موجب ذلك أنه أراد أن يؤلف كتاباً يحيط بجل أنواع البديع، فعرته علة طالت مدتها، واشتدت شدتها، فاتفق أنه رأى في منامه رسالة من النبي صلى الله عليه وسلم يتقاضاه المدح، ويعده البرء من سقمه، فعدل عن تأليف ذلك الكتاب إلى نظم قصيدة تجمع أشتات البديع، وتتطرز بمدح محتده الرفيع، فنظم قصيدة عدتها مائة وخمسة وأربعون بيتاً في بحر البسيط تشتمل على مائة وواحد وخمسين نوعاً من محاسن البديع، وجعل كل بيت منها مثالا شاهداً لذلك النوع بما اتفق في البيت الواحد نوعان والثلاثة بحسب انسجام القريحة في النظم. ثم قال وألزمت نفسي في نظمها عدم التكلف وترك التعسف والجري على ما أخذت به نفسي من رقة اللفظ وسهولته، وقوة المعنى وصحته، وبراعة المطلع والمنزع، وحسن المطلب والمقطع، وتمكن قوافيها، وظهور القوي فيها، بحيث يحسبها السامع غفلا من الصنائع.

ثم قال: فانظر أيها الناقد الأديب، والعالم اللبيب، إلى غزارة الجمع، ضمن الرياقة في السمع، فإنها نتيجة سبعين كتاباً، لم أعد منها باباً، فاستغن بها عن حشو الكتب المطولة، ووعر الألفاظ المغلغلة.

ودع كل صوت غير صوتي فانني   أنا الطائر المحكي والآخر الصدى

وأعوذ بالله أن أكون ممن زكى نفسه، أو مدح فهمه وحدسه، وسماها الكافية البديعية، في المدائح النبوية، وهذه القصيدة المشار إليها، والأنواع المتفق عليها، فأولها:

براعة الاستهلال والتجنيس المركب والمشتبه:

إنْ جِئْتَ سَلْعاً فَسَلْ عن جيرَةِ العَلَمِ،   واقرَ السَّلامَ على عُرْبٍ بذي سَلَمِ

الملفق

فقَدْ ضَمِنْتُ وُجودَ الدّمعِ من عدَمِ   لهم، ولم أستَطِعْ مع ذاكَ منعَ دَمي

المذيل واللاحق

أبيتُ، والدّمعُ هامٍ هاملٌ سَرِبٌ، والجِسمُ في اضَمٍ لحمٌ على وَضَمِ[1]

التام والمطرف

من شأنِهِ حَمَلُ أعباءِ الهوَى كمَداً، إذا هَمَى شأنُهُ بالدّمعِ لم يُلَمِ

المصحف والمحرف

مَن لي بكلّ غَريرٍ من ظِباءِ ثِهِمُ، غَريرِ حُسنٍ يُداوي الكَلمَ بالكَلِمِ

اللفظي والمقلوب

بكلّ قَدّ نَضيرٍ لا نَظيرَ لهُ، ما يَنقَضي أمَلي منهُ ولا ألَمي

المعنوي

وكلّ لحظٍ أتَى باسمِ ابنِ ذي يزَنٍ، في فتكِهِ بالمُعَنّى، أو أبي هَرِمِ

الطباق

قد طالَ لَيلي وأجفاني بهِ قَصُرَتْ عن الرّقادِ، فلَم أُصبِحْ ولم أنَمِ

الاستطراد

كأنّ آناءَ لَيلي في تَطاوُلِها، تسوفُ كاذبَ آمالي بقُربِهِمِ[2]

التوشيح

هم أرضَعُوني ثُديَ الوَصلِ حافلَةً، فكَيفَ يَحسُنُ منها حالُ مُنفطِمِ

المقابلة

كانَ الرّضَى بدُنُوّي من خَواطِرِهم، فصارَ سُخطي لبُعدي عن جوارِهِمِ

١ السرب : السائل . الاضم : الحقد والحسد والغضب ، وجبل ، والوادي الذي فيه المدينة النبوية . الوضم : خشبة الجزار التي يقطع عليها اللحم .
٢ آناء الليل : ساعاته . تسوف : هكذا في الأصل .

اللف والنشر

وَجدي حَنيني أنيني فِكرَتي ولَهي ، منهم إلَيهم علَيهم فيهِم ، بِهِم

التذييل

للهِ لَذّةُ عَيشٍ بالحَبيبِ مَضَتْ ، فلَم تَدُم لي ، وغيرُ اللهِ لم يَدُمِ

الالتفات

وعاذِلٍ رامَ بالتّعنيفِ يُرشِدُني ، عَدِمت رُشدك هل أسمعتَ ذا صَمَمِ

التفويف

أقصِرْ أطِلْ إعذِرِ اعذُل سل ّخل ّأغِنْ خُن هنّ عنّ ترَفّق كُفّ لُجّ لمِ

الهزل الذي يراد به الجد

أشبَعتَ نَفسَكَ من ذَمّي فهاضَكَ ما تَلقَى ، وأكثرُ موتِ النّاسِ بالتُّخَمِ

عتاب المرء نفسه

أنا المُفَرّطُ أطلَعتُ العَدُوّ على سِرّي ، وأودَعتُ نَفسي كفّ مخترِمِ

رد العجز على الصدر

فَمي تحدّثَ عن سرّي فما ظهرَتْ سرائرُ القَلبِ إلاّ من حَديثِ فَمي

الموازبة

لأنتَ عندي أخَصّ النّاسِ مَنزِلَةً ، إذ كنتَ أقدرَهم عندي على السَّلَمِ

الهجاء في معرض المدح

مِن معشرٍ يُرخص ُالأعراضَ جوهرُهم،   ويَحمِلونَ الأذى من كلّ مُهتَضِمِ

التهكم

مَحضتَ لي النّصحَ إحساناً إليّ ، بلا   غشٍّ ، وقلّدتَني الإنعامَ ،فاحتكمِ

الإبهام

لَيتَ المَنيّةَ حالتْ دونَ نُصحِكَ لي   فَنَستريحَ كِلانا من أذَى التُّهَمِ

النزاهة

حَسبي بذكرِكَ لي ذَمّاً ومَنقَصَةً ،   فيما نَطَقتُ، فلا تُنقِص ولا تَذُمِ[1]

التسليم

سألتُ في الحبّ عُذّالي ، فما نصَحوا،   وهَبْهُ كان ، فما نَفعي بنُصحِهِمِ

التخيير

عدمتُ صِحّةَجِسمي مُذ وَثِقتُ بهم،   فما حصَلتُ على شيءٍ سوَى النّدَمِ

القول بالموجب

قالوا: سلَوتَ لبُعدِ العَهدِ ،قلتُ لهم: سلَوتُ عن صحّتي والبُرءِمنسقَمي

---

١ قوله : تذم ، هكذا في الأصل ولعلها مسهل تذم .

الافتنان

ما كنتُ قبلَ ظُبَى الألحاظِ قطّ أرى سَيفاً أراقَ دَمي إلاّ على قَدَمي

المراجعة

قالوا: اصطبرْ! قلتُ: صَبري غيرُ متّسعٍ. قالوا: اسلُهم، قلتُ: ودّي غيرُ مُنصرِمِ

المناقضة

وإنّني سَوفَ أسلوهم. إذا عُدِمتْ رُوحي. وأُحييتُ بعدَ الموتِ والعَدَمِ

التغاير

فاللهُ يَكلأُ عُذّالي، ويُلهِمُهُم عَذلي فقَد فرّجوا كَربي بذِكرِهمِ

الاكتفاء

قالوا: ألَم تَدرِ أنّ الحُبّ غايتُهُ سَلبُ الخَواطرِ والألبابِ؟ قلتُ: لَمِ

تشابه الأطراف

لم أدرِ قَبلَ هَواهم. والهوَى حَرَمٌ. أنّ الظّباءَ تُحِلّ الصّيدَ في الحَرَمِ

الاستدراك

رَجَوتُ أن يَرجعوا يوماً فقد رجعوا عندَ العتابِ، ولكن عن وَفا ذِمَمي

الاستثناء

فكلّما سرّ قَلبي، واستراحَ بهِ. إلاّ الدّموعَ عَصاني بعدَ بُعدهمِ

التشريع ويسمي التوأم

فلو رأيتَ مُصابيِنم. عدَما رَحلوا. رَثيت لي من عَذابي يومَ بَينِهِمِ

التمثيل

يا غائبين ، لقد أضنى الهوَى جسَدي ، والغصنُ يَذوي لفقدِ الوابلِ الرّزِمِ[1]

تجاهل العارف

يا ليتَ شِعري أسِحراً كانَ حبّكمُ ، أزالَ عقلِيَ ،أم ضَربٌ من اللّمَمِ[2]

إرسال المثل

رَجَوتُكم نُصحاءَ في الشّدائدِ لي ، لضُعفِ رُشديَ،واستَسمَنتُ ذا وَرَمِ

التتميم

وكم بَذَلتُ طَريفي والتّليدَ لكم ، طَوعاً،وأرضيتُ عنكم كلّ مُختصِمِ

الكلام الجامع

مَن كانَ يَعلَمُ أنّ الشّهدَ راحتُه ، فلا يَخافُ لِلَذعِ النّحلِ من ألَمِ

التوجيز

خِلتُ الفَضائلَ بينَ النّاسِ تَرفَعُني ، بالابتداءِ ، فكانت أحرفَ القَسَمِ

القسم

لا لَقّبَتني المَعالي بابنِ بَجدَتِها ، يومَ الفَخارِ ، ولا بَرّ التّقَى قَسَمي

الاستعارة

إن لم أحُثّ مَطايا العَزمِ مُثقَلَةً مِنَ القَوافي ، تَؤمّ المَجدَ عن أمَمِ

1 الوابل : المطر الغزير . الرزم : الذي لا ينقطع .
2 اللمم : الجنون .

مراعاة النظير

تـجارُ لَفظي إلى سُوقِ القَبولِ بها ، من لُجّةِ الفِكرِ تُهدي جوهرَ الكَلِمِ

براعة التخلص

من كلّ مُعرَبَةِ الألفاظِ مُعجَمَةٍ ، يزَينُها مَدحُ خيرِ العُربِ والعجَمِ

الاطراد

مُحَمّدُ المُصطفَى الهادي النّبيّ أجَلّ المُرسَلينَ ابنُ عبدِ الله ذي الكَرَمِ

التكرار

الطّاهرُ الشّيَمِ ابنُ الطّاهرِ الشّيمِ ابنِ الطّاهرِ الشيمِ ابنِ الطّاهرِ الشّيَمِ

التورية ويسمى الإبهام

خيرُ النّبيّينَ ، والبرهانُ مُتّضِحٌ ، في الحَجرِ عقلاً ونقلاً واضحُ اللّقَمِ[1]

المذهب الكلامي

كم بَينَ مَن أقسَمَ اللهُ العَليّ بهِ ، وبَينَ مَن جاءَ باسمِ اللهِ في القَسَمِ

التوشيع

أُمّيُّ خطٍّ أبانَ اللهُ مُعجِزَهُ بطاعةِ الماضيينِ السّيفِ والقَلَمِ

المناسبة اللفظية

مُؤيَّدُ العَزمِ ، والأبطالُ في قَلَقٍ ، مُؤمَّلُ الصّفحِ ، والهَيجاءُ في ضَرَمِ

---

١ الحجر : العقل . اللقم : الطريق الواضح .

التكميل

نَفسٌ مُؤيَّدَةٌ بالحَقّ تَعضُدُها   عِنايَةٌ صَدَرَتْ عن بارِىءِ النَّسَمِ

العكس

أبدَى العَجائبَ ، فالأعمى بنَفثَتِهِ   غَدا بَصيراً وفي الحَرْبِ البَصيرُ عمي

الترديد

لهُ السّلامُ منَ اللهِ السّلامِ ، وفي   دارِ السّلامِ تَراهُ شافعَ الأُمَمِ

المبالغة

كم قد جلَت جِنحَ ليلِ النّقعِ طَلعَتُهُ ،   والشّهبُ أحلَكُ ألواناً من الدُّهُمِ

الإغراق

في مَعرَكٍ لا تُثيرُ الخَيلُ عِثيَرَهُ ،   ممّا تُرَوّي المَواضي تُربَهُ بدَمِ[1]

الغلو

عزيزُ جارٍ ، لو اللّيلُ استَجارَ بهِ ،   منَ الصّباحِ ،لعاشَ النّاسُ في الظّلَمِ

الإيغال

كأنّ مَرآهُ بَدرٌ غَيرُ مُستَتِرٍ ،   وطيبَ رَيّاهُ مِسكٌ غَيرُ مُكتَتِمِ

نفي الشيء بإيجابه

لا يَهدِمُ المَنُّ منهُ عُمرَ مَكرُمَةٍ ،   ولا يَسوءُ أذاهُ نفسَ مؤتَهِمِ[2]

الإشارة

يُولي المُوالينَ من جَدوَى شَفاعتِهِ   مُلكاً كَبيراً عَدا ما في نفوسهِمِ

---

١ العثير : الغبار .

٢ قوله : مؤتهم ، هكذا في الأصل ، ولعلها متهم .

النوادر

كأنّما قلبُ مَعنٍ ملءُ فيهِ . فلَم يَقُلْ لسائلِهِ يوماً سِوى نَعَمِ

الترشيح

إن حَلَّ أرضَ أُناسٍ شَدَّ أزرَهُمُ . بما أتاحَ لهم من حَطِّ وِزرِهِمِ

الجمع

آراؤهُ . وعَطاياهُ . ونَقمَتُه . وعَفوُهُ رحمةٌ للنّاسِ كلّهِمِ

التفريق

فَجُودُ كَفّيهِ لم تُقلِعْ سَحائبُهُ عن العِبادِ . وجُودُ السّحبِ لم يُقِمِ

التقسيم

أفنى جيوشَ العِدى غزواً فلَستَ ترَى سوَى قَتيلٍ ومأسورٍ ومُنهَزِمِ

الجمع مع التفريق

سَناهُ كالنّارِ يَجلُو كلَّ مُظلِمَةٍ . والبأسُ كالنّارِ يُفني كلَّ مُجترِمِ

الجمع والتقسيم

أبادَهم ، فلِبَيتِ المالِ ما ملَكُوا . والرّوحُ للسّيفِ، والأشلاءُ للرّخَمِ

ائتلاف المعنى مع المعنى

من مُفرَدٍ بغِرارِ السّيفِ مُنتَثِرٍ ، ومُزوِجٍ بسِنانِ الرّمحِ مُنتَظِمِ

الاشتراك

شيبُ المَفارقِ يروي الضّربُ من دمِهم ذوائبَ البيضِ بيضِ الهندِ لا اللِّمَمِ

الإيجاز

واستَخدَمَ الدّهرَ يَنهاهُ ويأمُرُهُ بعَزمِ مُغتَنِمٍ في زِيّ مُغتَرِمِ

المشاكلة

يَجزي إساءَةَ باغِيهم بسَيْئَتهِ ، ولم يكُن عادِياً منهم على إرَمِ[1]

ائتلاف اللفظ مع المعنى

كأنّما حلَقُ السّعدِيّ مُنتَشِرٌ على الثّرى بَينَ مُنفَضٍّ ومُنفَصِمِ[2]

التشبيه

حرُوفُ خَطٍّ على طِرسٍ مُقَطَّعَةٍ ، جاءَتْ بها يَدُ غَمرٍ غيرِ مُفتَهِمِ

الاشتقاق

لم يَلقَ مَرحبُ منهُ مَرحباً ورأى ضدّ اسمِه عند هَدّ الحِصنِ والأُطُمِ

التصريع

لاقاهُمُ بكُماةٍ عندَ كَرّهِمِ ، على الجُسُومِ دروعٌ من قُلوبِهِمِ

التشطير

بكلّ منتَصرٍ للفَتحِ مُنتَظِرٍ ، وكلّ مُعتزمٍ بالحَقّ مُلتَزِمِ

الترصيع

من حاسِرٍ بغِرارِ العَضبِ مُلتَحِفٍ، أو سافِرٍ بغُبارِ الحَربِ مُلتَثِمِ

---

١ سيئته : مسهل سيئته . ارم : أحد .

٢ السعدي : الدرع المصنوعة بسعد ، وهي بلد تصنع فيه الدروع .

الموازنة

مُستَقتلٍ، قاتلٍ، مُسترسلٍ، عجِلٍ، مُستأصِلٍ، صائلٍ، مُستفحلٍ خصِمِ

التجزية

ببارِقٍ خَذِمٍ في مأزِقٍ أمَمٍ، أو سائقٍ عَرِمٍ في شاهقٍ علَمِ

التسجيع

فِعالُ منتَظِمِ الأحوالِ مُقتَحمِ الـ أهوالِ، مُلتَزِمٍ، باللهِ مُعتَصِمِ

المماثلة

سَهلٌ خَلائقُهُ، صَعبٌ عَرائِكُهُ، جَمٌّ عجائبُه، في الحُكمِ والحِكَمِ

التسميط

فالحَقّ في أُفُقٍ، والشّركُ في نَفَقٍ، والكُفرُ في فَرَقٍ، والدّينُ في حَرَمِ

التطريز

فالجَيشُ والنّقعُ تحتَ الجونِ مُرتكِمٌ في ظِلّ مُرتكِمٍ في ظلّ مُرتكِمِ

الإرداف

بفِتيَةٍ أسكَنُوا أطرافَ سُمرِهِمِ من الكُماةِ، مقرَّ الضّغنِ والاضَمِ[1]

الكناية

كلٌّ طَويلٍ نِجادِ السّيفِ يُطرِبُهُ وقعُ الصّوارِمِ كالأوتارِ والنّغَمِ

الالتزام

من كلّ مُبتَدِرٍ للمَوتِ مُقتَحِمٍ، في مأزِقٍ بغُبارِ الحَربِ مُلتَحِمِ

---

١ مقر الضغن والاضم: أراد به القلب.

المواردة

تَهوي الرّقابُ مَواضيهِم فيَحبِسُها   حَديدُها كأنّ أغلالاً من القِدَمِ

التجريد

شُوسٌ ترَى منهمُ ، في كلّ مُعتركٍ ،   أُسدَ العَرينِ إذا حرُّ الوَطيسِ حَمي

المجاز

صالوا ، فنالوا الأماني من عُداتِهِمِ ،   ببارِقٍ في سِوى الهَيجاءِ لم يُشَمِ

الترتيب

كالنّارِ منهُ رِياحُ المَوتِ قد عصَفَتْ   لمّا روى ماؤُهْ أرضَ الوَغى بدَمِ

الالغاز

حرّانُ يَنقَعُ حرَّ الكَرّ غُلّتَهُ ،   حتى إذا ضَمّهُ بَردُ المَقيلِ ظَمي

الإيضاح

قادوا الشّوازِبَ كالأجبالِ حاملَةً   أمثالَها ، ثَبْتَةً في كلّ مُضطَرِمِ

التوليد

من سُبّقٍ لا يرَى سوطٌ لها سَمَلاً ،   ولا جَديدٌ من الأرسانِ واللُّجُمِ

سلامة الاختراع

كادَتْ حَوافرُها تُدمي جَحافلَها   حتى تَشابَهَتِ الأحجالُ بالرَّثَمِ[1]

حسن الإتباع

يكابرُ السّمعُ فيها الطّرفَ حينَ جرَتْ ،   فيَرجِعانِ إلى الآثارِ في الأكَمِ

---

[1] الاحجال ، الواحد حجل : البياض في رجل الفرس . الرثم : بياض في طرف أنف الفرس .

ائتلاف اللفظ مع اللفظ

خاضُوا عُبابَ الوَغى والخَيلُ سابحَةٌ . في بحرِ حربٍ بمَوجِ الموتِ مُلتَطِمِ

التوهيم

حتّى إذا صَدَرُوا والخَيلُ صائمَةٌ ، من بعدِ ما صلّتِ الأسيافُ في القِمَمِ

تشبيه شيئين بشيئين

تَلاعَبوا تحتَ ظلِّ السُّمرِ من مَرَحٍ . كما تَلاعَبَتِ الأشبالُ في الأجَمِ

ائتلاف اللفظ مع الوزن

في ظِلِّ أبلَجَ مَنصورِ اللّواءِ . لَهُ عَدلٌ يؤلّفُ بَينَ الذّئبِ والغَنَمِ

البسيط

سَهلُ الخَلائقِ سَمحُ الكَفِّ باسطُها ، مُنَزَّهٌ لَفظُهُ عن لا ولن ولَمِ

السلب والإيجاب

أغَرُّ لا يَمنَعُ الرّاجينَ ما سألوا . ويَمنَعُ الجارَ من ضَيمٍ ومن حَرَمِ

حصر الجزئي وإلحاقه بالكلي

شخصٌ هوَ العالمُ الجُزئيّ في سَرَفٍ . ونَفسُهُ الجَوهَرُ الكُلّيّ في عِظَمِ

الفرائد

ومَن لهُ خاطَبَ الجزعُ اليبيسُ ، ومن بكَفّهِ أورقَتْ عجراءُ من سَلَمِ

العنوان

والعاقبُ الحَبرُ في نَجرانَ لاحَ لَهُ يومَ التّباهلِ عُقبَى زَلّةِ القَدَمِ

حسن النسق

والذِّئبُ سلَّمَ، والجِنِّيُّ أسلَمَ، والـ ثُّعبانُ كلّمَ، والأمواتُ في الرُّجَمِ

التعريض

ومَن أتَى ساجداً للهِ ساعتَهُ، وغيرُهُ ساجدٌ في العُمرِ للصّنَمِ

الاتفاق

ومَن غَدا اسمُ أُمِّهِ نَعتاً لآمنِهِ، فتلكَ آمنَةٌ من سائرِ النّقَمِ[1]

ائتلاف المعنى مع الوزن

مَن مثلُهُ وذِراعُ الشّاةِ حَدّثَهُ عن اسمِهِ بلِسانٍ صادِقِ الرَّنَمِ

المقلوب المستوي

هَل مَن يَنُمّ بحبٍّ مَن يَنُمّ لهُ بما رَمَوهُ كمَن لم يَدرِ كيفَ رُمي

التهذيب والتأديب

هوَ النّبيّ الذي آياتُهُ ظَهَرَتْ من قبلِ مَظهرِهِ للنّاسِ في القِدَمِ

التقييد بحرف الميم

مُحمّدُ المُصطفى المُختارُ من خُتمَتْ بمَجدِهِ مُرسَلُو الرّحمنِ للأُمَمِ

الانسجام

فذكرُهُ قد أتَى في هَل أتَى، وسَبَا، وفَضلُهُ ظاهرٌ في النّونِ والقَلَمِ

الإبداع

إذا رأتهُ الأعادي قالَ حازِمُهُم: حتّامَ نحنُ نُساري النّجمَ في الظُّلَمِ

---

[1] صدر البيت مختل الوزن، ولعله: ومن غدت أمه نعتاً لآمنه.

التمكين

بهِ استَغاثَ خَليلُ اللهِ حينَ دَعَا ربَّ العِبادِ ، فنالَ البردَ في الضَّرَمِ

التسهيم

كذاكَ يونُسُ ناجَى ربَّهُ ، فنَجَا من بَطنِ نُونٍ له في اليَمّ مُلتَقِمِ

الاستعانة

دعْ ما يقولُ النّصارى في مَسيحهِم من التّغالي ، وقل ما شئتَ واحتكِمِ

التفصيل

صَلّى علَيهِ إلَهُ العَرشِ ما طلَعتْ شمسٌ وما لاحَ نجمٌ في دُجى الظُّلَمِ

التنكيث

وآلهُ أمنـاءُ اللهِ مَن شَهِدَتْ لقَدرِهم سُورَةُ الأحزابِ بالعِظَمِ

الحذف

آلُ الرّسولِ محَلُّ العلمِ ، ما حكَموا للهِ ، إلاّ وكانُوا سادَةَ الأُمَمِ

الاتساع

بِيضُ المَفارِقِ لا عابٌ يُدَنّسُهُم ، شُمُّ الأُنوفِ ، طوالُ الباعِ والأممِ [1]

التفسير

همُ النّجومُ بهم يُهدى الأنامُ ، ويَنجا بُ الظّلامُ ، ويَهمي صَيّبُ الدّيَمِ

التعليل

لهم أسامٍ سوامٍ غيرِ خـافيَةٍ ، من أجلِها صارَ يُدعَى الإسمُ بالعَلَمِ

---

١ قوله : طوال الباع والأمم ، هكذا في الأصل .

التعطيف

وصَحبُهُ مَن لهم فضلٌ ،إذا افتَخرُوا ، ما إن يُقَصِّرُ عن غاياتِ فَضلِهِمِ

جمع المؤتلف والمختلف

همُ همُ في جَميعِ الفَضلِ ما عَدِموا فَضلَ الإخاءِ ونَصّ الذّكرِ والرّحمِ

الاستتباع ويسمى التعليق والمضاعف

الباذِلو النّفسِ بذلَ الزّادِ يومَ قِرًى ، والصّائنو العِرضِ صونَ الجارِ والحُرَمِ

التدبيج

خضرُ المَرابعِ حمرُ السّمرِ يومَ وَغًى ، سودُ الوَقائعِ بيضُ الفِعلِ والشّيَمِ

الإبداع

ذلّ النّضارُ كما عزّ النّظيرُ لهم ، بالفَضلِ والبَذلِ في عِلمٍ وفي كَرَمِ

الاستخدام

من كلّ أبلَجَ واري الزّندِ يومَ ندًى ، مُشَمِّرٍ عنهُ يومَ الحَربِ مُصطَلِمِ

الطاعة والعصيان

لَهمْ تَهلُّلُ وَجهٍ بالحَياءِ كما مَقصورُهُ مُستَهِلٌ من أكفّهِمِ

التفريع

ما روضةٌ وَشّعَ الوَسميُّ بُردَتَها ، يوماً بأحسَنَ من آثارِ سَعيِهِمِ

المدح في معرض الذم

لا عَيبَ فيهم سوى أنّ النّزيلَ بهم يَسلُو عن الأهلِ والأوطانِ والحَشَمِ

التعديد

يا خاتِمَ الرُّسلِ، يا مَن عِلمُهُ عَلَمٌ، والعَدلُ والفَضلُ والإيفاءُ للذِّمَمِ

المزاوجة

ومَن إذا خفتُ في حَشري وكانَ لهُ مَدحي، نجَوتُ وكانَ المَدحُ مُعتَصَمي

حسن البيان

وعَدتَني في مَنامي ما وثِقتُ به، معَ التّقاضي بمَدحٍ فيكَ مُنتَظِمِ

السهولة

فقُلتُ : هذا قبولٌ جاءَني سَلَفاً، ما نالَهُ أحَدٌ قَبلي من الأُمَمِ

الإدماج

لصِدقِ قولكَ لو حَبَّ امرؤٌ حجَراً لكانَ في الحَشرِ عن مَثواهُ لم يَرِمِ

الاحتراس

فوَفّني، غيرَ مأمورٍ، وُعودَكَ لي، فليسَ رُؤياكَ أضغاثاً مِنَ الحُلُمِ

براعة الطلب

فقَد علِمتَ بما في النّفسِ من أرَبٍ، وأنتَ أكبرُ من ذِكري له بفَمي

لاعتراض

فإنَّ مَن أنفَذَ الرّحمنُ دَعوَتَهُ، وأنتَ ذاكَ، لدَيهِ الجارُ لم يُضَمِ

المساواة

وقد مَدَحتُ بما تَمّ البَديعُ به، مع حُسنِ مُفتَتَحٍ منهُ ومُختَتَمِ

العقد

ما شبّ من خَصلَتَي حِرصي ومن أملي سوى مَديحِكَ في شَيبي وفي هَرَمي

الاقتباس

هذي عَصايَ التي فيها مآربُ لي ، وقد أهُشّ بها طَوراً على غَنَمي

التلميح ويسمى حسن التضمين

إن أُلقِها تَتَلَقّفْ كلّما صَنعوا ، إذا أُتيتُ بسِحرٍ من كَلامِهِمِ

الرجوع

أطَلتُها ضِمنَ تَقصيرِي ، فقامَ بها عُذري،وهَيهاتَ إن العُذرَ لم يَقُمِ

براعة الختام

فإن سَعِدتُ فمَدحي فيكَ مُوجِبُه ، وإن شَقيتُ فذَنبي مُوجب النّقَمِ

روِّ عظامي

وقال رحمه الله تعالى يصف
أماكن ببغداد وخمرها :

رَوِّ عِظامي بسُلا فِ العِنَبِ المُوَرَّقِ
وصَرِّفِ الهَمَّ بصر فِ مائِها المُرَوَّقِ
ولا تُدَنِّسها بمَزْ جِ مائِكَ المُرَقرَقِ
وعَوِّذِ الكأسَ مِنَ الـ ماءِ برَبِّ الفَلَقِ
وعاطنيها قَهوَةً تَجلو ظَلامَ الغَسَقِ
وأسقِني حتى أرَى الفيلَ بقَدرِ البيدَقِ[1]
صَفراءَ تَجلُوها السّقا ةُ في زُجاجٍ يَقَقِ
كأنّها في كأسِها كَهرَبَةٌ في زَيبَقِ
تُجلَى بكَفِّ شادِنٍ مُقَرَّطٍ مُقَرطَقِ[2]
يُشرِقُ نُورُ وَجهِهِ في قُرطَقٍ مُخَلَّقِ[3]
كأنّهُ شَمسُ النّها رِ في رِداءِ الشّفَقِ
يُسكِرُنا من كأسِهِ ، ولحظِهِ المُسترِقِ
فتارَةً من قَدَحٍ ، وتارَةً من حَدَقِ

---

١ البيدق : طائر من الجوارح في حجم الباشق .
٢ المقرط : الملبس الأقراط ، ما يعلق بالأذن. المقرطق: الملبس القرطق ، وهو ضرب من الثياب
٣ المخلق : المطلي بالخلوق ، نوع من الطيب .

أما تَرَى الغَيمَ الجَديـ ـدَ مُحدِقاً بالأُفُقِ
فاشرَبْ على جَديدِهِ مِن خَمرِنا المُعتَّقِ
في جَنّتي مُحَوّلٍ ، وباسِقٍ والجَوسَقِ[1]
فهيَ مُرادي لا رُبى الـ ـسّديرِ والخَوَرنَقِ
وانظُرْ إلى القدّاحِ يَبـ ـدو من خِلالِ الوَرَقِ
كلُؤلُؤٍ بالتّبرِ في زُمُرّدٍ مُعَلّقِ
والزّهرُ قد مَدّ لَنا بُسطاً من الإستَبرَقِ
من أحمَرٍ ، وأصفَرٍ ، وأخضَرٍ ، وأزرَقِ
والماءُ بَينَ الرّوضِ من مُقَيَّدٍ ، ومُطلَقِ
والطّيرُ من مُحَوِّمٍ فيها ، ومن مُحَلِّقِ
ونَغمَةُ البُلبُلِ والـ ـشّحرُورِ والمُطَوَّقِ
فالقَ الصّباحَ بالصَّبُو حِ قَبلَ ضَوءِ الشّفَقِ
واجلُ دُجَى الظّلماءِ من نُورِ سَناها المُشرِقِ
حتّى يُرينا أدهَمَ اللّيـ ـلِ شَبيهَ الأبلَقِ
ولا تَخَفْ يوماً على سَيّءٍ عَيشِ المُملِقِ
فإنّ عندي فضلَةً من جُودِ آلِ أُرتُقِ
قَومٌ بفَيضِ جودِهِم رَدّوا بَقايا رَمَقي
ولم تَزَلْ أنعامُهُم قَلائداً في عُنُقي
لذاكَ أجلُو ذِكرَهم في مَغرِبٍ ومَشرِقِ
ولو أرَدتُ حَصرَ بَعـ ـضِ وَصفِهِم لم أُطِقِ

---

1 محول والباسق والجوسق : أسماء أمكنة .

كتاب درر النحور

في امتداح الملك المنصور

قافية الألف

أبتِ الوِصالَ مَخافةَ الرُّقباءِ ، وأتتكَ تحتَ مَدارعِ الظّلماءِ
أصفتكَ مِن بَعدِ الصّدودِ مودّةً ، وكذا الدّواءُ يكونُ بعدَ الدّاءِ
أحيَتْ بزَورتِها النّفوسَ ، وطالمَا ضَنّتْ بها ، فقضَتْ على الأحياءِ
أتتْ بليلٍ ، والنّجومُ كأنّها دُرَرٌ بباطِنِ خيمةٍ زَرقاءِ
أمستْ تُعاطيني المُدامَ ، وبينَنا عتبٌ غَنيتُ بهِ عنِ الصّهباءِ
أبكي ، وأشكو ما لقيتُ ، فتلتَهي عن دُرّ ألفاظي بدرّ بُكاءِ
آبتْ إلى جسَدي لتَنظُرَ ما انتهتْ من بعدِها فيهِ يَدُ البُرَحاءِ
ألفتْ بهِ وَقعَ الصِّفاحِ ، فراعَها جزَعاً ، وما نظرَتْ جراحَ حَشائي
أمصيبَةً منّا بنَبلٍ لِحاظِها ما أخطأتهُ أسنّةُ الأعداءِ
أعجبتِ ممّا قد رأيتِ ، وفي الحَشا أضعافُ ما عاينتِ في الأعضاءِ
أمسِي ، واستُ بسالمٍ من طَعنةٍ نجلاءَ ، أو من مُقلةٍ كَحلاءِ
إنّ الصّوارِمَ واللّحاظَ تَعاهَدا أن لا أزالَ مُزَمَّلاً بدِمائي

أجنَتْ عليّ بما رأيتِ معاشرٌ ، نَظَرُوا إليّ بمُقلَةٍ عَمياءِ
أكسَبْتُهم مالي ، فمذ طلَبوا دَمي لم أشكُهم إلاّ إلى البَيداءِ
أبعَدتُ عن أرضِ العِراقِ رَكائبي متَنَقّلاً كتَنَقّلِ الأفياءِ
أرجو بقَطعِ البيدِ قَطعَ مَطامعي ، وأرومُ بالمَنصورِ نصرَ لوائي
أدركتُهُ ، فجعلتُ ألثمُ ، فَرحَةً بِوُصولِهِ ، أخفافَ نُوقِ رَجائي
أضحَى يُهنّئني الزّمانُ بقَصدِهِ ، ويُشيرُ كَفٌّ العِزّ بالإيماءِ
أومَتْ إليّ مُشيرَةً أن لا تخَفْ ، وابشِرْ ، فإنّكَ في ذُرَى العَلياءِ
أبماردينَ تَخافُ خَطفةَ ماردٍ ، وشِهابُها في القَلعَةِ الشّهباءِ
ألهيتُ عن قَومي بمَلكٍ عندَهُ تَنسَى البَنونَ فَضائلَ الآباءِ
إنّي تركتُ النّاسَ حينَ وَجدتُهُ ، تَركَ التّيَمّمِ في وُجودِ الماءِ
المُرتَقي فلَكَ الفَخارِ ، إذا اغتدى ، وإذا بَدا ، فالنّاسُ كالحِرباءِ
أفنى جُيوشَ عُداتِهِ بخَوافِقِ الـ رّاياتِ ، بل بسَواكنِ الآراءِ
أسيافُهُ نِقَمٌ على أعدائِهِ ، وأكفُّهُ نِعَمٌ على الفُقَراءِ
إن حَلّ حَلّ النّهبُ في أركانِهِ ، أو سارَ سارَ الخُلفُ في الأعداءِ
أمُجَندِلَ الأبطالِ ، بل يا مُنتَهَى الآمالِ ، بل يا كعبَةَ الشّعراءِ
أقبَلتُ نحوَكَ في سَوادِ مَطالبي ، حتى أتَتني باليَدِ البَيضاءِ
أُرقي إلى عَرشِ الرّجا رَبّ النّدى ، فكأنّ يومي لَيلَةُ الإسراءِ

قافية الباء

بدَتْ لَنا الرّاحُ في تاجٍ من الحبَبِ ، فمزّقَتْ حالَةَ الظّلماءِ باللّهَبِ
بِكرٌ ، إذا زُوّجَتْ بالماءِ أولدَها أطفالَ دُرٍّ على مَهدٍ من الذّهَبِ
بَقيّةٌ من بقَايا قومِ نُوحٍ ، إذا لاحتْ جلَتْ ظُلمةَ الأحزانِ والكُرَبِ
بَعيدَةُ العَهدِ بالمِعصارِ ، لو نَطَقَتْ لحَدّثَتنا بما في سالِفِ الحِقَبِ
باكَرتُها برِفاقٍ قد زَهَتْ بِهِمُ قَبلَ السُّلافِ سُلافُ العِلمِ والأدَبِ
بكلّ مُتّشحٍ بالفَضلِ مُتّزِرٍ ، كأنّ في لَفظِهِ ضَرباً من الضَّرَبِ[1]
بل رُبّ لَيلٍ غدا في الآهباتِ غدَتْ تَنقَضّ فيه كؤوسٌ وهيَ كالشّهُبِ[2]
بذَلتُ عَقلي صداقاً حينَ بِتُّ بهِ أزَوّجُ ابنَ سَحابٍ بابنَةِ العِنَبِ
بِتنا بكاساتِها صَرعَى ، ومِضرَبُنا يُعيدُ أرواحَنا من مَبدإِ الطّرَبِ[3]
بَعثٌ أتانا ، فلَم نَدرِ لفَرحَتِنا من نَفخَةِ الصّورِ أم من نفحةِ القصَبِ
برَوضَةٍ طَلّ فيها الطّلُّ أدمُعَهُ ، والدّهرُ مُبتَسِمٌ عَن ثَغرِهِ الشّنِبِ[4]
بكَتْ علَيهِ أساكيبُ الحَيا ، فغَدا جَذلانَ يَرفُلُ في أثوابِهِ القُشُبِ
بُسطٌ من الرّوضِ قد حاكتْ مطارِفَها يَدُ الرّبيعِ ، وجارَتْها يَدُ السّحُبِ
باتَتْ تَجُودُ علَينا بالمِياهِ ، كما جادَتْ يَدُ المَلِكِ المَنصورِ بالذّهَبِ

---

١ الضرب : العسل .
٢ قوله : في الآهبات ، هكذا في الأصل .
٣ المضرب : ما يضرب به على العود .
٤ طل : أمطر . الطل : الندى ، المطر الخفيف .

بحرٌ تَدَفّقَ بحرُ الجُودِ من يَدِهِ ، فأصبحَ المُلكُ يَزهو زَهوَ مُعتَجِبِ
بادٍ ببَذلِ النّدى قبلَ السّؤالِ ، ومَن في دَولَةِ التُّركِ أحيا ذِمّةَ العَرَبِ
بَدرٌ أضاءَ ثُغُورَ المُلكِ فابتَسَمَتْ به ، فكانَ لثَغرِ المُلكِ كالشّنَبِ
بَنى المَعالي ، وأفنى المالَ نائلُهُ ، فالمُلكُ في عُرُسٍ والمالُ في حَرَبِ
بِبأسِهِ أضحَتِ الأيّامُ جازِعَةً ، فلا تُصاحبُ عُضواً غيرَ مُضطرِبِ
بأسٌ يُذَلِّلُ صَعبُ الحادثاتِ بهِ ، فأصبحَ الدّهرُ يَشكو شدّةَ التّعَبِ
بهِ تَناسَيتُ ما لاقَيتُ من نَصَبٍ ، ولذّةُ الشِّبعِ تُنسي شدّةَ السّغَبِ[1]
بادَرتُهُ ، وعُقابُ الهَمّ يَطرُدُني ، فاليَومَ قد عادَ كالعَنقاءِ في الهَرَبِ
بكُم تَبَلّجَ وجهُ الحَقّ ، يا ملكاً بهِ تَشَرّفَ هامُ المُلكِ والرُّتَبِ
بنَيتَ للمَجدِ أبياتاً مُشَيَّدَةً ، ولم يُمَدّ لها لولاكَ من طُنُبِ
بسَطتَ في الأرضِ عدلاً لو له اتّبعتْ نَوائبُ الدّهرِ لم تُعذَرْ ، ولم تَنُبِ
بَلّغتَ سَيفَكَ في هامِ العدوّ ، كما أنشَيتَ سيفَ العَطا في قِمّةِ النّشَبِ
باشر غرائبَ أشعاري ، فقَد برَزتْ إليكَ أبكارُ أفكاري منَ الحُجُبِ
بَدائعٌ من قَريضٍ لو أتَيتُ بها في غَيرِكم كان مَنسوباً إلى الكَذِبِ
بَقيتَ ما دارَتِ الأفلاكُ في نِعَمٍ ، محرُوسةٍ من صُروفِ الدّهرِ والنُّوَبِ

[1] السغب : الجوع .

قافية التاء

تابَ الزّمانُ من الذّنوبِ فَواتِ ، واغنَم لذيذَ العَيشِ قبلَ فَواتِ[1]
تَمّ السّرورُ بنا ، فقُم يا صاحبي نَستَدرِكِ الماضي بنَهبِ الآتي
تاقَتْ إلى شُربِ المُدامِ نُفوسُنا ، لا تَذهبنّ بَطالَةُ الأوقاتِ
تَوّجْ بكاساتِ الطّلى هامَ الرُّبَى ، في رَوضَةٍ مَطلولةِ الزّهَراتِ
تَغدو سُلافُ القَطرِ دائرَةً بها ، والكأسُ دائرَةً بكَفِّ سُقاةِ
تلفُ النُّضارِ على العُقارِ غَنيمتي ، وفراغُ راحاتي على الرّاحاتِ
تَركي لأكياسِ النُّضارِ جَهالَةً ، مَن ذا أحَقّ بها من الكاساتِ
تبتّْيدا مَن تابَ عن رَشفِ الطّلى ، والكأسُ مُتّقِدٌ كخَدّ فَتاةِ
تبريّةٌ لولا مُلازمَتي لها أصبَحتُ مَعصوماً من الزّلاّتِ
تابعْ إلى أوقاتِها داعي الصِّبا ، واعجَبْ لِمَا فيها منَ الآياتِ
تَمّمْ بها نَقصَ السّرورِ ، فإنّها عندَ الكِرامِ ، تميمةُ اللّذّاتِ
تلكَ الخَمائلُ والرّياضُ كأنّها خَدُّ الغُلامِ مُنَمّقٌ بنَباتِ
تَبدو ، وقد يَبدو النّدى بمتونِها صَدأً ، فتَلقَطُهُ يَدُ النّسَماتِ
تَسري على صَفحاتِها ريحُ الصَّبا ، بسَحائبٍ منهَلّةِ العَبَراتِ
تَستَلّ فيها للبُروقِ صَوارِماً ، كصَوارِمِ المَنصورِ في الغاراتِ
تَعِبٌ لتَحصيلِ الثّناءِ مُجَرّدٌ للمَجدِ عَزماً صادِقَ اللّحَظاتِ

[1] وات ، لغة في آت من آتاه : وافقه .

تَبِعَ الهوى قومٌ ، فكانَ هَواه في طَلَبِ العُلى وتَجَنّبِ الشّهواتِ
تركَ الكَتائبَ في السّباسبِ شُرَّداً ، فترَى الزّمانَ مُقَيَّدَ الخُطَواتِ
تَمّتْ مَحاسِنُهُ بحُسنِ خَلاقِهِ ، وسَنا ، فزادَ الحُسنُ بالحَسَناتِ
تاهَتْ بهِ الدّنيا ، ولولا جُودُه ، كانَ الأنامُ هَباً بغَيرِ هِباتِ
تَبكي خزَائنُهُ على أموالِهِ ، من حرّ قَلبٍ دائمِ الحَسراتِ
تتَبَسّمُ الأيّامُ عندَ بُكائِها ، فكأنّهنّ بهَا مِنَ الشُّمّاتِ
تَسمُو بهِمّتِكَ ابنَ أُرتُقَ هِمّةٌ حفّتْ بألويَةٍ من العَزَماتِ
تُردي صروفَ الدّهرِ وهيَ سواكنٌ ، إنّ السّكونَ لها من الحرَكاتِ
تاقَتْ إلَيكَ قلوبُ قومٍ أصبَحَتْ تُلقي إلَيك مَعارِقَ الفَلَواتِ[1]
تركوا على شاطي الفُراتِ ديارَهم وسَعَوا إلَيكَ ، فأحدَقوا بفُراتِ
يُهدي إليكَ المادِحونَ جَواهراً ، مَنظومَةً كقَلائِدِ اللَّبّاتِ
تَحلُو صِفاتُكَ في القلوبِ ، كأنّها جاءَتْ لمَعنًى عارِضٍ في الذّاتِ
تِيه في الأنامِ ، فلا برِحتَ مُؤمَّلاً ، تَجلُو الجُفونَ وتَملأُ الجَفَناتِ

---

١ قوله : معارق ، هكذا في الأصل ، والمعنى غامض .

قافية الثاء

ثِقَتي بغَيرِ هَواكمُ لا تَحدُثُ، ويَدي بحَبلِ وِصالكم تتَشبّثُ
ثبُتَتْ مغارِس ُحبّكم في خاطرِي، فهوَ القَديمُ، وكلُّ حبٍّ مُحدَثُ
ثنَتِ العهودُ أعِنّتي عن غَيرِكم، فعُقُودُها مَنظُومَةٌ لا تُنكَثُ
ثَلَجَتْ على حِفظِ الوَدادِ قلوبُنا، ولَظَى الهوَى بضِيائِها يتأرّثُ[1]
ثقُلَ الهَوَى، وإن استُلِذّ، فإنّه داءٌ بهِ تَبلى العِظامُ وتَشعَثُ[2]
ثوبٌ خلَعتُ العزّ حينَ لبِستُهُ، إذ كان إذ ذُلُّ الصّبابةِ يُورَثُ
ثلَبَ الورى عِرضي المَصون وحبّذا لو صَحّ ما قالَ العِدى وتحَدّثُوا
ثاروا بنا، فطفِقتُ حينَ أراهمُ، حَذِراً أُذَكّرُ ذِكرَكم، وأُؤنّثُ
ثَكِلَ الورى طَرفي المسهَّدَ فابعثوا طَيفَ الخَيالِ إليّ، أو لا تَبعَثُوا
ثَجّ الهَوى، فأنا الغَريقُ بلُجّهِ، لكِنّني بحِبالِكم أتَشَبّثُ[3]
ثَلَمَ الهوى حدّي، وكنتُ مهنّداً ماضي الغِرارِ بغِمدِهِ لا يَمكُثُ
ثمّ اغتدتْ أيدي ابنِ أرتقَ قِصّتي، كلٌّ بها، بينَ الأنامِ، يُحَدّثُ
ثَبتُ الجَنانِ يكادُ يُبعَثُ مُرسَلاً لو أنّ بعدَ مُحمّدٍ مَن يُبعَثُ
ثَغرُ الفَلا من نُورِهِ مُتَبَسّمٌ، وفمُ الزّمانِ بفَضلِهِ متَحَدّثُ

---

١ ثلجت : ارتاحت . يتأرث : يتوقد .
٢ تشعث : تنتشر .
٣ ثج : سال .

ثَخُنَتْ جراحُ النُّجلِ منهُ وبعدَها وافَى ووَجهُ الحُورِ أغبرُ أشعَثُ[1]
ثُرِمَتْ ثُغورُ المُلكِ ، لولا أنّهُ يُنشي لها العدلَ العميمَ ويُحدِثُ[2]
ثهلانُ ،إن عُدّ الحلومُ أو النُّهَى ، بحرٌ، إذا عُدّ النّدى والمَبحَثُ
ثمنُ البحارِ السّبعِ جُودُ يمينِه ، وجَبينُهُ للنيّرَينِ يثَلِّثُ
ثاني عِنانِ الحادِثاتِ ، وفارِسٌ أمسَى جَوادُ الدّهرِ منهُ يَلهَثُ
ثوَتِ الخطُوبُ مَخافةً من بأسِهِ ، صَرعى ،وذَلّ بها الزّمانُ الأحنَثُ[3]
ثَمِلٌ بصَهباءِ السّماحِ ، فهمّهُ مالٌ يُقَسَّمُ ، أو علومٌ تُبحَثُ
ثَمراتُ مَجدٍ مَدّ نحوَ قِطافِها كَفّاً بإسداءِ الصّنائعِ تَعبَثُ
ثقّفتَ زَيغَ المُلكِ يا نجمَ الهُدى بأسنّةٍ سمَّ المَنيّةِ تَنفُثُ
ثِبْ للعُلى واستَخدمِ الدّهرَ الذي إن تَدعُهُ لمُلِمّةٍ لا يَلبَثُ
ثُبنا إلَيكَ على هِجانٍ ضُمّرٍ ، شبهِ القِسيّ إلى حِماك تُحَثَّثُ
ثارَتْ بنا تَطوي القِفارَ ، فعندَما آنَستُ نارَكَ قلتُ للرّكبِ: امكثُوا
ثمّ اقتَسَمنا بالسّرورِ، وأُشرِكَتْ في طيبِ بُشرانا النّياقُ الدُّلّثُ[4]
ثِقَةً بأنّ يَدَ الرّدى ، إن غادرَتْ مَيتاً ، فعندَكَ بالمَكارِمِ يُبعَثُ
ثَبُتَتْ، ولو حلَفتْ بأنّك ناعشٌ بنوالِكَ الأرواحَ لم تكُ تَحنَثُ

---

١ ثخنت : صلبت ، ولعله أراد بها كانت ثخينة أي بالغة. النجل، الواحدة نجلاء : الواسعة العين الحسنتها . الحور ، الواحدة حوراء : التي اشتد بياض بياض عينيها وسواد سوادهما .
٢ ثرمت : كسرت .
٣ الأحنث : المائل إلى الباطل .
٤ الدلث : المقاربة الخطو .

قافية الجيم

جاءَتْ لتَنظُرَ ما أبقَتْ من المُهَجِ ، فعَطّرَتْ سائرَ الأرجاءِ بالأرَجِ
جَلّتْ علَينا مُحَيّاً لو جلَتهُ لَنا في ظُلمَةِ اللّيلِ أغنانا عن السُّرُجِ
جَميلَةُ الوَجهِ ، لو أنّ الجَمالَ بها يُولي الجَميلَ لأشجتْ فَودَ كلّ شَجِ
جُورِيّةُ الخَدّ يُحمىَ وردُ وَجنَتِها بحارِسٍ من نبالِ الغُنجِ والدّعَجِ
جازَتْ إساءَةَ أفعالي بمَغفِرَةٍ ، فكانَ غُفرانُها يُغني عن الحِجَجِ
جارَتْ لعِرفانِها أنّي المَريضُ بها ، فَما عليّ إذا أذنَبتُ من حَرَجِ
جَسّتْ يدي لترى ما بي فقلتُ لها : كُفّي ، فذاكَ جوًى لولاكِ لم يَهِجِ
جفَوتِني ، فرأيتُ الصّبرَ أجملَ بي ، والصّمتُ بالحبّ أولى بي من اللّهَجِ
جارَتْ لِحاظُكَ فينا غيرَ راحمةٍ ، ولذّةُ الحبّ جَورُ النّاظرِ الغَنِجِ
جوري ، فلا فرَجاً لي من عذابكِ لي ، إلاّ يَدَ المَلكِ المَنصورِ بالفَرَجِ
جوادُ كفٍّ تَروعُ الدّهرَ سَطوَتُهُ ، فلا تُصاحبُ عُضواً غيرَ مُختَلِجِ
جَدّتْ لِما تَرتَضي العَلياءُ هِمّتُه ، فالمُلكُ في رَقدَةٍ ، والحربُ في رَهَجِ
جنَتْ على مالِهِ أيدي مكارِمِهِ ، فَلا يَبيتُ بطَرفٍ غَيرِ مُنزَعِجِ
جُهدُ المَواهبِ أن تَغنى خزَائِنُهُ ، حتى كأنّ بها ضَرباً من اللّجَجِ
جَدّتْ إلَيهِ بَنُو الآمالِ مسرِعةً ، فأكثَرُوا نحوَهُ بالسّعي والحِجَجِ
جَونٌ إذا شِمتَ برقَ السّيفِ من يدِهِ تَراهُ مُنبَلِجاً في كَفّ مُنبَلِجِ

جنَى ثِمارَ المَعالي حينَ حاولَها ، بصارِمٍ ما خَلا في الحَربِ من هَرَجِ[1]
حالَتْ قَناةُ المَنايا في مَضارِبِهِ ، فظَلّ يُنقِصُ أبكاراً مِنَ المُهَجِ
جَزَياً أبا الفتحِ ، غاياتِ الفَخارِ ، فقد أمسَكتَ طُلاَّبَهُ في مَسلَكٍ حَرِجِ
جَلَلتَ حتى لوَ ان الصّبحَ لُحتَ بهِ وقلتَ: قِفْ لا تَلجْ في اللّيلِ لم يَلجِ
جَرّدتَ أسيافَ نَصرٍ أنتَ جَوهرُها ، في حالكٍ من ظَلامِ النّقعِ مُنتَسِجِ
جَبَرتَ كسرَ المَعالي يا ابنَ بَجدَتِها بها وقوّمتَ ما بالدّينِ من عِوَجِ
جمارُ نارٍ ، ولكن مِن عَوائدِها اطفاءُ ما في صدورِ القومِ من وَهَجِ
جوازِمٌ إن أرَدتَ البَطشَ كُنْ يَداً ، وإن رَقيتَ المَعالي كنْ كالدّرَجِ
جلَوتَ كَربَ الوَرى بالمكرُماتِ ، كما جلَوتَ تلكَ الرّدى بالمَنظَرِ البَهجِ[2]
جعَلتَ جودَكَ دونَ الوَعدِ مُعترِضاً ، ووَعدُ غَيرِكَ ضيقٌ غيرُ مُنْفَرِجِ
جِئناكَ ، يا ملكَ الدّنيا ، وواحدَها ، نَؤمّ بالدُّرّ نُهديهِ إلى اللُّجَجِ
جُزنا البلادَ ، ولم نَقصِد سواكَ فتًى ، مَن يَحظَ بالدُّرّ يَستَغنِ عن السَّبَجِ[3]
جمَعتَ فَضلاً ، فلا فرّقتَهُ أبداً ، أنتَ الفَريدُ وجُلّ النّاسِ كالهَمَجِ

---

١ الهرج : البهر . وبسكون الراء : القتل .
٢ قوله : تلك الردى ، هكذا في الأصل .
٣ السبج : الخرز الأسود .

قافية الحاء

حيِّ الرِّفاقَ ، وطُفْ بكأسِ الرّاحِ ، واطرزْ بكأسٍ حُلّةَ الأفراحِ[1]
حُثّ الكُؤوسَ إلى جُسومٍ أصبَحتْ فيها المُدام شريكَةَ الأرواحِ
حاشِ المُدامَ ، وعاطِني مَشمُولَةً ، ظلّتْ فَسادي وهيَ عَينُ صَلاحي
حَمراءُ ، لو تركَ السّقاةُ مِزاجَها ، أمسَتْ لَنا عِوَضاً عن المِصباحِ
حجَبَ الحَبابُ شُعاعَها ، فكأنّهُ شفَقٌ تَلَهّبَ تحتَ ذَيلِ صَباحِ
حبَبٌ ، تَظَلّ به الكؤوسُ كأنّها خَصرُ الفَتاةِ مُمَنطَقاً بوِشاحِ
حكَمَ الزّمانُ ، وغَضّ عَنّا طَرفَه ، يا صاحِ لا تَقنَعْ بأنّكَ صاحِ
حقٌّ الصِّبا دينٌ علَيكَ فأدّهِ ، بالشّربِ بَينَ خَمائلٍ ورَداحِ[2]
حاكَ الحَيا حُلَلَ الرّبيعِ ، فعَطّرَتْ نَشرَ الصَّبا بأريجِها الفَيّاحِ[3]
حُلَلٌ ، إذا بكَتِ السّحائبُ أشرَقتْ بخُدودِ وَردٍ ، أو ثُغُورِ أقاحِ
حيّا الحَيا بأريجِها ، فترَنّحتْ أعطافُها من غَيرِ نَشوَةِ راحِ
حمَلَتْ ، فأشرَقَ زَهرُها ، فكأنّما ضرَبَتْ مَعاصِمَها يَدُ القدّاحِ
حبَكَ الهَنا بسمائهنّ خَمائلاً ، تَنقَضّ فيها أنجُمُ الأقداحِ
حُزنا السّرورَ بها ، وبِتنا نَجتَلي بنتَ الكُرومِ بغَيرِ عَقدِ نِكاحِ

---

١ قوله : اطرز ، هكذا في الأصل .
٢ الرداح : الضخمة المؤخرة .
٣ الفياح : الفياض ، ولعلها الفواح .

حلّى الزّمانُ بجُودِهِ أجيادَنا ، وسَخَا . فألبَسَنا ثيابَ مِراحِ
حتى انتهَبنا العَيشَ حتى كأنّه مالُ ابنِ أرتُقَ في يَدِ المُدّاحِ[1]
حامي النّزيلِ ، إذا ألَمّ برَبعِهِ ، مُحيي الأنامِ بجُودِهِ السّحّاحِ
حسُنَتْ بهِ الدّنيا ، فكانَ أديمُها عُطلاً من التّجميلِ والأوضاحِ
حُكمٌ رَضيتُ بهِ فمَدّ سَماحَهُ ضيقي ، وحَيّا جُودُهُ بفَلاحي
حَلّتْ مَكارِمُهُ عِقالَ خَصاصَتي ، إذ راشَ من بَعدِ الخمولِ جَناحي[2]
حارَبتُ دَهري ، مُذ حلَلتُ برَبعِهِ ، وجَعَلتُهُ عندَ المَضيقِ سِلاحي
حَسبي ،إذا رُمتُ الفَخارَ من الوَرى ، مَغدايَ في أكنافِهِ ورَواحي
حمّلتَ ، نجمَ الدّينِ ، أعناقَ الوَرى مِنَناً جِساماً من نَدًى وسَماحِ
حكّمتَ في الأموالِ آمالَ العِدى ، وجعلتَ شُربَ المَجدِ غيرَ صَباحِ
حازَ العُلى ، فسرَى بصارِمِ عَزمِهِ يُغنيكَ عن خَطّيّةٍ وصِفاحِ
حَزمٌ فتَحتَ بهِ الأُمورَ ، وإنّها كالقُفلِ مُحتاجٍ إلى المِفتاحِ
حجّتْ إليكَ بَنو الرّحيلِ لعِلمِهِم حقّاً بأنّكَ كَعبَةُ المُدّاحِ
حرَمٌ ، إذا حَلّ الوُفُودُ برَبعِهِ . قُرِنَتْ عَواقبُ سَعيِهِم بنَجاحِ
حمِدوكَ جُهدَ المُستَطيعِ ، وأثبَتوا لعُلاكَ شُكراً ما لَهُ مِن ماحِ

---

١ في قوله : حتى كأنه اختلال في الوزن .
٢ خصاصتي : فقري .

قافية الخاء

خَيالٌ سَرَى والنّجمُ في القُربِ راسخُ ، ألَمّ ، ومن دونِ الحَبيبِ فَراسخُ
خَطاءٌ كَماءِ البِيدِ يَجري ، وبَينَنا هِضابُ الفَيافي ، والجبالُ الشّوامخُ[1]
خَفيَّ الخُطى وافَى ليَنظُرَ هل غفَتْ عُيوني وهل جفّتْ جفوني النّواضخُ
خَفِ اللهَ ، يا طَيفَ الخَيالِ ، فإنّها بماءِ حَياتي لا بدَمعي فَواضخُ[2]
خطَرتَ إلى مَيتِ الغرامِ ، مُكَلِّماً له بعدما ناحتْ علَيهِ الصّوارِخُ
خَطيبٌ ، فهل عيسَى بنُ مَريمَ جاءَهُ ليُنطِقَهُ أم أنتَ في الصّورِ نافِخُ
خُضِ اللّيلَ واقصِد من أحبّ وقل له سأكتُمُ ما بي ، وهوَ في القَلبِ راسخُ
خَشيتُ انفساخَ العَهدِ عنّي . وإنّني لعَهدِكَ ، لا واللهِ ، ما أنا فاسخُ
خرجتُ مِنَ الدّنيا بودّكَ قانِعاً ، وأنتَ لأضدادي بوَصلِكَ راضِخُ
خسرتَ ، ولم تَعلَم بأنّ عَزائمي لأشباحِ هَمّي بالسّرورِ نَواسخُ
خِيامي على هامِ السّماكِ عَليّةٌ ، وقَدري على مَتنِ المَجرّةِ شامخُ
خَلا الملكُ المَنصورُ لي فأحلّني محلاً لهُ تَعنو الجبالُ البَواذخُ
خَطَتْ بي إلَيهِ هِمّتي ، فوَرَدتُهُ ، فلا السّعيُ مَذمُومٌ ولا السّورُ شامخُ
خلَعتُ نِعالَ الشّكّ في قُدسِ ربعِهِ ، فمِن تُربِهِ كَفّي لخَدّيَّ لاطخُ
خلَصتُ مِن الأهوالِ لمّا لَقيتُهُ ، فبِتُّ مَنيعاً ، والخطوبُ شَوائخُ

---

١ قوله : خطاء كماء البيد ، هكذا في الأصل ، والمعنى غامض .

٢ فواضخ : دافقة .

خَشيتُ على الآراكِ سطوَةَ بأسِهِ ، وأطوادُ رَضوى دونَها والشّمارِخُ
خَليفَةُ عَصرٍ ليسَ يُنسَخُ جودُه ، ويَغتاظُ منهُ مالُه المُتَناسِخُ
خصيبٌ إذا ما الأرضُ صَوّحَ نَبتُها ، حليمٌ ، إذا أخفَى الملومَ الرّواسخُ
خَلائقُهُ بيضٌ ، إذا همّ قاصِدٌ ، وأسيافُهُ حُمرٌ ، إذا هَمّ صارِخُ
خِصالٌ حَواها من أبيهِ وجَدّهِ ، وأكسَبَهُ أسيافُهُ والمَشايِخُ
خزَائنُهُ مَبذولَةٌ ، وأكفّهُ بِحارُ النّدى ، ما بَينَهن بَرازِخُ
خِطابُكَ، نجمَ الدّينِ ، خَطبٌ على العدى فكيفَ إذا سُلّتْ ظُباكَ النّواضِخُ
خَشُنتَ على الأعداءِ في الحربِ مَلمساً ، وغصنُكَ غَضٌّ في الشّبيبَةِ شارِخُ[1]
خُلِقتَ رِضَى العَليا ، ووَجهُكَ واضحٌ ، وجُودُكَ سَحّاحٌ ، ومَجدُكَ باذخُ
خبيرٌ بأمرِ الملكِ ، عدلُكَ باسطٌ ، وعلمُكَ فَيّاضٌ ، وحلمُكَ راسخُ
خفَضتَ للنُّهَى كي ترفعَ الذّلّ بالنّدى ، فأنتَ لآلِ الجُودِ بالجودِ ناسِخُ
خُصِصتَ بقَلبٍ في الشّدائدِ جامدٍ ، فزانَكَ كَفٌّ بالمَكارِمِ ناضِخُ
خُذِ المَدحَ منّي ، وابقَ للحَمدِ سالماً ، هَنيئاً لذِكرٍ عَرفُهُ بكَ فائخُ
خَلِيٌّ ، يصوغُ المَدحَ فيك قَلائداً ، ويُنشِدُهُ راوٍ ، ويَكتُبُ ناسِخُ

---

١ الشارخ ، من شرخ الصبي : صار شاباً .

قافية الدال

دَمعٌ مَزائدُ قَطرِهِ لا تَجمَدُ ، أنّى ، ونارُ صَبابَتي لا تَخمَدُ[1]
دامَ البُعادُ ، فلا أزالُ مُكابداً دَمعاً يَذوبُ، وزفرَةً تَتَوَقّدُ
داءٌ تأبّدَ في الفُؤادِ مُخَيِّمٌ ، أعيَا الأُساةَ ، وملّ عنه العُوّدُ
دَعني أموتُ بعَدّ سُكّانِ الحِمى بصَبابَتي ، كم جُهد ما أتَجَلّدُ
دارَ الأحبّةِ جادَ مَغناكِ الحَيا ، وتُرابُ رَبعِكِ للنّواظرِ إثمِدُ
دون ازديارِكِ خوضُ أغمارِ الرّدى ، والسُّمرُ تُشرَعُ، والصّفاحُ تُجرَّدُ
دِمَنٌ لنا في الجامعَينِ تنَكّرَتْ ، من بَعدِها ، أعلامُها والمَعهَدُ
دَرَسَ الزّمانُ جديدَها بيَدِ البِلى ، فالقَلبُ يَبلى ، والهوَى يتَجَدّدُ
دارَتْ على سُكّانِها كأسُ الرّدَى ، سكِروا بها فغَدا الزّمانُ يُعَربِدُ
دَعَتِ النّوى بفراقهم، فتَفَرّقوا ، وقضَى الزّمانُ ببَينِهم ، فتبَدّدُوا
وهَمَتْ من الدّهرِ الحَؤونِ عليهمُ نُوَبٌ على أيدي الزّمانِ لها يَدُ
دَهرٌ ذَميمُ الحالَتَينِ ، فَما بهِ شيءٌ سوى جودِ ابنِ أرتُقَ يُحمدُ
دامَ الخلائقُ يَمتَطونَ به العُلى ، ويَبيتُ منهُ الدّهرُ ، وهوَ مُسَهَّدُ
دِرعٌ به المَلِكُ العَزيزُ مُدَرَّعٌ ، سَيفٌ به الدّينُ الحَنيفُ مُقَلَّدُ
داني النّوالِ ، فلا يُنالُ مُقامُهُ ، قاضي المَنالِ ، ورِفدُهُ لا يَبعُدُ

---

[1] المزائد ، الواحدة مزادة : جلود يضم بعضها إلى بعض ويوضع فيها الماء .

دِيَمُ الدِّماءِ تَسُحُّ من أسيافِهِ طَوراً، ويُمطِرُ من يَديهِ العَسجَدُ
دَفَعَ الخُطوبَ عن الأنامِ بعَدلِهِ، ورعَى العِبادَ بمُقلَةٍ لا تَرقُدُ
دَعْ مَن سِواهُ ولُذ بكَعبَةِ جودِهِ، فجَنابُهُ لذَوي المَطالِبِ مَقصَدُ
دُم في سماءِ المُلكِ، يا نجمَ العُلى، إنّ العِبادَ بجُودِ كفّكَ أعبُدُ
دَبّرتَ أمرَ المُسلمينَ، فطُوِّقُوا بنَداكَ، أطواقَ الحَمامِ، فغرّدُوا
داوَيتَ أضعافَ الصّدورِ بصارِمٍ، ماءُ المَنُونِ بمَتنِهِ يتَجعّدُ
دَبّتْ نِمالُ المَوتِ في شَفَراتِهِ، وجَرَى الحِمامُ بحَدّهِ يترَدّدُ
داعٍ، إذا ما قامَ يوماً خاطِباً، فالهامُ تَركَعُ والجَماجمُ تَسجُدُ
دامي المَضارِبِ لو عكَستَ شُعاعَهُ فوقَ الجبالِ، لذابَ منهُ الجَلمدُ
دانَتْ لهُ الدّنيا فمَنظَرُ وَجهِها طَلْقٌ. وخَدُّ الدّهرِ منهُ مورَّدُ
دُكّتْ بكَ الأرَضُونَ حينَ حلَلتَها. فعلَيكَ تَغبِطُها السّماءُ وتَحمدُ
دَنَتِ المَطيُّ بنا إليكَ بجِدّةٍ، فلَها علَينا مِنّةٌ لا تُجحَدُ
دانَيتُ رَبعَكَ والأعادي شُمّتٌ، فرَجعتُ عَنهُ والوَرى لي حُسّدُ
دُسْ هامَةَ العَلياءِ وابقَ مُمَلَّكاً أبَداً يحلّ بكَ الزّمانُ ويَعقدُ

قافية الذال

ذكَرَ العُهودَ فأسهرَ الطَّرفَ القذي ... صَبٌّ بغَيرِ حديثِكم لا يَغتَذي
ذاقَ الهَوى صِرفاً ، فأعقَبَ قلبَه ... فِكرَ الصُّحاةِ ، وسَكرَةَ المُتَنَبِّذِ
ذَمَّ الهوَى لمّا تذَكّرَ إلفَهُ ، ... بالجامعَينِ ، وحَبلَهُ لم يُجذَذِ
ذَرَّ النَّسيمُ علَيهِ من أكنافِهِ ... نشرَ العَبيرِ فشاقَه العَرفُ الشّذي
ذابتْ بكم ، يا أهلَ بابلَ ، مُهجتي ... فتَنَغّصَتْ بالعَيشِ بَعدَ تَلَذّذِ
ذهبَ الوَفا بعدَ الصَّفاءِ ، فما عدا ؟ ... ووَعَدتُموني بالوِصالِ فَما الذي؟
ذَبُلَتْ غصونُ الودِّ فيما بَينَنا ، ... وجرَى الذي قد كان منه تعَوّذي
ذابَ الكَرى عن ناظري بفراقِكم ، ... ولكم جلوتُ بنُورِكم طَرفي القذي
ذَلّتْ بكم روحي ، وكنتُ مُمَنَّعاً ... في صَفوِ عَيشٍ عِزّهُ لم يُفلَذِ
ذُلٌّ علَاني ، والعداةُ عزيزَةٌ ، ... لو لم يكن جودُ ابنِ أرتقَ مُنقذي
ذاكَ الذي بَسَطَ المُهَيمِنُ كَفَّهُ ... في أنعُمِ الدّنيا ، وقال لها : خُذي
ذو راحتَينِ : هما المَنيّةُ والمُنى ، ... يَسطو بتلكَ ويبذُلُ النّعمى بذي
ذاكي العَزائمِ في جَلابيبِ التّقَى ، ... ناشٍ ، ومن ثديِ الفَضائلِ يَغتَذي
ذَخرَتْ خزَائنُه ، فقالَ لها : انفذي ، ... وذكَتْ عزائمُه فقال لها : انفُذي
ذَلِقُ الفضائلِ هكذا فضلُ التّقَى ، ... غَدِقُ البنانِ على الفصاحةِ قد غُذي
ذِمَمُ الزّمانِ بعَدلِه مَحفوظَةٌ ، ... فذِمامُهُ من غَيرِهِ لم يُؤخَذِ
ذاعَتْ سَرائرُ فَضلِه بَينَ الوَرى ، ... وسَما الأنامُ بجُودِهِ المُستَحوِذِ

ذُرَواتُ مَجدٍ لا تُنالُ وهِمّةٌ طالَتْ فكادتْ للكَواكبِ تحتَذي
ذُخرٌ لَنا في النّائباتِ ومَلجأٌ ، مَن لم يَلُذ بجَنابِهِ لم يَنفُذِ
ذِكري له راعَ الخُطوبَ لأنّني ، من كَيدِها بسِواهُ لم أتَعَوّذِ
ذَهَلَتْ صروفُ الدّهرِ منهُ فلم تجد نَحوي لأسهُمِ كَيدِها من مَنفَذِ
ذُعِرَ الزّمانُ وقال : هل من عاصِمٍ منهُ ألوذُ بهِ ؟ فقلتُ لهُ : لُذِ
ذَرْ عَنكَ نجمَ الدّينِ أشباحَ العِدى ، وعلى صَميمِ قلوبِهِم فاستَحوِذِ
ذَكّرْ بهم سَهمَ القَضاءِ ، فإنّهُ بسِوى الذي تَختارُهُ لم يَنفُذِ
ذَلّلتَ أعناقَ الطّغاةِ بصارِمٍ ، بسوى الجَماجمِ حدُّهُ لم يُشحَذِ
ذَكّرْ إذا شكَتِ الظّما شَفَراتُهُ في غَيرِ يَمّ دِمائِهِم لم يُنبَذِ
ذا السّعيُ قد قَرّتْ به عَينُ الوَرى ، فالمُلكُ يَزهو زِهوَةَ المُتَلَذّذِ
ذُرْتَ الزّمانَ على الطّغاةِ وقد طغى ، وجلوتَ طرفَ المكرُماتِ وقد قذِي[1]
ذَوِيتْ عِداكَ ولا برِحتَ مُنَعَّماً ، عن رِفدِ طُلاّبِ النّدى لم تُجذَذِ

---

١ قوله : ذرت ، هكذا في الأصل .

قافية الراء

رَقّتْ لَنا حينَ هَمَّ الصّبحُ بالسّفَرِ ، وأقبلَتْ في الدّجَى تَسعَى على حذَرِ
راضَ الهوَى قَلبَها القاسي ، فجادَ لَنا ، وكانَ أبخَلَ من تَمّوزَ بالمَطَرِ
رأتْ غَداةَ النّوى نارَ الكَليمِ ، وقد شَبّتْ ، ولم تُبقِ من قَلبي ولم تَذَرِ
رَقّتْ إلى الصّبّ طولَ الوَصلِ راقيَةً ، فقلتُ : قد جئتَ يا موسَى على قدَرِ
ربيبَةٌ لو تَراها عندَما سفرَتْ ، والبَدرُ ساهٍ إليها سَهوَ مُعتَذِرِ
رأيتَ بَدرَينِ من شمسٍ ومن قمَرٍ ، في ظلّ جنحَينِ من ليلٍ ومن شعَرِ
رَشَفتُ بُردَ الحُمَيّا من مَراشِفِها ، فنبّهتَني إليها نَسمَةُ السّحَرِ
رَنَتْ نجومُ الدّجى نحوي فما نظَرَتْ مَن يَرشُفُ الرّاحَ لَيلاً من فمِ القمرِ
راقَ العِتابُ ، فأبدتْ لي سرائرَها في لَيلَةِ الوَصلِ بل في غُرّةِ القَمَرِ
رَنَتْ فلَمّا رأتْ رُسلَ النّوى فغدَتْ تُطيلُ عَتبي ، وعُمرُ اللّيلِ في قِصَرِ
رَحبٌ مَقامي بمغناها ، فمُذ نَظَرَتْ ذَمّ المَطيّ قضَتْ للصّفوِ بالكَدَرِ
رِيعَتْ لذَمّ المَطايا للسُّرَى فعَدَتْ ، وأحذَرتْني من الأهوالِ في سفَري
رامَتْ بذلكَ تَخويفي ، فقُلتُ لها : عِندي من الخُبرِ ما يُغني عن الخبَرِ
رِدي ، فَما ضَرّني هَولٌ أُكابدُهُ ، ونائلُ المَلِكِ المَنصورِ في الأثَرِ
رَبِّ النّوالِ ، ومحمودِ الخِصالِ ، ومِقْدامِ النّزالِ ، وأمنِ الخائفِ الحَذِرِ
راعي الأنامِ بعَينٍ غَيرِ راقدَةٍ ، قد وُكّلَتْ في أمورِ الملكِ بالسّهَرِ
رحبِ الذّراعَينِ لولا صُبحُ غُرّتِهِ ، لأصبَحَ الجُودُ فَجراً غيرَ مُنفَجِرِ

راضٍ معَ السّخطِ يُبدي عزمَ مُنتقِمٍ ... للمُذنبينَ . ويَعفُو عَفوَ مُقتَدِرِ

راحاتُهُ مذ نَشا في المُلكِ قد عَهِدتْ ... يومَ النّدى والرّدى بالنّفعِ والضّرَرِ

روى مَناقبَهُ الرّاوي ، فقُلتُ لهُ : ... جلوتَ سَمعي ، فهل تَجلو به بصري

رُحْ أيّها الملكُ المَنصورُ ، واغدُ على ... هامِ العُلى آمناً من حادثِ الغِيَرِ

رَسمتَ جوداً حكى الطّوفانَ فاعتصَمتْ ... منهُ الخَلائقُ بالألواحِ والدُّسُرِ[1]

رَفِقتَ بالنّاسِ في كلّ الأُمورِ، فقد ... أضحَى الزّمانُ إليهم شاخصَ البصَرِ

رَبَوا لدَيكَ ، فلَولا أنّ بَعضَهُمُ ... تُجَلّ عَنهُ ، لقُلنا : يا أبَا البَشَرِ

رُعتَ العِدى بحُسامٍ لو عدَلتَ بهِ ... عَنهم ، لأغناكَ عَنهُ صارِمُ القَدَرِ

رَفَعتَ ذِكرَكَ في يَومِ الهِياجِ به ، ... فأذكَرْتَني بحَدّ الصّارِمِ الذّكَرِ

رَمَتْ إليكَ بنا هُوجٌ مضَمَّرَةٌ ، ... كأنّها في الدّجَى قَوسٌ بلا وَتَرِ

راحَتْ إلى جنّةٍ حَلّ العُفاةُ بها ... في الخُلدِ ، واتّكأُوا فيها على سُرُرِ

رَجَعتَ أعتِبُ نَفسي في تأخّرِها ... عَنها، طَوراً أُهَنّي النّفسَ بالظّفَرِ

١ الدسر : ألواح السفينة .

قافية الزاي

زارَ ، واللّيلُ مُؤذِنُ بالبِرازِ ، وهوَ من أعينِ العِدى في احترازِ
زائرٌ جاءَ تحتَ جِلبابِ لَيلٍ ، شفَقُ الصّبحِ فَوقَهُ كالطّرازِ
زانَ حُسنَ المَقالِ بالفعلِ منهُ ، ووعُودُ الوِصالِ بالإنجازِ
زائدُ الحُسنِ سَرّهُ حُسنُ صَبري ، فغَدا بالجَميلِ عَنهُ يُجازي
زفَّ بِكرُ المُدامِ لَيلاً ، فأبدَتْ جَيشَ نُورٍ لعَسكَرِ اللّيلِ غازِ
زَوّجَ المَاءَ ظالماً بعَجوزٍ ، لو أطاقَتْ مَشَتْ على عُكّازِ
زَخرَفَتْ جَنّتي ، فبِتُّ قَريراً ، مُنعَماً يَسمَعُ الزّمانُ ارتجازي
زاهياً آخذاً من الدّهرِ عَهداً ، ومِنَ الحادِثاتِ خَطّ جَوازِ
زَعَمَ النّاسُ أنّ ذلكَ دِيني حينَ عاجَلتُ فُرصَتي بانتِهازِ
زَوّجوني ، فقلتُ قُولوا وعُدّوا لأسُدّ الطّريقَ للمُجتازِ
زِينَتي لبسُ جارِحَتي في زمانٍ ، عَجِزَتْ راحَتاهُ عن إعجازِ[1]
زَمَنٌ لو رَنا إلَينا بخَطبٍ ، لغَزَونا جَيشَ الخُطوبِ بِغازِ
زاخرُ الجودِ ما مدّ الجيوشَ إلى الخَطبِ إلاّ رُدّتْ على الأعجازِ
زينُ ملكٍ فاقَ المَكارِمَ وامتازَ بالهباتِ أيّ امتيازِ
زالَ عنهُ الرّدى وأضحى له الدّهرَ جَواداً يَمشي بلا مِهمازِ

---

١ صدر البيت مختل الوزن .

زهرٌ في حَوادِثِ النّقعِ حتى يَجعَلُ الخَيلَ كالنّعامِ النّوازي

زَخّ جُوداً ، فلا يزَالُ ثَناهُ في ازدِيادٍ ومالُه في اعوِزازِ

زُرهُ وابدأ أيّامَهُ بالتّهاني ، ثمّ بادِرْ أموالَهُ بالتّعازي

زَرَعَ الجُودَ في البلادِ ، وساوَى فيهِ بَينَ الوِهادِ والأقوازِ[1]

زَهتِ الدّنيا حينَ أصبحَ فيها فَغَدَتْ ، وهيَ للسّماءِ تُوازي

زالَ عن طُرقِنا الرّدَى حينَ زُرنا هُ وكنّا بهـا على أوْفازِ[2]

زاغَ عنّا بالبيدِ كلُّ رَجيمٍ ، فغَنِينا بـهِ عن الإعوازِ

زادَ قَدري بذِكرِهِ إذ رأى النّا سُ اجتهادي بقدرِه وانتبازي

زاحَمَتني حَقائقُ المَدحِ فيهِ ، وهيَ في غَيرِهِ شَبيهُ المَجازِ

زُرتُهُ مادِحاً فَرَنّحَهُ الجُو دُ ، بإكرامِنـــا وبالإعزازِ

زادَكَ اللهُ ، يا أبا الفَتحِ ، مَجداً ، إنّهُ للكِرامِ نِعمَ المُجازي

زاهراتُ المَديحِ باسمِكِ تَزهُو ، لَيسَ يَزهو ثَوبٌ بغَيرِ طِرازِ

زِدتُ في حُبّ مَدحِكِ ، فارتَحْ لعَبيطِ المَديحِ والإرجازِ

---

١ الأقواز ، الواحد قوز : الكثيب المشرف .

٢ الأوفاز ، الواحد وفز : المرتفع .

قافية السين

سَفَحَ المِزاجُ على حُمَيّا الكاسِ ، وسَعَى يَطوفُ بها على الجُلاّسِ
ساقٍ ، فلَو طرَحَ المُدامَ لأسكَرَتْ صَهباءَ فاترِ طرفِهِ النَّعّاسِ
سكرانُ من خَمرِ الدّنانِ كأنّما عَبَثَ النّسيمُ بقَدّهِ المَيّاسِ
سالَ العِذارُ على أسيلِ خُدودِهِ ، فغَدا يُسَيِّجُ وردَها بالآسِ
ساوَى الرِّفاقَ بشُربِها ، حتّى إذا ثَمِلَ المُديرُ ، وغابَ رُشدُ الحاسِي
سكَنَتْ مَقَرَّ عقولِهم ، وتمَكَّنَتْ، فغَدَتْ توَسوِسُ في صُدورِ النّاسِ
سفَرَتْ فكانتْ تحتَ جلبابِ الدّجَى، تُغْني عن المِصباحِ والمِقباسِ
سُلّتْ علَيها للمِزاجِ صَوارِمٌ ، لتَروضَ منها الخُلقَ بعدَ شِماسِ
سَلَّ النّفُوسَ بقَهوَةٍ دَيرِيّةٍ ، كالشّمسِ تُشرِقُ في يَدِ الجُلاّسِ
سُمها ، ولا تَبخَلْ ، إذا تَجلُو بها خَوفاً منَ الإقتارِ والإفلاسِ
سَمّح كفوفَكَ في الشّراءِ ، فرأيُنا ثِقلُ الكؤوسِ وخفّةُ الأكياسِ
سابِق إلى جنّاتِ عَدْنٍ قد بَدَتْ أزهارُها بغَرائبِ الأجناسِ
سَحَبَ السّحابُ لها الذّيولَ فأُلبِستْ مِن حُلّةِ الأزهارِ خيرَ لِباسِ
سَكِرَتْ قدودُ غصونِها فترَنّمَتْ وُرْقُ الحَمامِ بأطيَبِ الأنفاسِ
سجَعَتْ ، فخِلنا الطّوقَ في أعناقِها من ابنِ أرتُقَ في رِقابِ النّاسِ
سلطانُ عَدلٍ بل خَليفَةُ مَنصِبٍ ، أحيَتْ مَناقبُهُ بَني العَبّاسِ
سَقِمَتْ بهِ مُهَجُ العُداةِ ، وطالمَا سَقِمَ الزّمانُ وكانَ نِعمَ الآسِي

سَيفٌ أعزّ الدّينَ بَعدَ هَوانِهِ ، فبَدتْ رسومُ ربُوعِهِ الأدراسِ
سارَتْ لخَسفِ الأرضِ قُبٌّ جيادِهِ ، فأمَدّها مِن حِلمِهِ بِرَواسِ [1]
سَهلُ الخلائِقِ ليِّنٌ عندَ النّدَى ، لكنّهُ عندَ الشّدائدِ عاسِ
سبَقَتْ عَطاياهُ السّؤالَ ، فمالُهُ في مأتَمٍ ، والنّاسُ في أعراسِ
سَنّ المَواهبَ ، والجهادَ ، فدَهرُهُ يومانِ : يومُ قِرًى ويومُ قِراسِ [2]
سَعيٌ أساسُ المَجدِ منهُ ثابتٌ ، والمَجدُ لا يُبنَى بغَيرِ أساسِ
سَهّدتَ ، نجمَ الدّينِ ، طرفَكَ للعلى ، فحَفِظتَ دوحتَها مِنَ الإيباسِ
سُرّتْ بسَعيِكَ ، واطمأنّتْ أنفسٌ كانَتْ مِنَ الأيّامِ في وَسواسِ
سَعِدَتْ بكَ الدّنيا ، وعادَ نِفارُها ، مِن بَعدِ وحشَتِها ، إلى الإيناسِ
سُدْ في الأنامِ ، فلا برحتَ مؤمَّلاً تسوي الخلائقَ في النّدى وتُواسِي [3]
سمحُ الأكفّ ترومُ نائلَكَ الوَرى ، وتَخافُكَ الآسادُ في الأخياسِ
سَعدٌ أتاكَ من الإلَهِ مؤيَّدٌ ، فاخلُد ، ودُمْ في نِعمَةٍ وغِراسِ

---

١ القب : الضامرة . الرواسي : أي الجبال الرواسي .
٢ قوله : قراس ، هكذا في الأصل ولم نجدها ، ولعلها قراس من الفرس : دق العنق .
٣ تسوي : أراد تساوي .

قافية الشين

شَمُولٌ إلى نيرانِها أبَداً نَعشُو ، لتُنعِشَنَا من بَعدِ ما ضَمّنا نَعشُ
شُغِفنا بها ، والعِزّ قَد مَدّ ظِلّهُ علَينا ووَجهُ الأرضِ هَشٌّ لنا بَشُّ
شقيقَةُ خَدٍّ بالسّرورِ مُدَرَّجٍ بها ، ولوَقعِ الماءِ في خَدّها خَدشُ
شَهَرنا علَيها للمِزاجِ صَوارِماً ، إذا عَمِلَتْ ما للجِراحِ بها أرشُ[1]
شَمُولُ عُقارٍ في أكفّ أهلّةٍ ، لها لهَبٌ وَهمُ الظّلامِ بها يَرشُو
شُعاعٌ غَدَا طرفُ المَسرّةِ شاخِصاً إليهِ ، وأحداقُ الهُمومِ بهِ عُمشُ
شَدَدتُ بها أزرَ السّرورِ ، وزرتُها بفتيانِ صِدقٍ ليسَ في ودّهم غِشّ
شَبابٌ ، ولكن في العلومِ مَشايخٌ ، إذا خُوطِبوا بَشّوا وإن سُئِلوا بشّوا
شَهِدنا زواجَ الرّاحِ والماءِ والنّدى ، علَيهِم نِثارٌ ، والرّياضُ لهُ فَرشُ
شدَتْ ، إذ بدَتْ تُجلى على كلّ قَينةٍ كبِلقيسَ حُسناً ، والجمالُ لها عرشُ
شَرِبنا ، وقد حاكَ الرّبيعُ مطارِفاً حِساناً لدَمعِ الطلّ من فَوقِها رَشّ
شِباكٌ على خَدّ الهِضابِ يَبُثّها بِكارٌ ، وفي كفّ الوِهادِ بها نَقشُ[2]
شَمَمنا أريجاً مِن شَذًا بأنيقَةٍ ، تَشارَكَ في ديباجِها الطلّ والطّشّ[3]
شِعابٌ منَ الحَدباءِ يُضحِكُها الحَيا ، ويَحرُسُنا بأسُ ابنِ أرتُقَ والبَطشُ

---

١ الارش : الدية .
٢ البكار : الفتيان من الإبل ، الواحد بكر .
٣ الطش : المطر الضعيف .

شُجاعٌ تَرَى مَتْنَ الجيادِ مِهادَهُ ، وتألَمُ جَنبَيهِ الوَسائدُ والفُرشُ
شَبيهُ سُلَيمانِ الزّمانِ ، إذا غَدا تَحُفُّ بهِ في سَيرِهِ الطّيرُ والوَحش
شِهابٌ لهُ الشّهباءُ أُفقٌ ، ومَطلعٌ، وشمسٌ عيونُ الحَطبِ من نورِها تعشُو
شَهِيٌّ إليهِ في النّدى بَذْلُ مالِهِ ، وأبغضُ شيءٍ عنده الجمعُ والفَرشُ[1]
شديدُ القُوى من مَعشَرٍ لِفُوا الوَغى ، إذا نَهَضَ المِقدامُ من شَرّها يَنشُو[2]
شُفاةٌ ، كُفاةٌ، لا المَواثيقُ عندَهم تُضاعُ ولا الأسرارُ من بَينهم تَفشُو
شريفٌ لهُ ناران للحَربِ والقِرى تَلُوحُ بها في اللّيلِ ألوِيَةٌ رُعش
شُواظُ وَغًى كلٌّ يُحاذِرُ وقدَها ، ونارُ قِرًى كلٌّ إلى ضَوئِها يَعشُو
شِفارُ مَواضيهِ ، إذا هيَ جُرِّدَتْ ، فأيسَرُ مَقتولٍ بها اللّومُ والفُحشُ
شقَقْنَ قلوبَ الحادِثاتِ بوَقْعِها ، وشارَكتِ الأقدارَ أقلامُهُ الرُّقشُ
شعارُك ، يا نجمَ المُلوكِ وبَدرَها ، سَماحُ يَدٍ طِفلُ الثّناءِ بها يَنشُو
شغَلتَ صروفَ الحادِثاتِ عنِ الوَرَى، فأبصارُها كُمهٌ ، وأسماعُها طُرشُ[3]
شَنَنتَ على الأعداءِ غارَةَ عَزمَةٍ ، فبادَتْ ولمّا يُغنِها النَّبلُ والبَطشُ
شكَكتَ كُلاها في رِماحٍ كأنّها أفاعٍ لها في كلّ جارحَةٍ نَهشُ
شرّفتُ مدحي فيكَ يا مُغرِقَ الوَرَى بجُودٍ هتونِ المُزنِ في ضمنِه طَشٌّ

---

١ الفرش : المفروش من متاع البيت ، البقر والغنم التي لا تصلح إلا للذبح .
٢ قوله : ينشو ، هكذا في الأصل ، ولعلها لغة في ينشأ : يحيا ، يتجدد .
٣ كمه : عميان ، الواحد أكمه .

قافية الصاد

صَرفُ المُدامِ بهِ السّرورُ مُخَصَّصُ ، وبهِ الهُمومُ عن القُلوبِ تُمَحَّصُ
صَرّفْ بها عَنكَ الهمومَ لتَغتَدي فِرَقاً ، إذا تُملا الكؤوسُ النُّقّصُ
صَهباءُ قد راضَ المزاجُ مِزاجَها ، فغَدَتْ تُقَهقِهُ ، والفَواقِعُ ترقُصُ [1]
صاغَ المِزاجُ لها فَواقعَ فضّةٍ مثلَ اللآلي ، وهيَ تِبرٌ مُخلَصُ
صَدّ التّقَى قَوماً ، فأبدَوا زُهدَهم فيها ، وماذا ضَرّهم لو رَخّصُوا
صامُوا ، وفطرُهُمُ على مَفسُودِها جَهلٌ ،فهَلاّ استُخلِصَ ما استَخلصُوا
صَفَتِ المدامَةُ والسّقاةُ فتارَةً تُزجَى الكُؤوسُ وتارَةً تتربّصُ
صَعُبَتْ ، فحَكّمنا السّقاةَ بمَزجِها فغَدا يَزيدُ بها المِزاجُ ويَنقُصُ
صَبَغَتْ خدودَ سُقاتِها من نُورِها شَفَقاً بهِ تُجلَى العُيونُ الشُّخّصُ
صَدَقَ الذي قد قالَ عن شمسِ الضّحى إنّ البُدورَ بنُورِها تتَقَمّصُ
صَفراءُ مِن وَقعِ المِزاجِ صَقيلَةٌ ، يَسعَى بها سَبطُ البَنانِ مُخَرَّصُ [2]
صَنَمٌ أضَلّ العاشقينَ ، فمعشَرٌ قد زُوّدوا فيها ، وقومٌ نُقّصُوا
صادَ القُلوبَ بمُقلَتَيهِ ولم أخَل أنّ الجآذِرَ للقَساوِرِ تَقنِصُ
صَبَغَ الأناملَ من دِمائي ، وما دَرَى أنّ ابنَ أرتُقَ عَن دَمي يتَفَحّصُ

---

١ المزاج الأولى من مزج الشراب : خلطه بالماء . الثانية : ما أسس عليه البدن من الطبائع والأحوال الصحية أو المرضية .

٢ سبط البنان : كريم . المخرص : اللابس حلقاً من ذهب .

صُبحٌ جَلا لَيلَ الخُطوبِ بنُورِهِ ، نجمٌ إليهِ كلُّ طَرفٍ يَشخَصُ
صَعبُ العَريكَةِ ، سَهلَةٌ أخلاقُهُ ، قَومٌ بهِ سَعِدوا ، وقَومٌ نُغِّصُوا
صابَتْ يَداهُ ، فلا السّماحُ بربعِهِ وانٍ ، ولا ظِلُّ الأماني يَقلِصُ
صَدَرَتْ مَناقبُهُ الحِسانُ ، فأصبَحتْ تُغري الأنامَ بمَدحِهِ وتُحرِّصُ
صَعِدَتْ مَراتِبُ مَجدِهِ ، فكأنّما تَعلُو لهُ فوقَ المَجرّةِ أخمَصُ
صاحَبتَ ، نجمَ الدّينِ ، دهرَكَ صائلاً بعزيمَةٍ مِن كَيدِهِ لا تَنكُصُ
صَقَلَتْ تَجاريبُ الأُمُورِ مُتونَها ، كالسّيفِ يُصلِحُهُ الصّقالُ ويُخلِصُ
صَرَمتْ شمالَ المُسلمينَ بصارِمٍ غالٍ ، بهِ مُهَجُ القُلوبِ تُرَخَّصُ
صافي الحَديدَةِ في مَضاربِهِ الرّدى ، بادٍ ، وشَكلُ المَوتِ فيه مُشخَّصُ
صادَمتَهُم في نَقعِ لَيلٍ حالِكٍ ، طَرْفُ المَنيّةِ في دُجاهُ أخوَصُ[1]
صُفّتْ صِفاحُ الهِندِ حولَ أديمِهِ ، فكأنّهُ بالبِيضِ عَبدٌ أبرَصُ
صكّتْ ظُباكَ رؤوسَهم وجسومَهم ، فالهامُ تُنثَرُ ، والضّلوعُ تُقَصَّصُ[2]
صَرفُ القَضاءِ ، يا ابنَ أرتُقَ ، خادمٌ لعُلوّكم ، والدّهرُ داعٍ مُخلِصُ
صَوّبتُ نَحوَكُمُ عِنانَ مَدائحي ، فمُدَقّقٌ مِن نَظمِها ومُلَخَّصُ
صَحّتْ مَعانيها ، وشُرّفَ لَفظُها بكم ، وطابَ خِتامُها والمخلَصُ

---

١ أخوص : غائر .
٢ تقصص : تقطع .

قافية الضاد

ضَحِكتْ ثغورُ حَدائقِ الأرضِ ، فسَهَتْ عيونُ النرجسِ الغَضّ
ضَرَبَ الرّبيعُ بها مَضارِبَهُ ، وجرَتْ جيادُ السُّحبِ في الرّكضِ
ضاعَ العَبيرُ مِنَ الرّبيعِ ، فَما عُذرٌ إلى اللّذّاتِ مِن نَهضِ
ضَيّعتَ بَعضَ العُمرِ مُشتَغِلاً ، أفَلا خَلَفتَ العَيشَ بالبَعضِ
ضَعْ مِنّةً واجلُ المُدامَ لَنا ، فيها مِنَ الأيّامِ نَستَقضي
ضَرّجْ بها خَدّ السّرورِ ، فقَد أيقَنتُ أنّ الدّهرَ في قَبضِ
ضَحِكَ الحَبابُ بها ، وقد غضبتْ للشّاربِينَ بسُخطِها تُرضي
ضَجّتْ لوَقعِ الماءِ ، واضطَرَبَتْ مِن غَيرِ إيلامٍ ، ولا مَضّ
ضَيّعْ كنوزَ المُلكِ ، وابقَ لَنا راحاً إلى راحاتِها تُفضي
ضمنَ الشّبيبةِ والرّبيعِ حَلا رَشفي الطّلا ، ولغَيرِها رَفضي
ضاءَ الزّمانُ إضاءَةً بسَما يَزهُو بثَوبٍ غيرِ مُرفَضّ
ضَرْبٌ مِنَ الأنوارِ مُبتَهِجٌ ، ما بَينَ مَزرُورٍ ومُنفَضّ
ضَفَتِ الرّياضُ ، وما أضَرّ بها إخلافُ وَعدِ البرقِ في الوَمضِ
ضَنّ السّحابُ بمائِهِ ، فرَوَتْ كفُّ ابنِ أرتُقَ غُلّةَ الأرضِ
ضَرّابُ هاماتِ الكُماةِ ، ومن راضَ الزّمانَ بخُلقِهِ المَرضي
ضِرغامُ بأسٍ غَيرُ مُحتَجِبٍ خَوفاً ، ونجمٌ غَيرُ مُنقَضّ
ضاهَى السّحائبَ منهُ جُودُ يَدٍ ، مُعتادَةٍ بالبَسطِ والقَبضِ

ضَمِنَتْ سَماحَةُ راحَتَيهِ لَنا بِرَّ البلادِ بجُودِهِ المَحضِ

ضَبعٌ لدينِ اللهِ مُنذُ علا الإسلامُ آمِنَةٌ مِنَ الخَفضِ[1]

ضُبِطَتْ أُمورُ المُسلِمينَ بهِ ضَبطاً بهِ أمِنَتْ مِنَ النَّقضِ

ضَخمُ الدَّسيعَةِ ،جُودُهُ غَدِقٌ ، أحوَى المَرابعِ أبيَضُ العِرضِ[2]

ضرُّ العُداةِ ، ونَفعُ قاصِدِهِ ، كلٌّ يَراهُ عليهِ كالفَرضِ

ضَمِنَ اليراعُ وحَدُّ صارِمِهِ عِزَّ الوَليِّ وذلَّ ذي البُغضِ

ضِدّانِ ذا يُولي الجَميلَ ، وذا أبَداً بحَتفِ عُداتِهِ يَقضي

ضَرَّ السّهادُ بمَعشَرٍ ، فرأى سُهادَهُ أحلى من الغُمضِ

ضاقَتْ بجَحفَلِهِ وعَزمَتِهِ أرضُ الفَلا في الطّولِ والعرضِ

ضَلَّ الذي أضحَى يُطاوِلُهُ وبإصرِهِ يَجري القَضا المَقضي[3]

ضَجِرَ الذي جاراهُ حينَ رأى سَهمَ القَضاءِ بأمرِهِ يَمضي

ضَلَّيتُ إن لم أُصفِهِ مِدَحي ، وإلَيهِ نِضو قَريحَتي أُنضي

---

١ الضبع : العضد .

٢ ضخم الدسيعة : كناية عن الكرم ، والدسيعة : الجفنة الكبيرة ، المائدة الكريمة .

٣ الاصر : العهد ، الثقل .

قافية الطاء

طافَ يَسعَى بسرعَةٍ ونَشاطِ ، ويُعاطي المُدامَ أحلى تَعاطِ
طَيّبُ النّشرِ يَجرَحُ اللّحظُ خَدّيْـ ـهِ ويُدمي أعضاهُ مَسُّ القُباطي[1]
طَلْقُ وَجهٍ تَلَهّبَ الخَدُّ فيـ ـهِ ووافَى عِذارُهُ كالسّراطِ[2]
طِرسُ خَدٍّ لَهُ عليهِ سُطورٌ ما ألَمّتْ بهِ يَدُ الخَطّاطِ
طالمَا زارَني وقد مَدّتِ الأرْ ضُ رِياضاً مِن تَحتِنا كالسِّماطِ
طَلَّ فيها دَمُ الدّنانِ ، فبالأقْـ ـداحِ طَوراً ، وتارَةً بالبَواطي
طفَحتْ نَشوَةُ المُدامِ وقد شَـ ـطّتْ على الشّاربين أيّ اشتِطاطِ[3]
طَوّحَتْ بالسّقاةِ ، حتى أطاعُوا ، وأباحُوا الوِصالَ بَعدَ احتياطِ
طافَتْ سُعادُ تَضُمّ لأغصا نِ قُدودٍ منَ الظّباءِ العَواطي[4]
طَوْقُ تِلكَ الأجيادِ أجعَلُها طَو راً ، وطَوراً مَناطِقَ الأوساطِ
طِبتُ عَيشاً لمّا رأيتُ يَدَ الصّبْـ ـحِ لدُرّ النّجومِ ذاتَ التِقاطِ
طِفلُ صُبحٍ لهُ من الشّرقِ مَهدٌ ، ولَهُ حُلّةُ الدّجَى كالقِماطِ
طَرَدَ اللّيلَ بالضّياءِ ، فمُذ لا حَ فأهوَتْ نُجومُهُ بانهِباطِ
طلَعَتْ في الأنامِ غُرّةُ نَجمٍ لعُلاهُ على النّجومِ مَواطي[5]

---

[1] القباطي : ثياب من كتان منسوبة إلى القبط .
[2] السراط : السبيل الواضح .
[3] شطت : جارت .
[4] صدر البيت مختل . العواطي : التي تعطو بأعناقها تمدها لتتناول ثمر الأراك .
[5] مواطي ، الواحد موطىء : محل الوطء ، موضع القدم .

طالعٌ بالسّعودِ في أفُقِ الشّهـ بـا ، فعِشْ دائماً بهِ في اغتباطِ
طابَ رِزقٌ لهُ بمَغناهُ فالرّز قُ لَدَى غَيرِهِ كسُمّ الخِياطِ
طاهرُ الجَدّ جَدُّهُ كلَّ يَومٍ في صُعودٍ وضِدُّهُ في انحطاطِ
طَودُ حِلمٍ يَكادُ يَستَعبِدُ الدّهـ رَ بعزمٍ لَهُ شَديدِ النّياطِ[1]
طَبَّ هذا الزّمانَ ، وهوَ جَسيمٌ ، قَصّرَتْ دونَهُ يَدا بقراطِ
طَوّقَ النّاسَ بالنّدَى ، فهَناهم في دوامٍ ، ورِزقُهم في انبساطِ
طُبِعَتْ راحتاهُ من جَوهَرِ الجُو دِ ، وليسَ المَعطيُّ كالمُتَعاطي
طالَ في المالِ عزُّ كَفّيهِ ، حتى أفرَطَتْ فيهِ غايَةَ الإفراطِ
طاعَنَ الخَيلَ قَبلَ ذابلَةِ اللُّد نِ ، بلُدنٍ من عَزمِهِ ذي شِطاطِ[2]
طِرفُهُ الدّهرُ أينَما سارَ، والحَز مُ عِنانٌ ، وعَزمُهُ كالسّياطِ[3]
طارَدَتهُ الكِرامُ في حَلبَةِ الجُو دِ ، فكَلّوا في أوّلِ الأشواطِ
طَلَبُوا شأوَهُ ، فَما حَصّلَ الطّا لِبُ من كَنزِهِ سِوى قِيراطِ
طاوَعَتني جَواهرُ المَدحِ فيهِ ، فأتَتْ في النّظامِ كالأسماطِ
طَيّبُ اللّفظِ لو حَوَتهُ اللآلي جَعَلَتهُ الحِسانُ كالأقراطِ
طُرَفٌ كالعُقُودِ ، فالدُّرّ منها ذِكرُهُ والبُيُوتُ كالأسماطِ

1 النياط : الفؤاد .
2 الشطاط : البعد .
3 الطرف : المهر .

قافية الظاء

ظَفِرَتْ سهامُ فواتِرِ الألحاظِ ، فرَمَتْ صَميمَ قلوبِنا بشُواظِ
ظَلّتْ تُقاتِلُ للمُقاتِلِ أسهُماً أغنَتْ عنِ الأفواقِ والأرعاظِ[1]
ظلَمَتْ ظِباءُ الخَيفِ حينَ منَحتُها حِفظَ العُهودِ ، وجَهدُها إحفاظي[2]
ظَبياتُ أنسٍ صَيدُهنّ مُحَرَّمٌ ، يَرتَعنَ ما بَينَ الصّفا ، فعُكاظِ
ظَعَنوا ، فبِتُّ أسحّ دَمعي بعدَهم ، وأُجيلُ في تلكَ الدّيارِ لِحاظي
ظِفْري لسِنّي قارِعٌ ، ومَدامعي قد خَدّدَتْ خَدّيّ بالإلظاظِ[3]
ظَنّ الحَلِيُّ بأنْ أُحاوِلَ بَعدَهم سكَناً ، ودامَ بعَدلِهِ إيقاظي
ظُلمٌ ، إذا ظَعَنَ الخَليطُ ولم أسِرْ بالعَيشِ بَينَ تَنايفٍ وشِناظِ[4]
ظِهرِيّةٌ إن ضامَها ألَمُ السُّرَى حَنّتْ مَناسِمَها بعَيرِ مِظاظِ[5]
ظلُماتُ دَجنٍ في الظّلامِ دواهشٌ ، من حَولِها هول السّرى إيقاظي
ظلَعَتْ ، فأنحَلَها السّرَى ، فتأوّدَتْ من طول مسِّ شِظاظهنّ شِظاظي[6]

١ الأفواق ، الواحد فوق: مشق رأس السهم حيث يقع الوتر. الأرعاظ ، الواحد رعظ : مدخل النصل في السهم .
٢ إحفاظي : إغضابي .
٣ الالظاظ ، من ألظ المطر : دام .
٤ التنايف ، الواحدة تنوفة : البرية لا ماء فيها ولا أنيس . الشناظ : أعلى الجبل .
٥ ظهرية : أي من الإبل التي ترد كل يوم نصف النهار . ولعلها مؤنث ظهري : البعير المعد للحاجة . المظاظ : المشارة ، والمنازعة .
٦ الشظاظ : خشبة عقفاء تدخل في عروتي الجوالق .

ظَـأبُ الحُداةِ يحثّها ، فإذا ونَتْ   تَفنى بزَجرِ حُداتِها الأفظاظِ[1]
ظَبظابُها ألَمُ المَسيرِ ، ووَقعُها   بيَدَيْ حُداةٍ في المَسيرِ غِلاظِ[2]
ظَلّتْ على المَرعى الخَصيبِ نفوسُنا   متألّمينَ بسائقٍ مِلظاظِ[3]
ظَلنا نُقاسِمهنّ أهوالَ السّرى ،   ونَبيتُ في حَثٍّ بهِ ودِلاظِ[4]
ظَعنٌ يَقُودُ إلى الحَبيبِ نفوسَنا ،   وإلى ابنِ أُرتُقَ جَوهرَ الألفاظِ
ظِلٌّ ظَليلٌ للعُفاةِ فَدُرُّهُ   يُنسيكَ وقدَ جَواهرِ الأقباظِ
ظَهرَ الحَياءُ بوَجهِه ، فترَى بهِ   بِشرَ السّرورِ وهَيبَةَ المُغتاظِ
ظَرُفَتْ خَلائقُهُ ، وأحفَظَ مالَه   فأضاعَهُ ، رُغماً ، على الحُفّاظِ
ظفرٌ بهِ ردّ العُداةَ بغَيظِهم ،   مُذ أنّهم علموا بمَن أنا حاظي
ظلاّمُ جَذبِ الظّالمينَ بصارِمٍ ،   قد خاطَبَ الغُلَظاءَ بالإغلاظِ
ظلّتْ ظُباه، إذ غدتْ تَعظُ الوَرى،   إنّ الرّؤوسَ مَنابرُ الوُعّاظِ
ظامٍ إلى نَهلِ الدّماءِ ، فهَمُّهُ ،   يومَ الهِياجِ ، تَشَتّتُ الأشواظِ
ظَمئتْ مضارِبُ غفرتَيه، فأصبحتْ   من عَدَمِ اللّهواتِ ذاتَ لَماظِ[5]
ظَنّي جَميلٌ فيكَ يا مَن أصبحَتْ   تَرنُو إلى نَعمائِهِ ألحاظي
ظَفِروا بظلّكَ ، يا مليكُ ، فإنّهم   بوَلاكَ قد فازوا بخَيرِ حِفاظِ
ظُرّانُ أرضِكَ للسّماءِ قد اغتدَتْ،   بكَ، في مفاخرَةٍ وفَرطِ غِياظِ[6]

---

١ الظأب : الصياح .
٢ الظبظاب : الوجع ، والعيب .
٣ الملظاظ : المثابر على الشيء .
٤ الدلاظ : الإسراع .
٥ قوله : غفرتيه ، هكذا في الأصل ، ولم نجدها. اللماظ ، من لمظ: أخرج لسانه بعد الأكل أو الشرب فمسح به شفتيه . والشيء يذاق .
٦ الظران : الحجارة .

قافية العين

عَذلُ العَواذلِ في هَواكَ مُضَيَّعُ، هَبْ أنّهم عذَلوا، فمن ذا يَسمعُ
عذلوا، ولو عذَلوا بأربابِ الهوَى، ما حاوَلوا ما ليسَ فيهِ مَطمَعُ
علموا بأنّكَ هاجري، فتوَهّموا أنّي لذلكَ بالمَلامَةِ أُردَعُ
عَدّوا صِفاتِكَ فانثنَيتُ بلَومهم، واللّومُ فيهِ ما يضرّ ويَنفَعُ
عَذّبتَ بالهِجرانِ صبّاً ما لَهُ حتّى المَماتِ إلى سواكَ تَطلّعُ
عارٌ يُناديهِ الهوَى، فيُجيبُهُ طَوعاً، ويَدعوهُ الغَرامُ فيَسمعُ[1]
عَينٌ تَنامُ، إذا هجرتَ، لعلّها بخَيالِ طَيفِكَ في المَنامِ تُمتَّعُ
عَطْفُ الخَيالِ بأن يُلِمّ، فإنّني أرضَى بإلمامِ الخَيالِ، وأقنَعُ
عَجَباً لهُ يَسخُو، ويَسطو نائياً عنّي، ويَمنحُني الوِصالَ ويَمنَعُ
عُد بالجَميلِ، كما عَهِدتُ، فإنّه لم يَبقَ في قوسِ التّصبّرِ مَنزَعُ
عَسفاً صَبرتُ على هواكَ، لأنّني إن لم ألَذْ بالصّبرِ، ماذا أصنَعُ
عَلّ الزّمانَ يردّ أيّامَ الرّضَى، أو أنّ ساعاتِ التّواصُلِ تَرجعُ
عزّ الشّفيعُ إلى الزّمانِ، وإنّني بسِوى يَدِ المَنصورِ لا أتَشفّعُ
عَلَمٌ لَنا منهُ الخِلافَةُ مَنصِبٌ، نجمٌ لَهُ أفقُ المَعالي مَطلَعُ
عَضُدٌ لِوا الإسلامِ مَشدودٌ بهِ، رُكنٌ لدينِ اللهِ لا يتَزَعزَعُ
عَبلٌ، إذا لاقَى العُداةَ بمَعرَكٍ، سِيّانِ منهم حاسِرٌ ومُدَرَّعُ

---

[1] العار: السيد.

عَذْبٌ ، مَرِيرٌ ، عابسٌ ، متبَسِّمٌ ، ناءٍ ، قريبٌ ، مُبطىءٌ ، مُتَرَعرِعُ[1]
عالي المَراتبِ تَخضَعُ الدّنيا لَهُ ، طَوعاً ، وتحسُدُه النّجومُ الطُّلّعُ
عُهِدَتْ يداهُ بالسّماحِ فاصبحتْ تَرجو مَواهِبَهُ الخَلائقُ أجمَعُ
عَلَمَ الخَلائقَ من نداهُ بوابلٍ غَدِقٍ سَحائبُ جُودِه لا تُقطَعُ[2]
عَبِقَ الثّناءُ ، ففَرّقَتْ أموالَهُ كَفٌّ لشَملٍ بالسّماحِ تُجَمِّعُ
عَجِلَتْ يَداهُ على عِداهُ بصارِمٍ بَرقُ المَنيّةِ مِن سَناهُ يَلمَعُ
عَضبٌ إذا ما قامَ يوماً خاطباً ، فالهامُ تَسجُدُ والجَماجمُ تَركَعُ
عَطشانُ من طولِ الضّرابِ ، وإنّه بسِوى الدّماءِ غَليلُهُ لا يُنقَعُ
عَصَفَتْ رِياحُ المَوتِ مِن شَفَراتِه ، فتَكَلّمَتْ فيهِ الطّباعُ الأربَعُ
عَلِقَتْ يدي بكَ يا أبا الفَتحِ الذي نَصْرُ الأنامِ على عُلاهُ أجمَعُ
عِلماً بأنّ الجُودَ فيكَ صَنيعَةٌ ، طَبعٌ ، وذلك في سواكَ تَطَبّعُ
عِشْ في نَعيمٍ لا يُنَقّلُ ظِلُّهُ ، وعُلًى يَذِلُّ بها الزمانُ ويَخضَعُ

---

١ المترعرع ، من ترعرع الولد : نشأ وشب .
٢ علم : وسم .

قافية الغين

غَيرُ مُجدٍ مع صِحّةٍ وفَراغٍ   طولُ مُكثي، والمجدُ سهلٌ لباغي
غَفَلَتْ هِمّتي عن السّعيِ، حتى   بَلّغَتني الأيّامُ شرّ بَلاغِ
غالِطٌ مَن يَحُطّ عن صَهوَةِ العِـ   ـزّ ويَرضَى بمَوقعِ الأرساغِ
غِبْ عن الهمّ يَصفُ عيشُكَ يا صا   حِ، ولا تَنثَنِ إلى الفُرّاغِ
غَنّ لي باسمٍ لِيَلي عسَى ويومُ البا   غي فيهِ لهُ يوم عينِ الباغِ[1]
غابَ عَنّا الرّقيبُ وابتَدَرَ الـ   ـسّاقي على الكؤوسِ والفُرّاغِ[2]
غَنِجُ الطّرفِ ذُو خَدّ أسيلٍ   لم يزَلْ من دِمائِنا في الصّباغِ
غالَ فينا وجارَ في القَتلِ حتى   تَسلسَلَتْ عقارِبُ الأصداغِ[3]
غَصّتِ الرّاحُ بالمِزاجِ، فجاشَتْ   بحَبابٍ، يحكي الثّغورَ، سباغِ[4]
غضبتْ، فانثَنَتْ تُوَسوِسُ في العقـ   ـلِ شياطينُ فكرِها في النّزّاغِ[5]
غَيّرَتْ صِبغَةَ الدّنانِ بنُورٍ،   هوَ للكأسِ أحسنُ الأصباغِ
غَسَقٌ خِلتُ أنّ وَجهَ أبي الفتـ   ـحِ جلاهُ بنُورِهِ البزّاغِ
غَيثُ جُودٍ إن هَمّ للقَصدِ راجٍ،   ووَبالٌ إن هَمّ بالجَوْرِ باغِ

١ هذا البيت مختل الوزن . عين الباغ : لعله يوم كانت فيه موقعة .
٢ قوله : على الكؤوس والفراغ ، هكذا في الأصل .
٣ هذا البيت مختل العجز غامضه .
٤ سباغ ، من سبغ : كمل ، امتد ، اتسع .
٥ النزاغ ، من نزغ الشيطان بينهم : أغرى .

غَدِقُ الجُودِ بَعدَما هوَ مُمْطِرُ شربِ الخيلِ والمطيِّ الرّواغي
غافِرٌ للذّنوبِ بَعدَ اقتدارٍ ، عائِدٌ للصّلاةِ بَعدَ الفَراغِ
غابنٌ للمالِ أن يَجُودَ عليْهِ جُودُ أسيافِهِ على كلّ باغِ
غرَسَ الجُودَ في الوَرى وأسراهُ بِكَثْرِ الغَرسِ في بطونِ الأواغي[1]
غَمَرَ العالمينَ نائِلُ كَفَيْهِ ببَذلِ النّوالِ والإسباغِ
غَشِيَ الحَربَ يَهتَدي بحُسامٍ عارِفٍ بالنّحورِ والأصداغِ
غاصَ في لُجّةِ المَفارِقِ حتى خصَمَ العقلَ في مقَرّ الدّماغِ
غادَرَ الشُّهبَ كالعَجاجةِ دُهماً ، وسَناها مَخضوبَةَ الأرساغِ
غارَةٌ لم يَخَفْ بها زَجرَ قومٍ ، لَيسَ تَخشَى الأسودُ نَغوَةَ ثاغِ[2]
غبطَةٌ فيها الخَلائِقُ إذ بِتُّ ، ودهر مُصغٍ إليّ وصاغِ
غُصَصُ الدّهرِ قَبلَهُ أخلَصَتني ، فانثَنَيتُ للنّاسِ نَشرَ مساغِ[3]
غَيرَ أنّ العَزائِمَ الأُرتُقيّاتِ حَمَتني من صَرفِهِ الرّوّاغِ
غُضّ طَرفُ الأعداءِ عنكَ أبا الفتحِ وباتَتْ قلوبُهم في ارتياغِ[4]
غَيظُ أهلِ النّفاقِ منكَ وأمسَى كلُّ ضارٍ من خوفه وهوَ صاغِ
غاضَ منهُ ماءُ الحَياةِ فَبادَتْ حَذَراً من سِنانِكَ اللّدّاغِ
غَمّ أعداءَ لا برحتَ بمُلكٍ آمناً مِن شَوائبِ الارتياغِ

---

١ الاواغي : مفاجر المياه في المزارع ، الواحدة واغية .
٢ النغوة : النغمة الحسنة . الثاغي ، من ثغت الشاة : صوتت .
٣ مساغ مصدر ميمي من ساغ الشراب : سهل .
٤ الارتياغ : الطلب ، ولعله أراد بها الارتياع ، الفزع .

قافية الفاء

فَتَكُ اللّواحظِ والقُدودِ الهيفِ ... أغرَى السُّهادَ بطرفيَ المَطروفِ
فجهلتُ تَضعيفَ الجُفونِ ، وإنّما ... ضُعفُ القُلوبِ بذلكَ التّضعيفِ
في كلّ يومٍ للّواحظِ غارَةٌ ... شُغِفَتْ بنَهبِ فُؤاديَ المَشغُوفِ
فترَتْ وما فتَرَ القتالُ وأُضعِفَتْ ، ... وفعالُها بالفَتكِ غيرُ ضَعيفِ
فلَئن سطَتْ أيدي الفِراقِ وأبعدتْ ... بَدراً تَحَجّبَ نصفُهُ بنَصيفِ
فلَكَم نَعِمتُ بوَصلِهِ في مَنزِلٍ ... قد طابَ فيهِ مَربَعي ومَصيفي
فارَقتُ زوراءَ العِراقِ ، وإنّ لي ... قَلباً أقامَ برَبعِهِ المألُوفِ
فلأثنِيَنّ إلى العِراقِ أعِنّتي ، ... وأُطيلُ في تلكَ الدّيارِ وُقُوفي
فيها بُدورٌ في خِلالِ مَضارِبٍ ، ... وشُموسُ دَجنٍ من وراءِ سجوفِ
فاقَتْ بكلّ مُقَرطَقٍ ومُشَنَّفٍ ، ... والحسنُ بينَ قراطقٍ وشُنُوفِ
فاتَ المرادُ ، فبِتُّ أقرَعُ بَعدَهم ... سنّي ، وأصفُقُ ، إذ نأيتُ ،كفوفي
فرداً أُعَلِّلُ من لِقاهم بالمُنى ، ... وأعيشُ بَعدَ القومِ بالتّسويفِ
فصلَتْ ملازَمَةُ السَّقامِ مَفاصلي ، ... بيَدِ البُعادِ ، وأنكَرَتْ تَعريفي
فعُرِفتُ بالحبّ المُبَرِّحِ مثلَما ... عُرِفَتْ يَدُ المَنصورِ بالتّصريفِ
فخرُ المُلوكِ ، ونجمُها،وهلالُها ، ... غوثُ الطّريدِ ومَلجأُ المَلهوفِ
فكرٌ يُدَوِّرُ في أُمورِ زَمانِهِ ... طَرفي ، خَبير في الزّمانِ عَروفِ
فَجرٌ ، إذا ما الظّلمُ أظلَمَ لَيلُهُ ، ... جلّى دُجاهُ بعَدلِهِ المَوصوفِ

فَرضٌ على أسيافِهِ وبَنانِهِ بالعَدِّ رَدَّدَهُ وصَرفِ صُرُوفِ
فتكَتْ يَداهُ بالنُّضارِ ، فأتلَفَتْ ما ضَمَّهُ من تالِدٍ وطَريفِ
فشِعارُهُ في الحَربِ فلُّ مَقانبٍ ، وصَنيعُهُ في السِّلمِ بَذلُ أُلوفِ[1]
فرَقَ الزَّمانَ بحالتَيهِ ، فدَهرُهُ يومانِ : يومُ ندًى ويومُ حُتوفِ
فلِذاكَ آنَستِ الوُقُوفُ برَبعِهِ ، نارَينِ نارِ وَغًى ونارِ مَضيفِ
فَهمٌ ، ولكن في مَسامعِ فَهمِهِ صُمٌّ عن التَّقييدِ والتّعنيفِ
فنَدُ العواذِلِ في السَّماحِ يزيدُهُ جُوداً ، ويُرجِفُهم برُغمِ أُنوفِ
فلَّ الجيوشَ بعزمَةٍ ملكيّةٍ ، تُغنيهِ عن خَطّيّةٍ وسُيوفِ
فَصلُ القَضا متَتابِعٌ لقَضائِهِ ، تُلقَى إليهِ أزمَّةُ التّشريفِ
فضلٌ بهِ فضَلَ الأنامَ ، وهِمّةٌ رَكِبَ العلوَّ بها بغَيرِ رَديفِ
فُهنا بنَظمِ حَديثِهِ مع أنّنا ، ما إن نَرومُ بهِ سوى التّشريفِ
فُزنا بهِ الفَوزَ العَظيمَ من الرّدى ، وأمِنّا في مَغناهُ كلَّ مَخوفِ

---

١ المقانب ، الواحد مقنب : الجماعة من الخيل تجتمع للغارة .

قافية القاف

قِفي وَدّعينا قَبلَ وَشْكِ التّفَرّقِ ، فَما أنا مَن يَحيا إلى حينَ نَلتَقي
قضَيتُ وما أودى الحِمامُ بمُهجَتي ، وشِبتُ وما حَلّ البَياضُ بمَفرِقي
قَضَيتِ لَنا في الذّلّ في مذهبِ الهوَى ، ولم تَفرِقي بَينَ المُنَعَّمِ والشّقي
قَرَنتِ الرّضَى بالسُّخطِ والقربَ بالنّوَى ، ومَزّقتِ شَملَ الوَصلِ كلَّ مُمَزَّقِ
قَبِلتِ وصايا الهَجرِ من غَيرِ ناصحٍ ، وأحيَيتِ قولَ الهجرِ من غيرِ مُشفِقِ
قَطَعتِ زَماني بالصّدودِ وزُرتِني عَشيّةَ زُمّتْ للتّرَحّلِ أينُقي
قضَى الدّهرُ بالتّفريقِ فاصطَبِري لَهُ ولا تَندَمي أفعالَهُ ، وترَفّقي
قَبيحٌ بنا ذَمُّ الزّمانِ ، وإن جَنَى ، إذا كانَ فيه مِثلُ غازي بنِ أرتُقِ
قِوامٌ لدينِ اللهِ قد حَفِظَ الوَرَى بعَينٍ متى تَنظُرْ إلى الدّهرِ يُطرِقِ
قريبٌ إذا نُودي ، بَعيدٌ إذا انتَمَى ، عَبوسٌ إذا لاقَى ، ضَحوكٌ إذا لُقي
قَسَا قَلبُهُ جُوداً على المالِ فاغتَدَى يَجُورُ على أموالِهِ جَورَ مُحنَقِ
قَلائدُ أعناقِ الرّجالِ هِباتُهُ ، ترَى النّاسَ منها كالحَمامِ المُطَوَّقِ
قضَى بتلافِ المالِ في مَذهَبِ العَطا ، فجادَ إلى أن قالَ سائلُهُ : ارفُقِ
قضَتْ عنهُ قَومٌ إذ رأتْ فيضَ جودِه ، ومَن لم يبِنْ عن مَهبِطِ السّيلِ يَغرَقِ
قويُّ السّطا لو خاصَمَ الدّهرُ بأسَهُ غَدا خاسراً في درعِهِ المُتَمَزِّقِ
قصيرُ الخُطى نحوَ المَعاصي ، وإنّها طِوالٌ ، إذا ما جالَ في صَدرِ فَيلَقِ
قَديرٌ على جَيشِ اللُّهَى غيرُ قادرٍ ، تَقيٌّ لأهوالِ الوَغى غَيرُ مُتّقِ

قنى الحمدَ ثوباً للفخارِ ، وإنّهُ ... على جِدّةِ الأيّامِ لم يتخرّقِ
قُدِ العزمَ ، وابقَ يا أبا الفتحِ سالماً، ... فقد خَفَضَ الدّهرُ الجناحَ لترتقي
قد استبشرتْ منكَ اللّيالي ، وإنّما ... بشاشتُها في غيرِكم للتملّقِ
قريبٌ من الدّاعي، فمن يبغِ نُصرةً ... يجدْك،ومن يطلبْكَ في الضّيقِ يلحقِ
قسمتَ على الورّادِ رزقاً قسمتَهُ ، ... وقلتَ لها : ممّا رزقناكِ أنفقي
قصدناكَ ، يا نجمَ الملوكِ ، لأنّنا ... رأينا الورى من بحرِ جُودِكَ تستقي
قطعنا إليكَ البيدَ نُهدي مدائحاً ، ... جواهرُها من بحرِكَ المُتدفّقِ
قصائدُ في أبياتِهِنّ مقاصِدٌ ... تردّدَ في أحداقِها سحرُ منطِقِ
قوافٍ ، إذا ما جُزنَ في سمعِ ناقدٍ ... فعلنَ بهِ فعلَ السُّلافِ المُعتّقِ
قدِمتُ بمدحي زائراً ، فلقيتَني ... بحُسنِ قبُولٍ للرّجاءِ مُحقّقِ
قليلٌ إلى أرضِ العراقِ تطلّعي ، ... وجُودُكَ قيدٌ بالمكارِمِ مُوثِقي
قصرتْ بمغناكَ الحوادِثُ إذ رأتْ ... بحبلِكَ من دونِ الأنامِ تعلُّقي

قافية الكاف

كُفّي القِتالَ ، وفُكّي قَيدَ أسراكِ ،   يَكفيكِ ما فعَلَتْ بالنّاسِ عَيناكِ

كَلّتْ لِحاظُكِ ممّا قد فتكتِ بنا ،   فمَن تُرى في دَمِ العُشّاقِ أفتاكِ

كَفاكِ ما أنتِ بالعُشّاقِ فاعِلَةٌ ،   لو أنصَفَ الدّهرُ في العُشّاقِ عَزّاكِ

كَمَلَتِ أوصافَ حُسنٍ غيرِ ناقصَةٍ ،   لو أنّ حُسنَكِ مَقرُونٌ بحُسناكِ

كيفَ انثَنَيتِ إلى الأعداءِ كاشفَةً   غَوامضَ السّرّ لما استَنطَقوا فاكِ

كتَمتُ سِرّكِ حتى قالَ فيكِ فَمي   شِعراً ، ولم يَدرِ أنّ القَلبَ يَهواكِ

كِدتِ المحبَّ فما أنتِ بطالبَةٍ   فَنا مُحبّكِ مع إشماتِ أعداكِ

كافَيتِني بذُنُوبٍ لَستُ أعرِفُها ،   فسامحي واذكري مَن لَيسَ يَسلاكِ

كَلّفتِني حَملَ أثقالٍ عَجزتُ بها ،   وحَبّذا ثِقلُها إن كانَ أرضاكِ

كابدتُ هولَ السُّرى في البِيدِ مُكتسباً   مالاً ، وما كنتُ أبغي المالَ لولاكِ

كلاّ ، ولا بِتُّ أطوي كلَّ مُقفِرَةٍ ،   ومَهمَهٍ لم تَسِرْ فيهِ مَطاياكِ

كأنّ فيهِ السّما والأرضَ واحدةٌ ،   ونُوقُنا نُجُبُ نُورٍ تحتَ أملاكِ

كبَتْ من الأينِ فيهِ ناقَتي ، فغدَتْ   تَشكُو إليّ بطَرفٍ شاخصٍ باكِ

كَوماءُ تَسحَبُ من سُقمٍ مَناسِمَها   كأنّ أرجُلَها شُدّتْ بأشراكِ

كفّتْ عن السّيرِ للمَرعَى مُحاوَلَةً ،   فقلتُ : سيري إلى مرعى النّدى الزّاكي

كرّتْ ، وقالت : إلى من ذا؟ فقلتُ لها :   إلى أبي الفَتحِ مَولانا ومَولاكِ

كَهفُ الضّيوفِ ووهّابُ الألوفِ وجدَ   اعُ الأنوفِ ، وأمنُ الخائفِ الشّاكي

كريمُ أصلٍ يُعيدُ الرّوحَ مَنظَرُهُ ، فلو قَضَيتِ ، بإذنِ اللهِ ، أحياكِ
كَساكِ من سُندسِ الإنعامِ أرديَةً ، حتى كأنّ جِنانَ الخُلدِ مأواكِ
كُلي هَنيئاً ، ونامي غَيرَ جازِعَةٍ ، في مَربَعٍ فيهِ مَرعانا ومَرعاكِ
كانَ الرّجاءُ بلُقياهُ يُعَلّلُني ، وحادِثاتُ اللّيالي دونَ إدراكي
كذا طلابُ العُلى ، يا نفسِ ، مُمتنِعٌ ، فإن صَبَرتِ لهُ نالَتهُ كَفّاكِ
كَواكبُ القَطرِ إلاّ أنّ راحتَهُ إن أمسَكَ القَطرُ لا تَعبا بإمساكِ
كفٌّ حكَى وابلَ الأنواءِ وابلُها ، حتى غَدا يَحسُدُ المَحكيَّ للحاكي
كم أبكتِ البيضَ في كفّيه إذ ضَحكتْ عَيناً ، وأضحَكَ سِنّاً مالُه الباكي
كلٌّ الأنامِ ، لِمَا أولاهُ ، شاكرَةٌ ، فَما لَهُ غَيرُ بيتِ المالِ من شاكِ
كُن كَيفَ شئتَ بأمنِ اللهِ يا مَلِكاً ، أضحَتْ عَزائمُه أقطابَ أفلاكِ
كَفَيتَنا منكَ مَنّاً لو وُصِفتَ بهِ لظَنّ ذلكَ منّا نَوعَ إشراكِ
كذاكَ لا زِلتَ تَكفي كلَّ ذي جسدٍ فتكَ الخُطوبِ بعَزمٍ منكَ فتّاكِ

قافية اللام

لم أدرِ أنّ نِبالَ الغُنجِ والكَحَلِ ، تحتَ السّوابغِ تُصمي مُهجَةَ البَطَلِ
لعَلّ طَرفَكَ من أسمائِهِ ثُعَلٌ ، كذلكَ الرّميُ مَنسُوبٌ إلى ثُعَلِ[1]
لَواحظٌ حاذَرَتْ ألحاظَنا ، فغدَتْ بصارِمِ الغُنجِ تَحمي وَردَةَ الخَجلِ
اقَد تَعَدّتْ علَينا غَيرَ راحمَةٍ ، فظَلّلَ الحُسنُ ظِلاً غيرَ مُنتَقِلِ
للهِ لَيلَتُنا بالمَجمَعَينِ ، وقد حالَتْ ، وتَذكارُها في القَلبِ لم يَحُلِ
لَيلٌ تَنَعّمْتُ في وَصلِ الفَتاةِ بهِ ، حتى تَوَهّمتُ أنّ البَدرَ من قِبَلي
لمياءُ جادَتْ لَنا بالوَصلِ ، إذ علِمتْ أنّ التّرَحّلَ قد زُمّتْ بهِ إبلي
لَزّتْ إلى صَدرِها صَدري مُوَدِّعَةً ، وزَوّدَتْني من الإرشافِ والقُبَلِ
لمّا أحَسّتْ بوَشْكِ البَينِ فانسفَحَتْ دموعُ مُنتَحِبٍ في إثرِ مرتَحِلِ
لاحتْ صروفُ النّوى حزناً وقد نثرَتْ عَقيقَ أدمُعِها من نَرجسِ المُقَلِ
لَجّتْ ، فقُلتُ لها كَيما أُعَلّلَها ، كَمَن يُعَلّلُ بَعدَ النَّهلِ بالعَلَلِ
لَعَلّ إلمامَةً بالجِزعِ نابتَةً ، كَيما يَهبّ نَسيمُ البُرءِ في عِلَلي
لَوَتْ إليّ عِنانَ الذّلّ قائلَةً : عَلامَ تَعجَلُ الأسفارِ والنُّقَلِ
لمن تُؤمّلُ بالإعسارِ ؟ قلتُ لها : على ابنِ أرتُقَ ، بَعدَ اللهِ ، متّكَلي
الباسِمِ الثّغرِ ، والأبطالُ عابسَةٌ ، والمُخصِبِ الرَّبعِ ،والأرضونَ في مَحَلِ
لمن أضاءَتْ بنُورِ اللهِ دولَتُه ، كأنّها غُرّةٌ في جَبهَةِ الدّوَلِ

---

[1] ثعل : قبيلة مشهورة بالرماية .

لهُ يَراعٌ ، وعَضبٌ ما جرَى وبرَى ... إلاّ قضَى ،ومضَى بالرِّزقِ والأجَلِ
لُذنا بهِ ، فرأينــا من مَناقِبِهِ ... ما لا تُشاهِدُهُ الأبصارُ في رَجُلِ
لَيثٌ أضافَتْ سَجاياهُ حَماستَهُ ... إلى السَّماحِ ، وناطَ العِلمَ بالعَمَلِ
لكَ الفَضائلُ ، يا نجمَ المُلوكِ ، لقد ... جرَيتَ في المَجدِ جَريَ النَّومِ بالمُقَلِ
لَزِمتَ حَدَّ التّقَى عن كلّ فاحشَةٍ ، ... حتّى كأنّكَ مَعصُومٌ عن الزَّلَلِ
لرُبَّ لَيلِ عَجاجٍ كانَ أنجمَهُ ... شُهبُ الصِّفاحِ وأطرافُ القَنا الذُّبُلِ
لذَّ الوَغَى للمَواضِي ، فانثنَتْ طرَباً ... به ، وماسَ القَنا كالشّارِبِ الثَّمِلِ
لولا فرارُ الأعادي من يَديكَ بهِ ، ... لأصبَحُوا في فَمِ الأيّامِ كالمَثَلِ
لَقيتَهُم بجِيادٍ قد كَفِلتَ لهـا ... أن لا ترى الشّوسُ منها صورةَ الكَفَلِ
لي أيّها المَلِكُ المَنصورُ فيكَ فَمٌ ... ما صاغَ قَبلَكَ تِبرَ المَدحِ في رَجُلِ
لهَوتُ عن مَدحِ أهلِ الأرضِ مرتفعاً ... عنهم ، وعضبُ لساني غيرُ ذي فَلَلِ
لو كانَ مثلُكَ مَوجوداً نَظَمتُ بهِ ... أضعافَ ما نَظَموا فيهِ ذوُو الطَّوَلِ
لكَ الوِلايةُ ، فارْقَ في عُلاكَ على ... هامِ السِّماكِ بعِزٍّ غيرِ مُنتَقِلِ

قافية الميم

مَغانمُ صَفو العَيشِ أسنى المَغانمِ ، هيَ الظّلّ ، إلاّ أنّهُ غَيرُ دائمِ
ملَكتُ زِمامَ العَيشِ فيها ، وطالمَا رَفعتُ بها أُولى وقوعِ الجَوازِمِ
مَغاني الحِمى جادَتْ سَحائبُ أدمُعي علَيكِ ، إذا جَفّتْ جفونُ الغَمائمِ
ملاعبُ لَهوٍ كم قَضَيتُ برَبعِها لُباناتِ أيّامِ الصِّبا المُتَقَادِمِ
منَ الجانبِ الغَربيّ من أرضِ بابلٍ مَعاهدُ أُنسٍ مُشرِقاتُ المَباسمِ
مَعالمُ بَينَ القَلعتَينِ ، وإنّما مَحَلُّ المَعالي بَينَ تلكَ المَعالمِ
مكَثتُ بها دَهراً ، وعَيني قَريرَةٌ بها، ورواقُ العزّ عالي الدّعائمِ
مَقيلي ظُهورُ الصّافِناتِ ، ومُؤنِسي رِياضُ الكَلا دونَ الحَشايا النّواعمِ
مَنيعُ يَقيني ضَيمُ كلّ غَضَنفَرٍ طَويلِ نِجادِ السّيفِ ماضي العزائمِ
متى جادَ نادَى مالُهُ يا لطارِقٍ ، وإن سارَ نادى عِرضُهُ يا لسالِمِ
مَواضِي سرورٍ لا انتِفاعَ بذِكرِها ، إذا لم أُعِدها بارتِكابِ العَظائمِ
مُنَبِّـهُ عزمٍ إنّهُ غَيرُ راقِدٍ ، ومُوقِظُ حزمٍ إنّهُ غَيرُ نائمِ
مطَلتُ السُّرَى حتى مَلَلتُ ، كأنّما عليّ مَقامُ الذلّ ضربَةُ لازمِ
منَعتُ عن التّرحالِ عِيسِي ، ومنعُها عن المَلكِ المَنصورِ إحدى العَظائمِ
مَليكٌ جبالُ الأرضِ من حِلمِه انتشتْ ، وأبحرُها من جُودِهِ المُتَلاطِمِ
مُفَرِّقُ شَملِ المالِ بعدَ اجتماعِه ، وفي راحتَيهِ جَمعُ شَملِ المَكارِمِ
مَواهبُهُ وَقفٌ على كلّ طالبٍ ، وأسيافُهُ حَتمٌ على كلّ آثِمِ

مُقيمٌ بآياتِ النّدى كلَّ قاعِدٍ ، كما أقعَدَتْ أسيافُهُ كلَّ قائِمِ
مَحَلٌّ الرّدى في سَيفِهِ وسِنانِهِ ، وبحرُ النّدى في كَفّهِ والبَراجِمِ[1]
مَحا بِسَطاهُ ذكرَ عمرٍو وعَنترٍ ، وأحيَا نَداهُ ذكرَ مَعنٍ وحاتِمِ[2]
مَكارِمُ كَفٍّ لا تَزالُ بها الوَرى مُطَوَّقَةً أعناقُها كالحَمائِمِ
مُعَوَّدَةٍ بالبَسطِ ، إلاّ إذا غدَتْ بمَتنِ يَراعٍ ، أو بقائِمِ صارِمِ
مُشيدُ العُلى لا تارِكٌ خلّةَ النّدَى ، ولا سامعٌ في الجُودِ لَومَةَ لائِمِ
مُصِرٌّ على بَذلِ الهِباتِ يَسُرّهُ ، إذا أصبَحَتْ أموالُهُ بالمَآتِمِ
مَزيدُ العَطا لا يُلحِقُ الجُودَ مِنّةً ، ولا يُتبِعُ الأموالَ حَسرَةَ نادِمِ
مَضيفُ الوَرى مثلُ الرّبيعِ برَبعِهِ ، وأيّامُهُم في ظِلّهِ كالمَواسِمِ
مرَرْنا حُفاةً في مَقادِسِ رَبعِهِ ، كأنّا مُشاةٌ فوقَ هامِ النّعائِمِ[3]
مَشَينا ، ولَو أنّا وفَينا بحَقّهِ ، مَشَينا على الأحداقِ دونَ المَناسِمِ
مدَى الدّهرِ لا زالَتْ تحُجّ بنُو الرَّجا إلَيهِ ، وتَحظَى بالغِنى والغَنائِمِ

---

١ البراجم : مفاصل الأصابع أو العظام الصغار في اليد والرجل ، الواحدة برجمة .
٢ عمرو : هو ابن معدي كرب أحد أبطال العرب . معن هو ابن زائدة ، وحاتم طي : كلاهما من أجواد العرب .
٣ النعائم : منزل من منازل القمر .

قافية النون

نَعَمْ لقُلوبِ العاشقينَ عيُونُ ، يَبِينُ لها ما لا يَكادُ يَبِينُ
نَظَرنا بها ما كانَ قَبلُ من الهوَى ، فدَلّ على ما بَعدَها سيَكونُ
نَهانا النُّهَى عنها ، فلَجّتْ قلوبُنا ، فقُلنا : اقدُمي ! إنّ الجنونَ فُنُونُ
نَغُضّ ونَعفُو للغَرامِ ، إذا جنَى ، ويَقسُو علَينا حكمُهُ ، فنَلِينُ
نَرُدّ حدودَ المُرهَفاتِ كَليلَةً ، وتَفتُكُ فينا أعينٌ وجُفُونُ
نُهَوّنُ في سُبلِ الغَرامِ نُفُوسَنا ، وما عادَةً ، قَبلَ الغَرامِ ، تَهُونُ
نُطيعُ رِماحاً فَوقَهن أهلّةٌ ، وكُثبانَ رَملٍ فوقَهنّ غُصونُ
نَواعِمُ شَنّتْ في المُحبّينَ غارَةً بها اللّدنُ قَدٌّ ، والسّهامُ عيُونُ[1]
نِبالٌ ، ولكنّ القِسِيّ حَواجبٌ ، نِصالٌ ، ولكنّ الجُفُونَ جُفُونُ[2]
نَهَبنَ قلوبَ العاشقِينَ ، وغادَرَتْ بجِسمي ضَنًى للقَلبِ منهُ شُجونُ
نُحولٌ وصَبرٌ قاطنٌ ومُقَوَّضٌ ، ودَمعٌ وقَلبٌ مُطلَقٌ ورَهِينُ
نُسَهِّلُ أحوالَ الغَرامِ تَجَلّداً ، وإنّ سُهُولَ العاشقِينَ حُزُونُ
نُتابعُهُ طَوراً ، ولا عُروَةُ الهوَى بوُثْقَى ولا حَبلُ الزّمانِ مَتينُ
نَظُنّ جَميلاً في الزّمانِ ، وإنّهُ زَمانٌ لتَصديعِ القُلوبِ ضَمينُ
نَرُومُ وُعودَ الجودِ منه ، وقد غدَتْ لدى المَلِكِ المَنصورِ ، وهيَ دِيُونُ

---

١ اللدن : أراد الرمح اللين .
٢ الجفون الأولى : اغماد السيوف . الثانية : جفون العيون .

نَبِيٌّ سَماحٍ قد تُحُقِّقَ بَعثُهُ ، لهُ الرّأيُ وَحيٌ ، والسّماحةُ دِينُ
نَجتْ فِئَةٌ لاذَتْ بهِ ، فتَيَقّنتْ بأنّ طَريقَ الحَقّ فيهِ مُبِينُ
نَخيٌّ ، له العَزمُ الشّديدُ مُصاحِبٌ، سَخيٌّ ، لهُ الرّأيُ السّديدُ قَرِينُ
نجيبٌ ، لوَ انّ البَحرَ أشبَهَ جُودَه ، لمَا سَلِمَتْ من جانِبَيهِ سَفِينُ
نَفَتْ عَنهُ ما ظَنّ العُداةُ عَزائِمٌ ، هيَ الجَيشُ والجَيشُ الخَميسُ كَمِينُ
نَمَتهُ إلى القَومِ الذينَ رِماحُهُمْ قضَتْ في الوَغى أن لا يَضيقَ طَعِينُ
نجُومٌ لها فوقَ السّروجِ مَطالِعٌ ، لُيُوثٌ لها تحتَ الرّماحِ عَرِينُ
نُفوسُهُمُ يومَ الجِدالِ جَداوِلٌ ، وآراؤهم يومَ الجِدالِ حُصُونُ
نَجعنا إلَيهِ من بلادٍ بَعيدَةٍ ، وكلٌّ لهُ حُسنُ الرّجاءِ ضَمِينُ
نَهَضنا لنَستَسقي السّحابَ ، فجادَنا سَحابُ نَدَى كَفّيهِ وهيَ هَتونُ
نُوافيكَ يا مَن قد غدَتْ حرَكاتُه على المُلكِ منها هَيبَةٌ وسُكُونُ
نُجازى بما نأتي إلَيكَ هَديّةً ، فنَحمِلُ دُرّ المَدحِ ، وهوَ ثَمينُ
نَعِمتَ ، ولا زالَتْ ربوعُكَ جَنّةً ، فمَغناكَ حِصنٌ للعُفاةِ حَصِينُ
نَهَبتَ الثّنا والجُودَ والمَجدَ والعُلى، ونِلتَ الأماني ، والزّمانُ سُكُونُ

قافية الهاء

هل علِمَ الطَّيفُ عندَ مَسراهُ، أنّ عيُونَ المحبّ تَرعاهُ ؟
هَيّجَ أشواقَنا بزَورَتِهِ ، ثمّ انثَنى ، والقُلوبُ أسراهُ
هَجَعتُ كَيما يَزورُني قَمَرِي، أعتِبُ طَرفي ظُلماً وألحاهُ
هَلاّ أتَى ، والعيونُ ساهرَةٌ، والنّومُ بالنّوحِ قَد طَرَدناهُ
هُديتَ، يا طيفُ، قل لأهلِ مِنًى إنّ المُعَنّى هَواهُ أفناهُ
هَوًى إلى نَحوِكم يُجاذِبُهُ ، وهوَ الذي في البلادِ أقصاهُ
هاجَرَ لمّا هَجَرتُمُوهُ ، فما أغناهُ عن أهلِهِ ومَغناهُ
هامَ ، ولم يألَفِ البلادَ ، وإن قَرّتْ بتلكَ البلادِ عَيناهُ
هَنيُّ عَيشٍ لولا فراقُكمُ ، أيقَنَ أنّ الجِنانَ مَأواهُ
هَمّتْ بهِ في البلادِ همّتُهُ ، ونالَ بالسّعيِ ما تَمَنّاهُ
هادَنَهُ دَهرُهُ ، وراهَنَهُ ، ورامَهُ مُنعِماً وأرضاهُ
هَذّبَ أخلاقَهُ الزّمانُ ، وقد طَهّرَ مَدحُ ابنِ أُرتُقٍ فَاهُ
هوَ السّحابُ الذي بَشاشَتُهُ بارقُهُ ، والحَيا عَطاياهُ
هَتونُ جُودٍ ، سماحُ راحتِهِ جارَ على مالِهِ ، فأفناهُ
هَمَتْ على النّاسِ سُحبُهُ، فلكم قَتيلِ فَقرٍ ، نَداهُ أحياهُ
هَيهاتَ يُدعَى بالسُّحبِ نائِلُهُ ، فهوَ نُضارٌ ، وتلكَ أمواهُ
هولٌ ، جميعُ الأهوالِ تَرهَبُه، خَطبٌ ، جَميعُ القلوبِ تَخشاهُ

ها إنّ أمرَ الزّمانِ في يَدِهِ ، يَأمُرُهُ تارَةً ويَنهاهُ
هلمّ يا طالبَ النّوالِ إلى مَن فتَكَتْ بالنُّضارِ كفّاهُ
هذا الذي أصبحَ النّدَى مثَلاً يُفصِحُ عن ذِكرِهِ ، وأسماهُ
هادي البرايا بنُورِ طَلعتِهِ ، مُحيي الرّعايا بفَيضِ جَدواهُ
هلالُ أُفقٍ ، تيّارُ مَكرُمَةٍ ، تَهوَى الوَرى حُسنَهُ ، وحُسناهُ
همامُ بأسٍ ، سهلٌ خَلائِقُهُ ، أنكَرنا البُؤسُ مُذ عرَفناهُ
هَمّ بنا قَبلَ أن نَهُمّ بِهِ ، فجادَنا قَبلَ أن سألناهُ
هزّ ليُرضِي العُلى عَزِيمتَهُ ، فأصبحَ المالُ بَعضَ قَتلاهُ
هَوّن بها اللُّهَى ، فلو نَطَقتْ ، يوماً ، لقالَتْ : أعزّكَ اللهُ
هَني بكَ أيّها المَلِكُ المَنصو رُ ، فالدّهرُ فيكَ هَنّاهُ
هَوِيتُ طيبَ الثّنا ، فلا بَرِحتْ تُحدَى إلى نَحوِكم مَطاياهُ
هبّتْ إلى مَدحِكم جَوارِحُنا ، فكُلّها بالثّناءِ أفواهُ

قافية الواو

وحَقِّكَ إنّي قانعٌ بالذي تَهوَى ، وراضٍ ولو حمّلتَني في الهوَى رَضوَى[1]
وهَبتُكَ روحي فاقضِ منها ولا تخَفْ ، لأنّ عِناني نحوَ غَيرِكَ لا يُلوَى
وَهَى جلَدي إن كانَ أضمرَ خاطِري سُلُوّاً ، ولو أنّي قضَيتُ من البَلوَى
وحَقِّكَ قد عزّ السُّلُوُّ ، فمُنّ لي بوَصلٍ ، فإنّ المَنّ أحلى من السَّلوَى
وَجدتُ الهوَى حُلواً ، فلَمّا وَرَدتُهُ تأجّنَ حتى شابَ بالكَدَرِ الصَّفْوَا[2]
وأعقَبتَني مِن خَمرِ حُبّكَ نَشوَةً ، فَها أنا حتى الحشرِ لا أعرِفُ الصّحْوَا
ولَعتُ بذِكرِ الغانياتِ تَموّهاً عن اسمك كيلا يعلَمَ النّاسُ من أهوَى
وأكثَرتُ تَذكاري لحَزوَى ورامَةٍ ، وما رامَةٌ لولا هَواكَ وما حَزوَى ؟[3]
وعَدتَ جَميلاً ثمّ أخلَفتَ مَوعِدي ، فما بالُ وَعدِ الهَجرِ عندك لا يُلوَى
وَصَلتَ العِدى رَغماً عليّ ، وحبّذا لوَ انّكَ أصفَيتَ الودادَ لمن يَسوَى
وحَقٍّ الهوَى العذريّ ، وَهْيَ أليّةٌ تُنَزِّهُ أربابَ الغَرامِ عن الدّعوَى
وِصالُكَ للأعداءِ لا الهَجرُ قاتِلي ، ولكن رأيتُ الصّبرَ أولى من الشّكوَى
وفَيتَ لهم دوني ، فسَوفَ أكيدُهم بصَبري إلى أن أبلُغَ الغايةَ القُصوَى
وإلاّ ، فلا أصحَتْ لنُجبِ عزائمي إلى المَلكِ المنصورِ عُصْبُ الفلا تُطوَى[4]

---

١ رضوى : جبل في بلاد العرب .
٢ تأجن : تغير لونه وطعمه .
٣ حزوى ورامة : موضعان .
٤ العصب : ضرب من البرود .

وَليٌّ لأمرِ المُسلِمينَ ، وحافِظٌ شرائِطَ دينِ اللهِ بالعَدلِ والتّقوَى
وَصُولٌ ، عَبوسٌ ، قاطعٌ ، متبَسِّمٌ ، يُخافُ ويُرجى عنده الحَتفُ والجدوَى
وَليٌّ عن الفَحشا ، سريعٌ إلى النّدى ، بعيدٌ عن المرأى ، قريبٌ من النّجوَى
وبالٌ لمن عاداكَ ، وبلٌ لمن راعا كَ ، قَحطٌ لمن ناواك ، خِصبٌ لمن ألوَى[1]
وَفيٌّ يُجازي المُذنبينَ بعفوِهِ ، ولكِنّهُ عن مالِهِ لا يرَى العَفوَا
ويُصبحُ عن عَيبِ الخَلائقِ لاهِياً ، وعن رَعيِهم بالعَدلِ لا يَعرِفُ السّهوَا
وأبلَجُ قد راعَ الزّمانَ سياسَةً ، وشَنّ على أموالِهِ غارَةً شَعوَا
وصَفنا نَداهُ للمَطيّ ، فأطلَعَتْ يداها ، وسارَتْ نحوَه تُسرِعُ الخَطوَا
وظَلّتْ بها يَكوي الهَجيرُ جُلودَها ، وأخفافُها من لَذعِ قدحِ الحصَى تُكوَى
وبيدٍ عَسَفتُ العيسَ في هَضباتِها ، وأنضَيتُ بالإدلاجِ في وَعرِها النِّضوَا
وَرَدنا بها رَبعاً بهِ مَوردُ النّدَى ، غزيرٌ ، ووَعلُ الجَودِ في ظلّهِ أحوَى
ولُذنا بمَلكٍ لَيسَ يُخلِفُ وَعدَه ، إذا مَوعدُ الوَسميّ أخلَفَ أو ألوَى
ولمّا أنَخنا عيسَنا بفِنائِهِ ، أفادَتْ يَداهُ كلَّ نَفسٍ بما تَهوَى
وأورَدَنا من جُودِ كَفّيهِ نِعمَةً ، وصَيّرَ جنّاتِ النّعيمِ لَنا مأوَى
وحَسبي مِنَ الأيّامِ أنّي بظِلّهِ ، ولي جُودُهُ مَحياً ولي رَبعُهُ أحوَى

---

١ ألوى : جف زرعه .

قافية اللام الف

لا نِلتُ من طيبِ وَصلِكُم أمَلا ، إن أنَا حاوَلتُ عَنكُمُ بَدَلا
لا كانَ يَوماً يَدومُ ، غيرَكُمُ ، قَلبٌ على فَرطِ حبّكم جُبِلا
لامَ عَذولي علَيكُمُ سَفَهاً ، وصارِمُ الحبّ يَسبُقُ العَذَلا
لاحٍ غَدا في الهَوَى يُعَنّفُني ، وكلّما لامَ في الغَرامِ حَلا
لأهلِ نجدٍ عندي عهودُ صِباً ، يَحفَظُها القَلبُ كلّما بَخِلا
لاعِجُ شَوقي إلى لِقائِهِمِ ، يُنَبِهُ قلبي بهِم إذا غَفَلا
لامعُ بَرقِ الغَرامِ يُذكِرُني رَبعاً لقَومٍ من الأنيسِ خَلا
لازَمتُ من دونِهِ القِفارَ ، وقد تركتُ فيهِ الرِّفاقَ والخَوَلا
لاكَتْ بهِ خَيلُنا مَراوِدَها ، ثمّ استَحَبّتْ من بَعدِنا العَطَلا[1]
لأظهُرِ الصّافناتِ خَيّالَةٌ منّا ، وأمّا قلوبُهن ، فَلا
لأقطَعَنّ القِفارَ مُمتَطِياً جَوادَ عَزمٍ للنّجمِ مُنتَعِلا
لئِن هَمَمتُ كانَ لي هِمَمٌ تَفتَحُ لي باهتِمامِها سُبُلا
لا خِفتُ بُؤساً ، ونائلُ الملكِ المَـ ـصورِ للعالمينَ قد كَفِلا
لابِسُ ثَوبِ العَفافِ مدّرِعٌ من سُندسِ المَجدِ والتّقى حُلَلا
لاحَ فقَومٌ تَعُدّ طَلعتَهُ رزقاً ، وقَومٌ تَعُدّهُ أجَلا
لأخصِمَنّ الزّمانَ مُرتَجِلا ، وأنظِمَنّ القَريضَ مُرتَجَلا

---

١ مراودها ، الواحد مرود : حديدة في اللجام .

لاقَ بأمثالِه ، ومُحكَمُهُ   لمن غَدا ذِكرُ حِلمِه مَثَلا
لأغْزَرِ المُنعِمينَ طُولَ نَدًى ،   وأرفَعِ العالمينَ طُورَ عُلى
لأروَعٍ لا تَزالُ راحتُهُ   تَجُودُ للنّاسِ قَبلَما تُسَلا
لاحقُ شأوِ الكِرامِ سابقُهم ،   في جَريِهِ للعُلى ، إذا قَفَلا
لاذَ بهِ الوافدونَ ، فامتَلأتْ   منهُ يَداهم ، وصَدّقوا الأمَلا
لاجيَةٌ من نَدَى يَدَيهِ إلى   رُكنٍ مَشيدٍ لعَيّهِم حَمَلا
لا تَخْشَ يا ابنَ الكرامِ مِن زَمَنٍ   أمَرتَهُ بالصَّلاحِ ، فامْتَثَلا
لاواكَ قَومٌ ، فكانَ حَظَّهمُ   طلٌّ دمٍ في الوَغى وضربُ طُلَى
لاقَيتَهم ، والعجاجُ لو خُضِبَتْ   بهِ فُروعُ الدُّجَى لمَا نَصَلا
لأنتَ من مَعشَرٍ بعَدلِهِمِ   قُوّمَ زَيغُ الزّمانِ ، فاعتَدَلا
لانَ لكَ الدّهرُ بعدَ شِدّتِهِ ،   فَجادَ للنّاسِ بعدَما بَخِلا
لأجلِ ذا أنجُمُ العُلى طَلَعَتْ   بهِ ، ونجمُ الضّلالِ قد أفَلا
لأرْبُعُ المَجدِ منكَ آنِسَةٌ ،   فلا خَلا رَبعُها ، ولا عَطِلا

قافية الياء

يا هِلالاً من سُلطَةِ العَيّ حَيّي ، أشرَقَ الصّبحُ تحتَ لَيلٍ دَجيٍّ[1]
يُوسفيُّ الجَمالِ ، كم تاهَ صَبٌّ في مَعاني جَمالِهِ اليُوسفيِّ
يا فتى في الأعراقِ واللّحظِ واللّفظِ أيُّ حُسنٍ بحُسنِ خَلقٍ سوِيّ
يَستَعيرُ القَضيبُ من قَدّهِ اللّينَ ويزري بالذّابلِ الخَطّيّ
يحاكي العودَ واهبُ القَودِ ، هامي الجودِ ، حتفُ الصّدودِ فَتحُ الوَليّ[2]
يَحمِلُ اللّدنَ للقِتالِ ، ولم تَغنَ بلَدنٍ من قَدّهِ السّمهَريّ[3]
يَرنُو بعَينٍ تُغنيه في قتلِه العُشّاقَ عن كلّ ذابِلٍ يزَنيّ[4]
يَتَلقّى دَمَ القُلوبِ بخَدٍّ زانَهُ نَقطُ خالِهِ العَنبَريّ
يَحتَمي وَردُهُ بنَبلِ لِحاظٍ ، قَوسُها خَطُّ حاجِبٍ مَحنيّ
يَقَقٌ ، مُذ بَدا العِذارُ علَيهِ ، أنبَتَ الآسَ في اللُّجَينِ النّقيّ[5]
يتَجَنّى من بَعدِما باتَ طَوعي ، ويَسقيني منَ المُدامَةِ رَيّ
يَمزُجُ الكأسَ لي ، فإن عزّتِ الرّاحُ سَقاني من ريقِهِ السّكّريّ

١ قوله سلطة العي : لعله اسم موضع .
٢ العود ، بفتح العين : المسن من الإبل . وبالضم : الغصن بعد أن يقطع ، وآلة الطرب المعروفة ، ولم ندرك ماذا أراد . القود : الخيل التي تقاد ولا تركب لكرامتها . الولي : المطر يسقط بعد المطر ، الجار ، الحليف ، الصديق النصير ، ومعنى البيت غامض .
٣ السمهري : الرمح الصلب .
٤ اليزني : الرمح المنسوب إلى ذي يزن أحد ملوك حمير .
٥ اليقق : الأبيض . العذار : جانب اللحية أي الشعر الذي يحاذي الأذن . اللجين : الفضة

يَمنَحُ المُستَهامَ خَمرَ رُضابٍ ، في حَبابٍ من ثَغرِهِ اللّؤلؤيّ
يَهتِكُ اللّيلَ نُورُها ببُروقٍ أذكَرَتنا بَرقَ الحِمَى الأرتقيّ
يا حُداةَ المَطيّ ها نُورُ نجمِ الـ ـدّينِ قد لاحَ يا حُداةَ المَطيّ
يَمِّمُوا نَحوَهُ تَلقَوا سَماحاً ، ووَلِيّاً يَجُودُنا بوَليّ
يَرِدُ الرّكبُ منهُ بحرَ سماحٍ ، من وِلا الجُودِ ، بَحرٍ رَوِيّ
يَقِظٌ قد رَعَى الأنامَ بطَرفٍ ، رَدّ عَنهُ الرّدى بطَرفٍ عميّ
يافعٌ ، شَديدُ المَعالي ، ووا فى الحُكم من قَبلِ رُشدِهِ المَرضِيّ
يَمُّ جودٍ جادَتْ على النّاسِ كفّا هُ ، فأغنَتْ عنِ الحَيا الوَسميّ
يَتّقي الهَولَ منهُ طَوراً ، وطوراً جُودُهُ سَعدٌ لكلّ شَقيّ
يقسِمُ الدُّولَ بالسَّطا والعَطايا بَينَ يَومَي إقامَةٍ ومَطيّ[1]

---

[1] قوله : الدول ، هكذا في الأصل

فهرست القوافي

ء

ب

ت

ث

ج

ح

خ

د

ذ

ر

ز

س

ش

ص

ض

ط

ظ

ع

ك

ل

م

ن

هـ

و

لا

ي

الموشحات والأراجيز وسواها

ديوان صفي الدين الحلي